

بؤثر الحكمة من بناء ودين يؤمن
الحكمة فقد أوفى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المحجرات

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصرفي يوم الخميس غمرة محرم الحرام سنة ١٣٢٠ — ١٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٢)

﴿ فاتحة السنة الخامسة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم ،

وبعد فقد تم للمنار أربع سنين ودخل بهذا الجزء في السنة الخامسة
لم يفس القراء ان فرائح السنين الخالية من شوائبها كانت تكسبهم قسوة
والبرم ، الى مخاوف الأمل والتعلل ، لما أمنيته من معارضة أنصار الجهل ،
ومناهضة الذين أنوا الذل ، وما تحملناه من مناصبة الظالمين ، ومناضبة
المقلدين ، مع المناء الكبير ، وقلة الدون والتصير ، ولو كان هذا المنار
منشأ لاجل الكسب ، وابتغاء الرزق ، لقوضته أنواء المناوأة والمناكدة ،
ودكته رياح المماكرة والمكايدة ، ولو قصد به التوصل الى الوظائف
والمناصب ، والتوصل الى الرتب والدرجات ، لنال منها ما أراد ، أو نالت

منه ما تريد ، ولو كان الغرض منه الرياء والفخر ، وحسن السمعة والذكر ، لتلاعبت به الأهواء ، وعبثت به أيدي الزعماء والرؤساء ، فأثته عن الطريقة ، وصرفته عن طلب الحقيقة ، كلا والله ما كان شيء من ذلك ولن يكون . « **إِنْ أُريدُ إِلَّا الإِصْلَاحُ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** »

صرحت في فاتحة السنة الاولى بأني كنت في هذا العمل بين يأس ورجاء يحركني الباعثان ، ويتنازعني الماملان ، وفي خاتمها بان غوغا الناس سلقونا بالسنة حداد ، وروونا بسهام الانتقاد ، ولم تكن السنة الثانية بأمثل من الأولى ، ولا بأقل بلا ، وأكثر قبولا ، وقلت في فاتحة السنة الثالثة إن النار قد انتشرت تلاميجه ولم أقل انه زاد هو انتشارا ، وقلت ان الكتاب والخطباء قد تداولوا مسائله ولم أقل انهم كانوا أعوانا له وأنصارا ، بل صرحت بانهم كانوا « بين مخطف ومصيب ، ومتفقد ومجيب ، وهكذا يكون الأمر في أوله وستجلى الحقيقة للناس ان شاء الله عن قريب » . وكتبت في فاتحة السنة الرابعة انه « قد نما النمو الطبيعي المقدّر له من أول زاده (أي التدريجي البطيء) ولقي صاحبه من الألف في بعض مآلتي الدين صدوا للإصلاح من قبله وصبر كما صبروا والله مع الصابرين ، ثم اننا كنا نمزج هذه الشكوى بشكر العلماء ، والاعتراف بفضل الفضلاء ، الذين تقبلوا النار بأحسن القبول ، ورأوه من بواعث إحياء الأمل وحصول المأمول ، مع الائمة الى قلوبهم ، والتبرم من عدم نجاتهم ، هذا مجمل تاريخ النار من أول نشأته الى سنته الرابعة التي كان آخرها خيرا من أولها ، وخاتمها أفضل من فاتحتها ، ولم ينس القراء اننا اعترفنا

فيها بتضاعف قراء المنار : وكونه صار موضع الثقة في جميع الأقطار ، ونريد
 تحدثنا بالنعمة فنقول : لقد خشعت بفضل الله تعالى أصوات المشاغبين ،
 وأعرض الناس عن جهل المعارضين ، تخنست شياطين الوسواس ،
 وطاشت سهام أرباب الدسائس ، وصار لنا من مستحسني العمل في السر ،
 من يدعو إليه في الجهر ، ومن المتبرمين منه ، من يناضل دونه ويدافع عنه ،
 فلنا أن نقول الآن تحدثنا بالنعمة : اننا انتقلنا من مقام الصبر إلى
 مقام الشكر . فأما الصبر : فلا بد للداعي إلى الحق من الاعتصام به ولذلك
 قرن الله تعالى التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ومن فوائد الصبر الظفر
 وحسن الجزاء قال تعالى «وَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ» وقال عز وجل «وَجَعَلْنَاكُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا
 بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» بل وعد سبحانه أهل الصبر ، بمضاعفة الجزاء والأجر ،
 فقال «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا» وأما الشكر : فقد وعد
 الله تعالى صاحبه بالمزيد من النعمة والأمن من العذاب فقال عز شأنه
 «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»
 وقال جل ثناؤه «مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ
 شَاكِرًا عَلِيمًا» فنسأله تعالى أن يوفقنا للشكر على الآلاء ، كما وفقنا للصبر على
 البلاء ، فإن الشكر مقام عزيز لأن من شأن الإنسان أن تبطله النعمة ويشغله
 الغرور بها عن الشكر عليها ولذلك قال تعالى «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ»
 الشكر هو معرفة النعمة للمنعم تعالى والثناء عليها وصرفها في إقامة
 سننه وموافقة حكمته وموجبات محبته . ومن شكر الله شكر من أحسن

العمل من عباده . فقد روى أحمد وأبو داود وابن حبان من حديث
أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا يشكر
الله من لا يشكر الناس ، لهذا نشكر لأولئك الأفاضل الذين انتدبوا
للدعوة إلى المنار والسعى في نشره عملهم ، ونعرف لهم فضلهم ، ونشكر
أيضا للمشاركين الكرام الذين يؤدون الحقوق في أوقاتها وفاءهم . ونعترف
بالسبق بالفضل ، لقوم سبقوا بالبذل : فأدوا قيمة الاشتراك عن السنة
الخامسة قبل دخولها حتى إننا لم نقبل ذلك من بعضهم إلا بعد الإلحاح منهم
والإصرار . ونرجو من سائر المشاركين الفضلاء ، أن يبادروا إلى حسن
الأداء ، فإن من يُشكر له ، خير ممن يصبر عليه ، ونحمد الله تعالى أن
أكثر قراء المنار ، من المصطفين الأخيار ، فمنهم العلماء الفضلاء ، والأمراء
والوزراء ، والقضاة المقسطون ، والمحامون البارعون ، ونظار المدارس
وأساتذتها ، والأذكياء النابغون من تلامذتها ، والتجار الأمناء ، والزراع
الوجهاء ، وأهل الاستقامة من الموظفين ، وذوو الشهامة من الضباط
المصريين ، ونعد الجميع بأننا سنبذل الجهد في زيادة الفوائد ، وتحرير
المسائل ، والبحث عن أقرب الوسائل لنهضة المسلمين ، ومنفعة جميع
الشرقيين ، بل نرجو أن يكون عملنا خدمة للناس أجمعين .
ونسأل الله أن يحفظنا من عثرة القلم ، وزلة القدم ، وأن يلهمنا
السداد ، ويوفقنا للصواب ، وأن ينصر سلطاننا ، وينير بهاننا ، ويحقق
آمالنا ، ويحسن مآلنا ، فهو نعم المولى ونعم النصير ، بيده الخير وهو على
كل شيء قدير

صاحب المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

﴿ باب الأخبار النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

نشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدينتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه

الانقضاء في الإسلام - النبرة الثانية

وجوب نصب القاضي (الحديث^(١)) قال صلى الله عليه وسلم: « لا يحل
لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أقرروا عليهم أحدهم » وفي رواية:
« إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم » استدلل العلماء بهذا
الحديث على أن نصب الأمير الذي يسوس الناس والقاضي الذي يحكم
بينهم واجب شرعا. لأن هذا أولى بالوجوب من تأمير اثنين وإن كانوا
أقل الجمع واحداً منهم عابهم والعلة ظاهرة والعمل عليها من أول الإسلام.
وفي الحديث إرشاد إني أن الأمة هي التي تولى الأمراء والحكام كما
تقدم شرحه في باب الأحاديث الواردة في الأمراء من المجلد الرابع.

« ١ » رواه أحمد عن عبدالله بن عمرو . والرواية الثانية: أخرجه أبو داود عن

أبي سعيد . وأخرج نحوه البرار بسند صحيح عن عمر بن الخطاب .

موانع القضاء أو شروطه تقدم في الأحاديث السبعة التي أوردناها في النبعة الأولى ما يدل على أن الضميف لا يكون قاضياً وبيننا أنواع الضميف، وأن الجاهل لا يكون قاضياً. كما يؤخذ من حديث قاضي الجنة وقاضي النار وغيره، وأن الجائر لا يكون قاضياً وأن المرأة لا تكون قاضية وخالف في هذا الشرط الحنفية ولو كان المخالف من علماء هذا المصالحم بكفره أكثر المساميين، ورموه بمصانعة الأجانب وتقيد الأوربيين، وكذلك الصبي لا يكون قاضياً ونقل بعضهم الإجماع على هذا ويستدل له بما استدلل به على منع قضاء المرأة وفي هذه الموانع أحاديث أخرى نورد بعضها ^(٩) قال صلى الله تعالى عليه وسلم «استميدوا بالله من رأس السبعين وإمارة الصبيان» والقضاء ضرب من الإمارة ولا نعرف في الناس من تولى الصبيان القضاء ولكنهم يولونهم الإمارة والسلطنة بالوراثة وقد نال المسلمون الأوربيين في هذه الوراثة. فأما أولئك فإنهم آمنون من مضرة ولاية الصبي لأن حكوماتهم مقيدة بقوانين، ووزراء مسؤولين ومنفذين، وإنما الحاكم العام، (كالملك ورئيس الجمهورية) لأجل الوحدة في مصدر الأحكام، وهو لا يستبددونهم بنقض ولا إبرام. وأما بلاد الشرق فلقد تأصل فيها الاستبداد ورسخت عروقه واعتادت أممها عليه وضعفت عن مقاومته فلو قضت شئون السياسة وتقاب الحوادث على بعضها بوضع قانون يجهل أحكامها مقيدة بالقوانين؛ التي تغل أيدي الأمراء والسلاطين، لما وجد من الأمة كافل يضمن تنفيذ القانون ولا استبداد الحاكم الأكبر كيف شاء أو بمجد قوة أجنبية تأخذ على يده. وتوقعه عند حده. ولهذا المعنى كانت

تولية الصبي الملك خطراً في الشرق ومثله المرأة . وأما رأس السبعين في الحديث فقالوا إنه أنباء ما وقع في عشر السبعين من الفتن . كقتل سيدنا الحسين عليه السلام والرضوان ووقعة الحرة وغير ذلك .

(١٠) عن أبي بكره قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . والنظر في هذا الحديث الشريف من وجهين . أحدهما : كونه خبراً وثائقيهما : كونه حكماً شرعياً لأنه يتضمن بمناء النهي عن تولية النساء الأمور العامة كالخلافة والقضاء . أما الأول فهو مبني على المادة التي كانت متبعة في الشرق بل في العالم كله وهي أن الأمر والنهي والتصرف السياسي والقضائي بأيدي الملوك والأمراء ولا شك أن هذه الوظائف لا يصح أن تسند إلى النساء لأنهن أضعف رأياً لاسيما في محافل الرجال وما يتعلق بأعمالهم وأقل جلدأ وثباتاً وأميل مع الهوى لركة قلوبهن وسرعة انفعالهن ولأنهن إن يشتغلن بذلك يضعفن عن وظائفهن الطبيعية وهي تربية الأولاد وتدير المنزل فإذا كان في المرأة استعداد لأن تجاري الرجل وتكون مثله في كل شيء كما يزعم بعض الأوربيين فهذا الاستعداد لما يتحقق فعلا مع العناية بتربية النساء في أوربا فلا يمترض به على حديث قيل في شأن الفرس من ثلاثة عشر قرناً ، ولا ينبغي السعي في تحقيقه بتربية المرأة كما يترتب الرجل تماماً لأن هذا يضر النوع الإنساني من وجوه أهمها تربية الأولاد فإن المرء يجب أن يكون بينه وبين المرء تقارب وتناسب في السجايا والأخلاق والأفكار والرغائب ليسهل الائتلاف والامتزاج معه والتقليد له والأخذ

عنه بالطبع لا بالتكلف والمرأة وسط بين الأطفال وبين الرجال فهي التي
تربي البنات ككل التربية وتربي الصبية التريبة الأولى التي نعتهم بالاخذ عن
الرجال والاعتناء بهم . وإذا اشتغل الرجل بتربية الأطفال ، فإنه يعامل
الذكور والإناث معاملة الرجال ، وفي ذلك خروج بالبنات عن سنة
الفطرة ، وذهاب بالصبيان مع الفطرة

وأما الثاني - وهو كون الحديث حكماً شرعياً يقع ولاية النساء
فهو من جهة مناسب لاستعداد النساء ولوظيفتهن ، فطرية ومن جهة
أخرى مناسب لما كانت عليه حالة الأمم في تلك العصر ولا حاجة لإباحته
في عصر آخر بل فيه السرر المذكور في الرجة الأول ومن التعمد على
وظيفة النساء الطبيعية - ولا يعترض بحال أوروبا وكون الدولة الانكليزية
أفلحت في عهد الملكة فيكتوريا بالامتداد ما رأيت هي ولا غيرها من الدول
مثله لأن فرقا بين أمم أوروبا والأمة الإسلامية وهو أن الملك فيهم
ليس له من الوظائف مثل ما له في هذه عند المسلمين فإن الخليفة هو الامام
الديني الذي يصلي بالناس ويخطبهم في المناسبات وعند حضوره الحج
وكل الأئمة والخطباء في البسداد الإسلامية هم له ووكلاؤه وهو القاضي
الأكبر الذي يحكم فيهم حيث يكون ركن القضاة والفتوى ووكلاؤه
فهو الذي يقدم هذا المنصب بشرط الكفاءة وإليه يرجعون في مسائل
الخلافا ليفصل فيها ، ومن شروط الكفاءة أن يكون القاضي والمفتي في
مرتبة الأئمة المجتهدين في الدين ومعرفة مسحة المسلمين ولا يعرف هذا
إلا من هو أهله . وإن فرضنا أن في استعداد المرأة الوصول إلى هذه
المرتبة وأنه لا ضرر في هذا على النعم الإنسانية فهناك مانع آخر من إمامتها

وهو أنها تكون في طور لا تصح فيه صلاتها بنفسها فكيف تكون إماماً لغيرها . ولا يقال: تستنيب لأن من ليس له الحق بشئ لا يصح أن يستنيب ، فيه إذ النائب يؤدي وظيفة المنيب ولا وظيفة له هنا . هذا بعض ما يقال في المنع من الجهة الدينية المحضة وثم موانع أخرى من الجهة الدنيوية وهي كون الخليفة مدير السياسة والحروب ومتولى النظر في المصالح الداخلية والخارجية ولذلك اشترطوا أن يكون شجاعاً فان قيل: إن الإسلام شرع المشاورة في الأمر وجعلها فرضاً لازماً ومنع الخليفة أن يستبد في أمر نفسه وهذا عين ما عليه الأوربيون في تقييد الملوك بالمجالس النيابية قلنا: نعم هذا صحيح ولكن الإسلام أوجب على الخليفة أن يكون عاملاً بالمشاورة لا أن يكون آلة تجري الأمور باسمه بدون شعور . والكلام في هذا المقال كثير وفيما ذكرناه غناء للصبر .

وعن موانع القضاء عند الجماهير الرق وحكى عن المترة أنه يصح أن يكون العبد قاضياً وكأنهم أخذوا بظاهر الحديث وهو

(١١) قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » وفي رواية « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد يهودي بكتاب الله » قال القسطلاني في شرح البخاري: معناه: إن استعمله الإمام الأعظم على القوم لأن العبد الحبشي هو الإمام الأعظم فإن الأئمة من قريش أو المراد به الإمام الأعظم على سبيل الفرض والتقدير وهو مبالغة في الأمر بطاعته . والنهي عن شتمه ومخالفته . اهـ أي ليس المراد به ظاهره فإن العبد إذا ولي الخلافة لا يطاع بل يخضع ويبرزل:

« ١١ » رواه أحمد والبخاري عن أنس . والرواية الثانية لمسلم عن أم الحصين

قال الخطابي : قد يضرب المثل بما لا يتبع في الوجود وقال الحافظ في الفتح :
ونقل ابن بطلان عن المهلب قال قوله « اسعموا وأطيعوا » لا يوجب أن يكون
المستعمل للعبد إلا إمام قرشي لما تقدم من أن الإمامة لا تكون إلا في
قرش وقد أجمع الأمة على أنها لا تكون في العبيد ويحتمل أن يكون
سماه عبداً باعتبار ما كان قبل العتق اهـ

والحاصل أن شروط القضاء في الشرع سبعة كما قال في الأحكام
السلطانية الرجولية والحرية والإسلام والعدالة والافتقار في العلم والعقل
وبسالة الخوأس وجوز مالك قضاء الأعشى كما يجوز عهده

﴿ آثار السلف عبرة للخلف ﴾

عدل عمر روى ابن عبد الحكم عن أنس « أن رجلاً من أهل مصر
أتى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين : عانذ بك من الظلم : قال عدت
مماذا . قال سأقتل ابن عمرو بن العاص فسيفتنه فجعل يضربني بالسوط
ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم
ابنه معه فقدم فقال عمر : أين المصري ؟ خذ السوط فاضرب فجعل
يضربه بالسوط وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين قال أنس فاضرب
فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه فما أقطع عنه حتى تخدنا أنه يرفع عنه
ثم قال للمصري : ضع السوط على صلبة عمرو فقال يا أمير المؤمنين :
إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه فقال عمر لعمرو : منذ كم تعبدتم
الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » قال يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني
وروى عبد الرزاق في الجامع والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر قال :

شرب أخى نبيذ الرحمن وشرب معه أبو سروعة عتبة بن الحارث وهما
 بمصر في خلافة عمر فسكرا فلما أصبحا انطلقا إلى عمرو بن عثمان وهما
 أمير مصر فقالا: طهرنا فإنا قد سكرا ثامن شراب شربناه (يظهر من هذه
 الكلمة أنهما لم يكونا يقعدان السكر ولم يعرفا ما هو الشراب) قال
 عبد الله فذكر لي أخى أنه سكر، فقلت: ادخل الدار أطهرك ولم أشعر أنهما
 قد أتيا عمرو فأخبرني أخى أنه أخبر الأمير بذلك فقلت لا تحق اليوم على
 رؤس الناس ادخل الدار أحلقك، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد فدخلوا
 الدار. قال عبد الله فحقت أخى بيدي، ثم جلد عمر وفسم بذلك عمر
 وكتب إلى عمرو أن ابعث إلى بعبد الرحمن على قتب ففعل ذلك فلما قدم
 على عمر جلدته وعاقبه لمسكانه منه ثم أرسله فثبت شهرًا صحيحًا ثم أصابه
 مدره فمات فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ولم يمض من جلد عمر
 وروى هذا الأثر ابن سعد في الطبقات مطولا، ذكر فيه مجيء
 عبد الرحمن إلى مصر ونزوله في أقصاها وأن عمرو أخشى أن يزوره أو يهدي
 إليه شيئا فيعلم أبوه عمر بذلك فيعاقبه لأنه كان كتب إليه: إياك أن يقدم
 عليك أحد من أهل بيتي فتحبوه بأمر لا تصنعه بغيره، حتى جاءه هو
 ورفيقه أبو سرعة منكسرين يطلبان إقامة الحد عليهما. وفيه أن عمر لما علم
 أن عمرو أقام الحد على ولده في بيته وحلقه في بيته ظن أنها خصوصية
 اختص بها وندء فكتب إليه يوبخه ويهدده بالمزل ويطلب عبد الرحمن.
 وأن عمرو اعتذر له بأن يحذ كل مسلم ودتي في بيته. اه ماخصا من
 كتاب (كثر العمال، في سنن الأقوال والأفعال)

﴿ باب المعائد من الآمال الدينية ﴾
« الدرس ٣١ — عصمة الأنبياء عليهم السلام »

(المسألة ٧٩) حقيقة العصمة هي في اللغة المنع ، وقال الجرجاني في التمرينات « العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها » أي أن المصوم من الشيء يجد في نفسه قدرة عليه ويشعر بزاجر منها يحول دون الوقوع فيه ، فالمصمة وازع نفسي راسخ في النفس وهي في الأنبياء فطرية وقد يكون لغيرهم بحسن التربية من ملكة الففضيلة ما يربأ بتفوسهم عن موافقة الفجور والدنبا ويسمى علمائنا هذا المعنى حفظاً للتفرقة وإنما يكون هذا بالتربية الفاضلة بين الفضلاء مع مساعدة الورثة واعتدال المزاج . وقد ينكر الذين ابتلوا باقتراف الكبائر هذا المعنى أن يكون لغير الأنبياء ، ويسلمون به للأنبياء تقليداً ولهم المذر فإنه أمر لا يعرفه إلا من ذاقه وقليل ما هم .

(م ٨٠) العصمة في التبليغ جاء في المواقف أن أهل الملل والشرائع قد أجمعوا على عصمة الأنبياء عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله تعالى وإن عاقلاً لا يجمع بين الإيمان والوحي والنبوة وبين تجويز كذب النبي على الله تعالى فيما يبلغ منه فإن كان هذا جائزاً فأى ثقة بالوحي وكيف يميز المكلف بين ما هو عن الله وما عن غير الله والمبلغ غير موثوق بصدقه؟! ولقد أبعد القاضي أحد أئمة الأشعرية في قوله بجواز صدور الكذب منهم سهواً وهو قول مردود لا يمول عليه أحد ، والدليل على هذا النوع من العصمة هو عين الدليل

على النبوة من الآيات العلمية أو الكونية .

(م ٨١) العصمة من الكفر أجمع المسلمون من جميع الفرق على عصمتهم من الكفر قبل النبوة وبعدها وليس هنا شبهة لأحد فتوسع فيه .

(م ٨٢) العصمة من كبار الذنوب قال في المواقف وشرحه : « أما الكبار » أى صدورها عنهم عمداً « فمنه الجمهور » من المحققين والأئمة ولم يخالف فيه إلا الحشوية « والأكثر » من المانعين « على امتناعه سمياً » قال القاضى والمحققون من الأشاعرة إن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلاً إذ دلالة للمعجزة عليه فامتناع الكبار عنهم سمياً مستفاد من السمع وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين فى ذلك « وقالت المعتزلة بناء على أصولهم » الفاسدة فى التحسين والتقبيح العقليين ووجوب رعاية الصلاح والأصالح « يمتنع ذلك عقلاً » لأن صدور الكبار عنهم عمداً يوجب سقوط هيبتهم من القلوب وانحطاط رتبهم فى أعين الناس فيؤدى إلى النفرة عنهم وعدم الاتقياد لهم ويلزم منه إفساد الخلاق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة . « وأما » صدورها عنهم « سهواً » وعلى سبيل الخطأ فى التأويل « فجزه الأكثرون » والمختار خلافه اه ولم يذكر ناقل الإجماع ولا كيف وقع هذا الإجماع ، وما أراه إلا الإجماع السكوتى وعجيب من سادتنا الأشاعرة كيف ينقضون الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء لأجل مخالفة المعتزلة ولو بالتصكف إذ استلزم دليلهم للتحسين والتقبيح بالمعنى النافى لاختيار الله تعالى ممنوع كما سنبينه ثم إنهم جوزوا وقوع الكبار منهم سهواً وتأويلاً كما ترى وذكر السيد أن المختار خلاف ما عليه الأكثرون وقد جزم المتأخرون بهذا فى عقائدهم ولا شك

ان المتأخرين أشد تعظيماً باقوال للأنبياء والصالحاء وكذلك في الاعتقاد اتخذ إلى دون البرهان على أنهم في هذه المسألة أقرب إلى الصواب من المتقدمين (م ٨٣) العصمة من الصغار قال المواقف : « وأما الصغار عمداً فمجوزة الجمهور إلا الجبائي وأما سهواً فهو جائز اتفاقاً إلا الصغار الحسية كسرة حبة أو لقمة وقال الجاحظ : يجوز بشرط أن ينهوا عليه فينتهوا عنه وقد تبعه فيه كثير من المتأخرين وله نقول » قال الشارح : (ي نحن الأشاعرة) .

(م ٨٤) العصمة قبل النبوة قال المواقف بعد إيراد ما ذكر كله : « هذا كله بعد الوحي وأما قبله فقال الجمهور : لا يمتنع أن يصدر عنهم كبيرة إذ لا دلالة للمعجزة عليه ولا حكم للمقتل وقال أكثر المعتزلة : تمتنع الكبيرة وإن تاب منها لأنه يوجب النفي ، وهي تمتنع عن اتباعه ، فتفوت مصلحة البعثة ومنهم من منع عما ينفر مطلقاً كهمر الأمهات والفجور في الآباء والصغار الحسية دون غيرها . وقالت الروافض : لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة قبل الوحي ، فكيف بعد الوحي ؟ » اهـ وقول الروافض هذا هو الذي اعتمدته المتأخرون من أهل السنة ، بل منع بعضهم وقوع المكروه منهم إلا على سبيل التشريع .

(م ٨٥) رأينا^(١) إنما ذكرنا هذا الاختلاف في العصمة ليعرف من يطالع عليه من دعاة النصارى ومجادليهم : أن المسلمين لم يتكفوا القول بعصمة الأنبياء تكلفاً لإثبات قدرتهم على إنجاء الناس من العذاب في

(١) راجع النبعة ١١ من شبهات المسيحيين وحجج المسلمين في عصمة الأنبياء

ليوم الآخر كما يزعمون وإنما يتبعون في ذلك كثيره ما يظهر لهم من الأدلة العقلية والسمعية أى أدلة الوحي وإنما نقلنا عبارة كتاب المواقف لدى هو أعظم كتب الكلام عندنا لئلا يظن قليل الإطلاع من المسلمين أن الأقوال التي أوردناها في الخلاف هي أقوال شاذة أو مسندة لغير أصحابها سهواً أو جهلاً لاسيما إعتقاد متأخرى أهل السنة قول الرافضة . والذي نراه أنه يصح الاستدلال بالمقل على عصمة الأنبياء عليهم السلام ولا يستلزم ذلك القول بقاعدة التحسين والتقبيح المقلين ولا سبب الاختيار عن الله تعالى . وكذلك يستنبط من كثير من الآيات القرآنية ما يدل على نراهم وكونهم قدوة في الخير والفضائل والكن ليس فيها نص بصریح على العصمة من الذنوب مطلقاً ولذلك قال صاحب المواقف بعد إيراد تلك الآيات أنها ليست بالقوية فيما هو محل النزاع وهو الكبيرة سهواً والصغيرة عمداً . وفي الكتاب والسنة إسناد الذنوب إلى بعض الأنبياء عليهم السلام وما جاز على بمضهم جاز على الآخرين والمعلماء يأولون ذلك وقصارى هذا كله وجوب الإعتناء على الدليل المقل والتوفيق بينه وبين ما ورد من إسناد الذنوب إليهم فاطلب ذلك من الدرر الآتى .

﴿ باب الأسئلة والأجوبة ﴾

(س ١) محمد توفيق أفندي حمزه بالفشن (المنيا) : هل يوجد حديث صحيح بأن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بالسنتها وأن منه قوله تعالى « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » نرجو الرد على ذلك لإزالة الشبهة

(ج) لم يرد في هذا المعنى حديث صحيح ولا ضعيف ولا موضوع
ولكن الزنادقة الذين حاولوا العبث بدين الإسلام كما كان يفعل أمثالهم
في الأديان الأخرى لما عجزوا عن زيادة حرف في القرآن أو نقص حرف
منه لحفظه في الصدور والصحف أرادوا أن يشككوا ببعض المسلمين فيه
بشيء يضمنونه عن لسان الصحابة الكرام فزعم بعضهم أن عكرمة قال
لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حرفاً من اللحن فقال
« لا تغيروها فان العرب ستغيرها أو قال ستقرؤها بالسنثا ولو كان الكاتب
من ثقيف والممل من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف » .

وفي لفظ آخر « أحسنتم وأجلمتم أرى شيئاً من لحن ستقيبه العرب
بالسنثا ولو كان الممل من هذيل والكاتب من قريش لم يوجد هذا »
ولما تصدى المحدثون رضي الله عنهم لنقد الحديث والأثر من جهة الرواية
التي راج في سوقها الطيب والخبيث تبين لهم في هذا الأثر ثلاث علل
الانقطاع والضعف والاضطراب فهو لا يعول عليه لو كان في الحث على
فضائل الأعمال فكيف يلتفت إليه في موضوع هو أصل الدين الأصيل
وركنه الركين؟ ومن يدري إن كان الساقط من سنده مجوسى أو دهرى
أو إسرائيلى؟ على أن الكلمة التي نسبت إلى عثمان تدل على أن اللحن في الرسم
وأنه لم يكن مما يشتبه في قراءته لأنه لا يحتمل في النطق وجهاً آخر كرسم
الصلاة والزكاة والحياة بالواو مثلاً (الصلاة الحية) ولكن الموسوسين
حملوا ذلك على كلمات قليلة جاءت في المصحف على خلاف القواعد النحوية
التي وضعها الناس لكلام العرب وتحكمون بها عليهم ومن ذلك الآية
التي أشار إليها السائل وهي قوله تعالى « لكن الراسخون في العلم منهم

والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليهم وما أنزل من قبلك والمؤمنين الصلاة والمؤمنون الزكاة » وإني لأعجب من دخیل فی لفة قوم ينحکم علیهم فی شیء یحترمه هو ویحمله أصلاً لها . وأعجب من هذا أن یکون هذا التحکم علی أصح شیء فی اللسان فإن الذین یؤولون ماورد عن بعض منہاء الأعراب من الشعر المخالف للواعد أو یکتفون بأنه صحیح لأنه هكذا سیم یوافقون فی بعض الکلم من القرآن إذا رأوا أنها علی خلاف القیاس . علی أن علماء العربیة خرجوا تلك الکلمات علی ما یوفق قواعدهم من وجود مذکورة فی کتب التفسیر وکتب النحو لا محل لها هنا . وسفصل القول فی مسئلة جمع القرآن فی دروس الأملی الدینیة بما یشتق الضرور إن شاء الله تعالی .

(س ١٢) أحمد أفندی الألفی فی أبی کبیر (شرقیة) : ما أقرب الطرق لمعرفة أحكام العبادات من الكتاب والسنة ؟ .

(ج) الكتاب العزیز لم یفصل القول فی صور العبادات وإنما بین روح العبادات والمقصود منها وفيه کیفیة الوضوء وذكر الركوع والسجود من أعمال الصلاة والسنة یدلت صورها وأذکارها . وأصحاب الکتب الستة التي هی أصح کتب الحدیث إنما ألفوا کتبهم لمعرفة الدین منها فجامع البخاری هو مذهبہ الذی یعتمد علیہ فی فہم الدین وقد قال بعض العلماء إن سنی أبی داود کافیة فما یشرط الاجتهاد من علم السنة . ویوجد کتاب یشتمل متقی الأخبار جمع فیہ صاحبہ أحادیث الأحكام من الکتب الستة ومن مسند الإمام أحمد وقد شرحہ الإمام الشوکانی وأورد فی شرحہ خلاف جمع أئمة المسلمین المشهورین من الصحابة والتابعین مع بیان

الترجيح في الاستدلال واسم الشرح (نيل الأوطار) فهو أجمع كتاب في أحكام الدين من السنة وهدى سلف الأمة لمن هو أهل للفهم والأحاديث الشريفة أسهل فهماً من كلام العلماء ، ولكن لا يستغنى عن هدايتهم في معرفة ما يحتاج به وما يختلف مع غيره .

(س ٣) ومنه : هل يفيد حفظ القرآن في اكتساب ملكة البلاغة

كغيره من الكلام البليغ ؟

(ج) لعل سبب السؤال نوح أن القرآن في علو أسلوبه وإعجازه لا يمكن أن يحتذى بلاغته ، من لا يطمع أن يبلغ غايته ، والصواب أن لحفظ القرآن مع فهمه أبلغ التأثير في ارتقاء ملكة البلاغة العربية ولقد ارتقى به كلام العرب أنفسهم فكان كلامهم في المنظوم والمنثور بعد الإسلام أعلى منه قبله . فالقرآن أنفع الكلام في ارتقاء اللغة كما أنه أنفعه في إصلاح الأرواح وتهذيب النفوس وإكمال العقول ولا يستلزم فهمه في ارتقاء البلاغة إمكان التساق إلى درجته ، والجرى إلى غايته ، وإن لنا لعودة إلى هذه المسألة إن شاء الله تعالى

(س ٤) ع ١٠ ر. في الإسكندرية : لا يخفى مارسخ في أوهم الموام من مسألة كرامات الأولياء والخروج في فهم حقيقة قتها عن الحد الذي نهت عليه شريقتنا السمحة ، وبثغرتنا واحد من هؤلاء الدجالين الجهلاء المنتحلين لأنفسهم علم الغيب وله مسبحة طويلة ينظر فيها عند سؤاله من العامة فيخبرهم بما يحصل لهم في غد من الحوادث فيصدقونه والمنتبهون منهم إن سألوا بعض العلماء عن ذلك جوزوه بدعوى أنه كرامة من غير توضيح ، ماهي الكرامة ومن يكرم الله بها من عباده المتقين غير الدجالين الذين هم عن

حلالهم مالهون . ولما كان لا يلزم والسموع صوى يومئذ كثر من
 نيراساً لهم ودفنوا في قبرهم في يومئذ كثر من نيراساً لهم ودفنوا في قبرهم
 السور اليكم ملتصقة من بحر عذابي وواسع حكماتي ان يوضحوا بعدد نيراسات
 (وان كان سبق توضيح) هل ورد في شرح ما يحد من الناس فاتهم على
 غيب علم الله الذي ستره عن عباده وإخبار الناس بما يستره من خير أم شر . فان
 ضل أو استشعر منه الخط والخطأ قال : « السبعة آية المسححة تامة فليخرجوا ان
 نه صجوا لما نالك بشاركم للبر والبر هذه العبارة تعتمد على القول
 (ج) فليد في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يدل على جواز
 هذه الدسوى لأحد بل ورد ما يدل على أن الأنبياء عليهم السلام قد أمروا بأن
 يصلحوا منها . « قل لا أقول لكم عسى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم
 اني منكم ان اتبع الامايوحي اني قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تفكرون »
 « قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
 من الخير وما مضى السوء ان لا تدبر ويشير لقوم يؤمنون » - « قل لا يعلم
 من في السموات والأرض الغيب إلا الله » والآيات في هذا تلغى كثيرة . واستشكل
 بعضهم في علم الغيب عن النبي مع انه أخبر بكثير منه وأحسن جواب أجابوه ما تؤيده
 الآيات كقوله تعالى « ان اتبع الامايوحي إلى » فنقول فيما أخبر به من ذلك كما
 قال الله تعالى « وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى » وأما المتنف فيهم ما يتعلق
 بمصالح الدنيا وما يكون من أمر الناس فيها واستشهدوا له بالحديث الصحيح الوارد
 في تأييد النخل وقوله لما خرج خلاف ما قاله عليه السلام : (أتمم سلم بأمر دنياكم)
 وفي رواية لمسلم : (ان كان شيء من أمر دنياكم فشانكم وإن كان من أمر دينكم
 فإلى) فالحديث يدل على ان الله تعالى لم يعط الأنبياء معرفة الغيب في مصالح الناس في
 دنياهم وإنما جعل علم الدنيا كسبياً يعلمه الناس بالبحث والجد . أما هؤلاء الدجالون من
 أصحاب السبع ونحوهم فلا تزال بضاعتهم تروج ما دام هذا الجهل فاشياً في جميع
 طبقات الأمة ولا ينفع في الجاهل ثقلة الأعمى دليل ولا برهان . وراجعوا مقالات
 (كرامات الأولياء) في ص ١٠٤ و ١١٧ و ٤٤٩ و ٤٨١ و ٥٤٥ من مجلد الثمار الثاني
 (٤ - الثمار)

القسم العمومي

(الكتاب الموعود بنشره)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الخلقين وعلى آله وأصحابه أنصار دينه الأولين وعلى أتباعهم في مسالكهم إلى يوم الدين .
أما بعد فاقول لما كان عهدنا هذا وهو أوائل القرن الرابع عشر عهداً عم فيه الخلل والضعف جميع المسلمين وكان من سنة الله في خلقه ان جعل لكل شيء سبباً فلا بد لهذا الخلل الطارئ والضعف النازل من أسباب ظاهرة غير سر القدر الخفي عن البشر . فدعت الحمية بعض أفاضل العلماء والبراة والكتاب السياسيين للبحث عن أسباب ذلك والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الاسلامية فأخذوا ينشرون آراءهم في ذلك بعض الجرائد الاسلامية الهندية والمصرية والسورية والتاتارية . وقد اطلعت على كثير من مقالاتهم الغراء في هذا الموضوع الجليل واتبعت أثرهم بنشر ملاح لي في جل هذا الشكل العظيم .

ثم بدا لي ان أسعى في توسيع هذا السعى بعقد جمعية من سررة الاسلام في مهد الهداية أعني (مكة) المكرمة فعقدت العزيمة متوكلاً على الله تعالى على اجراء سياحة مباركة بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع الافكار وتهيئة الاجتماع في موسم أداء فريضة الحج فخرجت من وطني أحد مدن الفرات في أوائل محرم سنة ست عشرة وثلاثمائة والف وكلى ألسن تنشد :

دراك فمن يدنف لعمرى يدفن وما نافع نوح متى قيل قد فني
دراك فإن الدين قد زال عزه وكان عزيزاً قبل ذا غير هين
فصحان له أهل يوفون حقه بهدى وتلقين وحسن تلقن
إلام وأهل العلم أحلاس بينهم اما صار فرضاً رأب هذا التوهن
هلوا إلى (أم الهري) وتأمروا ولا تفنظوا من روح رب مهيمن
فان الذي شادته الاسياف قبلكم هو اليوم لا يحتاج الا الألسن
فسلكت الطريق البحري من اسكندرون معرجا على بيروت فدمشق ثم يافا
فالقدس ثم جنت الإسكندرية فصرثم من السويس عمت الحديد ففصحاء فصعدا إلى

البصرة ومنها رجعت إلى حائل إلى المدينة على منورها أفضل الصلاة والسلام إلى مكة المكرمة فوصلتها في أوائل ذي القعدة فوجدت أكثر الذين أجابوا الدعوة ممن كنت اجتمعت بهم من أفاضل البلاد الكبيرة المذكورة وسراياها قد سبقوني بعوافاتها وما انصف الشهر وهو موعد التلاقى الا وقدم الباقون ماعدا الأديب البيروتي الذي حرمننا القدر ملاقاته لسبب انبأنا عنه فعذرناه .

وفي أثناء انتظارنا منتصف الشهر سمعت مع بعض الاخوان الوافدين في تحري ونجى اثني عشر عضواً أيضاً لاجل اضافتهم للجمعية وهم من مراکش وتونس والقسطنطينية وبغجه سراي وتلميس وتبريز وكابل وكشغر وقازان وبكين ودهلي وكلكتة وليربول . واد كنت المباشر لهذه الدعوة بادرت واتخذت لي داراً في حي منطرف في مكة لعقد الاجتماعات بصورة خفية ومع ذلك استأجرتها باسم بواب داعستانى روسى لتكون مصونة من التعرض رعاية للاحتياط . وقد انعقد من منتصف الشهر إلى منحه اثنا عشر اجتماعاً غير اجتماع الوداع جرت فيها مذكرات مهمة صار ضابطاً ونسجلاً بكل الدقة كما سيعلم من مطالعة هذا السجل المتضمن كيفية الاجتماعات مع جميع المفاوضات وقرارات غير ما آثرت الجمعية كتمه كما سيشار إليه .

❦ الاجتماع الأول ❦

يوم الاثنين خامس عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في اليوم المذكور انتظمت الجمعية للمرة الأولى وعضاؤها اثنان وعشرون فاضلاً كلهم محسنون العربية فبعد أن عرفت كلا منهم بباقي اخوانه وتعارفوا بالوجوه بادرتهم بتوزيع اثنين وعشرين قائمة كن مهيئات قبلاً مطبوعات مطبعة (الجلالين) التي استعرتها من تاجر هندي في مكة لأجل طبع هذه القائمة وأمثالها من أوراق الجمعية محرراً في نسخ القائمة مختصر تراحم اخوان الجمعية جميعهم ببيان الاسم والنسبة والمذهب والمرأة المخصوصة وموضحة فيها أيضاً مفتاح الرموز التي يحتاج الاخوان لاستعمالها وأعضاء الجمعية هم السيد القرأتى ، الفاضل الشامي ، البليغ القدسي ، الكامل الاسكندري ، العلامة المصري ، المحدث البني ، الحافظ البهنري ، العالم النجدي ، المحقق المدني ، الامتاز المكي ، الحكيم التونسي ، المرشد القاسي ، السعيد الانكليزي ، المولى الرومي ، الرياضي الكردي ، المجتهد التبريزي . العارف التاتاري ، الخطيب الشازلي ، المدقق التركي ، الفقيه الافغانى ، صاحب الهندى ، الشيخ السمندي ،

الإمام الصيني . ثم بادرت الاخوان جاهراً بكلمة شعار الأخوة التي يعرفونها منى من قبل وهى (لا نعبد الا الله) مسترعياً سمعهم وخاطبتهم بقولى : من كان منكم يعاهد الله تعالى على الجهاد فى اعلاء كلمة الله والأمانة لـ اخوان التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر بقوله (على عهد الله بالجهاد والأمانة) ومن كان لا يطيق العهد فليعتزلنا وما جال نظرى فيهم الا وسارع الذى عن يمينى إلى عقد العهد ثم الذى يليه ثم الذى يليه إلى آخرهم . ثم التفت منهم ان يتخبوا أحدهم رئيساً يدير الجمعية ومذكراتها وآخر كاتباً يضبط المفاوضات ويسجل القرارات فاجابنى العلامة المصرى ان معرفة الاخوان بعضهم بعضاً جديدة العهد وانك أشملهم معرفة بهم فأنا أترك الانتخاب لك وما أتم رأيي هذا الا وأجمع الكل على ذلك فحينئذ أعلنت لهم انى أنخير للرئاسة الأستاذ السكى وأنخير نفسى لخدمة الكتابة تفادياً من اتعاب غيرى فى الخدمة التى يمكننى القيام بها واستأذنت الافاضل الاعجام منهم بنوع من التصرف فى تحرير بعض الفاظهم فظهر الجميع الرضا والتصويب وصرح الأستاذ بالقبول مع الامتنان من حسن ظنهم به واستولى على الجمعية السكون ترقباً لما يقول الرئيس .

أما (الأستاذ الرئيس) فقطب جبينه مستجمعاً فكره ثم استهل فقال : الحمد لله على السر والنجوى ، الذى جمعنا على توحيد دينه وأمرنا بالتعاون على التقوى ، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا فى الله انتصاراً لدينه لم يشغلهم عن اعزاز الدين شاغل وكان أمرهم شورى بينهم يسعى بذمتهم أدناهم اللهم « إياك نعبد » لا نخضع لغيرك « وإياك نستعين » لا ننتظر نفعاً من سواك ولا نخشى ضرراً « اهدنا الصراط المستقيم » الذى لا خفيات ولا ثنيات فيه « صراط الدين أنعمت عليهم » بنعمة الهداية إلى التوحيد « غير المغضوب عليهم » بما أشركوا « ولا الضالين » بعد ما اهتدوا سبيلك ربنا آتتنا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا رشداً .

وبعد فيا أيها السادة الكرام كل منا يعلم سبب اجتماعنا هذا من مفاوضات أخينا السيد الفراتى الذى أجنا دعوته لهذه الجمعية شاكرين سعيه . ولذلك لا أرى لزوماً للبحث عن السبب كما لا أجد حاجة لتنشيط هممكم ، وتأجيح نار حميتكم ، لأننا كلنا فى هذا الغناء سواء ولكن أذكركم بخلاصة تاريخ هذه المسألة فأقول .

ان مسألة تفهيم الإسلام بنت الف عام أو أكثر وما حفظ عز هذا الدين المبين كل هذه القرون المتوالية الامتانة الأساس مع انحطاط سائر الأمم عن المسلمين فى

كل المذنبين إلى أن نشتت بعض الأسماء في السجون النورية للمعارضة فربما قد بدأنا
نشرت شعورها على أكثر البلاد والعباد من المسلمين وغيرهم ونرى أن السجون في
سبيلهم إلى أن استولى الشيطان على كل أطراف جسم تلك الإسلامية وقرب الخطر
من قلب أعين (حريرة لعرب) فتذهبت أفكار من رزقهم الله بصيرة بالعواقب ووقفهم
لنيل أجر المجاهدين فهبوا ينشرون المواقف والتذكيرة والمباحث المندرة فكثرت المنذرون
وتحركت الحواطر لكتبتها حركة متحيرة الوجهة سائمة القوة فسي الله أن يرشد
جميعتنا للتوصل إلى توحيد هذه الوجهة وجمع هذه القوة .

وبدقيق النظر في النشريات والمقالات التي جادت بها أقلام الفضلاء في هذا
الموضوع نرى كلها دائرة على أربعة مقاصد ابتدائية

(الأول) منها بيان الحالة الحاضرة ووصف أعراضها بوجه عام وصفاً بديعاً
يغيد التأثير ويدعو إلى التدبير على أن ذلك لا يلبث إلا عشيّة أو ضحاها . (والثاني) بيان
أن سبب الخلل النازل ، هو الجبل الشامل . بيان أحوال وتوزيع ، مع أن المقام يقتضي
عدم الاحتشام من التفصيل والتفصيل . (والثالث) إنذار الأمة بسوء العاقبة المحدقة بها
نداراً هائلاً تطير منه النفوس مع أن الخلل الواقع لا يخفى فيه النذر . (والرابع) توجيه
القوم والتمهيد على الأمراء أو العلماء أو على الأمة كلها لتقاعدهم عن استعمال قوة
الاتفاق على النهضة مع أن الاتفاق وهم وتساكسون متعذر لا متعسر .

فهذه المقاصد القولية قد استوفت حقها من أنواع بدائع الأساليب وآن أو ان
استنارها وذلك لا يتم إذا لم يشخص المرض أو الأمراض المشتركة تشخيصاً دقيقاً
سينسباً والبحث أه لا عن مراكز المرض ثم جرائمه ليتعين بعد ذلك الدواء
الشافى الأسهل وجوداً والأضمن نتيجة وبالتنقيب ثانياً عن تدبير إدخاله في جسم
الأمة بحكمة تصرع مناد والوهم ، وتغلب على مقاومة أعضاء الذوق والشم .

ثم إنكم أيها السادة تستحسنون الاكتساف الذي اختاره أكثر هؤلاء الكتاب
لأنهم قالوا لأن ذلك محسنت بل موحيات شئنا أن تستعلمنا جميعتنا أيضاً فلنحرص
كلنا على الاكتساف لأن من موجباته إلزام كل من نشر في العسري أعنى القول الصريح
في النصيحة للدين بدون رياء ولا استحياء ولا مراعاة ذوق عامة أو عتاة لأن حياة
الريض مهلكة وكنتم الأمر المستفيض سخافة والدين النصيحة ولا حياة في الدين .
ومن موجبات الاكتساف أيضاً أن كل ما يخالف الفكر في موضوع مسائلنا معروف عند
الأكثرين والكنى بصورة مشتبته والناس فيه على أقسام فصنف العلماء إما حبياء بها بون

الحوض فيه وأما مراؤن مداجون يأبون أن تخالف أقوالهم وأحوالهم وباقي الناس
يأنفون أن يذعنوا لنصح ناصح صانع غير معصوم ولذلك كان القول من غير معرفة
القائل ارعى للسمع وأقرب للقبول والقناعة وأدعى للاجماع . .

ثم أظنكم أيها الاخوان تستصوبون أن تترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن
متبعوها تقليداً فلا نعرف مأخذ كثير من أحكامها وأن نعتمد مانعنا من
الكتاب وصحيح السنة وثابت الاجماع وذلك لكيلا تتفرق في الآراء وليكون ما يقرره
مقبولاً عند جميع أهل القبلة إذ أن مذهب السلف هو الأصل الذي لا يرد ولا تستنكف
الامة أن ترجع إليه وتجتمع عليه في بعض أمهات المسائل لأن في ذلك التساوي بين
المذاهب فلا يثقل على أحد نبد تقليد أحد الأئمة في مسألة تخالف المتبادر من نص
الكتاب العزيز أو تباين صريح السنة الثابتة في مدونات الصدر الأول .

ولا يكبرن هذا الرأي على البعض منكم فما هو برأى حادث بين المسلمين بل
جميع أهل جزيرة العرب ماعدا اخلاط الحرمين على هذا الرأي ولا يخفى عليكم أن
أهل الجزيرة وهم من سبعة ملايين إلى ثمانية كلهم من المسلمين السلفيين عقيدة الحنابلة أو
الزيدية أو الشافعية مذهباً وقد نشأ الدين فيهم وبلغتهم فهم أهلهم وحملته وحافظوه وحماة
وقد خالطوا الاغيار أو وجدت فيهم دواعي القرباء والتفاني في الدين لأجل الفخار ولا
يعظمون على البعض منكم أيضاً أنه كيف يسوغ لأحدنا أن يثق بفهمه وتحقيقه مع بعد
المهد ويترك تقليد من يعرف أنه أفضل منه وأجمع علماً وأكثر إحاطة واحتياطاً .

ولا أظن أن فينا من ليس في نفسه إشكال عظيم في تحرى من هو الاعظم من بين
الأئمة والعلماء والأحرى بالاعتماد على تحقيقه لوجود اختلافات واضطرابات مهمة
بينهم ما بين نفي وإثبات حتى في كثير من الأمور التعبدية الفعلية التي مأخذها المشاهدة
المتكررة ألوف مرات مثل هل كان النبي عليه الصلاة والسلام ثم جمهور أصحابه عليهم
الرضوان يصاون وتر العشاء بتسليمة أم بتسليمتين وهل كانوا يفتنون في الوتر أم في
الصبح وهل كان المؤتمرون يقرأون أم ينصتونه وهل كانوا يرفعون الأيدي عند تكبيرات
الانتقال أم لا يرفعون وهل يعقدون الأيدي أم يسلونها . فإذا كان الأئمة والعلماء
الأقدمون هذا شأنهم من التباين والتخالف في تحقيق كيفية عبادة فعالية هي عماد
الدين أعنى الصلاة التي هي من المشهودات المتكررات وتؤدي بالجموع والجاهير
فكيف يكون شأنهم في الأحكام التي تستند إلى قول أو فعل أو سكوت صدر عن
النبي صلى الله عليه وسلم مرة أو مرات فقط ورواها فرد أو أفراد .

فعلى هذا لا أرى من مانع أن تترك النقول المتخالفة خصوصاً منها المتعلق
بالبعض القليل من الأصول وتجتمع على الرجوع إلى ما فهمه من النصوص أو ما
يتحقق عندنا حسب طاقتنا أنه جرى عليه السلف وبذلك تتحد وجهتنا ويتسنى لنا
الاتفاق على تقرير ما نقرره ويقوى الأمل في قبول الأمة منا ما ندموها إليه .

وإني أسلفكم أيها السادات أنه ينبغي أن لا يهولنا ما يفسط في جمعيتنا من تفاقم
أسباب الضعف والفتور كيلا نياس من روح الله وأن لا نتوهم الإصابة في قول فمن
قال إنما أمة ميتة فلا ترجى حياتنا كما لا إصابة في قول من قال إذا نزل الضعف في
دولة أو أمة لا يرتفع فهذه الرومان واليونان والأمريكان والطيالان واليابان وغيرها
كلها أم أمثالنا استرجعت نشأتها بعد تمام الضعف وفقد كل اللوازم الأدبية للحياة
السياسية بل ليس بيننا ولا سيما عرب الجزيرة منا وبين أعظم الأمم الحية المعاصرة
فرق سوى في العلم والأخلاق العالية على أن مدة حضارة العلم عشرون عاماً فقط ومدة
حضارة الأخلاق أربعون سنة . فعلينا أن نشق بعناية الله الذي لا يبد سواه وبهذا
الدين المبين الذي نشر لواء عزه على العالمين ولم يزل بالنظر لوضعه الإلهي ديناً خفيفاً
متيناً محكماً مكيناً لا يفصله ولا يقاربه دين من الأديان في الحكمة والنظام ورسوخ البنيان
ثم أيقنوا أيها الاخوان أن الأمر ميسور وأن ظواهر الأسباب ودلائل الأقدار
مبشرة بأن الزمان قد استدار ونشأ في الاسلام أنجاء أحرار وحكام أبرار يعز
واحدهم بألف وجمعهم بألف ألف فقوة جمعية منتظمة من هؤلاء النبلاء كافية لأن
تخرق طبل حزب الشيطان وتسترعى سمع الأمة مهما كانت في رقاد عميق وتنبوذهما
إلى النشاط وإن كانت في فتور مستحکم عتيق على أن محض انعقاد جمعيتنا هذه
لمن أعظم تلك المبشرات خصوصاً إذا وفقها الله تعالى بهنائه لتأسيس جمعية قانونية
منتظمة لأن الجمعيات المنتظمة يقسني لها الثبات على مشروعها عمراً طويلاً يلي بما
لا يفي به عمر الواحد الفرد وتأتي بأعمالها كلها بعزائم صادقة لا يفسدها التردد وههنا
هو سر ماورد في الأثر من أن يد الله مع الجماعة وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم
بالعظام وتأتي بالعجائب وهذا هو سر نشأة الأمم الغريبة وهذا سر النجاح في كل
الأعمال المهمة لأن سنة الله في خلقه ان كل أمر كلياً كان أو جزئياً لا يحصل
إلا بقوة وزمان متناسبين مع أهميته وأن كل أمر يحصل بقوة قليلة في زمان طويل
يكون أحكم وأرسخ وأطول عمراً مما إذا حصل بمزيد قوة في زمان قصير وكلنا يعلم
أن مسائلنا أعظم من أن يني بها عمر إنسان ينقطع أو مسلك سلطان لا يطرد أو قوة

عصية حضرية حمقاء تفور سريعاً وتفور سريعاً
وإذا تفكرنا أن مبدأ اعظم الأعداد اثنان فكذلك مبدأ الجمعيات شخصان ثم
تزايد حتى تكمل وتتطلب اشكالا حتى ترسخ فعلى هذا لا يعد أن يتم لنا انعقاد جمعية
منتظمة تنفذ الآمال بناصيتها. ولا ينبغي الاسترسال مع الوهم إلى أن الجمعيات معرضة
في شرقنا لتيار السياسة فلا تعيش طويلا ولا سيما إذا كانت فقيرة ولم تكن كغالب
(الأكاديميات) أى الجامعات العلمية تحت حماية رسمية بل الالىق بالحكمة والحزم
الاقدام والثبات وتوقع الخير إلى أن يتم المطلوب .

هذا وإن شرقنا مشرق العظام والزمان أبو العجائب وما على الله بهزيم ان يتم
لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهورى إذا نادى مؤذنها حتى على الفلاح في رأس
الرجاء يبلغ أقصى الصين صده .

ومن المأمول أن تكون الحكومات الاسلامية راضية بهذه الجمعية حامية لها ولو
بعد حين لأن وظيفتها الأساسية أن تنهض بالأمة من وهدة الجهالة وترقى بها في
معارج المعارف متباعدة عن كل صبغة سياسية وسنعود لبحث الجمعية فيما بعد .
ولنبداً الآن بتشخيص داء الفتور المستولى على الأمة تشخيصاً سياسياً مدقماً
فارجوكم أيها السادات أن يعمل كل منكم فكره الثاقب فيما هو سبب الفتور ليسين رأيه
وما يفتح الله به عليه في اجتماعتنا التي نوالها كل يوم ماعدا يومى الثلاثاء والجمعة من
بعد طلوع الشمس بساعة إلى قبيل الظهر أعنى إلى ما بعد مثل هذا الوقت بساعة
فنفتح كل اجتماع بقراءة ضبط المذكرات التي جرت في الاجتماع السابق ثم نشرع بالمفاوضات
وانى أختتم اجتماعنا اليوم ببرنامج المسائل الاساسية التي تدور عليها جمعيتنا وينبغي
لكل منا ان يفكر فيها ويدرسها وهي عشر مسائل .

(١) موضع الداء (٢) اعراض الداء (٣) جراثيم الداء (٤) ماهو الداء (٥) ماهي
وسائل استعمال الدواء (٦) ماهى الاسلامية (٧) كيف يكون الدين بالاسلامية (٨)
ما هو الشرك الخفى (٩) كيف تقاوم البدع (١٠) تحرير قانون لتأسيس جمعية تعليمية
ولما انتهى خطاب الرئيس واسهت الجلسة قال السيد القرانى . أرى أن يفيد كل منا هذه
المسائل العشر في جانب من ورقة التراجع لاجل التذكرة فقلوا . ثم دعاهم إلى الطعام
فاجابوا وكان حديثهم على المائدة استقصاء أخبار انهم تدب في لعب بول من السعيد الانكليزى .
وبعد ان طعموا عرض عليهم الشاي والقهوة والشراب المثلوج فاختر كل ما ألف وأحب
ثم انصرفوا أزواجاً وفرادى بحسين دعوة خير الدعاة ، اذ كان قد دنا وقت الصلاة .

آثار علمية وأدبية

علم تلامذة العرب وبلاغتهم

جاء في أمالي أبي علي القالي مانصه: حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن هارون الاشناداني عن التوزي عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان لرجل من مقاول حمير ابنان يقال لأحدهما عمرو وللآخر ربيعة وكانا قد برعا في الأدب والعلم فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفى على الفناء دعاهما ليلوا عقولهما ويعرف مبلغ علمهما فلما حضرا قال لعمرو وكان الأكبر: أخبرني عن أحب الرجال إليك، وأكرمهم عليك، قال: السيد الجواد، القليل الأنداد، الساجد الأجداد، الراسي الأوتاد، الرفيع العماد، العظيم الرماد، الكثير الحساد، الباسل الذواد، الصادر الوراد. قال ما تقول يا ربيعة؟ قال ما أحسن ما وصف وغيره أحب إلى منه قال ومن يكون بعد هذا؟ قال: السيد الكريم، المانع للحريم، المفضل الحليم، المقام^(١) الزعيم، الذي إن هم فعل، وإن سئل بذل.

قال أخبرني يا عمرو بأبغض الرجال إليك. قال: البرم اللثيم^(٢)، المستخذي^(٣) الخصيم^(٤)، المبطان النهيم^(٥)، العبي البكيم^(٦)، الذي إن سئل منع، وإن هدد خضع، وإن طلب جشع^(٧). قال ما تقول يا ربيعة؟ قال غيره أبغض إلى منه، قال ومن هو؟ قال: النجوم الكذوب، الفاحش الغضوب، الرغيب عند الطعام^(٨)، الجبان عند الصدام. قال: أخبرني يا عمرو، أي النساء أحب إليك؟ قال الهر كولة اللفاء^(٩)،

(١) المقام من أسماء البحر ويطلق عليه السيد الكريم، ويطلق أيضا على الذئب. أخذنا من فقه فلان ماعلى المائدة كتنقممه واقنمه إذا تتبعه وأتى عليه (٢) البرم بالتجريب ثم العضاء وهو لا ينتفع به فيطلقونه على الرجل لاخير فيه، والبرم أيضا من لا يدخل مع القوم في الميسر وهو جدير بالاستعمال (٣) استخذي — خضع وذل وأقبح بالمستخذي كثير الخصومة (٤) المبطان كبير البطن من كثرة الاكل. والنهم والنهم الشره (٥) العبي العاحز عن الإفصاح بالقول والكيم الا بكيم (٦) الجشع الحرص على الاكل وغيره (٧) في الأساس: رجل رغيب واسع الجوف أ كول (٨) الهر كولة الحسنه للجسم والخلق والمشيء والجارية النضجة الاوراك. والفاء مؤنث الالف وهي الضخمة المستخذي

المكورة الجيداء (٩) ، التي يشفى السقيم كلامها ، ويرى الوصب إمامها (١٠) التي إن أحسنت إليها فكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استهتبتا أعتبت (١١) ، الفاترة الطرف . الطفلة الكف (١٢) ، العميمة الردف ، قال ما تقول ياربيعة ؟ قال نعم فأحسن وغيرها أحب إلى منها قال ومن هي ؟ قال : الفتاة العينية ، الأسيلة الحدين ، السكعب الثديين ، الرдах الوركين (١٣) ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرخيمة السكلام . الجماء المظلم ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام :

قال : فأى النساء أبغض إليك يا عمرو ؟ قال الفتاة (١٤) الكذوب ، الظاهرة العيوب ، الطواقة المهبوب (١٥) ، العابسة القطوب ، السبابة الوثوب ، التي إن اتسمها زوجها خاتمه ، وإن لان لها أهاته ، وإن أرضاها أغضبته ، وإن أطاعها عصته .

قال ما تقول ياربيعة ؟ قال بثس والله المرأة ذكر وغيرها أبغض إلى منها قال : وأيتها التي هي أبغض إليك من هذه ؟ قال : السليطة اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وترته (١٦) وإن ناطقها اتهرته ، قال ربيعة وغيرها أبغض إلى منها . قال ومن هي ؟ قال التي شقى صاحبها ، وخزى خاطبها ، وافترض أقاربها ، قال ومن صاحبها ؟ قال صاحبها مثلها في خصالها كلها ، لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها ، قال فصفه لى : قال الكفور غير الشكور ، اللئيم الفخور ، العبوس الكالح ، الحرون الجامع ، الراضى بالهوان ، المختال المنان ، الضعيف الجنان ، الجعد البنان (١٧) ، القؤول غير المقول ، اللؤلؤ غير الوصول ، الذى لا يرع عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .

قال فأخبرنى يا عمرو أى الخيل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران للتحاليد ! قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفيت العريق (١٨) ، الشديد الوثيق ، الذى يفوت إذا هرب ، ويلحق إذا طلب ، قال نعم الفرس والله نعم فما

(٩) المكورة - المطوية الخاق . والجيداء الطويلة الجيد الحسنه (١٠) الوصب المريض والإمام الزيارة (١١) أى أن استرضيتها أرضت (١٢) الطفلة الناعمة (١٣) الثقلية ما (١٤) النمامة (١٥) يصفها بكثرة الطواف كالريح ويحسن من المرأة أن تعرفى بيتها (١٦) الوتر النار ووتره أصابه بالوتر أو ظلم فيه ووتره عمله أو حقه نقصه إياه (١٧) البخيل المقتبض الكف (١٨) الكفيت السريع والعريق ماله عرق في السكر أو اللؤم

المضد (٢٩) المبان .

قال فأخبرني يا عمرو أي الرماح أحب إليك عند المراس ، إذا اعتكر البأس ، واعتبر الدعاس (٣٠) ، قال أحبها إلى المارن المتقف (٣١) ، المقوم الخطف (٣٢) ، الذي إذا هزرتة لم يخطف ، وإذا طفت به لم يتصف . قال ما تقول ياربيعة؟ قال نعم الرمح ثقت وغيره أحب إلي منه ، قال وما هو ؟ قال الدابل العسال ، المقوم العسال (٣٣) ، الماضي إذا هزرتة ، النافذ إذا هزرتة (٣٤) ، قال فأخبرني يا عمرو عن أبغض الرماح إليك . قال الأعصل (٣٥) عند الطمان ، النظم السنان ، الذي إذا هزرتة انمطف وإذا طفت به انمطف . قال ما تقول ياربيعة؟ قال بش الرمح ذكر وغيره أبغض إلي منه . قال ما هو ؟ قال : الضيف المهرز . اليابس الكز (٣٦) . الذي إذا أكرهته انحطم ، وإذا طفت به انقصم . قال انصرفا الآن طاب لي الموت اه فهل نجد في تلامذتنا أوشيوخنا من لم يعمل هذه المعاني أو يحسن مثل هذا الوصف؟ أتى ولالغة لنا ولا علم الإبلغة حية مرثية فليرجع الهاري إلى ماجاء في نبذة التفسير من الحكم بأننا أجهل الجاهلية الأولى .

الهدايا والتعاريظ

(سلم الارتقاء لمعرفة دروس الأشياء) مجموعة كتب علمية في التاريخ الطبيعي وحفظ الصحة والتدبير المنزلي والأشياء « الطبيعيات » شرع في تأليفها الفاضل محمد الحندي أمين من موظفي الإدارة بنظارة الأشغال العمومية وقد صدر الجزء الأول منها وفيه ٣٦ درساً في مباحث التاريخ الطبيعي العمومية مع شيء من التفصيل في الإنسان . والغرض الأول من هذا الكتاب تسهيل فهم هذه العلوم على تلامذة المدارس فإنهم يعلمونها باللغة الأجنبية في أثناء تعلم اللغة فيعسر عليهم فهمها كما يعسر عليهم فهم الكتب العربية المؤلفة فيها لأنها لم توضع للمبتدئين : وقد تكرم المؤلف الفاضل بإهداء باكورة عمله إلينا ورغب إلينا أن ندله على غلظه ليصلحه في طبعة ثانية

والدليل الكرام (٢٩) الذي يهان بعض الشجر أي قطعه (٣٠) الدعاس الطمان واشتجروا اختلافوا وتشاجروا بالرماح تطاعنوا (٣١) الذين المقوم (٣٢) لا أعرف وصفاً للرمح من حرف خطف ومن معانيه المناسبة استلبه بسرعة (٣٣) السريع والعسال الذين المتحرك (٣٤) دفعته طاعناً (٣٥) الأعوج المتوى (٣٦) اليابس .

ولكن بعض الاصدقاء أخذ الكتاب منا ليطلع عليه ويعيده بعد يوم أو يومين فعرض ما اوجب تأخير إرجاعه زمناً طويلاً ولذلك لم تتمكن من مطالعته ولكننا تصفحنا قليلاً منه فالفينا في غاية السهولة فتمنى ان يقبل عليه مع التلامذة نبهاء المجاورين في الأزهر الذين سألونا عن كتاب في هذا الفن يسهل عليهم فهمه من غير استاذ . وأسلوب كتابة الكتاب أسلوب الجرائد السيارة وفيها من الانتقاد مانوه ان نقاكر المؤلف فيه مشافهة . وفي آخر الكتاب عدة رسوم وثمنه خمسة قروش فقط

(الاحاطة في أخبار غرناطة) تاريخ عظيم لأديب الاندلس الشهير الوزير محمد اسان الدين بن الخطيب عثرت عليه شركة طبع الكتب العربية فاخترت طبعه وقد صدر الجزء الأول منه مطبوعاً طبعاً متقناً . وهو مبتدأ بكلام عام في تلك العاصمة كوضعها وفتحها وزول العرب الشاميين بها وما آل إليه حال سكانها الأولين معهم وحال ما يتصل بها وينسب إلى كورتها ووصف سورها ونحو ذلك وسأثر الكتاب في تراجم من نشأ فيها من رجال السيف والقلم من الرجال والنساء . ولا شك ان كل قارئ بالعربية يتشوق إلى معرفة تاريخ الاندلس التي كانت أكبر نخر للعرب في العلم والمدنية وكل محب للأدب يتلذذ بقراءة كتابه اسان الدين بن الخطيب البليغة وكفى بهذين تشويقاً وترغيباً ولكننا أسفنا لما رأيناه في الكتاب من الغلط والتحريف كأكثر المطبوعات الجديدة وانما نهنا على هذا لأن هذه الشركة أقدر على ضبط كتبها من الأفراد الذين يتجرون بطبع الكتب ولعل عذرهما في هذا الجزء انه لم يوجد منه الا نسخة واحدة وثمنه ١٥ قرشاً وصفحاته ٣٧٥

(الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم) تصنيف العلامة عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي الأندلسي الشهير واسم الكتاب يدل على سمو موضوعه وهو على اختصاره قد جمع من القوائد في بابيه ما لم تجمعه الأسفار الكبيرة ولا شك انه من أرفع الكتب التي ألفها سلفنا . وقد طبعه واعتنى بضبطه وتصحيحه وشرح آياته وتفسير غريبه أخونا الفاضل الشيخ أحمد عمر الحمصاني الأزهرى بمراجعة امام اللغة في هذا العصر الأستاذ الشيخ محمد محمود الشنقيطي الشهير فنحث جميع الذين يعملون على رأينا في اختيار الكتب النافعة على قراءته ثمنه ثلاثة قروش ولو لم أظفر به الا بثلاثة دنائير لبذلنا مرتاحاً وسنعود إلى الاقتباس منه بعد « مرشد مأموري الضبطية القضائية . ضبط الوقائع الجنائية »

لقد أحسن صنعاً الفاضل محمد بك مبري عضو النيابة بمحكمة الزقازيق بتأليف

رسالة سهلة المباشرة في كيفية ضبط الوقائع الجنائية ليستعين بها العمدة ومأمورو الضبطية فيما يهتد إليهم من هذا العمل العظيم الذي يتعلق بحفظ الدماء والاعراض وأكثُر العمد وللأمورين جهلاء بالطرق التي تتبع في ذلك ويصعب عليهم الاستعداد من كتب القوانين فسهل لهم هذا المؤلف ذلك فحسب أن يقبلوا عليه ويحيطوا بما فيه . وهو مطبوع طبعاً حسناً بمطبعة الشعب ويطلب من مكتبة الشعب ومن حضرة مؤلفه (الصور) جريدة أسبوعية سياسية أدبية مصورة بالالوان أنشأها حديثاً أحد الكتاب المشهورين بآثارهم القليلة في المؤلفات العصرية والجرائد اليومية الفاضل خليل أفندي زينية وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً أميرياً في السنة وهي جديرة بالرواج « الرأي العام » جريدة مشهورة في مصر يمتاز صاحبها البارع إسكندر أفندي شلحوب بأسلوب في كتابة الجرائد يجذب القارئ إلى المطالعة فإذا أخذ جريدته قرأها كلها بلغة وإن كان ممن لا يقرأون من الجرائد إلا ما يحبون موضوعه . وقد كانت احتجبت ثم أسفرت فحسب أن تظل مسفرة دائماً

باب الاخبار والقرآن

﴿ حرية الجرائد والشعور العام بالفضيلة في مصر ﴾

أكبر النعم التي منحتها مصر في عهد الاحتلال الأمن العام وحرية المطبوعات . ومن العجائب أن المنتعنين بهذه الحرية يشكون في هذه الأيام منها ويطلب بعضهم أن تعيد الحكومة هذه الحرية للطلقة كمن يطلب احتكار الهواء الذي يحيا به الناس ليعطوا منه قدر ما يراه المحتكر لازماً لحياتهم . هذا ما يظهر بادي الرأي من الذين يردون على طالبي التقييد على أنه لم يطلب أحد ونحن نذكر الحقيقة مع بيان السبب . كثرت الجرائد الأسبوعية في مصر وأكثر أهلها ليسوا من أهل الصحافة فلا استعداد عندهم لجعلها حاجة من حاجات البلاد ولذلك أشبعوا لهم طريقاً جديداً وهو التنديد أو التعريض بمنساوي الأشخاص وقد وجدوا في هذا الطريق لما جا وعوارض يرضون بها قومهم فمن الناس من يشتدي عرضه منهم بقليل من المال أو الفروض ومنهم من يفرهم بنم عدوله بأجر معلوم وقد أطمعهم معاملة هؤلاء السفهاء بالعطاء والفضلاء فلم يسلم منهم صنف من الاصناف وقد أكثروا في هاتين البنتين من الخوض « بالمعنى السئية . . . » والارجاف بأعمالها

هذا كله - والرأى العام ساكت عنهم فما الذى اقام عليهم القيامة فى هذه الأيام، وافاض التبرم والشكوى على جميع اللسان والاقلام؟ الجواب عن هذا السؤال يعرفه كل من يقرأ الجرائد المصرية وإنما نذكره صريحاً لانه من البشرات بدخولنا فى الحياة الاجتماعية بعد ان كانت حياتنا فردية آحادية وليكون مسجلاً فى تاريخ مصر الأدبى وهو : ان جريدة (حمارة مندى) الهزلية التى تكتب غالباً باللغة العامية المصرية قد طعنت من عهد قريب بفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فهاج الرأى العام فى مصر للطعن بهذا الامام العظيم وذهب الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر بنفسه إلى محكمة مصر الكبرى وطلب من رئيس النيابة فيها محاكمة صاحب جريدة الحمار بعد أن طلب مقابلة النائب العمومى فقبل له انه مسافر وتقدمت المحاضر العمومية من العلماء وطلاب الأزهر ومن الاهالى فى القاهرة ومن بعض البلاد فى خارجها يطلبون محاكمته وانطلقت أقلام الكتاب والشعراء فى ذم صاحب الحمارة واجمعت الجرائد على ذمه وانبرى بعض الكتاب لإحصاء عيوب جريدته منذ أنشئت وذكروا منها اهانة القرآن وافساد الآداب وافساد اللغة والطعن بالسلطان والامير وغير ذلك . وقد قال بعض الأدباء ان بعض هذه الذنوب أكبر عقوبة من الطعن بمفتى الديار المصرية فلماذا سكنت الناس عنها إلى الآن؟ وقد ذكر صاحب الحمارة نفسه هذا المعنى فى مقدمة العدد الأول من السنة الخامسة ونصه : « قل لى بحقك ما الذى جناه صاحب الحمارة اليوم حتى قامت عليه هذه القيامة وماهى بالله تلك الخطيئة التى ارتكبها واستحق عليها اللام ، وانجهت إليه أسنة الاقلام . وانصبت عليه كل هذه السهام ؟ فلم يبق فى أرض مصر جريدة ولا مجلة ولا قصيدة الا وقد حملت عليه ، بعد أن كانت فى العادة تحمل منه لا عليه ، ولا يبق شاعر ، ولا كاتب واعر ، الا وحرك فى ذكره شفتيه ، كأنهم يريدون ابتلاعه بكل مالهيه » الخ هذا هو السبب فى تألم الرأى العام من اطلاق المطبوعات ، وما من شئ فى هذا الوجود إلا وله سيئات وحسنات ، وهو دليل على ان الأمة المصرية قد دب فيها الشعور بشؤون الحياة الاجتماعية وصار الرأى العام يعرف لذى الفضل فضله ولذمها طلب بعض أعضاء الجمعية العمومية الرغبة إلى الحكومة بالاتفاق مع وكلاء الدول لوضع قانون عام عادل لفوضوية المطبوعات ليأمن كل إنسان على عرضه واستحسن رأيه هذا بعض أصحاب الصحف الكبيرة وعده الآخرون وسيلة لتقييد حرية الصحافة والمطبوعات فانكروه ولا يزالون يتناقشون فيه وهم متفقون على ان حرية الطباعة والصحافة حسناتها أكثر من سيئاتها بأضعاف مضاعفة . وإذا رجعنا إلى مثلنا الأول نقول ان هذه الحرية كالهواء

الذي هو شرط للحياة فإذا مر في بعض الأيام على جيفة حمل إلينا ربحها أو هب شديداً فأثار الغبار في وجوهنا فلا شك أننا نبادر إلى ذمه والشكوى منه ولكننا لا نطلب انقطاعه وإنما نطلب منع الجيف من طريقه وإزالة الغبار برش الأرض بالماء فلا خلاف إذن بين الناس في وجوب بقاء هذه الحرية

أما إزالة هذه الجيف فأمثل طرقها تصدى النيابة العمومية لها كمة أصحابها فيجب عليها أن تحاكم كل من ينتهك حرمت الآداب وينال من أعراض الناس وإن لم يطلب ذلك ممن يطعن فيه فإن لم تقم النيابة بهذه الخدمة الأمة فيجب على الناس أن يحاكموا من يطعن فيهم إلا عثرة الكريم فانها تقال شراً وأدباً . والامتناع عن محاكمتهم توهم أن ذلك يهلى شأنهم أو يخفض شأن من يحاكمهم خطأ كبير فإن الحدود والعقوبات لم تسن في الشرائع الإلهية ولم توضع في القوانين البشرية إلا لهؤلاء المعتدين «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون »

وأما صاحب الحمار فقد حاكمته النيابة العمومية فحكم عليه بالسجن مدة ثلاثة أشهر وبالنفقات ولم يدخل المفق في الدعوى مطلقاً ولا طلب حقاً مدنياً . وكان في الجرائد التي حملت على صاحب الحمار جريدة طلبت من المفتي العموم عنه ولو كان هو الذي طلب ذلك تائباً لأجيب طلبه قطعاً فإن الأستاذ سليم القلب واسع الحلم لا يجب أن ينتقم لنفسه على أن ما كتبه الحمار كان أكبر خدمة له لأنه أظهر له مكانة عالية في نفوس خواص الأمة وعوامها لا يدانيه فيها أحد مع العلم القطعي لسكل أحد بأنه بريء من سبب نفاق الحمار براءة عائشة من إفك المنافقين وصاحب الحمار نفسه يعتقد ذلك أيضاً لأن هذيانه لم يكن مبنياً إلا على الاستنباط من صورة اختراعها بعض المفسدين أما العبرة التي تقصدها من إيراد هذه المسألة فهي إزالة شبهة علفت في أفهام أكثر الناس فكانت أضرب اعتقاد تقلدوه وهي أن من يشتغل بالعلوم الحقيقية ويتخلق بالأخلاق الفاضلة والسجايا السكاملة كالصدق والمروءة وعلو الهمة وبذل المعروف والسمي في خير الناس ومنفعتهم لا ينجح في عمله ولا يعرف له أحد فضله ويسدلون بأمثال يضر بونها قد اشتهر عليهم حقها بباطلها وهذا المثل الحق الذي يدحضها وهو أن الشيخ محمد عبده سلك هذه الطريقة فخل من نفوس الأمة محلاً علياً ونال فيها اسماً سميماً مازاحمه فيه عالم ولا أمير ، ولا شاركه فيه غنى ولا وزير ، والعاقبة كما قال الله تعالى للمتقين



فمن غداي الدين يستمعون القول
فقدون أحت أولئك الذين هدامهم
الله وأولئك هم أولو الآلاب

الْحَجَّاءُ
١٣١٥

سبحان الله
عز وجل
الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا
هدى الله لنا
والله أعلم

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى نو « مناراً » كمنار الطريق)

(مصرف في يوم الجمعة ١٦ محرم الحرام سنة ١٣٢٠ — ٢٥ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٢)

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٣ — عصمة الأنبياء عليهم السلام)

(المسئلة ٨٦) الدليل القاطن على عصمة الأنبياء يؤخذ الدليل على عصمة الأنبياء من وجه الحاجة اليهم في الكمال الانساني ومن وظائفهم المنطبقة على وجه الحاجة اليهم وقد تقدم الكلام في ذلك ومنه ان الوظائف خمس وهي نوعان - نوع في بيان الاعتقادات التي ترقى العقل وتفتحه من رق العبودية لمظاهر الطبيعة التي خلق مستعداً لتسخيرها والتصرف فيها فجنت عليه الوثنية فسخرته لمباداة كل مظهر منها لا يعرف علته ولا يحيط بحكمته ونوع في تهذيب النفس وتزكيتها بالاخلاق الفاضلة والاعمال النافعة . ولا يرقى النوع الانساني الا بجمع ما يندرج في هذين النوعين من التكاليف وبارئياته يكون خليفة الله تعالى في الارض وتلك غاية سمادته في هذه الحياة الدنيا التي تستتبع سمادته في الحياة الآخرة الباقية التي جعلت هذه الحياة مزرعة لها كما ورد

وبدهي ان العمدة في بيان النوع الأول صدق الخبر بحيث لا يحوم حواه الشك والريب والعمدة في الثاني صدق الخبر كذلك مع حسن الاسوة وصحة القدوة بالخبر لانه تربية وانما التربية بالقدوة والتعليم بالقولي مساعد للتأسي وأثره دون أثره . ولا تحصل الثقة القطعية بصدق الخبر الا اذا كان المخبر ممدوماً من الكذب والخطأ في التبليغ ولا تتم القدوة وتحسن الاسوة الا اذا كان الامام المقتدى به بريئاً من النقائص منتهياً عما ينهى عنه مؤمراً بما يأمر به متخلقاً بما يرغب في التخلق به . اذا لا تتم

حكمة الله تعالى في إرسال الرسل إلا إذا كانوا بحيث ذكرنا من الصدق والنزاهة. والحكمة واجبة لله تعالى فوجب أن يكون الأنبياء المبلغون عنه سبحانه صادقين معصومين « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ولا يلزم من هذا إيجاب شيء على الله تعالى فيكون حجة للمعتزلة وإنما هو إيجاب الحكمة له كإيجاب العلم والقدرة

(م ٨٧) الدلائل النبوية على عصمتهم إن الله تعالى ما أرسل المرسلين إلا ليتَّبِعُوا وَيُتَّقُوا بهم وقد أمر باتباعهم كقوله في خاتمهم عليه السلام « فامِنُوا بالله ورسوله الذي يؤمن بالله وكلماته واتَّبِعُوا لِمَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ » فلو كانوا يخالفون ما يحيثون به من الهدى لكان الله تعالى آمراً بالشيء ناهياً عنه في آن واحد وهو محال على الله تعالى . ولو فعلوا الفاحشة لكان الله آمراً بها من حيث أمر باتباعهم أمر تشريع وأمر بالتأسي بالمعظماء أمر تكوين بأن أودع ذلك في فطرة الإنسان وقد قال تعالى « إن الله لا يأمر بالفحشاء » على أن الطاعة هي ما أمر الله تعالى به فلو فرض أن المرسلين يرتكبون المعاصي لكان معنى ذلك أن الطاعات هي من المعاصي كما قال السنوسي في الكبرى وذلك تناقض لا يتحمل به عاقل . وهذا الاستدلال لا يصح على أصول أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويجب أن يكون أصلاً يرجع إليه جميع ما ورد في الوحي مما يظهر أنه يخالفه والا كان الوحي غير منطبق على الأدلة التي ثبت هو بها فيكون ناقضاً لنفسه

(م ٨٨) النسبة على العصمة يقولون ورد في القرآن أثبات الذنوب للأنبياء والمرسلين إجمالاً وتفصيلاً . أما الإجمال فكقوله تعالى « لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ » وقوله « واستغفر لذنوبك » وقوله

عن وجل « فسيح بحمد ربك واستغفره » وأما التفصيل فكقوله « وعصى آدم ربه فغوى » وكقصة داود وسليمان عليهما السلام وكقصة اخوة يوسف ونحن نجيب عن ذلك بالتفصيل :

(٨٩) مغفرة الذنوب علمنا مما تقدم ان معنى عصمة الانبياء في النوع الثاني (المعالي) هو نزاهتهم وبمدهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي يمشوا الزكية الناس منها لئلا يكونوا قدوة سيئة مفسدين للأخلاق والآداب وحيمة لاسفها على انتهاك حرمان الشرائع وليس معناها أنهم آلهة منزهون عن جميع ما يقتضيه الضعف البشري من التقصير في القيام بحقوق الله تعالى على الوجه الأكمل ومن الخطأ في الاجتهاد ببعض المصالح والمنافع بؤدء المضار ؛ كلا ان الانسان خلق ضعيفا وما أوتي من العلم الا قليلا ولا يمكن أن يحيط بوجوده المصالح والمنافع ودرء المضار والمفاسد الا بهن هو بكل شيء عليم ومن ليس له هذه الإحاطة قد يخطئ في اجتهاده فيعمل العمل وهو يعتقد انه الصواب والخير فيجئ بخلاف ذلك ومثل هذا يسمى ذنبا من الكامل والمقرب لان الانسان مستمد لأدراك الصواب في تلك الحالة الى أخيراً فيها فاذا وقع عن انبياء يعاتبهم الله تعالى عليه ويستغفرهم ويأمرهم بتبليغ ذلك لأمتهم ليعرفوا انشقاق بين الرب والعبد فلا يصح بهم القول بتنظيم أنبيائهم والا عجايب بفضائلهم ونزاهتهم الى عبادتهم مع الله تعالى ومن أمثلة ذلك اجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في استمالة رؤساء قومه وأغنيائهم الى الإيمان الذي أدام الى الإعراض عن ابن أم مكتوم لما جاءه يسأله أن يعلمه مما علمه الله وكان يدعو صناديد قريش فانه كره أن يشتغل به عنهم لئلا ينفرهم ولا يخفى ان أولئك النفر من كبارهم هم الذين كانوا

يحاذرون النبي ويناصبونه ولو آمنوا أولاً لتبهمهم سائر قريش فهذا هو وجه
اجتهاده صلى الله عليه وسلم في العناية بهم والاعراض عن الأعمى اذ جاء
يشغله عنهم ، فعاتبه الله تعالى على ذلك وردعه عنه بالقول الشديد كقوله
« وما يدريك لعله يزكى » فلتتل الآيات في أول سورة (عبس) وذلك
ان سنة الله تعالى مضت في أن الأديان تقوم بالدعوة والاقتناع والرؤساء
والمترفون أبعد الناس عن معرفة الحق وعن الخضوع له اذا عرفوه وقد
جاء في هذا المعنى آيات

ومن الامثلة أيضاً عتابه في . مسألة زيدوزينب (فلتراجع في ص ٦٣٠
و ٧١٩ من المجلد الثالث) . ومنها إذنه صلى الله تعالى عليه وسلم للذين
استأذنوه في التخلف يوم الخروج الى تبوك وقد عاتبه الله تعالى على ذلك
الطاف عتاب بقوله « عفا الله عنك ايم اذنت لهم » الآية . فكان الأولى
ان لا يأذن ليعلم الكاذب المنافق ، من المؤمن الصادق ، ومنها مسألة
أخذ الفداء من أسرى بدر وجهده صلى الله عليه وسلم وشاور فاختلف
أصحابه فوافق رأيه رأي نبي بكر بأخذ الفداء فعاتبه الله تعالى عتاباً شديداً
حتى يكي ويكي أبو بكر وذلك قوله تعالى : « ما كان لنبينا أن يكرز أنه
أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله
عزير حكيم » . أولاً كتاب من الله سبق لمسككم فيما أخذتم من ذاب
عظيم ، قال البيضاوي في تفسيره : والآية دليل على أن الانبياء مجتهدون
وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرؤون عليه .

فهذه هي ذنوب الانبياء وهم يستغفرون منها وهي منقورة لهم
بفضل الله تعالى لانهم لم يريدوا الا الخير والنفع وليس فيها قدرة سيئة

وإنما فيها فائدة معرفة الناس ان النبي وان جلت قدره وعلت نفسه فهو بشر مثلم ميزه الله تعالى بالوحي وجملة إماماً في الخير وأنه على هذه الخصوصية يعاتب وينسب اليه الذنب والتقصير ويمنحه الله المغفرة دلالة على أن له ان يقدر له وله أن يماقيه « قل فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً » وعلى أن توقع نزول المتوبة بأصحاب المعاصي التي تنهك فيها الشرائع ويخالف الدين عمداً وهو ما لا يقع من الانبياء أقرب وانهم أول بالحوف من وأجدر بالتوبة . وأن الكمال المطلق لله تعالى وحده فلا رب غيره ولا معبود سواه

﴿ باب الاستدلال بالجواب ﴾

(س ١) من الشيخ مقبل عبد الرحمن الذكير في البحرين : ما قول منار الاسلام وهداة الانام سادتنا العلماء الاعلام في الاوراق المسماة بالأوراق التي وضمها بمض الدول للتمامل عوضاً عن بعض المسكوكات النضية كالأرويات مثلاً والنزمت تلك الدولة التوقيع عليها بالأثمان المتشعبة من هل تجري مجرى العروض كما هو واقع من كثير من التجار يتماطون بها بيعاً وشراءً رواجاً وبخساً أو تجري مجرى الدين ؟ فإن قلتم بالثاني فهل تقولون به من كل وجه وفي كل باب أو من بعض الوجوه وفي بعض الأبواب ؟ فإن قلتم بالأول فيقتضي أن لا يجوز صرف تلك الاوراق بباقي أية سكة من السكك النضية إلا وزناً بوزن يدبلاً وهو في الظاهر بعيد كما ان ذلك يقتضي أن لا يجوز الزيادة على الثمن الذي قدرت به بشيء مما الى غير ذلك

مما يتعلق بهذه المسئلة ويتفرع عنها في باب الزكاة وباب الصرف وباب الدين والحوالة والبيع نقداً ونسيئة وما تقولون في الحديث الوارد اذ اختلف الجنس فبيعوا كيف شئتم وبالضرورة ان الورق المذكور بل وجنس الورق كيف كان ليس هو من جنس أحد النقود الذهبية والفضية والنحاسية لالفة وهي معتبرة هنا في الشرع ولا عقلاً وشرعاً ولا عرفاً عاماً والمأول ان يكون التقرير في غاية الوضوح والبيان والمثانة على منهج القواعد الشرعية والادلة المرعية والطرق الاصولية بالسيرة المرضية لان المسئلة بعموم البلوى والضرورة العامة صار لها في البحث أهمية ولكم الأجر والثواب من الملك الوهاب

(ج) الورق ليس مالا ربوياً في عرف فقهاؤنا ولذلك أفتى بعض علماء الشافعية بأن هذه الأوراق المالية المسماة بالأنواط (مفرد نوط) لا يجري فيها الربا ويفتي غيرهم من علماء المذاهب بذلك لان الربا مخصوص بالنقدين والأقوات عند الشافعية ومن وافقهم . والملة عند الحنفية الكيل مع الجنس أو الوزن . فكل مكيل أو موزون اذا بيع بجنسه متفاضلاً فهو ربا محرم ولكن هذا لا يأتي في هذه الأنواط وإن ورقتين منها يتساويان في الوزن وقيمة احدهما مائة روبية والأخرى الف روبية مثلاً . فلا بد من النظر في مقاصد الشريعة وحكمها وجعلها مدار مرفقة الاحكام وإننا نأخذ بكلام الفقهاء ما لم يخل بهذه المقاصد فإذا اخل بشيء منها كمنع الزكاة أو إباحة الربا الضار الذي حرّمه الله تعالى رحمة بالناس فإننا لا نقبله إذ لا يصح أن يكون الاجتهاد مبطلاً للنص بل لا يصح مع النص والمبرة بالمقاصد بالمعاني لا بالالفاظ والمباني . ولا يخفى على أحد ان هذه الأوراق

المالية لاقية لها من حيث هي وزف وإنما هي سند بمبلغ من النقود
فقيمتها بحسب الرقم الذي يمين المبلغ . ولا يضر المتدين الأخذ بقول أي
فقيه ما لم يمنع الزكاة أو يستتبع الربا

فاما الزكاة فلا تضيع اذا اعتبرنا هذه الأنواع من عروض التجارة
لأنها تقوم في كل حول بقيمتها وتؤدي زكاتها . وأما الربا فالذي أجمع
المسلمون على تحريمه منه هو ربا النسئة والجاهير من الأئمة الأربعة
وغيرهم على تحريم ربا الفضل أي الزيادة في أحد الموضين مع التقابض
فيما هو ربوي كالنقود والتمر والحنطة ونحوها وفيه خلاف
بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين كابن عمر وابن عباس
وأسماء بن زيد وابن الزبير وزيد بن أرقم وكسميد بن المسيب وعروة بن
الزبير من التابعين واستدلوا بما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث
أسماء « إنما الربا في النسئة » في رواية مسلم عن ابن عباس « لا ربا فيما
كان يداً بيد » ومثل ذلك الأحاديث الصحيحة في جواز الصرف
يداً بيد . والعلة أو الحكمة في منع الربا لا محل لتفصيلها في هذا الجواب
وإنما نقول بالاجمال إن من أكل شيئاً من مال أخيه بنير مقابل من عين
أو عمل فقد أكله بالباطل وإن أخذ زيادة عما يملئ الإنسان لآخيه بمجرد
التأخير في الوفاء من دواعي قسوة القلوب ومحو عاطفة التراحم وقطع طريق
الصنعة وعمل المعروف فلا يليق بالدين أن يبيعه ومن بليغ الكلام ما قاله
الاستاذ الامام ، وهو ان الربا عبارة عن استغلالك حاجة أخيك . وإن
مشروعية التعامل بالنقود خاصة تفضي الى الجناية على التجارة — وسنفصل
القول في الربا ومضاره في فرصة أخرى

أما حقيقة الربا فليس بمسألة بيان الله تعالى فيها بيان قال تعالى « ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا » فعملنا ان الربا قسم البيع ومقابلته فالجامع بينهما المماوضة والفارق هو ان أحد الموضين في البيع وهو الثمن يقابل جميع الموض الآخر وهو الثمن بخلاف الربا فان أحد المتماوضين فيه يأخذ جزءاً من مال الآخر بدون عوض ولا مقابل وهذه التفرقة معتبرة في التسمية الى الآن فالربا لا يسمى بيعاً ولكن من البيع ما تدخله شبهة الربا بحسب ما توسع فيه الفقهاء من أحكامه وجزئياته ولكن من فهم حكمة الشارع المبنية على درء المفسدة وجاب المنفعة للمجموع الأمة بقدر أن يميز بتفقه في الدين بين المماوضة المقصود بها البيع ونفع أخيه بمثل ما ينتفع به منه بالمرئوف وبين انتظار الفرص لضرورته واستغلال حاجته وأكل ماله بالباطل

وأني أنصح للأخ السائل وغيره من تجار المسلمين الذين يهمهم أمر الدين أن يلاحظوا هذا الفقه الحقيقي ويحملوه الاصل في معاملتهم لأنه هو روح الدين وسرّه الذي يتعلق بإصلاح القلب وتزكية النفس فاذا افتأهم علماء الشرع يفتون في شيء من الزكاة بحجة من المال أو أكل أموال الناس بالباطل أو تجمل البيع بالاحتياط لا أنفسهم فان الله تعالى ما لم يدنا بطواهر الألقاظ ومدلولات كلم الناس وما يضمنون من الأقيسة والقواعد التي لا تصلح بها القلوب . وقد قال عليه السلام لو ابصرت نفسك البر ما اطمأن اليه القلب واطمأنت اليه النفس والإيم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك » رواه أحمد والبخاري في التاريخ وغيرهما . ومن فقه ما ذكرنا لا يحار سواء عليه أعد تلك الأنواط

عروضاً ثم عدّها نقوداً والذي يتيل إليه القاب هو اعتبارها نقوداً
واما الحديث الذي ذكره فهو جزء من حديث صحيح أخرجه أحمد
وابن أبي شيبة في مسنديهما ومسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في
سننهما عن عبادة بن الصامت ولفظه : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة
والبر بالبر والشير بالشير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً مثل سواء بسواء
يداً بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم ان كان يداً بيد »
وههنا موم انه اذا اختلف الصنف بطل الربا ولا معنى لبيع شيء بمثله من صنفه
الا اذا كان منه جيد وردي وفي هذه الحالة أجاز النبي صلى الله عليه وسلم
المعاوضة بالتفاضل بشرط أن يكون بيعاً يقدر بالثمن كما في حديث البخاري
وغيره وليس هذا من الحيلة التي تضيع بها حكمة التشريع وانما هي بيد
لدرية الربا وبيان لقاعدة نافعة وهي ان الربا ينفي بقصد البيع فكل ما يتحقق
فيه معنى البيع فليس من الربا في شيء . هذا ما يتسع له المجال الآن وسنعود
الى الموضوع ونطلب من العلماء الكرام بيان رأيهم لنشره والله الموفق للصواب
(س ٢) السيد احمد منصور الباز بنى صالح : يمتري بعض الناس حال
نسبها العامة (جذبا) فيغيب عن وجوده حتى يصير كالمجنون لا يدري
ما يقول ويفعل ويظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة تعتقد المامة بل والعلماء
وكتب الصوفية طائفة بأخبارهم وأخبار القطب والانجذاب والاداء والابدال
ويسمون مجموع هؤلاء الدائرة القطبية ورئيسها القطب الملقب بالفوت
ويقال انه يتلقى الأوامر الالهية وتفيض منه الى الدائرة القطبية بترتيب
معروف عندهم فما رأيكم فيهم ؟ نرجو الافادة بالنار ليظهر الحق للناس كافة .
(ج) أما الحال التي يسونها جذبا فهي فن من فنون الجنون وانما

يسمى صاحبها مجذوباً أو بهلولاً إذا كان سبب الحال هو الإفراط في الرياضة
 والمجاهدة النفسية والانقطاع للذكر والعبادة إكراماً لمن كان كذلك أن
 يساوى بسائر المجانين والاعتقاد بهؤلاء البهائيل قديم العهد عندنا وسببه
 أن منهم من كان يظهر على لسانه بعض الحكم لأن من يذهب عقله لا يعدم
 كل ما كان أدركه وعلمه وإنما يعدم النظام بين الأفكار والمعلومات ومنهم
 من ظهر على يديه بعض الفرائب أو أسنده اليهم بعض المغرورين الذين
 يضيفون الأشياء الغريبة إلى ما يقرنها من الحوادث وإن لم يكن علة لها
 كأن يؤذي إنسان آخر فيصاب عقيب ذلك بمصيبة تقع بوقوع سببها
 وأما القطب وسائر الموظفين الروحانيين في دائرة تصرفه الذين يسمونهم
 رجال الغيب كالأمامين والأوتاد والأبدال فلم يرد فيه شيء صحيح في السنة
 إلا ما روه في الأبدال وهي روايات ضعيفة مضطربة في بعضها يحدون ثلاثين
 وبعضها أربعين الخ ومن عجيب تحملهم في الاستدلال على القطب ما نقله ابن
 حجر عن بعض المحدثين من حمله خبر أبي نعيم في الحلية على القطب وهو: «أن الله
 في كل بدعة كيدبها الإسلام وأهله ولياً صالحاً يذب عنه» الخ وأعجب من
 هذا أن المسلمين في الغالب لا يخفون بمن يدافع عن البدع بأنفسهم ولا
 يسمونه وائياً ولا قطباً بل ربما عادوه ولكن يسهل عليهم أن يقولوا إن الذي
 يدافع عن البدع رجل خفي من رجال الغيب يدافع في الغيب عن الإسلام
 فلا يعرف ولا تعرف مدافعتة والحاصل أن الشرع لا يطالب أحداً بتصديق
 ما لم يقم عليه دليل ولا يكلفه بالإيمان بهؤلاء الرجال المجهولين بل يحرم عليه
 أن يقول ما لا يعلم وهذا لا يمنع أن تصطحب طائفة الصوفية على القاب
 تطلقها على أهل الخصوصيات وليس لهم أن يفضوا بذلك إلى من لا يعرف

تلك الخصوصية إلا يكافوه بالقول بغير علم ولا بحث ذبول سنقضايا تفصيلا
(س ٣) محمد افندي «أمون كرشه بسنديون (غربية): هل حكم
الحاكم يرفع الخلاف أم لا ومن هو هذا الحاكم فان كان رافعا فهل يبقى
كذلك بعد موته؟ فانه اذا لم يبق يلزم أن لا يعمل بحكم قاضي مصر
السابق الا اذا أجازاه من يخلفه

(ج) حكم الحاكم الشرعي الذي رأيت شروطه في الجزء الماضي
يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية فيجب تنفيذه ولو عزل أو مات .
ونعني بالمسائل الاجتهادية ما لا يخالف الكتاب والسنة والإجماع . قال
في الجامع الصغير « وما اختلف فيه الفقهاء ففرض به القاضي ثم جاء قاض
آخر يرى غير ذلك أمضاه » وعلمه الكمال في التفتيح بأن اجتهاد الثاني كاجتهاد
الأول ويرجع هذا باتصال القضاء به فلا ينقض بما دونه .

(س ٤) ومنه : هل يصح ما يقول الوعاظ وعصاة الزار من ان
الجنّ مسيطرون على الانسان وهل الزار على هذا منكر يجب النهي عنه
شرعا أم لا ؟ وان أجبت بالسلب فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « اتخذوا
الحمام بالانعام فاتها تلهمي الجن عن صبيانكم » ومعنى ما ورد في الآثار ان الجن
يمر في جسم الانسان مجرى الدم في الشرايين

(ج) لفظ الجن يطلق على المخلوقات الخفية ويقال ان منها ما هو
مادي وما هو روحاني وأجدر بهذه الاحياء التي يسمونها الميكروبات ان
تكون من المادي وهي سبب الامراض والأوبئة كالطاعون والهيضة وغيرها
يحمل ما ورد من ان الطاعون من وخز الجن فهي مسلطة على الانسان
وهو مسلط عليها بالعلم الصحيح وإن كان لما يقدر على كثير منها بعد تمكنها

في الجسم . وأما الروحانية فلا سلطة لها على الاجساد وانما هي . نشأ
الوساوس والخواطر القبيحة الضارة فمن العلماء من يقول انها القوى المعنوية
الباعثة على الشر والاكترون على انها عالم مستقل من جنس عالم الروح
يلاين افراد النفوس المستعدة للشر بسوء التربية فيقوي فيها الرغبة فيه .
وعليه يحمل حديث الصحيحين وغيرهما « ان الشيطان يجري من ابن آدم
مجرى الدم فضية واجاريه بالجوع »

وهو كناية عن تمكنه من الوسوسة . وأما الزارفه ومنكر قبيح يجب
ابطاله بالفعل فان لم يستطع فبالقول وأما حديث اتخاذ الحمام المقاصيص فقير صحيح
ويطابق لفظ الشياطين والجن على الاشرار من الناس وعلى الحيات
والثعابين وعلى الاول يحمل الحديث لو ثبت وكذا غيره مما ورد في النهي عن
خروج الصبيان في الليل لانه وقت انتشار الشياطين . واننا نرى شياطين
الازبكية وجنها ينتشرون اذا جنّ الليل ونحث من يهمهم تربية أولادهم على
منعهم من الخروج لئلا يفسدهم هؤلاء الشياطين .

(س هـ) ومنه : هل التسبيح في قوله تعالى « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ
بِحَمْدِهِ » بلسان المقال أم بلسان الحال أم المقصود انه سبب في تسبيح الرائي
(ج) المتبادر الذي اختاره المفسرون ان التسبيح من غير المقلاء
هو بلسان الحال أي ان إمكان الاشياء وحدوثها يدلان على تنزيه واجب
الوجود . وذهب بعض الى انه بلسان المقال لقوله « ولكن لا تفقهون
تسبيحهم » وأجابوا عنه بأن الخطاب للشركين لا للناس أجمعين . أي
لا تفقهون هذه الدلالة لاهمالكم النظر الصحيح والاستدلال العقلي

القسم المصمومي

﴿القرآن والكتب المنزلة﴾

المقالة الثالثة للقس اسحاق طيلر نشرت في جريدة سنت جيمس في ١٣ مايس سنة ١٨٨٨

ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح وصدقوا ببعثته وهو عندهم ممدود في
اولى العزم من رسل الله الى خلقه فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم
نُحَدِّث ونسأل الله أن يهديهم وإيانا الى الحق وطريق مستقيم ولا منافاة
عندهم بين الاعتقاد بالقرآن وانه كلام الله وتنزيل من عنده وبين الاعتقاد
بسائر الكتب السماوية وانها بوحى من الله والهام بل يعرف من صريح
كلام المسلمين ان اعتقادهم بالكتب السماوية انما ساقه الى قلوبهم الاعتقاد
بالقرآن فهم في اعتقادهم بها يمثلون أمراً من أوامره ويمجبون داعياً من
دواعيه وليس في المسلمين من يدعي ان القرآن يكذب شيئاً من الكتب
الالهية ولا في امكان مسلم أن يدعي ذلك لما يشهد به القرآن من انه مبين
على ما بين يديه من الكتب يقص على بنى اسرائيل أكثر الذي هم
فيه يختلفون مصداق لما معهم من الحق ولكنهم يقولون ان القرآن خاتمة الكتب
كما ان من أنزل عليه (صلى الله عليه وسلم) خاتمة الانبياء ولا تجد مسلماً الا
يؤمن بالتوراة والانجيل والزبور والقرآن فكل صحيفة من الكتب
الالهية ثبت مجيئها على لسان نبي صادق فهي عندهم كلام الله المنزه عن
الخطأ والزلل وما صح نقله عن عيسى عليه السلام فهو حق واجب التصديق
وكثيراً ما ينقلون عن نبيهم صلى الله عليه وسلم فيما يعرف بالاحاديث شيئاً

من أقوال المسيح ونصائحه وأحواله ويتلقونها بالقبول غير ان المعروف عندنا ان الانجيل المشهورة لم تكتب في عهد المسيح عليه السلام كما كتب القرآن وغيره في حياة من أنزل عليهم فلا لوم على المسلم اذا طلب التثبت وتحقيق السند لصحة النقل كما يكون منه ذلك فيما ينقل عن نبيه (صلى الله عليه وسلم) من الاحاديث لان عروض الشبهة في نقل من تحقق عصمته أمر طبيعي عند عموم البشر

قال لي أحد المسلمين ان القرآن يشهد بان الله آتى عيسى عليه السلام الانجيل وجعل في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة وما زمره من الكتب الآلهية تقبله ولا ننكر شيئاً منه وان كنا قد نختلف معكم على تفسيره وتأويله كما اختلف الاحزاب من بينكم وعندنا ان كتابنا ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بشر بهما أنبياءكم من قبل كما تقولون في المسيح عليه السلام وكما لم يهدح إنكار اليهود لعيسى في اصطفاؤه الله له كذلك لا يهدح إنكار من أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في ثبوت رسالته . ولقد أرشدني الاطلاع على مذاهب المسلمين في التعليم الى انهم لا يابون عن تسليم أدلة التيسيس التي ذكرها في كتابه المسمى بـ"براهين دين المسيح" غير انهم يتخذون منها حججاً قوية على ان دينهم الحق . مثلاً يمدون من بيانات دينهم ودلائل انه الحق سرعة انتشاره واستقبال القلوب وجهته على نحو غريب عزيز المثال ثم اشراق نور الاخلاص من عقائد الذين اتبعوه كما يرشد اليه أدنى الفكر في أحوالهم من ثباتهم معه في ساعات العسرة ومعابرهم في الشدائد وازدياد ايمانهم في الضراء واستقامة سيرهم في السراء . ومنها ما هو المقول من الحكم الدقيقة التي برعت بها أحكام القرآن وانطباقها

مجيب على ما تقتضيه طبيعة الانسان الدينية (أي من حيث يطلب ديناً) وتأثيرها القريب في قلوب الآخذين بها والقائمين على سبيلها واحتباسها لنفوسهم على الكمالات الانسانية واجتذابها لهممهم عن الانتماء الى ما تدعو اليه الرعونة البدنية فهي تلبسهم ثوب الوقار والحشمة في النماء وتثمرهم ثمار التسليم والاصطبار في البأساء. وفي الحق أن لهم أن يسألونا هل يمكن لأي مثل محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي بمقائق زكية نقية عليه وأحكام تسطو بسلطانها على النفوس كالتى جاء بها القرآن بدون أن يكون ذلك بوحى من الله وامداد منه

أما ما يقال من أن القرآن لم يذكر فيه معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم سوى القرآن نفسه فعلى فرض أن لا يصح شئ مما نقل في كتب الاحاديث من المعجزات مع أنها أشبه بالاناجيل عندنا بحجاب عنه بأن هذا لا يقدح في رسالته بل هو أوضح دليل على صدقه في دعواه اذ لو كان ملبساً أو مفترياً (والمياذ بالله) لما أعوزه التمويه ببعض الثرائب المخترعة ليشبه على اصحابه ويحمل الناس على الإعجاب بفرائبه وقدرائنا أن المسيح عليه السلام كان يوبخ اليهود على مطالبتهم له بالمعجزات والذي يظهر لنا أنه لولا قساوة قلوبهم وعنادهم لما عول في دعواه عليها، على أن الاعاجيب التى رويت عن المسيح عليه السلام أصبحت في هذه الايام مما يند عقبه في طريق الاعتقاد بدينه فكثير من الناس يحبون الدين سهل القبول لولاها فمدول محمد (صلى الله عليه وسلم) في اثبات نبوته عن سبيل الثرائب واكتفاؤه من المعجزة بكتابه وصدق انبائه والبراهين العقلية التى تحقق اليها البصائر السامية كل ذاك آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم عليها

صدقه ولا اشكال فيه بل هو عين ما يطلبه المسلمون
ثم ان المسلمين لا يثقون في اثبات دينهم عند نهاية هذا الحدولكنهم
يذهبون أن لهم في الكتب السابقة أدلة بينة على صدق كتابهم ودينهم
(صلى الله عليه وسلم) وهم على يقين أن الانبياء السابقين (عليهم الصلاة
والسلام) قد تواتر أنباؤهم على التبشير بنبهم كما تقول في عيسى عليه السلام
وما يذهب اليه المسيحيون في تأويل بعض الاخبار المأثورة عن الانبياء
أو الاصفياء الاولين يخالفهم فيه المسلمون الى تأويل أفضل لهم وقد نجد
التأويل الثاني الصق بعبارة النبأ فان لم يكن فانا نرى التأويلين في كفتين
متعادلتين وانما يرجع كلا الف صاحبه وميله ولذلك أمثال كثيرة يطول
سردها ويسهل على الطالب إيجادها

أذكر ما نهني اليه أحد أصدقائي المسلمين من معنى الممددين
المذكورين في آخر كتاب دانيال النبي عليه السلام وهما عدد ١٢٩٠ وعدد ١٣٣٥
فيمد ان بين تاريخ انقطاع الذبيحة اليومية من يوم بنى منسه ملك اليهود مذابح
للاصنام في هيكل القدس وفسر الصم المصوغ الذي نصبه الملك في القدس
بالرحس المخرب وعبر عن التاريخ بتفسير الاوديين لا اورشليم فأراني
كيف أن احد الممددين المذكورين يأتي بنا الى زمان الهجرة النبوية وأن
الثاني ينتهي بنا الى خلافة معاوية بن أبي سفيان عند ما أتم المسلمون
فوحاتهم في سورية ومصر وفارس وافريقيا وكيف قطعت مصالح الحسن
ابن علي دابر الشقاق بين الأمة وسكن المسلمون الارض آمنين مطمئنين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولست أحكم بصحة التأويل ولا عدمها
ولكن أقول انه ليس بأقل جودة من بعض ما أول به قوم آخرون

وأهم ما نقصد الآن أن يعرف النصارى عندنا في انكثارا كيف يستدل
المحمديون بأبناء كتب اليهود والنصارى على إثبات دينهم وتحقيق يقينهم
بقي شئ يشهد الانكار فيه منا على المسلمين وهو اعتقادهم بجنة
جسمانية فيها من الحور العين ما تشتهيه نفوس المؤمنين على اني أقول وما
انكارنا ونحن نرى في كتاب نشيد الاناشيد المنسوب الى سليمان بن داود
(عليه السلام) عبارات ان حمت على ظاهرها كانت أدخل في الجسمانية
وعالم المادة من كل ما ينسب الى القرآن غير اننا لمخنا من درس فصول
ذلك الكتاب في ترجمته المشهورة ان تلك كنايات عن محبة المسيح لأمة
ثم اننا نرى ذكراً صريحاً للجنة الجسمانية في مكاشفات يوحنا الممدودة
عندنا خاتمة الاناجيل فانه يذكر وصف أورشليم الجديدة وهي الجنة
ومساحتها الدقيقة وحدودها وما فيها من أبواب من لؤلؤ وأزقة من
ذهب وجدران من جوهر ويفيض فيما رواه ذلك مما لم يأت القرآن عليه
وان لنا عبارة تألفها نفوسنا وترنم بها في عبادتنا مع الافتخار اذ نقول
«أورشليم المذهبة المباركة بالابن والصل» وايس يخطئ قائل لنا ان نلمات
المظفرين وأنما في الخلفين التي نمجدها في مكاشفات يوحنا يذكرونا بأن غاية
المسيحي من ايمانه وأمله المطالب من عبادته ان يصل الى جنة نفيمه فيها
ان يأكُل ويشرب ويسكر ويثني كما نرى من عمله في هذه الدنيا أيام
الاعياد المشهورة على اننا نأول ذلك كله ونصرفه عن ظاهره ونحمل كل
لفظ وجدل مني محسوس على سر معقول

وان العرفاء من المسلمين يعتقدون بأن لهم نعيماً روحانياً يتعالى الى
غير النهاية عن النعيم الجسداني ولنا نكار كما يكابر القسيس (مكول)

ونحكم بأن المسلم لا مطمح له في أخراة الا الكلى والشرب وقضاء شهوات
 آخر وقد ذكر في القرآن في سورة القيامة من جزاء المؤمنين ان تكون
 وجوههم يوم القيامة ناضرة الى ربها ناظرة وفي الاحاديث عندهم ما يدل
 على ذلك ففيها عن نبهم (صلى الله عليه وسلم) ما معناه ان أعظم فوز يوفى
 به العبد في الآخرة هو لقاء ربه في الفردوس والآصال وهو نعم يفوق كل
 نعم كما يفوق البحر قطرات المرق وفي حديث آخر ان المؤمنين يرون
 ربهم كما يرون القمر ليلة البدر وفي آخر ما يشبه المعروف عندنا ان الله
 نداهم له المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
 وان في عقائد المحدثين ان رضوان الله أكبر من كل نعم فان وافقنا
 المسلم على ان الجنة جنة اية لا تنق ان تكون جزاء المؤمن في الآخرة
 أفلا يجوز له أن يأكل ما ورد في كتابه من ذلك كما أن الله لا يشيد
 وعبارات المكاشفات والتأويل عليه أسرار منه علينا فان سده في كتابه
 ما يشير الى أن بعض نصوص الله لهم من التزاه لا يؤيد علم ظاهره
 وله في السنة ما معناه ليس في الجنة شيء مما في الدنيا لا من الدنيا
 ثم يذكر لنا في المباحثات ما يدعوا للتأويل ويشير الى أن ما جاء فيها من
 الاوصاف ضرب من التمثيل لأن صاحب الكتاب بصرح لنا بأن ما فيه
 من الأقوال حق لا ريب فيه كما هو مذكور فله المحدثين حق ان طالبوا
 الجنة الروحانية والذات السامية العقلية وهم مؤمنون بكتابتهم وروايتهم ان
 هذا المطلب عليهم أيسر منه على كثير من غيرهم وانما أحسب من الظلم
 القاحش أن لا ندعوا للمسلمين سلوك طريق من التفسير لم نزل نبتلكه
 في ايضاح غوامض كتابنا المقدس (اسحق طيلر)



هو الاجتماع الثاني - الداء والفتور العام

في مكة المكرمة يوم الاربعاء سابع عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انعقد الاجتماع وبعد قراءة ضبط الجلسة الاولى افتتح الكلام (الاستاذ الرئيس) فقال : اما نجد الباحثين في الحالة النازلة بالمسلمين يشبهونها بالمرضى فيطاقون عليها اسم الداء مجرداً أو مع وصفه بالدين أو الزمن أو المصالح وامل ماخذ ذلك ماورد في الاثر والفتة الاسماع من تشبيه المسلمين بالجسد اذا اشتكى منه عضو تدعى له سائرته بالسهر والحمى . ويلوح لي ان إطلاق الفتور العام ألقى بان يكون عنوان هذا البحث لتعاقب الحالة النازلة بالأديان اكثر منها بالملاديات ولأن آخر فيها ضعف الحس فيناسب التمييز عنه بالفتور .

ان هذا الفتور في الحقيقة شامل لجميع أعضاء الجسم الاسلامي فيناسب ان يسم بالعام وربما يتوقف الفكر في الوهلة الاولى عن الحكم بان الفتور عام يشمل المسلمين كافة ولكن بعد التدقيق والاستفراء نجد شاملاً للجميع في مشارق الارض ومقاربها لايسلم منه الا افراد شاذة .

فيا أيها السادة ما هو سبب ملازمة هذا الفتور منذ قرون للمسلمين من أي قوم كانوا وأينما وجدوا وكيفما كانت شؤونهم الدينية أو السياسية أو الافرادية أو المعاشية حتى اننا لانكاد نجد اقليمين متجاورين أو ناحيتين في إقليم أو قريتين في ناحية أو بيتين في قرية أهل أحدهما مسلمون وأهل الآخر غير مسلمين الا ونجد المسلمين أقل من غيرهم نشاطاً وانظماً في جميع شؤونهم الحيوية انسانية والعمومية وكذلك يجدهم أقل انقائاً من نظرائهم في كل فن وصناعة مع اننا نرى أكثر المسلمين في الحواضر وجميعهم في البوادي محافظين على تعزيمهم عن غيرهم من حيراتهم ومخالفاتهم في أمهات المزايا الاخلاقية مثل الامانة والشجاعة والسخاء .

فما هو والحالة هذه سبب شمول هذا الفتور وملازمته لطامة هذا الدين كمالازمة العلة لاملول بحيث يقال اينما وجدت الاسلامية وجد هذا الداء حتى نوهم كثير من الحكماء ان الاسلام والنظام لايجتمعان . هذا هو المشكل العظيم الذي يجب على جميعنا البحث فيه اولاً بحث تدقيق واستقراء عسى ان نهتدي الى جرثومة الداء عن يقين فقلبي في مقاومتها حتى اذا ارتفعت العلة برئ الليل ان شاء الله تعالى .

(قال العاضل الشامي) اني أوافق الاستاذ الرئيس على تعريفه ووصفه الحالة النازلة بالفتور ولا أعلم مايعارض كون هذا الفتور عاماً محيطاً بجميع المسلمين .
قال (صاحب الهندي) اني وأن كنت أقل الاخوان فضيلة ولكنني جوال وقد خبرت البلاد وأحوال العباد ولا شك عندي في ان هذا الفتور عام وان كان لا يظهر في بعض المواقع التي ليس فيها غير المسلمين كقلب جزيرة العرب وبعض جهات افريقيا ولا يظهر أيضاً في بعض مواقع اخرى مجاورو المسلمين فيها ومخالطوهم من أهل التحل الوثنية القريبة الوضع انتاهية في الشدة كقبا الصابنة حول دجلة الذين يضيغون كثيراً من أوقاتهم منغمسين في الماء تمبداً وكالكونغو من الزنوج وكالبودية من الهنود المعتقدين ان كل مصائبهم حتى الموت الطبيعي من تأثيرات أعمال السحرة عندهم فان أمثال هؤلاء أكثر فتوراً من المسلمين على ان ذلك لا يرفع صفة الفتور وعموميته عن المسلمين .

فقال (الاستاذ الرئيس) ان صاحب الهندي مصيب في تفصيله وتحريره ولذلك رجعت عن قولي بان المسلمين أحط من غيرهم . مطلقاً الى الحكم بأنهم أحط من غيرهم ماعدا أهل التحل المتشددة في الدين .

قال (الحافظ البصري) يلوح لي انه يلزم استثناء الدهريين والمليبيين وأمثالهم ممن لا دين لهم لانهم لا بد ان يكونوا على غير نظام ولا ناهوس في أخلاقهم ومعتقدين منفصلين في حياتهم محملين عن أهل الأديان كمايمترف بذلك الطبيعيون أنفسهم فيقولون عن أنفسهم انهم أشقى الناس في الحياة الدنيا .

فاجابه (صاحب الهندي) اني كنت أيضاً أظن انه يوجد في البشر أفراد ممن لا دين لهم وان كانوا كذلك لا خلاق لهم ثم ان اختباري الملويل قد برهن في على ان الدين بمناه العام وهو ادراك انفس وجود قوة غالبة تتصرف بالكائنات والخصوع لهذه القوة على وجه يقوم في الفكر هو أمر فطري في البشر وان قولهم فلان دهرى أو طبيعي هو صفة لمن يتوهم ان تلك القوة هي الدهر أو الطبيعة فيدين لما يتوهم . ثبتت عندي ماقرره الاخلاقيون من أنه لا يصح وصف صنف من الناس بأنهم لا دين لهم مطلقاً بل كل انسان يدين بدين اما صحيح او فاسد عن أصل صحيح واما باطل او فاسد عن أصل باطل والفسدان يكون فسادها اما بتهتان او بزيادة او بتخليط فهذه أقسام ثمانية .

فالدين الصحيح كافل بالنظام والنجاح في الحلال والسعادة والفلاح في المآل والباطل

والفاسدان بنوعان قد يكون امتناعهما على نظام ونجاح في الحياة على مراتب مختلفة وأما الفاسدان بزيادة أو بحليط فمهلكة محضة ثم أقول ربما كان تقريرى هذا غريباً في بابه فالتمس ان لا يقبل ولا يرد الا بعد التدقيق والتطبيق لانه اصل مهم لمسألة الفتور العام المستولي على المسلمين .

(قال الرئيس الأستاذ) ان اجلكم أيها السادة الافاضل عن لزوم تعريفكم آداب البحث والمناظرة غير اني أنبه فكم لا امر لابد ان يكون في نفوسكم جميعاً او تحبوا ان يصرح به الا وهو عدم الاصرار على الرأي الذاتي وعدم الانتصار له واعتبار ان ما يقوله ويبيده كل منا ان هو الا خاطر سنح له فربما كان صواباً أو خطأ وربما كان مغيراً لما هو نفسه عليه اعتقاداً وعملاً وهو انما يورده في الظاهر معتمداً عليه وفي الحقيقة مستشكلاً او مستتباً او مستظلاً رأي غيره فلا أحد منا ملزم برأي يبيده ولا هو معلوم عليه وله ان يعدل او يرجع عنه الى ضده لاننا انما نحن باحثون لامتناظرون فاذا أعجبنا رأي المتكلم منا أثناء خطابه إعجاباً قوياً فلا بأس ان نجهر بلفظ (مرحى) (١) تأييداً لاصابة حكمه وانعازاً باستحسانه فلتنمض في بحثنا عن أسباب الفتور العام على هذا النسق

قال (الفاضل الشامي) اني أرى ان منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية والاخلاقية مثل العقيدة الجبرية التي من بعد كل تعديل فيها جمات الامة جبرية باطناً قدرية ظاهراً (مرحى) ومثل الحث على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق وامانة المطلب النفسية كحب المجد والرياسة والتباعد عن الزينة والمفاخر و"لاقدام على عظمى الامور وكالترغيب في أن يعيش المسلم كميت قبل ان يموت وكفى بهذه الامور مفترقات مخدرات مشكلات معملات لا يرتضيها عقل ولم يأت بها شرع وانماها نفي عثمان بن عفان رضي الله عنه أباً ذر القماري الى الرعدة .

فاجابه (البليغ القدسي) ان هذه الاصول الجبرية والزهدية المترجمة بعقائد الامة وما هو أشد منها تعطيلاً الاخذ بالاسباب ولفشاء الحياة موجودة في جميع الديانات لتمدل من جهة شره الطبيعة البشرية في طلب الغايات وتدفعها الى التوسط في الامور وتكون من جهة اخرى تساية للماجزين وتفتيساً عن المتهورين البائسين وتوسلاً الى حصول التساوي بين الاغنياء والفقراء في مظاهر التميم .

الا يرى اجماع كل الاديان على اعتقاد القدر خيره وشره من الله تعالى او خيره

منه وشيخه من النفس أو من الشيطان ومع ذلك ليس في البشر من ينسب أمراً إلى القدر إلا عند الجهل بسببه ستراً لجهله أو عند المعجز عن نيل الخير أو دفع الشر ستراً لمعجزه وحيث غاب أخيراً على المسلمين جهل أسباب المسببات الكونية والمعجز عن كل عمل التجأوا إلى القدر والزهد تمويهاً لآتيناً ، وهذا التبدل والخروج عن المسال من أعظم القربات في التصيرية فهل كان قصد شارع إيهانية أن يقرض الناس كفة بعد جيل واحد لم كان قصده أن يشرعها على أن لا يتلبس بها إلا القليل العز؟ كلا لا يمتثل في هذا المقام إلا التعميم وينتج من ذلك أنه لا يصح اعتبار هذه الأصول الجبرية والزهدية سبباً للفتور بل هي سبب لا اعتدال النشاط وسيره سير انظام ورسوخ . وفي النظر إلى المشاق والمضام التي اقتحمها الصحابة والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم لنيل الفنى والرياسة والفخار مع الاجر والثواب أقوى برهان مع أن الأمة إذ ذاك كانت زاهدة فعلاً لا كآزهد الذي ندعيه الآن كذباً ورياء (مرحى)

وإذا تتبعنا كل ما ورد في الإسلامية حثاً على الزهد نجد موجهاً إلى الترهيب في الإيثار العام أى تحويل المسلم ثمرة سميحة للمنفعة العمومية دون خصوص نفسه حتى أن كل ما ورد في الحث على الجهاد في سبيل الله مراد به سعى المؤمن بكل الوسائل حتى يبذل حياته لأعزاز كلمة الله وإقامة دينه لأفنى خصوصية محاربة الكفار كما تنوهم العامة كما أن المراد من محاربة الكفار هو من جهة إعزاز الجامعة الإسلامية ومن أخرى خدمة الجامعة الإنسانية من حيث الجلاء الكفار إلى مشاركة المسلمين في سعادة الدارين لأن الأمم المتقدمة علماً ولأية طبيعية على الأمم المتخلفة فيجب عليها إنسانية أن تهديها إلى الخير ولو كرهاً باسم الدين أو السياسة .

ثم قال أمثالاً فيخيل إلي أن سبب الفتور هو تحول نوع السياسة الإسلامية حيث كانت نيابية اشتراكية أى (ديمقراطية) عملاً فصارت بعد الراشدين بسبب تمادي الحزبات الداخلية ملكية مقيدة بقواعد الشرع الأساسية ثم صارت أشبه بالمطلقة . وقد نشأ هذا التحول من أن قواعد الشرع كانت في الأول غير مدونة ولا محررة بسبب اشتغال الصحابة المؤسسين رضي الله عنهم بالفتوحات وتفرغهم في البلاد فظهر في أمر ضبطها خلافات ومباينات بين العلماء وتحكمت فيها آراء الخلافة فرجحوا الأخذ بما يلائم بقايا نزعاتهم الوثنية (وأيهم لم يدنسوا الإسلام بالدخول فيه) فاتخذ العمال السياسيون ولا سيما المتطرفون منهم هذا التخالف في الأحكام وسيلة للإنتقام والاستقلال السياسي فنشأ عن ذلك أن تفرقت المملكة الإسلامية

الى طوائف متباينة ، مذهباً متعادياً سياسة مكافئة على الدوام وهكذا خرج الدين من حضنة أهل ، وتفرقت كلمة الامة فطامع بها أعداؤها وصارت ممرضة للمحاربات الداخلية والخارجية مما لا تصادف سوى فترات قليلة تترقى فيها في المعلوم والحضارة على حسبها . وقد أثر استمرار الامة في هذه الحروب ان صارت باعتبار الاكثية ثم جندية صنعة وأخلاقاً بعيدة عن الفنون والصنائع والكسب بالوجوه الطبيعية . ثم بسبب فقدان القواد والمعدات لم يبق مجال للحروب الراجحة فاقصرت الامة على المدافعات خصوصاً منذ قرنين الى الآن أي منذ صارت الجندية عند غيرنا صنعة عالمية مفعودة عندنا فصرنا نستعمل بأسنا بينما فتميش بالتغالب والاحتيال لا بالتماون والتبادل وهذا شأن يمت الانتباه والنشاط ويولد التحول والفتور (مرحي)

فابندر (الحكيم التونسي) وأجاب ان غيرنا من الاقوام كجرمانيا مثلاً وجدوا في حكومات مطلقة وفي اختلافات مذهبية وفي انقسامات الى طوائف سياسية وفي حروب مستمرة ولم يشملهم الفتور بوجه عام فلا بد للفتور في المساميين من سبب آخر . ثم قال وفيما انصهر ان بلاءنا من تآصل الجهل في غالب أممنا المتطرفين الآخرين أعمالاً الذين ضلوا وأضلونا سواء السيل وهم يحسبون انهم يُحسنون صنماً حتى بلغ جهل هؤلاء دركة أسفل من جهل المعجماوات التي لها طبائع ونواميس فيها التي تحمي ذمارها وتمنع عن حدودها وتدافع عما استحفظت عليه وهؤلاء ليس لهم طبائع ونواميس فيخربون بيوتهم بأيديهم وهم لا يشعرون . ومنهم الذين ضلوا على علم وهم الذين يشكون ويكفون حتى يظن انهم مغلوبون على أمرهم ويتشدقون بالاصلاح السياسي مع انهم وأبهم الحق يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم يظهر من الرعب في الاصلاح ويبطئون الا صبرار والتمناد على ما هم عليه من إفساد دينهم ودنياهم وهم مباني يخدمهم واذلال انفسهم والمسلمين وهذا داء عياض لا يرجى منه الشفاء ، لانه داء الفرور لا يقر صاحبه لعاضل بفضيلة ولا يجاري حازماً في مضمار وقد سرى من الامراء الى الملأ ثم الى سائر الطبقات

فأجاب (المولى الرومي) ان الفناء النبعة على الامراء خاصة غير شديد خصوصاً لان أممنا ان هم الاليف منا فهم أمثالنا من كل وجه وقد قبل كما تكونوا بولاي عايكم فلو لم تكن نحن مرضى لم يكن أمراؤنا مدنفين وعندي ان البلية هي فقدان الحرية وما أدراك ما الحرية ؟ هي ما حرمنا معناه حتى نسبناه ، وحررنا عينا انفسه حتى استوحشناه . وقد عرف الحرية من عرفها بأن

يكون الإنسان مختاراً في قوله وفعله لا يبرئ منه مانع ظالم ومن فروع الحرية تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار أنهم وكلاء وعدم الرهبة في المطالبة بالحقوق وبذلك التصحيح . ومنها حرية التعليم وحرية الخطابة والمطبوعات وحرية المباحثات العلمية . ومنها العدالة بأسرها حتى لا يخشى إنسان من ظالم أو غاصب أو غدر . ومنها الأمن على الدين والأرواح والأمن على الشرف والأعراض والأمن على العلم واستثماره فالحرية هي روح الدين وينسب إلى حسان بن ثابت الشاعر الصحابي رضي الله عنه وما الدين إلا أن تقام شرائع وتؤمن سبل بيتنا وهضاب

فانظر كيف حصر هذا الصحابي الدين في إقامة الشرع والأمن . هذا ولا شك أن الحرية أعز شيء على الإنسان بعد حياته وإن يفقدناها تفقد الآمال وتبطل الأعمال وتموت النفوس وتتعطل الشرائع وتختل القوانين . وقد كان فينا راعي الحرفان حرّاً لا يعرف للملك شيئاً يخاطب أمير المؤمنين بيا عمر ويا عثمان فصرنا ربما تقتل الطفل في حجر أمه ونلزمها الكوت فتسكت ولا تجبر أن تزجج سمناً بيكاتها عليه . وكان الجندي الفرد يؤمن جيش العدو فلا يخفره عهد فصرنا تمنع الجيش العظيم من صلاة الجمعة والميدين وتسعين بدنيه لا الحاجة غير الفعخصة الباطلة (مرعى)

فامل هذا الحال لا غرو أن تسأم الأمة حياتها فيستولى عليها الفنون وقد كرت القرون وتوالت البطون ونحن على ذلك عاكفون فتأصل فينا فقد الآمال . وترك الأعمال ، والبعد عن الجسد والارتياح إلى الكسل والهزل والانغماس في اللهو تسكيناً لآلام أسير النفس والاخلاد إلى الحمول والتفكك طلباً لراحة الفكر المضغوط عليه من كل جانب إلى أن صرنا ننفر من كل الماديات والجديات حتى لا نطبق معاملة الكتاب النافعة ، ولا الأصفاء إلى التعصبة الواضحة . لأن ذلك يذكّرنا بمقدونا العزيز تشائم أرواحنا وتكاد ترهب إذا لم نأجأ إلى الناسي بأنماهيات ، والخسرات المروحات ، وهكذا ضعف إحساسنا ومات غيبتنا وصرنا نغضب ونحقق على من يذكّرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطبية لمجزئنا عن القيام بها عجزاً واقمياً لا طمياً هذا ونعترف بأن فينا بعض أغرام قد أفرا من ألوف سنين الاستعباد والاستبداد والدل والهوان فصار الأعطاط طبعاً لهم تؤنهم مفارقتهم وهذا هو السبب في أن السواد الأعظم من الهنود والمصريين والتونسيين صاروا بعد أن نالوا رغم أنوفهم الأمن على أنفسهم والأموال ، والحرية في الآراء والأعمال . لا يرثون ولا يتوجهون لحالة المسلمين في غير بلادهم بل ينظرون للتأقبن على امرائهم المسلمين شتراً وربما يعتبرون

تأجيل الامتثال من المارقين من الذين كأن مجرد كون الأمير مسلماً يقني عن كل شيء حتى عن العدل وكأن طاعته واجبة على المسلمين وإن كان يحرب بلادهم ، ويقتل اولادهم ، ويتوردهم ايمانهم لحكومت اجبية كما جرى ذلك قبلا معهم والحاصل ان فقدان الحرية هو سبب التقور والتفاس عن كل سبب وميسور .

تجيب (المجتهد التبريزي) ان هذا الحال ليس بعام مع ان التقور لم يزل في ازدياد واستحكام فلا بد لذلك من سبب آخر

ثم قال : ويلوح لي ان المخطا من أنفسنا اذا كنا خير أمة أخرجت للناس نعبد الله وحده أي نخضع ونسلك له فقط ونطيع من أطاعه مادام مطيعاً له نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر أمرنا شورى بيننا نتعاون على البر والتقوى ولا نتعاون على الاثم والعدوان . فتركنا ذلك كله ما صعب منه وما هان . وقد يظن أن أصعب هذه الامور التي عن المنكر مع أن ازالة المنكر في شرعنا تكون بالفعل فان لم يمكن فبالقول فان لم يمكن فبالقالب وهذه الدرجة الثالثة هي الاعراض عن الحائن والفاسق والتقور منه وابطال بنجسه في الله .

ومن علامته ذلك تجنب مجامعته ومعاملته . ولا شك ان اقامة هذا الواجب الديني كافٍ لاردع ولا يتصور المعجز عنه قط قال تعالى (ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضهم ببعض لفسدت الارضُ) فهذا هو سبب استمرار الامة في عبادة الامراء والاهواء والاوهام وفي طاعة المصاة اختياراً وترك الناصح والركون الى الفساق والاذعان للاستبداد والتخاذل في الخير والشر قال تعالى (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ الى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وعنه صلى الله عليه وسلم (١) « لَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيَسْتَفِئَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ سِرَارَكُمْ فليدومونكم سوء المذاب » الى غير ذلك من الآيات النيات والاحاديث المنذرات القاضيات بالخذلان على تاركي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا هو السبب الناشئ عنه التقور .

(١) التار - تُنظ الحديث « او يسمان الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » رواد الزرار عن عمر والطبراني عن أبي هريرة وسندهما ضعيف . وللهذه من حديث حذيفة نحوه الا انه قال « او ليه تكن الله ان يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » وقال حديث حسن

باب التوسيع والتعميم

هو التعليم الذي ترتق به الأمة

أكثر الناس في بلاد الشرق — بلاد البطالة والكسل — يقنون أزمهم بالبيت والافق من القول فلا تسمع منهم في أديتهم وسماهم الا الحوض بفلان والازراء بسلان وما أشبه ذلك . مما هنا وهناك ، ورب فئة قليلة تحب الجهد وتختار للبحث والحوار المسائل النافعة وقد كتبنا مقالة في الجزء الرابع والعشرين من السنة الماضية في موضوع حديثهم في سامر من سماهم وهو اصلاح الدولة العالية . ونذكر هنا أنهم رأوا أن يفتحوا على كل واحد منهم كلاسهم ناد أو سامر أن يتكلم في مسألة من المسائل النافعة وابتدأوا بالاقتراح على كاتب هذه السطور أن يتكلم في التعليم النافع للمسلمين فأجاب واتي أذكر بعض مآلته هناك مائضاً وقد ابتدأت بذكر عيوب التعليم عندنا وهي

السبب الأول عدم التثنية احياء العلم لا يكون الا بأئمة حية وأئمة الاسلام والمسلمين المرئية ولكنهم أهملوا تعلمها وتعليمها حتى أتى أقول مآلته من قبل اتى لا أعرف مدرسة في الدنيا تعلم فيها الأئمة المرئية الصحيحة ومن عنده حظ من هذه الأئمة فأنما تعلمه بنفسه لاهتدائه الى طريقة التعلم بذكائه أو بإرشاد مرشد آخر وستأتي الإشارة الى كيفية هذا التعلم وان كان النادر قد فصله من قبل تفصيلاً .

السبب الثاني في اختلاف مناهج التعليم التعليم النافع هو ما يكون به قوام الأمة وترقيتها والترقي انما يكون بالرجال المتعلمين العلم النافع لها لأن زمانها يكون في أيديهم وتكون الأمة بحسب أن يكونوا متفهمين في مقاصدهم الإصلاحية وانما يكون هذا الاتفاق والاتحاد اذا كانت تربية عقولهم وافكارهم متحدة ولن تكون متحدة الا اذا كان التعليم من منبع واحد . والتعليم في بلادنا ينقسم في مدارس الحكومة وبعضه في المدارس الاخوية من فرنسية وأميركانية وإنكليزية وإسبانية وليس منه شيء موافق لحاجة الأمة وينطبق على مصالحها فإن لكل صنف من هذه الاصناف مقصد من التعليم انما سياسي وما دني غير اسلامي والتعليم في المدارس الاحلية الاسلامية ناقص بحيث يصح ان نقول انه دون كل تعليم . ولا استغني المدرسة الدينية الا بالإمارة الكبرى وهي

لجميع الأحرار، فكيفما نعرف أنها ليس فيها غناء، وأنها مقصورة على التفسير في وظيفتها الأولى وهي إحياء اللغة العربية وعلوم الدين. على أن علم الدين لا يكاد يوجد في مصر لأنهم ما يقبلونه من المساجد فهو على نفسه خير من غيره من هذه الجهة، ومن اللحن بالمواد.

السبب ٣: عدم التربية والتعليم لا يفيد النجاح للمعالم اللازمة إلا إذا كان مقارناً للبيئة المالية القومية وهذه التربية مفقودة عندنا لأن القائمين على أمر التعليم لا يهتمون أمرها بل هو مبين لتقصدهم السياسي والديني. على أنهم لو حاولوها لما أحسنوها لأنه لا يحسن الشيء إلا من يتوجه إليه بياض الشعور بحاجته وحاجة أمته إليه مع العلم بطريقة التعليم. وقد علمنا أن أكثر المسلمين المشتغلين بالتعليم جاهلون بطريقة وعادموها الإحساس والشعور بالحاجة المالية القومية. وعلمنا حال مدارس الأجانب والمدارس الحكومية في مصر حكمها لأن روح التعليم فيها إنكليزي استعماري لا إنكليزي سكوتي. ولا يحسن أحد أن مدارس الحكومة في بلاد الدولة العلية أمثل وأنفع من مدارس الحكومة في مصر بل تصواب أنها دونها في كل البلاد لاسيما العربية منها إلا مدارس دار السلطنة فاتها أرقى من مدارس مصر لأن فيها روحاً وطنياً حقيقياً تجرت السياسة عن ازهاقه

هذه هي العيوب الأساسية للتعليم في البلاد الإسلامية. أما إزالة هذه العيوب من مواطنها فلا سبيل إليه ولا طاقة لنا به ولكن من الممكن السعي في إيجاد تعليم نافع وتربية قوية والطريق إليه واحد وهو إنشاء المدارس الكلية التي تربي الناشئين وتعلمهم التعليم الابتدائي والتجهيزي والمالي ولكنه طريق يعسر طريقه وإشراعه لأننا فقراء في المال وفي العلوم والمقول وهذا الفقر المضموني أشد فناءً من فقرنا المادي. وسجرتنا في طريقنا هذا كما يسجرتنا ويعوزنا الفقر المادي فإن من أوتي نصيباً من العلم والمقل والأدب بجود بما عده مرتاحاً إليه إذا رجا الانتفاع به ولكن الذين أوتوا المال منا قد أوتوا معه البخل والسفه معاً فهم يبذلون المال في طرق الفساد بغير حساب ولا يخرج من أيديهم درهم في طريق الخير إلا تكداً. وليس المقام مقام بيان تطبيق الطريق لإنشاء مدرسة كلية في مصر ولكنني أقول أن هذه الفئة تحب خدمة أممها إذا لم يتجهدوا في إنشاء هذه المدرسة فلنا أن نمكهم بأنهم لم تعمل شيئاً يذكر وإذا هم لم تعمل فلا ندري متى تلد أرض مصر خيراً منها لعمل خيراً من عملها

أما التعليم والتربية في الكلية فلانجحت فيما لان الحاضرين يعرفون هذا الفن (اليداجوجيا) وأنما نبه على وجوب إحياء اللغة العربية بالعمل بأن يكون الكلام

المربي الصحيح هو الانسان الرسمي فيها ويعلم كما تعلم اللغات الاخرى في المدارس لا كما يعلم هو فيها . وأما تعليم الدين فيجب أن يكون أساسه القرآن والسنة الصحيحة ومعرفة الاجماع وإن يمد كل ما وراء هذا من الخلاف بين ائمة المسلمين وعلمائهم كالخلاف في المسائل العلمية ، لا ينكت من قتل الاخوة الاسلاميه ، وكل ما هو من أعمال الجوارح يكون تعليمه بالعمل كالصلاة مثلا وما عدا ذلك يعلم بالقول . وأما التربية فما يجب التنيه عليه تربية الإرادة والمزينة التي هي منشأ الاستقلال الشخصي والنوعى تبع للشخصي وتربية الاخلاق بملاحظة السيرة والسلوك وتربية الخيال التي تمتد للخطابة والشعريات المؤثرة في النفوس . هذا ما أراه نافعا من التعاليم الاسلامي وفق الله المسلمين لحقيقته ، والسير طريقه ، آمين

أشاد على البرية

مقدمة لكتاب أسرار البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن ، خالق الانسان علمه البيان ، قله الحمد أن علم ، والشكر على ما أنعم ، ومنه الصلاة والتسليم ، على نبيه الرؤف الرحيم ، الذي جاء بتوحيد اللغة والدين ، وجعل الكتاب والحكمة في الامين ، فكانوا بذلك ائمة وكانوا هم الوارثين الانسان يمتاز بالعلم وانما العلم بالتعلم والتعلم باللغة ، واللغات تفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون اقرب الى القبول وأدعى الى التأثير وفي صورتها وأجراس كلها بمذوبة التطق وسهولة اللفظ واللقاء والحفة على السمع . وان للغة العربية من هذه المميزات الميزان الراجح ، والجواد الفارج ، يعرف ذلك من اخذها بحق ، وحجى فيها على عريق ، فكان من مبرراتها على علم ، وضرب في أساليبهم ، ومن آية ذلك لغير العارف إن اوثك الشرازم والأوزاع من أهلها قد حملوها الى الأثم ، التي مكان لغاتها في العلوم قدم ، ولم يحملوهم عليها بالإلزام ، ولا بالتعالم العام ، وكان من أمرها مع هذا أن ندمت

بطبيعتها لغة المصريين من مصرهم والرومانيين من شامهم واستملت على الفارسية العذبة في موهها وموطنها وامتد شعاعها الى الاندلس في غربي أوربا بعد ما طاف ساحل أفريقيا الشمالي والى جدار الصين من الشرق — كل ذلك في زمن قريب لم يعرف في التاريخ مثله للغة اخرى من لغات الفاتحين الذين يتخذون كل الوسائل لفشر لغاتهم وتعميمها بالتعليم العام وضروب الترغيب والترهيب

كانت لغة أميين وثنيين جاهلين فظهر فيها كل الأديان فكانت له أكل مظهر ، ونجلي لها العلم فكانت له خير مجلتي ، وصارت بذلك لغة الدين والشريعة ، وعلوم العقل والطبيعة ، ولكن عدت على أهلها عواد كونية ، وطرأت عليهم أمراض اجتماعية ، فضعف فيهم كل مقوم من مقومات الأمم الحية ، ومن تلك المقومات الحقيقية اللغة فقد فسدت ملكتها في اللسان والتوى طريق تعليمها في المدارس ، حتى كادت تكون من اللغات الدوارس

ظهر ضعف اللغة في القرن الخامس وكانت في ريمان شباهها وأرجع عزها وشرفها وكان أول صرخة ألم بها الوقوف عند ظواهر قوانين النحو ومدلول الألفاظ المفردة والجمال المركبة والانصراف عن معاني الأساليب ، ومغازي التركيب ، وعدم الاحتفال بتصريف القول ومناحيه ، وضروب التجوز والكناية فيه ، وهذا ما يمت عزيمة الشيخ عبد القاهر الجرجاني امام علوم اللغة في عصره الى تدوين علم البلاغة ووضع قوانين للمعاني والبيان كما وضعت قوانين النحو عند ظهور الخطأ في الاعراب فوضع هذا الكتاب في البيان ومن فاتحته ينقسم القارئ ان دولة الألفاظ كانت قد تحكمت في عصره واستبدت على المعاني وأنه يحاول بكتابه تأييد المعاني ونصرها ، وتعزيز جانبها وتشد أسرها

كتب قبل عبد القاهر في مسائل من البيان بعض البلغاء تتجاذف وابن دريد وقدامة الكاتب ولكنهم لم يبلغوا فيما بنوه أن جعلوه فناً مرفوع القواعد مفتاح الابواب كما فعل عبد القاهر من بعدهم فهو واضح علم البلاغة كما صرح به بعض علمائها وإن لم يذكر له هذه المنقبة المؤرخون الذين رأينا ترجمته في كتبهم حتى ان ابن خلدون الذي تصدى دون القوم للإمام بتاريخ القرون اهل ذكره وزعم ان الذي هذب الفن بعد أولئك الذين كتبوا في مسائل متفرقة منه هو السكاكي . وما كان السكاكي إلا عيالا على عبد القاهر تلاوته وأخذ عنه مع المخالفة في شيء من الترتيب والتبويب ولكنه لم يسلم من التكلف في بعض عبارته ، والتعقيد في بعض منازعه ، فإذا جاز لنا

ان تقول أنه فاق لتأخره بالترتيب العلوم ، وبما حرره من الحدود والرسوم ، قلنا
لأننى من فضل المتقدم سلامة عبارته ، وصفاء ديباجته . وغوصه على أسرار
الكلام ، ووضع دررها في أبدع نظام .

كان السكاكي وسطاً بين عبد القاهر الذي جمع في البلاغة بين العلم والعمل
وأضرابه من البلاء العاملين وبين المتكافين من التأخرين الذين سلكوا بالبيان سلك
المعلوم النظرية . وفسروا اصطلاحاته كما يفسرون المفردات اللغوية ، ثم تنافسوا
في الإحصاء والإيجاز ، حتى صارت كتب البيان أشبه بالمعجمات والألغاز ، فضاعت
حدوده بتلك الحدود ، ودَرسَت رسومه بهائيك الرسوم ، وكان من أثر فساد
ذوق اللغة اختيار هذه الكتب التي ملكت المعجمة عليها أمرها على الكتب التي
تهديك الى العلم الصحيح بمعانيها ، ونهدي اليك الذوق السليم بأساليبها ومناحيها ،
فكادت كتب عبد القاهر تمحى وتنسخ ، وصارت حواشى السعد تطبع وتنسخ ،
وهذا هو حظ العلم النافع اذا أُلقي الى الامة في طور التدلي والضعف ، فمثل عبد
القاهر في أسرار بلاغته ودلائل اعجازه كمثل ابن خلدون في مقدمته والساطران
سليمان العتاي في قوانينه

رب غذاء طيب نافع عاقته النفس لمرض ألم بها حتى اذا نقهت أو ابلت اشتتهه وطلبته
وهذا هو مثلنا أمس واليوم فقد كنا متفقين على أخذ العلم من كتب علمائنا المتأخرين
كما يختار المريض الغذاء الضار فظهر فينا هداة مرشدون يسمعون في احياء ماأماه
الجهل من آثار سلفنا ومصنفات أئمتنا ويدلوننا على العلم الحى الذي تفجر من ينابيع
النفوس الحية لتفرق بينه وبين الرسوم الميتة التي سماها الجهل علما

ولما هاجرت الى مصر في سنة ١٣١٥ لانشاء (المنار) الاسلامى أقيمت امام
النهضة الاسلامية الحديثة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم
العربية ومفتي الديار المصرية اليوم مشتغلا في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز
للإمام عبد القاهر الجرجاني وقد استحضرت نسخة من المدينة المنورة ومن بغداد
ليقابها على النسخة التي عنده فسألته عن كتاب (أسرار البلاغة) للإمام المذكور
فقال انه لا يوجد في هذه الديار فأخبرته بان في أحد بيوت العلم في طرابلس الشام
نسخة منه فحثني على استحضارها وطبعها فطلبها من صديقي الحميم العالم الأديب عبد
القادر افندي المغربي وهي مما تركه له والده قاي الطالب . وعامنا ان نسخة أخرى
من الكتاب في إحدى دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنية قد بينا بعض

طلاب العلم الاذكياء، فبالإضافة لاختلاف النسخة عن النسخة لما من مجموعتهما .
صحيحة شرعنا في طبعها ووضعنا في ذيل المطبوع شرحاً لطيفاً شريفاً في بعض الكلمات
العربية وفسرنا منها ومن حال الكتاب ما رأيناه يدقق التفسير وأشرنا الى الخلاف
بين النسختين ، فيما يحتمل صحة الآيتين ،

أما كون عبد القاهر هو واضع الفن ومؤسسه فقد صرح به غير واحد من
العلماء الاعلام أجابهم قدراً ، وأرفقهم ذكراً ، أمير المؤمنين ، محي علوم اللغة والدين ،
السيد محي بن حمزة الحسيني صاحب كتاب (العراز ، في علوم حقائق الاعجاز) ،
فقد قال في فاتحة كتابه هذا وهو من أحسن ما كتب في البلاغة بعد عبد القاهر ما نصه :
« وأول من أسس من هذا الفن قواعده وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده
ورتب أفايقه » الشيخ العالم التحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني فاقده فك قيد
القرائب بالقييد ، وهد من سور المشكلات بالتسوير المشيد ، وفتح أزاره من أكامها ،
وفق أزراره بعد استعلاقها واستبهاها ، فجزاه الله عن الاسلام أفضل الجزاء ، وجميل
نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والأجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه
بدلائل الاعجاز ، والآخر لقبه بأسرار البلاغة ، ولم أقف على شيء منهما ، مع شغفي
بجهما وشدة إعجابي بهما ، الا ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما ، »

وأما مكانة هذا الكتاب وبيان ما يمتاز به على كتب البيان فحسبي عرضة على
الانظار مع التثنية على مسألتين نافعتين (احدهما) ان العلم هو صورة العلوم مأخوذة
عنه بواسطة الادراك كما تؤخذ الصورة الشمسية بالآلة المعروفة فان كان المعنى المنزع
من الجزئيات قانوناً كلياً يرشد اليها فهو القاعدة وان كان صورة تناسها وتقريرها من
الفهم فهو المثال . (والثانية) ان القاعدة الكلية هي صورة اجمالية للمعلومات الجزئية
والامثلة والشواهد صور تفصيلية لها . والتعلم انافع انما يكون بقرن الصور المفصلة
بالصورة الجامعة اذ بالتفصيل تعرف المسائل وبالأجمال تحفظ في العقل وبهذه الطريقة
يجمع بين العلم والعمل الذي يثبت به العلم وهي طريقة عبد القاهر في كتابه هذا وكتاب
دلائل الاعجاز على ان كلام الشيخ رحمه الله تعالى كله من آيات البلاغة فهو يعطيك
علمها بجمانية ، وعملها بجمانية ، وبهذه المميزات يفضل هذا الكتاب جميع ما بين أيدينا
من كتب الفن لانها انما تقتصر على سرد القواعد والاحكام بعبارات اصطلاحية ،
تذكرها بلاغة الاساليب العربية ، ولا تذكر من الشواهد والامثلة الا القليل النادر ،
الذي أدلى به السابق الى اللاحق والاول الى الآخر ،



لهذا نادر الآن . إذ الأمام . مني الدنيا . مرة . و هذه الدرة . أم . إلى تدريس
الكتاب في الأزهر الشريف . غير . شروعت في طبعه فأقبل على التدريس . درسه مع
أدراكه الطلاب كثير من العلماء والمدرسين . وألذة المدارس الأبرية . وقد قال
أحد فضلاء هؤلاء . الأستاذين بعد حضور الدرس الأول . التنا قد اكتشفنا في هذه
الليلة معنى علم البيان .

وقد ظهر للاستاذ في غضون التدريس والمطالعة اغلاط في الكتاب بعضها من
الطبع وبعضها من تحريف النسخ في الاصل واغلاط أخرى في الموامش فأحصيناها
كلها من نسخه ووضعنا لها جدولاً في آخر الكتاب اتماماً للفايده . وما يجب التنبيه
عليه ان بعض تراجم فصول الكتاب هي من وضعنا فان المصنف رحمه الله تعالى كان
يكتفي في كثير منها بكلمة (فصل) او ويلى ذلك اثر من المصنف

﴿ الهدايا والتقاويظ ﴾

(فتح القدير شرح الهداية لتجهد الحنفية في القرن السابع الكمال بن الهمام)
يتم طالب فقه الحنفية عشرين سنة أو أكثر ليكونوا فقهاء في هذا المذهب
فيضيع نسب الاكثرين سدى لاشتغالهم بكتب التأخرين المحشوة بالفروع الشاذة وغير
الشاذة والاضطراب في التصحيح والترجيح ولا يكون الانسان بهذه الطريقة فقيهاً
ولو أفنى عمره في الدراسة . وقد كان هؤلاء بعض المذنب قبل أن يطبع هذا الكتاب
(فتح القدير) الذي هو أحسن كتب المذهب في تحرير المسائل وبسط أدلتها
وأرجعها إلى أصولها . وقد كان العلماء يتناقشون في الاطلاع عليه . حتى ان ابن عابد
المشهور ضمير نسخة فاشتراها بوزنها ذهباً . وقد كان طبع في الهند مطاب نسخة منه
أكبر فقهاء الحنفية فألفوه كما كان يقول أحدهم (الشيخ عبد النبي الراقعي رحمه الله
بناني) : توراة مبدلة . أي انه كثير الغلط والتحريف . وقد طبعه أخير السيد عبد
الواحد بك الطوبجي وأخوه في المطبعة الاميرية واعنى بتصحيحه وأضيف اليه تكملة
المادة (نتائج الافكار) للمولى شمس الدين أحمد المعروف بقاضي زاده . ووضع في
هامشه (شرح الهداية على الهداية) لأكمال الدين الباري وحاشية سمدي جابي المفق
الشهير فباع الجميع ثمانية مجلدات وجمل ثمنه ١٦٠ قرشاً و ١٦٥ من الورق الباقى
ويصاب من مكاتب طابعيه في مسرقة توجه إليه أنظار الحنفية عامة وأهل الهند خاصة

(جواهر الانشاء) انشاء اخواننا الاستاذ الفاضل الشيخ طه ناوي جوهرى .
العربية في المدرسة الخديوية نبذا وفصولا في موضوعات مختلفة لتكون تمرينا للتلاميذ
على الكتابة والانشاء . ثم ضم اليها بعض الاحاديث النبوية فى الاعتقالات ومحاسن الاعمال
وشيئا من الحكم المتنوعة ومن الاشعار المختارة فى الآداب ومنها نظم ملخص من كتاب
أدب الدنيا والدين وسمى هذه المجموعة [جواهر الانشاء] وقد طبعت فى مطبعة الترقى
الشهيرة بالاقاق ونعما قرشان وهى ٩٠ صفحة وتطلب من مكتبة الترقى ومن حضرة
منازم طبعها توفيق اقدى كاشف بشارع بركة الفيل

(رسالة الشيرازي فى علم الاخلاق) هى رسالة مختصرة مفيدة فى الاخلاق
والآداب سهلة العبارة اعتنى بطبعها المحامى الفاضل الأديب عبد العظيم اقدى صالح
ولا يعرف مؤانها وربما يتبادر الى الذهن انها للشيوخ أبى اسحق وماهى له فيما
يظهر من اهدائها فى قائلتها . على ان العبرة بالقول لا بالقائل والرسالة نافعة فى بابها
وهى ثلاثة أقسام أحدها فى الأصول الكلية لعلم الاخلاق وثانيها فيما يجرى مجرى
الأمثال البائرة . من الكلمات النادرة ، وثالثها فى محاسن أخلاق الملوك وآداب
اتباعهم وحواشيهم وهذا القسم يدلنا على استبداد الملوك فى ذلك العصر وقرار العلماء
على ذلك . فنشكر لطلابها فضله فى احياء هذه الآثار الاخلاقية التى نحن أشد حاجة
اليها من سائر العلوم ونحث الناس على قراءة هذه الرسالة ونعما قرشان

(تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان) كما يجب على الانسان أن يعرف نفسه
من حيث هو شخص يجب عليه أن يعرفها من حيث هو أمة أي عضو من أمة
شرفه بشرفها ومهانتها بمهانتها والأثم الحية تفتى بتاريخها فتعلمه أولادها بالتفصيل
وتاريخ سائر الأمم والدول بالأجمال ولكتنا نرى أكثر المسلمين يجهلون تاريخ الاسلام
وأكثر العثمانيين يجهلون تاريخ الدولة العلية ولآل العظم فصل على الفريقين بالعثمانية
بالتأليف فى التاريخين فاذا كان رفيق بك العظم مشغولا بتأليف تاريخ (أشهر مشاهير
الاسلام) فحقى بك العظم الفاضل مشغول بتاريخ الدولة العلية فبعد أن ألف كتاب
(دفاع بلقنا) وطبعه ألف لنا كتاب تاريخ الحرب العثمانية اليونانية بالتفصيل وطبعه
تجاء كتابا حافلا بصفحاته ٢٢٥ وفيه مباحث تاريخية واجتماعية نافعة منها بحث فى الامنة
محفظ كان الشعب ومنها التعريف بمقدمات الحرب وأسبابها والجمعية الوطنية اليونانية
ومنها تحليل الحوادث والوقائع ونتائجها وحتمه بنظرة سياسية فى موقف الدولة العلية
قبل الحروب وبعدها وأحوال البانيا ومكدونيا واحتياج الدولة للرجال الاكفاء

وسبب سكوت الدولة عنها الآن . والكتاب مطبوع في مطبعة الترقى على يد
حيد ويطلب منها ومن ادارة المنار وتمه عشرة قروش أميرية

(البيان) مجلة أخبارية تاريخية تصدر مرة في الشهر باللغتين العربية والأوردية
لنشرها الفاضل الشيخ عبد الله العمادي وصاحب امتيازها المولوي عبد الوهي بن الفاضل
الراسي عبد العلي المدراسي . والغرض منها جمع كلمة الأمة الهندية ، وإحياء الفضائل
العربية ، ومن المباحث النافعة فيها نبذة (الحضارة والهند) شكا فيها الكاتب من فقر
الأمة وقلة الكسب وكثرة الاتاوات والضرائب وهي نحو ٥٥٠ مليون روبية . منها ١٦٠
مليوناً من الخراج و٨٥ مليوناً من المالح و٣٥ مليوناً من القراطيس القضائية و٥٥ مليوناً
من الخمر و٣٥ مليوناً من الزيادات الخراجية و٥ ملايين من التسجيل (السيكورته) .
ومنها نبذة في مقاصد ندوة العلماء لم تتم وأملنا نأخذها بعد تمامها ونرجو لهذه المجلة
الرواج فقيمة الاشتراك فيها ٨ روپيات في الهند و٣٠ غرشاً أو ٦ شلينات في الخارج
(تابه) ضاق هذا الجزء عن باب الاخبار النبوية وآثار السلف وعن الاخبار والآراء والندوة المذكورة

للشاعر المجيد . مصطفى افندي صادق الراقصي (في الساعة)

تضرب كالأقرب شفه القم	كأن فيها الهموم تضطرم
ذات حجب أطل أقرأ من	خطوطه ما يخطه القلم
الفها لا أذم صحتها	وعني في اصطحابها السأم
وما أراها سوى الزمان أما	يدور فيها التعميم والتقم
تذكرني ما يمر من عمري	فكل يوم يجد لي ندم
ما إن تراعى لأهلها ذمها	ان رعيت عند أهلها الذم
وليس أما سمعت غمارها	يد في غير مهي حتى الأثم
ولا إذا اعجبت فحاشها	في غير ضيق القلوب ترحم
بأخت ذات البروج هل حجت	طوال السعد هذه الظلم
كانها والخطوب تكتمها	سر بقاب الزمان منكم
وهل تعود الحدود نائية	من بعد هذا السيوس تبسم
ما أثبت الهم في الصدور إذا	أمنت لبالي الحياة تنهزم
وهذه الدار ككاهها تعب	سيان فيها الوجود والمدم
والناس كالنائمين ما لبثوا	فكل ما يشهدونه حلم
أبدع ذات المهاد مبدعها	فأين راحته بأهلها ارم



فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيصرون أحسنه أولئك الذين هدام
البيوتهم هم أولو الألباب

الحج
١٣١٥

يحيى الطائفة من رجاء يوم يبعث
الجنة من أولئك حجراً كثيراً وكثيراً
تذكر إلا أوز الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « مناراً » كنفار الطريق)

مصر في يوم الجمعة غرة صفر سنة ١٣٢٠ ٩٥ مايو (أيار) سنة ١٩٠٢

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٤ — الأجوبة عن شبهات العصمة)

(المسألة ٩٠) معصية آدم عليه السلام علمنا أن مذهب جمهور أهل السنة ان الأنبياء معصومون بعد النبوة لا قبلها فلا تردُّ معصية آدم على هذا المذهب لأنه لم يكن نبياً حتى عصى ربه بل لم يكن في طور التكليف إلا بالنسبة إلى النهي عن الأكل من الشجرة . ولا ترد أيضاً على ما اختاره المتأخرون من عصمتهم قبل النبوة (وإن كان يلزم منه أن هناك أحكاماً قبل التشريع والوحي) لأن الدليل العقلي الذي يمكن أن تثبت به هذه العصمة لا يأتي في مسألة آدم وهو أن يكون من اختاره الله للنبوة معروفاً في قومه بمكارم الأخلاق وأحسن الأفعال لأن سيرة عمقوت منبوذة تحفظ مساويه وجرائمه فتحول دول قبول دعوته وكون هذا لا يجيء في مسألة آدم بديهياً لا يحتاج إلى بيان . فإن قيل إن الدليل يرشد إلى أن فطرة الأنبياء زكية ونفوسهم عالية فهم ينفرون من المعاصي والجرائم بوازع نفسى راسخ فيهم كما علم من إثبات النبوة والوحي فكيف يقترب آدم تلك المعصية مع كونه خالق في أحسن تقويم وأكمل صفة ؟ والجواب ان صاحب النفس الزكية تربأ به نفسه عن تعدد إتيان المنكر وارتكاب الفاحشه التي يعرف مضررتها وسوء عاقبتها وآدم لم يعتمد المخالفة بدليل قوله تعالى « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَنُوسٍ » ولم يكن عالماً بوجوه مضررتها لتفريطه منها بل كان يستقد صدق الشيطان الذي وسوس إليه بأنها شجرة الخلد وملك لا يبلى فهذا الاعتقاد دفعه عند نسيان النهي إلى الأكل

ليكون مظهر لهذا النوع الذي هو أبوه وليعلم من بعده من ولده غير
المعصومين ما يجب على من عصى ربه من التوبة والإنابة إلى الله تعالى
على أن في قصة آدم وجهاً في التأويل ، بأنها وردت مورد التمثيل ،
لإظهار طبيعة النشأة البشرية . في أطوارها التدريجية ، فالجنة والعيش
الرغد فيها مثل لما كان عليه النوع البشري في طور السذاجة الأولى
وعصيان آدم وهبوطه هو وزوجه من الجنة مثل لدخول البشر في طور
المخالفات التي تجر عليهم الشقاء والبلاء . والتوبة والمغفرة مثل لطور
الكمال الكسبي والارتقاء المعنوي والعمل (سيأتي إيضاح ذلك في باب
التفسير المقتبس من مفتي الديار المصرية) .

(م ٩١) قصة داود عليه السلام ولع بالإسرائيليات بعض الذين اشتغلوا
بتفسير القرآن بالمأثور فألصقوا بالقرآن ما تلقفوه من أهل الكتاب لأدنى
مناسبة ولولا ذلك لما كنا محتاجين إلى الجواب عن هذه الشبهة بعد
ما قررنا في الدرس الماضي الفرق بين ذنوب الأنبياء وبين المعاصي الحقيقية
التي عصمهم الله تعالى منها

القرآن مهيم على الكتب السماوية ، لأنه ثابت بالتواتر دونها فما
أثبتته فهو الثابت وما انفاه فهو المنق . وقصة داود مع الخصم ليس فيها بحسب
نص القرآن إلا أن اجتهد داود اختلف في قضيتين متشابهتين فمرقه الله
خطأ الاجتهاد الأول بما عداه إليه في الثاني لأن خطأ الأنبياء في اجتهدهم
لا يقرؤون عليه كما تقدم في الدرس الماضي عن البيضاوي . هذا إذا كان
لقصة المرأة أصل وإلا فإن قضية الخصمين الذين تحاكموا إلى داود عليه السلام
ليست نصاً في أنه أخطأ في قضية أو تزوج امرأة بعد ما عرض زوجها

للقتل أو غير ذلك مما يزعمون . القضية أن أحد الخصمين له تسع وتسعون
 نمجة وللآخر نمجة واحدة فطلب الأول أن يضمها إلى نجاها وحاج
 صاحبها في بيان أن ذلك هو الصواب والأولى فعزّه وغلبه في الخطاب
 والكلام فحكم داود بأن صاحب التسع والتسعين ظالم وأن من شأن
 الخلطاء البنى . ولكن ختم النبأ بقوله تعالى : « وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ
 فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . فَفَعَّرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى
 وَحُسْنَ مَآبٍ » يدل على أن وراء القضية أو فيها هفوة لداود . ولقائل أن
 يقول : يحتمل أن تلك الهفوة في نفس الحكم فإنه لا يبعد أن يكون الصواب
 ضم النمجة إلى القطيع لتحفظ وتأتي بالنسل وأن بقاءها عند صاحبها
 مضيمة لها فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية كما ورد في الحديث الشريف .
 واعتراف المدعي بأن خصمه عزّه في الخطاب دليل على أنه لم يطلبها إلا
 بحق وبموضع كثر المثل أو منفعة أخرى من اللبن أو النسل
 وفي البيض - أوى وغيره احتمال آخر في التأويل مروي وهو أن
 الذين تسوروا المحراب كانوا يقصدون اغتيال داود في يوم انفراده
 فوجدوا عنده قوماً فتصنعوا بالتحاكم فلم غرضهم وقصد أن ينتقم منهم
 ثم لم يجد مسوغاً شرعياً فماتت نفسه وظن أن الله تعالى أراد ابتلاءه
 واختباره بذلك فاستغفر ربه مما تم به لأن ذلك ذنب بالنسبة إلى مقامه
 وإذا كان لقصة امرأة أوريا أصل فيجب أن يكون مطابقاً لقضية
 الخصمين بأن يكون داود اعتقد أن امرأة جميلة في بيت جندي فقير
 حاف أسفار لا سلم من تطلع السفهاء وتعرض الفجار وأن الطريقة
 المثلى لصيانتها هي أن تكون في بيت النبوة والملك وأنه كلم زوجها في أن

يكون ذلك من حيث أنه ظن أن اجتماعه في أمر المرأة مشوب بشئ ومن ميل النفس إلى كفالتها وأنه هذا الميل هو الذي رجَّح في نفسه الرأي الأول بدليل أنه ظهر له خلافة في قضية تشابه الأولى ومثل هذا يمدده هؤلاء الكمالة ذنباً وإن لم يكن فيه مخالفة لأمر الله تعالى وحيد عن شريعته .
ومن تأمل ما تقدم القصة وما تأخر عنها من الثناء على دأده عليه السلام علم أن القرآن ينزهه في حكمته وبلاغته أن يكون ذكر الفاحشة فيه محققاً بهذا الثناء والإطراء. ويقال إن تنازل الرجل عن امرأته لآخر ليتزوج بها كان مشروعاً عندهم . وقد آثر الأنصار المهاجرين (رضي الله عنهم أجمعين) بزوجاتهم فكان من عنده امرأتان يطلق إحداها ليتزوج بها أخوه المهاجر . وفي القصة روايات كثيرة في كل فرع من فروعها لا يعبأ بها أهل العقل ولا أهل النقل . فإن قبلنا منها شيئاً فلنقبل ما يوافق قواعدنا الثابتة كرواية أن أوربا لم يكن متزوجاً بالمرأة وإنما كان خاطباً ورواية نهى الإمام على كرم الله وجهه عن التحديث بالقصة على ما يرويه القصاص ووعيده من خالف بجند مائة وستين جلدية وذلك حد القرية على الأنبياء عليهم السلام (م ٩٢) الشبهة الأولى على سليمان عليه السلام حاسب الله القصاص فلقد

شوهوا كتب التفسير بقصصهم ، استعرض سليمان نبي الله وملك بني إسرائيل الخليل وهو نعم المبدع إذ عُرِضَ عليه بالعشي الصافيات الجياد . فقال إني أُحْيِيَّتُ حَبَّ الْخَيْرِ المفقود بنواصي الخليل لا عن هوى نفسي ولكن « عَنْ ذِكْرِ رَبِّي » ووحيه الذي أمر برباط الخليل للدفاع عن الحق . فما زالت تعرض « حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ » فقال « دُؤِّهَا عَلَيَّ » لأراها

مقبلة ومديرة أو لأختبر حالها . فقد قيل : إنه كان عالماً بها بأمرائها
أو لا تمتنع بمسح سوقها وأعناقها فردوها عليه « فطَفِقَ مَسْحًا بِالشَّوْقِ
وَالْأَعْنَاقِ » كما هو شأن محبي الخيل في كل جيل وزمان . فأي شبهة
شبهة في هذه الآيات على أن سليمان عليه السلام ترك صلاة العصر شغلاً
بالخيل حتى غربت الشمس وأنه انتقم منها بقطع سوقها وأعناقها - ولو كان
المسح هو القطع لكان قوله تعالى « فامسحوا برءوسكم وأرجلكم » بمعنى
اقطعوها - وأن قوله (ردوها علي) خطاب للملائكة الموكلين بالشمس
يأمرهم بردها بعد غروبها ليصلي العصر وأي حاجة لتطويل الفقهاء
البحث في هذه الصلاة هل هي أداء أم قضاء؟؟ ولكن هذا قضاء الله في
قوم اشتغلوا عن لباب العلم بلوك القشور ، ألا إلى الله تصير الأمور .

(م ٩٣) الشبهة الثانية على سليمان عليه السلام روي في تفسير قوله تعالى
« وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ » روايات مضطربة
متعارضة فإذا حكمنا علم الرواية فإننا نقبل رواية البخاري ومن وافقه
وملخصها أن سليمان قال : لأطوفنَّ الليلة على أربعمائة امرأة (من نسائه) تأتي كل
واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فلم تحمل منهن إلا
واحدة جاءت بشق رجل فالتقى على كرسيه عرضاً عليه وصمى جسداً لأنه
ليس إنساناً كاملاً فكان ذلك فتونا واختياراً من الله تعالى له فأناوب إليه
وتاب أن يحزم بشيء دون الاستثناء بمشيئته فأين التماثيل وعبادة الأصنام
ووثبان الشياطين على كرسى الملك وما أشبه هذا الهذيان الذي روي؟؟

(م ٩٤) الشبهة على عصمة يوسف عليه السلام إن ما جرى ليوسف مع
امرأة العزيز كان قبل نبوته وليس فيما قصه الله تعالى علينا إلا أنه « دُمِّمَ بِهَا »

لولا أن رأى برهان ربه» فيجوز أن يكون جواب لولا محذوف يدل عليه ما قبله فتكون الآية ناطقة بأنه لم يهمل قبح بعض النجاة جوز تقديم جوابها أي أنه لولا رؤية برهان ربه لهم بها لتوفر الدواعي ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء فلم يهمل ولو فرضنا أن الجواب «لغشيتها» وأن الهمل وقع منه لكان لنا أن نقول إن الأنبياء ليسوا معصومين من حديث النفس ومرادة الشهوة البشرية ولكنهم معصومون من طاعتها والالتقياد إليها ولولم توجد عندهم داعية إلى خطأ لما كانوا مجبورين على ترك المنكرات والمعاصي لأنهم يكونون مجبورين على تركها طبعاً والعين لا يؤجر ويثاب على ترك الزنا لأن الأجر لا يكون إلا على عمل والترك بغير داعية ليس عملاً وأما الترك مع الداعية فهو كف النفس عما تتشوف إليه فهو عمل نفسى

(م ٩٥) الشبهة على إخوة يوسف لا شك أن إخوة يوسف قد ارتكبوا

المعصية المشتملة على عدة معاصي ولكنهم لم يكونوا أنبياء . وأما ذكر الأسباط فيمن أوحى الله تعالى إليهم من الأنبياء فالمراد به (والله أعلم) أنبياء الأسباط وهم فرق بنى إسرائيل الاثنى عشر قال تعالى « وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً » وقد بعث الله في كل أمة من هؤلاء الأسباط أنبياء وأوحى إليهم فعل الخيرات وهداية بنى إسرائيل . وما رواه ابن جرير الطبري من استغفار يعقوب لهم في وقت السحر وتأمين يوسف هليهما السلام وأن الله استجاب له على رأس العشرين سنة من مجوعائه وأوحى إليه أنه غفر لهم « وعقد مواعيثهم على النبوة » فهو غير صحيح هذا هو الحق في هذه القصص وقد انكشفت به الشبهة فينبغي أن يلحق للمسلمين في الدروس ويعلم للأطفال لكيلا يفتر أحد بما في كتب المهد

العتيق التي يسمونها التوراة وبما حشي في كتب قصص الأنبياء وبعض التفاسير من الإسرائيليات، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿ لا وثنية في الإسلام ﴾

(نبذة من الجزء الثاني من كتاب أشهر مشاهير الاسلام الذي يطبع الآن)

« رأيت ما قاله عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار وهو قول لا تحب أن يفوتنا البحث فيه ، لهذا رأينا أن نقرده له هذا الفصل فنقول ﴿١﴾ أولع الإنسان بالإفراط ، كما أولع بالتفريط في كل شؤونه الروحية والجسمانية ، ولو أنصف واعتدل ولم يطلق لنفسه العنان ليلعب مقام الملائكة في أعلى عليين أو يهبط بها إلى مقر الشرور في أسفل سافلين لكانت السمادة الدائمة به ألزم وطريق النعيم الحيوي لديه أوسع ، ولما احتاج إلى كثير من هذه القوانين وقوامها وزعماء السيطرة وجنودهم والحكام وأعوانهم والسجون وحراسها ، بل ولكان اكتفى بدين واحد قويم وشرع إلهي مستقيم ولم يشوّه وجه الشرائع ولم يدع لتعدد الأديان وإرسال الرسل في آن وآن . -

أجل ، أولع الإنسان بالشطط حتى في العقائد ، فبينما يكون هذا في طرف التفريط مارقاً من كل دين منكرأ لكل نخلة هائماً في المادة التي يتناولها حسه وينكر ما فوقها عقله يكون الآخر مسلماً لعقيدته بما لا يبعد طبعه عن طبيعته طالباً بخياله ما يظن له قدرة فوق قدرته وسلطة أعلى من سلطته وأول ما يلاقه في طلبه يعلق بقلبه ويظنه متجعم عقله وانهاية التي

(١) يريد قول عمر لكعب « ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وحملك عليك » وذلك حين استشاره في أمر قبلة المسجد فأشار بحمل البصلي إلى الصخرة

يطلبها في سيره فتولع به نفسه ويقوى فيه أملة ويختص به عمله فيغلو في عبادته غلو المادى في مادته حتى يساويه من طرف الأطراف بالتوجه تارة للأقار وأخرى للأشجار وآونة للأحجار ووقتاً للأرواح وآخر للأشباح إلى غير ذلك مما هو داخل في المادة قريب من تناول الحس . فكان العقل الإنسانى في حال الإيمان والكفر أسير المادة لا يفلت من شرك الحس ولا يذعن إلى ما فوق المادة ويصعد إلى أفق الكمال إلا هنيهة ريثما يتلقى برهان ربه بواسطة الأنبياء ويطمئن إلى التسليم بقوة إلهية تفوق قوى المادة وتعلو عن العقل وتتحكم على الكائنات تحكم الصانع المختار ثم لا يلبث أن ينحط عن هذه المرتبة فيعود إلى نحيزته الأولى للهبوط إلى هوة القصد والتوجه إلى مظاهر المادة ولو تدرجاً حتى ياتصق بالحضيض ويعود إلى الشرك وهو يظنه الإيمان ويخاله منتهى العبادة وإن من دين إلا أصيب أهله بهذا المصاب وأشركوا مع الله الأرواح تارة ، وأخرى الأنصاب . توصلاً إليه على زعمهم بالحس وارتياحاً إلى ما تحت النظر والمقل والله سبحانه وتعالى فوق ما يتصورون ليس من المادة ولا المادة منه بل هى مخلوقة له مفتقرة إليه وليس بينه وبين خلقه سبب منها يتوصل به إليه بل هو كما قال في كتابه الكريم (الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) الآية ومن الثابت أن العرب كانوا على دين إبراهيم الذى هو كباقي الأديان الإلهية دين التوحيد بالله والإيمان بأنه تعالى خالق الكون وما فيه وإنكار مادون ذلك من الاعتقاد بشيء من المادة ومن التمسك فى العمل بأهداب الشرك ولكن لم يلبثوا أن تدرجوا فى مدارج المادة وهبطوا إلى حضيض

لشرك وتدرجوا من الاعتقاد بالأرواح إلى الاعتقاد بالأشخاص ثم إلى الاعتقاد بالأنصاب والأحجار وغير ذلك مما هو داخل في المادة واقع تحت الحس وهم مع ذلك كانوا يزعمون أنهم مؤمنون لا مشركون وأنهم بعبادة المادة يعبدون الله ويتقربون بها إليه كما أخبر عن ذلك القرآن بقوله تعالى « ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وهذا من الإغراق في الجهل والانهطاط في العقيدة والإفساد لأصل التوحيد ولم يكن هذا الإفساد قاصراً على العرب فقط بل عمّ سائر أرباب الأديان مما لا محل لبسطه الآن

إذا تمهد هذا علمنا أن الإسلام بما جاء به من آيات التوحيد الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك إنما جاء لاستئصال شأفة الوثنية من نفوس العرب وغيرهم من أرباب الأديان بمحو شائبة الاعتقاد بأي أثر من آثار المادة وصرف النفوس عن التوجه إلى تلك الآثار بالحس لتوجه إلى واجب الوجود بالضمائر والاكتفاء باستحضار هبة جلالة في القلب وتمكين الاعتقاد بأن الأثر الواقع تحت الحس إنما يقوم قوامه بالمؤثر المستحضر في الضمير الخارج عن الحس إذ بغير هذا لا يقوم للتوحيد أثر متين في النفس ينجي من مزلّة القدم إلى الوثنية المفضية إلى الشرك المؤدى إلى الجحود وإنما الإنسان مادة وهذه أعراض منها تنمو وتعمم في النفس مادامت النفس مستشعرة بشيء من وجوب التعظيم لغير الله تعالى والتوجه لأي أثر من آثار المادة وساء منقلب الظالمين

هذا هو التوحيد الذي جاء به الإسلام ودعا إليه النبي محمد عليه الصلاة والسلام وإنما اضطربت العقول وسامت الأوهام لتفاوت الأفهام وتباين مراتب المسلمين في العلم بحقيقة الدين والإحاطة بأسراره والوقوف

على جميع مقاصده حتى على عهد الرسالة وإليك الدليل
أخرج الإمام أبو الفرج بن الجوزي في سيرة العمريّة عن المروزي بن
سويد قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب في حجة حجها قال فقرأ بنا في
الفجر « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » « وإيلاف قريش » فلما
انصرف رأى الناس مسجداً فبادروه فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مسجد
صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هكذا أهلك أهل الكتاب
قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيما . من عرضت له فيه صلاة فليصل ،
ومن لم تعرض له صلاة فليمض .

فلو كان أولئك المصلون يومئذ في مرتبة عمر في العلم واستشعروا من
إقبالهم على ذلك المسجد للصلاة فيه تعظيماً له كما استشعروا به عمر رضي الله
عنه وعنهم أجمعين لما بادروا للصلاة فيه إلا إذا عرضت لهم صلاة ، ولا
جرم أن أعظم الناس فهماً للإسلام وعلماً بغوامض الدين ووقوفاً على مقاصد
النبوّة المحمدية وما كانت تدعو إليه من التوحيد البحت الخالي عن كل
شائبة من الشوائب التي مرّ ذكرها ، هم أهل السابقة من المهاجرين الأولين
الذين تلقوا الدين أنجماً كان ينزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لدن البعثة ولأزموا الرسول ملازمة الظل فاكتنوها سرّ شريعته
وأدركوا مرامي غرضه وقللوه في أعماله وأقواله واتبعوا منهجه واهتدوا
بسيرته فتفوقوا على غيرهم في العلم بالدين وعرفوا حقيقة التوحيد ، ومن
هوّلاء من هم في المرتبة الأولى في فهم مقاصد الإسلام ، ومنهم عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ومن تتبع سيرته وأمن النظر في أقواله وأفعاله
وانطباقها على الكتاب الكريم ونهج السنة القويم ، علم ما هو التوحيد

الذي أرشد إليه الإسلام وعرفه أولئك الصحابة الكرام ، فأراحوا أن يحجوا به كل أثر من آثار الوثنية عن صفحات الضمائر والقلوب وحسب العاقل دليلاً على هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكمب الأحبار لما أشار عليه بجعل المصلى إلى الصخرة : « لقد ضاهيت اليهودية يا كمب إلى قوله : اذهب إليك ^(١) » فإننا لم نؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة » وقد مرّ الخبر في الفصل السابق نقلاً عن الطبري ، ولأجله عقدنا هذا الفصل ليكون به عبرة وذكرى لقوم يقولون .

تقدم معنا كيف تدرّج العرب إلى الوثنية حتى أنسوا بلبس الأحجار وعكفوا على عبادة الأصنام وأن أصول التوحيد عند أرباب الأديان كلها أنسنت تدريجاً كما حصل في دين العرب وإنما كان مبدأ هذا التدريج الاستسلام للشعور بوجوب تعظيم مظهر من مظاهر المادة يقطن أن له صلة بما فوق المادة كالمعابد مثلاً ثم يأخذ هذا الشعور ينمو ويتعدى المظهر الأول إلى غيره ويتدرج في أطوار التبعيد له حتى تنقلب صورة التوحيد المرتسمة على صفحات الضمائر إلى صورة من صور المادة متجسمة للحس ويستحيل الإيمان بالله واحد فوق المادة إلى آلهة شتى كلها من المادة أولها صلة بها وهذا هو الشرك التام الجلي ومبدؤه ذلك الشرك الخفي ولم تكن دعوة الإسلام قاصرة على استئصال الوثنية فقط ، بل كان من مقاصدها الأولى والغايات التي ترمى إليها بل من أولها بالاهتمام وأجدرها بالعناية تطهير النفوس من كل أثر من آثار ذلك الشعور الفاسد ولو أشبه بدقته دقة الجرثومة الحية التي لا ترى إلا بالنظارة المكبرة إلا أنها إذا وجدت

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في تاريخ الطبري بهذا اللفظ ولعلها إليك عنى اه من الأصل

منبتاً صالحاً لها تولد عنها مالا يحصى من الجرائم في بضع ثوان ، فمن قال بخلاف ذلك أو ظن أن الإسلام يتسامح في تلك الجزئيات أو يبيع تعظيم أى مظهر من مظاهر المادة تعظيماً دينياً فقد أخطأ ونسب العيب إلى دين الله لهذا . ولما أشرب قلب عمر (رض) من التوحيد الحق الصادق لم يتسامح مع كعب الأجار حتى في خلمه نعليه عند دخوله المسجد الأقصى وأخذه على عمله ذلك كما أخذه على رأيه في جعل المصلّى إلى الصخرة كما رأيت وسترى من أخباره بهذا الصدد إن شاء الله .

هكذا كان فهم كبار الصحابة للدين ، ومن أممن النظر في قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه في إحدى خطبه التى مرّ إيرادها في هذا الكتاب وهو « ان الله لا شريك له وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يطميه به خيراً ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره » . يعلم كيف كان أولئك الصحابة الكرام يعلمون الناس التوحيد ويقتلعون من أعماق قلوبهم أصول الشرك ورحم الله امرءاً حاسب نفسه وعرف دينه وتأدب بأدب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ونبذ بدع النفوس وأهواءها وتنكب مواضع الزلل ومواقع الخطل وسوء الفهم والله ولى الرحمة وهو القاهر فوق عباده . اهـ

﴿ باب شبهات المسيحيين وحجج المسلمين ﴾

نشرت مجلة بشار السلام الانجليزية في الجزء الرابع عنها نبذة في الطمن بالمسلمين عامة وبأكابر الصحابة انكاراً مخاصمة وذلك أن عابثهم وعابث دينهم بالرجاء لفضل الله والخوف من الله ، وهذا مبالغ القوم من

العلم بالله وبتدين الله - أثبتت « أن كثيرين من المسلمين يموتون على بساط الرجاء بدخول الجنة والتنعم بنعيمها بناء على ما لهم من المواعيد الكريمة في قرآنهم » إلى أن قالت : « وما علة ذلك سوى جهلهم حقيقة أنفسهم وكلمات الباري تعالى » ثم قالت مستدركة : إن أولى العلم والذكاء من المسلمين غالوا في النسك والتعب والصلاة والابتهاال إلى الله تعالى وجعلت علة هذه العبادة أنهم لم يجدوا ما يريح نفوسهم من الشهور بقتل حمل خطاياهم . واستشهدت على المأول دون العلة بكلام في الخوف من الله عن أبي بكر الصديق وعلى بن أبي طالب وسفيان الثوري وعدت سفيان من الصحابة وما هو من الصحابة ولكن العلم ليس شرطاً للقول عنده هؤلاء المشاغرين وفي العبارة أيضاً تحريف وليست الأمانة من شروط النقل عنده هؤلاء المبشرين وما لنا وللبحث في الروايات التي نقلتها وبيان التحريف ، وصف الضعيف ، نضرب عن ذلك صفحاً وعن العبارات التي أساء بها الكاتب الأدب مع هؤلاء الأئمة الذين يفتخرون بهم النوع الإنساني ، ولو صدق المسلمون هذه الكتب التي تسمى التوراة وسمع لهم دينهم بتفضيل أحد على الأنبياء لكان لهم من التاريخ ما يفضلون به هؤلاء الأئمة على أنبياء التوراة إذ لم ينقل عن واحد منهم مثلاً نقل القوم عن أنبياءهم من القسوة والعظم والسكر والزنا وسفك الدماء برأهم الله مما قالوا . تنقض الطرف عن هذا ونبين للقراء أن الغرض من ذم الخوف والرجاء اللذين هما الركنان لكل دين صحيح هو تقرير قاعدة إباحة المأخوذ والشرور التي هي العنوان لبشارتهم والجاذبة إلى دياتهم ، وهي أن النجاة في الآخرة من العذاب والحياة الأبدية في الملكوت إنما يحصلان باعتقاد أن الإله لم يجد وسيلة لنجاة البشر

من ذنب أبيهم آدم إلا بخلوله في جسم إنسان وتسلط طائفة كانت أفضل الشعوب عليه وصلبها إياه وصيرورته مملوناً بحكم الناهوس والشرعية !! فن أطفأ سراج عقله وأفسد فطرة نفسه وسلم بهذه القاعدة فهو الناجي الذي يرث الملكوت الأعلى وإن قتل وزنا وسكر وأكل أموال الناس بالباطل وظلم المباد وكان آفة العمران . ولذلك صرح الكاتب الذي لا أقدر أن أسفه إلا بكونه مبشراً داعياً إلى هذه العقيدة بأن سبب خوف أبي بكر وعلى وسفيان من الله هو جهلهم بقاعدة الفداء ، يعني أنهم لو عرفوها وصدقوا بها لكانوا عاشوا آمنين من مكر الله وعذابه يسرحون ويعرجون في أهوائهم وخطوئهم . والحاصل أن المسلم الذي يغلب عليه الرجاء بفضل الله ووعدده بالحسنين بالنعيم جاهل ضال ، والذي يخاف الله هيبته وتمظيماً أو لاتهم نفسه بالتقصير في الأعمال الصالحة النافعة للناس وفي المعارف والكمالات المزكية للنفس ، فهو جاهل ضال . وأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله من غير تفرقة بينهم وتهذيب الأخلاق وإصلاح الأعمال كل ذلك لا ينفع المسلم الصادق ولا يفنى عنه شيئاً . فما حيلة المسلم المسكين إذا ابتلاه الله تعالى بسلامة الفطرة ونور العقل فلم يقبل تلك القاعدة التي تفصّي منها الدين تربوا عليها تقليداً لما عقلوا وميزوا . على أن كتب القوم لا تخلو من نصوص تدل على أن ربهم ومقدسيهم كانوا يخافون من الله تعالى ويرجون رحمته لأنهم لم يكونوا إباحيين بل كانوا قوماً صالحين

إن القرآن الحكيم علمنا بأن دين الله تعالى واحد في جوهره ، وأن جميع الأنبياء وصالحى المؤمنين بهم كانوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن صفات الحوادث وإفراده بالعبادة والخوف الزاجر عن المعاصي والشرور

والرجاء الباعث على الخير والصالح وإننا نرى جميع عقلاء المسيحيين يوافقوننا على هذه القاعدة ويودون أن يهتدى إليها دعاة كل دين ورؤساؤه ليكون الدين كما شرع الله سعادة للبشر، لا وبالا وشقاء عليهم، ومثاراً للخلاف والشحناء والبغضاء بينهم

وقد ذكر الإمام الغزالي أنواعاً للخوف كخوف الموت قبل التوبة وخوف نقض التوبة ونكث العهد وخوف ضعف القوة عن الوفاء بالحقوق وخوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة وخوف الميل عن الاستقامة وخوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة وخوف الفرور بالحسنات وخوف البطر بكثرة النعم وخوف الاشتغال عن الله بغير الله وخوف الاستدراج بتواتر النعم وخوف انكشاف غوائل الطامات بأن يبدو للمرء ما لم يكن يحتمسب وخوف تبعات الناس عنده في نحو غيبة أو خيانة أو غش أو إضرار سوء وخوف ما عساه يطرأ عليه في مستقبله وخوف نزول البلاء وخوف الاغترار بزخرف الدنيا وخوف اطلاع الله على السريرة في حال الفلة وخوف سوء الخاتمة ويمكن استنباط أنواع أخرى. وأعلى الخوف خوف المهابة والإجلال لله عز وجل. وكل ذلك من الذنوب عندهؤلاء البشرين

﴿ القسم العمومي ﴾

﴿ الإسلام في انكلترا ﴾

رأينا في كرامة سياسية تسمى (ديبلوماسيك فلي شينس) أى المنشورات السياسية لشهرى نوفمبر وديسمبر سنة ١٨٨٧ مقالة بامضاء المستر جورج كرواشي أحد أعضاء البرلنت الانكليزي أخذنا منه ما يأتى تعريبه وهو

الإسلام دين لا يبتدع أحكاماً ولا يخترع للوحى أساساً جديداً

ولا يوصى بغير معهود ليس له كهنوت خاص ولا رئاسة كنسية ولكنه
يسن للملة شرعاً وللدولة قانوناً يكون تنفيذها باسم الدين ، هذا ما قاله
(داود ارقوهارت) في المجلد الأول من كتابه المسمى بروح الشرق في
الصفحة الخامسة والعشرين من مقدمة طبعته الثانية سنة ١٨٣٩

إن حقيقة الإسلام التي أباط الحجاب عنها أولاً من اشتهر بروح
الشرق وأبرزها للمرتابين من الغربيين لم تزل تزداد وضوحاً منذ كشفها
حتى تجأت اليوم بنفسها على وجه لم يبق معه الا كاذيب المفتراة على
الإسلام سبيل لسلطانها على النفوس فيما بعد ذلك التجلى الباهر كان
فيما ألقاه القسيس (اسحق طيلر) من خطابه في المحفل الديني ، صدق
أرقوهارت في دعواه أن حقيقة الإسلام أمر مسلم عند كثيرين فالنبلاء
الكرام (بالكراد) و . مبرى . و . راوولسون . و . لا يارد . و . رولاند
و . ستانلي اوف الدرلي . و . ديشانسكي وقوم آخرون من قبيلهم
شاركوه في البصيرة وصدقوه فيما قرره وكل مسافر عاشر الأقسام
المحمدية وأنس إليهم فله عنهم خبر محمود ومع ذلك كله نرى الجمهور في
انكلترا لم تزل آراؤهم في مواقفها الأولى . كانت الحقيقة في احتجاج عن
أنظار العامة لأن أكثر أهالي انكلترا مصروفون إلى النصرانية عن
النظر فيها سواها وتوارثوا فيها عصبية تظهر لهم في شعار الدين أما الآن
وعد قم فسييس محترم من البيعة الإنكليزية يصدر بهذا الحق فلا بد أن
يرى إلى قراءه ويدعونه ملايين ممن كانوا يجلدون أصابعهم في آذانهم
ويعرضون عن مقالات قوم يعدونهم سيا حيلة أو متفلسفين

هذه الحقائق مما لا يقبل الإنكار وإنما كان الإشكال في ضيق

اجتلاب الخواطر إليها حتى تحتلها وحيث زال هذا الإشكال بهمة أحد القسيسين المحترمين فالغاية المطلوبة أصبحت مما لا يشك فيه مفسر الدين قبلوا نصيحة داود ارقوهارت . ليس السعى لبيان أن الإسلام مما يمكن احتماله فقط بل لم نزل نطلب أن يكون من النفوس في مكانة الاحترام وقد استيقنا الآن أن رجاءنا المرجأ قد تحقق ومدعانا الحق قد سلم به . لا ينبغي أن يظن أننا نحسب دين الاسلام مخالفاً للدين المسيحي فذلك مما لم يخطر لنا ببال قط وقصاري ما تقول إن الغاية من كل دين إنما هو العمل الصالح والمسلك المستقيم واسننا نحكم على أبناء جنسنا إلا كما قال المسيح عليه السلام « بشرايتهم تعرفونهم » وحيث استمسكنا بهذا الأصل قلنا أن نجهر بأن المعتقدين بالدين المسيحي في هذه الأوقات ليسوا بمنزلة يفضلون بها على المسلمين . هذا الحق ننادى به ونحن على يقين منه ونحث الذين يقولون إننا نصارى على أن يضموا الإسلام في منزلة تنطبق على الواقع ونفس الامر فإن استطاعوا أن يدحضوا حججتنا بالبراهين الساطعة فليحملوا على مكائهم وإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فليكن نظرهم إلى الإسلام على حد ما يتنا مناسباً للحقيقة الواقعية ولينصفوا الإسلام ذلك الدين القيم الذي هو نظام لميشة قسم عظيم من أمم كريمة كثيرة العدد من النوع البشري مما يهيم الشعب الانكليزي خاصة أن يتخلصوا من أطوار التعصب التي لا تنحصر آثارها في إلحاق المار بهم فقط بل تمتد إلى جانب المضرة عليهم أيضاً لأن الحضرة الملكة ملايين من رعاياها كلهم مسلمون ونحن في مقام على أحد جانبيه دولة الرومية وعلى الجانب الآخر الدولة العثمانية ولا يمكننا أن نزع عدم المبالاة بعقائيل الحروب التي ظمت على موقها

بين هاتين الدولتين من أمد بعيد ، وإلى الآن لم تضع أوزارها وضماً حقيقياً . إن الدولة الروس لا ينكحها أن تنكرن من حرب مستمرة لكنها لاتراعى ما تكلف به من شروط السلام . ولا يزال وكلاؤها الخفيون مشتغابن بالعمل (كذا) وما من زمان إلا والحدوف من الروسية ضرورى للباب العالى وهذا مجموع أحوال توجب على دولة الانكليز أن تسأل نفسها آنا بعد آن : هل لنا أن نقاوم الروسية أو ندعها وشأنها ؟

كل وجه من وجوه السياسة يتعلق بسلامة الدولة الانكليزية وبقائها ، يرشدنا إلى الاعتراف لنزوم عقد معاهدة مع الدولة التي لم تضرنا قط وفتحت فرصها لتجارتنا وأبواب بلادها لأشغالنا أما المسيحة الفارغة بأن الروسية دولة نصرانية وندولة العثمانية دولة محمدية فتد كان لها إلى الآن أسوأ الأثر فى إعماء عقولنا وخطائنا فى سياستنا ، فلأخذ من الآن بأصل صحيح وهو أن نعلق الحكم بالأعمال لا بالمقائد فإنه ليس خاصا بالأفراد بل كما يكون بها يكون بالأقوام والدول أيضاً ، فإن قاربنا بين ررسييتنا النصرانية وبين العثمانية المحمدية لم يشك فى أن المعاهدة مع العثمانية هى التى تظهر أفضليتها عند الحاكمين بالحق أجمعين وإذا ذكرنا المعاهدة العثمانية فلا نستعمل اللفظ فيها بمعناه السياسى أو تركيبه الدبلوماسى ولا ينبغي أن يفهم ذلك من كلامنا إنما المعاهدة التى كنا نجتهد فى إعدادها لسنتين طويلة كانت معاهدة مبنية على شروط مساواة مؤسسة على الاحترام من الجانبين وظهر لنا فى الأزمان الماضية أن يكال مثل تلك المعاهدة من المحال . أما الآن فلا نقول إنها من قبيل الممكن القاتى فقط بل صارت من قبيل ما بالقوة القريبة من الفعل

﴿ تمة الاجتماع ٢ لجمعية أم القرى — الداء أو الفتور العام ﴾

أجابه (المرشد الفاسي) إنا كنا على عهد السلف الصالح وشريعتنا سمحة
وإنحة المسالك ، عروفة الواجبات والمأهي فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وظيفة لكل مسلم ومسفة وكنا في بساطة من العيش متفرغين لذلك ثم شغلنا شأن
التوسع فخصصنا لذلك محتسبين ثم دخل في ديننا أقوام ذوو بأس ونفاق أقاموا
الأكساب مكان الاحتساب وحصروا اهتمامهم في الجباية وآلها التي هي الجندية
فقط فبطل الاحتساب وبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبعاً فهذا يصاح
أن يكون سبباً من جملة الأسباب ولكنه لا يكفي وحده لإيراث مانحن فيه من الفتور .
على أن انحصار مهمة الأمراء الدخلاء في الجباية والجندية أدى بهم إلى إهمال
الدين كلياً ولو لا أن في القرآن آيتين اثنتين لهجروه ظهرياً أحدهما قوله تعالى
(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) مع الغفلة عن المراد بكلمة (أولى)
ما تقتضيه صيغة الجمع وما يقتضيه قيد منكم . والثانية قوله تعالى (وجاهدوا في
سبيل الله) مع اغفال بيان الجهاد المأمور به هل هو ما يكون به اعزاز كلمة الله ثم
ماتوا به سلطنة الأمراء العاملين على الإطلاق ؟ فإهمال الاهتمام بالدين قد جر المسلمين
إلى ما هم عليه حتى خلت قلوبهم من الدين بالكلية ولم يبق له عندهم أثر إلا على
رؤس الألسن لاسيما عند بعض الأمراء الأعاجم الذين ظواهر أحوالهم وبواطنها تحكم
عليهم بأنهم لا يترأون بالدين إلا لقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الأمة . كما أن
ظواهر عقائدهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم مشركون ولو شركاً خفياً من حيث لا يشعرون
فاذا أضيف إلى شركهم هذا ما هم عليه من الظلم والجور يحكم عليهم الشرع
والعقل بأن ملوك الأجانب أفضل منهم وأولى بحكم المسلمين لأنهم أقرب إلى العدل
 وإقامة المصالح العامة وأقدر على عمارة البلاد وزقية العباد وهذه هي حكمة الله في
نزع الملك من أكثرهم كما يقتضيه مفهوم « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها
مصلحون » (١) وقد افتخر النبي عليه السلام بأنه ولد في زمن كسرى انوشروان عابد
السكراب (٢) فقال : « ولدت في زمن الملك العادل » (٣)

(١) الظلم هنا الشرك (٢) يظن أن اتخاذ الشمس إلى الآن شارة للملك في إيران
وكذلك اتخاذ الهلال والنجم شارة للملك عند الترك هو من بقايا دياناتهم الأولى
(٣) الحديث موضوع باطل وإن استشهد به بعض العلماء الأعلام ومنهم من حجة الاسلام

وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدول الإسلامية أنه لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسى) بغداد سنة (٦٥٦) أمر أن يستقى علماءها أى الرجلين أفضل السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر؟ فاجتمع العلماء فى المستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب حيث كان رضى الدين على بن طاووس حاضراً وكان مقدماً محترماً فتناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الظالم فوضع العلماء خطوطهم بعده .

ثم قال : إني أظن أن السبب الأعظم لمحتنا هو انحلال الرابطة الدينية لأن مبنى ديننا على أن الولاء فيه لعامة المسلمين فلا يختص بحفظ الرابطة والسيطرة على الشؤون العمومية رؤساء دين سوى الامام إن وجد وإلا فالأمر يبقى فوضى بين الجميع وإذا صار الأمر فوضى بين الكل فبالطبع تختل الجامعة الدينية وتتحل الرابطة السياسية كما هو الواقع . ومن أين لنا حكيم (كبسمرك) أو ملزم (كغاريبالدى) يوفق بين أمرائنا أو يلزمهم بجمع كلمتنا . وقد زاد على ذلك فقدنا الرابطة الجنسية أيضاً فان المسلمين فى غير جزيرة العرب ليف اخلاط دخلاء وبقايا أقوام شتى لا تجمعهم جامعة غير التوجه إلى هذه الكعبة المعظمة .

ومن المقرر المعروف أنه لولا رؤساء الدين فى سائر الملل وروابطهم المنتظمة المطردة أو من يقوم مقام الرؤساء من الدعاة أو مديرى ومعنى المدارس الجامعة المتحدة المبادئ، لصاعت الأديان وتشعبت أخلاق الأمم ونالهم ما نالنا من كون كل فرد منا أصبح أمة فى ذاته .

أجابه (الحقق المذنب) إن فقد الرابطة الدينية والوحدة الحلقية لا يكفيان أن يكونا سبباً للفتور العام بل لابد لذلك من سبب أعم وأهم . ثم قال أما أنا فالذى يحول فى فكرى أن الظامة هى من تشويش الدين والدنيا على لعامة سبب العلماء المدلسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله . وذلك أن الدين إنما يعرف بالعلم والعلم يعرف بالعلماء العاملين وأعمال العلماء قيمهم فى الأمة مقام الأنبياء فى الهداية إلى خير الدنيا والآخرة . ولا شك أن مثل هذا المقام فى الأمة شرفاً باذخاً يتعاضد على نسبة المهمل فى تحمل غنايه والتفكير بأعبائه . فبعض ضعيف العلم وفاسد الفكر تطلعو إلى هذه النحلة التى هى فوق طاقتهم وحسدوا أهلها المتعالمين عنهم وسجلوا لهم ارحمة والظهور فى مظهر العمى . تعظم . نأثر غراب فى الدين ، وسألو : سالك إلهدين . ومن العادة أن ينبجأ ضعيف العلم إلى التصوف كما يلجأ

فأقول المجد إلى السكر وكما ياجأ قليل المال إلى زينة اللبس والاثاث (مرحب
فصار هؤلاء يتعالمون يدلسون على مسكين تأويل القرآن بما لا يمتطه بحكم المطر
نكريم فيفسرون البسمة أو الباء منها مثلاً بسفر كبير تفسيراً مملوءاً بانط لا معنى
به أو تحكم لا يهان عليه ثم جاؤا الألة ورواية اسرار ادعوها وعلوم لدنيات ابتدعوها
وتسم مقامات اخترعوها ووضع أحكام لفقوها وترتيب قربات زخرفوها وبالأمعان
تجدهم قد جاؤا مصداقاً لما ورد في الحديث الصحيح « لتبعن سنن من قبلكم شراً
بشبر وذراعاً بذراع - وفي رواية : حذو القعدة بالقعدة - حتى لو دخلوا جحر حطب
تبعتموهم قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال هو شئ » . وذلك ان
هؤلاء المدلسين اقتبسوا ما هنالك كاه أو جله عن أصحاب التلعود وتفاسيرهم ومن
المجامع المسكونية ومقراتها ومن البابوية ورواية السر ومن مفاهاة مقامات البطارقة
والكردينالية والشهداء واسقفية كل بلد ومظاهر القديسين وعجائبهم والدعاة للبشرين
وصبرهم والرهبنات ورؤسائها وحالة الاديرة وبادريتها والرهبة أي التظاهر بالفقر
ورسومها والحمة وتوقيتها ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم في البسهم وشعورهم
ومن مراسم الكنائس وزينتها والبيع واحتفالاتها والترنحات ووزنها والترنحات
واصولها وإقامة الكنائس على القبور وشدة الرجال لزيارتها والاسراج عليها والخضوع
لديها وتعليق الآمال بسكانها . وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة والستار من
احترام الذخيرة وقديسة العكاز وكذلك إمرار اليد على الصدر عند ذكر بعض
الصالحين من امرارها على الصدر لاشارة التصلب . وانزعوا الحقيقة من السر
ووحدة الوجود من الحلول والخلافة من الرسم والسقيا من تناول القربان والمولود
من الميلاد وحفلته من الاعياد ورفع الاعلام من حمل الصليان وتعليق ألواح الأسماء
المصدرة باليدامة على الجدران من تعليق الصور والتماثيل واستفاضة والمراقبة من
التوجه بالقلوب انحاء أمام الأصنام ومنع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة
من خطر الكهنة الكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم وسد اليهود باب الأخذ
من التوراة وتمسكهم بالتلمود إلى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليداً لهؤلاء شبراً
شبراً واقفاء لأثرهم بالدخول حيث دخلوا جحراً جحراً وهكذا إذا تتبعنا البدع
الطارئة نجد أكثرها مقتبساً وقليلها مخترعاً .

وقد فعل المدلسون ذلك سحراً نقول الجهلاء واختلاباً لقول الضعفاء كالنساء

وذوى الاهواء والامراض القلبية أو العصبية من العامة والأمراء السلسى القياد طبعا إلى الشرك لأن التعبد رغبة أو رهبة لما بين أيديهم وتحت أنظارهم أقرب إلى مداركهم من عبادة إله ليس بجوهر ولا عرض وليس كئله شئ ولأن التعبد باللهو واللعب أهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع كما وصف الله تعالى عبادة مشركى العرب فقال « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » أى صغيراً وتصفيقاً وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقاً وشبهقاً وخلاعة واميقاً (مرحى) .

والحاصل انه بذلك وامثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ولا سيما بدعوى فئة منهم الكرامة على الله والتصرف بالقادر وباستمالتهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتكشف الشيطاني وبتزيينهم لهم رسوماً عميل إليها النفوس الضعيفة الحاملة سموها آداب السلوك ما أنزل الله بها من سلطان ولا عمل بها صحابي ولا تابعي ظاهرها ادب وباطنها تشريع وشرك ويجذبهم إليه الجاهلین بتعريب الدين من طريق العلم والاصل بظاهر الشرع وتهوينه كل التهوين من طريق الاعتقاد بهم وباصحاب القبور . وقد تجاسروا على وضع أحاديث مكذوبة أشاعوها في مؤلفاتهم حتى التبس أمرها على كثير من العلماء المخلصين من المتقدمين والمتأخرين مع انها لا أصل لها في كتب الحديث المعبرة . وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب أما الترغيب فبالاستفادة من الدحول في الرابطات والعصبيات المنعقدة بين اشياعهم وأما الترهيب فبتهديدهم مناوئهم أو مسيئى الظن بهم باضرارهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم صرراً يتعجلهم في دنياهم قبل آخرتهم . (مرحى)

وقد قام لهؤلاء المدلسين اسواق في بغداد ومصر والشام وفسان قديماً ولكن لا كسوقها القائم في القسطنطينية منذ أربعة قرون إلى الآن حتى صارت فيها هذه الاوهام السحرية والخزعبلات كأنها هي دس معظم أهلها لا الإسلام وكأنهم لما ورثوا عن الروم الملك حرصوا على ان يورثوا عاداتهم حتى توسع في هذه الممارح السيئة فاقبض لهم المدلسون كثيراً مما يبدع من السحر والخيال وإن كان الناس يأنه مر به لهم الشيطان بأنه من دقائق الدين وأدابه ومن هذه العواصم يرى ذلك إلى اتفاق بالعدوى من الأمراء إلى العلماء الأغبياء إلى العامة .

فهؤلاء المدلسون قد نالوا يسحرهم^(١) فهاذا عظماء به فساد كثيراً في الدين وبه

(١) السحر لغة إخراج الباطل في صورة الحق لتبويه والتداعى . والسحر

جعلوا كثيراً من المدارس تكايا للبطالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة وبه حولوا كثيراً من الجوامع مجامع للطبالين الذين ترتد من دوى طبولهم قلوب المتوهمين وتكفهر أعصابهم فيتلبسهم نوع من الخبل يظنونه حالة من الخشوع . وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقاً لهم وبه جعلوا ريع أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم مما نسمى في البلاد العثمانية (دعاكوا وطعامية) (مرحى) . وبذلك ضاق على العلماء الخناق لا رزق ولا حرمة وكفى بذلك مضيعة للعلم وللدن لأنه قد التبس على العامة علماء الدين بالفقراء الأدلاء من هؤلاء المدلسين الأغنياء الأعزاء ففتشوا عقائدهم وضمف يقيهم فضيع الأكترون حدود الله وتجاوزوها وقعدوا قوة قوانين الله ففسدت أيضاً دنياهم واعتراهم هذا الفتور .

أجاب (المولى الرومى) إن كل الديانات معرضة بالتحدى لأنواع من التشوش والفساد ولكن لا تفقد من أهلها حكماء ذوى نشاط وعزم ينهون الناس ويرفعون الالتباس أو يعوضون قواعد الدين إذا كان أصلها واهياً (لامتينا كقواعد الإسلام) بقوانين موضوعة تقوم بنظام دنياهم ويتحملون في سبيل ذلك ما يتحملون من المشاق خدمة لأفكارهم السامية ويبدلون ما عز وهان حفظاً لشرفهم القائم بشرف قوتهم بل حفظاً لحياتهم وحياة قومهم من أن يصبحوا أمواتاً متحركين في أيدي أقوام آخرين . ولقد أثبت الحكماء المدققون بعد البحث الطويل العميق أن المنشأ الأصلي لكل فساد في أخلاق العباد والنبت الأول لكل شقاء في بني حواء هو أمر واحد لا ثانى له ألا وهو وجود الساطة القانونية منحلة ولو قليلاً لفسادها أو لغلبة سلطة شخصية عليها من فرد أو أكثر فما بال الزمان يضن علينا برجال ينهون الناس ، ويرفعون الالتباس ، يفكرون بحزم ، ويعملون بعزم ، ولا ينفكون . حتى ينالوا ما يقصدون ، فينالوا حمداً كثيراً ، وغفراً كبيراً ، وأجرأ عظيماً ؟ وعندى ان داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعممين .

وهنا نبه السيد الفراتى الأستاذ الرئيس إلى قرب وقت الانصراف عندئذ جهر

== الذى جاء فى الشرع ليس غير هذا بدليل وصفه تعالى لعمل سحرة فرعون فى قوله جلت حكمته « فلما ألغوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم » وقوله « فإذا جابههم وعصهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى »

(الأستاذ الرئيس) بشعار (لا نعبد إلا الله) تنبيهاً للاخوان وقال لهم ان أخانا المولى الرومى لفارس مغوار يحب ماعودنا من التفصيل والاشباع والان قد آن وقت الظهير وحن أن يتفرق لتدرك الصلاة وموعدنا غداً إن شاء الله تعالى .

باب التربية والتعليم

قانون التعليم الرسمى والجمعية العمومية

كان كل مصرى يسىء الظن بكل عمل يحجرى على أيدي المحتلين فما زالت الأعمال تنقض وتبرم وتمحو وتثبت حتى اعترف الأكثرون بأكثر نتائج الأعمال الإصلاحية النافعة فى الرى والمالية والإدارة والسياسة ولولا أن أكثر الناس أو كل الناس غير راضين عن سير نظارة المعارف لاعترفوا أجمعين بحسن نية المحتلين وأرادتهم الخير للبلاد وأهلها وإيس هذا مقام بسط هذه المسألة ولكن هذه الكلمة تهديد لما يأتى وهو ان سحق الناس من سير نظارة المعارف فى التعليم جعل شأناً عظيماً لاقتراح التوجيه الفاضل أمين بك الشمسى على الجمعية العمومية أن تطلب من الحكومة عرض قوانين التعليم « بروجرامات » ومذشورات المعارف على مجلس شورى القوانين ومجلس النظر . وتوقع الناس أن تقبل الحكومة هذا الاقتراح بمقدار ما لهم من حسن الظن فيها وما كانوا ينتظرون أن يدافع صاحب السعادة ناظر المعارف الجمعية العمومية ويناضلها فضال بنى ثعلب ليدفع عن نظارته هذا الاقتراح لأنهم يعتقدون أنه مستريح من أعمال المعارف لثقته بأمين أسرارها العامل الدائب المستر دنلوب وسائر الموظفين تحت يده ولأن من شأن الوثائق بحسن عمل ينسب إليه حقيقة أو عرفاً بالذات أو بالواسطة أن يحب عرضه على الناس ويسعى فى توجيه أنظارهم إليه لا سيما إذا كان الغرض من العمل المنفعة العامة وكان قد الناظر من نفسه من أسباب ترقيه واثمائه كظام التعليم ولكن الناظر جاء بما لم يكن فى الحسبان ولا تخوض فى تحليل ذلك مع الحائضين ولكنا نبحت فى دفاعه وتعليقه فى مناقشة الجمعية العمومية فى جلسة ٦ ذى الحجة سنة ١٣١٩ ومختصر ما توردته من المناقشات غالباً ونحذف الألقاب الرسمية فنقول :

عند ما عرض اقتراح الشمسى بين الناظر للجمعية كيفية وضع قوانين التعليم

(البروجرامات) وهو أن نظار المدارس ومختشيها يندمون في آخر كل سنة ممكنة تقارير عما يرونه في نظام التعليم فتبحث فيه اللجنة العلمية المؤلفة من كبارهم وتقدم تقرير عليه منه إلى مجلس المعارف الأعلى فيبحث فيه ويقدم ما يراه منه إلى مجلس النظام (قال) : « والذي يتقرر بحسب الأمر بإجرائه »

قال مفتي الديار المصرية : الذي يلاحظه الناس هو أن القوانين تعرض بمقتضى العادة على مجلس النظام ثم ترسل إلى مجلس شورى القوانين ومن ذلك ما يكون متعلقاً بوصف مائة قرش غرامة ونحوه . فالقوانين المتعلقة بالأصول العامة للتربية والتعليم أولى بهذا وهي لا تخص نظارة المعارف وحدها بل الفطر كله فيصح للجمعية العمومية أن تطلب ضماناً زائداً بالنسبة إلى حالة الأشخاص فإن الكثيرين يعتقدون أن تلامذة السنة الثانية في المدارس الابتدائية يعلمون بعض العلوم باللغات الأجنبية فلا يفهمونها طبعاً . ثم إن طرق التهذيب وتربية النفوس هي التي عليها مدار مستقبل الناشئين ومعرفتهم ما يجب عليهم لمصلحة أنفسهم فمن الضروري الاعتناء بأمثال هذه المسائل فلو درس قانون التعليم بمجلس النظام وتحول إلى مجلس الشورى لكان ذلك أكثر ضماناً فإن المشتغل بعمل يحكم ذلك العمل عليه فيضيع منه كثير من الأشياء المتعلقة بالحالة العمومية

(الناظر) : « البروجرامات جار نشرها قبل دخول السنة المكتبية وما يفهمه البعض من أن السنة الثانية تدرس باللغة الأجنبية فهو خطأ لأن التلميذ يبتدىء في هذه السنة في تعلم مبادئ اللغة الأجنبية فقط ولم يكن المعلمون وحدهم منفردين في إبداء رأيهم في سير التعليم بل المشتغل بذلك هم ونظار المدارس والفتشون الذين هم من حيار الناس فعندنا تقارير نظار المدارس وتقارير الفتشين وتقارير اللجنة العلمية وقرار مجلس المعارف وقرار مجلس النظام فهذه خمس ضمانات »

أوردنا جواب ناظر المعارف بلفظه كما نشر على ما فيه من ضعف العبارة لتظهر مغالطته بأنهم إضاح وهي من وجهين أحدهما قوله أن التلميذ يبتدىء في السنة الثانية بتعلم اللغة الأجنبية أي فلا يتعلم بها شيئاً من العلوم والصواب أنه يبتدىء بتعلمها في السنة الأولى كما ترى في الصفحة ١٠ من قانون التعليم الابتدائي الصادر بامضاء الناظر نفسه في جمادى الثانية سنة ١٣١٩ أي قبل هذه المناقشة بنحو نصف سنة وكون التلميذ يتعلم في السنة الأولى وكذا الثانية لغة أجنبية خطأ ظاهر وإنا لنعرف كثيرين من المعلمين ونظار المدارس يتبرمون منه ولكنهم يعتقدون أنه أمر هين هبط من سماء

القوة على أرض الضعف والاستكانة ولو علموا أن إبداء رأيهم يصل مجلس الشورى فيطالب به باسم الأمة لأبدوه آمنين من مغيبته لأن كل ما يتوقعونه حينئذ من المؤاخذة على نكث شيء من قتل ذلك الأمر المبرم يكون معلوما للناس إذا وقع بعض إطلاع مجلس الشورى ومجلس النظار وسائر الناس على اقتراح المقترح .

ثم إن تعليم التاريخ الطبيعي (الأشياء) وتقويم البلدان يكون باللغة الانكليزية في السنة الثالثة الابتدائية والفرق بينها وبين السنة الثانية ليس كبير وإنهم ليعلمون أنه لا يمكن أن يحصل التلميذ من اللغة الأجنبية في سنتين ما يتمكن به من فهم العلوم الطبيعية فيها ولذلك بعيدون عليه في السنة الثالثة من دروس تقويم البلدان بالانكليزية ما كان تعلمه بالعربية فإن كان الغرض العلم فلا معنى لهذا الرجوع القهقري وإن كان المراد اللغة فالأوقات المخصصة لها ليست بقليلة كما سنبينه في نبذة أخرى

والوجه الثاني « الضمانات الخمس » وهي لا تصلح دفعا لقول المفتي لأنه قال إن عرض نظام التعليم على مجلس الشورى أكثر ضمانا أي أن الخمس تكون به سنا فإذا كان الناظر واثقا من إتقان نظام نظارته ويود أن تزداد اتقانا وارتقاء فماذا يضره لو عرض ذلك على كل من له رأى من الناس وعلم رأيه فيه ؟ ثم هو يعلم أن الحكومة أنشأت مجلس الشورى والجمعية العمومية لتعلم الأمة كيف تحكم وتجعل لها رأيا في قوانينها ونظاماتها لتكون أمة حية كهم أوروبا حتى إذا ما استعدت لذلك يكون كل شيء برئى مجلسها النائب عنها فماذا ييخل عليها ناظر المعارف بالبحث في قوانين نظارته ونظام التعليم في مدارسها بواسطة أعضاء مجلس الشورى الذين هم من خيارها كما أن نظار المدارس ومفتشيها من الخيار كما قال وزيادة الخيار خير . ولا يخفى عليه أن الأمة تثق بمجلس الشورى أكثر من ثقتها بأي مجلس من مجالس الحكومة لأنها تعتقد أن أعضاءه لاسلطان عليهم للسياسة لأن الحكومة وضعهم للاتقاد على قوانينها ولأنهم لا يتوقعون خيرا من مخالفة رغبتهم

أما « الضمانات الخمس » فهي في المعنى شيء واحد وإن شئت قلت لا شيء لأن العامل الذي تطلب الأمة الضمان على إتقان عمله هو نظارة المعارف فلا يصح أن تكون هي الضامنة لنفسها بأن عمالها برأى المؤلفين فيها . وذلك التعدد في « الضمانات » لا تأثير له لأن آراء المعلمين والناظرين والمفتشين يدغم بعضها في بعض ولا يعرض على مجلس النظار إلا ما يراه مجلس المعارف الأعلى وحده فمجلس النظار لا يبحث في آراء أصحاب « الضمانات » الثلاث ولا يعرفها . ذلك أن المعلمين يبدون آراءهم لنظار

مدارسهم فيختار منها هؤلاء، ما يرضونه أو ما يرضون به ويقدمونه للجنة العلمية فتجرح منه ما تشاء، وثبت ما تشاء وترفعه إلى اللجنة العليا فتتسج منه ما تشاء، وتقدم الباقي إلى مجلس النظر فيصدق عليه. وإنما يتحقق الضمان من معنى المدارس ونظارتها ومتشبهها إذا أعطوا حرية بأن يقولوا ما يرونه وكان يعمل بما يقولون أو يبين المانع من العمل به وأعطوا مع ذلك ضماناً بأن من رأت اللجنة العلمية أو الغاية خطأ رأيها فانه لا يؤخذ سرا ولا جهرا

ثم ان المفتي احتج على كون تلك «الضمانات» غير كافية بأمرين أحدهما استمرار التغيير في قانون التعليم (انبروجرام) حتى في المسائل الكلية. قال : وهذا يدل على أن معلومات واضعي التقارير غير كافية. وأجاب الناظر عنه بأن التغيير يدل على دقة البحث. وظاهر أن هذا الجواب غير سديد لأن دقة البحث إذا سلمت وكان من المسلم أيضاً ان التغيير مستمر حتى المسائل الكلية فذلك دليل على في ان هذه الدقة لم تأت بالفائدة المطلوبة وما ذلك الا لانها غير مبنية على علم كاف فهي تحتاج إلى الامداد والمساعدة والحكومة مجلس أنشئ للبحث في القوانين خاصة فيجب أن يكون هو المساعد والممد لطارة المعارف في تقيح قوانينها

والأمر الثاني الذي احتج به المفتي هو أن لسكال ثقة الناس بسير التعليم أكبر شأن وأهمه وإن ذلك يكون باطلاع مجلس النظر ومجلس الشورى على قوانينه. وأجاب الناظر باعادة ذكر «الضمانات الخمس» وزاد ضامناً آخر سماه «الضمانة» الكبرى وهو طبع تلك القوانين ونشرها قال : ولما نرى واحداً من الناس يقرأها فيعرف سير التعليم. وظاهر أن هذا الجواب في غير موضوع الدعوى لأن الدعوى هي ان ثقة الأمة بالتعليم مظلومة وانها تكون بكذا دليل طلب نوابها له. فكان ينبغي ان تكون الجواب إما بالنسبية وإما بمنح الحاجة إلى ثقة الأمة بالتعليم أو بمنع ان تثقها تكون بغرض قوانين التعليم على مجلس النظر ومجلس الشورى فاما المنع الأول فيستحيل ان يصدر من ناظر المعارف وأما الثاني فالفصل فيه للجمعية العمومية وقد وافقت أخيراً عند أخذ الآراء على وجوب عرض قوانين التعليم ومنشوات المعارف على مجلس الشورى فثبت رأي مفتي الديار المصرية وأما الجواب عن «الضمانة» الكبرى فهو ان عدم رؤية الناظر لقراء قوانين التعليم لا يدل على عدم التدقيق لها فإذا قال : كان يجب ان يتقدها وان لم يرتضوها تقول ان العاقل لا يتوجه إلى عمل الا إذا رجا فائدته ولا يطوف في ذهن أحد أن انتقاده قانون التعليم يكون

سبباً لرجوع نظارة المعارف عن خطأها فيه ، وإذا كان قد ظهر أن ناظر المعارف يدافع الجمعية العمومية الناطقة باسم الأمة المصرية كتاباً ومعه بعض الملاحظات عن طلب النظر في قوانين التعليم فهل كان ينتظر أن ينتفت إلى قول واحد من الناس أو اثنين أو أكثر إذا هم انتقدوا على قوانينه ؟ على أن الجرائد كثيراً ما تنتقد المعارف في سبب التعليم وسائر نظامها فيه ولم يغن ذلك شيئاً

ثم تكلم بعد المفق الشيخ على يوسف فذكر بعض ما ينتقد على نظام التعليم وقوانينه مما يصح أن يذكر في مجلس رسمي وسند ذكر ذلك الجزء الثاني مع جواب الناظر عنه وبيان الصواب وزيد من الانتقاد على تلك القوانين منشاء الله أن يزيد

آثار علمية أدبية

إلى الأغنياء

قال الأديب الشيرحافظ أفندي إبراهيم في حريق ميت غمر الذي يذكر في باب الأخبار

سائلوا الليل عنهم والنهارا	كيف باتت نساؤهم والعذارى
كيف أمسى رضيعهم قد الا	م وكيف اصطلح مع القوم نارا
كيف طاح العجوز تحت جدار	يتداعى وأسقف تتجاري
رب ان القضاء أنحى عليهم	فاكشف الكرب واحجب الاقدارا
ومر النار أن تكشف اذاها	ومر الغيث أن يسيل اهما را
أين طوفان صاحب الفلك روى	هذه النار فهي تشكم الأوارا
أشعلت خمت الدياحي فباتت	تملا الأرض والسما شرارا
غشينهم والنحس يجري عينا	ورمهم والنؤس يجري يسارا
فأغارت وأوجه القوم يضي	ثم غارت وقد كسهن قارا
أكلت دورهم فلما استقلت	لم تغادر صغارهم والكبارا
أخرجتهم من الديار عسرة	حذر الموت يطلبون القرارا
يلبسون الظلام حتى إذا ما	أشرق الصبح يلبسون النهارا
حلة لا تقيهم البرد والحر	ولا عنهم ترد الغبارا

أيها الرافلون في حل الوش ي مجرون للذيول افتخارا
 إن تحت العراء قوماً جيعاً يتوارون ذلة وانكساراً
 أيها السجين لا يمنع السج ن كريماً من أن يقل العناراً
 مر بألف لهم وإن شئت زدها وأجرهم كما أجرت النصارى
 قد شهدنا بالأمس في مصر عرساً ملأ العين والفؤاد انهاراً
 سال فيه النصار حتى حسبنا أن ذاك القناء يجرى نضاراً
 بات فيه النعمون بديل أخجل الصبح حسنه فتوارى
 يكتسون السرور طورا وطورا في يد الكأس يخلعون الوقاراً
 وممنا في (ميت غمر) صياحا ملأ البر ضجة والبحارا
 جل من قسم الحظوظ فهذا يتغنى وذاك يكي الديارا
 رب ليل في الدهر قد ضم نحاً وسعودا وعسرة ويسارا

﴿ الهدايا والتقاريط ﴾

(كتاب الفوز الأصغر) هو للفيلسوف الاسلامي الشيخ أحمد بن مسكويه الرازي صاحب كتاب (نهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) المتوفى سنة ٤٢١ هـ وضعه لتحقيق البحث النظري في ثلاث مسائل (١) إثبات الصانع و (٢) النفس وأحوالها و (٣) النبوات وقد نزع فيه منازع دقيقة في الوفاق بين الفلسفة والدين وجعل لكل مسألة عشرة فصول فمن فصول المسألة الأولى فصل في بيان أن وجود الأشياء كلها إنما هي بالله عز وجل وفصل في أن الله تعالى أبداع الأشياء من لا شيء ومعلوم أن الفلاسفة يقولون يستحيل إيجاد شيء من لا شيء . وفي فصول المسألة الثانية إثبات النفس وكونها ليست جسما ولا عرضاً وإثبات أنها جوهر حي باق وأنها ليست الحياة بعينها بل إنها تعطي الحياة وبيان ماهية النفس والحياة وبيان كمال النفس والكلام في السعادة وفي حال النفس بعد البدن . وفي فصول المسألة الثالثة بيان مراتب الموجودات واتصال بعضها ببعض وبيان أن الانسان عالم صغير وقواه متصلة ذلك الاتصال والكرم في كيفية الوحي وفي العقل وكونه ملكا مطاعاً وفي التام الصادق وفي الفرق بين النبوة والكهانة وفي النبي المرسل وغيره وفي أصناف الوحي وفي الفرق بين النبي والمتنبي . وقد طبع الكتاب طبعة جميلة في بيروت وبياع في مكتبة أمين أفندي هندية بمصر

فتحت جميع المشتغلين بالعلم على مطالعته

(كتاب تفصيل النشأتين - وتحصيل السعادتين) هو للامام أبي القاسم الحسين بن محمد ابن الفضل الرابع الاصفهاني المتوفى في رأس المائة الخامسة ومباحث الكتاب فلسفية أخلاقية إسلامية وقد قرن جميع مسائله بالآيات القرآنية فجعلها شواهد وأدلة وبعضها لا يصلح لما وضعه له ولكن له منازع دقيقة فيها . وأبواب الكتاب على اختصاره ٣٣ وهي في معرفة الانسان نفسه وفي أجناس الموجودات وموضع الانسان منها وفي العناصر التي أوجد منها الانسان والقوى التي جمعت فيه وفي تدرج الانسان حتى يصير كاملاً وفي كونه مستصلاً للدارين وفي كونه هو المقصود من العالم وكون ماعداه خالق لأجله وفي تفاوت الناس وسببه وفي الشجرة النبوية وفضلها وفي الشرع والعقل والعبادة وغير ذلك وهو كالقدي قبله جدير بالمطالعة وطبع حيث طبع ويباع حيث يباع

﴿ إقامة البراهين العظام . على نفي التعصب الديني في الاسلام ﴾

رسالة من تأليف الشيخ محمد بن مصطفى بن الحوجة الجزائري المدرس بجامع صغير في الجزائر الغرض منها اقناع مسلمي الجزائر بوجوب الخضوع لفرنسا وعدم الخروج عليها وقد جاء فيها بمسائل نافعة تثبت أن دين الاسلام يأمر بماملة المخالفين قيم الدين بالعدل ويحرم ابتداءهم والاعتداء عليهم وأنه شرع فيه ما يغضى التألف مع أهل الكتاب كحل مؤاكلتهم وتزوج المسلم منهم وغير ذلك من القوائد المسلمة . وفي الرسالة ما ينتقد . فمنه أنه أخطأ في بعض ما أسنده إلى الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عند الاحتجاج بكلامه واصفا إياه بكونه « خاتمة الأئمة وعلامة الآفاق على الإطلاق » فقد قال عن الأستاذ الامام أنه قال في درس التفسير بالأزهر : إن قوله تعالى « وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » خاص بالواقعة التي كانت متوقعة للمسلمين في رواحهم إلى مكة الح . والأستاذ الامام لم يقل بهذا التخصيص وإنما قال إن معنى « حتى لا تكون فتنة » هو أن يؤمن شر المعتدين ويأمن الدعوة إلى الدين على أنفسهم وعلى من يحبهم إلى مادعوا إليه . ومعنى « ويكون الدين لله » أن يكون دين كل شخص خالصاً لربه لا تدخله محاباة ولا مداجاة ولا يهدده مهدد ، ولا ينقذه خوف من معتد ، فلا يكون لغير خشية الله أثر في نفوس المؤمنين . وانظر بم يكون هذا . وبما ينتقد عليه أشد الانتقاد قوله في نصيحته للمسلمين بعد اطراء فرنسا وذمهم ووصف سوء حالهم « فلا ينبغي لهم الاهتمام إلا بشؤونهم المعاشية » الخ كأنه يريد أن

يجعلهم بها شام . وهل يرى ذلك الأستاذ أن فرنسا التي وصف عدلها وحريتها وفضلها ومدنيها لا ترضى من المسلمين في الخضوع لها إلا أن يكونوا كالأنعام ، لا يهتمون إلا بالأكل والشرب والنم ، وهل يتأق خضوعهم لها اشتغالهم بالعلوم والآداب التي يرتقون بها ارتقاء معنويا ويسامون الأفرنج في الصفات البشرية ؟ إن كان يقول هذا فهو ناقض به كل مدح مدح به فرنسا ! فينبغي لهذا الشيخ المدرس وأمثاله إذا كتبوا بالكتابة في مثل هذا المقام أن يتصدوا ويقفوا عند حد معلوم وكان المجال واسعاً لأفئاد المسلمين بعدم الخروج على فرنسا وتعريض أنفسهم للهلكة من غير عيب بالأحكام ، ولا تكليف للمسلمين بأن يكونوا كالأنعام ، وبهذا القدر كفاية وسلام .

« الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية » للشيخ عبد الغنى النابلسي الفقيه الصوفي الشهير رحلتان أو ثلاث وهذه منها وهي أخصرها وقد طبعت في مطبعة جريدة الإخلاص الغراء على نفقتها ووقفت على طبعها أحد محرري الجريدة ديمتري أفندي تقولا المحترم صاحب مجلة النكاهة . أما المؤلف فإنه يذكر في هذه الرحلة كيفية سفره من الشام إلى القدس ونواحيه وما رآه وحرى له فيه وأهمه زيارة قبور الأنبياء والصالحين بحسب تعريف المعرفين الذين يصحبون الزائر في تلك البلاد وما في تلك الكتب المؤلفة في تاريخها . وقد ختم الكتاب ملزم طبعه بإحصاء ما ذكر في الرحلة من المدن والقرى والأمكنة ومقامات الأنبياء والجوامع والمآجد والمدارس والكنائس والأدلة والأبواب والعيون والآبار ومبوزات صحابة والأولياء والصالحين وذلك أحسن ما في الرحلة وربما ينقل بعد في باب البدع شيئا مما في الرحلة . وصفحاتها ٨٩ وهي تطلب من إدارة جريدة الإخلاص الغراء ونمناها قروش صاغ .

« الدنيا في باريس » هي الرسائل التي وصف بها مشاهد معرض باريس الأخير صديقنا الفاضل الشهير أحمد زكي بك الكاتب الثاني لأسرار مجلس النظائر وقد اشتهر أمر هذه الرسائل وانتشرت في البلاد لأن رصيفنا البارع الدكتور عيد أفندي كان يطبعها في باريس مع مجلة « طبيب العائلة » وقد سبق للمنازل تقريرها وبيان بعض فوائدها الآن شهرها في باريس . أن هذه الرسائل قد جمعت كلها في كتاب واحد من بين الرسوم صفحاته ٤٧٣ ونسختها ١٠٠ : لنا وسننقل بعض فوائدها عند منوح الفرصة إن شاء الله تعالى

« قاموس الجغرافية الممددة » العربي والفرنساوي « أهدي إلينا صديقنا مؤلف رسائله في باريس » مع هذه الرسائل نسخة من هذا القاموس المختصر المفيد

الذى يعرف الكتاب حاجتهم إليه من اسمه . قال المؤلف في مقدمة كتابه : « هذا هو وجهه الصغير
أردت فيه كثير من الأعلام الجغرافية التى لها ذكر فى تاريخ الأقطاب من المصريين
والتوريين وروم وسحب وغيرهم من الأمم جمعة بعد البحث شتى ومطامات عديدة
فكأبدت فيه عناء نيس باليسير يعرفه من أطلع عليه أو تشغل بشئ من هذا القليل ،
ثم قال « وإذا نال هذا الكتاب الصغير من الإقبال ما هو خفيق به تشددت بمنعنى
إبراز المعجزة الكبير الوافى الذى جمعته فى هذا الموضوع «نفيد» فعسى أن تتحقق الآمال ،
وينال فوق ما يطلبه مؤلفه الفاضل من الإقبال ، والكتاب مطبوع فى المطبعة الأميرية
ومنه ٨ قروش وهو يطلب من مؤلفه ومن إدارة مجلة طبيب العائلة .

(مجموعة حقبة طبية هندسية . جمعية متخرجى المدرسة الخديوية لسنة ١٩٠١)
إذاً وجب أن نذكر ما يتقد على نظارة المعارف فى نظام التعليم وقوانينه من الواجب
أيضاً أن نذكر ما لها من الحسنات لأن الله تعالى يحب العدل فى كل شئ ، ولأن فائدة
استحسان الحسن لا تنقص عن فائدة انتقاد المنتقد فكل واحد من الأمرين جعله الله
سبيلاً لإتقان الأعمال واختيار النافع منها وتجنب الضار . ومن حسنات المعارف
المصرية الاذن للتلامذة للتخرجين فى المدرسة الخديوية بإنشاء جمعية علمية أدبية فى
نفس المدرسة يعدون فيها المقالات الإضافية فى مسائل العلوم التى يتعلمونها فى المدرسة
وفى المدارس العالية التى ينتقلون منها إليها ويعرضونها للانتقاد والبحث والتحقيق
وقد حضرت اجتماعاً لهم فى المدرسة فسررت سروراً عظيماً ورغبوا إلى فى انتقاد
ما تكلموا فيه وهو حقيقة الجنون وتاريخه وأنواعه فانتقدته علناً فتلقوا انتقادي
بالقبول والشكر كما هو شأن الباحث المستفيد

وقد طبعوا فى هذه الأيام الجزء الأول من مقالاتهم التى تليت فى السنة الماضية
وسموا بما ذكر فى صدر الكلام . وتفضل وكيل الجمعية الفاضل النبيل على بك
ماهر نجل صاحب السعادة ماهر باشا محافظ مصر بتقديم نسخة إلينا بنفسه فشكراً له
ذلك . وفى المجموعة ست مقالات « ١ » فى الترية والتاريخ لعل بك ماهر بمدرسة
الحقوق و « ٢ » فى أشعة رتنجن لعبد الرحمن افندى عمر بمدرسة الطب و « ٣ » فى التكافل
والنضامن لمحمد حلى افندى عيسى بمدرسة الحقوق و « ٤ » فى التنويم المغناطيسى
واستحضار الأرواح لمحمد افندى شكرى بمدرسة الطب و « ٥ » فى لوازم الحياة الأصلية
لمحمود افندى ماهر بمدرسة الطب و « ٦ » شهران بسويسرا لعل بك ماهر . وفى

المقالات فوائد كثيرة . وعدد صفحات المجموعة ٦١٢ فبحث جميع المصريين في اجتناء هذه الثمرة الشهيبة ، التي اجتبتها فروعهم الزكية

(مجلة الأحكام الشرعية) كثرت الجرائد والمجلات في مصر حتى تساوت كل موضوع يمكن ان تنشأ له الاموضوع القضاء الشرعي كأن المحاكم الشرعية وأعمالها ليست من حاجات العمران التي يجب ان تخدمها الصحافة . وقد انبرى في أول هذا العام للقيام بهذه الخدمة الجليلة المحامي الشرعي الشهير حسن بك حمادة التخرج في مدرسة الحقوق السلطانية في الاستانة العلية فانشأ هذه المجلة الشهرية وقد صدر الجزء الأول منها مفتوحاً بمقدمة بليغة في حالة القضاء الشرعي والمحاكم الشرعية وسيرها والحاجة إلى الاصلاح فيها على الوجه الذي حرره الأستاذ الامام مفتي الديار المصرية في تقريره المشهور . وقد كادت هذه المقدمة ان تكون تاريخاً للمحاكم الشرعية بصورة مجملة . وبلى ذلك مقالة في القضاء الشرعي بمصر ماضيه وحاضره وهي تاريخية مفصلة ومقالات أخرى في المحاماة والقضاء وفي المجالس الحسينية وتاريخها وفي المحاكم الشرعية وتنازع الاختصاص . وقد فتح فيها باباً لنشر تراجم المشهورين من علماء الشرع وبدأ بترجمة الإمام أبي حنيفة وباباً لأشهر القضايا الشرعية التي لها فائدة عامة . وفي المجلة غير ذلك من الفوائد العلمية والأدبية وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً في القطر المصري وعشرون فرنكاً في خارجه فتحت لها النجاح الذي تستحقه

(تقويم اللويد) صدر تقويم اللويد لسنة ١٣٢٠ على ما يعهد اليه وفيه ما يعهدون من الاتقان وكثرة الفوائد العلمية والفلكية والطبية والتاريخية وغير ذلك وقد جلد في هذه السنة تجليداً جميلاً مزخرفاً اجتلب له جلد من أذربايجان منقوشاً عليه اسمه واسم مؤلفه فنهى صديقنا الفاضل محمد أفندي مسعود بما صادفه عمله المتقن من النجاح الذي هو جدير به

(النتيجة الوحيدة) اهدتنا مطبعة الموسوعات نسخة من هذه النتيجة التي تطبع فيها بالدقة والاتقان فتشكر لها اتقان طبها ولتؤلف النتيجة الحاسب اندلس السيد مصطفى محمد الفسكي المحامي تلك الفوائد التي فيها

(التقويم الازهرى) يسر المسلمين ان يروا جميع الآثار العلمية منسوبة إلى الازهر الشريف وصادرة من أهله . وهذا الشاب الفاضل الشيخ محمد محمد الازهر الاسطهاوى الفلكي قد أنشأ تقويميا يصدره في كل سنة هجرية وقد أنشأ

الأكبر شيخ الجامع اذ زهر بأن يسميه القويم الأزهرى فعسى ان يقبل عليه الناس
ليزبدوا مؤلفه تنشيطاً على اتقان عمله

(باب الزخارف)

﴿ الحريق في ميت غمر ﴾

« ميت غمر » بلدة في مديرية الدقهلية أصابها في آخر شهر الماشي حريق
دمر الدور ، وقوض القصور ، وانهت الأثاث والرياش ، وهبى على الناس ، إلا من
لجأ إلى الفرار . قبل أن تحيط به النار ، فأخذته لسانها ، أو يحرقه دحانها ، ويقال
ان عدد البيوت التي احترقت بأهلها إلا من أنجاه الله تقارب ٥٥٠ وان الخسائر
تقدر بمئات الألوف من الجنيهات . وقد كان الهول عظيماً ، والخطب جسيماً ، وقد كاد
يكون حال الدين نجواً شراً من حال الدين فقدوا فان عذاب ساعة وان كان شديداً
دون العذاب المستمر الذي يتلون ألواناً كثيرة وكيف حال من أسمى واجداً فأصبح
معدماً وكان كاسياً فصار عارياً وكان ذا مكان أهل فعاد ولا مكان ولا أهل . صار
الزوج أعمى والمرأة أرملة والولد يتيماً كما صار الغنى فقيراً والعزير ذليلاً . وما من
هؤلاء أحد الا وقد لفحته النار أو لدغته أو احترقت له عضواً وحاصل القول ان
هؤلاء الذين سلموا من هذا الحريق قد صبت عليهم جميع المصائب التي تفرقت في
العالمين فكان كل واحد منها باعثاً للرحمة والشفقة وسبباً للاغاثة والاعانة . وقد
توجهت النفوس لجمع الاعانات لهم ولا شك ان الباخل في هذا الموضع هو أبخل الناس
بل هو من جنس الجنادل من نوع الإنسان ولا من جنس الحيوان . لا عذر لاحد
من خلق الله في البخل على هؤلاء « ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه » فمن وجد في
قلبه مساواة وفي نفسه شحاً مطاعاً وفي يده اقتباساً وامساكاً فليمثل في نفسه هذا
الصاب واقامه وبأهله والناس معرضين عنهم لا يجدون عليهم بشيء ولينظر كيف
يكون حكمه عليهم ثم لينظر هل يرضى بأن يكون محكوماً عليه عند الله والناس
بمثل ما يحكم به عليهم . لينزل كل إنسان مما يستطيع ولولا الاعتماد على التعاون
لوجب عليه ان يبذل كل ما يملك ان كانت وقاية اخوانه متوقعة على ذلك « لينفق
ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه (أى ضيق) فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله
نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا »

بشر الحكمة من ربه ومن كثرة
الحكمة فقد أوتي خبراً كثيراً
بكر الأثر الأثير

المحكمة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يسمعون القول
ويذمون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم الأولياء

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت ١٦ صفر سنة ١٣٢٠ — ٢٤ مايو (أيار) سنة ١٩٠٢)



باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح

« نشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدينتهم ومنشأ ساداتهم التي ذهبوا بها »

« انقضاء في الاستحسان - النبوة الثانية في آراء »

نصكم الله على الحق ^(١) من أبي بكر رضي الله عنه قال - سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقضين حاكم بين اثنين وهو
مضآن » وروى عن غير أبي بكر أيضاً وهذا أدب عظيم لا بد من
مراعاته فان النصب يذهب بالرؤية والقطعة وبحكم الهوى فلا يتبين منه
نصيبه الاخر والاحاطة بأسباب الحكم المادل ، وقد ذهب بعض علماء
المسلمين الى أن الحكم في حال النصب لا ينفذ لثبوت النهي عنه والنهي

(١) رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الأربعة

يقتضي الفساد . وقال الأكثرون أنه صحيح وإن كان آيانه مذكروها
وينفذ إذا وافق الحق وذلك لأن النهي الذي يفيد الفساد عند هؤلاء هو
ما كان لذات المأهي عنه أو لجزئه أو لوصفه اللازم له والغضب وصف
مفارق لا لازم وفي القاعدة خلاف لا محل للبحث فيه هنا

المساواة بين الخصمين ^(١١) عن عبد الله بن الزبير (رض) قال : قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الخصمين يقدمان بين يدي الحاكم .
وهذا من المساواة التي جاء بها الإسلام . وقال بعض العلماء : إن هذه الهيئة
مشروعة لأنها لا مجرد المساواة

^(١٢) عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
له : « يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من
الآخر كما سمعت من الأول فانك إذا فملت ذلك تبين لك القضاء »

^(١٣) عن أم سلمة (رض) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
: « قال من ابتلي بالتقضاء بين المسلمين فليمدل بينهم في لحظة وإشارته
ومقعده ومجلسه ولا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفع على الآخر »
وهذا هو العدل الأكمل الذي مابده غاية . وذكر المسلمين فيه لأن
الكلام في دينهم وشرعهم وحكومتهم وإن كان المتقاضون من غيرهم
كذلك إذ لا فرق في حكمهم المادل بين مسلم وذمي ومعاقد . وما روي

(١٣) رواته أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم وقد طعن بمصعب بن ثابت من رجاله
بأنه كان يغلط كثيراً على صدقه ولا يضرنا هذا في مثل هذا الحديث (١٤) رواه أحمد
وأبو داود والترمذي وحسنه وابن جبان وصححه وله طرق أخرى (١٥) رواه
الدارقطني والطبراني والبيهقي . وفي أسناده عبادة ابن كثير وقد ضعف واكن الحديث
صحیح المتن

من نبي كريم لله وجهه انه جاس بنجب شرح القاضي في خصومة له مع
يهودي أو نصراني . قال لو كان خصمي مسلماً جلست معه بين يديك
ولكني سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول : « لا تأوؤهم في المجالس »
وقد قال المحدثون انه منكر وأورده ابن الجوزي في الملل وقال لا يصح تفرد
به أبو سمية . هذا ما قالوه في رواية ان الخصم كان يهودياً . ورواية البيهقي
التي ذكر فيها ان الخصم كان نصرانياً في إسناده عمر بن سمرة عن جابر
الجبلي وهما ضعيفان وقال ابن الصلاح لم أجده اسناداً فهو منكر وباطل
ومضطرب والملة في سنده ومثته معاً وكأن مروجته من الجهلاء
الذين يرون تعظيم شأن المذاهب بظلم غيرهم ولو كانوا كذلك لما قامت
لهم دولة .

ومما يجب ملاحظته هنا ان ملوك عصرنا وأمرائه لو فعلوا مثل
له ذلك ورضي أحدهم بأن يخضع للقضاء ويتحاكم مع بعض رعيته الموافقين
او المخالفين في الدين وجاس مع ذلك بنجب القاضي أو على رأسه أو صنف
بأنه أعداء الماديين ، وفضل على الخلفاء الراشدين ، وانهم ليصفونهم بالمعدل
وينتعلون لهم ماشاء الهوى من الفضل ، على حين أنهم دفعوا الله عنهم فوق
الشريعة الالهية ، بل نسخوا أكثر أحكامها بقوانينهم الوضعية ، فلا يمكن
ان يحاكم سلطان أو أمير ، مع كبير من رعيته ولا صغير ، فاضاعوا
بكبريائهم الدين والدنيا والى الله المصير ،

(١٦) عن ابن أبي حنيفة (رض) انه كان ليهودي عليه
أرملة دراهم فاستعدى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فقال : يا محمد

ان لي على هذا أربعة دراهم واربعة اشبار . فقال له : يا رسول الله ، فاقضه . فقال :
 بملك بالحق ما أقدر عليها . ولما أعطاه حقه ، قال : يا رسول الله ، فاقضه . فقال :
 ما أقدر عليها قد أخبرتني أنك تريدني إلى خير فلو أني لمناشيتك فخرج
 فاقضيه قال « أعطاه حقه » قال (الراوي) وكان النبي صلى الله عليه وسلم
 اذا قال ثلاثا لا يرجع . فخرج به ابن أبي حدرج إلى السوق وعلى رأسه
 عصاية وهو متزود بردة فتزع البهامة عن رأسه فأتزربها وتزع البردة
 وقال اشترمني هذه البردة فباعها منه بأربعة دراهم فمات عجوز فمات
 مالك يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرها فقالت : هادونك
 هذا أبرد عليها طرحته عليه وقد أوردت هذا في أدب المساواة وان كان
 من باب آخر لمناسبة له . وانظر الى شدة الاسلام في أداء الحقوق وإلى
 قساوة اليهود في أخذ دينهم فقد ترك اليهودي صاحب النبي (ص) عريانا
 لاسائر لعورته الاعمامته لأجل أربعة دراهم لم ينظره بها

الاحتجاب عن المتظالمين ^(١٧) عن عمر بن مرة قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من امام أو والٍ يفاق بابه دون ذوي
 الحاجة والثألة الا أغلق الله دونه أبواب السماء دون خلقه وحاجته ومساكنته »
 استدلووا بالحديث على منع الحاكم من اتخاذ حاجب لبابه في مجلس حكمه .
 والحديث ناطق بان المراد منع المظلومين من التقاضي والشكوى اشتغالا
 عنهم بشؤون النفس أو حبا بالراحة أو ترغفا عن الناس ونحو ذلك ولا يدخل
 في النهي الحجاب الذين يقفون على أبواب المحاكم لحفظ النظام ومنع
 التوضي والحلل وهو الذي قال بعض علمائنا بجوازده وبمقتضى باستجابته
 (١٧) رواد أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي وغيرهم في الكلام على الامراء في المجلد الرابع

وإنما دخل فيه حجاب الأمراء والسلاطين الذين يذودون الناس عن مجالسهم لأنهم لا يقابلون إلا أشخاصا معلومين لهم صفة رسمية عندهم ومجربون سائر أصناف رعيهم بدون عذر . ونقل ابن التين عن الداودي أنه قال : « شيء أحدثه القضاة من شدة الاحتجاب وإدخال بطائق من الخصوم لم يكن من فعل السلف . ثم قال متقبلا له : إن كان مراده البطائق التي فيها الإخبار بما جرى فصحيح وإن كان مراده البطائق التي يكتب فيها السبق لبدء بالنظر في خصومة من سبق فهو من المدل في الحكم . وقال الشوكاني لو لم يحتجب الحاكم لدخل عليه الخصوم وقت طعامه وشرابه وخلوه بأهله وصلاته الواجبة وجميع أوقات ليله ونهاره . وهذا ظاهر لا تراعى فيه

مع الرنوة ^(١٨) عن عبد الله بن عمرو (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله الراشي والمرتشي » والرشوة هي السحت في قوله تعالى « سراعون لأحزاب أكالون للسحت » .

^(١٩) عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم » وفي هذا زيادة بيان .

^(٢٠) عن ثوبان (رض) قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش يعني الذي يمشي بينهما . وفي هذا زيادة فائدة . ولا حاجة بيان مسدة الرشوة وتدميرها للمالك وثلمها لمرؤش الأمراء والسلاطين فإن هذا يكاد يكون معلوما للناس أجمعين

(١٨) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن إلا النسائي . وابن حبان والطبراني والدارقطني

(١٩) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه (٢٠) رواه أحمد

منع الحاكم من الهدية ^(٢١) عن أبي حميد الساعدي قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني أسد يقال له ابن اللبيرة على صدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي إليّ فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر (قال سفيان أيضاً) فصعد المنبر فحمد الله وأتى عليه ثم قال : « ما بال عامل نبعثه فيأتي يقول هذا لكم وهذا لي فها لا جلس في بيت أبيه وأمه فينقار أهدي له أم لا . والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء الا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بميراثه رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر » ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه « الا هل بلغت » ثلاثاً . وتيعر الشاة بمعنى تصبح ^(٢٢) عن أبي حميد الساعدي (رض) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« هدايا المال غلول » وفي رواية هدايا الامراء . الغلول في الاصل الخيانة في النعمة وهي المال الذي كان يأتي الى أيدي الامراء والمال في الاكثر وورد في الكتاب العزيز التشديد فيه والهدية للحاكم مثله أو منه بحكم السنة . قال الحافظ ابن حجر استاده ضعيف . ولكن له شواهد وطرقاً . تمتددة تقوية . والهدية مستحبة لغيره الحكم وما يمناه ^(٢٣) عن بريدة (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ به ذلك فهو غلول »

^(٢٤) عن علي (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم « أخذ الأمير الهدية سمحت وقبول القاضي الرشوة كثر » وأتى لا تقسم من تشديد الوضع

(٢١) رواه البخاري بن هو متفق عليه . (٢٢) رواه احمد والبيهقي وابن عدي وكذا أبو سعيد النقاش زاد في كنز العمال بعد ذكر أبي حميد الساعدي في الاولى « عن عرياض » وفي الثانية « وعن أبي سعيد عن أبي هريرة » . وابن جرير وابن عساكر وغيرهم (٢٣) أخرجه أبو داود (٢٤) رواه أحمد في الزهد عن علي

﴿ آثار السلف عبرة للخلق ﴾

عدل عمر وسبته (٧) روى سعيد بن أبي منصور في سننه وأبو بكر ابن أبي شيبة في مسنده والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اشتريت ابلا وارجمتها الى الحمى فلما سمعت قدمت بها فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمانا فقال : لمن هذه الابل ؟ قيل لبيد الله بن عمر فجعل يقول : يا عبد الله بن عمر من أمير المؤمنين !! فجئت أسعى فقلت مالك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما هذه الابل ؟ قلت إبل اشتريتها وبقيت بها الحمى ابتغي ما يبتغي المسلمون . فقال : ادعوا إبل ابن أمير المؤمنين . اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين . يا عبد الله بن عمر اغد على رأس مالك واجعل الفضل في بيت مال المسلمين . اه قوله « ادعوا إبل ابن أمير المؤمنين » الخ حكاية قول الناس .

فإذا يقول أمراؤنا الذين يستعبدون رعائهم ما استطاعوا ويمتدحون دماءهم ان استطاعوا . ويسخرونها في خدمة أرضهم ومواشيهم . ما لم يأخذ الاجنبي الذي يحمله كافرا على أيديهم . فما هذا الزمان الذي يعلمنا فيه « الكفار » المدلل بل يلزموننا به الزاما حتى يطحن الرعية على أوالهمس ويأمنوا على أنفسهم من أمرائهم وانتمهم الذين اتحلوا أنفسهم إمامة الدين . (٣) روى ابن سعد في الطبقات وابن راهويه عن عطاء قال : كان عمر ابن الخطاب يأمر عماله ان يوافقوه بالوسم فإذا اجتمعوا قال : يا أيها الناس اني لم أبت عمالي عليكم ليصيوا من أبتاركم ولا من أوالكم ولا من اعراضكم إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيكم بينكم فمن فعل

به غير ذلك فليقم . فما قام أحد الا رجلى قام فقال أمير المؤمنين إن عامك
فلانا ضربني مائة سوط . قال فيم ضربته : قم فاقتص منه . فقام عمرو بن
الماص فقال يا أمير المؤمنين إنك ان فعلت هذا بكثير عليك ونكون
سنة يأخذ بها من بعدك . قال أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتخذ من نفسه : (١) . قال فدعنا لترضيه . قال دونكم فأرضوه .
فافتدى منها بمائتي دينار عن كل سوط بدينارين .

فإذا يقول الناس هنا في أمرائهم الذين كانوا يضربونهم السياط
بغير حساب لتحصيل الاموال الاميرية ويضربونهم بغير حساب لتحصيل
الضرائب والمكوس الظالمة ويضربونهم بغير حساب لتحصيل ديون
الخواجات ويضربونهم بغير حساب لتسخيرهم في الاعمال العامة والخاصة .
ومع هذا كله يمتنون على البلاد انهم اقتدوها من ظلم الظالمين السابقين أي
انهم حصروه في أنفسهم واحتكروه لها ولا فرق عند المظلوم بين
ان يسمى ظالما مالكا أو مملوكا . وانه ليفرح بإفقاذه سواء سمي منقذه
مسلا أم سمي كافرا . فالحقائق لا تبدل ببدل الاسماء والالقاب وبالعدل
قامت ممالك الاسلام وبالنظم سقطت ممالك المسلمين « عسى ربكم أن
يزحمكم » وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »

(٤) روى ابن عساكر من مسند عمر عن الأحنف بن قيس
قال : ما كذبت امرأة قالوا وكيف يا أبا بجر : قال وقدنا على عمر بفتح
عظيم فلما دونوا من المدينة قال بمضنا لمض لو ألقينا ثياب سفرتنا ولبسنا ثياب

(١) القودُ النصاص وأقاد الأمير القاتل بالقبيل إذا قتله به المراد هنا التمكن

صوتنا فدخلا على أمير المؤمنين والمسلمين في هيئة حسنة وشارة حسنة
كان أمثال . فلبسنا ثياب صوتنا وألقينا ثياب سفرنا حتى اذا طلعنا في
أوائل المدينة اتبعنا رجل فقال انظروا الى هؤلاء أصحاب دينا ورب الكعبة .
قال فكنت رجلا ينفني رأيي فلمت ان ذاك ليس بموافق للقوم فعدلت
فلبسنا (وفي نسخة فلبست ثياب سفري) وادخلت ثياب صوتي العيبة
وأشربنا^(١) وأغفلت طرف الرداء ثم ركبت ولحقت بأصحابي فلما دفعنا
الى عمر نبت عيناه عنهم ووقت عيناه علي فأشار الي يده فقال : أين
زلتم ؟ قلت في مكان كذا وكذا فقال أرني يدك فقام معنا الى . بناخ ركابنا
فحمل تخلفها ببصره ثم قال : الا اتقستم الله في ركابكم هذه ؟ اما علمتم ان
لها عليكم حقا : الاتصدمتم بها في المسير ؟ (وفي رواية قصدتم وهما بمعنى
الوسط) ألا حملتم عنها فأكلت من نبت الارض ؟ فقلنا يا أمير المؤمنين
إنا قدمنا بفتح عظيم فأحببنا ان نسرع الى أمير المؤمنين والى المسلمين
بالتدني يسرهم فحانت منه التنامة فرأى عيتي فقال : لمن هذه العيبة ؟ قلت
لي يا أمير المؤمنين . قال فما هذا الثوب ؟ قلت ردائي . قال بكم تبدته ؟
فأقيمت ثلثي ثمنه فقال : إن ردائك هذا الحسن لولا كثرة ثمنه

ثم انطلق راجعا ونحن معه فلقية رجل فقال : يا أمير المؤمنين انطلق معي
فأعذني على فلان فإنه قد ظلمني . فرفع الدرة فحقق بها رأسه^(٢) وقال
تدعون أمير المؤمنين وهو ممرض لكم حتى اذا أشغل في أمر من أمر
المسلمين أيتيموه : أعذني أعذني . فانصرف الرجل وهو يتذمر فقال : ثلثي

(١) العيبة وعاء توضع فيه الثياب وانسرجها ضمها (٢) خفقه ضربه ضربا خفيفا

بشيء عريض كالخفقة وهي الدرة أو خشبة عريضة

الرجل فأتى المختمة فقال امثل . فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك قال :
ليس هكذا إما تدعها لله إرادة ما عنده أو تدعها لي فأعلم ذلك . قال ادعها
لله . قال فانصرف ثم مضى حتى دخل منزله ونحن معه فافتتح الصلاة
فصلى ركعتين وجلس فقال : يا ابن الخطاب كنت وضيا فرفك الله
وكنت ضالاً فهداك الله وكنت ذليلاً فاعزك الله ثم حملك على رقاب
المسلمين فجاءك رجل يستعديك فضربه . ما تقول لربك غداً إذا أتته ؟ قال
جعل يهاب نفسه في ذلك ممابة ظننا أنه خير أهل الأرض اهـ

فإن أمراؤنا اليوم وما مبلغ معرفتهم بالله وخوفهم منه وتعظيمهم
له . أعرف أن بعض من يتراءى بالدين ويشتخر بأنه يصلي قال له قائل
مرة : ورد في الحديث الصحيح « الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة
المسلمين وعامتهم » وهولاي من أتهم قائماً عملاً بالحديث أقدم له نصيحة
في شأن كذا . فنضب عليه غضباً شديداً لأنه وجه إليه النصيحة ومثله
أعلى في اعتقاده من أن ينصح وإن كان الحديث تافهاً بأن النصيحة لله
ولرسوله . ومثل هذا من أمرهم لا يحصى

(هـ) روى الدينوري في المجالسة عن مالك بن أوس بن الحدثان قال :
قدم بريد ملك الروم على عمر بن الخطاب فاستقرضت امرأة عمر بن
الخطاب دينارا فاشتريت به عطرا فجعلته في قوارير وبعثت به مع البريد إلى
امرأة ملك الروم قائلاً أياها فرغتهن وملأتهن جواهر وقالت اذهب إلى
امرأة عمر بن الخطاب . قائلاً أياها فرغتهن على البساط فدخل عمر فقال
ما هذا فاخبرته بالخبر فأخذ عمر الجواهر فباعها ودفع إلى امرأته دينارا
وجعل ما بقي من ذلك في بيت مال المسلمين . اهـ

وفي الأثر من الفقه ان الهدية وان كانت مكافأة على هدية أخرى فهي لأجل ان امرأة عمر امرأة أمير المؤمنين لاندائها فيجب ان يكون مأخذ مجاه أمير المؤمنين للمؤمنين . ولكن الملوك والامراء على المؤمنين في هذه المصور قد ملأوا قصورهم جواهر من بيت مال المؤمنين وهم يهدون منها ويهبون بلا مراض ولا منازع . وفيه أيضا المودة والتحاب بالهدايا بين المسلمين وغيرهم وان كانوا حريين ولكن في غير وقت الحرب وغير ما يتعلق بالحرب كالاعانة عليها فان عمر لم ينكر على امرأته إهداء العطر الى ملكة الروم . وهو يدل ان النساء أسرع الى الاشتلاف والمودة بعضهم مع بعض من الرجال وهو مشاهد معروف

باب الاسئلة والاجوبة

(س ١) نزول المسيح من أحمد أفندي عبد الحليم بشين الكوم: هل يوجد دليل شرعي على أن المسيح سينزل ويحكم وهل يكون نزوله نيامم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين كما هو معلوم في الشرع ولماذا حيثئذ ينزل المسيح وهل يكون قبل نزوله فترة؟

(ج) ليس في الكتاب والسنة نص قطعي اثبت والدلالة على نزول المسيح توجب على المسلمين الاعتقاد بذلك وانما ورد في نزوله أحاديث آحاد اشتهرت لغرابة موضوعها وتخرج الشيخين لها وأكثرها عن أبي هريرة . وهذه المسئلة من المسائل الاعتقادية التي يطلب فيها النص القطعي المتواتر . وقد استدل بعضهم عليها بآيتين من القرآن ليستا نصاً فيه بل ربما كان الظاهر منهما خلاف ما حملتا عليه عند من ذكر (احدهما)

قوله تعالى « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته » جاءت الآية في سياق الكلام على المسيح ومن أعم أهل الكتاب فيه وممنهاها الظاهر أنه لا أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بالمسيح الايمان الصحيح قبل أن يموت أي قبل خروج روحه لانه وقت تشرف فيه النفس على العالم الآخر فيظهر لها الحق ولكن اذا جاء هذا الوقت « لا ينعق نساء ايمانها لم تكن آمنت من قبل » أو كسبت في ايمانها خيرا « فالضمير في (موته) للمتي في قوله (وإن من أهل الكتاب) الذي معناه لا أحد من أهل الكتاب وعليه الا كثرون . وذهب المستدل بالآية على نزول المسيح الى ان الضمير للمسيح وانهم يؤمنون به قبل ان يموت عندما ينزل ويقم دين الاسلام ويحكم به ولكن النقي العام في الآية لا يصح على هذا الوجه لانه لا يشمل أهل الكتاب الذين يموتون قبل نزوله ولا يؤمنون به كاليهود في عصر التنزيل وما بعده الى عصر النزول المدعى . على ان القرآن مصرح بأن المسيح قد توفي قبل رفعه كما هو المتبادر من قوله عن وجل (يا عيسى اني متوفيك ورافئك الي) ولا يصار الى التأويل ، ما لم يتم على خلاف الظاهر الدليل ، وهذا ما يقال في الآية لقلتها فهي من حيث انها متواترة ليست نصاً ولا ظاهراً في المطلوب وان وردت شاهداً في بعض الروايات المرفوعة وللرواية حكما ومن ثبتت عنده وجب عليه الايمان بها والاية الثانية قوله تعالى بعد ذكر عيسى عليه السلام ومقاراة المشركين بينه وبين آلهم (وإِنَّ لِلَّهِ لَلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) فذهب بعضهم الى أن الضمير (إِنَّ) لعيسى واختلوا في وجه كونه على الساعة قليل أنه حدوثه وقيل بحياته الموتى وقيل نزوله في

آخر الزمان والاية لا تدل على هذا وإنما هو احتمال . وذهب بعضهم الى ان الكلام في القرآن لأن فيه الاعلام بالساعة والاستدلال عليها بالادلة التي تقرب الاعتقاد بها من العقول وهذا مما امتاز به على سائر الكتب السماوية التي سكنت عن ذلك أو أشارت اليه من طرف خفي ولا غرو فنبى القرآن هو نبى الساعة وقد عرفنا من أسلوب القرآن الانتقال من محاجة الزائمين في عقائدهم وتعاليدهم الى الدعوة الى القرآن واتباع من جاء به وتمام الآية تؤيد هذا القول الأخير . فظهر ان لادليل في القرآن على نزول المسيح وأما الاخبار فقد ورد فيها ذلك فلقاه الناس بالقبول لاسيما بعد اشتهار كتابي الشيخين ولكنهم لم يذكروه في العقائد الاسلامية لانه ليس قطعيا

ومما يستحق الذكر ان القول بظهور المسيح في آخر الزمان قد اتفق فيه المسلمون مع اليهود والنصارى في الجملة ولكنهم اختلفوا في التفصيل فاليهود ينتظرون مسيحاً جديداً يجدد ملك اسرائيل ولذلك يهون لتحقيق هذه الامنية سعياً مادياً يناسب الملك . والنصارى ينتظرون مجيء المسيح في ملكوته وصليبه ليدين المالمين ومحاسنهم على نحو ما يعتقد المسلمون في الآخرة . والمسلمون يعتقدون ان المسيح ينزل في آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقيم الشريعة الاسلامية ويصلي مأموماً وراء أحد أئمة المسلمين ليظهر ان الدين عند الله الاسلام

وقد بذت فرقة البهائية دينها على أساس هذا الاتفاق الاجمالي بين أهل الأديان السماوية وزعموا ان زعيمهم (بهاء الله) دفن عكا هو المسيح المنتظر وان الباب هو المهدي الذي يقول المسلمون ان ظهوره يتقدم

ظهور المسيح ولهم سبع طويل في تأويل الاحاديث وأقوال الصوفية الواردة في المهدي والمسيح وتطبيقها على الباب والبهاء وعند ما يدعون النصارى الى دينهم يترفون بأن المسيح كان الهاً كاملاً ويقولون انه لم يكن الهاً بجسمه بل بروحه وهذه الروح الالهية نفسها هي التي حلت في البهاء فهو اله كامل « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »

وفي الهند قائم يدعي الآن انه المسيح عيسى ابن مريم وكان من مشايخ الطريق وأهل العلم الاسلامي وقد رددنا عليه في مجلد النار الثالث وردنا على البهائية أيضاً وان لنا لودة ان شاء الله تعالى

وان من النصارى من يحمل ظهور المسيح أو نزوله في آخر الزمان على ان الصفات التي امتاز بها والتأليم التي كان يرشد اليها هي التي تكون سائدة في الناس وهي المحبة والمسالمة والوفاة والاخذ بمقاصد الدين والشريعة دون الوقوف عند الرسوم الظاهرة التي قالوا إنه طمسها من اليهودية ثم عاد المنتسبون اليه فوضعوا لهم رسوماً غيرها ربما تزيد عليها من بعض الوجوه. وهذا التأويل على حذو ظهر في المسلمين عمر « اذا قام فيهم ملك عادل » وهذا الجيش يقوده نابليون « اذا كان قائده شجاعاً مدرباً » ولا حاجة للمسلمين بالتأويل الا اذا ثبت ان الاخبار الواردة متواترة ويارضها قطعي آخر ككون محمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين . فعلم من هذا انه لا يكون زمن فترة يضع فيها الاسلام فيجده المسيح وإنما يبقى الاسلام معسولاً به الى قيام الساعة كما ورد في الحديث الصحيح . هذا وان لفظ النزول يستعمل بمعنى الخروج كقوله تعالى « وانزلنا الحديد » فاذا احتجنا للتأويل نقول ان معنى حديث نزول عيسى هو

ظهور حقيقته بظهور الاسلام واستعلاء برهانه فيعلم النصارى ان المسيح بشر لا آله وان دين الله واحد لا فرق فيه بين عيسى ومحمد وغيرهما من الرسل وهو توحيد الله والايمان ببعائه في الآخرة ووجوب عمل الخير وترك الشر وما يتفرع عن هذه الأصول ولا شك ان النراقي في علم النفس وعلوم الكون سيرتقي بالناس الى هذه المعرفة « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » (س ٢) انتفاع الموتى بالقرآن من الشيخ أحمد حسن يوسف معمر

بالأزهر : هل ورد دليل من الكتاب أو السنة أو الاجماع بانتفاع الموتى بقراءة القرآن عليهم أم لا ؛ فان كان ورد شيء يؤيد ذلك فإما معنى قوله تعالى « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » الرجاء كشف النقاب عن هذه المسئلة ولكم المفضل

(ج) لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في الاجماع شيء يثبت انتفاع الاموات بقراءة غيرهم القرآن عليهم والآية ناطقة بأن الانسان لا ينتفع الا بعمله وكسبه ومنه ما سبق أثره أو عينه بعد موته كالصدقة الجارية والعلم النافع والذرية الصالحة ولذلك ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات الإنسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم وأصحاب السنن من حديث أبي هريرة . فهذه الثلاث ملحقة بعمل الانسان وممتدة منه فلا حاجة الى ما قاله بعضهم من تخصيص عموم قوله تعالى « وأن ليس للإنسان الا ما سعى » بالحديث إذ لا منافاة . ومثل ذلك يقال في من سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يتصدق عن أبيه ومن سأل هل يتصدق عن أمه وإجابته

اياهم بنعم ومنهم سعد بن عبادة الذي سأله أي الصدقة أفضل : فقال : سقي الماء . ولم يرد مثل ذلك الا في صدقة الابناء عن الوالدين . وقد ألحقوا بهم غيرهم في الصدقة ولا دليل على ذلك الا اذا صح القياس في الأمور التمديدية . وخصوا الآية بالمبادات البدنية كالصلاة والقراءة . وقد استدل الامام الشافعي رحمه الله تعالى بالآية على ان ثواب القراءة لا يلحق الأموات وهو مذهب مالك أيضاً . ولا نخوض هنا في خلاف العلماء وتأويلهم لأن السائل لم يسأل عن ذلك

وأما حديث « اقرأوا يس على موتاكم » فتد رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي وابن حبان وصححه واحد بلفظ آخر . ولكن ابن القطان أعله بالاضطراب وبالوقف وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه من رجال سنده وقال الدارقطني هذا حديث ضعيف الاسناد مجهول المتن . وتصحيح ابن حبان لا يعول عليه مع هذا الجرح لانه كان يتساهل بالجرح فيعتمد جرحه دون تعديله اذا انفرد به كما صرح به الذهبي في ميزان الاعتدال . على انه فسر في صحيحه بقراءتها عند المحتضر فقال « أراد به من حضرته المنية لأن الميت يُقرأ عليه » وخالف المنتصرون للقراءة على الأموات . ولو ان في الباب حديثاً صحيحاً لما احتاجوا للاستدلال بحديث يضع الجريدين على القبر ولا دلالة فيه كما هو ظاهر

(س ٣) اتخاذ الصور احمد فتدي صادق الدباغ بالاسكندرية : ما حرم

اتخاذ الصور وهل يحرم تزين المنازل بها ؟

(ج) اختلف العلماء في اتخاذ الصور فقليل إنه محرم مدلقاً وقيل ان

المحرم منها ما لا ظل وأما ما لا ظل له فلا بأس باتخاذها . وقيل ان المحرم هو ما اتخذ

بهذه تعظيم وهذا أقوى الأقوال عندي لوجهين أحدهما حديث عائشة عند أحمد والبخاري ومسلم وهو « أنها نصبت ستراً وفيه تصاوير قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزعه . قالت : فقطعته وسادتين فكان يرتفق عليهما » وفي لفظ أحمد « فقطعته مرفقتين فأتته رأيت « متكئاً على أحدهما وفيها صورة » المرفقة المتكأ والمخذة ولو كانت الصورة ممنوعة لذاتها لأزالها من المرفة وإنما هتك الست لأنه كان منصوباً كالصور المعبودة فهو يذكر بها وفيه تشبه بإبديها . ثانيها العلة الحقيقية في النهي عن التصوير والصور المعظمة وهي محاكاة عباد الاصنام لما قالوه من أن فيها محاكاة خلق الله فان هذه العلة تقضي تحريم تصوير الشجر والجمادى ونقل بعضهم الاجتماع على حله . فاذا انتفت العلة انتفى المملول والله تعالى أعلم

القسم العمومي

الاجتماع الثالث - الداء أو الفتور المأم

في مكة المكرمة يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦ في الوقت المعين وهو بعد طلوع الشمس بساعة ثم وارد الاخوان لمخمل الجمعية غير ان الاستاذ الرئيس تأخر بنحو نصف ساعة ثم حضر واعتذر بأنه عاقله عن الحضور ان حضرة الشريف الأمير قد طلبه لزيارته فامسحه الا الاجابة بأكراً وما كان يظن أن يسترسل بينهما الحديث فيتأخر عن المباد ولكن اتفق ان الحديث كان طويلاً . ثم قال (الاستاذ الرئيس) أننا متشوقون لتقام بحث المولى الرومي وأمر السيد الفراتي كاتب الجمعية فقرأ ضبط مذاكرات الاجتماع السابق حتى بلغ آخره من عبارة المولى الرومي وهي قوله وعندى ان داء الدين دخول دينا تحت ولاية العلماء الرسميين بولاية أخرى تحت ولاية الجاهل للتعصبيين

فحينئذ أقاض (المولى الرومي) في الكلام فقال وهم المقربون من الامراء على أنهم علماء وارتباط القضاء والامضاء بهم فان بعض هؤلاء التعصبيين في البلاد الاسلامية

كانوا اتخذوا لانفسهم قانوناً جعلوا فيه من الاصول ما انتج منذ قرنين الى الآن ان يصير العلم منحة رسمية تعطى للجهال حتى للاميين بل وللاطفال .
ويترقى صاحبها في مراتب الداء والتفضل والكمال بمجرد تقدم السن أو ترادف الصناعات لاسيما اذا كان من زمرة الاسلاء . فانه يكون طفلاً في المهد وينت رسماً بانه « أعلم العلماء المحققين » ثم يكون طفلاً فيخطب بانه « أفضل الفضلاء المدققين » ثم يصير مرافقاً فيعطى لقب « أقضى قضاة المسلمين ، معدن التفضل واليقين ، رافع اعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الامياء والمرسلين ، » ثم وتم حتى يبلغ الوصف (بأعلم العلماء المتبحرين ، وأفضل الفضلاء للتورعين ، ينبوع التفضل واليقين ،) ولا يظن ظاناً ان هذا الاطراء من الامراء للمتممين هو بقصد ان يقابلوهم بالمثل بألقاب « المولى ، للقدس ، ذي القدرة ، صاحب المظلة والجلال ، المنزه عن الظير والمثال ، واهب الحياة ، ظل الله ، مهبط الالهامات ، سلطان السلاطين ، مالك رقاب المالمين ، ولي نعمة التقلين ، ملجأ أهل الخافقين ، » الى غير ذلك من مصارع الكبرياء والمهالك .

هذا ولا ريب ان كثيراً من هؤلاء العلماء المتبحرين لا يحسنون قراءة نصوصهم المرورة كما ان بعض اولئك التورعين رافعي اعلام الشريعة والدين يحاربون الله جهاراً ويستحقون ما يستحقون من الله وملائكته والمؤمنين .
ويكفي حجة عليهم ذلك نهبهم جميعاً بلباس مرمي من ركس بكثير من النقضة والذهب مما هو حرام في الاسلام وقد اقتبوا هذا اللباس من كهنة الروم الذين يلبسون القباء والفلسوات المذهبة عند اقامة شعائرهم وفي احتفالاتهم الرسمية وكم من خطيب يستوي على المنبر ويقول اتقوا الله وعلى رأسه وصدره ومثنيه هذا اللباس المتكر (مرمي) .
ثم ان هؤلاء المتممين ما كفاهم هذا القانون فالحقوه بقانون آخر جعلوا فيه التدريس والارشاد والوعظ والخطابة والامامة وسائر الخدم الدينية كالمروض تباع وتشترى وتوهب وتورث وما يخل منها نادراً عن غير وارث يمسها القضاة لمن يزدق منها او يتكرمون بها على المتماقين وهذا القانون انحصرت الخدم الدينية في الجهلاء والمتماقين .
ثم لما شكلت بعض الحكومات مجالس ادارية لم يرص المتممون حتى جعلوا فيها قاضي المسلمين وكذلك قتي المؤمنين فمما في كل بلد عضوان في مجالس الادارة يحكمان باشياء كثيرة مما يصادم الشرع كالربا والضريبة على الخمر والرسوم العرفية وغيرها مما كان الأليق والأنب بالاسلام ان يبقى العلماء يسيدين عنه كما ان القسيس بل

الشهاس لا يحضر مجلساً يعقد فيه زواج أو فريق مدينان ولا يشهد في مك دين
 داخله ربا فضلا عن ان يقضي أو يحضي بصفة رسمية كهنوتية امثال ذلك من
 الاعمال التي تعادى دين التعرانية .

وكذلك لما وضعت الحاكم العرفية (الاهلية) تهافت التعميمون على جعل قاضي
 المسلم رئيساً للمحكمة العرفية التي تحكم بما لم ينزل اقرباً يتبرأ الدين الخفيف منه من
 محورياً صريح ومن ابطال حدود الله التي صرح بها القرآن أو باستبدال عقوبات
 سياسية أو تعزيمات مالية بها . ومن نحو سيطرة العباد بمجرد الظن والرأي وشهادة
 الواحد وشهادة الفاسق وشهادة العامة المجاهرة بما لا يلزم التسرع قطاً ومن نحو
 تنفيذ كل حكم عمر في حق أو باطل بدون نظرقه ومن تحصيل ضرائب وضرائب
 ومن توقيف الاحكام الشرعية على لسبقها الرسوم من الاخصام واموال الايتام
 ومن اهم سمات التعميم انهم يقتضون في صدور الامراء لزوم الاستمرار
 على الاستقلال في الرأي وان كان مضرراً ومطاعة الشورى وان كانت متعبة والمحافظة
 على الحالة الجارية وان كانت مبهمة ويلتزمون عليهم بأن مشاركة الامة في تدبير شؤونها
 واطلاق حرية الانتقاد لها ليحل بفوقها الامراء ويخالف السياسة الشرعية ويلتزمونهم
 حجباً واهنة لولا ان اطلعها جهل الامة ووراءها سطوة الامارة لا تحرك بها
 شفتان ولا تردد في ردعها انسان

والامر ان لو ملك الامراء يقتبسون من هذه الحجج ما يملحون به في
 مقابلة من يترض على سياستهم من الدول الاجنية يقولون ان قواعد الدين الاسلامي
 لا تلائم اصول الشورى ولا قبل النظام والترقيات للدينية وانهم مطلوبون على امرهم
 ومضطرون لرعاية دين وعيالمهم ومجارات ميل الفكر العام
 وبهذه القوانين استأثر الجيلاء القاطنون بجزايا السوء المسلمين واعتصموا اوزانهم
 من ريت المال ومن اوثاق الاسلاف فبالضرورة قلت الرغبات في تحصيل الملوك
 ومبطلت الهمم وصار طالب السلم يضطر للاكتفاء ببلقة منه ويستقل بالاحتراف
 للارزاق ومكثافد السلم وقل امله فاحتلت القرية الدينية في الامة فوقت في
 القصور وعمت فيها الشرور .

أجاب (الرياني الكردي) ان هذا الداء خاص ببعض الشعوب الاسلامية فلا يصح
 سباً للقصور العام الذي نبحث فيه ونسائل عنه . وعندني ان السب العام هو ان علماءنا
 كانوا اقتصروا على العلوم الدينية وبعض الرياضات واهملوا باقي العلوم الرياضية

والطبيعة التي كانت اذ ذك ليست بذات بال ولا قيد سوى الجمال والكمال فقد
أهلها من بين المسلمين واندست كتبها واقطعت علاقتها فصارت منفوراً منها على
حكم « المرء عدو ملجهل » بل صار التطلع اليها منهم هتق ويرى بالزبح والزدة
على حين اخذت هذه العلوم تم في الغرب وعلى ككر القرون رقت وظهر لها ثمرات
عظيمة في جميع الشؤون المادية والادبية حتى صارت كالشمس لاهة لذي حياة الابنورها
فاصبح المسلمون مع شاسع بصددهم عنها محتاجين اليها لاجارة حيراتهم احتياجاً يم
الجزئيات والكميات من رية الطفل الى سياسة الممالك ومن استبانت الارض الى
استمطار السماء ومن عمل الابرة والقوارير الى عمل المدافع والبوارج ومن استخدام
اليد والحمار الى استخدام البرق والبخار .

ولاشك ان المسلمين أصبحوا بعد الاكتشافات الجديدة يستفيدون من العلوم
الطبيعة والحكمة فوائد عظيمة جداً بانظر الى كشفها بعض اسرار كتاب الله وبالغ
الحكمة التطوية فيه مما كان مستوراً الى الآن وقد خبط فيه انفسرون خط عشواء
بل انهمي المسلمون محتاجين للحكمة المقايمة التي كادت تجعل القرابين ادري منا
حتى بمباني ديننا كاستدلالهم بالمقايمة على ان نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل
المالين عقلاً وأخلاقاً وكنائهم بالمقابلة لن ديننا أسمى الديانات حكمة ومنيرة .

وعندي أه لولا هذا القصور ، لما وقع المسلمون في هذا القور ، والامل بناية الله
انهم بعد زمان قصيراً وطويل لابد أن يلتفتوا الى هذه العلوم النافعة فيستعيدوا نشأتهم
بل يجلبوا الى دينهم العالم المتمدن لان نور المعارف على قدر ابادة العقلاء عن التصراية
وامانها يقرهم من الاسلامية لان الدين المملوء بالخرافات والعقل المستير لا يجتزمان
في دماغ واحد . (مرعى)

ثم ان تبة هذا القصير وان كانت تلحق علماء الأمة المتقدمين الا ان علماءنا
لنا آخرين أكثر قصوراً لانهم في زمان ظهرت فيه فوائد هذه العلوم ولم يحصل فيهم
ميل لاقياسها بل زاعم مقتصرين على تدريس كون الفقه الفقه فقط أو بسلاوة شئ
من النطق انما للمقائد وشئ من الحساب اكلا للفرائض والوارث قلما يفيد .

وكذلك نرى وعاطنا مقتصرين على البحث في التوافل والقربات الزيدة في الدين
ورواية الحكايات الاسرائيلية ومثلهم المرشدون أهل الطرائق فهم مقتصرون على
حكايات نوادر الزهاد من صحيح وموضوع ورواية كرامات الانجباب والتقاموالابدال
وعلى ضبط وزن التمايل واصول الانتاد ولا نرى خطاباً واقصايرهم على تكرار

عبارات في الثمت والدعاء والفراة والمجاهدين ونمداد فضائل المبادات والشهور والمواسم .
والحاصل ان تعبيرات العلماء الاقدمين واقتصارات المتأخرين وتباعد المسلمين
الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية جعلتهم أحط من كثير من الأمم ولا شك انه اذا
تمادى تباعدهم هذا خسين علما أخرى تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم كعبدها
ما بين الانسان وباقي أنواع الحيوان فبناء عليه يكون فاموس الارتقاء هو المسبب لهذا
الفقر كما قال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

فاجابه (الكامل الاسكندري) ان هذا سبب من الاسباب ولا يكفي وحده
لحل الاشكال لان فقد العلوم الحكمة والطبعية لا يصاح سبباً ان فقد الاحساس الملى
والاخلاق المانية لانها توجد في أعرق الامم جهالة وانما سبب فقر حياتنا الادبية
هو يأسنا من المباراة وذلك اننا كنا علماء راشدين وكان جيراننا متأخرين عنا فقرنا
البقاء فنمنا واجتهدوا فلهقونا ، ولبنانيا ما فاجتازوا وسبقونا . وتركونا وراءهم . وطال
تومنا فبعد الشوط حتى صار ما بعددورنا وراءهم . فصغرت نفوسنا وقدرت هممتنا وضعف
احساسنا ففئبنا من الاحقاق والمجارات وخرجنا من ميدان المنافسة والمباراة والستنا
تفيض بقوله تعالى « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » فعندنا الى كهف النوم
مستسلمين للقضاء ، نطلب التفرج بمجرد التني والدعاء ، ذاهلين على ان الله تعالى جلت
حكيمته رب هذه الحياة لدنيا على أسباب ظاهريه ولم يشأ ان يجعلها كالأخرة عالم أقدار
فهذا اليأس هو سبب الفقر فنسأل الله تعالى العطف في المقدور

اجابه (المعارف التناري) ان هذه شكايه حال ولا تنفي بالجواب لانه ما السبب في
ن هذا النوم غثي المسلمين ولم يزل ينشاهم دون كثير غيرهم من الامم التي اتبعت
وسارت ولحقت ظلمن الاعياء وما المسلمون بالابدين المتقطعين كأهل الصين ولاهم
بالتوحشين العريقين كاهل امريكا الاصليين .

ثم قال : انا ارى ان عارضة فقدنا السراة والهداة فلا أمير عام حازم مطاع ليسوق الامة
طوعاً أو كرهاً الى الرشاد ولا حكيم معترف له بالزربة والاخلاص لتفاد اليه الامراء
والناس ولا تربية متحدة المقصد ينتج منها رأي عام ، لا بطريقة تحاذل وانقسام . ولا جمعيات
منظمة تبسب بالخير ، وتتابع السير ، ولذلك حل فينا الفقر ، والى الله ترجع الامور .
أجابه (الفقيه الافغاني) ان ما وصفته من أمير وحكيم لا يوجدان في الامم المنحطة
الا اتفاقاً وأما الرأي العام والجمعيات فلا يفقدان الا بسبب فقد الاحساس وهذا
ما نتساءل عنه . وذكر ان الداء العام فيها يراه هو الفقر الآخذ بالزمام لأن الفقر قائم

كل شرورائد كل نحس فته جهلنا ومنه فساد أخلاقنا بل منه تشتت أرواينا حتى في ديننا ومنه فقد احساننا ومنه كل مانحن فيه ما أو نتوقع انما سنواقفه. فهذه فطرنا لا نقص فيها عن غيرنا وعدونا كثير وبلادنا متواصلة وأرضنا خصبة ومعادنا غنية وشرعنا قويم ونهارنا قديم فلا يتقصنا عن الأمم الحية غير القوة المالية التي أصبحت لا تحصل إلا بالعلوم والفنون العالية وهذه لا تحصل إلا بالمال الطائل فوقنا في مشكل الدور وعسى أن نهتدي لفك سيدلا والا فيحقيق بنا ما وس فناء الضيف في القوى وفناء الجاهل في العالم

ومن أعظم أسباب فقر الأمة ان شريعتنا مبنية على ازفي أموال الاغنياء حقا معلوما للبائس والمحروم فيؤخذ من الاغنياء ويوزع على الفقراء وهذه الحكومات الاسلامية قد قلبت الموضوع فصارت تجبي الأموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للاغنياء ونحايي بها للمسرفين والسفهاء . (الاجماع بقية)

باب التوسل بالتعليم

هو الكتاب الثالث «من أميل القرن التاسع عشر» في الباب

شذرات مقتطفة من جريدته اسم - تحرير أبحر ازبون في سنة ١٨ الداخلة في سنة ١٨٦

الشذرة الاولى

حب الزوجة والولد والوطن

منذ سنة تغيرت شؤون حياتي كلها

ولقد وجدتها هي بعينها (١) ولما تلاقينا كنا كأنا لم نفترق في حياتنا فان النوى لم تغير شيئا من ضروب وجدانا ولا من عاداتنا لبقاء قابضا على ما كانا عليه من الارتباط والاتحاد وغاية ما حدث اني أراي الآن آتس مني في جميع أيامي السائمة بحسن مباشرتها وجمال معاملتها نعم انها لم تنق طفلة كما عهدتها ولكنها لم تأخذ من مرور

(*) الباب الأول من هذا الكتاب في الأم والباب الثاني في الولد وقد تقدم ما وهذا

الباب الثالث في تربية الفلام اليافع (١) يريد زوجته أم أميل

الاعوام وكروور الايام الا ما يزيد للمرأة في القلوب حبة وفي النفوس تأثيراً : كان روحها وبلايح وجهها تكلمات وتطهرت بادائها فروض الامومة المقدسة

كنت أوشكت ان أقطع من معرفتي لولدي ومما ينبغي التنبه عليه في هذا المقام ان الذين هم اكثر الناس اشتةً لا بالتربية لم يرزقوا اولاداً أو رزقوهم وحرموها من رؤيتهم وربما كان هذا هو الباعث لهم على الاهتمام بالتربية وجعل البحث في شؤونها غايتهم ليؤدوا بذلك ما فرضه الله عليهم منها بنوع آخر من الاداء

فليت شمري بماذا استحققت ان اكون أسعد من هؤلاء مع كونهم أجدر مني بالسعادة ما أشدني حزنًا وتأثراً عند فراق ولدي اياي وما أعظم زهوى وابحالي به عند ما آخذ يده وأتره معه في المزارع وان الدنيا لترى في عيني جديدة وهو هي كأن لم أرها منذ سبع سنين . ولا جرم ان الانسان لا يبدر وهو رهين السجن محروم من الحرية فكل ما كنت أراه من أشجار وصخور عمرت عمر الدنيا القديمة كان يجئني الي انه لم يخلق الا بالامس

خطر في ذهني ساعة خاطر العود الى فرانسا ولكن الف مانع — وان شئت فقل الف وهم — قد تحول بين المرء وبين مدينته في وطنه وما أدراك ان من هذه الموانع ما يعتري من الألم المعض الذي لا يستطيع التعبير عنه اذا رأيت أمة عظيمة عهدتها جرة قد أصبحت في قبضة حاكم وجبج ما يحصل في هذا الوطن لا يقل عن ذلك ايلاً ما للقلب ولا ازهاقاً للنفس

يوجد في جميع عصور التاريخ رجال بررة صالحون رأوا من الواجب عليهم لا أنفسهم ولا وطنهم ان يخدموا هذه الاوطان وهم بمنزل عنها قتل هؤلاء هم فيما أرى أشد حياءً لها لانهم سواء قربوا منها أم يبعدوا عنها يحبون بتفاحتها ويفتخرون بجهادتها في سبيل الخير وبما لها من الآمال في الوصول اليه . جرحهم في صميم أقدسهم ما من أمنهم من القروح وان كان يبدو من حال الامة عدم شعورها بالمالها كأن في مرور الزمن عليها والاعتماد على احتمالها من قوة التأثير ما يكفي لاتدماها جميعاً . مثل هؤلاء المتطوعين بالاغتراب والتي يلومون الناس وحوادث الدهر ولكن اذا حاول مجادل امامهم ان ينقص من كرامة فرانسا ويحط من شأنها استشاطوا غضباً وتنبغ لهم في عروقهم . ذلك ان هذه القطعة من الارض التي تنازلوا عن سكنها مختارين قد تغافل حراً في احتشامهم وأخذ بمجامع قلوبهم فتراهم يبذلون الوطن نفسه في اعزاز شأن المعنى الذي قام في أذهانهم منه ويفضلون الحكم على أنفسهم بالبعد عنه على رؤيتهم اياه مهيناً ذليلاً .

كأنني بساتل يقول : لماذا اتخذت هذه المادة وهي تقييد أفتخارك ومذا ذراك
كل يوم بحسب العادة والاتفاق فاحيه ان هذا مطوي ايام ميسرة في السجن أشهره
للناس لأنني لم يكن لي فيه أنيس أمارحه الحديث كنت اكتب كأنني أرسلتني . اه

الشذرة الثانية

(تعليم السميات قبل الاسماء)

لم تخاف طريقتها في تربية « أميل » أملا من آمالي فلتبق على ما هي بيده من
تهذيبه وتثقيفه بما تقدمه له من الآتي وبما توجه الى نفسه . من الثقة بها . على أننا
من عهد أن انعم الله علينا باللقاء رأينا من التقييد أن تقدم العمل يتنا لان التعليم — ان
لم اكن غالياً في حكمي — هو من وظائف الوالد غالباً وأما التربية فلها من أعمال
الوالدة وان أردت ان تعلم ابنك من قيام كل منا بعمله فاقول :

لما يدرس « أميل » شيئاً درساً منتظماً فهو انما لقف دروسه الاولى في علم
التاريخ الطبيعي متفرقة على نحو من الاتفاق وذلك بمعاينة ما كان يجده كل يوم على
شاطئ البحر من أنواع المحار والصدف . ثم انني أمكنه من النظر بالنظار العظيم
(الميكروسكوب) وهو آلة شائعة الاستعمال جداً عندنا مجر كاً أجزاءه بنفسه فيكبره
بعض عجائب المخلوقات غير المتناهية في الصغر واريه بالمرقب (التليكوب) وهو آلة
أرصد بها النجوم لئلا عجائب المخلوقات غير المتناهية في الكبر . وقد ألتأنا من
الزجاج بالماء المالح ووضعنا فيه حيوانات هلامية وحيوانات قشرية وأسمكا وكنا نجد
ماء كل ثمانية أيام ومنه نلقى « أميل » كل ما عرفه فيما أرى من علم حياة الحيوانات
التي تعيش في برف البحر . وفي بعض الايام أكرر بمشاهدة بعض شجوب
سهلة جداً في الكيمياء والبيولوجيا على جملة « إيسي » حزين الدارين . وانه بعض
الادراك تأثير بعض الاجسام الفطرية في بعض . ورأني يوماً أضغ مقاييس للحرارة
والهواء ومع كونها لم تكن من الاتفاق في شيء بدالي منه انه ادرك استساها في الجملة
لأنني رأيت يريد محاكاتها . جميع ما تقدم هو كتب تعليمنا حتى الآن

لا بد ان أكون أنا و « أميل » تابعين في التعليم لمذهب أرسطاليس لان اغاب
درسنا نحصل في وقت التمرن فاني أدع لأمور الكون وحوادثه تقيهذه غير متعرض
لها بشرح ولا تفسير الا ان يكون اجابة عما يوجه الي من الاسئلة مجتهداً في أن يكون
الشرح واضحاً والبيان واقعياً . وقد عرفت من محاورته ان الوسيلة الى اصقائه الي هي

تأبى عليه أفكاره عند محادثته وإن كثيراً ممن يأخذون على أنفسهم تعليم الاطفال ليأمنون لهم في البيان ويشرطون في الشرح كما لو كانوا في حاجة الى ان يثبتوا بذلك لانفسهم انهم على معارف واسعة وعلوم جمة . أما لا اعلم « اميل » شيئاً بل اني أعلم معه فموضاً عن كوني أعلم طريقي في النظر أجهده في معرفة طريقته وتميزها وبلا اميل الى معرفته بحال أجهده مثله أو أجمعه . نعم ان هذه الطريقة ليس من شأنها ان تعلي قدر الاستاذ في نظر تلميذه وأنه لابد في اتباعها من ثقل العقل عن الفرض وتأزله عن بعض شهواته ولكن ماعو متبع الآن من نقش صيغ العلوم وقوانينها وقضاياها في اذهان الاطفال ليس هو لا كرقم الالفاظ على الرمل

ملكه البحث عند الطفل هي كغيرها من الملكات تنمو بالاعتماد والمراس فان الشوق الى معرفة الاشياء يتولد في الانسان ولا يولد معه وإنما يكتسب ذوق الملاحظة الاستقلالية بالملاحظة نفسها . ان لي أن اعين فيه « اميل » والتفاته بأن أريه ما لا يراه في الاشياء لأول نظر . اليها غير أنه في هذه الحلة يجب ان يكون هو مصدر الميل الى ذلك أيضاً وان يكون صدور هذا الميل منه فطرياً . ثم ان الاطفال في الجملة مدفوعون جداً بسائق الطبع الى الاكثر من السؤال فرأني أن التعجيل لهم بالجواب قبل السؤال وتجاوز حدود ما يطلبون معرفته مما يخجوه نار هذا الاستعداد المبارك لان ذلك يفضي بكثير منهم الى التزام السكوت ليكفوا انفسهم مؤنة سآمة الدرس وطوله . اهـ

﴿ قوانين التعليم الرسمي والجمعية العمومية ﴾

« النبة الثانية »

نقدم في الجزء الماضي ملخص ما دار بين مفتي الديار المصرية وناظر المعارف من المناقشة والمراجعة في اقتراح عرض قوانين التعليم في مدارس الحكومة على مجلس شورى القوانين كدار قوانين الحكومة ونذكر في هذا الجزء ملخص ما دار في الجمعية بين الناظر والشيخ علي يوسف في ذلك مع بيان رأينا فيه ثم نقدر القانون فقول (الشيخ علي) : « الضمانات » (١) التي ذكرها سماعة ناظر المعارف إنما هي كافية في التعديلات الادارية كتحديد اوقات الدروس وحصر المدرسين وأما القواعد

(١) رأى القراء في النبة الأولى أننا كنا نضع كلمة « الضمانات » و « الضمانات » بين علامات مميزة كما هنا اشارة الى معناها الذي يخلف ما استعملت فيه وهو المرض فكان ناظر المعارف يقول ان لقوانين التعليم في نظارته حمة أمراض ونحن نقول انها أكثر

الكلية المتعاقبة بالعلوم من حيث تربيها في التعليم واللغة التي تعلم بها فربما لا يصح تغيير قوانينها في أقل من عشرين سنة مثلاً لذلك يجب الضمان . والتعليم باللغة الأجنبية . مناه نقل أشخاص إلى العلم وأما التعليم بلغة الأمة فهو نقل العلم إلى الأمة فيسهل على الطالب معه أن يتفهم به بعلمه وبما يحيط به من كتب التعليم . وقد نشأ عن التعليم باللغة الأجنبية قلة التأليف بالعربية وعدم وجود الأساتذة الأكفاء في المدارس الحرة ولم تقم من ذلك « ضمانات » ناظر المعارف « فالتقوانين العمومية يجب عرضها على مجلس شورى القوانين إذا لا يكفي فيها نظر الحكومة وحدها

(الناظر) أن الطرق المتبعة في التعليم ما وضعت إلا بعد تجارب شتى بمعنى أن هذا العلم الذي تبين أن تعليمه بالعربية أنفع يكون تعليمه بها والعكس بالعكس إذا المدارس في ذلك على الكتب والمدرسين والأقرب للترقي . وبما يتبعه من « الضمانات » وغيرها يتضح أن وضع البروجرامات « يتبع فيه أحسن الطرق وأفضلها أمّا كتب (الشيخ) ذلك يراد به الأسهل في التعليم والذي يزيد هو نفع الأمة وقد كان منذ عشرين سنة تأليف كتب في الطب والطبيعة وغيرها من العلوم فيأتي بها التاميد فيستفيد منها أبوه وأعلمه ولا شيء من ذلك الآن لأن التعليم والتأليف باللغة الأجنبية فيجب أن يكون التعليم الوسط بلغة البلاد ويصح أن يكون في المدارس العالية باللغة الأجنبية

(الناظر) يترتب على هذا جعل التعليم ناقصاً . وانتشار العلم في البيوت لا يكون بوجود الكتب في أيدي أفرادها إذ لا يفهم الكتاب إلا من كانت عنده مبادئ العلوم وعند ما رأى أعضاء الجمعية أن الناظر يمد كلامه ويحتج « بضمانات » كما ألححت الجمعية لزجوب الخلل بمجلس الشورى على قوانين التعليم قال حسن بك : « قد تكرر أن أحسن ضمان هو إرسال قوانين التعليم لمجلس الشورى وأمر الرئيس بأخذ الآراء « فقرر بأغلب الآراء « طلب ذلك من الحكومة . ولا أدري هل سكان في المخالفين أحد غير ناظر المعارف ؟ إن كان قلعله من بعض الموظفين الذين يرون موافقة الناظر تأييداً لحزب الحكومة وإن كانت المصلحة واحدة والشورى من الحكومة أما الجواب الأول للناظر فقد أحسن الشيخ علي في نقضه بقدر ما يسمح له المجلس الرسمي وزيد أيضاً بأن هذا التعليم الذي وصفه الناظر بأنه أنفع وأحسن وأفضل قد خالفت النظارة فيه ما تفقت عليه الأمم الأوروبية كلها وفي مقدمتهم الانكليز . ذلك أن التعليم الابتدائي في أوروبا لا يكون إلا بلغة البلاد لأن حياة الأمة بانها

وتعلم لغة أخرى لأجل المزيد في العلم كتعلم الانكليزية الألمان هو من الكماليات التي يجب أن تكون بعد الضروريات . فهل وصل نظار مدارس معارفنا ومقشورها — ان كان قانون التعليم برأيهم — الى ما لم يصل اليه فلاسفة اوربا وأساتذتها في علم التربية والتعليم ؟

فان قال الناظر اذا ثبت ان تعلم اللطيفيات مثلاً أسهل باللغة الانكليزية منه باللغة العربية فكيف تنكب الطريق السهل ونسير في الخزون الوعرة ؟ نقول له بعد التسليم : وهل تعدل عن الانكليزية الى التركية او اليابانية اذا ثبت عندك ان التعليم بها أسهل وانتحصل أقرب ؟ وانما قلنا أسهل وأقرب ولم قل « أسهل » كما قال الناظر لأن الأهمية لاشبه عليها الا اذا فسرنا بالسهولة وقرب التحصيل اذ لا يمكن ان يقول عاقل اتى أسى بمحو لغة أمي واستبدال لغة أخرى بها لمنفعة من المنافع وأي نفع في الدنيا يوازي ضرر اهمال لغة الأمة التي هي من أقوى مقوماتها أو هي اقواها في نظر الاكثرين

وأما الجواب الثاني من أجوبة الناظر فأمثل ناقض له ما قلته لجمعية من ترك المناقشة بالمكبرة والاضرار على ان الضمان على التعليم لا يكون للأمة الا بعرض قوانينه على مجلس الشورى والجزم بطاب ذلك من الحكومة . وماذا عسى أن يقال ان يقول ان التعليم الابتدائي بلغة الأمة يكون ناقصاً وجميع الأمم الحية عليه كأن الكمال لم يوجد الا في معارف مصر التي لا أثر لمعارفها يذكر بالنسبة الى سائر الأمم . وماذا عسى أن يقال لمن يدعي أن انتشار الكتب العلمية في الأمة لا تأثير له في منفعة الليوت ورتقي أفرادها ؟ اليس محدث التلامذة في بيوتهم ومذاكراتهم في المسائل العلمية بأنهم مما يحمل الاصطلاحات العلمية مأثورة في الليوت لكثرة طروقها للمسمع : اليس الآباء والأهالي الذين تلقوا شيئاً من مبادئ العلوم وقضت عليهم شؤون الميشة بدم اتمام تعليمهم يتفهمون بالكتب المؤلفة اذ كانت بلقهم ؟ بلى وانما نعود الى الكلام في قانون التعليم فنقول : ان في هذا القانون (البروجرام) عيوباً وتقصيراً نسردها ما يظهر لنا منها بالاحتمار على ترتيب القانون وهو

(١) كون القرآن لا يدرس الا في السنتين الأولى والثانية وكون الذي يقرأ منه جزأين فقط . والأمة ترغب في اقراء أولادها القرآن كله لما في قراءته من تقويم اللسان وتوحيده على الفصاحة في النطق والاستعانة على الكتابة والحطابة ولكونه أصل الدين والوسيلة المظلمى لكمال من يفهمه . ولم ننس « الضمانات الخمس » عن

هذا النقص شيئاً .

(٢) كون تعليم الدين والتهديب في أثناء سنتين فقط مع أنه يجب أن يكون ذلك موزعاً على جميع السنين لأن الدين والتهديب هما المقصود الأهم من التعليم ومن لم يتمكن منهما يكون خاطئاً في حياته وإن تعلم جميع الفنون الأخرى . ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٣) كون الوقت المخصص لتعليم الدين والتهديب معاً ساعة واحدة في الأسبوع مع أن اللغة الأجنبية التي تعلم من السنة الأولى الابتدائية إلى آخر يوم من أيام التعليم العالي لها سبع ساعات في الأسبوع من السنتين الأولىين ، فالساعات المقررة في القانون لتعليم علوم الدين وعلم التهديب ٣٦ ساعة في السنة و٧٢ ساعة في مدة الدراسة كلها وتقتال منها أيام الأعياد والمواسم ما تقتال . فائدة نحو ثلاثة أيام وهي لا تكفي لتعليم الأكل . فهل تكفي ببركة « الضمانات الخمس » لمعرفة الله وما أوجبه على عباده من أصول الإيمان وتتيف الأخلاق وكيفية العبادات مع التهديب المدني الديني الذي نوه به ذلك القانون . هذا أكبر عيب ونقص في نظام المعارف ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٤) كون علم الدين لا شأن له في درجات ترقى انتلامه في الامتحان المعبر عنها بالتميز فلو فرضنا أن تلميذاً بلغ في فهم الدين ومعرفة أحكامه مبلغ الأئمة وكان مساوياً لآخر في سائر العلوم فإن هذه المعرفة لا ترفعه عنه درجة واحدة فإن زاد ذلك الآخر درجة واحدة في الخط الأفرنجي مثلاً فإنه يرتفع بذلك ويتقدم على ذلك الإمام الديني الجليل . ومن لاحظ أن انتلامه لا يجتهدون إلا لأجل السبق في الامتحان وعلم أن تلميذ لا يجتاز فيه تسبق لأنه لا درجة له علم أن النظارة تستند إليها الذين أقر جاهله مرتبته ومكانته وهذا نقص فاحش في قانون التعليم ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٥) كون المسائل التي يتدأ بها في تعليم الدين تملو على عقول المبتدئين وهي كافي الصفحة ١٢ من القانون « احتياج الإنسان إلى الدين — بيان الفوائد المترتبة على التمسك به — بيان أنه ليس قاصراً على أنواع العبادات بل هو مشتمل على ما يلزم الإنسان من المعاملات وغيرها ويرشده إلى طريق المجد والشرف في الدنيا والآخرة — أول ما أوجبه الدين — ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز — الحكمة في إرسال الرسل — ما يجب في حقهم عليهم الصلاة والسلام وما يستحيل وما يجوز —

نبيه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه .

ولاشك ان هذه المسائل يتوقف فهمها على معرفة الاحكام العقلية والالام بعلم الاجتماع فابتداء التعليم بها قص . واذا فرضنا ان تلامذة السنة الثالثة الذين لم يكونوا تعلموا من الدين شيئاً مستعدون لفهم مقدمات هذه المسائل ثم لفهمها ثم فرضنا أنهم يعلمون المقدمات فماذا فهل يقدر المعلمون على تعليم ذلك كله مع علم التهذيب في ست وثلاثين ساعة وهو الوقت الممين لدرس هذه الاشياء كما تقدم ؟ اللهم ان هذا ما لا يستطيع أن يتصوره عاقل وانه لنقص فاحش وخطأ فاضح في قانون تعليم المعارف ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٦) كون هذه المسائل غير محيطة بالمقائد الدينية فهناك مسائل أخرى يجب معرفتها وليس بهذه السنة تعليم المقائد وهذا نقص ضار متقد ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً آخر

(٧) كون الكتاب الذي تعلم به هذه المقائد وما معها ليس مؤلفاً على الوجه الذي يؤدي الى النفاية المذكورة في قانون التعليم قبل تلك المسائل التي ذكرناها ثم ان أثر تلك النفاية لم يظهر في تلامذة مدرسة من المدارس كلهم أوجاههم فنقول ان المدارس على المعلمين في الوصول اليها وهذا اهل عظيم ونقص محسوس ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٨) كون قسم الاخلاق الدينية لا وجود له في تعليم مدارس الحكومة وهذا نقص عظيم ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٩) كون علم الحلال والحرام مهملاً لا وجود له في التعليم الديني وهذا نقص قبيح والنفاية من تعليم الدين لا تتم الا به ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(١٠) كون مسائل العبادات التي تدرس في السنة الرابعة غير كافية وغير مؤدية الى النفاية المطلوبة وكون الوقت المخصص لتعليم العبادات غير كاف وهذه أنواع من النقص والحلل جعلها واحدة لانه تقدم في قسم المقائد نظيرها . ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً . وقد طال الكلام في انتقاد تعليم القسم الديني ومن بين لنا خطأ في شيء منه فاننا نرجع عنه لان قصدنا الاصلاح لا اظهار العيوب . وستكلم عن النقص في سائر الاقسام فيما يأتي ان شاء الله تعالى

أنا على البرهان

﴿ شهادة مفتي الديار المصرية لكتاب اسرار البلاغة ﴾

طلبنا من مولانا الا. تاذ الامام مفتي الديار المصرية أن يكتب لنا رأيه في كتاب
أسرار البلاغة الذي ا. تاذنا به بارشاده فكتب حفظه الله ما يأتي :

اطاعت على كتاب ا. رار البلاغة من تأليف الامام الجليل الشيخ عبد القاهر
الجرجاني وبقيت في ا. به وقرأته درساً في الجامع الازهر . وقد وضعه مؤلفه في
علم البيان والاستمارة والياز وسلك المسلك الذي يوافق العقل البشري سلوكه في
تصوير المعاني وتشخيصها على وجه تتأثر منه العقول بالآثر المطلوب من ابرازها لها .
ولم ار كتاباً في هذا الفن لا يقلم متأخر ولا يقلم متقدم يقرب من هذا الكتاب في
حسن الاسلوب وحياء المعنى ورواقه . ولقد كان كنزاً مخفياً لا تصل اليه يد الباحث
حتى يسر الله لنا نسخة من كتابها الينا أحد أهل العلم من طرابلس الشام وكان فيها
نقص ومخريف فأرسلت أ. مد طلبه العلم الى الاستاذة العلية ليقابها على نسخة هناك
ثم كمن تصحيحها أناء ا. ريس فكان ظهور هذا الكتاب من نعم الله على المشتغلين
بهذا الفن الجليل . وهو جدير بأن يتفجع به الاستاذ ويقتطف منه التلميذ وتزين به
كل مكتبة في مشارق الارض ومغاربها

مفتي الديار المصرية

محمد عبده

﴿ دلائل الاعجاز ﴾

يسلم قراء المنار ان الامام عبد القاهر الجرجاني قد أسس علمي البلاغة بكتابه
المشهورين (أسرار البلاغة) الذي طبعناه وهو في فن البيان و (دلائل الاعجاز) الذي
نطبعه وهو في فن المعاني . وانما سماء دلائل الاعجاز لأنه لا طريق الى معرفة كون
القرآن الآن معجزاً ببلاغة (كما انه معجز بهديته) الا بالقوانين التي وضعها في هذا
الكتاب . وقد كتب رحمه الله تعالى مقالة أورسالة سهاها (المدخل في دلائل الاعجاز)
وجعلها مقدمة له مينة لازله ، ودالة على مكانته ، ومصرحة بأنه هو الواضع للفن .
وهي على اختصارها قد أشارت الى أصول قواعد النحو وقال بعد ذلك ان جميع

كلام العرب كان موافقاً لهذه القواعد فإذا قال مترض ما هذا الذي امتاز به القرآن حتى كان معجزاً ؟ نقول ان الجواب عن هذا السؤال هو كتاب دلائل الإعجاز لأجواب غيره . واني اذكر خاتمة كلامه في المدخل بنصه وقصيدة حتمه بها وهو

« وإذا كان ذلك كذلك فما جوابنا لحصم يقول لنا : اذا كانت هذه الامور وهذه الوجوه من التعلق التي هي محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحة وكما ينبغي في منشور كلام العرب ومنظومه ورأياتهم قد استعملوها وتصرفوا فيها وكلوا بمسرقها وكانت حقائق لا تبدل ولا يختلف بها الحال اذ لا يكون الاسم بكونه خبراً مبتدأ أو صفة لموصوف أو حالاً لذي حال أو فاعلاً أو مفعولاً لفعل في كلام حقيقة هي خلاف حقيقته في كلام آخر . فما هذا الذي نجد بالقرآن من عظيم المنزلة وباهر الفضل والنجيب من الرصف حتى أعجز الخلق قاطبة وحتى قهر من الباطن والفصحاء القوي والقدرة وقيد الحواطر والفكر ، حتى خربت الشفايق ، (١) وعدم نطق التاليف ، وحتى لم يجر لسان ، ولم يُبين بيان ، ولم يساعد امكان ، ولم يتدح لأحد منهم زنده ، ولم يمنح له جد ، وحتى أسأل الراوي عليهم عجرا ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاء ؟ أيلزمنا أن نجيب هذا الحصم عن سؤاله ، ونرده عن ضلاله ، وأن نطيب لهائه ، ونزيل الفساد عن رآيه ؟ (٢) فان كان ذلك يلزمنا فينبغي لكل ذي دين وعقل ان ينظر في الكتاب الذي وضعناه . (٣) ويستقصي التأمل لما أودعناه ، فان علم أنه الطريق إلى اليان ، والكشف عن الحجة والبرهان ، تبع الحق وأخذ به وأن رأى أن له طريقاً غيره أو مائلاً إليه ، ودلتنا عليه ، وهيات ذلك ، وهذه آيات في مثل ذلك ، اني أقول مقالاً لست أخفيه ولست أرهب خصماً ان بدا فيه مامن سبيل في ثبات معجزة في النظم ألا بما أصبحت أبديه (٤)

(١) الشقائق ج شقيقة بكسر الشين وهي لغة البير أو شيء كالرمة يخرج من البير من فيه اذا هاج . ويقال للفصح : هدرت شفايقه . يريدون الانطلاق في القول وقوة اليان ويقال في مقابل ذلك . خربت الشقائق (٢) الراء هنا بمعنى الرأي كما قال ابن نباتة السعدي

يا أيها الملك الذي أخلاقه من خلقه ورواؤه من رآه

(٣) يريد كتاب (دلائل الإعجاز) وهو صريح في كونه هو الواضع لعلم الثاني

(٤) يريد نظم القرآن وأسلوبه وفي هذا البيت تصریح أيضاً بأنه هو الواضع للنظم

فما نظم كلام أنت ناظمه
 ليس يرى وهو أصل لا كلام فما
 وأخذ هو بعينك الزيادة في
 تفسير ذلك أن الأصل مبتدأ
 وفاعل مستند فعل تقدمه
 هذان أصلان لا تأتيك فائدة
 وما يريدك من بدو التمام فما
 هذي قوائين تكفي من تنمها
 قلت تأتي إلى باب لتعلمه
 هذا كذلك وإن كان الذين روى
 ثم الذي هو قصدي أن يقال لهم
 تقول من أين أن لا نظم يشبهه
 وقد علمنا بأن النظم ليس سوى
 أو نقب الأرض أنم غير ذلك له
 ما عاد إلا يخسر في تطالبه
 ونحن ما إن بنتا الفكر ننظر في
 كانت حقائق باقى العلم مشتركا
 فليس معرفة من دون معرفة
 ترى تصرفهم في الكل مطبعا
 فما الذي زاد في هذا الذي عرفوا
 قولوا والا فاصفوا لبيان زوا

معنى سوى حكم اعراب تزجية (١)
 يتم من دونه قد انشبه
 ما أنت تكتبه أو أنت تكتبه
 تنق له خيرا من بعد ما يشبه
 إليه يكسبه وحقا ويمطيه (٢)
 من منطق لم يكونا من مبانیه
 سلطات فملا عليه في تمديه
 ما يشبه البحر فيضاً من نواحیه
 إلا انصرفت بعجز عن تقصيه (٣)
 يرون أن الذي داني لباغیه (٤)
 بما يحجب التقى خصا بمجاريه
 وليس من منطق في ذلك بحكيه
 حكم من النحو مخفي في توحيه (٥)
 معنى وصعد يعلو في ترقيه (٦)
 ولا رأى غير غي في تنقبه (٧)
 أحكامه وزوي في معانیه
 بها وكلا تراها نافذا فيه
 في كل ما أنت من باب تسميه
 مجرونة باقتدار في مجاريه
 حتى غدا المعجز يهي سبيل وانبیه
 كالصبيع مناجا في عين رايه

(١) تزجية بالتمديد تدفعه برفق وتدوقه ومثاله التخفيف (٢) يكسبه من الثلاثي
 ومنه الحديث «تكتب المديوم» (٣) التقصي التبع (٤) باغية طابعه (٥) توحي
 الشيء تحريبه واتمهده طلبه (٦) صعد بالتمديد في كالاتي وهو هنا مقابل انتقيب في الأرض
 الذي فيه معنى التسفل • ويقال صوب النظر وصمده اذا نظر في أسفل الشيء
 واعلامه • وعزى نقب بنفسه حافظا الحافض ولعله كان يراه قياسا والمسموع تنديه في
 «تقبوا في البلاد» (٧) تباه كاستقام طلبه

وقد كان هذا الكتاب كندي فيه كثيراً مخفياً فظفر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده
من ذي الدار المصرية بنسخة منه وكان عند الاستاذ العلامة اللغوي الشيخ محمد محمود
الشنقيطي نسخة أخرى وكلاهما كان محرراً ومبذلاً فلم الاستاذ الامام ان في المدينة
المنورة نسخة منه وفي بغداد أخرى فعمل على استساخهما وجمع الكتاب هو
والاستاذ الشنقيطي بمقابلة النسخ الاربع فكان الكتاب الوحيد الذي اجتمع على
تصحيحه أعلم علماء العصر في المقول والمقول

هذا وان هذا الكتاب أكبر من أسرار البلاغة حجماً ، وأغزر علماً ، فهو
يزيد عليه بنحو عشر ملازم وقد شرعنا بطبعه على ورق جيد وجعلنا قيمة الاشتراك
فيه مع ذلك كقيمة الاشتراك في أسرار البلاغة فرقاً بمجاوري الأزهر الذين سيكونون
أكثر الناس اشتراكاً فيه لأن الاستاذ الامام سيقراء درساً في الأزهر الشريف .
وستكون قيمته بعد تمام الطبع عشرين قرشاً أميراً فمن أراد الاشتراك فليدفع اليها
القيمة ويأخذها وصلاً بامضائها

بَيِّنَاتُ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ

﴿ الاحتفال بتذكار محمد علي باشا ﴾

في يوم الأربعاء الماضي تم لتأسيس محمد علي باشا هذما لامارة في مئتين سنة عام
شجري فاحتفل ديوان التوقيف بذلك في جامع القنطرة وكنفت احتفل به مشيخة الأزهر
في الجامع الأزهر ومن بدع الزمان وغرائب الأيام أن يحتفل في بيوت الله تعالى بذكر
الأمراء والولاة والظلمة من الحاكمين وهي البيوت التي اذن الله ان ترفع عن
الحفاظ الدينية ويذكر فيها اسمه وحده قرباً إليه وابتناء مرضاته لا لذكر أمير
ميت ولا لمرضاة أمير حي . فلماذا تنفق اوقاف المسلمين على احياء البدعة ومخالفة السنة
ولماذا لا تكون أمثال هذه الاحتفالات في قصور التسمين كبايدين ورأس التين ؟ فمحمد
علي لم يؤسس ديناً ولم يكن امام مذهب في دين وانما أسس ملكاً عضواً بفك
الدماء والقوة والجبروت — هذا هو محمد علي في نظر الدين والحكمة في الاحتفال
بذكره والإشادة بحمدته في بيوت الله تعالى دون بيوت الحكومة . يرفها جميع الناس

أما محمد علي في نظر التاريخ فهو من الرجال العاملين الذين يمتاز التاريخ
 لأن التاريخ سياسي أكثر مما هو ديني أو علمي وقد جرت العادة أن يخافوا
 الاسراء بمدحهم ومدح سائقهم وجعل ينالهم - ذات فالك يرى العالم الديني إلى
 يحكم بكفر من يحكم بالقانون وظلمه وفسقه يقدس من وضع القانون باسمه وأحكم
 فيه بأمره فمدح الاسراء والسلاطين وأصحاب الجاه أكثر، كذب والمادح بحال الشهرة
 والتنفذ لهؤلاء أقرب إلى العدل والانصاف وإن احتمل أن يكون له هوى في بعض
 الأحوال وإنما نقول في تاريخ محمد علي كلمة عادلة نرجو أن يتلقاها كل عاقل بالقبول وهي
 إذا ذكر الرجل بأعماله فامحمد علي ثلاثة أعمال كبيرة وهي (١) تأسيس
 حكومة في بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الأجانب فيها واحتلالهم إياها. و (٢)
 محاربة الدولة العثمانية وإظهار ضعفها للبرية. و (٣) محاربة الوهابية وخصم
 شوكتهم وإبطال امتداد دعوتهم. وكل عمل من هذه الأعمال محل نظر
 الناس من بعده له ومنهم من يمدح عليه وهم الأكثر أو المحققون
 أما الأول فالمكتبرون لأعماله يتوسعون فيه ماشاءوا لأن المجال واسع أمامهم
 فيذكرون إزالة دولة المماليك الظالمة الفاشية وهو عمل جليل ولكنهم يستدلون بذلك
 على أن دولته كانت عادلة وهذا غير صحيح فإن حكومته كانت ظالمة منذ أسست إلى أن
 تولى الأوروبيون السيطرة عليها فكان الظلم يقل كلما كثروا والبغي يضاف كلما قوى
 نفوذهم ولكن الحسن في إزالة دولة المماليك من وجهين أحدهما أن الظلم كان مشوشاً
 وحكومة محمد علي وإبادة نظامه وكان منفرداً في حداثته وكان غير محسوب
 ونائبهما أن نتيجة هذا النظام وهذه الوحدة هي تهديد السيوف لدخول مدينة أوروبا في مصر
 والأعمال إنما مدح وتذم بنتائجها وغلباتها والمعالون إنما يمدحون بحسن القصد والنية
 وبأمان الصل فاما محمد علي فقد اتهم عمله ولكن قصده لا يحمده في نظر الدين ولا في
 نظر الفضيلة وإنما يحمده في نظر منافع الحياة الدنيا وزينتها لأن سببته المملوكة بالدماء
 المحترمة تدل على أنه لم يكن يقصد غير الملك وعظمته له ولذريته من بعده. وأما نتيجة
 عمله فهي كما قلنا دخول الأوروبيين هذه البلاد ونشر مدببتهم فيها وإلغاء سيطرهم عليها
 بالاحتلال الانكليزي فمن يرى أن هذا خير وسيلة لنجاح البلاد وسعادتها فعليه أن
 يمدح عمل محمد علي وآل بيته مهما ظلموا في الأموال والأعراض لأن الإصلاح الكبير،

لا يثني الا بيال الثمن الكثير . ومن يقول . ان مدينة أوروبا شر على البلاد . وان
الاصلاح الامكليزي بلاء عليهم وويل . فاحكم على عمل محمد علي وذريته بالإفساد
وايحفظ له سوء الذكر الى يوم التاد .

وأما العمل الثاني وهو الخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها واظهار
ضعفها فلو سألت عنه أي مسلم في أي قطر لا جابك بأنه كان أضرم عمل عمله انسان
على الاسلام والمسلمين لأنه في ذاته خروج والي على موليه وسنطانه وتلك اكبر
الخيانات . وأنبج الخيانات . في الكرائع الالهية . وفي القوانين البشرية . وفي نتيجه
إضفاف وقهر لأقوى دولة اسلامية . في عصر قويت فيه الدول الأجنبية . فضعف
بذلك الاسلام . ولم تقم لأهله قاعته بعد ذلك الى الآن . واكنك لا تعلم ثلاثة نفرار
ثلاثين من الثلاثمائة للنيون المسلمين يتنذر عن عمله أو يمدد فضيلة ومحمدة . فأشد
هؤلاء المدافعين أفتا في الرأي وصغارا في النفس من يقول ان الدولة العلية لم تكن
مرتاحة لاستقلاله . فكانت تدس الدسائس لزلزله . أي انه انتقم لنفسه من دولته .
ومحاربتها لتحسين سلطته . ومن الناس من يقول ان تلك الحرب كانت بمواطاة بين
محمد علي ورجال الدولة العلية في الاستانة وأنهم هم الذين مكثوا له في أرض مصر
ليخرج على الدولة وانه كان غرضهم الأخذ على يد السلطان محمود وتخفيف سلطته
الاستبدادية ومنعه من سنك الدماء . وعزل العمال والوزراء . بتجرد الهوى

وأما العمل الثالث وهو محاربة الوهابية فأكثر العامة أو كلهم يعتقدون انه كان
خدمة للاسلام . كفرت عن محمد علي جميع الذنوب والآثام . أما الخواص فانهم
يسلمون ان الوهابية كانوا قائمين باصلاح الاسلامي لو لم يمدد للاسلام مجده الأول وأن
ثلاثين وسور محمد علي بمحاربتهم هم أذ وريسون الذين ينظرون الى غايات الأمور
وعوايها كما هو . صرح به في بعض توارخهم . وأما ما شاع في بلاد الشام والحجاز
من ان الوهابية خارجون عن السنة وماحقون باهل البدعة فيه بعض المصنفات
التي لفقها العلماء الرسميون المصانعون للحكام وهي ملومة بالكاذب وانما مذهب القوم
مذهب السلف في المقادير . مذهب الامام أحمد في الفروع وعولهم تشديد عظيم على مخالف السنة .
هذا هو اعتقاد الخواص وهم يقولون ان هذا العمل الثالث هو اكبر سيئات محمد علي
وانه به وبما سبقه كان اكبر بلاء على الاسلام والمسلمين في القرن الماضي

﴿ مكتوب عالم هندي من أركان النهضة الاسلامية ﴾

كتبه النا الملامة العامل . والسري الكامل . محسن الملك بهادر سيد

مهدي علي خان ناظم مدرسة العلوم (في على الله) وكان القسم الثاني من
جزء ما ردّ اليانا مما أرسل اليه خدامنا في بخرقة ومحمديا في بخرقة
فكتب اليانا يقول بعد رسوم المحاطبة السابقة :

« كانت ترد علينا في الاعوام الحالية تملنكم الدولة وكننا نحرأها
لا مزيد علمها ونستفيد من مقالاتها الضافية العلمية الدينية الاسلامية في الر
المكرات والبدع والتمائم الفاسدة التي انتشرت بين المسلمين انتشاراً عظيماً وبيدنا
ملاح لنا من قائل الادواق وتوارد المواطنين بيننا وبينكم فاذنا أيضاً قد بذلنا جهداً
منذ عشرين عاماً في احتفاظ المسلمين من نوم الغفلة التي غرقوا فيها حتى أضاعوا كل ما كان
في أيديهم من العلوم والفنون والحكم والصنائع واتخذوا دينهم مرواً واما قد سجدوا
كانهم قوم لا يفكرون . فأخذنا ندعوهم الى الانباء من بناءهم الذي سبب انهمامهم
لأجل تأخرهم عن الأقوام الذين كانوا شركاءهم في الوطنية بالمقالات الشهيرة في
الجرائد والمجلات ، والخطبات والندوات والتأليفات ، انهمامهم ونسبناهم
على الأعمال النافعة كتحصيل العلم بحسب مصيحات الزمان وتعلم اللغة الانكليزية
(في الاصل اللسان) التي هي لغة حكماء المسلمين مع الاقبال على تحصيل العلوم
الجديدة المفيدة ، والنظر في شؤون انهم الاقتصادية ، دورهم الدينية والادبيات
في الاسلام من كل الوجوه .

« ولكتنا يقول ناس من زائر ان جميع مؤلفاتنا ومصنفاتنا ورسائلنا
كلها في لغتنا الأوردية . (وفي الاصل لساننا) التي تنسكب عنهم في اللغة الانكليزية
والا كان يودي أن نرسل اليكم بعض مؤلفاتنا . أما الآن فليس يوسع حصولكم ان
تصلوا وتواصلوا برسائل محكمكم الغراء ولا تقطعوا عنا رسائلكم .

« وفي ثناء جميل على غيرتكم الدينية وشغفكم بالاجراء في الاسلام والاسلاميين
وارجاع مجدهم وحسنهم على أسباب التقدم المادية والعلمية . وقد سجدنا
في محكمكم من المقالات القديمة القيمة جدا العجرا المطبوعة يدوي . وقد سجدنا
تصرفون ما يناسب ذوقنا من الكتب لأن ما وجدتموه قد كنتم تعالقه فلا بد من
انه يلذني أيضاً . فالرجاء أن ترسلوا اليانا من أمثال تلك الكتب منها مصنفات حفرتمكم
ومصنفات حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبد الحمري صاحب رسالة التوحيد وغير ذلك من
الكتب المفيدة . الخ فنشكر لهذا الاستاذ حسن ظنه ونسأل الله ان يوفقنا جميعاً لما يرضاه



فبشر بهادي الدين يستمعون القول
فببشرون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المحكمة

١٣١٥

بشر بهادي الدين يستمعون القول
فببشرون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مضاف في يوم السبت غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٠ — ٧ يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٢)

باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح

نشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدينتهم ونشأ سعادتهم التي ذهب بتركه

القضاء في الاسلام — النبوة الرابعة ما به القضاء

(تريد) أركان القضاء وأصول الحكم في الاسلام أربعة الكتاب
العزيز والسنة المتبعة والاجتهاد في الرأي والمشاورة في الأمر وإمام الأركان
عظيمة ، وأصول قوية ، والأساس الذي بنيت عليه هذه الأركان « درء

المتناسد وجلب المصالح والمنافع » ولهذا كان الاجتهاد شرطاً في القاضي لوجوب تطبيق الاحكام على المنفعة في كل زمان ومكان بحسبه . فمن يدعى انه وجد في أمة من الأمم أساس أثبت من هذا الأساس وأركان أقوى من هذه الأركان فليدنا على ذلك والا فليدعن لنا الناس بأن شريعتنا خير الشرائع وأساس العمران ولا يحتاج علينا بسوء حال قومنا الذين ما رعوها حق رعايتها في زمان ولا مكان . أما الاخبار والآثار الدالة على ما ادعيناه فهذا بعضها

(الحديث ٢٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لما بعثه الى اليمن : « كيف تقضي ؟ » قال أقضي بكتاب الله قال « فإن لم تجد في كتاب الله » قال فبسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « فإن لم تجد في سنة رسول الله » قال أجتهد رأيي ولا آلو (أي لا أقصر) قال فضرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى به رسول الله » . فهذا دليل على ان القاضي مفوض اليه تحري الحق في الأفضية والاجتهاد لاستبانة المدل المطلوب في الكتاب والسنة وذلك بعد اختياره من أهل الكفاءة الذين استوفوا الشروط التي نوهنا بها من قبل وقد اتبع هذه الطريقة الانكليز في هذا العصر فالعمدة عندهم في الاحكام اجتهاد القاضي العادل (ح ٢٦) عن عمرو بن العاص وأبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « اذا اجتهد الحاكم فإخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران »

(٢٥) رواه ابو داود والترمذي والدارمي (٢٦) رواه البخاري ومسلم . وكذا

الحاكم والدارقطني واحمد بالفاظ اخرى

والذي يصيبه الحاكم أو يخصه هو الحق وإصابة الحق هي العدل ومتى تحرى الحاكم العدل ولم يتعمد الميل الى أحد الخصمين يظهر له الحق في الغالب فاذا تعمد الجور اختلط عليه الامر وكان مخذولاً في الدنيا والآخرة . يدل على ذلك الحديث الآتي وهو

(ح ٢٧) عن وثالة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مسلم ولي من أمر المسلمين شيئاً الا بعث الله اليه ملكين يستدانه مانوى الحق فاذا نوي الجور على عمد وكلاه الى نفسه » . ويظهر من النصوص الواردة في الحق والعدل أن مراد الشرع منهما هو ما يعرفه الناس بالقطرة السليمة والمقل وإنما شرعت الأحكام ووضعت القواعد تهدي الحاكم الى طريق الوصول الى الحق الذي يتعمد الظالمون اخفائه

(ح ٢٨) عن علي كرم الله وجهه قال قلت يا رسول الله اذا بعثتني في شيء أكون كالسكة المحماه أم الشاهد يرى ما لا يراه الغائب ؟ قال « بل الشاهد يرى ما لا يراه الغائب » وهذا دليل على ان مراعاة المصالح والمنافع هي الأصل في القضاء لأن الأحكام القضائية ليست من الأمور التعبدية وإنما هي وسائل لمعرفة الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه ولذلك لا يحل لمن حكم له بشيء يعلم انه ليس له أن يأخذه وان كان القاضي هو الرسول عليه الصلاة والسلام كما يعلم من الحديث الآتي وهو

(٢٧) رواد الطبراني ورواه البيهقي بلفظ آخر بمعناه من حديث ابن عباس وضعفوه ورواه البزار بلفظ آخر وفي سنده منهم (٢٨) رواد احمد والبخاري في التاريخ والدورقي وابو نعيم في الحلية وابن عساكر وابن منصور

(ح ٢٩) عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار » والألحن بالحجة هو الأبلغ قولاً والأفصح عبارة .
وبقي من أركان الحكم المشاورة ولا أعرف فيها حديثاً مرفوعاً يتعلق بالقضاء وحسبنا الأمر العام بها في القرآن وستأتي شواهدا في آثار السلف
(ح ٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو يطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن المين على المدعى عليه » قال النووي في شرح مسلم : وفي رواية البيهقي بإسناد حسن أو صحيح زيادة عن ابن عباس مرفوعاً « ليكن البينة على المدعي والمين على من أنكر »

(ح ٣١) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البينة على المدعي والمين على المدعى عليه »
(ح ٣٢) عن وائل بن حجر قال : جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى النبي (ص) فقال الحضرمي : يا رسول الله ان هذا قد غلبني على أرض كانت لأبي . قال الكندي هي أرض في يدي أزرعها ليس له فيها حق فقال النبي (ص) للحضرمي « ألك بينة ؟ » قال لا . قال « فلك يمينه » . فقال يا رسول الله الرجل فاجر لا يبالي على ما علف عليه فقال رسول الله (ص) لما أدبر الرجل « أما لئن حلف على مال أيا كله ظمأ »

(٢٩) رواد أحمد والشيخان وأصحاب السنن الأربعة (٣٠) رواد أحمد ومسلم

(٣١) رواد الترمذي (٣٢) رواد مسلم والترمذي وصححه

ليلقين الله وهو عنه معرض »

قال الامام الحافظ الفقيه ابن القيم الجوزية في كتابه (إعلام الموقعين)
 مانصه : البينة في كلام الله ورسوله وكلام الصحابة اسم لكل ما يبين الحق
 فهي أعم من البينة في اصطلاح الفقهاء حيث خصوصها بالشاهدين أو الشاهد
 واليمين . ولا حرج في الاصطلاح ما لم يتضمن حمل كلام الله ورسوله عليه
 فيقع بذلك الغلط في فهم النصوص . ونذكر من ذلك مثالا واحداً وهو ما نحن
 فيه - لفظ البينة - فانها في كتاب الله اسم لكل ما يبين الحق كما قال تعالى
 « اقمداً رسلنا بالبينات » وقال « وما أرسلنا قبلك الا رجالاً يوحي اليهم »
 فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات » وقال « وما تفرق الذين
 أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة » وقال « قل اني على بينة من
 ربي » وقال « أفمن كان على بينة من ربه » وقال « أم آتيناهم كتاباً فهم على
 بينات منه » (١) وقال : « أولم تأتوهم بينة ما في الصحف الأولى » وهذا
 كثير لم يختص به لفظ البينة بالشاهدين بل ولا استعمل في الكتاب فيها البينة
 اذا عرف هذا فقول النبي صلى الله عليه وسلم للمدعي « ألك بينة »
 وقول عمر : البينة على المدعي . - وان كان هذا قد روي مرفوعاً -
 المراد به ألك ما يبين الحق من شهود أو دلالة ؛ فان الشارع في
 جميع المواضع يقصده ظهور الحق بما يمكن ظهوره به من البينات التي هي
 أدلة عايه وشواهد له ولا يرد حقاً قد ظبر بدليله أبداً فيضيع حقوق
 الله وعباده ويمطلها . ولا يقف ظهور الحق على أمر معين لا فائدة في
 تخصيصه به مع مساواة غيره في ظهور الحق أو رجحانه عليه ترجيحاً

(١) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر (بينات) والباقون (بينة)

لا يمكن جحدده ودفعه كتر جميع شاهد الحال على مجرد اليد في صورة من على رأسه عمامة وبيده عمامة وآخر مكشوف الرأس يدو أثره ولا عادة له بكشف رأسه . فبينة الحال ودلالته هنا تفيد من ظهور صدق المدعي أضعاف ما يفيد مجرد اليد عند كل أحد فالشارع لا يهمل مثل هذه البينة والدلالة ويضيع حقايلم كل أحد ظهوره وحجته . بل لما ظن هذا من ظاهيه ضيعوا طريق الحكم فضاع كثير من الحقوق لتوقف ثبوتها عندهم على طريق مدين وصار الظالم الفاجر ممكناً من ظلمه وفجوره فيفعل ما يريد ويقول لا يقوم علي بذلك شامدان اثنان . فضاعت حقوق كثيرة لله ولعباده وحيث أن أخرج الله أمر الحكم العام عن أيديهم وأدخل فيه من أمر الامارة والسياسة ما يحفظ به الحق تارة ويضيع به أخرى ويحصل به العدوان تارة والعدل أخرى ولو عرف ما جاء به الرسول على وجهه لكان فيه تمام المصلحة الفنية عن التفريط والدونان

« وقد ذكر الله سبحانه نصاب الشهادة في القرآن في خمسة مواضع فذكر نصاب شهادة الزنا أربعة في سورة النساء وسورة النور . واما في غير الزنا فذكر شهادة الرجلين والرجل والمرأتين في الاموال فقال في آية الدين « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » فهذا في الحمل والوثيقة التي يحفظ بها صاحب المال حقه لا في طريق الحكم وما يحكم به الحاكم فان هذا شيء وهذا شيء . وأمر في الرجة بشاهدين عدلين وأمر في الشهادة على الوصية في السفر باستشهاد عدلين من المسلمين أو آخرين من غيرهم وغير المؤمنين هم الكفار والآية صريحة في قبول شهادة الكافرين على وصية (المسلم) في السفر عند عدم

الشاهدين المسلمين وقد حكم به النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده ولم يجز بعدهما ما ينسخها فان المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ وليس لهذه الآية معارض البتة ولا يصح أن يكون المراد بقوله «من غيركم» من غير قبيلتكم فان الله سبحانه خاطب بها المؤمنين كافة بقوله «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوات عدل منكم أو آخران من غيركم» ولم يخاطب بذلك قبيلة معينة حتى يكون قوله «من غيركم» أيها القبيلة . والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم هذا من الآية بل إنما فهم منها ما هي صريحة فيه وكذلك أصحابه من بعده «وهو سبحانه ذكر ما يحفظ به الحقوق من الشهود ولم يذكر ان الحكم لا يحكمون الا بذلك . فليس في القرآن نفي الحكم بشاهد ويمين ولا بالنكول ولا باليمين المردودة ولا بإيمان القسامة ولا بإيمان اللعان وغير ذلك مما يبين الحق ويظهره ويدل عليه . اه المراد منه وذكر يدیه ما اتفقوا عليه من الشهادات وما اختلفوا فيه

آثار السلف . عبرة للخلف

قضاء الخلفيتين (١) روى الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم وان لم يجد في كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله عليه وسلم فيه سنة فان علمها قضى بها فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال أنا بكذا وكذا فتظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجده في ذلك شيئاً فهل تعلمون ان النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء

فربما قام اليه الرهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا وان أعياه ذلك دعا رؤس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به . وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك فان أعياه ان يجدي القرآن أو السنة شيئاً دعا رؤس المسلمين وعلماءهم واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى بينهم . وإنما كان يرجع الى أقضية أبي بكر لأنها مبنية على ما ذكر فربما ذكرته بدليل كان عنه ذاهلاً . وينظر في سؤال مثل أبي بكر رضي الله عنه عن قضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكون الصحابة كانوا يخبرونه بما لا يعرفه منها فانه حجة على الجاهلين الذين كانوا يزعمون أن مقلديهم كانوا محيطين بالسنة لا يغيب عنهم منها شيء . وقد ورد بمعنى هذا الأثر آثار أخرى . وفي المحاكم لأن ضرب عن المشاركة (٢) روي البيهقي عن ابن سيرين انه قال : إن كان عمر بن الخطاب يستشير في الأمر حتى إن كان يستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به . « وفي هذا الأثر من الفقه تكريم النساء ومشاركتهم للرجال في الرأي حتى في الأمور العامة وهذا مما يرفع نفوسهن التي كانت قبل الاسلام مهضومة . وما روى عنه من انه قال : خالفوا النساء فان في خلافهن البركة فمعناه لا تتبعوا أهواءهن على ان سنده ضيف

كتاب عمر في القضاء (٣) روي الدارقطني والبيهقي وابن عساكر عن أبي المواهب البصري قال كتب عمر الى أبي موسى الاشعري : « أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فاقفهم اذا أدلي اليك ^(١) فانه لا ينفع تكلم

(١) أدلي اليك أي تخاصم اليك وقال ابن القيم أي ما توصل به اليك من الكلام

بحق لا نفاذ له. آس^(١) بين الناس في وجهك ومجاهدك رضاءك، حتى لا يطعن
شريف في حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك. البينة على المدعي واليمين
على من أنكر. والصالح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم
حلالاً. ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينهي إليه فإن بده^(٢)
أعطيته بحقه وإن أعجزه ذلك استحالت عليه القضية فإن ذلك أبلغ في المنذر
وأجل للممى^(٣) ولا يمنعك قضاء قضيت فيه^(٤) اليوم فراجعت منه رأيك^(٥)
وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق^(٦) فإن الحق قديم لا يبطله^(٧)
شيء ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل^(٨) والمسلمون عدول
بعضهم على بعض^(٩) إلا مجرباً عليه شهادة زور أو مجلوداً في حد أو ظنيماً في
ولاء أو قربة^(١٠) فإن الله تعالى تولى من العباد السراير وستر عليهم الحدود
إلا بالبينات والأيمان. ثم الفهم الفهم فيما أدلي اليك مما ورد عليك^(١١) مما
ليس في قرآن ولا سنة. ثم قاييس الأمور عند ذلك وأعرف الأمثال^(١٢)
ثم أعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق. وإياك والغضب والقلق

الذي تحكم به بين الخصوم. وفي نسخة كنز العمال إذا أدى اليك ولعلها تحرف
(٢) في نسخة كنز العمال (وأس) والمعنى سائر يوم (٣) في نسخة كنز العمال
«فإن جاء بينة» (٤) في الكنز (وأحلى) وذكرت نسخة في هامش اعلام
الموقعين وهي تحريف كما حرف فيه لفظ للممى فكتاب (الامام) (٥) في الكنز
(قضيته) (٦) في الكنز (لأريك) (٧) في الكنز (أن تراجع الحق) (٨) في
الكنز (لا يبطل الحق) (٩) الجملة في الكنز بدون عطف (١٠) في الكنز زيادة
(في الشهادة) (١١) المستثنيات في نسخة كنز مرفوعة والظنين المتهم في شهادته
للقراءة أو الولاء (١٢) في الكنز (أدلي اليك) (١٣) في الكنز زيادة لفظ (والاشباه)
وليس المراد أنه يقيس على كلام غيره وإنما ميزان القياس ما ذكره بعد

والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخدوم (شك أبو عبيد)
فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر^(١٦)
فمن خلصت نيته^(١٧) في الحق ولو على نفسه كراه الله ما بينه وبين الناس .
ومن تزين لهم بما ليس في نفسه شأنه الله^(١٨) فإن الله تعالى لا يقبل من
من العباد إلا من كان خالصاً . ففاظنك بثواب عند الله^(١٩) في عاجل رزقه
وخزائن رحمته . والسلام عليك ورحمة الله »^(٢٠)

قال ابن القيم بعدما أورد هذا الكتاب في اعلام الموقعين : « وهذا
كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة والحاكم
والمنقذ أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه » ثم شرحه شرحاً مطولاً .
وقد اعتمدنا في نصه هنا على نسخة إعلام الموقعين لأننا رأيناها أصح
وذكرنا ما وجدناه من الاختلاف بينها وبين نسخة « كنز العمال » في
الهامش وليس فيه شيء جوهري .

القسم العمومي

﴿ آثار محمد علي في مصر ﴾

لفظ الناس هذه الايام في محمد علي وماله من الآثار في مصر
وأهلها وأكثرت الجرائد من الخوض في ذلك والله أعلم ماذا يستلزم
على الاطراء ، وماذا حمل القادح على الهجاء ، غير انه لم يبحث باحث في
حالة مصر التي وجدها عليها محمد علي وما كانت تصير بالبلاد اليه لوبقيت

(١٤) في الكنز (ويحسن له الذخر) (١٥) في الكنز (نفسه) (١٦) - سقط لفظ الجلالة من
نسخة الكنز (١٧) في الكنز (وما ظنك بثواب الله) (١٨) آخر الرواية في الكنز (والسلام)

وما نشأ عن محوها واستبدال غيرها بها على يد محمد علي . اذكر الآن شيئاً في ذلك ينتفع به من عساة ينتفع ، ويندفع به من الوهم ما ربما يندفع ، كانت حكومة البلاد المصرية قبل دخول الجيش الفرنسي فيها من أنواع الحكومات التي كانت تسمى في اصطلاح الفرنسيين حكومات الاشراف وتسمى في عرف المصريين حكومات الالتزام وتعرف عند الخاصة بحكومات الأقطاع . وأساس هذا النوع من الحكومة تقسيم البلاد بين جماعة من الامراء يملك كل أمير منهم قسماً يتصرف في أرضه وقوى ساكنيها وأبدانهم وأموالهم كما يريد فهو حاكمهم السياسي والاداري والقضائي وسيدهم المالك لرقابهم . ومن طبيعة هذا النوع من الحكومة أن تموفيه الأثرة وتغلظ فيه أصول الاستبداد وفروعه وتزرع نفس كل أمير الى توسيع دائرة ملكه بالاستيلاء على ما في يد جاره من الامراء . فكان من مقتضى الطبيعة ان كل أمير لا ينفك عن التدبير والتفكر فيما تعظم فيه شوكته ، وما يدفع به عن حوزته ، وان يكون الجميع دائماً في استمداد إما للثوب وإما للدفاع . وإلكن الامراء في مجموعهم كانوا يقاومون سلطة الملوك فيضطر الملك لاستماتهم ومحاباة بعضهم للاستعانة به على البعض الآخر فضعف بذلك استبداد الملوك فيهم حاجة الامراء الى المال كانت تسوقهم الى ظلم رعاياهم وكانت شدة الظلم تميل برعاياهم الى خذلانهم عند هجوم العدو عليهم . ظهر ذلك في خصوماتهم المرة بعد المرة فاضطر الامراء أن يخفقوا من ظلمهم وان يتخذوا لهم من الاهلين أنصاراً يضبطونهم عند قيام الحرب بينهم وبين خصومهم . أحسن الاهلون بحاجة الامراء اليهم فزادوا في الدالة على

الامراء واضطروهم الى قبول مطالبهم فعظمت قوة الارادة عند أولئك الذين كانوا عبيداً بمقتضى الحكومة وانتهى بهم الأمر ان قيّدوا الامراء والملوك معاً ولم يكن ذلك في يوم أو عام ولكنه كان في عدة قرون كما هو معروف عند أهل المعرفة

نعم كانت الحكومة في مصر على نوع تخالف به جميع الحكومات الشرقية وكانت البلاد متوزعة بين عدة أمراء كل منهم يستغل قسماً منها ويتصرف فيه كما يهوى وكان كل يطلب من القوة ما يسمح له بمدة يده الى ما في يد الآخر أو يدفع به صواته فالخصام كان دأبهم والحرب كانت أهم عملهم . لذلك كان كل منهم يستكثر من الماليك ما استطاع ليُمَدّ منهم جنده ولكن كانت تُعوزُهُ مؤثمتهم اذا كثروا فاضطروا الى اتخاذ اعوان من أهالي البلاد فوجدوا من العرب أحزاباً كما وجدوا منهم خصوماً ، ثم رجعوا الى سكان القرى فوجدوا فيهم ما يحتاجون اليه فاتخذوا بيوتاً منها أنصاراً لهم عند الحاجة وعرف هؤلاء حاجة الامراء اليهم فارتفعوا في أعينهم وصار لهم من الامر مثل مالهم أو ما يقرب من ذلك . لهذا كنت ترى في البلاد المصرية بيوتاً كبيرة لها رؤساء يعظم نفوذهم ويعلمو جاههم ذلك كان يقضي على كل أمير من أولئك الامراء أن يصرف زمنه

في التدبير : واستجلاب النصير ، وإعداد ما يستطيع من قوة لحفظ ما في يده والتمسك من إخضاع غيره ، أنصاره من الأهالي كانوا يجارونه في ذلك خوفاً من تعدي أعوان خصمه عليهم فوقعت القسمة بين الأهالي ولا تزال أسماء الأقسام معروفة الى اليوم — بسعد وحرام . هذا يحدث بطبعه في النفوس شتماً وفي العزائم قوة ويكسب القوى البدنية والمعنوية

حياة حقيقية . هما احتقرت نوعها . فكانت العناصر جميعها في استبداد لأن
يتكون منها جسم حيّ واحد يحفظ كونه ويعرف العالم بمكانته

جاء الجيش الفرنسي والبلاد في هذه الحالة . دخل البلاد بسهولة
لم يكن يندظرها . احتل عاصمتها واستقر له السلطان فيها . لم تكن الا أيام
قلائل ، حتى ظهر فيه القلق وعظمت حوله القلاقل ، أخذت القوى الحيوية
السكينة في البلاد تظهر فكثرت الثمن ولم تنقطع الحروب والمناوشات ولم
يهدأ لرؤساء المساكر بال . يدلك على ذلك شكوى نابليون نفسه في
تقريره الى كان يرسلها الى حكومة الجمهورية من اصطيا اذ العربان لعساكره
من كل طريق ، وسلبهم ارواحهم بكل سبيل ، واضطر نابليون أن يسير
في حكومة البلاد بمشورة أهلها وانتخب من أعيانها من يشركه في الرأي
لديبرها طوعاً لحكم العائبة التي وجدها

قتل بعض رؤساء الجيش واضطربت عليه البلاد وجاء الجيش العثماني
ومعونه الجيش الانكليزي وخرجت عساكر الفرنسيين من مصر ولا
أطيل الكلام فقد ظهر محمد علي بالوسائل التي هيأها له القدر

ما الذي كانت تندظره البلاد من نوع حكومتها ؟ كانت تنظر ان
بشرق نور مدنية يضيئ لرؤساء الاحزاب طاقهم في سيرهم لبلوغ آمالهم
وقد كان ذلك يكون لو أمهلهم الزمان حتى يعرف كل منهم ما بلغ به غيره
الغاية التي كان يقصدها في بلاد غير بلاده . وما كان بينهم وبين ذلك الا
أن يخطوا بأهل البلاد الغربية ويرتفع الحجاب الذي أسد له الجهل دونهم .
أو كانت تنظر ان يأتي أمير عالم بصير فيضم تلك العناصر الحية بعضها الى
بعض ويؤلف منها أمة يحكمها حكومة منها ويأخذ في تقوية مصباح

العلم بينها حتى ترتقى بحكم التدريب الطائفي وتبلغ ما أعدته لها تلك الحياة الأولى
 ما الذي صنع محمد علي؟ لم يستطع أن يحى ولكن استطاع أن يميت.
 كان معظم قوة الجيش معه وكانت صاحب حيلة بمقتضى الفطرة فأخذ
 يستعين بالجيش وبمن يستميله من الأحزاب على إعدام كل رأس من
 خصومه ثم يعود بقوة الجيش وبمجزب آخر على من كان معه أولاً وأعانته
 على الخسائر الزائلة فيمحقه وهكذا حتى إذا سحقت الأحزاب القوية وجهه
 عنانيته إلى رؤساء البوت الرفيعة فلم يدع منها رأساً يستتر فيه ضمير (أنا)
 واتخذ من المحافظة على الأمن سبيلاً لجمع السلاح من الأهالي وتكرر
 ذلك منه مراراً حتى فسد بأس الأهالي وزالت ملكة الشجاعة منهم وأجهز
 على ما بقي في البلاد من حياة في أنفس بعض أفرادها فلم يبق في البلاد رأساً
 يعرف نفسه حتى خلعه من بدنه أو نفاذ مع بقية بلده إلى السودان فهلك فيه
 أخذ يرفع الأسافل ويعلمهم في البلاد والقرى كأنه كان يحسن لشبهه
 فيه ورثه عن أصله الكريم حتى انحط الكرام وساد اللثام ولم يبق في
 البلاد إلا آلات له يستعملها في جباية الأموال وجمع العساكر بآلة طريقة
 وعلى أي وجه فحق بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة من رأي وعزيمة
 واستقلال نفس ليصير البلاد المصرية جميعها أقطاعاً واحداً له ولأولاده
 على أثر اقطاعات كثيرة كانت لأمراء عدة

ماذا صنع بعد ذلك؟ اشترأت نفسه لأن يكون ملكاً غير تابع
 للسلطان العثماني فجعل من العدة لذلك أن يستعين بالأجانب من الأوربيين
 فأوسع لهم في المجاملة وزاد لهم في الامتياز خارجاً عن حدود المعاهدات
 المنعقدة بينهم وبين الدولة العثمانية حتى صار كل صعلوك منهم لا يملك

قوت يومه ملكامن الملوك في بلادنا يفعل مايشاء ولا يُسأل عما يفعل .
وصغرت نفوس الأهالي بين أيدي الاجانب بقوة الحاكم وتمتع الأجنبي
بمقوق الوطني التي حرم منها وانقلب الوطني غريباً في داره، غير مطمئن
في قراره، فاجتمع على سكان البلاد المصرية ذلان - ذل ضربه الحكومة
الاستبدادية المطلقة وذل سامهم الأجنبي إياه ليصل الى مايريده منهم
غير واقف عند حد أو مردود الى شريعة

قالوا : انه اطلع نجم العلم في سماء البلاد . نعم غني بالطب لاجل
الجيش والكشف على المجني عليهم في بعض الاحيان عند ما يراد ايقاع
الظلم بمتهم . وبالهندسة لأجل الري حتى يدبر مياه النيل بعض التدبير .
ليستغل أقطاعه الكبير،

هل تفكر يوماً في إصلاح اللغة عربية أو تركية أو أرثودية ؟ هل
تفكر في بناء التربية على قاعدة من الدين أو الأدب ؟ هل خطر في باله
أن يجعل للاهالي رأيا في الحكومة في عاصمة البلاد أو أمهات الاقاليم ؟
هل توجهت نفسه لوضع حكومة قانونية منظمة يقام بها الشرع ويستقر
العدل ؟ لم يكن شيء من ذلك بل كان رجال الحكومة إيمان الارثود
أو الجراكسة أو الأرمن المورلية أو ما أشبه هذه الاوشاب وهم الذين
يسمهم بعض الأحداث من أنصاره اليوم دخلاء وكانوا يحكمون بما
يهوون لا يرجعون الى شريعة ولا قانون وإنما يتغنون مرضاة الامير،
صاحب الاقطاع الكبير

أين البيوت المصرية التي أقيمت في عهده على قواعد التربية الحسنة ؟
أين البيوت المصرية التي كانت لها القدم السابقة في ادارة حكومتها أو سياستها أو

سياسة جندها مع كثرة ما كان في مصر من البيوت الرقيقة العمادة الثابتة الاوتاد، أرسل جماعة من طلاب العلم الى اوربا ليتعلموا فيها . فهل أطلق لهم الحرية أن يمشوا في البلاد ما استفادوا ؟ كلا ولكنه استعملهم آلات تصنع له ما يريد وليس لها ارادة فيما تصنع . وجد بعض الأطباء الممتازين وهم قليل ، ووجد بعض المهندسين الماهرين وايسوا بكثير . والسبب في ذلك ان محمد علي ومن نمسه لم يكن فيهم طبيب ولا مهندس فاحتاجوا الى بعض المصريين ولم يكن أحد من الأعوان مسلطاً على المهندس عند رسم ما يلزم له من الأعمال ولا على الطبيب عند تركيب أجزاء العلاج فظهر أثر استقلال الارادة في الصناعة عند أولئك النفر القليل من النابغين ، وكان ذلك مما لا يخشى عاقبته على المستبدين

هل كانت له مدرسة لتعليم الفنون الحربية ؟ أين هي وأين الذين نبغوا من طلابها ؟ فان وجد أحداً نبغ فهل هو من المصريين ؟ عدوا ان شتم أحياء أو أمواتا وجد كثير من الكتب المترجمة في فنون شتى من التاريخ والفلسفة والأدب ولكن هذه الكتب أودعت في المخازن من يوم طبعت وغلقت عليها الأبواب الى أواخر عهد اسماعيل باشا فأرادت الحكومة تفريغ المخازن منها . وتخفيف ثقلها عنها ، ففترتها بين الناس فتناول منها من تناول . وهذا يدلنا على انها ترجت برغبة بعض الرؤساء من الاوربيين الذين أرادوا نشر آدابهم في البلاد لكنهم لم ينجحوا لأن حكومة محمد علي لم توجد في البلاد قراء ولا متتبعين بتلك الكتب والفنون

كانوا يتخطفون تلامذة المدارس من الطرق واقفاء القرى (الأفناء الناس المجبولون) كما يتخطفون عساكر الجيش فهل هذا مما يجب القوم في العلم ويرغبهم في ارسال أولادهم الى المدارس ؟ لا بل كان يخوفهم من المدرسة كما كان يخيفهم من الجيش حمل الأهالي على الزراعة ولكن يأخذ الغلات ولذلك كانوا يهربون من ملك الأتبان كما يهرب غيرهم من الهواء الاصفر ، والموت الأحمر ، وقوانين الحكومة لذلك المهد تشهد بذلك

يقولون انه أنشأ المعامل والمصانع ؟ ولكن هل حبب الى المصريين العمل

والصنعة حتى يستبقوا تلك المعامل من أنفسهم ؟ وهل أوجد أساندة يحفظون علوم
الصنعة وينشرونها في البلاد ؟ أين هم ؟ ومن كانوا ؟ وأين آثارهم ؟ لا بل بَقِصَ الى
المصريين العمل والصنعة بتسخيرهم في العمل والاستبداد بثمرته فكانوا يتربصون
يوماً لا يعاقبون فيه على هجر العمل والمصنع لينصرفوا عنه ساخطين عليه ، لا عنيين
الساعة التي جاءت بهم اليه .

يقولون انه أنشأ جيشاً كبيراً فتح به الممالك ودوخ به الملوك ، وأشأ الأسطولا
ضخماً ثقل به ظهور البحار ، وتفتخر به مصر على سائر الامصار . فهل علم المصريون
حب التجند وأنشأ فيهم الرغبة في الفتح والغلب وحبب اليهم الخدمة في الجندية
وعلمهم الاقتضار بها ؟ لا بل علمهم الهروب منها وعلم آباء الشبان وأمهاتهم أن ينوحوا
عليهم معتقدين انهم يساقون الى الموت بعد ان كانوا ينتظمون في أحزاب الأمراء وبحار يون
ولا يبالون بالموت أيام حكم الممالك وكان من ينتظم في الجندية على عهد محرز مصر
لا يخرج منها الا بالموت . هل شعر مصري بمظمة أسطوله أو بقوة جيشه ، وهل
خطر بهال أحد منهم أن يضيف ذلك اليه بأن يقول هذا جيشي وأسطولي أو جيش
بلدي أو أسطوله ؟ كلا لم يكن شيء من ذلك فقد كان المصري بعد ذلك الجيش وتلك القوة
عوناً لظالمه فهي قوة خصمه . كذلك كان بعدها كل عثماني في مصر أو في غير مصر .
ليقل لنا أنصار الاستبداد كم كان في الجيش من المصريين الذين بلغوا في رتب
الجندية الى رتبة البكباشي على الاقل ؟ فما أثر ذلك في حياة مصره المصريين الأسوأ
الأثر . أثر كله شر في شر لذلك لم تلبث تلك القوة أن تهدمت واندمرت

ظهر الأثر العظيم عند ما جاء الاسكندر لاختاد ثورة عربي . دخل الانكاز
مصر بأسهل ما يدخل به دأمر على قوم ثم استقروا ولم توجد في البلاد نخوة في رأس
تبت لهم أن في البلاد من يحامي عن استقلالها وهو ضد ما رأينا عند دخول
الفرنساويين الى مصر وبهذا رأينا الفرق بين الحياة الاولى والموت الاخير وجهله
الاحداث فهم يسألون أنفسهم عنه ولا يهتمون اليه

لا يستحي بعض الأحداث من ان يقول ان محمد علي جعل من جدران سلطانه
بنية من الدين . أي دين كان دعامة لسلطان محمد علي ؟ دين النجصيل . دين الكبراج .

وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنتظم التي يتقن ما هو من نوعها اغلب العالم المتقدم
 الافرنجي الذين لم يهتدوا بعد لطريقة نيلها مع انه تسمى وراء ذلك منهم جمعيات
 وعصيات مكونة من ملايين باسم (كومن ولفيان ونيلست وسويسالست) كلها
 تطالب التساوي أو التقارب في الحقوق والحالة المعاشية ذلك التساوي والتقارب
 المقررين في الاسلامية ديناً بوسيلة انواع الزكاة والكفارات ولكن تعطيل اثناء الزكاة
 وإفاء الكفارات سبب بعض الفتور المبحوث فيه كما سبب اهمال الزكاة فقد الثمرات
 العظيمة من معرفة المسلم ميزانية ثروته سنوياً فيوفق نفقاته على نسبة ثروته ودخله .
 ولا شك ان الواحد من الاربعين يفي ان يبذل لاجل هذه الثمرة وحدها . والشرعية
 الاسلامية هي أول شريعة ساقطت الناس والحكومات لاصول الميزانية المؤسس عليه
 فن الاقتصاد المالي الافراي والسياسي

ويخيل الي أن سبب هذا الفتور الذي أخذ حتى بالدين هو فقد الاجتماعات
 والمفاوضات وذلك ان المسلمين في القرون الاخيرة قد نسوا بالكلية حكمة تشريع
 الجماعة والجمعة وجمعية الحج وترك خطبائهم ووعاظهم خوفاً من الامراء التعرض
 لانشئون العامة كما ان علماءهم صاروا يسترون جبينهم بجعلهم يتحدث في الأمور العامة
 والحوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا يعني وعدمهم أتيان ذلك في الجوامع من
 اللغو الذي لا يجوز وربما اعتبروه من الغيبة او التجسس أو السعي بالفساد فسرى
 ذلك الى افراد الامة وصار كل شخص لا يهمهم الا بخويصة نفسه وحفظ حياته في يومه
 كأنه خلق امة وحده وسيبوت غداً وهكذا صار المسلم جاهلاً ان له حقوقاً على الجماعة
 الاسلامية والجماعة البشرية وان لها عليه منهاها ذاهلاً عن انه مدني بالطبع لا يعيش
 الا بالاشتراك ناسياً او هاجراً أو امر الكتاب والسنة له بذلك (مرحي)

ثم بتوا الى القرون والبطون على هذه الحال تامل في الامة فقد الاحساس الى درجة
 انه لو خربت هذه الكمية والبركة بالله تعالى لما تقطعت الجياد اكثر من لحظة ولا
 اقول لما زاد تلاطم الناس على سبعة أيام كما ورد في الاثر لان المراد باؤلئك الناس
 اهل ذلك الزمان

وإذا دققنا النظر في حالة الأمم الحية المعاصرة وهي ليس عندها ما عندنا من الوسائل الشريفة للاجتماع والمفاوضات نجدهم قد احتلوا الاجتماعات ولاستراء السمع وتوجيه النظر بوسائل شتى .

(١) منها تخصيصهم يوماً في الاسبوع للبطالة والتفرغ من الاشغال الخاصة لتحصل بين الناس الاجتماعات وتنعقد الندوات فيدبائون ويتناجون

(٢) ومنها تخصيصهم أياماً يتفرغون فيها للمذاكرة في مهمات الاعمال لاعظم رجالهم الماضين تشويقاً للتمثل بهم

(٣) ومنها اعدادهم في مدنهم ساحات ومبتديات تسهيلاً للاجتماع والمذاكرات والقاء الخطب وابداء التظاهرات

(٤) ومنها ايجادهم المنزهات الزاهية العمومية واجراء الاحتفالات الرسمية والمهرجانات بقصد السوق الاجتماعات .

(٥) ومنها ايجادهم محلات التشخيص المعروف (بالكوميديا) و (التياترو) بقصد اراءة العبر واستراء السمع للحكم والوقائع ولو ضمن أنواع من الخلاعة اتخذت شباكاً لمقاصد الجمع والاسماع ويعتبرون ان نفعها اكبر من ضرر الخلاعة

(٦) ومنها اعتاؤهم غاية الاعتناء بتعميم معرفة تواريخهم المالية المفصلة المدججة بالمثل والاسباب تمكيناً لحب الجنسية .

(٧) ومنها حرصهم على حفظ العاديات المنبهة وادخار الآثار القديمة المنوّهة واقناء النفائس المشعرة بالمفاخر .

(٨) ومنها اقامتهم النصب المفكرة بما نصبت له من مهمات الوقائع القديمة .

(٩) ومنها نشرهم في الجرائد اليومية كل الوقائع والمطالبات الفكرية .

(١٠) ومنها بثهم في الاغاني والنشائد الحكم والحماسات الى غير ذلك من الوسائل التي تنشئ في القوم نشأة حياة اجتماعية وتولد في الرؤس همة وحاسة وفي النفوس سمواً ونشاطاً .

أما المسلمون فانهم كما سبق بيانه أهملوا استعمال تلك الوسائل الشريفة المؤسسة عندهم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعي اعني بذلك الجماعة والجمعة وجمعية الحج حتى كأن الشارع لم يقصد منها غير اداء الفريضة فقط بصورة تعسدية بسيطة والحال أن حكمة الشارع ابلغ من ذلك وعندي ان هذا أعظم اسباب الفتور. (مرحى)

فاجابه (الامام الصيغى) ان هذا أشبه بالعوارض من الاسباب فهو أليق بان يكون دواء للداء ونحن مهتمون ابتداء بمعرفة سبب الفتور .

ثم قال انى ارى ان السبب الاكبر للفتور هو تكبر الامراء وميلهم للعلماء المتنافقين المنافقين الذين يتصاغفرون لديهم ويتداولون لهم ويحرفون احكام الدين ارفعوا ايها وبين ادوائهم فماذا يرجي من علماء يشتركون دينهم دنياهم ويقبلون يد الامير ليقبل العامة أيديهم ويحقرون أنفسهم للعلماء ليتعاضموا على ألوف من الغفلة فناء أكبر همهم التجاسد والتباغض والتخاذل والتفاضل لا يحسنون أمراً من الامور حتى الخصومة فتراهم لا يراغمون الا بتكفير بعضهم بعضاً عند الامراء والعامة .

وهذا داء عياء صعب المداواة جداً لان كبر الامراء يمنهم من الميل الى العلماء العاميين الذين فيهم نوع غلظة لا بد منها ونعما هي منزلة لولاها لفقد الدين بالكلية . (مرحى) فلا شك ان أفضل الجهاد في الله في هذا الزمان الحظ من قدر العلماء المتنافقين عند العامة وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العاميين حتى اذا رأى الامراء اتقياد الناس لهؤلاء اقبلوا هم أيضاً عليهم رغم أنوفهم واذغوا لهم طوعاً أو كرهاً على انه يجب على حكماء الامة المجاهدين في الله ان يمتنوا بالوسائل الاليتة لتنقيت عقول العلماء العاميين لان العلم رافع للجهل فقط ولا يفيد عقلاً ولا كياسة فيلزم تعابيحهم وتعريفهم كيف تكون سياسة الدين وهكذا يفعل الحكماء عندنا معاشر اسلام الصين ولا تفقد أية بلدة كانت رجالاً حكماء نبلاء يمتازون طبعاً على العامة لهم نوع من الولاء حتى على العلماء .

وهؤلاء الذين نسميهم عندنا بالحكماء هم الذين يطابق عليهم في الاسلامية اسم أهل الحل والعقد الذين لا تعتقد (الامامة) شرعاً الا بهم وهم خواص الطبقة العليا في الامة الذين أمر الله عز شأنه بنبيه بمشاورتهم في الامر الذين لهم شرعاً حتى الاحتساب والسيطرة على الامام والعمال لانهم رؤساء الامة ووكلاء العامة والقائمون في الحكومة الاسلامية مقام مجالس النواب والاشرف في الحكومات المقبلة ومقام الأسرة الملوكة التي لها حق السيطرة على الملوك في الحكومات المطلقة كاتيين وروسية ومقام شيوخ الانتخاب في آراء امراء العشائر العربية او تلك الامراء الذين ليس لهم من الامر غير تنفيذ مايرمه الشيوخ .

واذا دققنا النظر في أدوار الحكومات الاسلامية من عهد الرسالة الى الآن نجد

ترقيها وانحطاطها تابعين لقوة أو ضعف احتساب أهل الحل والعقد واشتراكهم في تدبير شؤون الأمة .

وإذا رجعنا البصر إلى التاريخ الإسلامي نجد أن النبي عليه السلام كان أطوع المخلوقات للشورى امتثالاً لأمر ربه في قوله تعالى (وشاورهم في الأمر) حتى أنه ترك الخلافة لمجرد رأي الأمة .

ثم كان أول الخلفاء رضي الله عنه أشبه الناس به حتى أنه أخذ رأي سرة الصحابة فيمن استخلف . ثم إن الخليفة الثاني اتبع أثر الأول وإن استأثر في ترتيب الشورى فيمن يخلفه ثم لما اجتهد الخليفة الثالث في مخالفة رؤساء الصحابة في بعض المهمات لم يستقم له الأمر وظهرت الفتن كما هو معلوم ثم إن معاوية رحمه الله كان قليل الاستقلال بالرأي فحسنت أيامه عما كان قبلها . وهكذا كانت دولة الأمويين تحت سيطرة أهل الحل والعقد لا سيما من سرة بني أمية فانضمت على عهدهم الأحوال كما كان ذلك كذلك على عهد صدر العباسيين حيث كانوا مذعنين لسيطرة رؤساء بني هاشم ثم لما استبدوا في الرأي والتدبير خالفوا أمر الله واتباع طريقة رسول الله سأت الحال حتى فقدوا الملك . وهكذا عند التدقيق في كل فرع من الدول الإسلامية الماضية والحاضرة بل في ترجمة كل فرد من الملوك والأمراء بل في حال كل ذي عائلة أو كل إنسان فرد نجد الفساد دائرين مع سنة الاستشارة أو الاستقلال في الرأي .

فإذا تقرر هذا علمنا أن سبب الفتور العام المبحوث فيه هو استحكام الاستبداد في الأمراء عُتُوا وتكبراً وترك أهل الحل والعقد الاحتساب جهلاً وجبانة وهذا عند بعض الأقوام المسلمين وأما الأكثر فقد امسوا لأعلام هداة ولا سرة إابة بل هم فوضى في الدين والدنيا ولا بدع فيمن يكونون على مثل هذه الحال أن لا يرجي لهم دواء إلا بناية بعض الحكماء الذين يجيئون من أية طبقة كانت من الأمة وقرضت سنة الله في خلقه أن لا تخلو أمة من الحكماء .

فأجاب (العالم النجدي) أن شؤون السياسة في الصين تختلف كثيراً عما في غيرها وليس في الصين ملوك كثيرة وأمراء جبابرة كما عند غيرهم فالحكماء في الصين آمنون ومن جهة أخرى لم يزل الإسلام في الصين خفيفاً خفيفاً لم يفسده الفتن والتشديد ومع ذلك ترى الفتور شاملهم أيضاً ونحن الآن نبحث عن السبب العام لهذا الداء وليس كل السبب أحوال الأمراء والعلماء .

ثم قال اني اجزم ولا أقول أظن أو إخال ان سبب الفتور الطارئ الملازم للجامعة هذا الدين هو هذا الدين الحاضر ذاته ولا برهان أعظم من الملازمة وما جاء الخفاء إلا من شدة الوضوح فهل بقي من شك بعد هذه الابحاث التي سبقت في جمعيتنا ولا سيما ماينه المحقق المدني في ان الدين الموجود الآن بالنظر الى ما يدين به لا بالنظر الى ما تقرره وباعتبار ما فعله لا باعتبار ما تقوله ليس هو الدين الذي تميز به أسلافنا مثين من السنين على العالمين كلا بل طرأت على الدين طوارئ تغيرت نظامه .

وذلك ان الخلف تركوا أشياء من أحكامه كاعداد القوة والعلم والمال والجهاد في الدين والامر بالمعروف وازالة المنكر وإقامة الحدود وإيتاء الزكاة وغير ذلك مما أوضحه الاخوان الكرام . وزاد فيه المتأخرون بدعاً وتقائيدات وخرافات ليست منه كشيوع عبادة القبور والتسليم لمدعى علم الغيب والتصرف في المقدور .

وهذه الطوارئ من تغييرات أو مبركات أو مزيدات أكثرها يتعلق بأصول الدين وبعضها بأصل الأصول أعني التوحيد وكفى بان يكون ذلك سبباً للفتور وقد قال الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) — مرحى

ولقائل ان يقول اذا سلمنا ان الدين تغير عما كان عليه فما تأثير ذلك في الفتور العام الذي هو من شأن الحياة الدنيا وما نحن أولاء نجد أكثر الامم الحية التي نعيشها قد طرأ على دينها التغير والتبديل في الأصول والفروع ولم يؤثر ذلك فيها الفتور بل زعم كثير من حكماء تلك الامم انهم ما اخذوا في الترقى الا بعد عزلهم شؤون الدين عن شؤون الحياة وجماعهم الدين امرأتهماق بالنفس ولا علاقة له بشؤون الحياة الجارية على نواحيس الطبيعة

فالجواب على ذلك أنه كما يطالب كل انسان بان يكون صاحب ناموس اى متبعاً على وجه الاطراد في اخلاقه واعماله قانوناً ما موافقاً ولو في الأصول فقط لقانون الهيئة الاجتماعية التي هو منها والافكون لاناموس له منفوراً منه مضطهداً فكذلك كل قوم مكثرون بان يكون لهم ناموس عام بينهم ملائم في الجملة لقوانين الامم التي لها معهم علاقات جوارية او تجارية او مناسبات سياسية والا فيكونون قوماً متوحشين لاخلاق لهم ولا نظام منفوراً منهم مضطهدين .

وذلك ان الناموس الطبيعي في البشر هو ناموس وحنى لاخير فيه لان بنيته هي تنازع البقاء وحفظ النوع والنزاحم على الاسهل والاعتماد على القوة وطلب النفايات

وحب الرئاسة وحرص الادخار ومجاراة الظروف وعدم التبات على حال الى غير ذلك وكلها قواعد شر ومجالب ضرر لا يلحقها غير ناموس شريف واحد مودوع في فطرة الانسان وهو اذعانه الفكري للقوة الغالبة اى معرفته الله بالالهام الفطري الذى هو الهام النفس رشدها فآلهما فجزورها وتقواها (مرحى) ،

ولارب في ان لهذه الفطرة الدينية في الانسان علاقة عظمى في شؤون حياته لانها أقوى وأفضل وأزعر يعدل سائر نوااميسه المضرة ومخفف مرارة الحياة التي لا يسلم منها ابن انثى وذلك بما يؤمله المؤمن من المجازاة والمكافأة والانتقام منه وله (مرحى) وعند تدقيق النظر في حالة جميع الاديان والتحليل تدقيقاً تاريخياً توجد كلها ناشئة عن اصل صحيح بسيط سماوي لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً وبوجد ان كل دين كان في اوله باثنا في أهله النظام والنشاط وراقياهم الى أوج السعادة في الحياة الى ان يطرأ عليه التأويل والتحريف والتفنن والزيادات رجوعاً الى اصليين اثنين (الاشراك بالله والتشديد في الدين) فيأخذ في الانحطاط بالامه ولا يزال نازلاً بها الى أن تبلغ حالة اقبح من الحالة الاصلية الهمجية فتنتهي بالانقراض أو الاندماج في أمة أخرى أو يتدارك الله تلك الامة بعناية باقة فيبعث لهم رسولا يجدد دينهم أو يخلفهم أنبياء او حكماء يصاحون لهم ما فسد من دينهم كما حصل ذلك في الادم الماضية كعاد ونمود وكالسريان واسرائيل وكنعان واسماعيل وكما قال الله تعالى (وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون)

وعند التأمل يوجد الشرك والتشديد كلهما أمران طبيعيان في الانسان يسعى وراءهما جهده بسائق انفس وقائد الشيطان لان النفس تميل الى عبادة المشهود الحاضر اكثر من ميلها الى عبادة المعقول الغائب ومفطورة على التشديد رغبة في التميز والشيطان يسمف النفس بالتسويل والتأويل والتحويل والتضليل الى ان يفسد الدين (مرحى) ثم اذا دققنا النظر في حالة الاسلامية في القرون الاخيرة نجد هاجداً اكثر أهل القبلة قد أصابها بعض ما أصاب غيرها من الاديان قبلها كما أخبرنا الله تعالى بقصصها في كتابه المبين ووعدنا بوقوعنا فيه سيد المرسلين وارشدنا الى طرائق التخلص منه ان كنا راشدين أعنى بذلك ما طرأ على الاسلامية من التأويل والتحريف في بعض اصولها وكثير من فروعها حتى استولى عليها التشديد والتشويش وتطرق اليها الشرك الخفي والحلي عن يمينها وشمالها فقامت محتاجة الى التجديد بتبيين الرشد من النقي وعندي

ان هذ الحال اعم واعظم سبب للفتور المبحوث فيه قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضكاً) (مرجحي)

وأتم ايها السادة الافاضل في غناء عن ايضاح ذلك لكم بوجه التفصيل قال (الاستاذ الرئيس) اني أرى ان البحث في اعراض الداء واسبابه وجرائمه وما هو الدواء وكيف يستعمل قد نضج او كاد وقد قررنا في اجتماعنا الاول اننا سنبحث في ماهي الاسلامية وما يتبع ذلك مما أدرجناه في برنامج المباحث واني اري ان تقرير أخينا العالم التجدي نعم المدخل لنقل البحث ولا سيما اذا تكرم بتفصيل ما اجمله لان مسائل منشأ الديانات وسنن الله في مسراها واسباب طوارئ التغير والتحريف عليها كلها مسائل مهمة تقتضي تدقيق النظر واستقصاء التحقيق وتحسن فيها الاطالة والاستيعاب بناء عليه نرجو من العالم التجدي ان يتكرم باعادة ماقرره بصورة مفصلة في اجتماعنا الآتي اذ قد أذن لنا الوقت بالانصراف اليوم اهـ

باب التربية والتعليل

الشذرة الثالثة منه جريدة الاسم

تربية الذكور مع الاناث وتعليمها معاً

اني لا أخشى مغبة أفراطي وافراط هيلانه في ميلنا الى تلك الصية التي القتها العاصفة بين ايدينا لجواز ان يطلبها بعض ذويها يوماً ما وكيفما كانت نتيجة هذا الميل فلا بد له هنا من اثبات امر يتماق بعلم تركيب الانسان ووظائف اعضائه فأقول : كانت دولوريس لا تقطعها و آوينها الى بيتنا محلاً لجميع العيوب التي توجد في نظائرها اللاتي من قبلها وبلادها فانها كانت مع ظرافتها مكسلاً واثاماً قليلة العناية بشأنها وان كان لا بد من التصريح فأتنا كانت كثيرة الوساخه وكان هذا الاعمال منها لنفسها مع مقدار عظيم من التفتج والتدال من موجبات دز هيلانه وحزنها ولم ينجع في الكسر من زهوها والمطامنة من تماقها ما أخذته لذلك من العظات

وضرب به التوبيخ ونوع الايلام الخزيه ولما كان فيها من حسدة المزاج والسهج عند مخالفتها فيما تريد كانت لا تبدي ادنى اشاء لتعلم . أفرغت هيلانه جهدها في ايقاظ عقل هذه الحسناء ناعسة الغابة (١) من سباته فاحقق مسماها وبطل أثر ما استعملته من التعاويذ والطلاسم لرد هذا السحر الذى لا يدري اى جنية خبيثة من جنيات الير ورمها به على ما يظهر وان اردت ان تعلم من الذى أبطل هذا السحر فاعلم انه «أميل» ذلك لأن «ميل» (لولا) الى ان تعجبه وأن تتحامي ضروب سخريته بها وانواع زرايته عليها كان أشد تأثيراً في ارادتها من جميع عطايا ونصائحنا

كان هذا أول ساطقان (لا ميل) على قلبها وهى لا خطر فيه في سنها من ذلك الحين وقع التنافس بينهما أم من جهة فاشدة زهوه ونخره بماله من التقدم عليها في علومه القليلة وأما من جهة فاعيرتها ورغبها في منازعة ذلك التقدم والمرجو من هذا التنافس أن يعود دوماً بفائدة على كليهما فان درسهما مجتمعين أحسن وأقن منه متفردين لانه اذا اعتبر (أميل) نفسه أعلم من (لولا) اجهدت في التبريز عايه في ميدان المطالعة

أرى ان هذه الصفة تفيدهما في أخلاقيهما أيضاً فائدة كبرى فان الاطفال على

(١) يجمع نؤايب بقوله «هذه الحسناء ناعسة الغابة» الى اسطورة من اساطير الكتاب الفرنساوى شارل بيروا المسمى حكايات الجن ماخصها ان احد الملوك وزوجته ابتليا بالمقام مدة طويلة ثم رزقا فتاة حسناء فجعلوها في كفالة سبع جنيات وأولاهن وليمة أعدافهن لكل واحدة منهن تحفة فاخرتها كيس من الذهب الخالص فيه ملعقة وشوكة وسكين من الذهب أيضاً وفي أثناء جلوسهن على المائدة جاءت جنية عجوز زائنة لم يكن حضورها في الحساب فقدمت لها صحيفة بلا كيس فظنت ذلك احتقاراً لها فخافت احدى الجنيات ان تسي هذه العجوز الى المولودة فخرجت ثم ان كلاً من الاخريات منح المولودة سعة جميلة ما عدا العجوز فانها قالت ان الفتاة ستحرق يدها بمغزل وتموت فجاءت الجنية التي كانت خرجت وقالت انها لن تموت ولكن يفساها الناس مائة سنة ولا يوقفها الا ابن ملك من الملوك ثم اتفق ان الفتاة رأت مغزلاً في يد عجوز فتناولته فحرق يدها فسقطت نائمة ثم نقلت الى قصر لوالدها في غابة وبعد مائة سنة يقظها ابن ملك وتزوجها

علم تام بما يشتركون فيه من الميوس ولا يبقى بعضهم على بعض في تشهيرها وتعميرها
ايها لذلك ترى «أميل» قلما يوقر «لولا» فيما يراه فيها من القائص وهي أيضاً لا
تقصر في ان تكيل له الصاع بماله بدون ان يكون في هذه المشاغبات الحفيفة ما يكدر صفو
مودتهما الشريفة في نبيء وكاني يقتل يقول ان هذه المزايا بعينها توجد في معاشره
الأخ لاحت ووجودها معاً فاجيبه باقي في شك من ذلك اعدم تمام الشبه في الجهتين .
زرت فيما مضى مدرسة لاصم البكم كانت تنقسم في أول نشأتها الى قسمين أحدهما
للذكور والآخر للاناث فلم تلبث التجربة ان كشفت عيوب هذا التقسيم فان الصبايا اللاتي
كن متصورات في قسمهن كان يبدو عليهن التأخر عن الفلمان سنة أو سنتين ولم يكن
الفلمان أنفسهن بارعين في التقدم والنجاح فطفر في بال الفاعمين على المدرسة ان
يجمعوا الفريقين في غرف واحدة فكانت نتيجة هذا التغير محموده فانه لم يمض الا يسير
من الزمن حتى زال تأخر أحد الفريقين وانحطاطه عن الآخر وتقدم الآخر تقدماً
الانزاع فيه ذلك لان العجب الذي هو خالق فعلري في الذكر والاتي والطمع الذي
هاج في نفوس الفلمان وجود منافسات زاهيات بأنفسهن بينهم واهتمامهم بأن يظهرُوا
في أعيُنهم بمتازين عنهن كل ذلك ساعد من الجهتين على ازدياد درجة معارفهم في
دروسهم مع انهم كانوا هم التلامذة الاواين لم يتغيروا وانما ظهر ان قواهم تضاعفت
لماذا لا يصح في حق الناطقين والناطقات ما صح في حق الصم البكم .

انما يعارض القائمون على تربية الناشئين في الجمع بين الذكور والاناث بحجة
المحافظة على الاخلاق والآداب ولو كانت هذه المعارضة مبنية على سبب صحيح لكانت
وحية سديدة ولكن لا بد ان نحجب هؤلاء المعارضين بانه لم يفكر أحد مطلقاً في جمع
هذين الصنفين في قاعات النوم العامة ولا شك ان تقسيم محال المدرسة واقفيها
والرياضات المدرسية بالحكمة واتدبير يحجب كثيراً من المضار التي يخشى منها على
الآداب والاخلاق

على ان العمل العقلي انما جعل لتذليل الغرائز والشهوات الخيئة وقمعها
لا تنبئها وتهويتها واني خلافاً لاوئك المعارضين ارى ان في التفريق الكافي بين الصنفين
خطراً على النضيلة فان فرط الاحتراس والاحتياط الصادر عن الرياء واتفاق لا يكون
منه الا دعوة الفساد الى الاحتيال لتطرق الى الاخلاق من سبيل الشر فلا يثبت ان
يظهر فيها وان كثرة بت روح الحذر في أطهر المعاملات واعفها توقظ في اليافعين

ما هو لهم من شهواتهم وتظهر ما يكون كامنًا من أشواقهم فنبغي أن نزال هذه الحداثة السادة وبعدها نرى ما يرد الله "التي فطرهم عليها وجمعتها في نفوسهم" لينجأوا فريضه عليهم

لا أريد مما تقدم أن الذكر والأنثى في التربية بيان يصاح لأحدهما كل ما يصاح للآخر كلا بل أن كلا منهما يقتضي تربية خاصة لاختلافهما في المواهب والقروض والاعراض المخلوقة من أجله . على أننا نرى التابئين والتابغات من الصنفين يتكافؤون ويتناسلون في بعض ذرى العلوم والقانون الجميلة والشعر فالأجدر بنا أن تفكر بأعداد الأزواج بين ما أوتيته الأنثى من رقة الوجدان وما أوتيه الذكر من حصافة الخبائن فإن في ذلك لذة حياة الصنفين . وإن تربية شطري النوع الإنساني منهلين كنهما لا يشتركان في شيء مما خلقنا لأجله تعجيبًا بقطع الصلة الاجتماعية وأما تقديم التربية إلى الصبي وتفهمه أنها ستكون له في مستقبله رفيقة في العمل والسكح في سبيل الخير والعدل والحق فهو أكثر انطباقًا على مقتضى الفطرة وعلم الأخلاق ونرى كل من يتعلم «لولا» و«أميل» معًا إلى أن يقتضي الحال التفريق أني لأرجو لكل منهما خيرًا كثيرًا من وراء هذا الاقتران العقلي . اهـ

قوانين التعليم الرسمي

النبذة الثالثة في تعليم البنات

إن المفاصل العشرة التي ذكرناها في النبذة الثانية من انتقاد قوانين التعليم الرسمي كانت في موضوع تعليم الدين وقد فانا التنبية على مغز آخر عظيم وهو (١١) لم يرد في قانون التعليم ما يدل على أن البنات يعلمن ما يختص بالنساء من الأحكام والآداب الدينية ورجعنا إلى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئًا من ذلك ، ونحن نعلم كما نعلم نظارة المعارف أن النساء ليس هن مورد من موارد العلم إلا هذه المدارس فإذا جاز أن يكتسب التلميذ بعض ما يفوته من الأحكام الدينية في المدرسة بمعايشة أهل العلم الديني وحضور مجالسهم وسماع الخطب الدينية في يوم الجمعة وحضور دروس الوعظ في بعض المساجد فمثل هذا لا ينال للبنات ولا للنساء لأنه ليس فيهن عالمات بأمور الدين فيقتبس بعضهن من بعض ولم تجر العادة بحضورهن الجمعة ومجالس العلم في المساجد

ثم ان البنات احوج من الصبيان الى الدين عقائده واعماله وآدابه لسبب آخر وهو ان صنفهن في الشرق لا يزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء في مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج فاذا قرأت جريدة أو كتاباً على رجل وامرأة من الأميين فان الرجل يفهم منك ما لا تفهم المرأة وأكثر النساء لا يفهمن من المقروء شيئاً ما لذلك نشكر للحكومة ما نراه من الرغبة في تعليم البنات ولكن التعليم بغير تربية قليل الجدوى ولا يزال أكثر الناس عندنا يعتقد ضرر تعليم البنات وليس لنا من هؤلاء المتعلمات في المدارس حجة عليهم فان آداب هؤلاء البنات غير مرضية والسبب في ذلك عدم العناية بالتربية التي ملاكها الدين . فاذا كانت الحكومة توافقتنا على ان الحاجة الى تعليمهن أشد لأنهن أضعف عقلاً فعليها أن توافقتنا على ان الحاجة الى تربيتهن أشد أيضاً لأنهن أضعف نفساً

وهناك وجه ثالث لوجوب العناية بتربيتهن أكثر من تعليمهن وهو ان وظيفتهن الطبيعية هي التربية لا التعليم فيجب أن تكون التربية هي المقصودة لهن بالذات من المدارس وان يكون التعليم ممداً لها ومساعداً عليها . ونظارة المعارف لا تخالفنا في ان ملاك التربية الدين لا سيما عند المسلمين ولا تقدر أن تنكر تقصيرها في تعليم الدين وإيصالها لتربيته

وان تعجب فعجب أن موظفي النظارة من غير المسلمين كانوا ولا يزالون أشد محافظة على آداب البنات الإسلامية من كبار الموظفين المسلمين . فمن ذلك ان بعض الضباط من الانكليز كان يعلم البنات في المدرسة السنية الالعب الرياضية البدنية وهي ضروب شتى منها الانحناء والانتشاء وتحريك بعض الاعضاء دون بعض وكان المعلم لا يستغنى في تعليمه عن اللمس والجلس وربما سبغ ذلك الجث فراع الامر بعض المعلمين الذين لم يفقدوا نعمة الدين فاحتلوا في تباع ذلك بعض كبار الموظفين في المعارف من المسلمين وما كانوا جاهلين فلم يقد ذلك حتى اتفق ان زار المدرسة يعقوب باشا وكيل النظارة ورأى بعينه ما رأى فعاد الى الديوان وأصدر أمراً بمنع ذلك

واذكر خبر (مسز جريفيئس) المناظرة الاولى للمدرسة السنية التي كانت قبل (فورير) التي عززت في السنة الماضية فلقد كانت من خير من أثبتت أرض الاسكندر تربية وحرية ونضالية وانصافاً ولا أغلو في الاطراء . اذا صعدت بهب أفق الفلاسفة والحكماء ، ومن مآثرها ان اقترحت على نظارة المعارف أن تازم جميع البنات في

مدارسها يتعلم الديانة الاسلامية والتربية عليها عملاً . قالت : ان تعالما بتربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضروري فلا يصح ان يكون في مدرسة واحدة دينان وان أولى الاديان بالترجيح في مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة وأكثر أهالي البلاد فالنتيجة أنه يجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية في مدرسة البنات وجعلها الزامية . ومن آثارها تنقيح البنات ، وكن قبائلا في المدرسة حاسرات ، فأخبرها بعض المعلمين لما عرف فضائلا بان كشف رؤس البنات أمام المعلمين محرم في الديانة الاسلامية وان الصلاة لا تصح من مكشوفة الرأس فكتبت الى النظارة تطلب ان يجعل لكل بنت في المدرسة قناعين في السنة فاجيب عليها . فطلب هذه النظارة الحكيمة الفاضلة تعميم التربية الدينية حمجة على النظارة وقد كانت احدي « ضمانات » ناظر المعارف ولكنها لم تكن شيئاً بل لم يطل عليها الامد في المدرسة حتى استبدلت بها النظارة فوديز

اعتقد المصريون العارفون بخبرها ان المستر دنلوب نغم عليها أنها غير متعصبة للديانة المسيحية فأخرجها وهو العامل المستقل في النظارة بدون « ضمانات » الناظر وزاد هذا الاعتقاد رسوخاً سوء . سيرة النظارة التي خلفتها ولكن القوم لم يلبثوا ان عزلوا النظارة الاخرى لما كثرت الارجاف بها وانكروا عليها مخادعة المستر هوتن المفتش الانكليزي في المدارس واستبدادها في المدرسة . ويقال ان اللورد كرومر هو الذي أوعز الى النظارة والمفتش ان يستقيلاً معاً وإيمانه حكم لا يرد . نعم كان من سوء سيرة هذه النظارة استقالة الاستاذين الفاضلين الشيخ حسن منصور والشيخ محمد عن العرب من المدرسة ومن خدمة معارف الحكومة وهما من خير الاساتذة تعالما وتربية بل لا يوجد في مصر افضل منهما لتعليم البنات . فكانت استقالاتهما من أسباب سوء الاعتقاد بالنظارة وان شئت فقل بالاحتاين وكانت الجرائد كالاهاالي مجمعة على عدم الرضي بحالة المدرسة ولا يوجد فيما أعلم موظف في الحكومة اتفقت على الارتياح لعزله الجرائد الاسلامية والقبطية والسورية الا المستر هوتن ونظارة المدرسة السنية

عد هذا العقلاء محمدة للمحتلين ولم يشذ عن هذا الاحداث السياسة المشهور بالخطل في كل ما يكتب فقد اتخذ عزل النظارة والمفتش دليلاً على سوء قصد المحتلين ولاك عرضهما لو كانا خرج به عن محيط الادب وكتب كتابة لا يصح ان تكتب في الجرائد التي تعرض على جميع الانتظار ولكن كلامه لا امر له في الامة وقد مضى الزمن الذي

كان الناس يرون فيه كل عمل يعملونه المحتلون قبيحاً فقد زالت غشاوة السياسة الحرقاء عن عيون الاكثرين فهم يرون الحسن حسناً والقبيح قبيحاً وقد قلنا في النبذة الماضية انه لم يبق نظارة ولا مصلحة للحكومة الا واعترف الاهالي بالاصلاح الذي حصل فيها الا نظارة المعارف قلها لا تزال ماثراً لسوء الظن لأن الاصلاح الحقيقي انما يكون في التربية والتعليم والناس يقولون ان التعليم تدلى في عهد الاحتلال وصار سيره دون ما كان عليه من قبل وان تحسن نظامه. وانني أرى الواقفين على عناية المعارف الجديدة باعانة الكتابيب الاهلية وتنظيمها مع ابحاثها على استقلالها يحمّدون ذلك ويعمدونه من الاصلاح ولا ينكرون منه الا كون حفظ القرآن غير مكافئ عليه وانها لفلطة من واضع القانون لم تكن عنها الضمانات المحسنة شيئاً بل لا رأي في هذا القانون للضمانات فمضى ان يصلحه المستر دنلوب في سنة اخرى فيكون له ولقومه البناء الجميل

هذا — وقد كدنا نخرج عن موضوع هذه النبذة وهو تعليم البنات وتربيتهم فالامة تطلب والمعدالة تشفع ان تكون عناية المعارف بتربية البنات الدينية أشد واكثر قانون التعليم والعمل الذي في المدارس يدلان على ما قلناه من اهمال التربية والتفكير في التعليم فإلى ذلك توجه انظار أهل الحل والعقد العاملين

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَمِيرِ

﴿ مستقبل الحجاز . وأمير مكة المكرمة ﴾

نشر المؤيد الأغر من أيام رسالة مطولة « لعماني صادق » عنوانها (مستقبل الحجاز) تكلم فيها صاحبها عن حالة البلاد في هذه الأيام كلاماً تاريخياً ينبغي أن يعلم وحمل على أميرها الشريف (عون الرقيق باشا) حملة منكرة عدّ له فيها سيئات اذا صححت الرواية فهي اقبح السيئات ولكن الكاتب عدّ عليه أيضاً ما يعدّ له فكان بذلك متهماً بالفرض أو الجهل وقلماً يحد كاتباً يقف عند حدود الاعتدال . اما السيئات الحقيقية فهي الظلم في أرض الحرم والاستبداد في الحكم وعدم العناية بحفظ الامن بل اتهمه بغرض الأعراب بالحجاج لسلب المال منهم وهذا شيء عظيم لانلوم الكاتب على التطويل بذهمه وتقدمه وان كان أكثر كلامه من قبيل الشعر لامن قبيل سرد الحقائق وبيان الاوصاف .

و يظهر أن الغرض من الكتابة حمل السلطان على عزل الشريف من إمارة مكة المكرمة . ومن غلو الكاتب المتكبر شرعاً مخاطبة السلطان والاستغاثة به بكلام لا يقال إلا في الله تبارك وتعالى كقوله « قاليك يتوسل المسلمون . و بك يستغيث المؤمنون ، ياغيث المستغيثين ، وأمان الخائفين » . وأنه لكلام تقشعر من توجع لهجته لله تعالى قلوب المؤمنين . وإذا كانت مبالغته في الذم على نسبة مبالغته في المدح فلا شك أنه كاذب فيما كتب فالذي يحمل السلطان ألقاباً أتباعاً لهواه لا يبعد أن يجعل الشريف شيطاناً أتباعاً لهواه . وعجيب من المؤيد كيف نشر هذا الأطراء وأقره

ولو لا أن الطاعين في هذا الأمير كثيرون لما خفنا بهذه الرسالة وقد كنا نوهنا في المنار (١٤ : ٢) الصادر في ٩ صفر سنة ١٣١٧ برسالة مطبوعة وردت علينا في بريده سنافور اسمها « صحيح الكون . من فظائع عون » وهي مملوءة بالشكوى من الشريف وقد كتب إلينا يومئذ أنها ترجمت ووزعت في الأقطار فكان لها تأثير عظيم . حتى أن بعض المساجد قطع الخطبة لمولانا الخليفة أيده الله تحاشياً من الكذب بأنه خادم الحرمين الشريفين » وقد أرسلت هذه الرسالة يومئذ إلى الحضرة السلطانية ويظهر أن ذلك كان من عمل جمعية ولكن لم يظهر لها أثر لأن الشريف متفق مع السلطان والسلطان راضٍ عنه

وصاحب رسالة « مستقبل الحجاز » يؤكد القول بأن الشريف يجتهد في إقناع الناس بأنه لا يفعل فعلة إلا بأذن السلطان ومرضاته لينفرهم منه فإذا ثبت هذا السلطان فربما يعزل الشريف أو يرسل إليه والياً حازماً يضل يده ويحفظ الأمن ويكون هذا حجة على الذين يقولون أن السلطان يجب أن يكون الشريف ظاناً غاشياً ليعلم المسلمون في جميع أقطار الأرض بأن حكم الترك أفضل من حكم أشرف العرب

ومما عده صاحب الرسالة (مستقبل الحجاز) من سيئات الشريف هدم بعض القبور والقبب والمساجد التي بنيت على بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وتقصير زيارتهم وقال إنه أزعجهم في قبورهم وكذلك القبر المنسوب إلى أمنا حواء عليها السلام . ومن أين لمثل هذا الكاتب الذي عده هذه الأعمال ذنباً لا يفكر أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أسرى بطمس القبور المشرقة ونهى عن بناء المساجد على القبور ولعن فاعليها ونهى عن شد الرحال إلى مثلها

أخرج الإمام أحمد ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي في -

عن أبي الهياج الأسدي عن علي رضي الله عنه أنه قال « أبشرك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويت » قال الامام الشوكاني في شرح هذا الحديث بعد ما جئنا أن رفع القبور زيادة عن القدر المأذون فيه بحرام ما فيه :

« ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً القبر والمشاهد المعمورة على القبور وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعمل ذلك كما سيأتي وكما قد سري عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفايد يبي لها الاسلام . منها اعتقاد الجبهة لها كاعتقاد الكفار للأصنام . وعظم ذلك فظنوا انها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح الطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشدوا اليها الرحال وعمدوا بها واستغاثوا . وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت تفعله بالأصنام الا فعلوه فانا لله وانا اليه راجعون . ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع ، لا نجد من يغضب الله ويقتار حمة للدين الخفيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا مالكا . وقد نوارد اليان من الاخبار ما لا يشك معه ان كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم ذات وجهت عليه عين من جهة خصمه حلف بالله فاجر أفانذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك وممنفدك الولي الفلاني تلعنتم وتلكأ وأبي واعترف بالحق . وهذا من أبين الألة الدالة على ان شركهم قد بلغ فوق شرك من قال انه تعالى ثاني اثنين او ثالث ثلاثة . فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أي رزء الاسلام أشد من هذا الكفر ؟ وأي بلاء لهذا الدين اضر عليه من عبادة غير الله ؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأي منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك الين واجباً ؟ اه تم تمثل الشوكاني بعد ما تقدم بقول الشاعر :

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً انفخت بها اضاءات ولكن أنت تنفخ في رماد

والسبب في موت العلماء والامراء الذي عناء بالتمثيل هو اختيار مرضاة العوام الذين قد فهم هذا المنكر على مرضاة الله تعالى فالعوام بمقتضى طبيعة الكون تبع لهم ولكنهم اضعف ارادتهم وانحلالات عنائهم جعلوا أنفسهم تبعاً للعوام وسيتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث جابر أنه قال : « نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وإن يكتب عليه وأن يبنى عليه » ولفظ الكتابة لم يذكره مسلم ولكنه على شرطه كما قال الحاكم والتجويد الطلاء بالحص وهو المكس والحير والنهي حقيقة في التحريم .

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » زاد مسلم والنسائي وأخرج أحمد وأصحاب السنن إلا ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وقد عذ العلماء اللعن من علامة كون المعصية من الكبار وما كان كذلك تجب إزالته . فإذا تصدى مثل شريف مكة لازالة هذا التكر عملاً بسنة جده عليه أفضل الصلاة والسلام لقدرة على ذلك لعمدة عاصياً ومبتدعاً لقول كاتب جاهل ومجهول ونحاطب الساطن بما لا يخاطب به إلا الله عز وجل لأجل التكيل به ؟؟ لقد اهتلب المعروف منكراً والتكر معروفاً فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

أما مستقبل الحجاز فهو مما لا يصح لمثل هذا الكاتب أن يخوض فيه إلا إذا عرف ماورد من الاخبار النبوية فيه وأخذ حظاً من علم طبائع الأمم وسلم بشئ من ذلك إن شاء الله تعالى في مقالة نكتبها في مستقبل الاسلام . ولا يفهم من انتصارنا للحق في مسألة القبر ومساجد القبور أننا نتصر للتشريف على كل حال فأننا كنا اول من وجه أنظار مولانا السلطان أيد الله دولته الى تحقيق ماينسب اليه في أمر الامن وعدمه والظلم في الحرم وفعل منيجب من ازالة ذلك وذلك من مدة سنتين كما أشرنا اليه في أوائل الكلام ونكرر ذلك الآن والله الموفق واليه ترجع الامور



(وفاة الشيخ أحمد الحبش الكبير) نعي البنا بريد الهند في الشهر الماضي وفاة هذا العالم الفاضل والأديب الكامل الذي يعرف قراء المنار بعض فضله وغيرته المالية من قضا ئه التي نشرت في المنار مما كان ينش في جمعية ندوة العلماء . وقد كانت وفاته في يومه في ١٩ محرم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وعزى آله واصدقاءه أحسن العزاء

(وفاة عقيلتين) في ١٧ صفر توفيت العقيلة عائشة عصمت كريمة المرحوم اسماعيل باشا تيمور وأخت الفاضل أحمد بك تيمور وكانت أديبة شاعرة في العربية والتركية والفارسية وقد لقبها المؤيد بشاعرة مصر في هذا العصر . ففسأل الله أن يحسن عزاء أخيه وأصحابها الكرام

وفي ١٩ منه توفيت والدته الفاضلة البعل أحمد بك تيمور فاجتمع على هذا الفاضل مصابيان عظيمان في شهر واحد مصاب الأخت ومصاب الأم وله أكبر عزاء بما وفق له من اتباع السنة في تشييع الجنازة والمآثم إذ كان قدوة صالحة للناس الذين اعتادوا أن يراو في جناز الكبراء والأمراء ألوان البدع كحمله بحمامر الفضة وصحافها انفلأى بالرياحين وكطعمة الخدم المؤترة بأزر الحرير وكزعف الصالحين بالأشمار والادعية والصلوات وغير ذلك . ولكن أحمد بك تيمور انفرد دون أولاد الباشوات في مصر بمزيد الاستقامة واتباع السنة والاشتغال بالعلم والأدب بل لا نكاد نرى في هذه البلاد شاباً مثله في استقامته وأدبه وإن كثيراً من أهل الفضل ليودون إبطال هذه العادات القبيحة ولكن إرادتهم ضعيفة لا تقوى على ما يتوهمون من الانتقاد ورميهم بالبخل على الموتى ومثل أحمد بك تيمور يصح أن يكون قدوة لهؤلاء إذا وفقهم الله تعالى

ولقد سمعت تقرأ من العامة يتحدثون في الطريق ونحن مشاة في تشييع الجنازة يسأل بعضهم بعضاً عن السبب في خلو هذه الجنازة من الصياح والضجيج ونحوهما أشربنا إليه آتفاً فأجابني آخر بأن هذا هو السنة فحدث الله تعالى أن جعل في العامة من يفرق بين السنة والبدعة ويعرف أهلها فكما نعزي صديقنا الكامل أحمد بك تيمور في مصابه نهته بما وفق له من إقامة السنة وحذل البدعة ونسأل الله أن يجعله قدوة حسنة لأمثاله من الوجهاء الذين هم قدوة لسائر الطبقات . في جميع التقاليد والعادات

(نصير محمد علي) استحسن الفضلاء ما كتبناه عن محمد علي وأعجبوا به وهنؤنا بخدمة الدين والأمة به الإحداث السياسية فانه شتمنا في جريدته وعسيرنا بلقب (البذيل) يعني أننا لسنا من سلالة الفرعنة وقد أمرنا الله بالأعراض عن مثله . ونحمد الله أننا من ذرية أفضل أنبيائه فوالدنا حسيني وأما حسنية . وذلك أفضل عند كل مسلم من السلالة الفرعونية . وأما إرجاف الحدث بذكر الاستعدادات ثورة كالثورة العراقية فهو مما لا يفهم لأن الثورة لا تكون إلا لمقاومة قوة ولا قوة في مصر إلا للمحتلين فإن كنا نحن ومن « ينصرنا ويحمينا » نريد أن نشور عليهم فأننا نستحق من سعادة الحدث الثناء لا الذم وإن كان يعني أننا نشور على جانب آخر فذلك الجانب هو الذي يشكو الحدث دائماً من سلب حقوقه ونشكو نحن والعقلاء من الثورات المعنوية التي هاجها عليه هذا الحدث وأمثاله وكان من أثرها ما كان وما هو كائن مادام هؤلاء الأحداث متصليين به



(شروط الواقفين • وعدم التعبد بكلام غير المصومين)

جرى على الالسة واشتهر بين الناس قول بعض الفقهاء « ان شرط الواقف كنص الشارع » وهو ما عليه عمل المحاكم من عهد بعيد الى اليوم فيتمسكون بكلمات كتبت في « الوقفيات » وربما لم يكن يفهمها الواقف وانما كتبها الكاتب فيما يكتب من عباراته التقليدية ويتركون احيانا المقصود

من الوقف للشارع والواقف وقوفا عند هذه الالفاظ . وقد رأيت بحثاً
نفسياً في هذا الموضوع الامام الحافظ الفقيه ابن القيم في كتابه (اعلام
الموقمين) أحيت ان أنشره في المنار ليعلم الناس ان ديننا دين مقاصد عالية
ومصالح تقوم بها المنفعة لا دين الفاظ يتبدع ثم تتبع قال رحمه الله تعالى
مناقشا فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية في مسائل خالفوا فيها النص أو
خرجوا عن القياس الصحيح مانصه بمقدمته :

« فصل : وقالت الحنفية والمالكية والشافعية اذا شرطت الزوجة
ان لا يخرج الزوج من بلدها أو دارها وان لا يتزوج عليها ولا يتسرى فهو
شرط باطل فتركوا محض القياس بل قياس الأولى فانهم قالوا لو شرطت
في المهر تأجيلاً أو غير نقد البلد أو زيادة على مهر المثل لزم الوفاء بالشرط
. فأين المقصود الذي لها في الشروط الأولى الى المقصود الذي لها في هذا
الشرط ؟ وأين قوائمه الى قوائمه ؟ وكذلك من قال منهم لو شرط ان
تكون جميلة شابة سوية فبانت عجوزاً شطاء قبيحة المنظر انه لا فسخ لاحدهما
بقوات شرطه حتى اذا فات درهم واحد من الصداق فلما الفسخ بقوائمه
قبل الدخول فان استوفى المقنود عليه ودخل بها وقضى وطره منها ثم
فات الصداق جيمه ولم تظهر منه بحجة واحدة فلا فسخ لها . وقسم
الشرط الذي دخلت عليه على شرط ان لا يودها ولا ينفق عليها ولا
يطأها ولا ينفق على أولاده منها ونحو ذلك مما هو من أفسد القياس
الذي فرقت الشريعة بين ما هو أحق بالوفاء منه وبين ما لا يجوز الوفاء به
وجمعهم بين ما فرق القياس والشرع بينهما وألحقهم أحدهما بالآخر . وقد
جمل النبي صلى الله عليه وسلم الوفاء بشروط النكاح التي يستحل بها الزوج

امراته أولى من الوفاء بسائر الشروط على الإطلاق فليتموها أنتم دون سائر الشروط وأحقها بمدم الوفاء

« وجعلتم الوفاء بشرط الواقف المخالف لمقصود الشارع كترك النكاح (أي بأن وقف على أهل هذه التكية ما لم يتزوجوا) وكشرط الصلاة في المكان الذي شرط الصلاة فيه وإن كان (المصلي) وحده وإلى جانبه المسجد الأعظم وجماعة المسلمين . وقد أنى الشارع هذا الشرط في النذر الذي هو قرينة محضة وطاعة فلا تمين عنده بقمة عينها الناذر للصلاة إلا بالمساجد الثلاثة (المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس) وقد شرط الناذر في نذره تمينه فألغاه الشارع بفضيلة غيره عليه أو مساواته له فكيف يكون شرط الواقف الذي غيره أفضل منه وأحب إلى الله ورسوله لازماً يجب الوفاء به ؟ وتمرين الصلاة في مكان معين لم يرغب الشارع فيه ليس بقربة وماليس بقربة لا يجب الوفاء به في النذر ولا يصح اشتراطه في الوقف

« فإن قلتم : الواقف لم يخرج ماله إلا على وجه معين فلزم اتباع ما عينه في الوقف من ذلك الوجه والناذر قصد القرينة والقرب مساوية في المساجد غير الثلاثة فتممين بمضاهيها . قيل فهذا الفرق بعينه يوجب عليكم الفاء مالا قرينة فيه من شروط الواقفين واعتبار ما فيه قرينة فإن الواقف إنما مقصوده بالوقف التقرب إلى الله فتقربه بوقفه كقربه بنذره فإن العاقل لا يبذل ماله إلا لما فيه مصلحة عاجلة أو آجلة والمرء في حياته قد يبذل ماله في أغراضه مباحة كانت أو غيرها وقد يبذله فيما يقربه إلى الله . وأما بمد مماته فأنما يبذله فيما يظن أنه تقرب إلى الله . ولو قيل

له ان هذا المصرف لا يقرب الى الله عز وجل أو ان غيره أفضل منه وأحب الى الله منه وأعظم أجراً لبادر اليه . ولا ريب ان الماقل اذا قيل له اذا بذلت مالك في مقابلة هذا الشرط حصل لك أجر واحد وان تركته حصل لك أجران فانه يختار ما فيه الاجر الزائد فكيف اذا قيل له ان هذا الأجر فيه البتة ؟ فكيف اذا قيل له انه يخالف لمقصود الشارع . مضاداً له يكرهه الله ورسوله . وهذا كشرط الزوئية مثلاً وترك النكاح فانه شرط لترك واجب أو سنة أفضل من صلاة النافلة وصومها أو سنة دون الصلاة والصوم . فكيف يلزم الوفاء بشرط ترك الواجب والسنن اتباعاً لشرط الواقف وترك شرط الله ورسوله الذي قضاؤه أحق ، وشرطه أوثق ، « يوضحه انه لو شرط في وقفه ان يكون على الاغنياء دون الفقراء ، و كان شرطاً باطلاً عند جمهور الفقهاء ، قال أبو الممالي الجويني - هو امام الحرمين رضي الله عنه - : ومعظم أصحابنا قطعوا بالبطلان . هذا مع ان وصف التقى وصف مباح ونعمة من الله وصاحبه اذا كان شاكراً فهو أفضل من الفقير مع صبره عند طائفة كثيرة من الفقهاء والصوفية فكيف يلغى هذا الشرط ويصح التهرب في الاسلام الذي أبطله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله « لا رهبانية في الاسلام » . يوضحه ان من شرط التزب فانما قصد ان تركه ^(١) افضل واحب الى الله فقصد ان يتعبد الموقوف عليه بتركه وهذا هو الذي تبرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه بعينه فقال « من رغب عن سنتي فليس مني » وكان قصد اولئك الصحابة ^(٢)

(١) كذا في الاصل والمراد ترك النكاح ولم يذكر في الجملة ولعله سقط من النسخ

(٢) يريد الذين أرادوا ترك الزوج كتمان بن مفلحون رضي الله تعالى عنه

هو فساد المال، التي منهن بعينه سواء فاتهم قصدوا ترفية^(٢) أو فاتهم على
العبادة وترك النكاح الذي يشغلهم تقرباً إلى الله بتركه فقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فيهم ما قال وأخبر أن من رغب عن سنته فليس منه . وهذا
في غاية الظهور فكيف يحل الإلزام بترك شيء قد أخبر النبي صلى الله عليه
وسلم أن من رغب عنه فليس منه ؟ هذا مما لا تحمله الشريعة بوجه^(٣)

« فالصواب الذي لا تسوغ الشريعة غيره عرض شروط الواقفين
على كتاب الله سبحانه وعلى شرطه فما وافق كتابه وشرطه فهو صحيح
وما خالفه كان شرطاً باطلاً مردوداً ولو كان مائة شرط وليس ذلك بأعظم
من رد حكم الحاكم إذا خالف حكم الله ورسوله ومن رد فتوى المفتي .
وقد نص الله سبحانه على رد وصية الجنتف (وفي نسخة الخائف وكلاهما
بمعنى الجائر) في وصيته والآثم فيها مع أن الوصية تصح في غير قرينة
وهي أوسع من الوقف وقد صرح صاحب الشرع برد كل عمل ليس عليه
أمره فهذا الشرط مردود بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحل
لأحد أن يقبله ويعتبره ويصححه

« ثم كيف يوجبون الوفاء بالشروط التي إنما أخرج الواقف ماله لمن
قام بها وإن لم تكن قرينة ولا للواقفين فيها غرض صحيح مما يقربهم إلى الله

(٣) فسر الترفية في هامش الأصل بالتسكين والاقامة على الشيء (٤) أبعد من هذا
عن قصد الشارع الوقف على تشريف القبور وبناء القبب المساجد عاياً وعلى إيقاد السرج
والشموع عاياً وذلك من المحرمات التي لمن النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمها فيجب
على القاضي أن ينصح من أراد الوقف على محرم أو مكروه وإن لا يقبل منه وإن
يدله على أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى بوقفه كمساعدة الجمعيات الخيرية وبناء
المدارس لتعليم الأمة

ولا يوجبون الوفاء بالشروط التي انما بذلت المرأة بعضهم للزوج بشرط وفائه لها بها ولها فيها أسع غرض ومقصود وهي أحق من كل شرط يجب الوفاء به بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهل هذا الا خروج عن محض القياس والسنة ؟

ثم من المعجب المعجب قول من يقول : ان شروط الواقف كنصوص الشارع ، ونحن نبرأ الى الله من هذا القول ونمتذر اليه سبحانه مما جاء به قائله ولا نعدل بنصوص الشارع غيرها أبدا . وإن أحسن الظن بقائل هذا القول حمل كلامه على انها كنصوص الشارع في الدلالة وتخصيص عامها بخاصها وحمل . مطلقها على مقيدها واعتبار مفهومها كما يعتبر منطوقها وأما ان تكون كنصوصه في وجوب الاتباع وتأثير من أخل بشئ منها فلا يظن ذلك بمن له نسبة ما الى العلم . فاذا كان حكم الحاكم ليس كنص الشارع بل يرد ماخالف حكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك . فشروط الواقف اذا كان كذلك كان أولى بالرد والإبطال . فقد ظهر تناقضهم في شروط الواقفين وشروط الزوجات وخروجهم عن موجب القياس الصحيح والسنة وبالله التوفيق

« يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قسم يهطي الامل حظين والمرب حظا وقال « ثلاثة حق على الله عونهم » وذكر منهم الناكح يريد المناف . ومصححوا هذا الشرط عكسوا مقصوده فقلوا انه عليه ما دام عزبا فاذا تزوج لم يستحق شيئا ولا يحل لنا ان نمينه لأنه ترك القيام بشرط الواقف وان كان قد فعل ما هو أحب الى الله ورسوله فالوفاء بشرط الواقف المتضمن لترك الواجب أو السنة المقدمة على

فضل الصوم والصلاة لا تحل مخالته ومن خالفه كان عاصيا آثما حتى اذا خالف الأحب الى الله ورسوله والارضى له كان باراً مثاباً بما بالو حب عليه؟

» يوضح بطلان هذا الشرط وأمثاله من الشروط المخالفة لشرع الله ورسوله انكم قلتم كل شرط يخالف مقصود المقد فهو باطل حتى أبطلتم بذلك شرط دار الزوجة أو بلدها وأبطلتم اشتراط البائع الانتفاع بالمبيع مدة معلومة وأبطلتم اشتراط الخيار فوق ثلاثة وأبطلتم اشتراط نفع البائع في المبيع ونحو ذلك من الشروط التي صححها النص والآثار من الصحابة والقياس كما صحح عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وعمر بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان اشتراط المرأة دارها أو بلدها وان لا يتزوج عليها ودات السنة على ان الوفاء به أحق من الوفاء بكل شرط وكما صححت السنة اشتراط انتفاع البائع بالمبيع مدة معلومة فأبطلتم ذلك وقلتم يخالف مقتضى المقد وصحتم الشروط المخالفة بمقتضى عقد الوقف لعقد الوقف إذ هو عقد قربة مقتضاه التقرب الى الله تعالى ولا ريب ان شرط ما يخالف القربة يناقضه منافية صريحة فاذا شرط عليه الصلاة في مكان لا يصح فيه إلا هو وحده أو واحد بعد واحد أو اثنان فمدره عن الصلاة في المسجد الاعظم الذي يجتمع فيه جماعة المسلمين مع قدمه وكثرة جماعته فيتمدها الى مكان أقل جماعة وانقص فضيلة وأقل أجرا اتباعاً لشرط الواقف المخالف لمقتضى عقد الوقف خروج من محض القياس وبالله التوفيق

» يوضحه ان المسلمين مجمعون على ان عبادة الله في المسجد من الذكر والصلاة وقراءة القرآن أفضل منها عند المقابر فاذا منتم فملها في بيوت الله سبحانه وأوجبتم على الموقوف عليه فعلها بين المقابر إن أراد ان

بأنه لا يجوز تناول الوضوء إلا كان تناوله حراماً كنتم قد التزمتم به بترك الإحباب إلى الله إلا تنفع للمبدع والمبدول إلى بعض المنفصول والمهي عنه (أي كالصلاة إلى القبور أو بقربها) مع مخالفته قصد الشارع تفصيلاً وقصد الواف إجمالاً فإنه إنما يقصد الأرضى لله والأحب إليه ولما كان في ظنه أن هذا إرضاء لله اشترطه فنحن نظرنا إلى مقصوده ومقصود الشارع وأنتم نظرتم إلى مجرد لفظه سواء وافق رضى الله ورسوله ومقصوده في نفسه أولاً

«ثم لا يمكنكم طرد ذلك أبداً فإنه لو شرط أن يصلي وحده حتى لا يخالط الناس بل يتوفر على الخلوة والذكر أو شرط أن لا يشتغل بالعلم والفقه ليتوفر على قراءة القرآن وصلاة الليل وصيام النهار أو شرط على الفقهاء أن لا يجاهدوا في سبيل الله ولا يصوموا تطوعاً ولا يصلوا الزوافل وأمثال ذلك فهل يمكنكم تصحيح هذه الشروط . فإن أبطلتموها فعمل النكاح أفضل من بعضها أو مساوٍ له في أصل القرينة وفعل الصلاة في المسجد الأعظم النقي الأكثر جماعة أفضل وذكر الله وقراءة القرآن في المسجد أفضل منها بين القبور فكيف تلزمون بهذه الشروط المنفصلة وتطالبون ذلك ؟ فإنا هو المتأرق بين ما يصح من الشروط وما لا يصح » ثم لو شرط البيت في المكان الموقوف ولم يشترط التعزب فأبجتم له الزوج فطالبت الزوجة بحققها من المبيت وطالبتهم بشرط الواقف منه فكيف تقسمونها بينهما أم ماذا تقدمون ؟ أما أوجب الله ورسوله من المبيت والقسم نازوجة مع ما فيه من مصلحة الزوجين وصيانة المرأة وحفظها وحصول الأيواء المطلوب من النكاح ؟ أم ما شرطه الواقف وتعاملون شرطه أحق والوفاء به ألزم ؟ أم تمنعون من النكاح والشارع والواقف لم يمنعه منه ؟

فأحق أن يبيته عند أهله إن كان أحب إلى الله ورسوله جاز له بل استحب
فلا نص ولا قياس وذا مصلحة الواقف ولا الموقوف عليه ولا مصلحة
لله ورسوله والمقصود بيان ما في الرأي والقياس من التناقض والاختلاف
الذي يبين أنه من عند غير الله لأن ما كان من عنده فانه يصدق به مضا
ولا يخالف به مضا وبالله التوفيق »

(المنار) ان مسألة الاوقاف هي من المسائل الحيوية في شؤون المسلمين فلو
احسن المسلمون إدارة الاوقاف الخيرية وصرفوها في الوجوه الفضلى فانها
تكون اكبر الوسائل لتقدمهم وارتقاءهم ولسكنهم يستدرون بشروط الواقفين
التي تبدلنا بها بعض الفقهاء وانما يستدرون عن صرف الاوقاف في الوجوه
الفضلى والمنافع العامة ولكنهم اذا لاح لهم شيء منها وثبوا عليه والتمسوه
التماساً من غير نظر الى شرط الواقف ولا الى نص الشارع وكذلك شأن أهل
العاطية المليقي علوم المسلمين في أعظم معهد للملم الاسلامي . يأكل الاغنياء
حقوق الفقراء ويهضم الكبار ، ماوقف على الصغار ، فهم حجة على أنفسهم
وكلام هذا الامام المجتهد وبرهينه حجة على كتبهم ولا بد ان يجي يوم
ترزق فيه سلطة للسلامة ، فتصرف أموال الاوقاف في مصلحة المسلمين ،
أو تقع في سلطة المتعطلين ، اذا دنا على هذا الجمود المبين ، والماقية للمتعطلين

باب الأسئلة والأجوبة

قراءة المولد بالتركية (س ١) من الشيخ م . م في مصر : ما حكم الله في
قراءة قصة مولد النبي العربي صلى الله عليه وسلم باللغة التركية في بيت الله
تمالى على قوم من العرب وبمحضر العلماء الذين لا يعرفون الالمة بينهم

كما يجري ذلك كل عام في مسجد الحسين (رض) وإن تفضل السيد
 فذكر أصل ذلك في دين الله أو في السياسة الوضعية شكره الله والناس
 (ج) يشبه أن يكون هذا من اللغو الذي لا يعني ولا يفيد لأنه لا يفهم
 وقد وصف الله المؤمنين بالإعراض عن اللغو في آيات من كتابه كقوله «وإذا
 سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وقوله عز وجل «والذين هم عن اللغو معرضون»
 وقوله جل ذكره في وصف عباده «وإذا مرؤوا باللغو مرؤوا كراما» .
 وأخرج أحمد وأبو داود عن عثمان بن طلحة (رض) أن النبي صلى الله
 تعالى عليه وآله وسلم دعاه بعد دخوله الكعبة فقال : «إني كنت رأيت
 قرني الكعبش حين دخلت البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرها تخمرها
 فانه لا ينبغي أن يكون في قبلة البيت شيء يلهي المصلي» ونهى رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الخلق (جمع حلقه) يوم الجمعة قبل الصلاة كما
 في حديث أحمد وأصحاب السنن الأربعة . وقراء قصة المولد يتلقون في قبلة
 المسجد ويرطن خطيبهم بالقصة التركية ولا شك أن ذلك يلهي المصلي ولا
 فائدة فيه فهو داخل من منع الحديث من هذا الوجه أيضاً . وقد نهى الفقهاء
 عن رفع الصوت في المسجد بالقرآن الكريم والعلم النافع إذا كان يشغل
 المصلي . فما بالكم بمن يرطن بالتركية على قوم لا يفهمون منها شيئاً ؟
 أما أصل ذلك في السياسة فهو أن أمراء السوء لما صعب عليهم إقامة
 الدين على وجهه جعلوا هذه المواسم المبتدعة من شعائر الإسلام ليؤمها
 عامة المسلمين بأنهم قائمون بإقامة الدين وإحياء شعائره وأن رياستهم الدينية
 هي بحق . ولم يحكم الترك هذه البلاد جعل بعضهم قراءة قصة المولد بالتركية
 لأن الأمير هو المقصود بالاحتفال وقراءة القصة لا الأمة وإنما على هذه

ان تعتقد دينة وإحياء للشعائر الإسلامية . وأعجب من هذا ان نحو اللغة العربية وصرها يعلمان في مدارس الدولة العثمانية (وفقها الله وأيدها) باللغة التركية لأبناء العرب في سوريا وغيرها وكذلك علم الدين . وقد عين أحد الأئمة من علماء الدين في بعض مدارس سوريا الاميرية كأنهم لم يجدوا مسالما يحسن تعليم الديانة الإسلامية بالتركية . فالأصل في هذا السياسة إحياء لغة الأمة الحاكمة وإماتة مبادئها وانتهى الخلل الى هذا الحد . ومن هذا القبيل ان سلطاننا المعظم (وفقه الله) كان أرسل بعض الوعاظ الأتراك ليعلموا العرب في عمان والكرك دينهم وليس في الملامين من يعرف العربية ولا من المراد تعليمهم من يعرف كلمة تركية لانهم من صميم العرب الذين لا يزالون على بدوهم

مس المحدث القرآن (س ٢) ومنه : ان كثيراً من المسلمين شعروا بحاجتهم الى حفظ القرآن الكريم وتدبره فلما هموا بذلك صدقهم تحريم الفقهاء مس المصحف لغير المتوضي وما رضوا حياتهم في ذلك من تقلب اوراقه بنحو عود ارمسه بنحو خرقة أو حمله مع متاع الخ لانهم يعتبرونها الاعيب فهم الآن في حيرة والرجاء كشف الغمة في هذه المسألة ولكم من الله المثوبة ومن المؤمنين الدعاء والشكر اهـ

(ج) مسألة مس المحدث المصحف خلافة بين المسلمين وكذلك قراءة الجنب القرآن وينبغي للانسان ان يحكم الاحتياط في المسائل الخلافية المتعارضة الدلائل . والاحتياط ممن يريد قراءة القرآن بالمصحف للتدبر والتمديد ان يختار قول من قال بوجوب الداهية من المحدث الا كبر للقراءة ومن الحديث لمس المصحف . وليس من الاحتياط ان يترك المسلم حفظ القرآن لانه يتعسر او يتعذر عليه الحفظ مالم يحمل القرآن ويمسه على غير

وأنه خفته حيث هو الأحوط والأفضل . ونشير الى الخلاف في
المسئلة وأدله بالامجاز فنقول

أما قوله تعالى « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يحسه الا
المطهرون » فتد فسرنا الكتاب المكنون باللوح المحفوظ والمطهرين
بالملائكة . ومنهم من قال المطهرين من الاحداث وجعل الكتاب المكنون
صنة للقرآن . قال البيضاوي في تفسير الآية « لا يطلع على اللوح الا
المطهرون من الكدورات الجسمية وهم الملائكة . اولاً يمس القرآن الا
المطهرون من الاحداث فيكون نقياً بمعنى نهي اولاً يطلبه الا المطهرون
من الكفر » اهـ وتفسير المطهرين بالملائكة مروى عن ابن عباس وقتادة .
وأما حديث « لا يمس القرآن الا طاهر » فهو ضعيف لا يحتاج به وكذلك
حديث « لا يمس المصحف الا على طهارة » كما جزم بذلك فيها النووي
وابن كثير . على ان بعضهم قال ان المراد بالطاهر المؤمن او الطاهر من
النجاسة والمروى عن ابن عباس والشمي والضحاك وداود جواز مس
المصحف لحدث حدثاً اصفر . والخلاف كبير في الحدث الاكبر حتى قيل
انه يأتى فيه من الائمة الا داود الظاهري ولكن لا يعرف للجماهير دليل
وبقيت القراءة ولا نزاع في جوازها مع الحدث الاصفر وقد ضعفوا ما ورد في الحديث
في منع القراءة مع الجنابة ولكن الجماهير على التحريم . وأخرج البخاري عن
ابن عباس انه لم ير في القراءة للجنب بأساً . قال في نيل الاوطار : ويؤيده التمسك
بموم حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يذكر الله على
كل أحيائه وبالبراءة الأصاية حتى يصح ما يصح لتخصيص هذا العموم ولانقل عن
هذه البراءة . اهـ ومع هذا لا أحب لحفظة القرآن القراءة مع الجنابة ولكن لا بأس
بحملهم المصحف مع الحدث الاصفر والقراءة كذلك وانصح لهم أن يتحروا الطهارة
والوضوء ما أمكن ذلك والله الموفق

الظلم بالآكل من الشجرة (س ٤) الشيخ محمد عيار الحلي بالآخرة: أرحم حضرة كرم
أن توضحوا معنى قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وأن
تبينوا معنى ظلمه مع ملاحظة قوله تعالى « والكافرون هم الظالمون » وأن تبينوا معنى
قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى » مع ملاحظة عصمة الأنبياء

(ج) ترون معنى الآية الأولى في نبذة التفسير من هذا الجزء وتقدم الكلام
في مصيبة آدم وعصمة الأنبياء في الدرس ٣٤ من العقائد في (ج ٣ : ٥)

والظلم أهم من الكفر فكل كفر ظلم وليس كل ظلم كفر فمن قصر في فضيلة
أو عمل نافع فقد ظلم نفسه بمقدار ما فاتته من ثمرة العزيلة وفائدة العمل فقوله تعالى
« والكافرون هم الظالمون » لا ينافي هذا لأن كون الظلم وصفاً راسخاً فيهم باقظ
أنواعه وهو الاعتماد في النجاة يوم القيمة على الشفاعة ونحوها لا يمنع أن يأم غير الكافرين
بنوع آخر من أنواعه الخفية . وقد فسر بعضهم الظلم في قوله تعالى « والذين إذا
فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله »
ولم يعصروا على ما فعلوا وهم يعاصون » بالصغيرة وأنت ترى إن هذا ذنب تاتخذه الفقرة .
والشرك ظلم عظيم و « إن الله لا يغفر إن يشرك به »

إسهار الذميمة قرأنا (س ٥) عبد الفتاح أفندي البدن بالاسكندرية : إذا أراد المسلم أن
يتزوج ذميمة وانفق على أن يجعل صداقها شيئاً من القرآن الكريم فهل يصح ذلك ؟
(ج) يصح جعل المنفعة مهراً وتعليم القرآن أعظم المنافع لأنه نور وهدى للناس
وقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد (رض) أن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم زوّج رجلاً فقيراً امرأة فوضعت أمرها إليه بما معه من القرآن
ولفظ المقدمه زوجها بمأملك من القرآن « وكان له عنه فبين له السور التي يحفظها
وفي روايات وأحاديث أخرى ذكر التعاليم وتعيين السور وفي بعضها ذكر عشرين آية
والراجع إن ذلك في وقائع متعددة ثبتت بالنسبة إن تعليم القرآن يصح أن يكون مهراً
وعليه الجواهر الاخفية . ولم أر من استثنى الذميمة في هذا المقام ولا من ذكرها فيه
وأنت تعلم أن القرآن أفضل ما يدعى به إلى الدين وأكبر المنافع ولا شك إن رضا
هذه الذميمة بتعلم شيء من القرآن إنما هو لا اعتقادها إن فيه منفعة لها . ولكن الذي
منهوه هو تملك القرآن لغير المؤمنين حذراً من إهائته . ومن أراد الاحتياط وموافقة
الجميع فليضف إلى التعليم قليلاً من المال . هذا ما ظهر لنا من الجواب والله أعلم بالصواب

الدراسة العلمية للدين واللاهوت - الدين والاسلام والشرك والتصوف

في مكة المكرمة يوم السبت العشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦
انتظم عقد الجمعية في هذا اليوم صباحاً وقرأ النسيب السابق حسب العادة
وأذن الاستاذ الرئيس بالشروع في البحث

فقال (العالم التجدي) : اني أطلب السماح من السادة الاخوان عن إملأهم
بمقدمات وتعريفات هم أعلم مني بها بل هي عندهم في رتبة البديهيات ولكن لا بد منها
للباحث رعاية لقاعدة التسلسل الفكري والترتيب القياسي فأقول :

ان النوع الانساني مفطور على الشعور بوجود قوة غالبة عاقلة لا تكيف تصرف
في الكائنات بنواميس منتظمة فالعامة يعبرون عن هذه القوة بانفظ العليمة والراشدون
من الناس مهتدون الى ان لهذه القوة من هو قائم بها يعبرون عنه بانفظ (الله) ثم ان
هذا الشعور يختلف قوة وضعفاً حسب ضعف النفس وقوتها ويختلف الناس في تصور
ووصف ماهية هذه القوة حسب مراتب الادراك فيهم أو حسب ما يصادفهم من التلقي
عن غيرهم وذلك هو الضلال والهداية . على ان الضلال غالب لأن موازين العقول
البشرية مهما كانت واسعة قوية لا تسع وتحمل وزن جبال الأزلية والأبدية والآمال
والآلام واللا مكان ونحو ذلك مما يسمى العلم به لصعوبته علم ما وراء العقل ولهذا
لا يقال في الضالين انهم منحطون عقلاً عن المهتدين بل كثير منهم في الماضين
والحاضرين أسعى عقلاً بمراتب كبيرة من المهتدين ولكن صعوبة التصور والحكم
أوقعهم في بحار من الأوهام وظلمات من الضلال . على ان الباري تعالى قدر اللطف
بعض عباده واراد اقامة الحججة على الآخرين فأوجد بعض أفراد من البشر تميزوا
في ادراكهم ووصف ماهية هذه القوة تميزاً كبيراً فساروا هداة للناس وهم (الأنبياء)
عليهم الصلاة والسلام . وقد قام بعض هؤلاء الأنبياء الكرام فيمن حولهم من الناس
مقام الشريعة وأتبعوا بمراتب خرق العادات على أيديهم عند التحدي أي عند طلب
ذلك منهم (١) أن مخاطبتهم مكلفون باتباعهم وهم (المرسلون) فأمن بهم من آمن أي
شهدوا لهم بالرسالة وأتبعوهم في هديهم مستسلمين فأخرجوهم من بحار الأوهام
الى ساحل الحكمة ومن ظلمات الضلال الى نور الهداية وهؤلاء هم (المؤمنون)

(١) النار — هكذا فسر التحدي هنا والممزوف في علم الكلام ان التحدي طلب
المعارضة للمعجزة بأن يقول الرسول هذه آية صدقي فأتوا بمثلها أو فآمنوا

هذه مقدمة أولى (مرحى)

ومن المؤمنين نحن منشرون (المؤمنين) علمنا بما علمنا ان محمد بن عبد الله الهاشمي
لقريشي العربي اجل البشر حكمة وفضيلة وصدقنا به رسول الله الى العالمين كافة
صحيحاً ملة ابراهيم داعياً لعبادة الله وحده هادياً الى ما يكلف الله به عباده من امر
ونهي كافين لكل خير من الحياة وبعد الممات

ومن أمهات قواعد الدين عندنا ان نعتقد ان محمداً بلغ رسالة ربه لم يترك ولم يكتم
منها شيئاً وانه أتم وظيفته بما جاء به من كتاب الله وبما قاله أو فعله أو أقره على سبيل
التشريع اكمالاً لدين الله

ومن أهم قواعد ديننا أيضاً انه محفلور علينا ان نريد على ما باننا اياه رسول الله
أو ننقص منه أو نتصرف فيه بقولنا بل نتحم علينا أن نتبع ما جاء به الصريح المحكم
من القرآن والواضح الثابت مما قاله الرسول أو فعله أو أقره وما اجمع عليه الصحابة ان
أدركنا حكمة ذلك التشريع أو لم نقدر على ادراكها وان ترك ما يشابه علينا من القرآن
(يريد نفوذ فيه) فنقول هـ أننا به كل من عند ربنا وما يعلم تأويله الا الله

ومن قواعد ديننا كذلك ان نكون مختارين في باقي شؤوننا الحوية نتصرف فيها كما
نشاء مع رعاية القواعد العمومية التي شرعها أو ندب اليها الرسول ونقتضيها بالحكمة
أو الفضيلة كعدم الاضرار بالنفس أو الغير والرافة بالضعيف والسعي وراء العالم النافع
والكسب ببادل الأعمال والاعتدال في الأمور والانصاف في المعاملات والعدل في
الحكم والوفاء بالعهد الى غير ذلك من القواعد الشريفة العامة . وهذه مقدمة ثانية

ويشترع عن هاتين المقدمةين مسائل مهمة ينبغي افرادها بالبحث تباعاً واشباعاً .
منها ان أصل الايمان بوجود الصانع أمر فطري في البشر كما تقدم فلا يحتاجون فيه الى
الرسول وانما حاجتهم اليهم في الاهتداء الى كيفية الايمان بالله كما يجب من التوحيد والتزكية .
هؤلاء قوم نوح وقوم ابراهيم وجاهلية العرب واليهود والصاري ومجوس فارس ووثنيو
الهند والصين ومتوحشو أفريقيا وأمريكا وسائر البشر كلهم كانوا ولا يزالون أهل فطرة
دينية يعرفون الله وليس فيهم من ينكره كلياً كما قال عز من قائل « وان من شيء
الا يسبح بحمده » بل يغلب على البشر الاشراك بالله فيخصصونه تعالى شأنه بتدبير
الأمور الكلية والشؤون المظام كالحالقية وتقسيم الارزاق والآجال كأنهم يحاكونه عن
تدبير الأمور الجزئية ويتوهمون ان تحت أمره مقربين وأعواناً ووسطاء من ملائكة
وجن وأرواح وروحيات وشجر وحجر وانه جعل لهم وللنواميس الكونية

من افلاك وطبائع ونبضات النفسية من سحر وتوجه فكري دخلاً وتأثيراً في تدبير الامور الجزئية ايقاعاً أو منماً واعطاهم شيئاً من القوة القاسية وعلم الغيب .

 اختصهم بتدبيرهم مات الامور وتفويضهم مادون ذلك الى العمال والاعوان واستعانهم بالبطانة والحاشية وربطهم بحرى الاعمال بالقوانين والنظامات (مرعى)

ومن تتبع تواريخ الأمم العابرة وأفكار الأمم الحاضرة لا يرتاب فيما قرره من ان آفة البشر الشرك الذي اوضحناه فقط وكفى بالقرآن بهاناً فقد قال الله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » وقال تعالى « بل اياه تدعون » وقال تعالى « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقال تعالى « ثمذا الذي يشفع عنده الا باذنه » الى غير ذلك من الآيات اليقات المثبتة ان زيف البشر هو الاشراك من بعض الوجود فقط لا الانكار ولا الاشراك المطابق لان العقل البشري مهما تسفل لا ينزل الى درجة الشرك المطلق

بناء عليه جرت عادة الله تعالى جئت حكمته ان يبعث الرسل ينقذون الناس من ضلالة الشرك وينتاشونهم من وحدة شره في الحياة الدنيا والآخرة ويهدونهم الى رأس الحكمة أي (معرفة الله) حق معرفته لكي يعبدوه وحده وبذلك تتم حاجته عليهم ويملكون حريتهم التي تحميهم من أن يكونوا أرقاء اذلاً لألف شيء من ارواح وأجسام وأوهام . قنطرة الايمان بأن (لا اله الا الله) عتق العقول من الأسر وقنطرة الاذعان بأن « محمداً رسول الله » اتباعه حقاً في شريعته التي تحول بين المسلم وبين نزوعه الى الشرك وتبليه سعادة الدارين

« تنقذ الانسان ما أكرهه » أو قبح ما أجهله ، لا يهتدي الى التوحيد الا بجهاد عظيم ويجتهد أو ينقاد بشعرة الى الشرك فيتأبس به على مراتب ودرجات في اعتقاد وجود قوة قدسية ترجى وتنتفى في غير الله أو تسماً لله ذاهلاً عن انه لو كان في الارض والسماء آله غير الله — أي أصحاب تصرف في شيء ولو في تحريك ذرة رمل — لفسدنا قال الناس سريتموا الاعراض عن ذكر الله الى ذكر من يتوهمون فيهم أنهم شركاء وأناد الله فيمبدونهم أي بمظنونهم ويخضعون لهم ويدعونهم ويستمدون منهم ويرفعون حاجاتهم اليهم ويرجون عند ذكر اسمائهم الخير ويتوقعون من سخفهم الشر وقد قال الله تعالى « ومن أعرض عن ذكري فان له مميصة ضنكاً » والله صادق الوعد نافذ الحكم . وفي الواقع وبالضرورة والمبلغ لا مميصة أشد ضنكاً من مميصة المشركين



أما قول (الله حي) فمعنى (حي) واحد وإذا أضيف إلى الله فمراد به نفي الأنداد
والتعدد عنه . ومن هذه المادة الواحد والأحد صفتان لله تعالى منهاها المفرد الذي
لا يشاركه أو ليس معه غيره . وأنشأ معنى مادة الشرك لغة الجأط واستعمله الاشرار
بالله وفي اصطلاح المؤمنين الاشرار بالله في ذاته أو ملكه أو صفاته

ثم اذا وزعنا اعتقادات من وصفهم الله بالشرك في كتابه العزيز على هذه الانواع
الاربعة نجد خمسة (الاشرار في الذات) قائمة في اعتقاد الحلول وهو أنه تعالى شأنه عما
يسفون أفنى أو يفنى بعض الاشخاص في ذاته كقول النصارى في عيسى ومريم
عليهما السلام وقول غلاتنا في وحدة الوجود . وهذا النوع من الشرك عسر التصور
والتعريف حتى عند اباطين أهله ولذلك يسميه النصارى حقيقة سرية ويسميه
غلاتنا حقيقة ذوقية (مرحي)

أما مغلطات (الاشرار في الملك) فيدخل تحتها اعتقاد اختصاص بعض المخلوقين
بتفسير بعض الشؤون الكونية كاعتقاد اليهود في ملك الموت وكاعتقاد بعض الناس
بغيرف غير الله في شيء من شؤون الكون كقول من يقول : فلان عليه ذرك البر
أو البحر ، أو الشام أو مصر ،

وأما مغلطات (الاشرار في الصفات) فهي الاعتقاد في مخلوق أنه متصف بشيء
من صفات السكك من المراتبة العليا التي لا تنبغي الا لواجب الوجود جلّت شأنه .
هذا النوع أكثر شيوعاً من النوعين الأولين لثلاثة أسباب :

(الاول) كون غير الاحدية والخالفية ونحوها من الصفات الخاصة بالله تعالى
من صفات مشتركة بين الملائكة والانس والبهائم والاشجار والحيوانات والنباتات في
المخلوقين وبين مراتبها المتدنية به تعالى

(الثاني) ما نطقت به الشرائع من تفويض الله تعالى بعض الأمور إلى الملائكة واستجابة

له الأوامر وهو معنى (الاسلام) وعدم ذكر هذا اللفظ يدل على أنه سقط من الأصل
تفسير الايمان وهو التصديق القطعي بلا تردد وسقط بعده لفظ الاسلام فصار تفسيره
تفسير الأتباع . (د) فسر العبادة بالمشهور في كتب اللغة وغيرها ولكن استعمال
العرب يدل على أنهم لا يسمون كل تذلل وخضوع عبادة وإنما يخصون العبادة بالخضوع
الناشئ عن الاعتقاد بسلطان غيبية وراء الأسباب المادية

دعاه المقربين وإكرامه تعالى بعض مبادئ الصالحين ووعد به بقول شفاء من يأذن لهم بها يوم القيامة فالتبس على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف

(الثالث) هو كون التعظيم مدرجة طبيعية للإغراق والتغالي ومعلية سريرة السير لا يأتي عن غناها عن تجاوز الحدود إلا برغم الطبع وتوفيق الله . ولذلك قال في الرسل أولو العزم الشدائد في كبح جماح الناس عن انبثراك معظمهم مع الله تعالى في مرتبة بعض صفاته العاليا وركبوا متون المصاعب والعزائم في إرجاع الناس إلى حد الاعتدال وشددوا التنكير على إيطراء الناس إياهم وحذروا وأذروا من مقاربة مظان الشرك حتى الحفي الذي يدب ديب النمل

ومن المعلوم عندنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام لبث عشرة أعوام يقاوي الأهوال في دعوته الناس إلى التوحيد فقط وسعى أمته الموحدين وأنزل الله القرآن ربهم في التوحيد وتأسس دين الله على كلمة (لا إله إلا الله) وجهات أفضل الذكر الحكمة أن المسلم مهما رسخ في الإيمان يبقى محتاجاً إلى نفي الشرك عن فكره احتياجاً مستمراً وذلك من شدة ميل الإنسان إلى الشرك ولشدة التباسه عليه ولشدة قربيه منه طبعاً فنسأل الله تعالى الحماية (مرحى) وما هذا خاص بالمسلمين بل منعت الأمم كلها لم يكذبوا رسلها الكرام إلا وقعت في الشرك كقوم موسى عليه السلام فارقهم أربعين ليلة فاتخذوا له مجل (مرحى)

(للاجتماع بقية)

باب التبرير والتعليل

(*) التبرير الرابع منه جريدة الاسم

(الجزيرتان - والتعليم بضرب الامثال)

يحسن أحياناً في حوار الأطفال أن يكون تفهيمهم الحقائق على طريقة ضرب الامثال سأني «أميل» منذ أيام لماذا وجد في الناس فقراء وبدالي من «لولا» كثرة اهتمامها بمعرفة العلة في أن فيهم أ

جرى على اللسان جواب مشهور لذين السوالين وهو «ذلك ما أراد الله»

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

وما كنت لأجيبه ابتداءً من التعاليل لانه فيها أرى ليس من شأنه أن يؤدي الى اذهان
الاطفال معنى كبيراً العدل لذات العلية وما كنت أيضاً لأدخل معها في أعوص مسائل
علم الاقتصاد السياسي وأسميها . من أجل ذلك رأيت أن أحسن جواب أخرج به من
هذه الحيرة أن أقص عليهم قصة فقلت :

روى أنه كان يوجد في مكان سحيق من بحر لست على يقين من معرفته جزيرة
بني فيها الاغنياء قصوراً من المرمر وزرعوا في أرضها بساتين وحدائق ذات بهجة
ربوا فيها من الازهار ما يندر وجوده في غيرها واحتفروا بركاً توفيراً لأسباب اللذة
ولم يكن في الدنيا ما يبادل زخرف موائدهم فقد كان يطاف عليهم بصحاف من الذهب
فيها أقشار فضضة طبخت بمِرْقَة سرطان البحر (وهو ألذ ألوان الطعام في ذوق
« أميل ») وكانوا في لباسهم بالفين حد الإفراط في التأنق خصوصاً نساءهم وكان أولادهم
يلعبون (١) الكعبة في الميادين العامة بكرات من الماس

وأما فقراء تلك الجزيرة فكانوا يمشون حفاة وكانت صباياهم تغدو كل يوم في
اشمال من الثياب فتطوف بأبواب الأغنياء التماساً لما ألقاه خدمهم من قممات موائد
المسبة . ولم يقتصر الاغنياء في سوء معاملتهم على استعمال الشاقة الممقوتة
بل انهم كانوا يحتقرونهم وبلغوا من ذلك الى حد انهم كانوا يحظرون على ذوي الثياب
الرثة منهم أن يوجدوا في المنزهات العامة ولم يكن لهذا الحظر من سبب سوى خوفهم
على بسط هذه المنزهات السندية أن تدنسها أقدامهم أو خشيتهم أن يكون منظر
بؤسهم قذى في عيونهم وهذا هو الاقرب الى الحقيقة

من أجل ذلك كله غادر الفقراء المدينة ذات ليلة وآووا الى جبل ليلاً تمروا بالاغنياء
فكان رأي الثبان منهم أن يأخذوا أسلحتهم ويسطوا عليهم وهم نيام فيضاجعهم ويقتسموا
أموالهم فقام من بينهم شيخ حكيم وثرىصهم حتى قرئت شقشقتهم ثم قال اياكم أن تفعلوا
من ذلك شيئاً لأسباب ثلاثة أبلها لكم : أولها ان الاغنياء يقوم على حراستهم في
صروحهم خدم هم شر منهم وكلاب أضرى من الحراس أنفسهم . ثانيها اني لأعتقد
ان سطوكم هذا عليهم وسلبكم لأموالهم يكون من العدل لأنهم قد كسبوا هذه الأموال

(١) الكعبة بالضم والتشديد لعبة : يأخذ الصبي خزقة فيدورها ويجعلها كأنها
كرة ثم يتقامرون بها وتسمى هذه اللعبة في الحضرة باسمين فاما الخزفة فيقال لها
التون وأما الأجرة فيقال لها الككة .

التي تحسدونهم عليها أو كرهاً لأنهم من وجوه شريفة أو خديعة ثم ملكوها من بعدهم بمقتضى قوانين أرى مع كوني لا أدرك كمها كمال الإدراك أنه لا بد لوجودها من سبب لأن جميع الناس محافظون عليها راضخون لأحكامها حتى الآن. ثانياً أن ما يجوز أن تنزعوا اليوم من أعدائكم بقلوبكم عليهم يجوز أن يسلبه غداً منكم غيركم بقوة وضممكم فملينا إذن أن تفكر جريماً في اتخاذ وسيلة أخرى. لا بد أنكم سمعتم بوجود جزر أخرى في البحر غير هذه الجزيرة التي قضى علينا نجس طاعنا بالولادة فيها فتدحكي لنا فقراء الملايين اخواننا الذين يحضرون إلى هنا بسيفيتهم مشحونة بالآرزاق وموارد الزخرف التي يستعملها الأغنياء لهم رأوا غير مرة في أسفارهم أرضين تهد من الماء مكنة بالنباتات والأشجار الكبيرة المثمرة ويستفاد من حكايتهم أن إحدى هذه الجزر خالية من السكان ولا ينفذها إلا أرادكم حتى تصبح جنة جنة الثمار دائية الحنى فإن لنا واعد قوة ناعدنا بالعمال وهذا ماذا مع شيخوختي سأكون لكم قدوة فيه وأمدكم بتداعي عند الحاجة هذا هو رأيي قد أنشيت به إليكم فانظروا ماذا تفعلون.

فقلبي جميعهم فيجته بالتبذل وما علموا أن هاجروا إلى تلك الجزيرة متعاقبين على سفن واهنة صنعوها بضمهم من ألواح خصاصهم قدام الأغنياء فرحاً لفسر هؤلاء المغموماء ولم يستطيعوا كتمان فرحهم بل كانوا يصنعون ويجهرون بقولهم حبذا حبذا هذا الخلاص

فلما كانت تلك السفن تقل الأشخاص المهاجرين لأنهم كانوا لا يملكون شيئاً استغفر الله بل أنهم حملوا معهم فيها أدوات عملهم مضى على سفرهم بضع سنين انقطعت فيها أخبارهم واختلفت أقوال أهل الجزيرة في شأنهم فمن قائل بأن البحر استعصم بهم ومن واعم بأنهم أكلوا من ثمراتهم في هذا الاختلاف انذروا ذات يوم غيمة مشحونة بالأمطار وغرغس التبايرة ربت على ميناء جزيرتهم فلم يلبثوا أن عرفوا من لهجة ملاحها وبعض ملاح وجوههم أنهم من سكانها السابقين وقد أخبرهم هؤلاء الملاحون أنهم آتون من جزيرة أخرى استقامت فيها أمورهم ونجحت نجاحاً عظيماً لأنهم ما حرقوا الأرض وأحيوا موانئها حتى جعلتها الحصاد والملاحة المزارع والمواشي فاعتبر الأغنياء هذه الأخبار من الأساطير وفتقروا بها قهقهة المجانين.

على أن الملاحين لم يكونوا من الذين في شيء مما قالوا فإنه كان يخرج من أرض تلك الجزيرة القفرة على نحو من السحر حقل مكسوة بالزروع وقرى ومساكن وطرق

من كان غنياً من بني إسرائيل وكونوا لهم في غبطة وعناء وقد سرت
عليهم السكينة ورواها وقالوا يا ربنا هؤلاء هم مذوقوا حساب ثقتي وأنت تعلم ذلك
كانوا يبكرون بتأجيلهم العمل وانشأهم على حبه

أصبح الأمر على خلاف ذلك في جزيرة الأغنياء فكثرت الثروة فيها تنقص من
يوم إلى يوم لأن سكانها لما كانوا من فرط الكبر والتكسل بحيث أنهم لم يسلكون أن
يتولوا بأنفسهم حراث الأرض لم يأتوا إلا ثلاث عاقولاً ولم تطلت جميع الحرف والصنائع
لفقد مالها ونسج ذلك زوال مواد الزخرف وتداعت الصروح والقصور فلم يجد من
الرجال من يقيم منادها .

فرع الأغنياء في بدايا هذا الانحطاط إلى صناعات الجزائر المجاورة لهم فلم يجيبوا
دعوتهم لأنهم كانوا على بنية مما كانوا ياملون به اخوانهم فلم يرضوا لأنفسهم ما قاساه
هؤلاء من ضروب الاهانة .

ثم إن من بقي في الجزيرة من سكانها كانوا يملكون كثيراً من الذهب والفضة وأنهم
اشترؤا من التجار الأجانب كل ما كانوا في حاجة اليه مدّة من الزمن ولكن كل كنز لا بد
من نفاد به بالغا من الكثرة ما باع خصوصاً إذا كان أصله لا يتجدد ومن أجل ذلك لم يمتنع
الأبغض ستين حتى غابت أموالهم وأنشأوا يئسدون ولات حين مندم على ما فرط
منهم من القسوة والظلم في معاملة الفقراء .

صاروا إلى حالة محزنة جداً فقد نحى عنهم من كانوا يحو طونهم من الخدم والخدم
لم يجزهم عن دفع أجورهم وعجزت خيلهم عن جر عجلاتهم لفقدتها من كانوا يهتفون
على تغذيتها وإصلاح شأنها وكانت نسائهم ترى في الشوارع متعالات نعالاً من الديباج
مشوهة الأعتاب ولا يلبس جلابيب من الحرير المذهب كلها بمنزق ومخرق لا تفي بحجل
أولئك السيدات الجليلات إن يرفقن ثيابهن بأيديهن فإذا نظر اللهن ناظر وهن في هذه
الاهدام بهذا الصلف والمعجرفة بمته حاطن إلى الضحك والاستهزاء بهن لو لم يكن
من القسوة والاثوم الاستهزاء بالنساء البائسين ولو كانوا من الأشرار .

وجملة القول إن جزيرة الأغنياء المترفين قد أصبحت جزيرة الفقراء المعدمين .
كان القمح يزداد فيها من سنة إلى أخرى فقد ضمت الأرض عن التحصيل لعدم
ما كان يخدمها من الأيدي وكاد الأغنياء يموتون جوعاً في صروحهم ولو لم يتداركهم
أولئك الفقراء الذين أخرجوهم من ديارهم بالافراط في سوء معاملتهم ويساعدوهم
بما فضل عن حاجتهم هلكوا عن بكرة أبيهم .

كان « أميل » كثير الاسماء الي في حكايتي لهذه القصة وما فرغت منها .
 ايندري بقوله : « يستفاد من القصة اذن أن العمل هو سبب الغناء والثروة »
 فأجبت ان هذا ليس مطرداً ولكن أقل فائدة له انه ينفي الأثم التي تعرف منهاج
 العدل وتسلكتها . اهـ

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِثْمِ

﴿ أحياء محمد علي وأماها خلفه ﴾

نشرنا ما نشرنا في المنار من الخلاصة التاريخية لمحمد علي الكبير وحده وليس فيه تمسح
 لذكر بيت الإمارة (المائة الخديوية) في مصر بمدح ولا قدح ولكننا لم نسلم من
 عقارب السعاية فقد قال المحالون إننا أنما هذا البيت الرفيع وهم كاذبون فأننا برأ
 من اهانة البيت أو اهانة أي فرد من أمرائه . ولكن خواص الناس الذين اتفق لهم
 الاطلاع على خطبة مصطفى بك كامل التي ألفها وضمها وقرأها في الاسكندرية قد
 عجبوا لما فيها من المبالغة والتغلو في مدح محمد علي وذم خلفه في الإمارة لاسيما اسماعيل
 باشا ومن بعده . وانما عجبوا — ولا عجب في خطب الأحداث — لما همم بأنه لا يراد
 بالخطبة خدمة لتاريخ ولا تأييداً لمعتقد ولا تنبيه الأمة الى عمل معين يمكن ان تعمله
 وانما المراد بها ارضاء الأمير الحاضر والمزلف اليه والشهرة بين الناس . ولهم ان
 يعجبوا ممن يحاول ارضاء انسان بقوله أن جدك الأعلى بنى وأنت وأبوك وجدك
 الأدنى هدمتم وجدكم الأعلى أحيأ وأنتم أنتم وجدكم الأعلى حفظ وأنتم أضعتم .
 فهذا هو ماخص الخطبة ونحن نزيد تفصيلاً تبرئة للمنار من قول السعاة المحالين انه
 أمان البيت الخديوي الآن وتوجيهاً للأفكار الى هذه المسئلة الحيوية التي هي أم المسائل
 الاجتماعية والسياسية في مصر

كلام الخطبة المؤيد بكلام صاحبها في حريته وسائر قوله صريح في أن الأمة
 المصرية أمة حية قوية عزيزة الجانب مستعدة لأن تبذل الأثم وتعلموها في كل علم
 وكل عمل وانما يظهر أثر هذا الاستمداد وهذه الحياة اذا كان أميرها ومدير شؤونها

منه الامانة في كل شيء على الارض . ولذلك جاءها تنفذ على الكثرة والقادر وهي على شرف
بال . فعمل ايديها اعظم الاعمال . وصريح ايضا في ان مصر الآن في ذل وصغار
وضعف وهانة . حقوق معدومة . وظائف ملوثة . وخراب مذبذبة . ومن ايام متوارة .
ولكنه سكت عن التصريح بالسبب للعلم به مما قبله مع عدم إمكان التصريح به لأن كل
إنسان يشهد ان السيف الذي يقط الرقاب ويخلق الهام وهو صديي مُفَلَّل لا يميز عن
ذلك بيد السيف والناحية . وان العمل الذي يقدر عليه الانسان وهو ضعيف ومريض
يكون أندر عليه بعد عود الصحة وتوب العافية . فكذب دوخت الأمة المصرية الأمم
اندوبة وظفرت بالمال الحريم المستمدة مع محمد علي واستقامت وحتت للانكليز
على عهدته فيق وعيان الثاني : ان هذا المعجب بالسان قال . صغاف بك كامل . ولسان
سأله بل مشهورم كلامه يقول

• عادة السيف أن يزهر بجوهره . وليس يعمل الا في يدي بطل

جاء في المسند الراسخ من الخطبة ان الأمة المصرية التي فتحت البلاد والامصار وكان
عددتها يومئذ لا يزيد عن ثلث عددتها اليوم قادرة على بلوغ غاية العز ... وجاء فيها
ان محمد علي ما ضرب وغاب وساد ، وأخضع لسانان مصر البحار والبلاد ، الا
بعقل المصري وبأسه . وجاء في الصفحة الخامسة أنه أخذ مصر « وهي عليه ضئيلة
لا حراك بها » ... « فراها بعد عهد الشقاء وزمن البلاء وأيام الحزن والفنن قادرة
على القيام بأعظم الأعمال . فيها من روح الحياة وقوة النهوض ما يرحح الحيل
الراسيات ، وتجر ألامه الشم الثابتات . » ثم ذكر الجند الذي جنده وهو جند الغزاة
الفاتحين وأنه : أخرج من أولئك الفلاحين الذين طالما تصرف فيهم الكوارث كما
شامت أبصاراً وشجعاناً اهتزت الأرض تحت أقدامهم إجلالاً وإعظاماً وعجزت
جيوش العالم عن مجاراتهم ومناظرتهم ، . وفي الصفحة الخامسة كشف السر عن
ظهور المصريين بعد ذلك الدل المهيمن بمظهر الفاتحين القادرين وهو ان (محمد علي)
الذي أدرك بواسع عقله كنوز هذا الاستعداد في المصريين « لم يترك لليأس سلطاناً
على نفسه » . كانه يقول ان الامير الموجود لم يدرك هذا الاستعداد بعد ظهوره في
أكمل مظهر بعمل جده وكان جده رأسه وهو كثر مخفي وان هذا يدس من نفسه
ومن أمته ولذلك لم يتصد للانتفاع بكنوز استعدادها الظاهرة . نعم انه لم يصرح بهذا
ولكنه قال في أول الصفحة السابعة ان من يعرف جيش مصر وأسطولها في زمن

محمد علي يقول : ان حركتنا انشأنا امة ايها المصريون بقوة واحل محلها امة عادها
رمضان لم يترك لها ارادة ولم يبق لها غير نيات توحن ولا سند لام . فهل يمكن ان
نسير هذا الحادث الاثني على رأيه بغير ما تقدم من عدم معرفة الامير الحاضر
بقوة الامة المصرية ورأيه من تقدمه ونهضته كيد . والامة في أعلى الدرجات .؟؟
يكأنه ذكر الاسعول امر يضاعف البواخر الخديوية على عهد هذا الامير

بعد هذا نوهت الخطبة (ص ١٧) بالعمال والمصانع التي انشأها محمد علي في المدائن
والقرى وبالعمال الذين زرعوا هم البذر . ولم يذكر ان من هم تلك العمال ومن
من أدي هذه الامة الحية من الأعمال بعد ارتقاها فيها . ثم عادت الى التوحيد بقوة
الدين والسياسة ففي الصفحة السابعة ان (محمد علي) : انحط مصر بعد من القوة
والهبة وجمع شملها بعد ان كانت مفرقة فبطلت طاعة الامة والسيادة . وانه
هو هو مصر عسلا . ابرأ وقلبا شاعرا وساعدا . ليدأ ويبدأ (كذا) وانه
هو هو المصريين ووطنا وامة وحكومة . اسألكم عن بلوهم وأمنهم على الوطن
والشهادة والإقدام وحبيب الهم الفتح والتقدم ورفع عزية المصرية على كل مدح
ومكان . فان ذهبت هذه البرايا كلها فبطلت حل محالها الوهن والاسهال . كيف
تجلبت من أعلى مكانة مرجع اليها الأثر الى أسفل نهور ؟ لا يذهب من الكلام الا أن أحفاد
ذلك الزمان هم الذين ابرءوا الموروث وفرفروا الشمل بمجتمع وحولوا ابرياءهم
الى امة والإقدام ، الى ذل ووهن . واستسلام . يدل على هذا ما بعده في الخطبة

جاء في الصفحة السابعة عقيب ما تقدم ان حكومتنا كانت قائمة على مبادئ
ثلاثة لا تدوم دولة بغيرها ولا تحيا بمكة بدون احرار . هو في أول احياء الوطن من اثار
الذخيرة وساعده ما ياترقيه المصري الى أسنى الغلابة . ويرى في ذلك ان لا يكون
ثالثا الامتناع عن الدين واجتنابه . قل الاجتناب . وظاهر ان أحفاد محمد علي لم
يتمسكوا بهذه المبادئ التي لا تدوم دولة بغيرها فادعيل باشا أخذ الدين بالملايين وهو
أساس الاستعداد كما في (ص ١١) من الخطبة . وتوفيق باشا لم يسمع شكوى المصريين
حتى ضباط المساكر من ترقية الجراكسة والاراك (الدخلاء) في الوظائف السامية
، برمان أبناء الوطن العزيز منها ثم استعان عليهم بالانكار عندما اجتمع كلمتهم
وناروا يعطون أحد المبادئ الثلاثة التي زعم حديث السيفان (محمد علي) أقام عليها
حكومته وأن اسماعيل باشا وتوفيق باشا هما اللذان أخضعوا البلاد المصرية ومائتها وهما

وفي هذا اليوم وفي هذا المكان الخطيب الخطيب الخطيب
 من خطبته ما فهمه من كلامه لا أن كلامه من فهمه إنما من فهمه من كلامه
 وإن كان قلبه من غير فهم فكيف يكون هو مؤلف الخطبة ومدة لها ولا يفهمها !!!
 وفي الصفحة العشرة فصل الخطاب في مقابلة الخطبة بين الماضي والحاضر قال
 « مصر اليوم تمثل الأمة الإسلامية الكبرى والفرنسية خ لاطنة والامتنان لارادته ، وهي
 هي التي ودته عن الأمة تحت امارته محمد علي وفي ظلال رايته « ثم أتى على الأمة المصرية
 «اب الانكليز ما أتى وذكر ان الاستعلاء ارادت أن تقضي على هذا الملك الجديد وهذه
 الدولة الباقية ثم لما لم يقدروا على ذلك بنوا مصر على أمة هم وأراما محمد علي أي أمة هو «
 فتوكت القصور والبلاد أسفة على فشلها معادية هذا الجود الباهي والعزم القاهر والوطنية
 الحقة والهمة الجديدة « ما طوى الكلام صريح في أن الذي أرى الانكليز ذلك العزم
 القاهر في نفسه وفي الأمة المصرية هو « محمد علي وانه هو الذي كنن امام الأمة في الاستقلال
 «مفهومه ان أميرها في مصر الاحتلال الحاضر لم تقدر أن يرى الانكليز أن أميرها « أية
 أمهات فاني يجب « هو نسل والامام في هذا الاستسلام »

ولكن أكثر المصريين ان لم نقل كلهم قالوا ان الأمير الحاضر (وفقه الله
 تعالى) قد ساء به عهد « محمد علي وعصره ، وزاد عليه « بيته وعامه ، ولكنه لم
 يجد في البلاد من يلا أتعاب عرائم يمال بهم كما وجد محمد علي . والسبب في هذا هو
 التقدم في المار الماضي من كون محمد علي وجد الشجاعة والعزيمة والتجدة في
 البلاد مغاربها ، عارها حتى قيت بعد ولايته في زمن قريب « فتقالة (آثار محمد علي
 في مصر) التي أقرأها في الجزء الماضي يمكن ان يحتج بها من يعتذر لأمرنا الحاضر
 (أيده الله) وأذا سلمت بهذه المناقح والذائب التي ذكرت في الخطبة لمحمد علي فهي
 حجة على كل أولاده وأحفاده ويجب ان تبعث في نفوس المصريين حب محمد علي
 وبغض جميع ذريته الحاكمين ومقتهم لأنهم هم الذين أضاعوا استقلال النفوس فاضاع في
 أثره استقلال البلاد لاسيما بعد الدين واعطاء الوظائف « للدخلاء »

وان تعجب فمجب سمي بعض الذين يزعمون حب سمو الخديو الحاضر أو سموه أيهم
 إليه باسم النصيحة بأن يجتهد في مقاومة كل صاحب ارادة وعزيمة في مصر حتى قال
 أحدهم سموه « اذا لم تقطع هذه الرؤس الثلاثة كما فعل جسدك فلا يصفوا لك الملك
 في مصر « فأتى الله هؤلاء الذين يقدحون من حيث يمدحون ، ويفشون في عين مابه

ينصحون * ويضرون الراعي والرعية اذا رأوا أنهم ينتفعون *

ومما يصح ان يمدح حجة صريحة في الخطبة على ما تقدم فيها بالمفهوم من ان خلف محمد علي هدموا مابناه . وأمتوا ماأحياء . ما في الصفحة ١٣ من المقابلة بين الامة المصرية . والامة اليابانية ، وتفضيل نشأة الاولى على الثانية والحكم بأنها لو سلكت السيل الذي وجهها اليه محمد علي لبلغت من الشأن والشأ ما لا يدركه . فاذا وجه الحاكم المطلق الامة الى شيء هو في طبيعتها واستعدادها فمن الذي يحولها عنه بعد ذلك الا الحاكم المطلق الذي هو مثله ؟؟ الكلام صريح . ليس بتعريض ولا تلويح . هذه هي الخطبة من حيث المقابلة بين الماضي والحاضر ومدح محمد علي وهجو خلفه ولا تترخص لما فيها من القلو والكذب على التاريخ كزعم ان محمد علي وفق بين المدنية المصرية والدين الاسلامي وغير ذلك فمحمد علي لم يكن عالماً ولا فيلسوفاً وإنما كان أمياً لا يعرف من علوم الدين ولا من علوم الدنيا شيئاً . وفي الخطبة انه تعلم القراءة بسد الاربعين . ولكنه لم يتعلم من المحدثين وحسبنا ما تقدم في النار من حقيقة أمره . نعم اننا لم ننكر انه كان جندياً بطلاً وشجاعاً حازماً وبذلك تيسر له ان يكون قائداً لأولئك الشجعان الذين آباد بهم ثم آبادهم

ونقي في الخطبة كلمتان لا بد من التنبه عليهما . احدهما ما جاء في الصفحة ١٥ من انه بقي في مصر من الاستقلال الذي أزاله الانكليز قوة كبرى اليها انتهت وتنتهي كل قوة في مصر وهي الساطعة المالية التي استمدت وتستمد البلاد منها كل نجاح وفلاح وهي عرش الخديوية الذي يمثل قوة مصر في ماضيها وآتيها . فهذا الذي يستطيع ان يفهم هذا الكلام . بعد كل ما تقدم من الايهام ، وهل يصح ان يسأل قائله عن رأيه في استعمال صاحب هذا العرش المتولي على هذه الامة الحية لهذه النفوس الكريمة أولاً وثانيها فصيحته في آخر الجملة لأمصريين ان يتركوا اليأس وينبؤوا بتقدمهم المقبل على . التربية الوطنية . ليخرج منهم رجال عظام يبدلون الى الاوطان بالنهار . فهل يريد انه ليس فيهم الآن رجال وهل يريد ان يعتمدوا على أنفسهم . لا على عرش الخديوية وقوته الكامنة؟ وهل يمكن ان يعود اليهم بمجدهم بدون أمير كمحمد علي الكبير ؟؟؟

كلالة ذكر التربية الوطنية التي يزعم انه التفرد بالحلت عليها وانها الحمية للبلاد ليفهم الناس انه هو عبي الوطن بعد محمد علي ولذلك ختم خطبته بكلمة لم تطبع وهي : انني خذت هنا سنة ١٨٩٦ خطبة كانت من أرها هذا الانقلاب الكبير في التربية والتأليم وسيكون أثر هذه الخطبة أكبر وأعم في تقدم الوطن العزيز فخرج القوم يصيحون من هذا الضرور

﴿مصاب عظيم • بوفاة عالم حكيم﴾

في يوم الجمعة ٦ ربيع الاول أصيب النرق بفقد رجل عظيم من رجال الإصلاح الإسلامي وعالم عامل من علماء المران وحكيم من حكماء الاجتماع البشري ألا وهو الشيخ الشهير ، والر حلة الحبير ، السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الحلبي مؤلف كتاب طبائع الاستبداد وصاحب « سجل جمعية أم القرى » الملقب فيه بالسيد القرائي . احتفظت المنية منابتة هذا الصديق الكريم ، والولي الحميم ، بل هدمت منا الركن الركين ، وفوضت أقوى الدعام والاساطين . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لو كان الرئاء والتأبين من موضوع انتار لريته بما يليق بخطبه العظيم . وما كنت لاستمبر المدامع ، لاستمبر القارئ والسامع ، ولا لاستمد الرئاء من خيال الشمرء ، ولا الحزن من فؤاد الحفء . وانما استبالي القلب ، بمض ما يجد من الكرب ، فانه ما أحرزني خطب كخطبه ، ولا أمضني كرب ككربه .

حزني عليه دوره مسلسل مهما انتهى الى التناد انقيا

واكنى أدع الرئاء والتأبين ، لأفاضل الشمرء المجدين ، وأذكر في المنار ما يليق بموضوعه من خلاصة سيرة هذا الرجل ليعلم القراء منها كيف ينبت النرق الرجال العظام ، وكيف تضيهم الامم والحكام ، ولكون ذكرى لمن يذكر ، وعظمة لمن يعتبر ، وأبدأ بترجمة الفقيه الرسمية وهي مطبوعة في ورقتين رسميتين احدهما مصدق عليها من والي حاب المشير عثمان نوري باشا ورؤساء حكومة حلب يومئذ والثانية مصدق عليها من الوزير رائف باشا والي حاب وهي الاخيرة . وانما أبدأ بالسيرة الرسمية لأنها من مواد استنباط سيرة الاجتماعية والسياسية والادبية وهذا تعريبها منمخصاً :

السيرة الرسمية) هو عبد الرحمن أقدي ووالده الشيخ أحمد أقدي من آن الكواكبي ومن المدرسين في الجامع الاموي الكبير والمدرسة السكواكية وآخر وظيفة كان فيها عضوية مجلس ادارة ولاية حلب ويقيم من بيوتات المجدو الشرف (خاندان) المشهورة في الاستانة العلية وحاب . ولد السيد عبد الرحمن أقدي الكواكبي في ٢٣ شوال سنة ١٢٦٥ وتعلم القراءة والكتابة في المدارس الاهلية الابتدائية ثم استحضره له أستاذ مخصوص علمه أصول اللسانين التركي والفارسي . وتلقى العلوم العربية والشرعية بمدرسة الكواكبية المنسوبة لأشهره وأخذ الإجازات من علمائها ودرس فيها . وهو يقرأ ويكتب بالعربية والتركية . وقد وقف على العلوم الرياضية والطبيعية

بعض القنون الجديد للدولة العراقية العراقية . ومن تأليفه تحرير الجريدة الرسمية
(فرات) بسمها التركي والعربي من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٢٩٧ . ومنه جاز
الشهاب التي أنشأها في حاب سنة ١٢٩٣ وكان هو المحرر لها
(خدمته ووظائفه) دخل في وظائف الدولة رسمياً في الثامنة والعشرين من عمره
وفي سنة ١٢٩٣ عين محرراً رسمياً بالجريدة الرسمية بسمها (كانه كان في سنة ١٢٩٢
بمحررها بصفة غير رسمية للاختبار) براتب قدره مئاة قرش . وفي ٥ ربيع
الاول سنة ١٢٩٥ عين كاتباً فخرياً للجنة المعارف التي تأسست في ولاية حلب (يعنون
بالمخبري ما كان بدون راتب) وبعد ثلاث سنين اندمجت دائرة اللجنة بزيادة فيها قسم
بناصفة (الاشتغال العمومية) وعين عضواً فخرياً فيها . وفي ٢ جمادى الاولى تسعين
محرراً للمقاولات (مسجل المحكمة) وفي ١٦ ربيع الثاني سنة ١٢٩٨ صار مأموراً
الاجراء (رئيس قلم المحضرين) في ولاية حلب . وفي ٧ رمضان سنة ١٢٩٨ عين عضواً
فخرياً في لجنة امتحان المحامين . وفي ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ عين مديراً فخرياً لمطبعة
الولاية الرسمية . وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٩ عين رئيساً فخرياً للجنة (قومية) بالنافعة
وفي ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ عين بامر نظارة العدلية (الخزانة) في الاستانة عضواً
في محكمة التجارة بولاية حلب . وفي ٤ رجب سنة ١٣٠٤ عاد الى وظيفته مأموراً بالاجراء
وفي ٢٣ رجب سنة ١٣١٠ عين رئيساً للبلدية

الى هنا انتهت وظائف الترجمة الرسمية الأولى وجاء في الثانية بعد ذكر ما تقدم
انه في ٢٩ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ عين رئيس كتاب المحكمة الشرعية في حلب
(منسكاتب) بقرار من مجلس النواب في دارالامانة . وفي ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣١٢
عين ناظراً ومفتشاً لمصلحة المحاسن (الخزانة) الشرعية مع نظارة المالية في
ولاية حلب ومتصرفية الزور وفي أثناء ذلك اتفق مع ادارة المصاحبة وتماقدا على أن
يستلم من المصلحة جميع ما تقدمه من الخزان (الخ) الى الولاية والمتصرفية بزيادة كثيرة
عن القدر المعتاد وجميع ما يزرع فيه مأمون يتولى بيعه ونمائه في ارض ذلك بمبلغ من المال يزيد
عما كانت تنبع به المصاحبة دخلها زيادة كبيرة . وفي غضون ذلك استقال من رياسة
كتاب المحكمة الشرعية ثم في ٩ ذي الحجة سنة ١٣١٤ أعيد اليها وعين رئيساً
للجنة البيع والتمراغ (أي استبدال الاراضي الاميرية من أصحاب اليد بالمال) . وفي
٧ ربيع الاول عين رئيساً أولاً لفرقة التجارة في حلب ورئيساً لمجلس ادارة المصرف



فبشر عباده الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

﴿قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و « مناراً » كنفار الطريق﴾

مصر في يوم الاثنين غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ * ٧ يوليو (حزيران) سنة ١٩٠٢

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٥ — عدد الأنبياء ومواطنهم وتعدد هم)

(المسألة ٩٦) عدد الأنبياء والمرسلين رووا في عددهم أحاديث لا يحتاج بشيء منها ومنها الضعيف والموضوع وأمثلها ما رواه أحمد والطبراني وابن حبان والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء عن أبي أمامة قال : قلت يا رسول الله كم عدة الأنبياء ؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً » وفي رواية للحاكم والبيهقي عن أبي ذر « والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر و آدم نبي مكلم » . ومن حديث أنس عند الحاكم وابن سعد أن الأنبياء ثمانية آلاف ويفهم منه أن المراد بهم المرسلون وفي حديث جابر عند ابن سعد وأبي سميد عن الحاكم « إني خاتم ألف نبي أو أكثر » ولعدم الثقة بهذه الروايات قال العلماء بالوقف في مسألة عدد الأنبياء لأن القائل بعدد يكون نافياً لما زاد عنه فهو كالكذب بالزائد وما يدرى له لعل هناك زيادة . هكذا قالوا وأقوى منه أنه قول على الله بغير علم فهو من الكذب عليه جل ثناؤه ومن اتباع الظن في الأمور الاعتقادية « وان الظن لا يغني عن الحق شيئاً » . وقد قال تعالى لنبيه « مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » فحسبنا من العدد ما قصته الله تعالى في القرآن أن الرسل الذين ذكروا في القرآن يجب الإيمان بهم تفصيلاً . قال تعالى « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ

ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين» فهذا هو تفضيل النبوة والرسالة يفضلون به سائر الناس. وقد وردت هذه الأسماء متصلة على هذا الوجه. وقال تعالى: «واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبيّاً» وقال جل جلاله في ذكر قصص المرسلين «وإلى عاد أخاهم هوداً» وقال «وإلى ثمود أخاهم صالحاً» وقال «وإلى مدين أخاهم شعيباً» أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً ومثله ما بعده وقال تعالى «واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار» فذكر ذا الكفل بين الأنبياء. ولم يبق إلا ذكر الفاتح وهو آدم والخاتم وهو محمد عليهم الصلاة والسلام وذكرهما في القرآن مستفيض

(م ٩٧) معاهد الأنبياء ومواطنهم: إن المعروف من تاريخ هؤلاء الأنبياء الكرام يدل على أنهم كانوا كلهم أو جلهم من بلاد العرب وما يتصل بها من الشام وفلسطين والعراق كأن هذه القطعة الصغيرة من الأرض التي يكون منها القافوس الهندي والبحر الأحمر والبحر المتوسط شبه جزيرة هي منبت الأنبياء والمرسلين من بعد آدم أي من عهد نوح إلى عهد محمد عليهما الصلاة والسلام. وكأن الله تعالى اختص أهلها بالهداية دون سائر خلقه وإن القول بحصر النبوة والرسالة في هذه البقعة لمن أقوى شبه الملاحدة على الدين وهو يناق ما تقدم في بيان وجه الحاجة إلى إرسال الرسل فيمكن أن يبطلوا ذلك بهذا إن صبح وقد همهم مارأوا في كتب اليهود والنصارى من حصر الأنبياء في بلاد فلسطين والشام وما

جاورها على البحث في أخلاق أهل هذه البلاد وطبائعهم وماداتهم فزعموا
أن عند خواصهم استعداداً خاصاً للقيام بالدعوات الدينية والمذاهب والرياسة
الروحية وأن عند عوامهم استعداداً لإجابة كل داعٍ واتباع كل ناعق قالوا
ولأجل هذا حدثت الأديان والمذاهب والفرق في هذه البلاد دون غيرها
هذه الوسواس لا منفذ لها إلى قلب من يفهم القرآن فقد قال جلت
حكيمته « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا
نَذِيرٌ » فهذا نصٌّ قاطع صريح في أن هذه الرحمة الإلهية والهداية السماوية
كانت منحة عامة لجميع الأمم في كل بقعة من بقاع الأرض . وإنه لقول
فصل ، تصافح فيه العقل مع النقل ، فإن قيل لِمَ لَمْ يذكر في بيان هذا
الإجمال بذكر الأنبياء والمرسلين نبياً أرسل في الهند أو الصين أو أوربا
أو أميركا ؟ نقول إن ذكر الأنبياء لم يأت بياناً لإجمال في هذه الآية وإنما
أتى لبيان سنن الله تعالى في الأمم مع أنبيائهم لأجل العبرة المندرين .
وتثبت المرسلين ، قال تعالى « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ »
وقال « وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ » وكل من
العبرة والتثبيت إنما يكون بما هو معروف ولو بوجه ما ولذلك تكرر
ذكر الأنبياء الذين تعرف أقوامهم أو بلادهم بالتفصيل أكثر مما لا يعرف
إلا بالإجمال . ويكفي ذكر آية واحدة لبيان أن رحمة تعالى لمباده
بإرسال الرسل لهدايتهم عامة لأن جميع الخلق عيال الله تعالى وهو بهم
رؤوف رحيم . أرايت لو جاء هذا النبي العربي قومه بذكر نبي كان أرسل في
أميركا منذ مائة ألف سنة مثلاً وذكر لهم بعض شأنه معهم أكان يحصل له
من العبرة بعض ما حصل من أخبار أمة اليهود ، وخبر صالح في ثمود ؟

كلا إن ذكر الجاهول المطلق يحمل على التخيل والاختراع ، ويقول الناس في أمثالهم : إذا أردت أن تكذب فأبعد الشهود . ولذلك كان يأمرهم أحيانا بسؤال اليهود ، ونزل في قصة ثمود ، « وإنكم لتترونها عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون »

وما يدرينا أن كونفشيوس كان نبياً مرسلًا إلى أهل الصين ، فإن آثار هدايته وحكمته لم تمح بالمرّة وكذلك يقال في بوذا فإن قيل يوجد في عقائد القوم ما يحكم الإسلام بأنه لا يمكن أن يكون من دين الله لاسيما ما في الديانة البوذية من الشرك بالله تعالى ؟ نقول أليس يوجد في عقائد من صرح القرآن الحكيم بأن كتبهم سماوية ، وديانتهم إلهية ، أمثال هذه العقائد التي يعدها الاسلام وثنية ؟ فما يدرينا أن هذا دخل على القوم بالتأويل والتحريف كما دخل على من بعدهم إلى يومنا هذا « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » إذن إن طول الأمد على البعثة مظنة الفسوق عن أمر الله تعالى والعبر بين أيدينا وعن أيماننا وشمائلنا ، فألهمنا اللهم رشدنا

فإن قيل : إذا جوزتم أن تكون الأمم التي سبقت لها آداب سامية ، ومدنية زاهية ، قد استمدت ذلك من الديانة السماوية ، كما قلت في الأمة الصينية ، فما هو الحكم في الأمم الهمجية التي لا يكاد يفصلها عن الحيوان الأعجم إلا بدو البشرة والضحك بالطبع كبعض زنوج أفريقيا وسكان بعض جزائر القاموس المحيط الأعظم ؟ إن قلتم إنه بعث فيهم أنبياء فأين آثار هدايتهم في الأمة ؟ وإن قلتم لما يُرسل إليهم رسول فأين العموم في قوله

تعالى « وإن من أمة لا خلا فيها نذير » فالجواب أن الله جلت حكمته خلق هذا الانسان وجعل كماله الوجودى بالارتقاء التدريجى فى عمله بالكون وعمل الكون به فكلما استعد لمرتبة من مراتب ذلك الكمال أعطاه إياها فهو يأخذ دائماً بقدر استعداده . وإطلاق القول فى العموم والخصوص يراعى فيه قيد ما عرف فى نظام الوجود انه شرط له فاذا قلنا ان الأنثى تلد أو كل أنثى تلد فالمراد أنها تلد فى سن الولادة وبشرطها الوجودى فلا ينقضه كون الصغيرة لا تلد . فاذا فرضنا أن المستول عنهم لم يظهر فيهم مرشد ينذر قومه بما يعطيه الالهام الإلهى من المعرفة سوء ما هم فيه من إفساد ويدهم على الحق وطرق الإصلاح فلا شك أن ذلك لعدم اعتمادهم لفهم الحق ومعرفة الخير من الشر

على أن عدم ارتقاءهم فى المدنية لا يدل على أنه لم يظهر فيهم نذير ولا مرشد لأن الناس فى كل عصر لا يستفيدون فى هداية الأنبياء إلا بقدر اعتمادهم فكم من نبي لم يؤمن به إلا النفر القليل كما ورد فى نوح عليه السلام . وكم من نبي لم يؤمن به أحد كما قال تعالى بعد ذكر قصة نوح « ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاءهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » وأكثر الأنبياء قد درست آثارهم فى الشرق حتى أن صحف إبراهيم لم يحفظ منها شيء وهو أبو الأنبياء و خليل الرحمن والذي حفظت له الذكر الحسن جميع الأمم المؤمنة لأنها كانت قد ارتقت وصار فيها من يعرف قدر العظماء ويحفظه ولأن النبوة تسلسلت فى ذريته با اتصال فهل ينكر مع هذا أن لا يحفظ للأنبياء الذين يظهرون فى الأمم الجاهلة الهمجية أثر ؟

(م ٩٩) ارتقاء الدين جرى الدين فى سنة الارتقاء وكان كماله فى الشرق

وذلك من عهد إبراهيم إلى عهد محمد خاتم النبيين فالأنبياء ليسوا أسواء في إصلاح الأمم في عقائدها وأعمالها وآدابها وروابطها الاجتماعية لأن الحاجة إلى الإصلاح تختلف باختلاف الأمم والأقوام فالبدو أقل من الحضرة ضللاً في الفكر وأقل علماً لأنهم أهل فطرة لم تتحكم فيها المذاهب الوضعية والآراء النظرية وأقل فساداً في الأخلاق والآداب لاجتماعهم وبعدمهم عن الترف وليس في البداوة من الشئون الاجتماعية مثل ما في الحضارة فتحتاج إلى ما تحتاج إليه من الشرائع المدنية والقضائية والسياسية .

كان الناس على بساطتهم وسلامة فطرتهم فلم يادب فيهم الفساد لم يفسد إلا بالتدريج فكان يظهر فيهم الشرك في العبادة وهو التوجه إلى شيء من المخلوقات يكون صلة بينهم وبين الخالق الذي تشعر به فطرتهم، ولا يحيط به علمهم ولا تحده مخيلتهم، ويفشو فيهم بعض الشرور فيظهر الله فيهم واحداً منهم كبير العقل زكى النفس بلهم قلبه ويوحى إليه أن ينذرهم العقوبة على ظلمهم وينهاهم عن الشرك والرديلة ويأمرهم بضدهما بذلك تستقيم حال من أطاعه لأن هذا الذي طرأ عليهم هو الذي يضيء نور الفطرة بالتمادي فيكون الإنسان به شيطاناً مريداً . ألا ترى أن من الأنبياء من لم يذكر له القرآن إلا الدعوة إلى التوحيد فقط . ومنهم من ذكر له النهي عن معصية كانت فاشية فكان يدعو إلى التوحيد وينهى عنهما دائماً كما جاء في قصة لوط من النهي عن الفاحشة دائماً . وكقوله تعالى في رسالة شعيب عليه السلام « وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان » ثم حكى عنه « ويا قوم أوفوا المكيال والميزان » . فيفهم من تكرار ذلك أن المقصود الأعظم من رسالة شعيب عبادة الله تعالى وحده

وإيفاء المكيال والميزان لأن قومه كانوا مُطَفِّقِينَ (كأكثر الباعة في مصر لهذا العهد) إِذَا كَتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوا أَوْوزَ نُومٍ يُخْسِرُونَ ولم تكن رسالة موسى بهذا الاختصار فقد كانت لها شريعة واسعة وفيها هجرة وحرب لأن معيشة الحضارة وحكم الاستبداد أثرا في بني إسرائيل تأثيراً أفسد طبائعهم من جهة وجعلهم مستعدين لحياة مدنية فاضلة من جهة أخرى فكانت هدايتهم أصعب .

(م ١٠٠) تعدد الرسل ومراتبهم : كان الناس أمة واحدة على فطرة الله التي فطر الناس عليها وذلك عند ما كانوا على البداوة التي هي أقرب إلى الحياة الفردية منها إلى الحياة الاجتماعية فقضت سنة الارتقاء أن يزيدوا اجتماعاً بالتدرج فكانت بعد البيوت والأمر العشائر والفصائل والقبائل والشموب والأمم . وكانوا كلما ارتقوا درجة في الاجتماع تقوى فيهم الأطماع التي يقتضيها التنارع في الحظوظ ويكونون في حاجة إلى علم واسع بالمصالح والمنافع المشتركة . وكان يظهر فيهم عند الدخول في كل طور من هذه الأطوار هداية يرشدونهم إلى ترك الضار بأنفسهم منفردة ومجتمعة ويدلونهم على ما به تسلم أرواحهم من الفساد في الاعتقاد والأخلاق وفي ذلك سمادة الدنيا والآخرة . وبهذا وما قبله يُعلم أن المقصود من بعثة الأنبياء والمرسلين واحد في الجملة وأنه يختلف في تفصيله باختلاف أحوال الأقوام وإن أولئك الهداة المصلحين لم يكتسبوا علم إصلاح الأمم اكتساباً بالتعليم وإنما كانوا ممتازين بفطرتهم السليمة عن قومهم امتيازاً كانوا به على علم بالإصلاح ضروري عندهم سمي خفاء منشأ وسرعة حدوثه في النفس وحياء (راجع الكلام على الوحي في المسألة ٦٢ من الدرس العشرين - ٢٥٢: ٤)

وكان علمهم مؤثرا في النفس باعنا لها على العمل به لانه وجداني
إلهي لامن استنباط التصور والفكر الذي يصحبه الشك والتردد أي
انه كان يقع في قلب صاحبه ومعه علم آخر وجداني وهو أنه من الله تعالى
سواء نزل على القلب في اليقظة أم في المنام .

ونتيجة هذا وذاك أن علم الرسل وأعمالهم متفاوتة بحسب أحوال
أمتهم وبذلك فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وسمى بعضهم
أولى العزم ومنه ومن اختلاف اللغات في الاقوام يعلم أنه الرسل قد
يتعددون في زمان واحد بين أقوام ولو متجاورين وقد يتعددون في
أمة واحدة للتعاون كموسى وهرون في بني اسرائيل . واذا كان فضل بعض
الرسل على بعض يكون بحسب حال الأمم التي بعثوا اليها وما يستلزمه
إصلاحها من العلم والعمل فموسى جدير بأن يكون أفضل من صالح وشعيب
والمرسل الى الخلق كافة أفضل من المرسل الى أمة معدودة . وبهذه المناسبة
ومناسبة كون إرسال الرسل كان على حسب حاجة البشر الى الإصلاح
الروحي والاجتماعي نتكلم في الدرس الآتي عن ختم النبوة وخاتم النبيين
عليه أفضل الصلاة والتسليم

(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

بقلم الشيخ أمين أفندي عز الدين من اهل العلم والادب في طرابلس الشام وزيد مصر الآن
صدق الله العظيم وكذب هوس الناس : تقوم أمام المحراب تمائيل
بشرية يحرك حكم العادة أيدينا بالتكبير والسنن بالتلاوة والتسبيح ويحني
ظهورنا للركوع ويثني عظامنا للسجود من غير أن يلم بنا شعور به - هذه

الأوضاع أو يفعل في أنفسنا تأثير من تلك الأعمال فضلاً عن نظر في مقاصدها وتوجهه إلى غاياتها ونحسبها من الصلاة التي قال فيها رب محمد صلى الله عليه وسلم : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ونحن مشغرون للفواحش عن ذراع سبحانه الله نحن ما نحن مصلون .

الصلاة ما جعلها الله أفعالاً ميتة وأوضاعاً جامدة تقصد لذاتها ولكن جعلها مظاهر سكونية ومواقف خضوع تؤذن الناس أنها شعار مناجاة بين العبد وبين ربه كل يوم ليكون هذا الإنسان على نوع من ذكر الله تعالى في معارك معاشه ومعامع حياته وفي الآخرة أعد الله له أجراً عظيماً .

تعالى الله أن يكلف قلوباً غافلاً ونفوساً جافاً باختلاجات عضوية فارغة الإناء ثم يعد لقاءها حسن الجزاء .

الصلاة أفعال مخصوصة ذات أركان معلومة جعلها دين الله الإسلامي مراقبة لمراقبة المعبود أنزلت من السماء مائدة تحمل للأرواح غذاءها من العالم النوراني كيلا تضل في الغربة ويتغلب عليها سلطان الشهوة الذي يأتيه رزقه من مطاهاى هذه الطبيعة كل يوم . خلق هذا الإنسان عالمين متباينين لكل منهما مطالب تناسب طبيعته وتلائم درجته في الوجود . أحدهما : مادي كثيف حكم الله عليه أن يتكفف هذه الطبيعة في وجوده وبقائه والثاني : أثري لطيف يستمد وجوده من النور القدسي ويستفيض بقاءه من النفحات الإلهية فالأول جسم والثاني روح .

تناول الجسد وجوده من هذه البسائط الأرضية فحرت عليه قوانين الطبيعة واعتورته أحكام المادة من قوة وضعف وزيادة ونقص وتحال وتركب وأصبح من أجل ذلك في حاجة شديدة لتمويض ما تستلبه

منه نواميس التحليل مثلاً بمثل وجنساً بجنس وذلك غذاؤه وأما الروح فهو وإن كان آمناً على وجوده من غارة الفناء وانحلال الأجزاء إلا أنه هبط من السماء وله مع العالم المادى شئون يريد كل من المتجاورين أن يكون هو المتغلب ليتمكن من امتلاك هذا الهيكل الإنسانى فيستدس به فى أمياله ويتصرف فيه كيف يشاء ومن ثمة كان الروح مضطراً أن يستمد من عالمه العلوى ما يتقوى به على التغلب أو يحفظ به مركز استقلاله وهذا هو غذاؤه، متى تمت الغلبة للروح رفرفت بهذا الإنسان إلى معاهدتها الأولى فى مظاهر الملكوت ومصاف الملكية وأذنت له أن يتصرف بما فى آفاته من الكونيات المادية إلى حيث يجعلها من خدم شئونه الحيوية على عكس من الجسد إذا تسنم صهوة القلب واقتعد سرير السلاطة فإنه يهبط بالإنسان إلى عالمه فى الدركات السفلية وبرزخ المعجم من الحيوانات إلى حيث تترفع الطبيعة أن يحسها بكفه تصرف أو تمكنه من وطر، فأى الطريقتين خير؟

أراد الإسلام بهذا الإنسان خيراً فحتم عليه فى سائر أحواله أن يجيب مطالب عالمه الروحى ويتقاعس عن مشتريات عالمه المادى ما استطاع ودعاه أن يقف بين يدي ربه سبحانه وتعالى خمس وقفات فى اليوم يناجيه بهيئة الذل وشمار الخضوع بحيث ينبذ ما سواه فى المراء ليتأهل لقبول الفيض الإلهى الذى هو لروحه غذاؤه تنقوت به وتستمد عليه فى مناوراتها مع جسم والمادة وتلك هى الصلاة التى تنهى عما تنهى وتقرّب إلى الله زانئ تلك التى كفكفت جبروت أولئك القوم الجاهلية فى ردهج من الزمن وهى التى كان مؤمن القلب فى القرون الغابرة يتغيب فيها عن

مشاعره بحيث لم يكن يشعر بالفواجع الخطرة والمؤلمات الجسدية ولو كان في هذه نشر عظمه أو عرق لحمه وهامو تاريخ حياة القوم كانوا يملون أو الصلاة ماهية دعاءاتها الخشوع . كانوا يملون أن ما فيها من الاعمال انما هو ركن ثانوى يقصد به تمثيل الخضوع القلبى على الجوارح ليشارك السر والعلانية في التذلل والسكينة فطفقوا يملون متجردين عن المشاغل الفكرية وهو السبب فيما يبلغنا عنهم من الغيبة عن مشاهد الكون في خلال الصلاة أما نحن فانا ذهبنا إلى ان الصلاة انما هي تلك الاعمال الظاهرية لا دخل فيها لخشوع ولا يغنى فيها خضوع وأقبلنا نجتزئ بتلك الوقفات الجمادية والاختلاجات اللسانية وهي لا تصدقنا عن فحش نأثية ولا تنهانا عن منكر نفعله فهل يخلف قول القرآن أم نحن لم نكن مصلين ؟ زعم أننا لم نخاطب خطاب التكليف بتلك الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر حيث فهمنا أنها هي الكاملة ويكأن القوم لا يملقون اهل أمر الله إذ أمر باقامة الصلاة ان تكون ناقصة أم دلت الاقامة في قوله تعالى (اقيموا الصلاة) على ذلك المعنى الناقص ؟

استغفر الله . قال صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . اللهم ما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً

﴿ الملائكة والنواميس الطبيعية ﴾

سأل سائل : اذا كانت الملائكة هي عبارة عن القوى المعنوية . والنواميس التى بها نظام العوالم الحية . فما معنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » وأمثاله ؟ والجواب : ان الذى تقدم فى التفسير هو ان الملائكة عالم مستقل مستر عننا وانما كان ذكر القوى والنواميس الطبيعية جذبا لمنكرى الملائكة الى التصديق لأن بعض ما ورد يوافق ما يعتقدون فكيف يكفرون لاختلاف الالفاظ لأن الكلام كان ارجاعا لنصوص الدين الى أقوالهم

﴿ القسم العمومي ﴾

نموذج في كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني وهو يطبع الآن

فصل

(في الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه . و ذم الاشتغال بعلمه و تتبعه)

لا يخلو من كان هذا رأيه من أمور (أحدها) أن يكون رفضه له

و ذمه إياه من أجل ما يجده فيه من هزل أو سُخْفٍ و هجاء و سب و كذب

و باطل على الجملة (والثاني) أن يذمه لأنه موزون مقفى ويرى هذا بمجرد

عمياً يقتضى الزهد فيه والتزه عنه (والثالث) أن يتعلق بأحوال الشعراء

و أنه غير جميلة في الأكثر و يقول قد دُمُوا في التنزيل ، وأى كان من

هذه رأياً له فهو في ذلك على خطأ ظاهر ، و غلط فاحش ، وعلى خلاف

ما يوجب القياس والنظر ، بالضد مما جاء به الأثر ، و صبح به الخبر .

أما من زعم أن ذمه له من أجل ما يجده فيه من هزل و سُخْفٍ و كذب

و باطل فينبغي أن يذم الكلام كله . و أن يفضل الحرس على النطق والمعنى

على البيان . فنتصور كلام الناس على كل حال أكثر من منظومه والذي

زعم أنه ذم الشعر بسببه وعاداه بنسبته إليه أكثر لأن الشعراء في كل

عصر وزمان معدودون . والعامة ومن لا يقول الشعر من الخاصة عديد

الرمل . ونحن نعلم أن لو كان منشور الكلام يُجمع كما يُجمع المظوم . ثم

تمدّ عامدٌ فجمع ما قيل من جنس الهزل والسُخْفِ نثراً في عصر واحد

لأربى على جميع ما قاله الشعراء نظماً في الأزمان الكثيرة وانغمسه حتى

لا يظهر فيه ، ثم إنك لو لم ترو من هذا الضرب شيئاً قط ولم تحفظ

إلا الجِدَّ المحض وإلا مالا يعاب عليك في روايته وفي المحاضرة به وفي

نسخه وتدوينه لكان في ذلك غنى ومندوحة ولو وجدت طلبتك وولت
مرادك وحصل لك ما نحن ندعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك
ودع ما تكره الى ما تحب (هذا) وراوى الشعر حاك وليس على الحاكى
عيب ، ولا عليه تبعة ، إذا هو لم يقصد بحكايته أن ينصر باطلاً ، أو يسوء
مسلماً ، وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر الى الغرض الذى له روى
الشعر ومن أجله أريد له دون تعلم أنك قد زغت عن المنهج وانك
مسيء فى هذه المداوة وهي العصبية منك على الشعر . وقد استشهد
العلماء لغريب القرآن وإعراجه بالأبيات فيها الفحش وفيها ذكر الفعل
القبیح ثم لم يعبههم ذلك إذا كانوا لم يقصدوا إلى ذلك الفحش ولم يريدوه ولم
يرووا الشعر من أجله . قالوا وكان الحسن البصرى رحمه الله يتمثل فى
مواعظه وكان من أوجعها عنده :

﴿ اليوم عندك دلائلها وحديثها وغداً لنفرك كفها والممصم ﴾

وفى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكره المَرْزُبَانِي فى
كتابه بإسناد عن عبد الملك بن عمير أنه قال أوتى عمر رضوان الله عليه
بجمل من اليمن فأتاه محمد بن جعفر بن أبى طالب ومحمد بن أبى بكر
الصديق ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن حاطب فدخل عليه زيد
ابن ثابت رضى الله عنه فقال يأمر المؤمنين هؤلاء المحمّدون بالباب
يطلبون الكسوة فقال ائذن لهم يا غلام فدما بجمل فأخذ زيد أجودها
وقال هذه لمحمد بن حاطب وكانت أمه عنده وهو من بنى لؤي فقال عمر
رضى الله عنه أيّهات أيّهات وتمثل بشعر عُمارة بن الوليد :

أسرك لما صرع القوم نشوة خروجي منها ما لما غير غارم^(١)
 بريئاً كأنى قبل لم أك منهم وليس الخداع مرتضى في التنادم
 رُدّها ثم قال اتنى بثوب فألقه على هذه الحلال وقال أدخل يديك
 نخذ حلة وأنت لا تراها فاعطهم : قال عبد الملك فلم أر قسمة أعدل منها
 وعُمارة هذا هو عُمارة بن الوليد بن المغيرة خطب امرأة من قومه
 فقالت لا أتزوجك أو تترك الشراب فأبى ثم اشتد وجده بها خاف لها
 أن لا يشرب ثم مر بختار عنده شرب يشربون^(٢) فدعوه فدخل عليهم
 وقد أنفدوا ما عندهم فنحروا لهم ناقته وسقاهم برديه ومكثوا أياماً ثم خرج
 فأبى أهله فلما رآته امرأته قالت ألم تحلف أن لا تشرب فقال :

ولسنا بشرب أم عمر وإذا انتشوا ثياب الندامى عندهم كالغنائم
 ولكننا يا أم عمر وعمر وندعنا بمنزلة الرّيان ليس بعمائم^(٣)
 أسرك - البيتين - فإذا : رب هزا صار أداة في جسد ، وكلام جرى
 في باطل ثم استمعين به على حق ؛ كما أنه رب شيء خيس ، توصل به
 إلى شريف ، بأن ضرب مثلاً فيه ، وجعل مثلاً له ؛ كما قال أبو تمام :

والله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
 وعلى المكس قرب كلمة حق أريد بها باطل فاستحق عليها الذم
 كما عرفت من خبر الخارجى مع علي رضوان الله عليه ، ورب قول حسن

(١) صرع بالشديد كصرع بالخنيف . والسمير في هذا للنشوة السكر . ومن شأن
 المنتشى أن يتلف ماله فيخرج غارماً . وأن لا يمارى نشوة أدعى إلى الغرم ، وسكرة أبغث
 على الظلم ، ومثل عمر من يخرج منها وهو سالم ، لا ظالم ولا غارم ، (٢) الشرب بالفتح
 جماعة الشاربين (٣) العائم ذو العيمة « كخيمة » وهي شهوة اللابن مع فقده

لم يحسن من قائله حين تسبب به إلى قبيح كالذي حكى الجاحظ قال : رجع
طاوس يوماً عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والى اليمن فقال : ما ظننت
أن قول سببحان الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلاً أبلغ
ابن يوسف عن رجل كلاماً فقال رجل من أهل المجلس سببحان الله
كالمستعظم لذلك الكلام ليفضب ابن يوسف ، فبهذا ونحوه واعتبر واجعله
حكماً بينك وبين الشعر .

(وبعد) فكيف وضع من الشعر عندك وكسبه الملقى منك انك
وجدت فيه الباطل والكذب وبعض ما لا يحسن ولم يرفعه في نفسك
ولم يوجب له المحبة من قلبك أن كان فيه الحق والصدق والحكمة
وفصل الخطاب وأن كان مجنى ثمر العقول والألباب ، ومجتمع
فرق الآداب ، والذي قيّد على الناس المعاني الشريفة ، وأفادهم
الفوائد الجليلة ، وترسل بين الماضي والغابر ، ينقل مكارم الأخلاق إلى
الولد عن الوالد ، ويؤدي ودائع الشرف عن الغائب إلى الشاهد ، حتى
ترى به آثار الماضين ، مخلدة في الباقين ، وعمول الأولين ، مردودة في
الآخرين ، وترى لكل من رام الأدب ، وابتغى الشرف ، وطالب محاسن
القول والفعل ، منارا مرفوعا ، وعلمنا منصوبا ، وهاديا مرشداً ، ومعلما
مسدداً ، وتجده في اللآلئ عن طلب المآثر ، والزاهد في اكتساب المحامد ،
داعياً محرضاً ، وباعثاً ، ومحضضاً ، ومذكراً ومعرفاً وواعظاً ومثقفاً ، فلو
كنت ممن ينصف كان في بعض ذلك ما يغير هذا الرأي منك ، وما
يحدوك على رواية الشعر وطلبه ، ويعلمك أن تعيبه أو تعيب به ، ولكنك
أبيت إلا ظناً سبق إليك ، والابادى . رأى عنك ، فأقلت عليك قلبك ،

وسددت عما سواه سمعك ، فمى الناصح بك ، (١) وعسر على الصديق الخليط تنبيهك ، نعم وكيف رويت «لأن يمتلى جوف أحدكم في جافيريه»^(٢) خير له من أن يمتلى شمرأ ، ولم يجت به وتركت قوله صلى الله عليه وسلم : «ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا»^(٣) وكيف نسيت أمره صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ووعده عليه الجنة . وقوله لسان « قل وروح القدس معك » وسماعه له ، واستنشاده إياه ، وولمه صلى الله عليه وسلم به ، واستحسانه له ، وارتياحه عند سماعه ؟

(أمّا) أمره به فمن المعلوم ضرورة وكذلك سماعه إياه فقد كان حسان وعبد الله ابن رواحة وكعب بن زهير يمدحونه ويسمع منهم ويصفى إليهم ويأمرهم بالرد على المشركين^(٤) فيقولون في ذلك ويعرضون عليه . وكان عليه السلام يذكر لهم بعض ذلك كالذي روى من أنه صلى الله عليه وسلم قال لكعب

(١) عني عجز أصله عبي فادغم (٢) حديث رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن أبي هريرة وعن غيره والرواية المشهورة فيه « حتى يره » أي يفسده وفي رواية بحذف حتى يره وفي أخرى حذف حتى وقرأها بعضهم حينئذ يره بالفتح وبعضهم بالضم ولم أر من رواه بالفاء « فيره » كما في نسخة المصنف . وفي رواية ابن عدي عن جابر « لأن يمتلى جوف الرجل قيحاً أو دماً خير له من أن يمتلى شعراً ما هجيت به » (٣) الحديث مشهور رواه أصحاب الصحاح وغيرهم ورواية المصنف ملفقة من روايتين فقد وردت كل جملة من طريق . وأما الجملتان معاً فقد جاءت في حديث ابن عباس عند أحمد وابن ماجه هكذا (إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً) وعند ابن عساكر من حديث علي باللام وله تنمة وهي « وإن من العلم لجهلاً وإن من القول عيلاً » (٤) روى الخطيب وابن عساكر عن حسان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : اهج المشركين وجبرائيل معك إذا حارب أصحابي بالسلاح فحارب أنت باللسان . وفي حديث جابر عند ابن جرير أنه قال يوم الأحزاب (من يحمي أعراض المؤمنين) قال

«مانسى ربك وما كان ربك نسيا شعر أفتك»^(١). قال وما هو يا رسول الله؟
قال: «أنشده يا أبا بكر» فأنشد أبو بكر رضوان الله عليه:

زعمت سخينة أن مستغلب ربها وليفلن مغالب الغلاب^(٢)
(وأمّا) استنشاده إياه فكثير. من ذلك الخبر المعروف في استنشاده
حين استسقى فسقى قول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يُطيف به الملاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
الآيات. وعن الشامي رضى الله عنه عن مسروق عن عبد الله قال

كعب أنا يا رسول الله فقال (إنك عمن الشعر) فقال حسان بن ثابت أنا يا رسول الله
قال (نعم اهجم أنت فسيحك روح القدس) وكتب الأستاذ الامام في هامش
النسخة الأصلية بازاء اسم كعب: (له كعب بن مالك لأن ابن زهير وإن مدح لكنه
لم يؤمر بالشعر المناضلة عن الاسلام فقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع)
ويؤيد قول الأستاذ مارواه ابن جرير عن ابن سيرين وملخصه أن المهاجرين رغبوا
إلى النبي عليه الصلاة والسلام أن يأمر عليا بهجاء الرهط الذين هجوه (وهم عمرو
ابن العاص وعبد الله بن الزجرى وأبو سفيان بن الحارث) فقال ليس على هنالك
وعرض بالأخبار فانتدب لذلك حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. وفيه أنه
استنشد كعباً وهو راكب ناقته فأنشد الآيات التي أولها:

قضينا من تهامة كل ريث وخير ثم أجمعنا السيوفاً
لحيرها ولو نطق لقات قواطعهن دوساً أو ثقيفاً
قال: فأنشد الكلمة كلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده
لهي أشد عليهم من رشق النبل) قال ابن سيرين: فبثت أن دوساً إنما أسلمت بكلمة
كعب هذه. (١) قال الأستاذ الامام (هذا هو كعب بن مالك) (٢) كتب في هامش
الأصل: سخينة لقب تنز به قريش لأنها كانت تأكل السخينة وهي طعام من دقيق
الشعير واللحم وتسخن وذلك في أيام المجاعات. والحديث رواه ابن منده وابن
عسكركر عن جابر

لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القتلى يوم بدر مصرّعين فقال
صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضى الله عنه «لوان أبا طالب حيّ لعلم ان
أسيافنا قد أخذت بالأنامل» قال وذلك لقول أبي طالب^(١)

كذبتم وبيت الله أن جد ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأنامل
وينهض قوم في الدروع اليهم نهوض الروايا في طريق حلال

(١) البيت الذي فيه لفظ الأنامل في قصيدة أبي طالب هو قوله
وقد حالقوا قوفاً علينا أظنة يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
والبيت الذي فيه كذبتم هو قوله :

كذبتم وبيت الله ترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلابل
وقوله : كذبتم وبيت الله نبى محمداً ولما نظاعن دونه وتناضل
والبيت الذي فيه لتلتبسن الخ هو قوله :

وأنا لعمر الله إن جد ما أدوى لتلتبسن أسيافنا بالأنامل
والذي فيه ينهض الخ هو قوله

وينهض قوم في الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وبهذا تعلم ما في بيتي الشيخ . اه من هامش الأستاذ الامام

(تفسيره) قوله أظنة جمع ظنين وهو التهم . والظنة بالكسر النهمة وجمعها ظنين .
وجمع فصيل على أفعلة غير قياسى ولكنه ورد ومنه قوله تعالى «أشحة عليكم» . وقول ترك
مكة أى لا تركها . ومثله قوله نبى محمداً أى لا نبزاه ولفظ (محمداً) منصوب بنزع
الخافض . يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره أى لا تغلب بمحمد ولا تقهر عليه
والحال أننا لم نطاعن دونه بالرماح وتناضل عنه بالسهم فالجملية المنفية بلمّا حال من نائب
الفاعل . وقوله (لتلتبسن أسيافنا بالأنامل) أى لتختلطن بالاشراف بما فتكت بهم في الحرب ،
والروايا جمع رواية وهو ما يستقى عليه من غير وغيره ، والصلاصل القرب فيها بقايا الماء
واحدها صلصلة بضم الصادين وهى بقية الماء في الاداوة والقربة - يريد أن قومه ينهضون
مثقليين بالحديد تسمع له قعقة كصلصلة الماء في المزادات

ومن المحفوظ في ذلك حديث ابن مسلمة الانصاري^(١) جمعه وابن أبي حنبل في الاسمى الطريق قال فتذاكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد كسنا يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لحسان بن ثابت : « انشدني قصيدة من شعر الجاهلية فان الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته » : فأنشده قصيدة للأعشى هجاءها علقمة علّالة

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الاوتار والواتر
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجامعك هذا » فقال يا رسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا حسان أشكر الناس للناس اشكرهم لله تعالى ، وان قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عني فتناول مني . وفي خبر آخر فشعت مني وأنه سأل هذا عني فأحسن القول » فشكره رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم على ذلك . وروى من وجه آخر ان حسان قال يا رسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره . ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضوان الله عليها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير آما يقول « أياتك » فأقول

ارفع ضيفك لا يخرّبك ضمفه
يوما فتدركه المواقب قد نمت
يجزبك أو يشني عليك وأن من
أثني عليك بما فعلت فقد جزي

(١) الحديث رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج وابن عساكر عن محمد بن مسلمة بلفظ (يا حسان أنشدني من شعر الجاهلية فان الله قد وضع عنك آثامها في شعرها وروايتها) وفيه أنه قال له بعد إنشاد القصيدة (يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة فاني ذكرت عند قيصر وعنده أبو سفيان وعلقمة بن علّالة فأما أبو سفيان فتناول مني وأما علقمة فحسن القول وأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس)

﴿ تمة الاجتماع الرابع لجمعية أم القرى ﴾

ثم إذا اقبلنا في البحث إلى ماهو الشرك في نظر القرآن وأهله لتتقيه نجد أن الله تعالى قال في اليهود والنصارى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » مع أنه لم يوجد من قبل ولا من بعد من الأبحار والرهبان من ادعى المماثلة ونازع الله الخالقية أو الإحياء أو الإمامة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبية عند العامة من الاسلام ، حسبما تلقوه من مروجى الشرك بالتأويل والايهام ، بل الأبحار والرهبان إنما شاركوا الله تعالى في التشريع المقدس فقط فقالوا هذا حلال وهذا حرام فقبل منهم أتباعهم ذلك فوصفهم الله بأنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله

ونجد أيضاً أن الله تعالى سمي قريشاً مشركين مع أنه وصفهم بقوله « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » أى يخصصون الخالقية بالله . ووصف توسلهم بالأصنام إلى الله بالعبادة فحكي عنهم قوله « ما عبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » والمعظمة من المسلمين يظنون أن هذه الدرجة التى هى التوسل ليست من العبادة ولا الشرك وبسمون التوسل بهم وسائط ويقولون إنه لا بد من الوساطة بين العبد والرب « وإن الوساطة لا تنكر »

ويعلم من ذلك أن مشركى قريش ما عبدوا أصنامهم لذاتها ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير بل اتخذوها قبلة يعظمونها بنداؤها والسجود أمامها أو ذبح القرابين عندها أو النذر لها على أنها تماثيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعة عنده فيحبون هذه الأعمال الاحترامية منهم فينفعونهم بشفاء مريض أو اغناء فقير وغير ذلك وإذا حلفوا بأسمائهم كذباً أو اخلوا في احترام تماثيلهم يفضون فيضرونهم فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم

ونجد أن الله تعالى قال « فلا تدعوا مع الله أحداً » وأصل معنى الدعاء النداء ودعا الله ابتهل إليه بالسؤال واستعان به والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله تعالى « بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون » وكذلك أنزل الاستعانة به مقرونة بعبادته فى قوله حلت كلمه « إياك نعبد وإياك نستعين »

وبما ذكر وغيره من الآيات اليينات جعل الله هذه الأعمال لقريش شركاً به حتى سرح النبي صلى الله عليه وسلم فى الحلف بغير الله أنه شرك فقال « من حلف بغير

حتى لنفسه الشريفة فقال « لا تطروني كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم (١) »
 ويأشادهم مقامات شيوخية تغالوا فيها في الاستغاثة بشيوخهم والاستمداد منهم بصيغ
 لو سمعها مشركو قريش لكفروهم لأن أبلغ صيغة تلبية كانت لمشركي قريش فقولهم
 « ليك اللهم اييك . ليك لا شريك لك غير شريك واحد تملكه وما ملك (٢) »
 وهذه أخف شركا من المقامات الشيوخية التي يهدرون بها إنشادا بأصوات عالية
 مجتمعة وقلوب متهترقة خاشعة كقولهم

عبد القادر يا جيلاني ياذا الفضل والإحسان
 صرت في خطب شديد من : سنانك لا تساني
 وقولهم

الآم يا رفاعي لي أنا المحسوب أنا المنسوب
 رفاعي لا تضيعي أنا المحسوب أنا المنسوب

إلى غير ذلك مما لا يشك فيه شاك أنه من صريح الإشراك الذي ياباه الدين الحنيف
 ومنهم جماعة لم يرضوا بالشرع البين فابتدعوا أحكاماً في الدين سموها علم الباطن
 أو علم الحقيقة أو علم التصوف ، علماً لم يعرف شيئاً منه الصحابة والتابعون وأهل
 القرون الأولى المشهود لهم بالفضل في الدين . علماً انتزعوا مسائله من تأويلات
 المتشابه من القرآن مع ان الله تعالى أمرنا أن نقول في التشابه منه (آمنا به كل من
 عند ربنا) وقال تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) وقال عز شأنه في حقهم (وإذا
 رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وقال تعالى
 (فاستقم كما أمرت) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة)
 وانتزع هؤلاء المداجون أيضاً بعض تلك المريدات من مشكلات الأحاديث والآثار .
 ومما جاء عن النبي عليه السلام من قول على سبيل الحكاية أو عمل على سبيل
 العادة أي لم يكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التشريع . أو من الأحاديث التي
 وضعها أساطينهم أغراباً في الدين لأجل جذب القلوب كهذا الحديث الذي نقله
 بالمعنى وهو (يفتح بالفرآن على الناس حتى يقرأ المرأة والعبي والرجل فيقول الرجل

(١) لفظ الحديث « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا
 عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله » رواه البخاري والترمذي في الشمائل ولا أذكر
 سرها الآن (٢) ينقل عنهم « الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك »

قد قرأت القرآن فلم أتبع لاثوم من بهم فيه اعلی اتبع فيقوم به فيهم فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به فلم اتبع لأحتظرن من يتيق مسجدا اعلی اتبع فيحتظرن من يتيق مسجدا فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به واحتظرت من يتيق مسجدا فلم اتبع والله لا يتيقهم بحديث لا يحدونه في كتاب الله ولم يسمعوه عن رسول الله اعلی اتبع »
ومنه قلة اخترعوا عبادات وقربات لم يأت بها الإسلام ولا عهد له بها إلى أواخر القرن الرابع فكان الله تعالى ترك ديننا ناقصاً فهم أكلوه ، أو كأن الله جل شأنه لم يزل يوم حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » أو كأن النبي عليه السلام لم يتم كما يزعمون تبليغ رسالته فهم أئبرها لنا أو كتم شيئاً من الدين وأسر به إلى بعض أصحابه وهم أبوبكر وعلى وبلال رضى الله عنهم وهؤلاء أسروا به إلى غيرهم وهكذا تسلسل حتى وصل إليهم فأفشوه من أرادوا من المؤمنين تعالى الله ورسوله عما يأفكون ، أليس من الكفر بإجماع الأمة اعتقاد أن النبي عليه السلام نقص التبليغ أو كتم أو أسر شيئاً من الدين (مرحى) ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهوا ولعباً فجعلوا منه التفتى والرقص وتقر الدفوف ودق الطبول ولبس الأخضر والأحمر والامب بالنار والسلاح والعقارب والحيات يخذعون بذلك السطاء ويسرهبون الحق

ومنهم قوم يعتبرون البلادة صلاحاً والخلب خشوعاً والصرع وصولاً والهديان عرفاناً والجنون منتهى المراتب السبع للكمال

ومنهم خلفاء كهنة العرب يدعون علم الغيب بالاستخراج من الجفر والزهل أو أحكام النجوم أو الروحاني أو الزابجه أو الأبحديات أو بالنظر في المساء أو السماء أو الودع أو باستخدام الجن والمردة إلى غير ذلك من صنائع التدليس والإيهام والخزعبلات وليس العجب انتشار ذلك بين العامة الذين كالأنعام في كل الأمم والأقوام بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواص وقليل من العلماء كأنه من عزيز الكمالات في دين الإسلام « مرحى »

فهذه حالات السواد الأعظم من الأمة وكأها إما شرك صراح أو مظنات إشراك حكمها في الحكمة الدينية حكم الشرك بلا إشكال وما أضر الأمة إلى هذه المظنات

الجاهلية وبالتعبير الاصح رجع بها إلى الشرك الأول الا الميل الطبيعي للشرك كما سبق بيانه مع قلة علماء الدين وتهاون الموجودين في الهدى والارشاد

نعم إن رد العامة عن ميلها أمر غير هين وقد شبه النبي عليه السلام معاناته الناس فيه بقوله « مثلى كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويفلقنه فيقتحمهن فيها فانا آخذ في حجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها » (١) وقد قال الله تعالى في العلماء المتهاونين عن الإرشاد كيلا يقابلوا الناس بما لا يهونون « ان الذين يكتبون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٢) فالنبتة كل التبتة على العلماء الراشدين ولم يزل والحمد لله في القوس منزع ولم يستغرقنا بعد انزع العلماء بالكلية كما أنذرنا به النبي عليه السلام في قوله « إن الله لا يقبض العلم انزعاً من الناس ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء فاستألفوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (٣) ولا حول ولا قوة إلا بالله

ثم قال : ولنتنقل من بحث الشرك والإعراض عن ذكر الله إلى بيان أسباب التشديد في الدين وحالة التشويش الواقع فيه المسلمون فأقول

(١) الحديث رواه أحمد ومسلم عن جابر بلفظ « مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبحهن عنها . وأنا آخذ بحجزكم من النار وأنتم تفلتون من يدي » (٢) رواه الترمذي وقال حسن غريب (٣) رواه الشيخان وأصحاب السنن ما عدا أبا داود عن عبد الله عمرو وأبى مسلم « ان الله لا يقبض العلم انزعاً ينزعه من الناس ولكن يقبض العلم يقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وفي البخاري « من العباد » بدل « من الناس » وقال « حتى إذا يبق عالم » كما هنا

باب التربية والتعليم

(*) النُزرة الخامسة من جريدة الراسم

الخط الديواني

اشأ « أميل » يخط بالقلم خطأً مناسباً لحاله ولكنى في شك من جريه على قواعد الخط في شيء مما يكتب

كان الخط فيما مضى كأنه من صفات الكاتب الذاتية وكان يدل على حالة من أحواله سواء فيه الحسن والقيبح ولذلك وجد متوسمون يعتقدون انهم يقرأون في خط من لا يعرفونه من الناس ضروب استعداده النفسى ولا بدع في هذا فان كل أعمال الإنسان منبعثة عن أخلاقه وسجاياه فلا شيء من الاستحالة ولا من البعد عن الحقيقة على ما أرى في أن يكون الخط وهو الأثر الدقيق الثابت لصنوف الوجدان وأنواع المعاني على الورق سمة من سمات النفس وأمانة من أمارات الطبع . يشهد لذلك ان من الذين خطوطهم بين أيدينا قد عيروا في حياتهم طريقهم في صوغ حروفهم عدة مرات فلا يمكن أن يكون هذا التغير الذي يحق لنا المراهنة على حصوله بعير شعور منهم أجنبياً عن بعض استحالات حصلت في عقولهم . ومن الأمور التي يعتقد الباحثون في هذه المذلة انهم تنبهوا إليها ولاحظوها ان أقرب أطوار الكاتب إلى الفطرة هو ذلك الطور الذي يكون فيه خطه موسوماً بأقرب السمات إليها أيضاً

اخترع الناس في هذه الأيام للخط طرقاً لا شك ان لها مزية في نهديه وتقويم يد الكاتب ولكنها متى انتشرت وعم استعمالها اتحدت الخطوط وتشابهت فلم يبق بينها فروق تميز بعضها من بعض فنحن في هذا القرن قرن السكك الحديدية والافلام الحديدية نسارع كلنا إلى تحقيق الوحدة في كل شيء

لو ان هذا انيل إلى الصناعة اقتصر على أمارات الفكر وقوالب المعاني لكان الخط هيناً ولكنه لم يقف عندها بل تمدها إلى الفكر نفسه

أنا على يقين من وفرة علومنا ومعارفنا فليست هي التي تعوزنا إذ قد وجدت

(*) معرب من باب تربية الياقم من كتاب أميل القرن التاسع عشر

طرق سهلة صيرت مبادئ العلم وآداب اللغة والفنون الجميلة قريبة التناول لجميع الناس وكل يوم يزداد الناس باقية في أنوار المعارف بيننا وهو أمر أنا بسبب عن المنازعة في حلالة خطره وعظم شأنه ولا ينبغي لأحد أن يرى على حرجاً أن سألت في هذه الاسئلة وهي : هل ارتفع عقل الإنسان في هذا القرن إلى مدارك اسمى مما بلغه في القرن الثامن عشر ؟ هل حصل له من قوة النفس والابتهات الدأى إلى العمل والأخلاق الممتازة التي تتجلى في صورة مجتمعة الظلمة والأعمال البديعة أكثر مما كان له في ذلك القرن ؟ هل ارتفعت قوة الإدراك مع انتشار تساوى الناس فيها كل يوم ؟

والأمر في ذلك كله حولى فيعبر في القهول وعما ينبغي الدهش لما أراه من غلبة الاوساط في العقل وكثرة فهم وأسمع الناس يرددون القول بأن العقل والاستعداد قد شاعا في هذه الأيام حتى عما السابقة « الغوغاة » رأوا بهم قالوا أن كل واحد أصبح فيه عقل غيره واستعداده لكان هذا القول أصبح وأقرب إلى الصواب . نعم إن قرننا قد وصل إلى طريقة بديعة في الاكثار من الدوايب والآلات الميكانيكية للفكر وقامت المهارة في الفنون مقام الاستعداد الفطري والعزعة وأزهق التكلف في آداب اللغة وروح الإلهام والاسانة واستألت الدبسة والحداد في مجرى الخياه وشئونهما الفضلى والجاذبة من عرشهما وحملهما قترانا الآن مسعدين على طريق مستقيم عام إلى محو الشرور النفسية والارحمان في العقل والخلق محو تاماً فعياك أيها الإنسان من الآن أن نضع بأن نكون كجميع الناس .

ولذا شك أن هذه الحالة التي نراها القهول الآن ترجع إلى أسباب كثيرة ليس من حرم من الاستعداد هذه بها نظام معيننا وفقدان الحرية السياسية عندنا واهتمامنا المزايا المادى والمادية ومنها أمر لا يسعنى اغفاله والا استحققت اليوم وهو أن الحرية بالحالة التي هي عليها اليوم أقرب إلى سترعيوب الأطفال واخفاء مواضع الضعف فيهم . نحن نرى في المعظم السريعة التي تسعد نكون آلة محضة . أقول انها أقرب إلى ذلك منها إلى كمال الانساف ملكاتهم : عواهم النفسية ونميتها فتبقى القائمين على التعليم يوجب من بينهم أن الفرض من تاهلهم وكدهم في العلم إنما هو نيل الفخر بأن يكونوا عظماء معينين . يحملون ألقابهم الارتفاع إلى المناصب ونيل الثنى ويمتثلون منهم أن يعلوا بها وهم بذلك يكرون بحمل الاحداث على أن يتبينوا ان المواضع والصنعة هما أقرب إلى البرق النجاح وأحسن وسائل القلاج . اهـ

السُّرَّة السَّادَةُ

﴿ مذهب تشغيل المعلمين بالأعمال المادية الشاقة ﴾

توجد في بعض المدارس باتساعاً عادة قديمة يدهش منها الأجانب كثيراً ذلك أن التلامذة - فيما يوجد منها بمدينة راتون وهارو وهي التي يدخلها أبناء السراة غالباً - يخدم بعضهم بعضاً وليس أمر الحادية والخدومية فيها متعلقاً بمكانة التلميذ في قومه ولا بفضله أهله أو فقرهم بل بالأقدمية وبعض الدرجات المدرسية فيجوز أن يلزم الطفل الفنى السرى بتنظيف ثياب الطفل الفقير الوضع وتأدية مطالبه وتنظيف غرفته وإيقاد ناره وتسوية طعامه وحمل كتبه إليه في قاعة الدرس فيقع الإلزام بالخدمة على من يحملهم المدرسة في الدرجات الدنيا من أقسامها .

والذي استهجنه من هذه العادة هو ما يكون بين التلميذين الخادم والخدوم من رابطة التابعة الذاتية فإن الأقدمين من التلامذة يسرون أحياناً مع من يعتبرونهم خدماً لهم من إخوانهم - برة في غاية القسوة حتى إنه يقع منهم في حقهم ما نقرأه في قصص مولير (١) المضحكة من الشتم وضربات الأكف وجميع ضروب سوء المعاملة التي كانت تقع من صغار النوالى على خدمهم بأرجلهم وأيديهم الخفيفة الحركة ، أو تلك الخدم الصغار الذين كانوا بالأمس أرقاء صبراً على الذل مستسلمين للجور يصيرون في القسوة قساة متجبرين وهكذا شأن الدنيا وبمثل هذا تتنقل جميع أنواع التواضع والطغيان من سلف إلى خلف .

لا أرى فيما عدا هذا العيب شيئاً في هذه الطريقة فانه لا ضرر مطلقاً في أن يقوم بخدمة المدرسة التلامذة أنفسهم . ولقد عرفت فيما مضى مدرسة كان يديرها رجل وافر العقل على الفكر اختار هذا المذهب وتيسر له أن يجني منه فوائد كبرى في تربية الناشئين ذلك أنه عهد بمعظم أعمال مدرسته إلى جماعات من التلمذ والياقيين منقسمين إلى طوائف على حسب مقتضيات أذواقهم وضروب ميلهم الفطري لأنهم كانوا في هذه الأعمال مختارين متطوعين فكان الواحد منهم إما لباداً أو كناًساً أو وقاداً للمصاييح أو موقظاً لإخوانه في الصباح أو منظماً لقاعة الدرس وكانوا يتناوبون خدمة

(١) مولير هو ألكسندر شاعر قصصى فرنساوى ولد في باريس سنة ١٦٣٢

ومات في سنة ١٦٧٣ مسيحياً

المائدة وكانت الأعمال المسخرة التي تقتضي أكثر من غيرها إخلاصاً أطول من غيرها أيضاً في نظر التلامذة لأن رئيس المدرسة كان يتظاهر بتمييزها عن غيرها بما كان يوزعه من شارات الشرف على من كان يدعوهم إقدامهم إلى ببائسها . ولينك زود هذا المكان حتى كنت تشاهد مقدار التحمس الفرح الذي يبديه كل تلميذ في القيام بعمله الذي كأنه فرض اختياري أوجبه على نفسه . كان من مزايا هذه الخدمة البيئية للتلامذة أنها كانت تسلية لهم من عناء الدروس لأنه كان من رأى رئيسهم أن في المراحة بين الأعمال استراحة من مشقتها وكان من غرضه فوق ذلك أن يلقي في نفوسهم معنى احترام جميع الوظائف وكل فروع العمل اليدوي فإن الإنسان لا يحترم من غيره ما يباشره هو بنفسه .

إني ألتعرض لي في بعض الأحيان أحوال تخملي على اعتقاد أن مانديع من حب المساواة ليس إلا رياء ونفاقاً لأنني أرى من لا تفر السنتهم عن اللهج بهذه الدعوى لا يجرون على مقتضاها في أعمالهم فالطفل الذي يرى في المدارس أو البيوت أناساً استؤجروا للخدمة يستنتج من ذلك طبعاً أن الأعمال الشاقة أو الكريهة هي من حظ الطبقة أسفل من قومه ولا يبيده في محو هذا الاعتقاد من نفسه أن تحدثه في المستقبل عن ضرورة تقسيم العمل بين الناس أو عن غير ذلك من المسائل النظرية الكثيرة فإنه يعلم كمال العلم أن ليس للخدم أن يأكلوا على موائد سادتهم ولما كان يتوهم في والديه أنهما يعدانه لأن يكون من السادة . ويقر أنه بذلك مؤنة الاشتغال ببعض الأعمال التي من شأنها أن توسخ يديه أو تقذر وجهه . كان رأيه في هذه الأعمال لا بد أن ينقل إلى من يقارفونها من الناس فيحكم عليهم بحكمه عليها وبذلك لا يكون إلا كثير الاستيفاق إلى احتقار جميع الصناعات والزراية عليهم .

صممت أنا وهيلانه على تكليف «أميل» بعمل كل ما يلزم لفراشه وهجرته وثيابه ولا أكره مطلقاً أن أراه يمسح نعليه ويسوي عند الحاجة طعامه فإن الفائدة التي تعود عليه من ذلك ليست قاصرة على كونه يعلم عدم امتنان من يكسبون قوتهم بعثل هذه الأعمال بل إنه أيضاً تنمية لحيته الشخصية بتعويدته على الاستغناء عن مساعدة غيره فالأسير المسكين من يهجر عن خدمة نفسه . اهـ

الاحتفال السنوي بمدرسة الجمعية الخيرية وخطبة المفتي

في أصل يوم الجمعة ٢١ ربيع الأول احتفل في قبة الغوري الاحتفال السنوي المعتاد بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية في القاهرة وقد أجاب دعوة رئيس الجمعية الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الجليل الفقيه من الفضلاء والوجهاء خصه والاحتفال : ابتداء أحد التلامذة بترتيل آيات من سورة الفتح ثم ارتقى أحد التلامذة الدكة التي يجلس عليها التلامذة فأعطى كتاباً ففتحته وقرأ فيه جملة صلاة قراءة صحيحة فسأله الرئيس بيان معناها فبيده : ثم اجتمع آخرون بالاعراب وبالكتاب وبرسم خريطة أفريقيا وبالتاريخ الطبيعي ككيفية الدورة الدموية وقرأ بعضهم مقالات محفوظة في فوائد الصوم وفوائد التربية وغير ذلك فأحسوا جميعاً وصفق لهم النادي مرات متعددة . وأنكر الأستاذ المنقضي التصفيق على القوم أنه بدعة فتركه بعضهم وأصر عليه الأكثرون لأن بعضهم يراه من العادات الباحية التي اقترن بها تنشيط التلامذة وادخال السرور على قلوبهم وبعضهم لم يصل إليه الإنكار . وكان لرئيس كعادته يناقش كل تلميذ فيما يقول ويطلب منه التعبير عما قاله حفظاً بعبارة اعرفية . ثم وزع الجوائز وهي على ما ذكرنا في السنة الماضية قسماً أحدها ربيع المال الذي جمع لاقامة تذكار لعلني باشا مبارك لخدمته المعارف في مصر والثانية تبرع الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الدمرداش فهذا وزع على نفر من التاجحين في المدرسة . وأما الأول فاستقر الرأي على أن يشترى به كل عام كتب نافعة تعطى للتلميذين اللذين يفوقان سائر التلامذة ممن أتموا المدة بشرط أن يشتغلوا بعد المدرسة بتعلم صنعة من الصنائع وكذلك كان . وبعد ختم الاحتفال بترتيل أحد التلامذة آيات من الكتاب العزيز وقف رئيس الجمعية فشكر الحاضرين في الخير لمشاهدة أولاد الفقراء المتعلمين ثم قال مامعناه ملخصاً : لا بد أن يكون بعض الحاضرين ممن يشتغلون بعلم التربية ينتقد علينا شيئاً أنا أوافقهم على انتقاده قبل أن أذكره وأجيب عنه وهو أن يحفظ التلامذة مقالات في الدين والآداب كالذي سمع منهم الآن فيها من الحكم والمعاني العالية ما لا يرتقي عقولهم إلى الإحاطة به وما تعجز ألسنتهم عن بيانه بغير العبارة المحفوظة . أعيد القول بأن هذا الانتقاد صحيح وأن حشو الأذهان بحفظ ما لا يفهم يفسدها ويذهب باستعداد العلم منها . ومدارس الجمعية تهتم

بهذا الأمر فنحن نؤكد دائماً على المعلمين أن لا يعلّموا التلامذة كلاماً لا يفهمونه والعمل على هذا والتفتيش من وراءه لتحقيقه

وأما ما سمعتم فقد جاء من باب الاستثناء فمرش صحيح يوافقنا عليه المتقدمون بادی الرأي . ذلك ان التلميذ يخرج من مدرستنا إلى العمل غالباً ولا ثقة لنا بأنه يسمع في خطب الساجد ولا في دروسها شيئاً من حكم الدين وأسراره التي تبعث النفوس على العمل بأحكامه كالذي سمعتم من حكم الصوم . وكذلك لا نرجو أن يجد معيهاً من معاهد العلم يسمع فيه شيئاً من مباحث التربية وعلم الاجتماع والآداب العالية بالأولى فرأينا أن نحفظ كل تلميذ بعض مقالات في هذه المقاصد نجهد في إيفائها معانيها بالحلمة كما يقتضيه منه ويوكل المهم التوصل إلى حوادث الزمان وارتقاء الفكر فيها وهذه المحفوظات القليلة المفيدة دحر لاهلها في مستقبله وهي كبدرة وصمت في أرض صالحة يتعاهدها الزمان بالسقي والتغذية حتى تثمر الثمرة الصالحة إن شاء الله تعالى

إذا ألقم النظر في أحوال المسلمين زبون ان يترك تعلم الدين على هذا الوجه من بيان فوائده وحكمه وغرسها في النفوس (وهو الفقه الحقيقي في الدين) قد أدى إلى تركه من بعض المسلمين والانيان به على غير وجهه من بعض آخر . واضرب المثل بفريضة الزكاة التي حفظ تلامذتنا معاملة في فوائدها في العام الماضي كما يذكر من حضر احتفاله وفريضة الصوم التي سمعتم فوائدها وهي التي تلي الزكاة في الترتيب

الزكاة ركن من أركان الإسلام وبدل المال في إقامة هذا الركن فضلى غيره من أنواع البذل ولذلك قرأت الزكاة بالصلاة في القرآن في أكمة المواضع وقد جعل الله اتفاق المال في سبيله آية الإيمان . وجعل تركه علامة النفاق والكفران . وقال الخليفة الأول بموافقة الصحابة كما هم رضى الله عنهم ما نهي الزكاة . ومع هذا كله تركه المسلمين قد هدموا هذا الركن ونسوه حتى كأنه ليس من الدين بالمرة . وطال الأستاذ السكلام في الزكاة وفي مضرّة تركها ثم انقل إلى الصوم وبين أن بعض المسلمين تركوه وان الذين يصومون لا يؤدّون هذه التمرينة على الوجه الذي أراده تعالى بقوله « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وأوضح هذا بذكر ما عليه الناس . ثم انقل إلى السكلام في تعليم مدارس الجمعية فقال ان مدارس الجمعية وضعت لتعليم أولاد الفقراء ما لا بد منه لكل إنسان وهو أن يحسن القراءة بلفظ أمته ويعرف ما يجب عليه من أحكام دينه ويتربى عليه عملاً والحساب

والتاريخ وتقسيم البلدان وما فاما من مبادئ التاريخ الطبيعي وحفظ الصحة وأدب العاشرة . ولا بد عندنا من تعليم هذه الأشياء على وجه مظهر في أربع سنين وسن التلميذ لا يتجاوز الخمس عشرة سنة . وليس عندنا لغة أجنبية لأننا لا نعد التلامذة للوظائف والشهادات وإنما نعدهم للعمل بالحرف والصنائع وما ذكرنا من التعليم لا يستغنى عنه صانع ولا زارع .

قال . كنت أحب أن يكون هذا التعليم عاماً في البلاد ومنبثاً في جميع الطبقات ثم يتسنى بعده لكل طبقة أن تتناول من العلوم والفنون واللغات في المدارس الثانوية والعالية ما هي مستعدة له . ولكن المانع الشبهتين بالتعليم والتعلم من التوجه إلى سلوك هذه الطريقة أمران سأأحدهما أن رغبة الناس منصرفه إلى جعل التعليم ذريعة لأخذ الشهادة لأنها شرط الاستخدام في الحكامة والسبب في رغبة الناس في خدمة الحكومة هو أن الناس لعدم تفهم بأنفسهم ولجهلهم بطرق الكسب الواسعة وضغف اعتمادهم عن سلوكها يود كل واحد منهم أن يكون له مورد من الرزق مضمون يعتمد عليه وإن كان وشلاً آمناً فإذا استخدم بمائة وخمسين قرشاً ولو في أعلى الصعيد أو سودان ينال آمناً مطمئناً ويلقى هم الدنيا وراء ظهره إلا إذا تيسر له السعي في شفاعته تزيد في راتبه أو ينتقل بها إلى مكان غير مكانه ولو استعمل مواهبه التي منحه الله إياها وكسح في طلب الرزق من طريق الواسعة لاسيما التجارة لجاز أن يكون من أهل الثراء الواسع وشعب الحميم ما شاء أصحاب هذه النفوس الحاملة الصغيرة ثم انتقل إلى بيان السبب الآخر في عدم التوجه إلى التعليم النافع فقال :

أما ناني السنين فدؤء اقل ، وعلاجه أعسر ، أتدرون ما هو ؟ هو المعلمين والمربين فالتناحتاج في العلم الابتدائي إلى من يبدى التلميذ في السنة الأولى بألف لا فلا تنتهي السنة الرابعة إلا وهو يقرأ ويكتب ويعرف ما ذكرناه آنفاً وعرض عليكم نموذجيه . والذين يحسنون هذا النوع من التعليم قليلون . وقد عزمنا على تجديد مدرسة للجمعية ولكننا عند المذاكرة فيها كنا نشكو من قلة المعلمين . إننا نحتاج معلماً لحدى مدارسنا فنعلن ذلك الجرائد فيجيبنا الراغبون بالعشرات فنتخيرهم ونختار من نراه الأمثل وإن لم يكن على حسب الرغبة تماماً ثم يتمرن على طريقتنا في المدرسة مع طول التثنية والفتيش ومثل هؤلاء يجدر بنا أن نسعيهم معلمي الضرورة

قال : ذكرت هذا لأوجه نفوس العلماء والوجهاء إلى تلافى هذا الخطب ومداواه هذه العلة التي هي أم العلل وذلك بإنشاء مدرسة لتجريب المعلمين ولا بد في هذا من سعى العلماء ومساعدة الأغنياء . ثم شكر للحاضرين سعيهم فانصرفوا شاكرين . أقول كتبت بعد أيام من الاحتفال في إثر انحراف في الصحة فان قصت من فوائد الخطاب ففي غير الفوائد الأصلية وان زدت فربما كان كلمة في معنى الكلام تزيد في إيضاحه

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(تنمة سيرة الكواكبي)

وكان أول عمل عمله في إدارة مجلس البلدية هو قطع عرق الرشوة من العمال الذين يباشرون الأعمال والمصالح ويسمى (الجاويشة) ولكنه زاد في راتبهم لعله بأن الذي ينظر أكثر العمال إلى الرشوة هو قلة الراتب . وكان من ظلم الوالي بعد عزل الفقيه من رئاسة البلدية أن أرجع راتب الجاويشة كما كان وألزم صاحب الترجمة بدفع ما كان زاده لهم في مدته إلى صندوق البلدية كما ألزمه بدفع ما أتفق على سلاسل الحديد التي منع بها الجمال من طرف المدينة لأن الوالي أمر بإزالتها عقاباً له ثم عاد فأمر بإعادتها بعد زمن قريب ولكنه لم يعد إلى الفقيه العزلة التي ظلمه بها ولما عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية كانت المحكمة في أسوأ الأحوال في الصورة والمعنى فكان يتفق على إصلاحها من جيبه حتى أنه استحضر لها السجوف والاستار من بيته ومنع اختلاط النساء بالرجال إذ حمل الكل مكاناً ينتظر فيه دوره للتقاضى ورتب الأوقات ونظم الدفاتر . . .

وكان صاحب عزيمة قوية لا يهاب حاكماً ولا يخاف ظالماً وعزمته هي التي جنت عليه فقد كان نجح في عمله عند ما عين مديراً ومفتشاً لسلطة حصر الدخان كما تقدم في السيرة الرسمية حتى وقع النزاع بينه وبين عارف باشا والي حلب يومئذ فبطل العمل عمل العقيد في ضبط هذه المصلحة ما عجزت عنه إدارتها العمومية والحكومية جميعاً حتى كانت تخسر في ولاية حلب دون سائر بلاد الدولة . وكان المشتغلون بتهرب الدخان البلدي ويعه في حلب سبعائة رجل فعين لهم رواتب شهرية ومنعهم من تهريب بحكمة عجيبة . وسألتني مجمل خبره في عهد الوالي عند الكلام على بعض المعوقات التي نفيها في طريقه

كانت مدة الاتفاق الأول مع مصلحة حصر الدخان ثلاث سنين فانهضل من إدارة العمل والتفتيش بعد سنتين بالسبب الذي ألمنا إليه ولثقة الفقيد بنفسه واقتداره على العمل ذهب إلى الامتانة بعد عزل عارف باشا من ولاية حلب فمقد اتفاقاً آخر مع المصلحة والحكومة مدته عشر سنين وكان أراد أن يضم إلى ولاية حلب ومتصرفية الزور ولايتي بيروت وسورية فلم يرض له ذلك من استشاره من الأقربين فرجع عنه . وقد نجح أيضاً في المرة الثانية ولكن حدث بعد أربع سنين الفتنة الأرمنية قهّب الأرمن الدخان من عدة بلاد وقتلوا موظفي المصلحة فكان الفقيد يحضر في الشهر بضعة عشر ألفاً من الليرات فتوصل بذلك إلى الامتانة بحل العقد وإبطال الاتفاق فتم له ذلك بعد عناء وخسارة عظيمة وإخلاصه بحب المصلحة العامة كانت أكثر وظائفه خيرية أي بغير راتب كما عرف من الترجمة الرسمية وتزيد على هذا أنه كان يئذل شيئاً من ماله فوق ما يأخذه من راتب بعض الوظائف لأجل ترقية العمل وإتقانه وهذا خلق لم يعرفه الشرق في هذا العصر مشروعه : طلب من الحكومة عدة امتيازات بأعمال عظيمة لم تكن تخطر لأهل

بلاد على بال . (منها) إنشاء مرفأ في السويدية وطريق حديدي منها إلى حلب . و (منها) جلب نهر الساجور إلى حلب لأن ماء المدينة قليل ولو تم هذا العمل لأحييت به أرض واسعة فكانت جنات وحدائق . (ومنها) أن عينا خوار في سفح جبل بين أرمناز وأدلب قد أغرقت أمواها تلك الأرض فجعلتها مستنقعات تضر الناس ولا يأوى إلى غاباتها إلا الخنزير البري فذهب الفقيد إليها واختبر حال الأرض والعين اختباراً هندسياً زراعياً فلم أنه يمكن جر مائها إلى أدلب القليلة الماء وتخفيف تلك المستنقعات فتصير نافعة ونحيا أرض أدلب ونحيا أهلها فطلب بذلك امتيازاً .

و (منها) إنارة حلب وبيرومك ومرعش وأورفة بالكهربائية بواسطة شلال يحدته من نهر العاصي في محل اسمه المضيق بالقرب من دركوش تابع لجسر الشفر وكان اختبر المكان اختباراً هندسياً فلم أن أحداث الشلال فيه ممكن . (ومنها) استخراج معدن نحاس من أرغنه التابعة لولاية حلب . وقد حال دون إعطاء بعض هذه الامتيازات ما يحول دون كل مصلحة عامة يطلبها الوطنيون كرشوة ونحوها . وقد كان أعطى امتياز استخراج النحاس واشتغل به ثلاث سنين ونيف وبعد ذلك أرادت حكومة الولاية إبطاله لأمر ما فادخلت مع الفقيد في العمل بعض الأجانب وتوسلت بذلك إلى إبطاله

خدمته للناس وللحكومة : كان اتخذ له مكاناً بين داره ودار الحكومة سماه المركز

يأون إليه وكلاء الدعاوى البارعون فكان يؤمه أصحاب الحاجات والقضايا يستشيرون صاحب الترجمة في حل عقد المشكلات ، ويستشيرون برأيه في دياجير المهمات ، وكان في الغالب يفصل بينهم بالتراضي ، ويفنيهم عن المحاكاة والتقاضى ، فإن احتيج في قضية إلى الحكومة يندب لها من يراه أهلاً لها من الوكلاء المحامين وإن كانت عظمة الشأن يندب نفسه ويحكم المبتطل حتى يحق الحق لصاحبه . وقد كان قصاص ذلك المركز يكادون يزيدون على قصاص دار الحكومة . وكانت الحكومة نفسها تستشير في الشؤون العامة وتعتد على رأيه مقاومة الحكام له : ورت الفقيه عن سلفه السادة الأمراء علو الهمة وقوة العزيمة

وعدم المبالاة بالأخطار فهو من سلالة السيد ابراهيم الصفوي الأردبيلي المهاجر إلى حلب وما حديث الصفويه في الإمارة بمجهول . بهذا كان رحمه الله تعالى لا يهاب الحكام ولا يداريهم مع أن حكومتهم في الحقيقة استبدادية . وهذا هو الذي أحبط أعماله في بلده وذهب بثروته . غاضب عارف باشا أحد ولاة حلب فأغرى بعض الناس بأن يكتب إلى الاستانة شاكية ، من سيئات الوالى شارحاً لها فعمل الوالى بذلك فعمل مكيدة لحبس الفقيه وضبط أوراقه وزور عليه ورقة سهاها (لأتحة تسليم ولاية حلب إلى دولة أجنبية) وطالب محاكمته عليها وحكم القانون في هذه الجريمة الاعدام ولكنهم غلطوا في معاملته بالحبس وطلب الاستئناف غلطاً قانونياً ما كان ليخفى على الفقيه فكتب إلى الاستانة كتابة مطولة يشهر فيها أن خروج حكومة الولاية عن حدود القانون هو من دلائل تحميلها عليه وتحريرها ظلمه وطلب أن يحاكم في ولاية أخرى فأجيب ظلمه وحكم في بيروت بحكم برأته وما زال يبتغي الوالى حتى عزل بعد عودته إلى حلب وكان هو أول من بشره بالويل بواسطة ناخى الولاية ثم انه أخرجه من حلب باهانة عظيمة لأنه أو عز إلى اصناف الفقراء الذين كانوا يسمون الفقير أباهم فاجبهوا عند داره بهيئات غريبة فترك أهله وخرج كالهارب وسافر إلى الاستانة وتبعه الفقيه ليحاكمه ولكنه لم يكدر يحمل إليها حتى مات قهراً

وكان الشيخ أبو الهدى أفندى الشهير من أعدائه ويقال أن السبب الأول في ذلك إباء الفقيه أن يصدق على نسب الشيخ أبى الهدى هذا وإن الشيخ أبى الهدى صار تقرب أشرف حلب وكانت هذه النقابة من قبل في آل السكواكي . ومن آداب الفقيه العالية أنه كان هنا يثنى على صفات الشيخ أبى الهدى الحسنة كالبروءة والكرم والدكاء والثبات وقلما كان ينحوص بانقاده إلا مع الخواص الذين يعرفون الحقائق فكانت عداونهما عداوة العقلاء

خسر الفقيد بتلك المحاكمة ألوفا من الجنيهاً وخسر أضعافها إدارة شركة انحصار الدخان للمرة الثانية أيضاً لأن الحكومة مكلفة بحفظ أماكن الشركة فلما حدثت فتنة الأرمن امتنع الوالى عن إرسال العساكر لمنع نهب الأرمن مال الشركة. وخسر بسبب مدارة الحكم غير ذلك من المزارع والأرض (منها) مزرعة (جفتلك) جميل باشا الوالى التى اشتراها منه الفقيد فاعتدى عليها زعماء التركمان باغراء خفى حتى أخذوها . (ومنها) مزرعة (جفتلك) كانت مستنقعات تابعة للأراضى الاميرية فألف لها شركة وأخذها من الحكومة وجففها فأغرى الفرون بعض عشائر الأكراد بالتعدى على حصته فحاربهم فحكم لهم عليه بالمساعدة الخفية. وفى أثر ذلك سافر مهاجراً إلى مصر سياسته ورأيه فى الإصلاح : لم يكن الفقيد فى اشتغاله بخدمة بيته وبلده وحكومته

غافلاً عن شئون المسلمين العامة فقد كان يقرأ الجرائد التركية والصربية حتى الممنوعة التى كانت تدخل إلى حلب كغيرها بوسائل خفية . ولما هاجر إلى مصر كان أول أثر له فيها طبع سجل جمعية أم القرى وكان يقول ان لهذه الجمعية أصلاً وأنه هو توسع فى السجل ونفحه ست مرات آخرها عند طبعه منذ سنتين ونيف أى عقب قدومه إلى مصر . وقد قال لنا مرة إن الإنسان يتجرباً أن يقول ويكتب فى بلاد الحرية ما لا يتجرأ عليه فى بلاد الاستبداد بل ان بلاد الحرية تولد فى الذهن من الأفكار والأراء ما لا يتولد فى غيرها . ومن يقرأ الكتاب يظن أن صاحبه صرف معظم عمره فى البحث عن أحوال المسلمين وتاريخهم فى عقائدهم وعلومهم وآدابهم وتقاليدهم وعاداتهم ومنه يعلم رأى الفقيد فى الإصلاح وقد كنا معه على وفاق فى أكثر مسائل الإصلاح حتى أن صاحب الدولة مختار باشا الفازى اتهمنا بتأليف الكتاب عندما اطلع عليه وربما نشير إلى المسائل التى خالفنا الفقيد فيها فى هامش الكتاب عند طبعه وأهمها الفصل بين السلطين الدينية والسياسية .

أما آراؤه ومعارفه السياسية فحسبنا منها كتاب طبائع الاستبداد الذى يكاد يكون معجزة للكتاب السياسيين . وقد زعم زاعمون ان معظم ما فى هذا الكتاب مقتبس من كتاب لفيلسوف ايطالى فى الظلم . ومن كان له عقل يميز بين أحوال الإفرنج الاجتماعية وأحوالنا ودوقهم فى العلم وذوقنا يعلم أن هذا الوضع وضع حكيم شرقى يقتبس علم الاجتماع والسياسة من حالة بلاده حتى كأنه يصورها تصويراً وإذا لاحظ مع ذلك ان هذا الكتاب كان مقالات مختصرة نشرت فى المؤيد ثم مدها صاحبها مد الأديم المكافى وزاد فيها فكانت كتاباً حافلاً يتجلى له علمه الأول بصورة أوضح وأجلى

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوله الآيات

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتقون أحسنه أو تلك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الآيات

(قال عليه السلام : ان للاسلام ضوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم ١٦٠٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ - ٢٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢)

﴿ باب الاستدلال والوجوب ﴾

الدهر والزمن (س ١) احمد افندي عبدالكريم بالقازيق: نقرا ونسمع كل يوم من هذام الدهر نظما ونثرا من جميع الملل مالا يخفى عليكم ولا نعلم ما يقصدون بالدهر الذي ينسبون اليه افعالا كالرفع والخفض والعسر واليسر وما مسمى هذا الاسم اهي المدة الزمانية ولا دخل لها في الأفعال أم ماذا؟ والحامل لي على هذا السؤال اني سمعت من أحد العلماء حديثا أدهشني وهو: «لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله» وقد نري أكثر سابي الدهر من العلماء الذين لا يغيب عنهم هذا الحديث فما رأيكم في هذا السؤال وفي صحة الحديث أجيبوني ولكم مزيد الشكر ومن الله الاجر

(ج) اختلف العلماء في تفسير الدهر والزمان والنسبة بينهما فقال الراغب الدهر اسم لمدة العالم من مبداه الى منتهاه ثم صاروا يطلقونه على المدة الطويلة وأما الزمان فيطلق على المدة الطويلة والقصيرة اطلاقاً حقيقياً وزعم السعد ان الدهر طول الزمان . وقد فشا بين الأدياء والشعراء فم الدهر والزمان ونسبة الحوادث السيئة اليهما وترى شعراء العرب بعد الاسلام فلما يذمون الدهر وإنما يذمون الزمن . ولا يقصد هؤلاء ولا أولئك بالزمن أو الدهر حركة الفلك أو الليل والنهار أو ما يقول المتكلمون في تعريف الزمن « مقارنة متجدد معلوم لمتجدد وهووم » وإنما يقصدون ان تماسهم أو شقاءهم وكل ما يشكون منه لم يكن من تقصيرهم وإنما علته عدم موافاة الشؤون السكونية المتعلقة بغيرهم من الخلق ولما كانت هذه الشؤون التي يتوقف عليها النجاح مع سعي الانسان غير معينة صاروا ينسبونها الى أهم

شيء يمكن أن تسند اليه وهو الزمن أو الدهر

وقد حكى الله تعالى عن بعض الملاحدة نسبة الإحياء والاماتة الى الدهر فقال « وقالوا إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يفلنون » والظاهر انهم يعنون ان هذا هو المعروف طول الدهر فلا يوجد شيء آخر يحي ويميت وهذا النفي المطلق جهالة لا دليل عليها . وأما الحديث فقد جاء في صحيح مسلم بلفظ « لا يسب أحدكم الدهر فان الدهر هو الله تعالى » وورد بلفظ آخر عند أبي داود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وهو : « قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فاني انا الدهر أقلب ليله ونهاره » ورواه غيرهم وله الفاظ أخرى لا حاجة الى استقصائها . ولم يرد اسم الدهر في أسماء الله تعالى لانه أطلق عليه سبحانه على سبيل التجوز والمعنى فيه ان الشيء الذي يسند اليه الناس الافعال ولا يعرفون حقيقة ما يسمونه الدهر لانه غير متمين في علمهم الناقص هو الله جل شأنه لانه هو القاعل المختار الذي يرجع اليه الامر كله

الدعاء والقضاء وطول العمر (س ٧) أحمد أفندي متولي بمصر : اطاعت على حديث في تفسير الحازن هذا نصه : عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر » وهذا مضاد لما تقدمه من انه لا راد لقضاء الله وان العمر لا يزيد ولا ينقص لقوله تعالى « لكل أجل كتاب » وقوله جل ذكره « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يتقدمون » فالرجاء افادتنا عن ذلك

(ج) اتفق النقل مع العقل على ان كل ما يقع في الوجود فانما يقع

بحسب ما في علم الله تعالى لأن وقوع شيء على خلاف ذلك يستلزم الجهل وهو محال على الله تعالى فما خالف هذه العقيدة خلافاً حقيقياً فهو مردود ونقطع بأنه مكذوب على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا لم يمكن تأويله وإرجاعه إليها . وقد أول العلماء حديث « لا يرد القضاء الا الدعاء » فقالوا قد يكون في علم الله تعالى ان فلانا يعاب بكذا أو يكون بصدد أن يعاب به فيدعو الله فينكشف عنه البلاء الذي كان معاناً نزوله أو دوامه على عدم الدعاء وانكشفه على الدعاء ويسمون هذا القضاء المعلق . أما القضاء المبرم وهو ما سبق في علم الله تعالى أن يكون لا محالة فهو الذي لا يمكن أن يرد . وإذا كان هذا التقسيم لاجل الجواب عن هذا الحديث فهناك أحاديث لا يمكن ان يجاب عنها منها ما أخرجه أبو الشيخ عن أنس رضي فوعا « أكبر من الدعاء فان الدعاء يرد القضاء المبرم » وما أخرجه ابن عساكر عن نعيم ابن أوس مرسل « الدعاء جند من أجناد الله مجندة يرد القضاء بعد بـرم » . والحديثان ضعيفان السند جداً والحديث الوارد في السؤال رواه الترمذي والحاكم . وقد ذكر المحدثون ان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للمقائد القطعية والاصول الثابتة ومنها مخالفته للعقل والوجود

وأما كون البر يزيد في العمر فقد ورد بمعناه أحاديث في الصحيح وهو كلام في الاسباب لا في علم الله تعالى وقضائه في المباد . قال بعض العلماء في تفسيره ان أهل البر يكونون أهناً للناس عيشاً لما بينهم وبين والديهم وأهلهم وسائر الناس من الحب وحسن المعاملة وهذه هي الزيادة في العمر فان من يعيش بالملأ كدة والفجور كأنه لم يعيش لأن حياته تذهب سدى . وفيه وجه آخر وهو ان البر وحسن الاخلاق والاعتدال في الامور من

اسباب الصحة واعتدال المزاج والصحة هي مادة طول الحياة في الغالب وهذا مما يأتي بالنسبة لحالة البنية واستعداد الشخص لا بالنسبة لما في علم الله تعالى لانه لا يتغير وأكثر الكلام بين الناس يكون في الاسباب لا في أصول العقائد وقد أوضحنا هذه المسئلة في الدرس ١٦ من الامالى الدينية (راجع ٥٥٨: ٣) رضاع الزوج من الزوجة (س ٣) م . ص . في الجيزة : اذا رضع الزوج ندي زوجته هل تحرم عليه ؟

(ج) لا فان حكم الرضاع انما يثبت في الصغير عند جماهير العلماء من السلف والخلف والمروى عن الائمة الاربعة وغيرهم انه لا تأثير له بعد الحولين وفيه حديث رواه الدارقطني عن ابن عباس « لا رضاع الا ما كان في الحولين » وفي حديث صحيحه الترمذي عن ام سلمة « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامماء وكان قبل القطام » والمراد بفتق الامماء كونه عمدة في التغذية والسكن وردت احاديث اسح من هذه في التحريم برضاع الكبير وقد اجابوا عنها بما يحتمل البحث ومن اراد الاحتياط فلا يجنب كل ما فيه خلاف . وأما سؤالكم الاول فاننا لم نفهمه وسنجيب عن اقتراحكم في الطلاق عند سنوح الفرصة .

القسم العمومي

فرنسا والاسلام

لا تزال دولة فرنسا في حيرة وعمة لا تهتدي معها الى طريقة تطمين اليها في سياسة مستعمراتها الاسلامية فكتابها من الفلاسفة والسياسيين يواصلون البحث في الاسلام على مر الايام والاعوام لأجل اشراع هذه

الطريقة وما هم بمشرعيها ولما تطبئن نفوسهم الى شئ كاطمئنان نفس
انكلترا في سياسة مستعمراتها الاسلامية وغير الاسلامية . لقد ظهرت
نتيجة حسن سياسة انكلترا في ارتبا كما بحرب الترانسفال فلقد كانت
عاجزة عن تأديب مملكة واحدة من ممالكها الاستعمارية الواسعة اذا هي
تألبت عليها وثارت تريد الخروج من دائرة سلطتها . والله يعلم ما يكون
من أمر مستعمرات فرنسا معها اذا وقعت في مثل ذلك الارتباك وانتهت
الى مثل ذلك الخطر الذي كانت فيه انكلترا ايام كانت الحرب في شبابها .

سلكت فرنسا مع المسلمين مسلك العنف والضغط حتى حالت
بين المسلمين الذين تحت سيادتها أو حمايتها وبين العلم والتعليم وزعمت ان
فرقا بينها وبين انكلترا فانها تحكم شعوباً لا تزال الشبهة الاسلامية
والشجاعة العربية متمكنة في نفوسها وان انكلترا تسوس قوماً فسد بأسهم
وهجرتهم الشجاعة والشهامة بما توالى عليهم من ظلم حكامهم كالهنديين
والمصريين الذين لا تخشى بادرتهم . ولا تحذر غائلتهم . وجهات أقرب
حوادث التاريخ في مصر وهو خروج المصريين على حكامهم الذين يدينون
بدينهم وينطقون بلغتهم عندما أمكنتهم الفرة من الخروج عليهم حتى كان
العلماء وهم أبعد الناس عن السياسة من خطباء الثورة العراقية ودعاتها بعد ما كانوا
يقولون بوجوب طاعة هؤلاء الحاكمين والخضوع لهم . ولا أنسى كلمة سمعتها من
كبير العلماء في بلد من سوريا قالها في محفل كبير ذكرت فيه الثورة العراقية
فقال ذلك الشيخ رحمه الله « كلنا عراقيون » ودعا العراقي وحزبه بالنصر .
واذا وجد في العلماء رجل واحد بصير بالسياسة كان يحذر العراقيين
وينذرهم سوء عاقبة الثورة كالشيخ محمد عبده فذلك لا ينافي أن الجماهير

كانوا راضين عنها وداعين اليها

أتجهل فرنسا ان سياسة الظلم والقسوة التي نفخت روح الثورة في المصريين الجبناء في نظرها على حكامهم المسلمين تخشى عاقبتها من الجزائريين والتونسيين وهم من أهل النجدة والبأس والشجاعة والشهامة ؟ أتجهل السر في سكون هؤلاء الذين عهدم بالثورة غير بعيد عند ظهور انكسار انكلترا في الحرب المرة بعد المرة ؟ السر ظاهر غير مكتوم وهو انهم في رخاء من العيش يرفلون في ظلال الحرية التامة ونعيمها . نعم انهم تمنون الاستقلال التام لأنه هو كمال الحياة الاجتماعية ومن نجا من الاستعباد والاستغلال ، يشتهي كمال الاستقلال ، ولكن الناس لا ينبعثون الى الثورة الا بالظلم والتضييق فان الانفجار نتيجة الضغط

اذا كانت انكلترا لا تساعد استعمار الشعوب على الترقى كما هو شأنها في زنجبار فانها قلما تعارضه لانها لا تحارب الطبيعة فقد كان مسلمو الهند في جهل وخمول فتركهم وشأنهم فظهر فيهم مرشدون اشتغلوا بتربيتهم وتعليمهم فصادفوا من الحكومة الانكليزية ارياحاً بل تشيظاً ومساعدة وأعطتهم الحرية التامة في انشاء المدارس والجرائد وعقد الجمعيات . والبريد عندهم حر فلم نسمع ان جريدة منعت عن الهند وان مكتوباً ضاع او رسالة اختزلت او كتاباً ارسل فلم يصل فهل تعامل فرنسا اهل الجزائر بمثل هذه المعاملة او بما يقرب منها ؟

لقد كان لفرنسا في سيرة الانكاز في الاستعمار ما يفنيها عن كثرة البحث والتأليف والتصنيف في حال المسلمين وكيف ينبغي ان يعاملوا ويفنيها عن تأليف اللجنة التي انشأتها من عهد قريب لتمحيص البحث في

هذه المسئلة

يحكم كتاب فرنسا وساستهم على المسلمين من غير ان يستشيرهم او يرفوا ما يكتبه الاحرار المارفون بالدين وأهله عنهم ولكن بعض حكاهم يستكتبون بعض المصانين لهم ما ارادوا وينشون انفسهم وقومهم بما يوهونهم ان هذا هو رأي علماء المسلمين واهل الرأي فيهم . اكثر ما يكتبه الفرنسيون عن الاسلام والمسلمين يحفظ القلوب ويشير الاحقاد ويخرج الاضغان وكل هذا يحتمل ما دامت القوة فاذا عرض عليها ما يضعفها فهناك يحددون شر ما يزرعون . وليس من العقل الاغترار بدوام القوة

الفرنسيون ابعد الناس عن الدين وعن التعصب له ولكنهم اذا كتبوا عن الاسلام فاما ينفثون السموم ويظنون المسلمين بظل من يحتموم؛ الا ما كان من فيلسوف حكيم يكتب للعالم لا للسياسة . حكومة الجمهورية ليست مسيحية فتعصب على الاسلام لاجل النصرانية وانها لتقاوم النصرانية في بلادها كما تقاوم الاسلام في مستعمراتها واجكها . تعتقد ان المسلمين قوم حرب وان دينهم يطالبهم بان يكونوا سائدين غير مسودين وانهم يتربصون بمن يسودهم الدوائر حتى اذا ما سئحت لهم الفرصة وشبوا ، فسلبوا ونهبوا ؛ وان السياسة الواقية ان يوضعوا في الاوهاق ؛ وتفل الأيدي الى الاعناق ؛ وان تحجب شمس العلم عن الانظار ؛ وتحول بين الاسماع وما في العالم الاسلامي من الاخبار ؛ وان تراقب الحكومة السائحين ، اذا كانوا مسلمين أو عثمانيين ؛ — ومن الاعتقاد ما هو ظن وان بعض الظن انهم . ولا شيء يخرج الصدور ؛ ويمضئ النفوس مثل هذه

المعاملة السوءى لأنها برهان على ان هذه الحكومة تبغض المسلمين والجاهل لا يعرف سببا للعداوة والبغضاء الا الأمر المام وهو الدين لذلك يعتقد الا كثرون في المستعمرات الفرنسية ان فرنسا تبغض المسلمين لأنهم مسلمون يعبدون الله من دون المسيح ويؤمنون بمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نحن والمقلاء نقول ان الأمر ليس كذلك ومثلنا من يقدر على إقناع المسلمين لأننا من خدمة الدين والعلم فيهم ولكن هذا الاقتناع يتوقف على وصول صوتنا الى تلك المسامع وفرنسا لا ترضى بذلك بل ولا ترضى بأن يتعلم المسلمون الا اللغة الفرنسية التي تزيد المسلمين بغضا في فرنسا كما صرح بذلك بعض كتابها وذلك انهم يرون في الكتب والجرائد الفرنسية الطعن الموجه مصوبا دائما الى صدور المسلمين . وفرنسا أقدر منا على إقناع المسلمين بحسن نيتها وسلامة عاقبتها اذا برهنت عليه بالعمل ولكن يتعذر عليها إقناع مسلم واحد بالقول وان أوتيت من سحر البيان ؛ وخلاصة اللسان ، مالم يؤتته إنسان ؛

فرنسا في شك مريب من أمر مسلمي مستعمراتها لا تدري أي تكن أن تعيش معهم في وئام ، وهدون وسلام ، أم ذلك من الأمانى والاهام ، التي لا تدرك ولا ترام ، ولا شك عندنا نحن في الامكان ، وانرناب لا يقنعه البرهان ، ولكن ربما تقنعه حوادث الزمان ، والمريب يكون دائما في حذر ، والظالم لا يمكن ان يأمن الغيرة . ولو أخلصت فرنسا الدنيا لعرفت القضية ، وبافت الأمنية ،

لو اطاعت فرنسا لأهل الجزائر حرية العلم والدين وحافظت فيهم على أحكام شريعتهم وآدابها وساعدتهم على ترقى بلادهم وعمرانها وأقامت

فيهم المدل وأباححت لكل أحد أن يمازجهم ويرى ما هم فيه حيثئذ من غبطة ونعيم لكانت هذه المعاملة الحسنى اقوى جاذب يجذب جيرانهم المراكشيين الى الدخول في حكم الولاية الجزائرية قبلا بعد قبيل لاسيما اذا جعلت للولاية حاكما مسلما يصدر الاحكام الشرعية وينفذها .

قد نعلم ان من الفرنسيين من يسخر من هذا الكلام اذا سمعه متوهما اننا نقوله خداعاً لهم لا عن اعتقاد منا بصحته . ولا يعلم الساخر المفروض اننا أقرب الى الشك في كون إحسانهم معاملة المسلمين خيراً للمسلمين منا الى الشك فيما قلناه فان الظلم والقسوة في المعاملة هي التي تربى الأثم وترجع اليها استمدادها المفقود ، او تبث فيها استمداداً لم يكن بالموجود ، ولقد كانت الحرب الروسية العثمانية اكبر منبه للمسلمين الى الحياة الاجتماعية في مشارق الارض ومغاربها وإثبت كانت اكبر خسارة على المسلمين في الظاهر . واز من سياسة المسلمين وعقلائهم من يعتقدان نجاح الاسلام الاكبر يتوقف على سقوط كل هذه الحكومات الاسلامية التي بقيت لها رسوم ماثلة فان أعظم ادواء المسلمين الاجتماعية اعتمادهم على حكوماتهم واستبداد حكامهم بهم فلن تعود اليهم قوتهم الحقيقية واستقلالهم الذاتي الا بسقوط هذه الرسوم ليرجعوا الى قوتهم الذاتية الاستقلالية

بهم يفسر مسلمو الجزائر وتونس وغيرهم عداوة فرنسا للسيد المهدي السنوسي وهو من رجال الدين وشيوخ الطريق ولماذا يكتب الفرنسيون في جرائدهم وكتبهم انه لا بد من استئصال قوته ، واصطلام دعوته ؛ واخذوا جذوته ؛ كما بينا ذلك في الممدد ٢٣ من منار السنة الاولى ولماذا لا يحفل الانكايير بذلك ولا يبحثون عن زواياه واتباعه في السودان ومصر ولماذا لم

يكتب أحد من الانكايز ناصحاً قومه ومبيناً لهم الحيل والوسائل التي
تفتت بها القوة السنوسية ؟؟ ان سياسة فرنسا في أفريقيا خرقاء وربما
تكشف هذه المناوشات الاخيرة بينها وبين المهدي السنوسي خرقها الا اذا
أراد الله لها زيادة الاستدراج والاملاء الى أجل مسمى وإلى الله المصير
(يطالب خبر محاربة فرنسا والسيد المهدي السنوسي في باب الاخبار)

نموذج من كتاب دلائل الإعجاز الامام عبد القاهر الجرجاني

(تمة الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه ، وضم الاشتغال بعلمه وتبنيه)
كان آخر القول في النبذة الماضية ان الذي كان يستنشد عائشة فنشده ما تقدم

قالت فيقول عليه السلام « يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده صنع
اليك عبدي . مر وفأفهل شكرته عليه فيقول يارب عذبت انه منك فشكرتك
عليه قال فيقول الله عز وجل لم تشكرني اذ لم تشكر من أجرته على يده » :
(وأما) عليه عليه السلام بالشعر فكما روي ان سودة انشدت
« عديّ وتيم تبني من تحالف » فظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما
انها عرّضت بهما وجرى بينهما كلام في هذا المعنى فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فدخل عليهن وقال « يا ويلكن ليس في عديّكن ولا تيمكن قيل
هذا وإنما قيل هذا في عدي تيم وتيم تيم » . وتما هذا الشعر :

تحالف ولا والله تهبط تلمة من الارض الا انت لذل عارف^(١)
ألا من رأي المبدن أو ذكرا له عدي وتيم تبني من تحالف

(١) التلمة تطلق على ماءلا وعلى ما سفل من الارض وقيل هي ما اتسع من فوهة الوادي

وروى الزبير بن بكار . قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
ابو بكر رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقة مكة :
يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد الدار
فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر هكذا قال الشاعر » قال
لا يارسول الله ولسكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا سألت عن آل عبد مناف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كنا نسميها .
(وأما) ارتياحه صلى الله عليه وسلم للشعر واستحسانه له فقد جاء فيه
الخبر من وجوه من ذلك حديث النابغة الجعدي قال أنشدت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قولي :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا نترجو فوق ذلك مظهرا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » فقلت الجنة
يارسول الله قال « أجل ان شاء الله » ثم قال « أنشدني » فأنشدته من قولي :
ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادٍ تحمي صفوه أن يكذرا^(١)
ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما أورد الأمر أصدرا
فقال صلى الله عليه وسلم « أجدت لا يفضض الله فاك » قال الراوي

(١) البواد جمع بادرة وهي الحدة أو ما يبدر من الانسان عند الحدة
من الحقة الى الانتقام بالقول أو الفعل . والحديث رواه ابن عساكر وابن التاجر
بلفظ [مجدنا] بدل [مجدنا] وفيه انه انشد اليتين بعد ذلك من نفسه فقال له
عليه السلام « لا يفضض فوك » مرتين قال الراوي وهو يعلى بن الاشدق فلقد رأيت
بعد عشرين سنة ومائة وان لأسنانه أشرا كأنه البرد . والاشر الحدة والركة في
اطراف الاسنان والتحزيز الذي يكون فيها

فنظرت إليه فكان زفاه البرد المثل ما سقطت له سن ولا انفلت ترف غروب^(١)
 (ومن ذلك) حديث كعب بن زهير روي أن كعباً وأخاه بجيرا
 خرجا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف فقال
 كعب لبجير: الق هذا الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر ما يقول وقدم بجير
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرض عليه الاسلام فاسلم وبلغ ذلك
 كعباً فقال في ذلك شعراً فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه فكتب إليه
 بجير يأمره ان يسلم ويقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول وأن من
 شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله قبل منه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأسقط ما كان قبل ذلك فقدم كعب وأنشد النبي صلى الله عليه
 وسلم قصيدته المعروفة :

بانت سمادة قلبي اليوم متبول	مقيم إثرها لم يفد من لول ^(٢)
وأسعاد غداة البين أذرحات	الأغن غضيض الطرف مكحول
تجلوعوارض ذي ظلم اذا ابتسمت	كانه منهل بالراح من لول
سح السقاء عليه ماء محبة	من ماء أبطح ضحى وهو مشمول ^(٣)

١ - الغروب الاسنان ورفيقها بريقها كذا في الهامش بخط الاستاذ قبل هذه الجملة
 " ولا انفلت " ويظهر لي أن اصله " ولا انفلت " وهي مع " زفاه " غروب جملة
 واحدة " والاتصال التلم والاشارة ٢ - المذبول من تلبه الحب اذا أضاء وأفسد أو ذهب
 إليه وعقله . والمزيم المذلل المبرك . والغلول من وضع الغل في غلغه وفي رواية
 " مكبول " وهو المقيد بالكبل أي المقيد ٣ - وفي نسخة " سح " السقاء عليها ، أما الرواية
 الشهيرة في البيت فهي

سحبت بذى سيم من ماء محبة صاف بأبطح ضحى وهو مشمول

أكرم بها خلة لو أنها صدقت موعودها أولوا أن التصح مقبول^(١)
حتى أتى على آخرها فلما بلغ مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول^(٢)
في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فزالوا انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل ممازيل
لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما بهم عن حياض الموت تهليل
شم المرانين أبطال أبوسهم من نسج داود في الهيجم رايل
أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق أن اسمعوا قال وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من أصحابه مكان المائدة من القوم
يتحلقون حلقه دون حلقه فيلنفت إلى هؤلاء وإلى هؤلاء والأخبار فيما
يشبه هذا كثيرة والأثر به مستفيض

وان زعم انه ذم الشعر من حيث هو موزون مقفى حتى كان الوزن
عيباً وحتى كان الكلام اذا نظم نظم الشعر اتضع في نفسه وتغيرت حاله ،
فقد ابد وقال قولاً لا يعرف له معنى وخالف العلماء في قولهم : انما الشعر
كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح^(٣) . وقد روي ذلك عن النبي صلى
عليه وسلم مرفوعاً :

قُلْ زَعَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا كَرِهَ الْوِزْنَ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لَانْ يَفْنَى فِي الشَّعْرِ وَيَلْتَمِى بِهِ . فَلَمَّا إِذَا

« ٤ » وفي رواية « وَيَأْمُرُهَا خَلَّة » (٥) وفي رواية لنور بدل لسيف ولا تفسر
الآيات فالتقصيدة شهيرة . وشروحها في الأيدي على أنني لم أرا أحداً من المحدثين رواها
(٦) روى الدارقطني في الأفراد عن عائشة والبخاري في الأدب والطبراني في
الوسط وابن الجوزي في الواهيات عن عبد الله بن عمر . والشافعي والسهوي عن ع
مرسلاً : (الشعر كلام بمنزلة الكلام فحسنه حسن الكلام وقبيحه قبيح

كنا لم ندعه الى . . . من أجب ذلك وانما دعواته الى اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، والمنطق الحسن ، ر . لام اليين ، والى حسن التمثيل والاستعارة ، و الى التلويح والاشارة ، والى صنعة تمهيد الى المعنى الخسيس فتشرفه ، والى الضئيل فتفخمه ، والى النازل فترفعه ، والى الحامل فتؤه به ، والى العاطل فتجليه ، والى المشكل فتجابه ، فلا متعلق له علينا بما ذكر ، ولا ضرر علينا فيما أنكر ، فليقل في الوزن بما شاء ، وليضعه حيث أراد ، فليس يعنيننا أمره ، ولا هو مرادنا من هذا الذي راجعنا القول فيه . وهذا هو الجواب المتعلق ان تعلق بقوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وأراد أن يجعله حجة في المنع من الشعر ، ومن حفظه وروايته ، وذلك انا نعلم أنه صلى الله عليه وسلم لم يمنع الشعر من أجل ان كان قولاً فصلاً ، وكلاماً جزلاً ومنطقاً حسناً ، وبياناً بياناً ، كيف وذلك يقتضي ان يكون الله تعالى قد منعه البيان والبلاغة ، وحماه الفصاحة والبراعة ، وجعله لا يبلغ مبالغ الشعراء في حسن العبارة ، وشرف اللفظ وهذا جهل عظيم . وخلاف لما عرفه العلماء وأجمعوا عليه من انه صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب . واذا يقال ان يكون المنع من أجل هذه المعاني وكنا قد أعلمناه ان ندعو الى الشعر من أجلها ونحذو بطايعه على طائها كان الاعتراض بالآية محالاً ، والتعلق بها خطلاً من الرأي وانحلالاً :

فان قال اذا قال الله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » فقد كرهه للنبي صلى الله عليه وسلم الشعر ونزعه عنه بلا شبهة وهذه الكراهة وان كانت لا توجه اليه من حيث هو كلام ومن حيث انه بليغ بين وفصيح حسن ونحو ذلك فاتها توجه الى أمر لا بد لك من التلبس به في طلب ما ذكرت انه مرادك من الشعر وذلك انه لا سبيل لك الى أن تميز كونه كلاماً عن كونه شعراً حتى اذا رويته التبتت به من حيث هو كلام ولم تلبس به من حيث هو شعر هذا محال . واذا كان لا بد لك من التلبس بموضع الكراهة فقد لزم العيب برواية الشعر واعمال اللسان فيه . قيل له (١) هذا منك كلام لا يتحصل وذلك انه لو كان الكلام اذا وزن حظ ذلك من قدره وأزرى به وجلب على المفرغ له في ذلك القالب اثماً ، وكسبه ذمماً ، لكان من حق العيب فيه أن يكون على واضح الشعر أو من يريد ملكان الوزن خصوصاً دون من يريد لا أمر خارج عنه ويطلبه لشيء سواه . فاما قولك انك لا تستطيع ان تطلب من الشعر ما لا يكره

حتى تلتبس بما يكره فاني اذا لم أقصده من أجل ذلك المكروه ولم أرده له وأردته لأعرف به مكان بلاغة ، وأجعله مثالا في براعة ، أو أحتج به في تفسير كتاب وسنة وأنظر الى نظمه ونظم القرآن ، فأرى موضع الإعجاز وأقف على الجهة التي منها كان ، وأبين الفصل والفرقان ، فحق هذا التباس ان لا يعتمد علي ذنباً وان لا أواخذه اذ لا تكون مؤاخذه حتى يكون عَمْدٌ الى أن تواقع المكروه وقصد اليه (١) وقد تتبع العلماء الشعوذة والسحر وغنوا بالتوقف على حيل الموهين ليعرفوا فرق ما بين المعجزة والحيلة فكان ذلك منهم من أعظم البراذن الغرض كريماً والقصد شريفاً

هذا واذا نحن رجعنا الى ما قدمنا من الاخبار ، وما صح من الآثار ، وجدنا الامر على خلاف ما ظن هذا السائل ورأينا السبيل في منع النبي صلى الله عليه وسلم الوزن وأن ينطابق لسانه بالكلام الموزون غير ما ذهبوا اليه ، وذلك انه لو كان منع تنزيه وكرهه لكان ينبغي أن يكره له سماع الكلام موزوناً وأن ينزه سماعه عنه كما ينزه لسانه وكان صلى الله عليه وسلم لا يأمر به ولا يحث عليه ، وكان الشاعر لا يمان على وزن الكلام وصياغته شعراً ولا يؤيد فيه بروح القدس ، واذا كان هذا كذلك فينبني أن يعلم أن ليس المنع في ذلك منع تنزيه وكرهه بل سبيل الوزن في منعه عليه السلام اياه سبيل الخط حين جعل عليه السلام لا يقرأ ولا يكتب في أن لم يكن المنع من أجل كراهة كانت في الخط بل لأن تكون الحجة أبهر وأقهر ، والدلالة أقوى وأظهر ، ولتكون أكم للجاحد (٢) وأقع للمعاند ، وأرد لطالب الشبهة ، وأمنع في ارتفاع الرتبة ،

وأما التعلق بأحوال الشعراء بأنهم قد ذموا في كتاب الله تعالى فما أرى عاقلاً يرضى به أن يجعله حجة في ذم الشعر وتهجينه ، والمنع من حفظه وروايته ، والعلم بما فيه من بلاغة ، وما يخص به من أدب وحكمة ، ذلك لانه يلزم على قود هذا القول أن يعيب العلماء في اتشهادهم بشعر امرئ القيس وأشعار أهل الجاهلية في تفسير القرآن وغريبه وغريب الحديث ، وكذلك يلزمه أن يدفع سائر ما تقدم ذكره من أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر واصفائه اليه واستحسانه له ، هذا ولو كان يسوغ ذم القول من أجل قائله ، وأن يحمل ذم الشاعر على الشعر لكان ينبغي أن يخص

(١) وقال ان كلمة (قصده) معطوفة على (عمد) (٢) أكم من كم البعير اذا شد

فاه بالكمام عندهياجه لئلا يعرض أو لاجل منعه الأكل

« لا أعلم وأن يستثنى فقد قال الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) ولم لا أن التناول شر بهضه بعضاً وأن الشيء يذكر بدخوله في
القسمة فكان حق هذا ومحذور أن لا يتشاغل به وأن لا يعاد ويبدأ في ذكره »

بسم الله الرحمن الرحيم

في ثمة الاجتماع الرابع لجمعية أم القرى

قد وجد فينا علماء من أحدهم يطالع في الكتاب أو السنة على أمر أو نهى
فيتلقاه على حسب فهمه ثم يعصي الحكم إلى أجزاء الأمور به أو انتهى عنه أو إلى
دواعيه أو إلى ما يشاء ولو من بعض الوجوه وذلك رغبة منه في أن يلتبس لكل
أمر حكماً شرعياً فتختلط الأمور في فكره وتشبه عليه الأحكام والاسماء من تعارض
الروايات فيلزم الأمر ويأخذ بالأحوط ويجهل شرعاً ودينهم من توسع فصار يحمل
كل ما فعله أو قاله الرسول عليه السلام على التشريع ، الحق كما سبق لنا ذكره أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال وفعل أشياء كثيرة على دليل الاختصاص أو الحكمة أو العادة
وغيرهم من أنواع فصار لا يرى لزوماً في شيء من الآله أو ثلاث في الحديث إذا
كان الأمر من فضائل الأعمال فيأخذ بالأحوط فيمنع في تشديد ويظن
أنه في ذلك ورعاً ونهوى ومريد علم واعتناء بالدين فيقول إلى أقايمة ويرجعون
إليه على غير

وهكذا علم التشديد في الدين ما يأتي حتى صار مبرراً واعتدلاً فكأننا لم نقبل
من الله به عايانا من الخفيف ، وأن وضع عنا ما كان من غير من قال التكليف ،
قال تعالى شانه وجاب حكيمته : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وقال
جاء منه : « رأيت » و يضع عنهم أوزارهم والأغلال التي كانت عليهم » أي يخفف
عنهم التكليف الشديداً ، وعلمت كيف لا يجوز بعد أن بين لنا أنه « لا يثبت الله
مفسداً ولا فسعها » وهو أن تقول : « ربنا لا تؤاخذنا بسوء اعتقادنا ولا عملنا ولا
ربنا ولا تؤاخذنا بسوء اعتقادنا ولا عملنا ولا ربنا » وهو حديث
« لا إله إلا الله » وهو حديث « أن يشاهد من عند الأنبياء » وفي

(١) رواد البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا إله إلا الله
فسددوا وقاربوا » ورواه غيره أيضاً

حديث آخر « هلك المشطمون » (٢) أي المتشددون في الدين وظن بعض الصحابة أن ترك السجود أفضل بالنظر إلى سكرة تشريح الصيام فهاهم النبي عليه السلام عن أن الفضيلة في تركه : وقال عمر رضي الله عنه في حضور رسول الله لمز أن أراد أن يصل النافلة بانفرض « بهذا هلك من قبلكم » (٣) فقال النبي عليه السلام « أصاب الله بك يا ابن الخطاب » وانكر النبي عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل وصيام النهار واجتناب النساء وقال له « أَرَغِبْتَ عَنْ سُنتِي » فقال بل سُنَّتِكَ أَيْتِي قَالَ « فَإِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأُتِمُّ وَأَنْكَحُ النِّسَاءَ مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ بِي » (٤) وقد كان عثمان بن مظعون وأصحابه عززوا على سبيل الصوم وقيام الليل والاختصاص وكانوا حرموا الفطر على أنفسهم ظناً أنه قربة إلى ربهم فهاهم الله عن ذلك لأنه غلو في الدين واعتداء فيما شرع فأنزل دياً أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين « أي أنه لا يجب من تعدى حدوده ومارسه من الإقصاد في أمور الدين : وقد ورد في الحديث الصحيح قوله عليه السلام « والذي نفسي بيده ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا أمرتكم به وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا نهيتكم عنه » (٥) فإذا كنتم الدارع يأمرنا بالزمام ما وضع لنا من الحدود فما معنى نظرنا الفضيلة في المزيد وورد في حديث البخاري « أن أعظم المسامحة جرمنا من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته » (١) وبمقتضى هذا الحديث نقول ما أحق بعض المحدثين المتشددين بوصف المجرمين . وهذه مسألة السواك مثلاً فإنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها أنه قال « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك » (٢) فهذا الحديث مع صراحته في ذاته أن السواك لا يتجاوز حد التدب جملة إلا كثرون سنة وخصه بعضهم بعود الأراك وعمم بعضهم الأصبع وغيرها بشرط عدم الإدماء وفصل بعضهم أنه إذا قصر عن شبر وقيل عن فتر كان مخالفاً للسنة وتفقن آخرون بأن من السنة أن تكون فتحة مقدار نصف الإبهام ولا يزيد عن غلط أصبع وبين بعضهم كيفية استعماله فقال بسند يفاض رأس الخصر ويمسك بالأصابع الوسطى ويدعم بالإبهام قائماً . وفصل بعضهم أن يبدأ بادخاله مبلولاً في الشدق الأيمن ثم يراوحه ثلاثاً ثم يتقل ويقبل بعضهم ثم يراوحه ويتضمنه ثانية وهكذا يفعل مرثثة ويبحث بعضهم في أن هذه المضمضة هل تكفي عن سنة المضمضة في الوضوء أم لا ومن قال لا تكفي حجاج بن عثمان الغرغرة : واخلفوا في أوقات استعماله هل هو في اليوم مرة أو عند

كل وضوء أو عند تلاوة القرآن أيضاً حتى صاروا يشتركون بعمود الأراك يخللون به الفم يابساً والبعض يعدون له كثير من الخواص منها أنه إذا وضع قائماً يركبه الشيطان والبعض خالف فقال بل إذا أتني بورت مستعمدة الجذام : ويشوههم كثير من العامة أن السواك بالأراك من شعار دين الإسلام إلى غير هذا من مباحث التشديد والتشويش المؤدبين إلى الترك على عكس مراد الشارع عليه السلام من التدب إلى تعهد الفم بالتنظيف كيف كان

ثم قال « العالم النجدي » هذا ما ألهمني ربي بيانه في هذا الموضوع وربما كان لي فيه سقطات ولا سيما في نظر المبادئ الشافعية من الإخوان كالملازمة للصري والرياضي الكردي لأن غالب العلماء الشافعية يحسنون الظن بفلاة الصوفية ، ينتمسون لهم الاعتذار وهم لا شئ أبصر بهم من معاشر أهل الجزيرة لفقدانهم بين أطهرنا كلياً وتدرتهم في سواحنا ولولا سياحتي في بلاد مصر والقرب والروم والشام لما عرفت أكثر ما ذكرت وانكرت إلا عن جماع وليكنت أقرب إلى حسن الظن ولكن ما بعد العيان لتحسين الظن مجال وما بعد الهدى إلا الضلال فنسأل الله تعالى أن يهدينا سواء السبيل

فاجابه العلامة المصري : « إن أكثر الصوفية من رجال مذهبنا ونحن معانر الشافعية نتاولهم كثيراً ما ينكره ظاهر الشرع ونلتبس له وجوهاً ولو ضعيفة لأننا نرى مؤسسي التصوف الأوائل كالجنيد وابن سبويه من أحسن المسلمين حالاً وقالوا وفيما يلوح لي أن منشأ ذلك فينا جملة أمور منها كون علماء الشافعية بعيدين عن الإمامة والسياسة العامة الأعمدة قصيراً . ومنها كون المذهب الشافعي مؤسساً على الأحوط والأكمل في المبادئ والمبادئ التي على العزائم دون الرخص : ومنها كون المذهب مبنياً على مزيد العناية في النيات . فالشافعي في شغل شاغل بخوفاً نفسه وهم مستمر من جهة دينه وتحول على تصحيح النيات وتحسين الظن ومن كان كذلك مال بالطبع إلى الزهد والعجاب بالزاهدين وحمل أعمال المتظاهرين بالصالح على الصحة والأخلاص بخلاف العلماء الخفية فمنهم من عهد أبي يوسف لم يتقطع تعاقبهم في النظر في الشؤون العامة في عموم آسيا وكذا المالكية في الغرب وأمارات أفريقيا والحنابلة والزيدية في الجزيرة ومن لوازم السياسة الحزم وتغليب سوء الظن واتقان النقد والأخذ بالجرم ومحامه الشؤون لأجل العمل بالأسهل الأنسب

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بانهم كانوا ولا يزالون بعيدين عن التوسع

في العلوم والفنون وهم لم يزالوا أهل عصبية وصلابة رأي وعزيمة ، وقد ورد قول النبي عليه السلام فهم « ان الشيطان قد أيس أن يعبد المسلمون في جزيرة العرب ولكن في التحريش » (١) أي اغراء بعضهم ببعض وكذلك أهل الجزيرة لم يزل عندهم بقية صالحة كافية من السليقة العربية فاذا قرأوا القرآن أو الحديث أو الأثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان فينفرون من التوسع في البحث ولا يعيرون سمعاً للاشكالات فلا يحتاجون للتدقيقات والابحاث التي تسبب التشديد والتشويش ، وأما غيرهم من الأمم الاسلامية فيتلقون العربية صنعة ويقاسون الغناء في استخراج المعاني والمنهومات ومن طبيعة كل كلام في كل لغة أنه اذا مخضته الأذهان تشعبت وتشتت فيه الافهام وربما جاز أن يقال في السادة الشافعية ولا سيما في علماء مصر منهم أن انطباعهم على سهولة الانقياد سهل أيضاً دخول الفنون الدينية المستحدثة عليهم ودماة أخلاقهم تأبى عليهم اساءة الظن ما أمكن تحسينه فلذلك حازت هذه الفنون التصوفية المستحدثة قبولاً عند علماء الشافعية الأولين

هذا وحيث قلنا ان من خلق المصريين سهولة الانقياد ولا سيما لاحقاً وكذلك غاماء الشافعية الأكراد كلهم أهل نظر وتحقيق فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصاً ما يتعلق منها بمظنات الشرك الجباب للمقت والفسك ولا شك أنهم يمتثلون أوامر الله في قوله تعالى (فَإِنْ تَسَارَعْتُمْ فِي نَبِيِّ قُرُونِهِ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) وقوله تعالى (اتَّبِعُوا مَا نَزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أُولَئِكَ هُم مِّنْ عِندِ اللَّهِ الشَّافِعِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ الْمُتَصَرِّعِينَ الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ السَّيِّدِ ، الْمُقَاوِمُونَ لِلْبِدْعِ وَالتَّشْدِيدِ ، وَالْحَقُّ أَنَّ التَّصَوُّفَ الْمُتَغَالَى فِيهِ لَا تَصَحُّ نَسْبَتُهُ لِمَذْهَبٍ مُّخْصُوصٍ فَهَذَا الشَّيْخُ الْحَيْلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَنْبَلِيٌّ وَصُوفِيٌّ

قال (الاستاذ الرئيس) ان أخانا العالم التجدي يعلم أن ما أقاض به عايننا لاغبار عاينه بالنظر الى قواعد الدين ووافم الحال وكفى بما استشهد به من الآيات الينيات براهين دامغة ، ولله على عباده الحججة البالغة ، وبعبارة التردد التي ختم بها خطابه يترك بها الحكم لرأي الجمعية ما هي لا نزعة من فقد حرية الرأي والخطابة فأرجوه وأرجو سائر الاخوان الكرام أن لا يتهينوا في الله لومة لائم ورأي كل منا هو اجتهاده وما على المجتهد سبيل وليعلموا أن رائد جمعيتنا هذه الإخلاص فالله كافل بنجاحها وغاية

كل منا إعزاز كلمة الله والله ضامن إعزازه قال تعالى «ان تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ»
نعم هذا النوع من الارشاد أعني الانتقاد على الاعتقاد هو شديد الوقع والصدع
على التأهين في الوهلة الاولى لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالباً على الورثة والتقليد
دون الاستدلال والتحقيق وجارية على التعاون دون التقانع . على أن أعضاء جمعيتنا هذه
وكافة علماء الهداية في الأمة يشربون والحمد لله من عين واحدة هي عين الحق الظاهر
الباهر الذي لا يخفى على أحد فكل منهم يحتاج في فكره ما يحتاج فكر الآخريين عنه أو
شبهه لكنه يهيب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال أمر المدلسين ويخاف
من الانفراد في الانتقاد ، في زمان فشا فيه الفساد ، وعم البلاد والعباد ، وقل أنصار
الحق ، وكثر التخاذل بين الخلق ،

ويسرني والله ظهور الثمرة الاولى من جمعيتنا هذه أعني اطمئنان كل منا على احابة
رأيه واطلاعه على أن له في الآفاق رفاقاً يرون ما يراه ، ويسبرون مسراره ، فيقوى
بذلك جنانه ، وينطلق لسانه ، فيحصل على نشاط وعزم في اعلاء كلمة الله ويصبح غير
هيباب لوم اللائمين ، ولا تحامل الجاهلين ، ومن الحكمة استعمال اللين والتدريج
والحزم والثبات في سياسة الارشاد كما جرى عليه الانبياء النذالام عليهم الصلاة والسلام
وقد بسنت ذلك في اجتماعنا الأول وسنلاحظه في قانون الجمعية الدائمة الذي نقرره
ان شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة في اجتماعنا
الآتية أما اليوم فقد انتهى الوقت وانتصف النهار

باب التربية والتعليم

(قوانين التعليم الرسمي — انتقاد)

(البند الرابعة تعام اللغة والتاريخ والعلوم)

انتقدنا في البند السابقة قانون التعليم الرسمي من حيث تعليم الدين ووددنا لو
نعلم لمطاردة المعارف عذراً نعذرنا على تلك العيوب وضروب التقصير ونشكلم في هذه
البند على تقصير القانون فيما يتعلق بتعليم اللغة العربية لغة الأم ، والبلاد وتعليم التاريخ والعلوم
الغيب العام الاكبر هو ما جاء في عرض كلامنا على اقتراح الجمعية العمومية أعني
مزاحمة اللغة الأجنبية للغة البلاد في التعليم الابتدائي وقد خرجت نظارة معارف

مصر في هذا عن سنة ائتمها الاوربيين كلهم فهي لاتجد لها دولة أوربية تقتدي بها . ولم تكتف بتعلم قواعد اللغة الاجنبية ومبادئها بل زادت على ذلك تعليم مبادئ العلوم بها فالتاريخ الطبيعي يتدأ به في السنة الثانية وله درس واحد في الاسبوع يقرأ بالعربية ثم يقرأ في السنتين الثالثة والرابعة باللغة الأجنبية وله فيها درسان في كل أسبوع فكان دروس السنة الثانية تمهيد لما يمدى فتكون لغة البلاد وسيلة لامقصد . وكذلك الحال في علم تقويم البلدان الا ان دروسه في الثالثة والرابعة ثلاثة في كل أسبوع . ومن نظر في جدول توزيع حصص الدروس في التعليم الثانوي لايري بازاء خصوط اللغة العربية من الجدول الا النقط والاصفار فالعلوم كلها تقرأ باللغة الاجنبية وهي الحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان والتاريخ والطبيعة والكيمياء والرسم . وكأن « الضمانات الخمس » التي قدمها ناظر المعارف لنواب الامة في الجمعية العمومية هي التي جعلت دروس الترجمة من حصص اللغة العربية في الجدول الابتدائي والثانوي ليزيد العدد فتقتنع الامة بان لغتها قد اعتني بها وادخلت فيها العلوم والفنون ولكن هذا غش وخداع فان الترجمة كما تكون من اللغة الاجنبية الى العربية تكون بالمعكس والناية الكبرى فيها باللغة الاجنبية ومعلومها هم معلمو اللغة الاجنبية وأكثرهم غير بارع بالعربية فكان الاقرب الى الصواب ان تعد الترجمة من دروس اللغة الاجنبية . فدروس الاسبوع في التعليم الثانوي ٣٣ درساً ثمانية منها للغة العربية نفسها (النحو والصرف والبلاغة) والباقي للغة الانكليزية تسعة لنفس اللغة وواحد للترجمة والباقي للعلوم . وما يدل على ان حصص الترجمة تعد من دروس اللغة الاجنبية اإهمالكلام عليها في الفصل الذي يشرح كيفية تعليم العربية من القانون وذكرها في الفصول التي يشرح فيها كيفية تعليم اللغة الاجنبية

الأمر التي تهتم الامة في التعليم وتود انضمان عليها ثلاثة — الدين وهو في المرتبة الأولى واللغة وهي في المرتبة الثانية والتاريخ وهو في المرتبة الثالثة . فأما الدين فقد بينا وجوه تقصير المعارف فيه وجمله كالرسم الدارس

وأما اللغة العربية فتقصرها فيها من وجهين أحدهما نسبي وهو جعلها دون اللغة الأجنبية والواجب أن تكون فوقها وثانيهما عدم تعليم العلوم والفنون بها والواجب أن تجعلها لغة العلم لأن الأمة لانحيا حياة حقيقية الا يجعل لغتها لغة العلم ليتسنى بذلك تعليم العلم فيها فتكون حياتها العلمية ممددة لحياتها المعاشية والقومية . واذا نحن جعلنا للعلم لغة ولسائر الشؤون لغة أخرى نكون قد جعلنا في مقومات حياة الامة تنازعا

ينصل العلم عن العمل ولا يمكن أن يكون العلم مرشداً إلى العمل والعمل منبعثاً عن العلم إلا إذا كان العامل عالماً ونتيجة هذا من غير تطويل بشرح المقدمات أن أحد الأمرين واجب لكمال الحياة إما نقل العلم إلى لغة الأمة وهو المعقول المقبول وإما نقل الأمة إلى لغة العلم الطارئ وهذا إعدام الأمة وجعلها غذاء ومعدة الأمة التي تنتقل إلى لغتها وما اخلال أن ناظر المعارف ورجال «ضمانات الجنس» من أمته يرضون بذلك سرّاً وجهرّاً فإن كان لهم من الأمر شيء فيعلموا أبناء الأمة العلوم بلغتها وإن كانوا مغلوبين على أمرهم للمستردنلوب ومن ينصره فلا يعارض ناظر المعارف الجمعية العمومية في طلبها عرض قوانين المعارف على مجلس الشورى ولا يكابر نفسه وقومه بزعمه أن قوانين نظائره موافقة لمصلحة الأمة ومؤيدة منها «بخمسة ضمانات» !!

وأما التاريخ فهو عند جميع الأمم الحية قوام التربية الاجتماعية به تنفخ روح محبة الجنس والأمة والوطن في الناشئين فتعليم التاريخ كانت ألمانيا ألمانيا وانكلترا انكلترا وفرنسا فرنسا فالغرض الأول من علم التاريخ معرفة الإنسان أمته أو معرفته نفسه من حيث هو أمة تم معرفته سائر الأمم لمعرفة مكانه منها ومكانها منه وبذلك يحصل الإنسان العلم النافع الذي هو غاية كل تربية وتعليم وهو الذي عرفه حكيمنا الامام بقوله «العلم ما يعرفك من أنت ممن معك»

إذا كان هذا هو الغرض من التاريخ فقد أصابت الأمم الأوروبية بتلقين الناشئين في أول الأمر تاريخ أمتهم مفصلاً تفصيلاً وجمالهم تاريخ بقية الأمم في الدرجة الثانية فاللميذ عندما لا يعرف شيئاً من عظمة غير قومه وأمته إلا بعد أن يشرب قلبه عظمة سائمه وجبههم وحب بلادهم • ويقال إن أكثر الألمان لا يكادون يتعاملون شيئاً عن غير بلادهم وأمتهم إلا إجمالاً لأن الواجب في رأيهم على كل إنسان أن يعرف نفسه وقومه الذين سعادته بسعادتهم وشقاؤه بشقاؤهم • وأما معرفة أحوال بقية الأمم فلأنما تجب على طائفة من الناس كالذين يتصدون للسياسة والتعليم ونحو ذلك مما يحتاج فيه إلى معرفة تاريخ الآخرين وأحوالهم

على هذا كان الواجب على نظارة معارفنا أن تجعل تاريخ الإسلام والمسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين في مقدمة هو أول ما يدرس في نفوس تلامذتنا وأن تتوسع في تاريخ جميع الدول الإسلامية وبيان أسباب تقدمها وتأخرها حتى تنتهي بالدولة العثمانية والبلاد المصرية جزء منها وبعد هذا كله تلقن التلامذة بالإجمال تاريخ سائر الأمم لاسيما المجاورة للممالك الإسلامية ليعرفوا نسبتهم إلى قومهم ونسبة قومهم إليهم •

ما أدت نظارة المعارف هذا الواجب ولا رعته حق رعايته فلها لم تعتبر جنسية قومها في الدين ولا في اللغة ولا في الحكومة (وهي العثمانية) ولكنها اعتبرت أن جنسيتها نسبتها الى مصر وان ساق هذه الأمة الغربية هم الفراغة والرعاة واليونان والرومان والعرب وخلفها الترك فهي والأوشاب تعلم التلامذة في الطور الابتدائي تاريخ هذه الأمم الكثرة بهذا الترتيب .

وأما تعليم التاريخ في القسم الثانوي ففي السنة الاولى منه يعلمون تاريخ الرجال وذكورهم في التانوس وليس فيهم مسلم ولا عربي الا محمد على باشا واسماعيل باشا أميري مصر . وفي السنة الثانية أقسام (١) الدولة الرومانية (٢) الدولة الانكليزية (٣) الحروب الصليبية (٤) الدولة العثمانية (٥) عظم دولة اسبانيا وفيها الاصلاح المسيحي (٦) عظم فرنسا (٧) ارتقاء روسيا وفيه تاريخ المسئلة الشرقية وما فقدته الدولة العثمانية من أملاكها وتغلب روسيا عليها واضعافها... (٨) ارتقاء بروسيا (٩) نابليون (١٠) المستعمرات الاوربية . وفي السنة الثالثة أقسام أيضاً (١) قيام أم أوروبا (٢) نمو الحرية السياسية في أوروبا (٣) المدنية عند جميع الأمم ما عدا المسلمين (٤) تقدم مصر (٥) أسباب ارتقاء واضمحلال الأمم باختصار . وكل هذا يعلمه الاوربيون بلغتهم فاعتبري أيتها الأمة المصرية بصمانات تأملر المعارف الخمس ، واطمئني له ولها...

ما أجدر هؤلاء التلامذة بأن يشبوا لا يعرفون لهم أمة ولا جنساً ينتمون اليه ويفتخرون به ويعملون على احياء مجده ومجيد نفعه . بل ما أجدرهم بفساد الفطرة التي تراها في بعض احداثهم الذين ينادون بالوطنية المصرية بغير عقل . فان قيل لهم هل الوطني المصري هو من يسكن مصر ويتخذها وطناً قالوا : لا لا ان ممن يسكنها النزلاء الافرنج وهؤلاء محترمون في الظاهر وبمفضون في الباطن ومنهم الدخلاء العثمانيون من سوريا وغيرها وهؤلاء يمتقون في الظاهر والباطن . وان قيل لهم هل الوطني المصري ما كان من سلائل القبط والفراغة فيجب أن نبغض من يسكن مصر من سلائل العرب والترك والأرثوذكس الجراكسة وان كان حكامنا منهم؟ قالوا : لا لا ان الجنس النبطي هو شر الاجناس قدسيه وطنيا ظاهراً ولكنا في الباطن نفضل عاين المسلمين المصريين . فان قيل لهم : ان ان جنسيتكم هي الاسلام فيجب أن تعصموا مع كل مسلم من أي مملكة كان . قالوا : لا لا ان هذا ينافي (الوطنية الحقة . واننا لانعتد الا بالمسلمين المصريين الاصليين لا الذين سكنوا مصر من عهد قريب . فهذه الذبذبة والخيرة عند هؤلاء الاحداث من المسلمين ليس لها سبب أقوى من

هذا التعليم المذبذب . وظاهر ان نتيجة هذا التعليم الجناية على الرابطة الدينية وعلى الرابطة اللئوية وعلى الرابطة الوطنية لأن هؤلاء الاحداث لاجبون كل أبناء وطنهم بحيث يفضلونهم على سواهم . نعم ان مضرته وفساده في القبط أقل منها في المسلمين فان التبطي المتعصب يقول ان المصري هو القبطي فقط وقتل من عداة دجيل . وغير المتعصب يقول ان المصري هو من يقيم في مصر ويتخذها وطناً ينفعها ويتفجع منها سواء كان شرقياً أم غربياً مسلماً أم مسيحياً . ولا يقول بهذا القول الا أفراد قليلون على اني أحكم بوجودهم بالرأي والتخيل لا بالمعرفة والاختبار

رب قائل يقول ان غرض الحكومة أن تربي الناشئة على هذا الرأي . ونحن نقول ان هذه غاية لا تدرك الا بمحو الدين وذلك معذور على الحكومة اذا فقدت الدين وأرادت محوه ولكن حكومة البلاد اسلامية والشعب الكبير اسلامي واذا وجدت آداب الاسلام الحقيقية فهي تقتضي الوطنية الحقيقية وهي اتفاق جميع سكان البلاد على ما فيه خيرهم وخير بلادهم ومعاملة الجميع بالعدل والمساواة بينهم بالحقوق وقد أوضحنا هذا في مقالة (الجنسية والبيان الاسلامية) فلتراجع في المجلد الثاني والله أعلم

اتان عليا الشريفة

الهدايا والتقاريظ

(كتاب حاضر المصريين أو سر تأخرهم) كتاب صنفه أحد شبان المصريين النجباء المولدين بالبحث وهو أحمد افندي عمر أحد مستخدمي مصلحة البريد تكلم فيه على حالة المصريين الاجتماعية في معيشتهم وكسبهم وعاداتهم وآدابهم وعلمهم وقد جعله ثلاثة أقسام قسم الاغنياء وقسم للمتوسطين وقسم للفقراء . ولا شك أن المؤلف قد تعب في الوقوف على عادات الطبقات الثلاث في المحبة والزواج والعشرة بين الزوجين وتربية الاولاد وتعليمهم وعاداتهم في الثقة والبذل والاهتمام . وفي معرفة أحوالهم في التجارة والزراعة والصناعة والطباعة والكتب والجرائد التي تنشر فيهم . وبمحنة في جميع هذه المسائل بحث انتقاد صحيح فيبه الافكار المستعدة الى السعي في اصلاح الخلل واثقاء الزلل . ولا ينفع الناس شيء مثل علم ما هم فيه من نافع وضار

لذلك نقول ان هذا الكتاب من أنفع ما كتب في العربية في هذا العصر

الكتاب تحرى الصواب وبيان الحقائق بقدر الاستطاعة مع الوقوف عند حدود الأدب فإن قصر في بعض المسائل فعذره انه لم يستمد من كتب مؤلفة ينقل عنها بسهولة وانما استمد من المشاهدة والاختبار وان ما تسى من ذلك له كثير على من كان مشغولاً بوظيفة صغيرة كوظيفته تستغرق معظم أوقاته في خدمتها وقد طالعنا جملة صالحة من الكتاب فوافقناه في أبحاثه وقد اتفقتنا عليه التصدير في تصحيح عبارة الكتاب وعدم بدئه بالبسملة الشريفة عملاً بالحديث الشريف واتباعاً لسنة المسلمين سلفهم وخلفهم . وقد قرظ الكتاب القاضي الفاضل أحمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر وأجازه وأثنى عليه وبدأ تقريره بسنة البسملة على أن العادة لم تجر بذلك وكأنه أراد مع اتباع السنة تنبيه المؤلف على تركها بالعمل دون القول

أقول اني لا أوفي هذا الكتاب حقه في التقرير لا ينقل بعض فوائده في أجزاء أخرى على أنه هضم حق المنار عند كلامه على الجرائد الدينية فإنه لم يكتب عنه إلا جملة وجيزة في الهامش اعترف فيها بعناية المحجة بالإصلاح الديني والتنفير عن البدع ولكنه عرض فيها بنا بأن الأمور الشخصية سبباً علينا وقد ظهر لنا منه أنه رجع عن هذا الرأي والله أعلم بالسرار وهو الموفق للصواب

(كنز الجواهر في تاريخ الأزهر) كتاب مختصر ألفه الفاضل الشيخ سامان رصد الحنفي أحد المشتغلين بالمعلم في الجامع الأزهر الشريف وأهل الأزهر أجدر الناس بمعرفة تاريخه والتأليف فيه . الكتاب يشتمل على مقدمة ذكر فيها بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستطرد منها إلى الفتح الإسلامي الذي كان منه فتح مصر وفيها الكلام على جامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون . وبيلي المقدمة خمسة مقاصد أحدها في ابتداء تأسيس الجامع وما عرض عليه بعد ذلك ويجدد فيه وثانيها في أروقة الأزهر ومؤسسه لها وثالثها في شيوخ الأزهر وأشهر علمائه لهذا العهد ورابعها في الحوادث الشهيرة كحادثة رواق الشوكة في أثناء الوفاء وخامسها في عادات أهل الأزهر ويتلو ذلك خاتمة في الإحصاء وفيه عدد المشتغلين بالمعلم في القنطرة المصرية وبيان مواضعهم

ومما ذكر من عادات أهل الأزهر انه لا يمكن لأحدهم أن يعمل عملاً يكتب به لافي (لا يفتقر ولا يبعده) قال (من اذا احتل شيئاً يتفح به بعد في أعين أتباعه كأنه افتقر ذنباً عظيماً) وذكر أن هذه هي علة فقرهم . وذكر أن غير المصريين

من المجاورين في الازهر أحسن حالا من المصريين في المعيشة والنظافة . وذكر من أسباب وساخة المصريين في ابدانهم وثيابهم وآنيهم الانهماك في الطلب وما يقع بين المشتركين منهم في المعيشة من العناد والتواكل وقلة ان يبين ان الاشتراك هو الذي يساعد على النظافة لتوزيع الاعمال وان الوساخة واختلال نظام المعيشة يشوش الذهن ويضعف العقل فلا يفيد معه الانهماك في الطلب كثيراً . قال : « وأما عاداتهم في الاكل وهو غالب اكل المجاورين فهو فول مدمس ونابت وطعمية ومخللا وكرائاً وغير ذلك من الاشياء التافهة لفقرهم بلا فرق بين مصري وغيره وكذلك غالبيتهم يقوم بمهله بنفسه كغسل ثياب وطبخ وغير ذلك . هذه عبارة بحرف وفها ويسوء ما جدام اراد في الكتاب منها من كثرة الغلط والخطأ

ثم ذكر كيفية القاء الدروس والمطالعة قال (واعتناهم فيها بنظم العبارات وحل التراكيب والمناقشات بالاعتراضات والاجوبة عنها والاطلاق والتقييد والمفهوم والمنطوق وغير ذلك من غير اعتناء بالحفظ فتجد كثيراً منهم بجرا العلوم في الفهم في الكراس واذا سئل من خارج فقل ان يجب اعدم استحضاره) اه بالحرف أيضاً والكلام صحيح وصريح في انه لا غناية عندهم بتحصيل ملكة العلم وتكيف النفس بها بحيث تكون قادرة على الكلام في المسائل عند السؤال وانتاسبة وانما العلم الذي يكونون فيه بحاراً زاهرة هو المناقشة في عبارات الكتب التي يقرؤنها واعادة ما كتبه الشراح وأصحاب الحواشي على المتن قراءة

وبالجمل ان في الكتاب فوائد لا توجد في غيره من المصنفات في تاريخ الازهر التي هي أوسع منه وأحسن تحريراً وصفحات الكتاب تزيد على ٢٠٠ وثمنه خمسة قروش وبطلب من جميع المكاتب المشهورة بمصر والاسكندرية وطنطا فتحت على قراءته (شذا العرف . في فن الصرف) كتاب صنفه الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد الحللاوي مدرس العربية في مدرسة دارالعلوم سابقاً . وقد تصفحت بعض أوراقه ورأيت تقسيمه وتبويبه فظهر لي انه أحسن كتاب لتعليم هذا الفن . وكان طبع في سنة ١٣١٢ باذن نظارة الداخلية بناء على شهادة الشيخ الانبائي شيخ الجامع الازهر لذلك العهد بصحته وخلوه من الخطأ . وقد طبع في هذه السنة طبعة ثانية بالمطبعة الاميرية بعد تنقيح وازافة كثير من الامثلة والشواهد وهذا من مزايي الكتاب فتحت كل طالب لفن الصرف على قراءته

(كتاب الحساب) كتاب يؤلفه الفاضل عوض أفندي خليل، مؤسس وناظر مدرسة الاجتهاد الوطنية ببولاق وصاحب مجلة السمر الصغير المدرسية . وقد أصدر الجزء الاول منه وأودعه ماهو مقرر للتعليم في السنة الاولى الابتدائية بحسب قانون التعليم في المعارف (البروغرام) فبحث التلامذة على الاستفادة منه

(المستظرفات) كتاب وضعه الاديب ابراهيم أفندي زيدان جمع فيه من كتب الأدب والتاريخ كثيراً من النواادر الأدبية والفكاهية والغرامية وطبع في مطبعة الهلال على نفقة مديرها الهمام ميري أفندي زيدان وثمن النسخة منه خمسة قروش ويطلب من مكتبة الهلال وهو مما يرغب فيه الناس فلا حاجة الى الترغيب فيه

(كتاب رسائل ارشاد الأفكار . الى طريق الابرار) لاشريف منصور أفندي رئيس جمعية التعاون الاسلامي . وقد كتب هذه الرسائل في مسائل سئلتها فاجاب عنها بفهمه واجتهاده على طريقة المتصوفة وقد تصفحنا بعض صفحاتها فعلمنا منها اننا نخالقه في بعض مسائلها ولا سعة معنا في الوقت الآن لقراءتها وبيان مآزها صواباً وما نراه منتقداً وربما يسمح لنا الوقت بذلك بعد

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِلْهَامِ

﴿ حرب فرنسا والسنوسي ﴾

كتب بعض كبار التجار في طرابلس الغرب الى صديق له في بعض البلاد وكان سألته عن أخبار بلادهم ما نصه بحروفه :

«وردنا جواب من بومّة تاريخ ١٩ ماي افرنجي ووصل لطرفنا تاريخ ١٤ ربيع اول سنة ١٣٢٠ قال فيه بعد السلام : . وبعد أخي فقد تم البحث الذي وقع علي كما اخبرتك في شأن سيدي المهدي (يعني الشيخ السنوسي) ولما ان كانت نيتي طبق الاحسان والصدق مع الله تعالى وخلقك سلمت والحمد لله على كل حال . والان انا سافرت الى فرانسه ثم ارجع الى قسطنطينه الجزائر ثم اسافر من هناك ثانياً فالمطلوب

من فضلك الكريم ان تجعل لنا جوابا على كل مسألة داخل جوابنا هذا وتسال خليفة سيدي المهدي ولا تذكر لي الا الخبر الصحيح

اولا : ماهي الاخبار الواردة لكم من ناحية داركانم . و . البركو . وزاوية الشيخ سيدي المهدي بعد ما وقع من الحرب بين الفرنسيين وعرب أولاد سليمان والتوارق واستيلاء فرانسه على . بير هلالى .

ثانياً : هل يرضى الشيخ سيدي المهدي بالصلح مع دولة فرانسه بواسطتي فان كان يقبل وان كان عرضه المافية لصالح الجميع فخيرني بذلك فاكلم الدولة الفرنسية ويكون الخير ان شاء الله وان كان نيته الحرب مع فرانسه والجهاد خير لي وانصحني وقل للخليفة يعرفك بالحقيقة ولا يستخوش مني أبداً . لا بد تعرفني بحقيقة الامر . وان وجب السفر الى طرابلس فعرفني أقدم الى طرفكم ؟
ثالثاً : ما بلغ اليكم من اخبار واداي ؟

رابعاً : ماهي أحوال اخوان طريقة سيدي المهدي مع دولة الأتراك هنـ
اعتقاد الاخوان مثل الزمان الاول أم لا ؟

خامساً : من مات من الأعيان في المحاربة التي وقعت في بير هلالى ؟ عامي بذلك الشيخ سعد البراني والشيخ غيظ والشيخ شرف الدين وغيرهم اهـ

قال التاجر : « حاسله : وقعت محاربة كبيرة بين دولة فرانسه والشيخ سيدي المهدي وأكّلتها دولة فرانسه وأن الجواب الوارد لنا هو من نفس مهندس طائفة فرانسه نحن نرسله الى جنجوب ونحكي لهم بالكيفية وهم يعرفون شغلهم . بيتنا ينصر الاخوان على القوم الكافرين . وبر السوادين واقع فيه حرب واليوم صار لدولة فرانسه مع المهدي مثل ما صار للانكليز مع الترانسفال ندعو الله أن يهلك دولة فرانسه . وأرسلنا جواب الى رجب خوجه المذكور وعرفناه هذه المسئلة لاتهمنا والسلام اهـ مكتوب التاجر والقارئ لهذا المكتوب يظهر له انه كتب عن معرفة وانه صدق لاشبهة فيه ولكن فيه شيئاً من الإيهام . قال الذي أرسل صورته لنا : جبدالو عامنا من هو صاحب التحرير المرسل الى التاجر وابن عمي بلدة بومة ؟ وما معنى قوله : تم البحث الذي وقع علي ؟ وقد ذكر التاجر صاحب المكتوب انه مهندس طائفة فرنسا وسماه رجب أو رجب خوجه . فما هذا السر ؟ هل الرجل مسلم كما يظهر من كلامه أو مسلم جبرافي (كما تقولون في المنار) يريد أن يتنفع من فرسة الحلاف بين السويسي وفرنسا ؟

او هو مسلم من مسلمي الجزائر وتونس موظف عند فرنسا ويريد أن يخدمها ويخدم سيده المهدي؟ وربما كان قوله « تم البحث » الخ إشارة الى أنهم فقتشوا عليه لكونه جاسوساً من قبل المهدي أو متهماً بالجسس . والذي حماني على هذا الظن قوله في آخر الجملة (سَأَمْتُ) . ويفيد قوله : (وتَسْأَلُ خَافَةَ سَيِّدِي الْمَهْدِي) أن للمهدي خليفة مقياً في طرابلس الغرب . والذي يجعل في النفس ريبة من قول صاحب المكتوب هو قوله : « ولا يستخوش مني أبداً » وقوله : « ما هي أحوال الإخوان مع دولة الأتراك » الخ

أما نحن فنعلم أن للسيد المهدي السنوسي خلفاء في طرابلس وكل بلاد افريقية الشمالية والوسطى وصحاريها ونرجح أن المهندس صاحب المكتوب جاسوس فرنسي كما أنه مهندس ولذلك لم يجاوبه التاجر عن أسئلته

﴿ مسيح الهند والمنار ﴾

سبق لنا رد على القائم في الهند المدعي انه المسيح الموعود به وعلى كتابه الذي سماه اعجاز المسيح ، وان كان قوله كالريح ، وسجته دون سجع شق وسطيح ، وقد ترجمت رد المنار عليه الجرائد الهندية ، واذا عته في تلك الممالك القصية . فاستشاط اثر جل غضباً ، وملاً النواحي سباباً وصخباً ، والمؤمن ليس بسباب ، ولا بذي ولا صخب ، فهل يكون المرسلون والمسحاء ، من أهل السفه والبذاء ، وهل ينزل الوحي على أهل الإلهام ، وتقام الحجة على الأنهم ، بالسخرية والاستهزاء ، والقول الهراء ، والانتصار للنفس ، ومكاراة الحس ، والتفجع والتبجح ، والتجرم والتذقح ، كما فعل هذا المدعي في الكتاب الذي لفته في الرد على « المنار » ، فكان مجابة الحزبي والعار وقد سماه « الهدى والتبصرة لمن يرى » ، ولمعهدت الهداية بشتم الوري ،

بعد أن أهدي اليه كتابه ، وارسل شتمه وسبابه ، كتب اليه أحد كبار علماء الهند من لاهور كتاباً يشكو فيه من انتشار البدع في الهند وقال فيه « الآفة التي لا تذكر ، والمعاناة التي لا تسطر ، هي فتنة المسيح الدجال الهندي الشهير بميرزا غلام أحمد القادياني ، فهي لا تنقطع كسير السواني ، وهو في زعمه الباطل مجدد مهدي ملهم محدث مسيح مرسل امام غسند شرذمة قليلين . ملهم من دنيا ولادين ، والحق انه رجل خيال ختار . بطال شطار ، يدعى الوحي والنبوة ، ويثبت للمسيح النبوة ، ويحرف

آيات القرآن بتأويلات فاسدة ، ويتنطع في أحاديث النبي بمخرجات كاسدة ، ثم ذكر هذا العالم مجادته اماماء الهند وافحامهم اليه وانصرافه لدعوة العلماء في غير الهند ومنهم الفقير صاحب المنار وانتقل من هنا الى ذكر ردنا على كتابه (اعجاز المسيح) وذكر ان الجرائد الهندية نقته عن المنار ، وكان له شأن في تلك الديار ، أثار من ذلك المدعي اشجانه . وأطاع بالسب لسانه . ثم رغب الينا في الرد عليه وقال : « فان لتحريركم وقماً في النفوس ، أشد من حرب البسوس ، » .

نعم ان من وظيفة المنار الرد على أمثال هذا المدعي ، ولو لم يرغب الينا فيه ذلك العالم الألمي ، ولكن الرد انما يكون على الشبهات ، التي تساق مسايق اليبينات . وليس لهذا المدعي شبهة يستند اليها . ولا تكأة يتوكل عليها ، الا ذلك المؤلف الذي هو حجة عليه . بل بهام منه تصوب لثبه . فقد ادعى انه معجز للبشر . لا تأتي بمثله القوى والقدرة ، فما هو وجه الإعجاز فيه . الذي جعله عمدة محذيه ؟ . ان قال ان العمدة . هي قصر المدة . فاني ألقته في سبعين ، ولا يقدر على مثل ذلك أحد من العالمين ، نقول : أولاً اننا لا نصدقك في هذا التحديد على انه طويل . فهل لك عليه من بينة ودليل . وثانياً ان كثيراً من العلماء ألفوا كتباً طويلة . في مدة قليلة ، ولم يدعوا أن ذلك من المعجزات . لأنه ليس من خواص العادات ، فافقناري الف شرجه على الايساغوجي في يوم من أقصر الأيام . ولم نجد به أحداً من الأنام . وثالثاً اننا نطالب منه محكمين من أهل الانصاف . يرضى بهم كل منا ومنه للحكم في مواضع الخلاف ، وعند ذلك نظهر له أننا نيط كتابه في اللفظ والفحوى . والماقبة كما قال الله تعالى للفقير . اعلم الناس أن تحدي النبوة والرسالة . لا يكون بالخطأ والجهالة ، وان ادعاء إقامة الدين وتأيد الشريعة ، لا يكون بتقويض أركانها الرفيمة . وتشويه محاسنها السنية السنية ، وان إصلاح نفوس المسلمين . لا يكون بشتيم العلماء والمرشدين ، وسنجل قبل تعيين المحكمين بالظهار بمض ما خالف فيه شريعة خاتم النبيين ، وموعداً الجزء الآتي أما الآن فالتنا نذكر بعض عباراته في الرد علينا ، وما وجه من الطعن الينا . ليعلم القراء . مبلغ آدابه ، وعساظته في خطابه . قال بعد ما زعم أنه آثرنا بكتابه (اعجاز المسيح) على علماء الحرمين و"شام والروم مانعه :

« ثم لما بلغ كتابي صاحب المنار ، وبلغه معه بعض المكاتب الاستفسار ، ما احتجني ثمة من ثمار ذلك الكلام ، وما انتفع بمعرفة من معارفه العظام ، ومال الى الكلم والايذاء ، بالاقلام ، كما هو عادة الحاسدين والمستكبرين من الانام ، وطفق يؤذي ويرزى

غير وان في الازراء والانتظام ، ولا لاوالى الكرم والاكرام ، كما هو سيرة الكرام ،
وعمدان يؤاني ويفضحنى في أعين العوام كالانعام ، فسقط من المنار الرفيع والقي
وجوده في الآلام ، ووطئى كالحصى ، واستوقد نار الفتن وحضى ، وقال ما قال وما
أمن كأولى النهى ، وأخذ الى الارض وما استشرف كأولى التقي . وخر بعد ما علا ،
وان الحرور شيء عظيم فما بال الذى من المنار هوى ، واشترى الضلالة وما اهتدى ،
أم له في البراعة يد طولى . سيزم فلا يرى . نبأ من الله الذى يعلم السر وأخفى
ثم قال : هـ وكنت رجوت ان أجد عندك نصرتي ، فقامت لتندد بهواني وذلتى ،
وتوقعت . ان يصلني منك تكبير التصديق والتقديس ، فأسمعتني أصوات النواقيس ،
وظننت ان أرضك أحسن المراكز ، فخرحتني كالأكز والواكز . وذكرتني بالنوش
والنمش والسبعية ، نبذاً من أيام الحصائل القرعونية . واست في هذا القول كالمستند ،
فان الفضل لا يتقدم . وكنت أتوقع ان يتسرى بمواخاتك همى ، ويرفض بجندك كتيبة
ي . فالأسف كل الأسف ان الفراسة اخطأت ، (أى فلم يصدق عليه حديث
نوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ، لانه ينظر بظلمة غمره) والروية ما تحققت .
جدت بالمعنى المنعكس ريك ، (وهنا اشارة قبيحة تليق بقائها ولا تليق بزاهة من
تفهم الله تعالى لمداية خلقه) فهذه نموذج بعض مزاياك ، (أنت النموذج وكم
مذكرا) وعلمت ان تلك الارض أرض لا يفارقها النطق ، وتفور منها الى هذا
بيت ناز الكبرياء العلى . فعفى (كذا) الله عن موسى . لم تركها وما عفى . (وهذا
الأدب .) . أما موسى الكليم ونسب اليه الخطأ والذنب والتقصير . على ان نعلم
مصر واهلاكها بيد الله لا بيده عليه السلام)

ثم قال بعد مكابرة في ردنا على كتابه ونسبته للباط والتكلف مانعه : : وحيثك
حيباً يريحني كنسيم الصباح ، قرأيت كمدوساكي (كذا) السلاح ، وخذت منك
تهدير بصوت مبشر كالحمام ، فأريت وجهك المنكر كالحمام ، وأعجبني حديثك وشدتك
من غير التحقيق (كذا) . فأخذني ما يأخذ الوحيد الحائر عند فقد الطريق ، الكفى
اسررت الامر وقلت في نفسي لعله تصحيف في التحرير . وما عمدت الى اتوهين
والتحقير . وكيف قصد شرأ لا يزول سواده المعاذير . وكيف يمكن الجهر بالسوء
من مثل هذا التحرير ، (يذم ويمدح) ولما تحققت انه منك تقلدت اسلحتي
للجهاد ، وقلت مكانك يا ابن العناد ، وعلمت أنك ماتكلمت بهذه الكلمات ، الا



حسداً من عند نفسك لا لإظهار الواقعات ، (اني لا أدعي المسيحية فأحسده على دعواها ولا شيء آخر يحسد عليه) فابتدأت قصداً ، ايلاً يصدق الناس حسداً ، فان علماء ديارنا هذه يستقرون حياة الازراء ، فيستنفزهم ويحجروهم علي كلما قلت للازدراء ، ولولا خوف فسادهم لسكت ، ورافقوهم وما تجللت ، ولكن الآن أخاف على الناس ، وأخشى وسوسة الخناس ، وان بعض الشهادات ، أبلغ من الضرب بالمرهفات ، فأخاف أن يجدد الاشتغال من كلمات النار ، ويسقط ميمه ويبقى على صورة النار .

ثم ادعى انه كان غاب علماء الهند وسرق سمجعات من كلام الحريري وقال : « فالآن أحيي النائم بعد الممات ، وشهد النار عضدهم بالخز عبيلات ، (كذا) فأرى انهم يتصلفون ، يستأنفون القتال ، ويبغون الفضل ويخدعون الجهال ، ويرجعوا الى شرهم وزادوا شداً ، بما جاء النار شيئاً اذاً ، وجاز عن التقصد جداً ، (كذا بالزاي والحريري استعملها بالراء من الجور) فأكبر كله حزب من العميين ، الخ

ثم ذكر انه كثيراً ما كان يغضي عن المعرضين والمزدرين وقال : « ولكن رأيت أن صاحب النار ، عظم في عين هذه الاشرار ، (كذا) وأكبر شهادته بعض زاملة النار ، وكانوا يذكرونها بالعمي والاسحار ، فبافني ما يتخافتون ، ويرت على ما يسرون ويأتمرون . وأخبر أنهم يضحكون علي وفي كل يوم يزيدون ، — الى أن قال في صاحب النار ، : بل أصر على لآراء في الجريدة ، فأكل الحاسدون حصيدة لسانه كالعصيدة ، وتلقفوا قوله وجددوا الخصومة بعدما قطعوها كما هو من شيم القران البليدة ، وحسبوا أنه كالاساحة الجديدة ، وأشاعوها في الأخبار (الجرائد) والجوائب الهندية . وكتبوا كلما يشق سمعها على الهمم البريئة المبرمة . وأذوا قاي كما هي مادة الرذل والسفهاء ، وسيرة الأراذل من الأعداء ، ثم قال : « وما أنظني أن يكتب النار من معارف كمارف كتابي ، ويرى ريقاً كبريق ما في قرابي ، ثم مع ذلك تناجيني نفسي في بعض الاوقات ، ان من الممكن أن يكون ما ير النار بريئاً من هذه الإلزامات ، ويمكن أنه ما عمد الى الاحتقار والتطاح كالجماعات ، بل أراد أن يمصم كلام الله من سفار المضاهات . وانما الاعمال بالنيات ، (وههنا حاشية في الأصل ذكر فيها انه يشي ان سبب غيظي منه حكمه بمنع الجهاد) وان كان هذا هو الحق فلا شك انه ادخل في هذه المقالات ، كثيراً من الدرجات ، وأى ذنب على من سبني لحاية الفرقان ، لا للاحتقار وكسر الشان ، — الى ان قال : — « ولكنني معتذر كمثل اعتذاره ، فان الفتن قد انتشرت من أقواله وأخباره ، الخ الخ

يؤتى الحكمة من بناء ومن يؤتى
الحكمة فقد أوفى خيراً كثيراً وما
يبكى إلا أوفى الألباب

الاحتفال

١٣١٥

فبشر عبادى الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أو أتاك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام صوى و ه مناراً ه كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ هـ - أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢)

﴿باب المقام من الامالى الدينية﴾

(الدرس ٣٦) محمد رسول الله وخاتم النبيين

الكلام في نبوة خاتم النبيين لا يتجلى للمقول كمال التجلي الا بعد بيان
مستلثين تجملان مقدمة له — احدهما بيان حاجة البشر الى رسالته العامة
والثانية بيان استعداد الناس لها

(المسئلة ١٠١) حاجة البشر الى هداية عامة الحاجة الى بعثة النبي عليه
الصلاة والسلام في الجملة تعرف من البحث في حاجة البشر الى ارسال الرسل
كما تقدم في الدرسين ١٨ و ١٩ (راجع المنار ٩ و ١٤٠٠ - ٤) ولا يوجد في اعداء
الاسلام المؤمنين بالوحي والنبوة عاقل ينكر أن العرب كانوا في اشد
الحاجة الى بعثة رسول منهم ينتاشهم من تلك الوثنية، ويخرجهم من هاتيك
الجهالة والهمجية، وأن تأثير هداية محمد فيهم كان مثل تأثير هداية موسى
في بني اسرائيل او اعظم واظهر ولكن الذين ينكرون حاجة الناس كافة الى
هذه الهداية الالهية على لسان محمد عليه السلام كثيرون. وانما حال بينهم
وبين معرفة هذا الحق المبين التقليد الاممي. فالتقليد اعدى اعداء الحق في
الدين والعلم وفي كل شئ. لأن المتأد ليس له عينان فينظر في الدلائل
والبرهان، بل ينكر الحس والعيان، ويكابر الوجود والوجدان، وإنما نكتب
ما نكتب ليزداد الذين آمنوا ايماناً وليمتبر اصحاب المقول المطلقة والافكار
الحرّة من غير المؤمنين

بيان حاجة جميع الامم الى الإصلاح المحمدي يتوقف على معرفة
تاريخ الامم قبل الاسلام لاسيما تاريخ اهل الكتاب الذين يدعون ان في

كتبهم ما ينفي عن هداية الاسلام واصلاحه . ولا يمكن سرد تاريخ الامم
تفصيلاً في التمهيد لمسئلة من مسائل العقائد ولكن في الاجمال مع الاحالة
على كتب التاريخ غناء . وقد كتب استاذنا الامام نبذة في ذلك وافية بالمرام
في « رسالة التوحيد » التي هي حجة الاسلام في هذا الزمان وما بعده
الى من شاء الله واننا نقبسها هنا فانظر هذه البلاغة في الإيجاز ، التي تكاد
تبلغ به حد الإعجاز ، قال حفظه الله :

« ليس من غرضنا في هذه الورقات أن نلم بتاريخ الامم عامة وتاريخ
العرب خاصة في زمن البعثة المحمدية لنين كيف كانت حاجة سكان
الأرض ماسة الى قارعة تهز عروش الملوك وتزلزل قواعد سلطانهم الفاسم
وتخضع من أبصارهم المعقودة بعنان السماء ، الى من دونهم من رعاياهم
الضعفاء ، وإلى نار تنفض من سماء الحق على أدم الأنفس البشرية لتأكل
ما أعشوشبت به من الأباطيل القائلة للعقول . وصيحة فصحي
ترعج الغافلين ، وترجع بالباب الداهلين ، وتنبه المرؤسين ، الى أنهم ليسوا
بأبعد عن البشرية من الرؤساء الظالمين ، والهداة الضالين ، والقادة
الضالين ، وبالجملة تؤب بهم الى رشد يفيم الانسان على الطريق التي سنها
الله له ^(١) « إنا هدينه السبل » لينبغ بسلوكة كما له ، ويصل على نهجها الى
ما أعد في الدارين له ، ولكننا نستعير من التاريخ كلمة يفهمها من نظر فيما
اتفق عليه مؤرخو ذلك المهد نظر إيمان وإنصاف

كانت دولتنا العالم ^(٢) — دولة الفرس في الشرق ودولة الرومان

١٠ المراد بالطريق فطرة الله التي فطر الناس عليها ٢٠ شروع في بيان الكلمة
المستعارة قال في الدرس : وفاتني وقت الكتابة ذكر دولة الصين فإنها كانت أيضاً مزقة

في الغرب - في تنازع وتجادل مستمر . دماء بين العالمين مسفوكة ، وقوى منهوكة ، وأموال هالكة ، وظلم من الإبحن حالكة ، ومع ذلك فقد كان الزهو والترف والإسراف والفخخة والتفنن في الملاذ بالنفد حاد مالا يوصف في قصور السلاطين والامراء والقواد ورؤساء الأديان من كل أمة وكان شر هذه الطبقة من الأمم لا يقف عند حد فزادوا في الضرائب وبالغوا في فرض الأتاوات حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم وأثروا على ما في أيديها من ثمرات أعمالها وانحصر سلطان القوي في اختطاف ما بيد الضعيف . وفكر العاقل ، في الاحتيال لسبب الغافل ، وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب ضروب من الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب لفقد الأمن على الارواح والأموال .

نمرت مشيئة الرؤساء ارادة من دونهم فماد هؤلاء ، كأشباح اللاعب يديرها من وراء حجاب ، ويظنها الناظر اليها من ذوي الالباب ، فقد بذلك الاستقلال الشخصي وظن افراد الرعايا أنهم لم يخلقوا الا لخدمة ساداتهم وتوفير لذاتهم كما هو الشأن في العجاوات مع من يقتنيها . ضلت السادات في عقائدها وأهوائها وغلبتها على الحق والمدل شهواتها ولكن بقي لها من قوة الفكر أروا بقاياها فلم يفارقها الحذر من أن يعيص النور الالهي الذي يخالط الفطر الانسانية قديفتق الغلف التي أحاطت بالقلوب ، ويحرق الحجب التي أسدلت على العقول ، وتهتدي العامة الى السبيل ، ويشور الجلم الفقير على العدد القليل ، ولذلك لم ينفل الملوك والرؤساء أن ينشئوا سحبا من الاوهام ، ويهيؤوا كسفاً من الاباطيل والخرافات ،

بالحروب الاهلية والحرب مع الزكمان وسند كرها في طبعه ثانية ان شاء الله تعالى

ليقتفوا بها في عقول العامة فيلفظ الحجاب ويعظم الرين ويختلق بذلك نور
 الفطرة ويتم لهم ما يريدون من المغلوبين لهم . وصرح الدين بلسان
 رؤسائه انه عدو العقل وعدو كل ما يثمره النظر الا ما كان تفسير الكتاب
 مقدس . وكان لهم في المشارب الوثنية يتابع لا تنضب ، ومدد لا ينفد ،
 هذه حالة الاقوام كانت في معارفهم ، وذلك كان شأنهم في معاشهم ، عبيد
 أدلاء ؛ حيارى في جهالة عمياء ، اللهم الا بعض شوارد من بقايا الحكمة
 الماضية ، والشرائع السابقة ؛ أوت الى بعض الأذهان ومعها مقت الحاضر ،
 ونقص العلم بالغابر ، ثارت الشبهات على أصول المقائد وفروعها بما انقلب
 من الوضع ، وانعكس من الطبع ، فكان يرى الدنس في مظنة الطهارة ،
 والشره حيث تنتظر القناعة ، والدعارة حيث ترجى السلامة والسلام ؛ مع
 قصور النظر عن معرفة السبب وانصرافه لأوّل وهله الى أن مصدر كل
 ذلك هو الدين . فاستولى الاضطراب على المدارك وذهب بالناس مذهب
 الفوضى في العقل والشرعية مما . وظهرت مذاهب الإباحيين والدهريين
 في شعوب متمددة وكان ذلك وبلا عليها فوق ما رزئت به من سائر الخطوب .
 « وكانت الأمة العربية قبائل متخالفة في النزعات ، خاضعة للشهوات ،
 نخر كل قبيلة في قتال أختها وسفك دماء أبطالها ، وسبي نسائها وسلب
 أموالها ، تسوقها للمطامع ، الى الملامع ، ويرين لها السيئات ، فساد الاعتقادات ،
 وقد بلغ العرب من سخافة العقل حدّا صنعوا اصنامهم من الحلوى ثم عبدوها ،
 فلما جاعوا أكلوها ، وبلغوا من تضعضع الأخلاق وهنأقتلوا فيه بناتهم
 تخلصا من عار حياتهن ، أو تنصلا من نشأت معيشتهن ، وبلغ الفحش
 منهم مبلغا لم يعد معه لعفاف قيمته . وبالجملة فكانت رُبُط النظام الاجتماعي

قد تراخت عندها في كل أمة ، وانقضت عراها عند كل طائفة
« أفلم يكن من رحمة الله بآلائك الأقوام أن يؤدبهم برجل منهم يوحي اليه
رسالته ، ويمنحه عنايته ويمدده من القوة بما يتمكن معه من كشف تلك الغمم ،
التي أظلت رؤس جميع الأمم ، نعم كان ذلك وله الأمر من قبل ومن بعده اه
فلم مما أوردده الاستاذ الامام ان فساد الامم كان من فساد رؤساء
الدين ورؤساء الدنيا وهم الملوك والأمراء وان نصارى سائر القريتين كان
محصوراً في اطفاء نور القطرة الالهية وهدم ركني السمادة البشرية وهما
استقلال الفكر واستقلال الارادة . فاذا قيل انه كان في الدنيا دينان
سماويان أي دين اليهود ودين النصارى وكتابان الهيان وهما التوراة والانجيل
فكان ينبغي عن بمشة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلهام الله تعالى رؤساء
الدينين وحمله الكتاين أن يقيما أصولهما ويسيرا على صراطهما ويدعوا الناس
الى ذلك . نقول في الجواب ان دين اليهود كان خاصاً بشعب اسرائيل وهم
المخاطبون بالتوراة دون - واهم لهم الله تعالى ان هذا كتاب يصالح لهدايتهم
وحدتهم في الزمن الذي أنزل فيه وبعده الى أجل مسمى . وبعده ذلك أفسد
بنو اسرائيل في الارض فسلط الله عليهم الوثنيين فسبوهم وخرّبوا ديارهم
وأحرقوا كتابهم . ثم ان كتاباً منهم اسمه (عزرا) كتب لهم بعد زمن
طويل ما يحفظه من كتابهم وشريعتهم باذن الملك الوثني ومنها الاسفار
الحقة التي يسمونها التوراة وهي تحكي عن موسى بضمير الغائب وفيها ذكر
وفاته وليس ذلك مما أوحى اليه . ولولا ان الله أخبرنا في كتابه بأن اليهود
نسوا حظاً مما ذكروا به لا جميع ما ذكروا به ولولا انه احتج عليهم بعدم
العمل بالتوراة والحجة تقوم ببعض كلام الله كما تقوم به كله - لما صدقنا

كلمة واحدة من كتبهم ولا وثقنا بحكم واحد من أحكام شريعتهم . وحاصل القول ان الله تعالى لم يجعل التوراة منذ شرعها هداية عامة مرشدة للجميع البشر الى كمال النظرة فكيف تصاح لذلك بعد ما طرأ عليها وعلى الناس ما طرأ . وأما السيد المسيح عليه السلام فإنه لم يأت بدين جديد وإنما ديانته اليهودية وشريعته التوراة ولكنه كان مصلحاً لأن اليهود جمدوا على ظواهر الشريعة حتى صاروا كالماديين فأرسله الله الى خراف اسرائيل الضالة ليهديهم الى الروحانية ويبلغ فيها بمقدار ما بالغوا في الظواهر والماديات ليكون ذلك تمهيداً لدين الفطرة الذي يجمع بين مصالح الروح والجسد . وأما الديانة البولسية التي انتشرت في أوروبا بتعليم بولس ثم مساعدة قسطنطين ومن بعده من الملوك والزامهم الناس بها فهي لا تنطبق على ما قلناه سابقاً في وجه حاجة البشر الى ارسال الرسل لهدايتهم الى سعادة الدنيا والآخرة بتربية الروح والجسد وليس فيها قاعدة واحدة من قواعد الفطرة وإنما هي عبارة عن شيء واحد وهو الايمان بالمسيح على الوجه الذين يقولونه وأنه لا حاجة مع هذا الايمان الى العمل بالشريعة . والظاهر من نصوص كتب العهد الجديد ان المسيح خلص العالم كله من المذاب من آمن به ومن لم يؤمن وإنما يفضل المؤمن به غيره بأنه يحل فيه روح القدس . قال يعقوب في رسالته : « وليس من أجل خطايانا فقط بل من أجل خطايا العالم كله » . وقد ظل أهل أوروبا على هذا الدين عدة قرون يخطون في دياجير الاوهام والجهالات حتى دخل عليهم الاصلاح الاسلامي من بلاد الاندلس والشرق كما سنينه

(م ١٠٢) الاستعداد للعموم البعث : حاجة الناس الى الشيء تولد فيهم

الاستعداد له فإذا استدللنا بالملة على المعلول قلنا أن نستنبط استعداد الأمم لمصلح عام يرسله الله تعالى لهداية الأمم من شدة حاجة الأمم إلى ذلك الإصلاح وإذا استدللنا بالمعلول على الملة فالدليل أوضح لأنه ههنا وجودي مشهود لا نظري مستنبط وهو قبول الأمم على اختلافها في الأديان واللغات والمواقع هذا الإصلاح الروحي الاجتماعي الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي الإلهي والالهام فقد انتشر الإسلام في المشرق والمغرب بسرعة لم يعرف التاريخ مثلها حتى كان ملك الإسلام بعد ثمانين سنة من ظهوره أوسع من ملك الرومان بعد ثمانمائة سنة والرومان أعظم أمم التاريخ الماضي في الحروب والفتوحات .

هذا هو الإصلاح الذي غير هيئة الأرض وبدّل نظام الاجتماع الإنساني في السياسة والحرب والمدنية والعلوم والآداب على أيدي أمة كانت قبل الإسلام أبعد الأمم عن السياسة والمدنية والنظام والعلم وهي الأمة العربية . ألم تر أن نور الهداية القطرية ماخبا بعد الإسلام من مكان إلا وأومض أو تالق في مكان آخر وإن دعائم العمران ماتداعت في مملكة إلا وشيدت في غيرها وإن غرس العلم والفلسفة ما ذبل أو تصوّر في أرض إلا ونما وترعرع في سواها . كل ذلك كان ينتقل مع الإسلام فكما ظهرت قوة الإسلام في مكان ظهرت بها ومعها هذه الأشياء حتى إذا ضعف الإسلام والمسلمون في الشرق والغرب ضعف العلم والعمران والمدنية في العالم كله ولكنه لم يذهب من العالم فيحتاج العالم إلى مصلح آخر يبني له قواعد الاجتماع على أصول العلم الصحيح ومن الكون إذ لو حصل ذلك لما كان محمد خاتم النبيين . ولكن تلك القواعد انتقلت

من مسلمي الاندلس ومسلمي الشرق الى اوروبا مع تلامذة ابن رشد وفي الكتب التي أخذها الصليبيون من المسلمين .

من عجيب أمر استعداد العالم لهذا الإصلاح العام سرعة انتقال العلم من قطر الى قطر ومن خافق الى خافق أيام مدينة العرب لأول عهدا مع صموية المواصل بين الحافقين فقد كان المؤلفون من الاندلس وبلاد البربر ينقلون من كتب المؤلفين المعاصرين في العراق من المشرق كما كان هؤلاء ينقلون عن أولئك في كل عصر فكانت تلك الهمة الكبار ، تفنيهم عن الكهرباء والبخار ، وآية أخرى من آيات هذا الاستعداد حفظ العلم والتاريخ فقد كان الكتاب يوجد قبل الاسلام في الامم ثم يذوب ويضمحل كأن لم يكن شيئاً مذكوراً أرايت الاسرائيليين على غلوهم في دينهم كيف مرت عليهم السنين والاحقاب وليس عندهم من كتاب شريعتهم الا نسخة واحدة حتي اذا فقدت ذهبت الثقة بمجموع ديانتهم الا ما كانوا يحفظون ويمثلون . وقس بهم العرب الأميين وانظر كيف حفظوا كتابهم في الصدور والسطور . وكيف رأوا في الصدر الاول أن يرسلوا بالمصاحف الى الاقطار لتكون أصولاً يكتب منها بصفة رسمية لأن مصحفاً يرسله خليفة رسول الله بمشاوره أصحاب رسول الله واتفاقهم له حكم النقل المتواتر المجمع عليه ولولا ذلك لكان نقل المصاحف مقصوراً على الافراد الذين كانوا يحملونها . واذا اشتبه في هذه الحال بكلمة اختلف فيها ناقل مع ناقل أو حافظ تقع الخيرة من الترجيع لعدم وجود أصل مجمع عليه أو عدد كثير من المصاحف مأخوذة عن ذلك الاصل أو عدد مثله من الحفاظ . ولكن ذلك لم يقع فلا خلاف بين المسلمين في كلمة ولا في حرف من حروف القرآن العزيز

من آية استعداد الأمم للإصلاح الإسلامي على الطريقة الأولى (الاستدلال بالملل على الملل) النظر في أصول هذا الإصلاح فيها حاجة البشر الطبيعية إلى رابطة عامة بين الأمم المختلفة في الجنس واللغة والدين فقد كانت هذه الروابط خاصة تجمع طائفة محصورة ليعيش أفرادها معيشة اجتماعية ولكنها تجعلهم أعداء للطوائف التي ترتبط برابطة أخرى والإسلام جاء لجمع كل الأمم كما سنبينه بعد . ومنها إقامة قواعد العمران والاجتماع على سنن الكون التي تعرف بالاختبار . ومنها تهذيب سلطة رؤساء الدين والدنيا وجعل مصالح الأمم شوری بين أهل الرأي منهم وأصحاب الحل والمقد المرضيين عندهم ومنها جعل أحكام الشريعة دائرة على درء المفاسد وحفظ المصالح وتحكيم العرف . وكل الأمم الراقية انما ارتقت بمثل هذه الأصول التي وضعها الإسلام سواء لقبتم بلقب الإسلام أم لم تلقب به

ومن آية ذلك على تلك الطريقة أيضاً ما أثبتته علم الاجتماع من ارتقاء الإنسان بالتدريج فبعد ان كان في ظلمات من بحر الوثنية اللجي من فوقه . ورج من فوقه سحاب لا يكاد يرى شيئاً من نور الفطرة ارتقى في الوثنية من الاعتقاد بتأثير مظاهر الطبيعة التي لا يفهم معناها من جماد ونبات وحيوان وإنسان إلى الاعتقاد بأن تلك المعبودات لا تؤثر بنفسها وإنما تقرب من يخضع لها من واجب الوجود وتشفع له عنده في قضاء الحاجج . هذا الاستعداد اصطلاح الإسلام بالتوحيد جرائيم الوثنية من جزيرة العرب ثم انتشر التوحيد الخالص في العالم ، وبدأ بالعلم فلم ينجب مصباحه في مكان إلا وأشرق في غيره . فأكثر أهل أوربا اليوم . ووحيدون لا يمتدنون بسلطة ولا تأثير في الكون إلا لمدير الكون الذي وضع سننه ونواميسه

« وخلق كل شئ فقدره تقديرا » ولقد كان النبي قبل الاسلام يبعث بالتوحيد فيؤمن به النفر أو القوم فلا يمضي عليهم زمن الا ويعودون الى الوثنية ويلبسون لها الدلائل من الدين فيبعث التوحيد بالمرة . ولكنه لم يبعث بعد ظهور الاسلام وان دبت الوثنية الى بعض المسلمين وصبغت عندهم بصبغة الدين لضروب من التأويل والتحريف . وسنوضح مسألة الاستمداد بما قاله الأستاذ الامام في ارتقاء الامم بالدين وبسبب ظهور الاسلام في العرب الأميين فانظر ذلك في الدرس الآتي

القسم العمومي

(الزواج وشبان مصر وشوايها)

أكثر الجرائد اليومية الخوض في هذه الايام في مسألة اجتماعية ذات بال وهي ميل كثير من الشبان المصريين الى التزوج بالأوربيات وإحجام كثير منهم عن التزوج بالمرة وزعم بعض الباحثين ان السبب في الامرين هو عدم وجود بنات مصريات « متريات » يصلحن لشبان « مصرية المترين » وهما شارح بعض الكتاب سوء حال تربية البنات ووصف من جهلن وأطعن في التنفير عنهن . وكنت أحب أن يكتر الكتاب البحث في تربية البنات في معرض غير معرض تفضيل الزواج بالأوربيات والترغيب عن الزواج بالوطنيات

المسألة كبيرة وفروعها متشعبة ولطريق البحث فيها نواشط كثيرة وكأني بهذه النواشط قد تمثلت أمامي فلا أدري أي نواشط اختارني ابتداء السير لأصل منه الى الطريق الاعظم . ولكنني أقول قبل كل قول : إن

الذين تزوجوا بالأوربيات أو يفضلون الزواج بهن هم أبعد المصريين عن التربية الصحيحة النافعة . وإن أكثر الذين يترشّون بالزواج يتربصون الظفر بزواج غنية لا بزواج مهيبة مترية .

ثم أقول أنه لا تربية عندنا للفتيان ولا للفتيات وإن الإناث يقربن من الذكور في الاخلاق والآداب والمعادات والرغبات ولكن الفرق بين الفريقين في التعليم فالمتعلمون أكثر من المتطلبات ولكن أكثر هذا العلم مما لا يصح النفاضل فيه لأنه قليل التأثير في الحياة المنزلية والحياة القومية والحياة المالية . ولوارتقى المتعلمون في شؤون الحياة لاصلحوا بيوتهم ورأس إصلاح البيوت تربية البنات فكما يريد الرجال يكون النساء لأنهم القوامون عليهن والقوة بأيديهم فهم يسيرون العمران كيف شاؤوا .

ورب متفرنج غبي ينتفض رأسه إذا سمع قولنا : كما يريد الرجال يكون النساء . ويقول إن هذا قول من لا يعرف الحقائق فإن الأوربيين يقولون : كما يريد النساء يكون الرجال . ويؤكد أيها الفر المتفرنج إن في كلمة سادتك شيئاً من المبالغة وإن كان نساؤهم وصلن إلى درجة من الاستقلال والعناية بالتربية بسمي الرجال صارلهن بهاشان في تربية الإطفال يصح معها أن يقال هذه الكلمة فيهن ولكن شأن بلادنا ونسائنا مبين لشؤون

التربية شيء والتعليم شيء آخر — التربية هي تعاهد القوى الجسدية والنفسية ومساعدتها على الوصول إلى الكمال المستعدة له في أصل القطرة حتى يكون المرء إنساناً كاملاً سويّاً في خلقه . هذياً في خلقه نافماً لنفسه ولقومه والتعليم إبداع صور المعلومات في ذهن المتعلم . وقد وجد في مدارس مصر شيء من التعليم الناقص ولكن التربية لم توجد في المدارس ولا في البيوت فما

بقي في الامة من الاخلاق الفاضلة والآداب الصحيحة فهو على قلته من - ورمز ما تركه
السلف الصالح من التراث وأشد الناس جناية عليه واتلافاً له هؤلاء المتعلمون
الذين اتفقوا بالتعلم الجديد فصاروا ينفون أنفسهم وأمتهم قليلون
جداً وإنما ساعدتهم على الانتفاع استمداد قوي في الفطرة وبعض الاخلاق
والآداب الموروثة ولذلك يمد نجاحهم شذوذاً لا نتيجة طبيعية لهذا التعليم
الناقص في المدارس . وهؤلاء لا ينصحون اشبان أمتهم ان يتزوجوا
بالاوربيات ، وإنما ينصحون لهم أن يربوا ويعلموا البنات ، وإذا اشتكوا
فانما يشتكون من جهل الاغنياء وبخلهم إذ لا يسمحون بشيء من فضل
مالهم لانشاء معاهد أهلية للتربية والتعليم

أما تلك الحثالة من سائر المتعلمين وهم الاكثرون - على انهم قليل في
مجموع الامة - فانها لم تستفد من التعلم الا رطانة لغة اوربية بها يتمكنون
من معايشة بنايا الافرنج مسالخات أو متخذات أخذان . وان عقائل
نساء الافرنج ليرفعن ويستنكمن ان يعاشرن هؤلاء العلماء السفهاء الاحلام
بلغة الاقتران بهم وقبولهم بعبولة لمن فهمذا التبجح الذي يتبججه شباننا في الجرائد
بعلمهم أمامه التبجح بتفضيل البنايا الاجنبيات على المحسنات الوطنيات

لولا هؤلاء المتعلمون لما راج سوق الفحش في مصر . لولا هؤلاء
المتعلمون لما نشأ داء الزهري في البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون لما فشا
السكر في القطر . لولا هؤلاء المتعلمون لما عرف الميسر والقمار في وادي
النيل . لولا هؤلاء المتعلمون لما فتن الناس بزخرف الاثاث والرياش
والماعون التي تجلب من أوروبا فذهب بثروة البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون
لما خربت تلك البيوت العاصرة التي ورثت الثروة والمجد عن أب وجد .

لولا هؤلاء المتعلمون لما انتهكت حرمت الدين وتركت فضائله وسنته .
فبإذا يقنخر هؤلاء المتعلمون المغرورون على البنات الاغرار الجاهلات
ولماذا يترفعون عليهن مع ان جهلن لم يحسن على الامة والبلاد بمض ما جناه
علم اولئك المنبجحين المترفين

البنات الجاهلة تربي في بيت زوجها تربية جديدة لأن المندراء
لا تستقر أخلاقها وعاداتها على شيء الا بعد الزواج كأنها قبل ذلك ترى كل شيء
موقفاً غير ثابت لأنها في طور غير ثابت تنظر في كل يوم الانتقال الى
الطور الذي بعده الذي حكمت الفطرة بان تقضي حياتها فيه وهو كونها
زوجاً لرجل ثم أما الولد . فليت شعري كم عدد المتعلمين الذين تزوجوا
من هؤلاء المنداري واشتغلوا بتربيتهم ليعيشوا معهن عيشة راضية ؟ كم عدد
الذين أحصنوا بالزواج فرضوا بازواجهن حتى لا يفسدوا الواخير ولا يوت
السر ؟ ويا ليت شعري كم عدد البيوت التي كان فيها هؤلاء المتعلمون
صالحين صالحين وأزواجهن فاسدات مفسدات ؟؟ أظن بل أوقن أن الرجال هم
الذين يفسدون النساء بسوء المعاملة وقبح السيرة الا ما جاء على سبيل الشذوذ .
فما بال تلك « الفتناء القبيحة » التي أرادت الدفاع عن اخواتها التحيسات
طفقت تدمهن وتهجوهن في مقالاتها التي نشرتها في المؤيد توسلا الى
كلمة تسترضي بها الشبان في آخرها بأنهم مقصرون وبأن في البنات
الآن من المتعلمات من يليق بهم

التميزة الكبرى في تربية بنات مصر هي أنهن يكلمن هؤلاء الشبان
المغرورين ويعاشرهم وهذه الفتنة فاشية في المتعلمين والمتعلمات أكثر من
فسوها في الجاهلين والجاهلات والذنب في هذه التميزة على الشبان فمنهم

بدأت الشئمة واليهيم تعود لأنهم هم الذين يتعرضون للإغواء البنات . وقد حدثني غير واحد منهم بأنه لا يكاد يوجد تلميذ الا وله خليله من البنات . ولكن لا تكاد توجد بنت بدأت شاباً بالمغازلة والمناغاة . فاذا كان هذا حظ شباننا المتعلمين من البنات فإذا يتعمدون عليهم من فساد التربية : أينتم بعضهم على من يحبها انها لا تحسن الرطانة بلغة أوربية : كيف وهو أوسع مادة في المسائل التي يكلمها بها بلغته المرفية منه باللغة الاجنبية لانها لا تكلمان الا باللغو والهذيان الذي يناسب العشاق الذين لا تربية لهم ولا تهذيب . يوهنا بعض الكتاب ان هؤلاء المتعلمين يود أحدهم أن تكون له زوجة تعلم . مثلاً تعلم لتكون حياته معها إنسانية بالمذاكرات العامة والادبية لحيوانية محضة مقصورة على التمتع البهيمي . ويأبى هذا كان صحيحاً ولكن يحزننا ويحزننا أنه غير صحيح فان موضوعات حوارهم ، في أنديةهم وسمارهم ، دون ما يقتضيه علمهم الناقص كأن فساد التربية حال بينهم وبين الانتفاع بالعلم . ومنذ الذي يطلب العلم ليممل به أوليكم ؟ كلنا نعرف علة طلبهم للعلم . هي أخذ الشهادة التي تعدهم لوظائف الحكومة والترخيص من وظائف الحكومة الاكل مع الراحة لما جيلوا عليه من الكسب . نرى أحدهم يجد ويكد قريحته باخفظ مدة الدراسة حتى اذا ما نال ورقة الشهادة التي سماها بعض الأوربيين (جلدة الحمار) قال : ذهب دور التعب والعناء وجاء دور التمتع -- على انه لم يكن في طور الدراسة مصروفاً عن التمتع فيترك البحث والمذاكرة في كل مائة له الا اذا كان رزقه منه كالمهندسين والاطباء وقليل ما هم

ان من يدرس العلم لحاجة كرشه وفرشه كالشور الذي يدرس ليأكل

بل ربما كان الثور أنفع منه لأنه يأكل ويأكل غيره من عمله بدرس
الخطاة ولكن أكثر الذين يدرسون العلم عندنا لا يأكلون ولا يأكل أحد
من ثمره دراستهم وهم الذين قال فيهم الشاعر :

ودرس ثورين قد شدا إلى قرن أفتى وأنفع من تدريس حبرين
أين أثر علم هؤلاء المتفجيين في التأليف أو العمل ؛ أين الأندية
والسار الأدبية ؛ أين الجمعيات العلمية ؛ أين الشركات الصناعية ؛ أين الأعمال
النجارية ؛ أين التأليف النافعة في العلوم اللغوية أو العلمية أو الأدبية أو الدينية .
أخرت ذكر الدين لأن أكثر هؤلاء المتعلمين ، أجهل به من العامة المؤمنين ،
ولا يخفى أن الكلام كله في المجموع لا في عموم الأفراد فإن من التلامذة من
يرغب في العلم لنضله ونفقه ومنهم من أحسن أهله أدبه وتربيته

فيامعشر المتفجيين بالعلم . وإن كان الجاهل خيرا منه . إذا فتنتم بالاوريات
أو استغنيتم بالسفاح عن الزواج الشرعي أو كنتم ترجون الاقتران ليظفر أحدكم
بامرأة غنية يتنعم بها لها لأن المدرسة ربه على الترف والكسل . ما فأنتم عليكم
بالشرف الذي تذكرونه ؛ والوطن الذي تتوهمونه ؛ بل أقسم عليكم بالله
الذي تمبدونه ، أن لا تمتدروا عن ذلك بغميزة اخواتكم ؛ والازراء
بامهاتكم ؛ ومن كان منكم يفار على قومه وبلاده فليجتهد بتربية نفسه ثم
تربية الأقرب فالأقرب . واعلموا أنه لو وجد عندنا تربية وتعليم لوجد
عندنا رجال وإذا وجد الرجال توجد النساء كما يريد الرجال ويوجد المال
ويوجد الاستقلال فالرجال هم الذين عملوا كل شيء في الماضي وهم الذين
يملكون كل شيء في المستقبل وخير لهم أن يكون نساؤهم عوناً لهم من أن
يكونوا كلاً عليهم والسلام على من علم وعمل

٥- الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

(في مكة المكرمة يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦)

في الوقت المعين من هذا اليوم تكامل الاجتماع واستمدت الهيئة لهذا كره والسمع وقرأ كاتب الجمعية ضبط الجلسة السابقة حسب القاعدة المرعية

قال (الاستاذ الرئيس) مذبح بعد يومين في وضع قانون للجمعية الدائمة والتي أرى أن تفوض للجنة منا من الذين سبق لهم دخول في جمعيات علمية أو الذين لهم وقوف على مباني الجمعيات القانونية ولا سيما القريبة المروفة باسم (أكاديميات) لتنظر لنا هذه اللجنة سائحة قانون نضعها تحت البحث في الجمعية

وأي أ كلف بهذه اللجنة اخانا السيد القراني ليقوم بكتابتها وأخانا السعيد الانكليزي ليفيد اللجنة عما يعلمه عن الأكاديميات وعن مجربات جمعيات ليفريول ورأس الرجا واخواننا المسلمة المصري والصاحب الهندي والمدقق التركي وهذا برئهم لانه أسهم (١) وهؤلاء خمسة أعضاء فهل تصوب الجمعية ذلك وترى فيه الكفاية والكفاءة أم تستدرك شيئاً

ثم ابتدر (السعيد الانكليزي) للمقال مخاطباً الاستاذ الرئيس فقال اننا مسلمي (ليفريول) حديثو عهد بالاسلام ولنا اشكالات مهمة تتعلق ببحث اليوم أعني بطريقة الاستهداء من الكتاب والسنة لان أكثرنا قد اهتدينا والحمد لله الى الاسلامية منتقلين اليها من (البروتستانتية) أي الطائفة الانجيلية لا من الكاثوليك أي الطائفة التقليدية فقبل طبعاً لاتباع الكتاب والسنة فقط ولا نشق بقول غير ممصوم فيما ندين به وقد تركنا دين آبائنا وقومنا لتتبع دين محمد نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام لا لتتبع الحنفي أو الشافعي أو الحنبلي أو المالكي وان كانوا نقاة ناقلين

ولنا جمعية منتظمة لها شعبتان في امريكا وجنوب افريقيا ونحن راغبون أن نسمى سميّاً حثيثاً في الدعوة للدين السامي الاسلامي المين والاقوام الذين مدعوهم غالبهم متدنون أي افكارهم متورة بالعلوم والمعارف وأكبر أملنا ممقود بهداية فثنين اثنين الاولى البروتستانت والتانية الزنادقة .

أما أملنا في البروتستانت فلأنهم منقلبون حديثاً من الكاثوليكية انقلاباً ناشئاً عن

ترجيحهم الاعتقاد على الانجيل ومجموعة الكتب المقدسة منوناً فقط أى باهمال الشروح والتفسيرات والمزيدات التي لا يوجد لها أصل صريح في الانجيل . والبروتستان في أوروبا وأمريكا يزيدون على مائة مايون من النفوس كلهم . فطوورون على الدين قليلو العناد في الاعتقاد استعدادون لقبول البحث والاعتقاد للحق بشرط ظهوره ظهوراً عفياً ولا سيما اذا كان الحق ملائماً لاسباب هجرهم الكاثوليكية من نحو انكارهم الرياسة الدينية والرهانية والتوسل بالتهديسين وطلب الشفاعة منهم واحترام الصور والتمائيل والثناء لأجل الأموات وبيع الغفران والقول بان البطارقة قوة قدسية وقوة تشريعية وان لالبابا صفة العصمة عن الخطأ في الدين وأن للاساقفة ومن دونهم من القسيسين مراتب مقدسة الى غير ذلك مما يتج في التعصبات سلطنة دينية وتشديدات تصدية لا يوجد لها أصل في الانجيل .

وقد يشبه هؤلاء البروتستان في رأيهم فئة قليلة من اليهود تعرف باسم القرائين وهم الآخذون بأصل التوراة والمزامير النابذون للنامود أي لتفسيرات ومزيدات الاحبار والجائحين الأقدمين .

أما الفئة الثانية فهم الزنادقة المارقون من التعصبات كلياً لمدم ملائمتها للعقل وهؤلاء في أوروبا وأمريكا كذلك يزيدون على مائة مايون من النفوس غالبهم استعدادون لقبول ديانة تكون معقولة حرة سمحة ترييحهم من نصب الكفر في الحياة الحاضرة فضلاً عن المذاب في الآخرة .

ومن غريب نتائج التدقيق ان افراد هذه الفئة كلما بمدوا عن التعصبات نفوراً من شركها وخرافاتها وتشديداتها هربون طبعاً من التوحيد والاسلامية وحكمتها وسماحتها . فبتة على هذا الحال وهذه الآمال ترى جمعية (ليفريول) أهمية عظيمة لتحري مسألة الاستهداء من الكتاب والسنة وتصوير حكمة وسماحة الدين الاسلامي للعالم للتمدن فأرجو حضرة الاستاذ الرئيس أن يسمع لي بتفهم مسألة الاستهداء على السلوب المحاور والمساجلة مع بعض الاخوان الافاضل في هذا المحفل العلمي العظيم .

فاجابه (الاستاذ الرئيس) بقوله له ساجل من شئت وخاطب من أردت فالأخوان كلهم علماء أفاضل حكماء

فقال (السيد الانكليزي) مخاطباً العالم التجدي انك يامولاي قد صورت في مقدمة خطابك في التوحيد من هو المسلم والزمت العمل بالكتاب والسنة فأرجوك

أن مر في أول ما هو الكتاب وما هي السنة .

في العالم . مجدي . أما الكتاب . فهو هذا القرآن الذي وصل إلينا بطريق
التشريع فيه لأجمع الكلمة واتفاق الأمة عليه وتناوبا إياه جلا عن جيل حفظاً في
الصدور وضبطاً في السطور مع الحرص العظيم على كيفية أدائه لفظاً وعلى هيئة أملائه
كتابة ومع الاعتناء الكامل في تحقيق أسباب النزول ومكانه ورقته ومع حفظ اللغة
العربية المضمرة القرشية التي نزل بها ما يتقان لا مزيد عليه . وبقاء القرآن محفوظاً من
التأريف والتغير وموجبات الرب إلى الآن هو أحد وجوه اعجازه حيث جاء مصداقاً
لقوله تعالى فيه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

أما السنة . فهي ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام أوفعه أو أقره ولم يكن
صدر منه ذلك على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة وقد اعتنى الصحابة ولاسيما
التابعون وتابعوهم رضي الله عنهم بحفظ السنة حديثها وآثارها وسيرها غاية الاعتناء
وتسفلوها بالرواية والسند المتسلسل متحررين الوثوق متسهي مراتب التحري والتثبت
وقد حازت بعض مدونات السنة وثوقاً تاماً وقبولاً عاماً في الأمة فوسات إلنا بكمال
الضبط خصوصاً منها الكتب الستة .

قال (السعيد الأنكليزي) لا يشك أحد حتى تمدد المعاند في أنه لم يبلغ ولن يباع
أمة من الأمم شأن المسلمين في اعتنائهم بخط القرآن الكريم وضبطهم التاريخ النبوي
أي السنة وكذلك يقال في اعتنائهم باللغة العربية التي هي آلة فهم الخطاب .

وبالنظر إلى ذلك كان يجب أن تحرر الشريعة الإسلامية أحسن تحرير فلا يوجد فيها
ما وجد في غيرها بسبب عدم ضبط أصولها من اختلافات ومباينات مهمة بين العلماء
الأئمة فارجوك أن تبين لي ما هو منشأ هذا التشتت الذي نراه في الأحكام .

أجابه (العالم المجدي) أن الاختلافات الموجودة في الشريعة ليس كما يظن شاملة
الأصول بل أصول الدين كلها والبعض من الفروع متفق عليها لأن لها في القرآن
أو السنة أحكاماً صريحة قطعية أثبتت قطعية الدلالة أو ثابتة بإجماع الأمة الذي لا يجوز
العقل فيه أن يكون عن غير أصل في الشرع (1)

١٠ . المثار . هذا القول غير مسلم إذ يجوز العقل أن يقول المجتهدون في زمن من
الازمان قد لا يثبتون على خطأ في الاجتهاد لاسيما اذا كانوا قليلي العدد كما هو الواقع بعد الصدر
الاول . وقد حصل مثل هذا في جميع الملل والذي لا يجوز هو الذي لا يمكن أن يقع

أما الخلافات فانما هي في فروع تلك الأصول وفي بعض الاحكام التي ليس لها في القرآن أو السنة نصوص صريحة بل بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم وفقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين أخذوا تلك الاحكام التي اختلفوا فيها إما تلقياً من بعض الصحابة فكلّ قلّد من صادف «١» وأما استنبطوها اجتهاداً من نصوص الكتاب أو السنة بالدلول المحتمل أو بالمفهوم أو بالاقضاء أو من قرائن الحال أو قرائن القال أو بالتوفيق أو بالتخريج أو التفريع أو بالقياس أو باتحاد الصلة أو باتحاد النتيجة أو بالتأويل أو الاستحسان وهذه الاحكام الخلافية كلها ترجع الى دلائل اما قطعية الثبوت ظنية الدلالة أو ظنية الثبوت ظنية الدلالة . ولكل واحد من المجتهدين أصول في التطبيق وقوانين في الاستنباط يخالف فيها الآخر ومنشأ معظمها الخلافات التحوية والبيانية .

ثم ان أكثر الخلافات هي في مسائل المعاملات وعلى كل حال جاحدها لا يكفر باتفاق الأئمة بل المتخالفون لا يفسق بعضهم بعضاً اذا كان التخالف عن اجتهاد لا عن هوى نفس أو تقصير في التبع الممكن للمقيم في دار الاسلام (مرحى) قال (السيد الانكليزي) اني اشكر ك على ما أجمعت وأوصحت غير انك لم تذكر في جملة أسباب الأختلاف الاختلاف في اعتبار النسخ والمنسوخ بين آيتين أو حديثين أو آية وحديث واني أظن ان ذلك من أعظم أسباب الاختلاف في الأحكام . أجابه (المسلم النجدي) ان نواسخ الأحكام قليلة ومعلومة والخلاف فيها أقل لأن النسخ في زمن التشريع لم يحصل الا عن حكمة ظاهرة كالدرج في منع السكر كانهي عنه حالة الصلاة ثم تعمم منه . وكتغير المقتضي للتوارث بالإخاء وهو القطعية التي حصلت بين المهاجرين وذوي أرحامهم في بدء الأمر ثم لما تلاخثوا بعد فتح مكة نسخ ذلك وجعل التوارث بالتب . وكالدعوة في أول الاسلام الى التوحيد والدين بمجرد الموعظة بدون جدال ثم به بدون صدع ثم به بدون قتال ثم به في أهل جزيرة العرب فقط ثم بتعميمه مع قبول الجزية والحراج من غيرهم (٢) «مرحى»

«١» وهذا أيضاً غير صحيح فان هؤلاء الأئمة ما كانوا مقلدين للصحابة «٢» شرع الاسلام أو السيف خاصاً بأهل جزيرة العرب بقصد احكام الوحدة السياسية في الوحدة الجنية لا كما يتوهم الطاعنون في الاسلامية انها لم تقم الا بالسيف لاهم من الأصل وما ذكره في الدعوة وفي تحريم الخمر ليس بالنسخ في شيء

قال • السيد الانكليزي • ان ما وصفت من أصول الاجتهاد وقوانين استنباط الأحكام قد أنتج خلاف ما يأمر الله به في قوله تعالى • اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه • وخلاف ما تقتضيه الحكمة فهل من وسيلة سهلة لرفع هذا التفرق .
أجابه • العالم التجدي • اني لا أهتدي لذلك سبيلاً^١ ولعل في الإخوان من يتصور وسيلة لهذا الأمر المهم

فابتدر • العلامة المصري • مخاطباً السيد الانكليزي وقال : ان رفع الخلاف غير ممكن مطلقاً ولكن يمكن تخفيف تأثيراته . وذلك أنه لما كان معظم الاختلاف كما قرره اخونا العالم التجدي في الفروع دون الأصول وفي السنن والمندوبات والصغار والمكروهات دون الشعائر والواجبات والكبائر والمكرات وكان أكثر الأئمة هم الإمامة الذين لا يقدرون أن يميزوا بين الواجب والسنة والمندوب وبين النفل والمباح أو يفرقوا بين الكفر والحرام وبين الكبيرة والصغيرة والمكروه تنزيهاً والتقوى بل تنقسم الأحكام كلها في نظرهم الى نوعين أصابين فقط مطلوب ومحظور وبتعبير آخر الى حلال وحرام وكانت أحكام الشريعة كثيرة جداً فالإمامة يجدون أنفسهم مكلفين بما لا يطيقون الإحاطة بمعرفة فضلا عن القيام به ويرون ان لامناص لهم من التهاون في أكثره أو بمضاهة أحدهم بالبهض دون البهض فيأتي بالنفل ويتهاون بالواجب ويتسنى المكروه ويقدم على الحرام وذلك كما قلنا لاستكثاره الأحكام وجهله بمراتبها في التقديم والتأخير^٢

بناء على ذلك أرى لو أن فقهاء الأمة كما فرقوا مراتب الأحكام على المسائل يفرقون المسائل أيضاً على المراتب في متون مخصوصة . فيمقدون لكل مذهب من المذاهب كتاباً في العبادات ينقسم الى ابواب وفصول تذكر في كل منها الفرائض والواجبات فقط وتنطوي ضمنها الشرائط والأركان بحيث يهال ان هذه الأحكام في هذه المذاهب هي اقل ما يجوز به العبادة .

١٥ • الأديان والمذاهب كلها مصابة بالانشقاق فهذه البروتستانتية تفرقت في مدة مائتي سنة الى ما يزيد على مائتي فرقة وهذه أحكام الأحوال الشخصية من نكاح ونحوه في النصرانية مختلف فيها بين الكنائس أو بين رؤساء كل كنيسة اختلافاً لا يهتدى منه الى نتيجة . اهـ من الأصل ٢٥ • كالاتراك يهتمون بالسنة والمكروهات أكثر من الواجبات والمنهيات اهـ من الأصل

ونحن نرى كتاباً آخر يقسم الى عشرين كتاباً، انفسول تذكر فيها السنن بحيث يقال ان هذه الأحكام ينبغي رعايتها في أكثر الأوقات، ثم كتاباً ثالثاً منسلاً الأوابن تذكر فيه سنن الزوائد بحيث يقال ان هذه الأحكام رعايتها أولى من تركها، وعلى هذا النسق يوضع كتاب للمنهايات يقسم الى ابواب وفصول تعدها فيها المكفريات والكبائر وكذا الصغائر والمكروهات ومثل ذلك تقسم كتب المعاملات على طبقات من الأحكام الإجاعية او الاجتهادية او الاستحسانية.

فيمثل هذا الترتيب يسهل على كل من العامة ان يعرف ماهو مكلف به في دينه فيعمل به على حسب مراتبه وامكانه وبهذه الصورة تظهر سماحة الدين الخفيف ويصير المسلم مطمئن القلب مثله كمثل تاجر له دفاتر وقیود وحسابات وموازنات منتظمة فيعيش مطمئن الفكر وكم بين هذا التاجر وبين تاجر آخر حساباته في اوراق متثرة ومعاملاته مشقة متزايدة في فكره لا يعرف ماله وما عليه فيعيش عمره مرتبك البال مضطرب الحال «مرحى»

باب في بيان كيفية ترتيب كتاب

الشجرة السابعة منه جريدة رأسم (*)

﴿ رويا منام * أرجوان تحقّقها لنا الايام ﴾

رأيتني متطياً جواداً أسبح في بلاد مجهولة لأدري ان كانت من الدنيا القديمة أو الجديدة ولكنني بحسب ما بدالي من ظواهرها أرى انها لا بد أن تكون واقعة على تخوم بلاد الألدورادو (١) أو الأوتوبيا (٢)

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر [١] الألدورادو كلمة اسبانية معناها بلاد الذهب وتطلق على بلاد يزعم الناس ان ضابطاً من مدينة بيزارا اكتشفها في أمريكا الجنوبية وانه كان يوجد بها من الذهب وخيرات الارض شيء كثير ثم أطلقت هذه الكلمة على بلاد الرخاء والتعمير [٢] الأوتوبيا كلمة يونانية تطلق على بلاد وهمية جرت أمورها على أحسن ما يتخيل من النظام وصفها كاتب اسمه توماس موريس في كتاب له

بصرت في طريقى بحظائر مسيجة بـسـيـجة خضراء فيها قطعان من البقر والغنم
وغيرها من الحيوانات المجترة التي لا توجد قط في مراعينا تسوم آمنة لا كلب يحرسها
ولا راعي يراقبها ولا حطت في انتظام طرق الري في هذه البلاد وحسن توزيع الماء
بين جهاتها على نحو يثير الاستحسان ويدعو الى الاعجاب انه كان من مزايده امتلاء
جو ريفها بالنسيم البارد المنعش على مافيه من حرارة النهار وشاهدت سلاسل من
الهضات مكللة بالاشجار كأنها في تنابها واتصال بعضها ببعض تخط للرياح والسحاب
طريقهما. ضرب الغنى سرادقه حول قرى هذا الريف وظهرت على أهلها آثار النعمة
والاغنياء نساؤه حسان وولداه أسوياء أصحاء الابدان يشرون حكومتهم بأنهم
سيكونون نسلًا قويا بأسلا

ثم رأيت حواضر هذا القطر فلم أكن لرؤيتها اقل مني دهشا لرؤية قراء ومعا
أرشدت اليه في احداها بنان كانا أقما في عصر يسميه أهلها الآن عصر الهمجية
احدهما سجن والثاني مأوى للمساكين وقد أصبحا من أهلها خلا لعدم اللصوص
والبؤساء ومع انهما لم تبق لوجودهما فائدة حفظتهما القائلون على شؤون المدينة
ليكون للاجانب فيهما ذكرى لتاريخهم .

حدد في هذه البلاد ما للناس وما عليهم من الحقوق والفروض وما للحكومة وما
عليها من ذلك وامتاز بعضه عن بعض امتيازاً ينيا ولهذا تجد الرعايا لا يولون حكماءهم
من شؤونهم الا ما ليس من مصالحهم ان يتولوه بأنفسهم وحقيقة الامر أن القوانين
فيها على قلتها جذاً وصدورها عن رأي من اختارهم الأمة نواباً عنها لا ميل لها الاعلى
ما كان من الاعمال متعلقاً بالحكومة ولما كان الناس جميعاً هم الذين قدسوا لأنفسهم
هذه القوانين لحماة كل منهم كانت مخالفتها وعدم الرضوخ لاحكامها حقاً وسخفاً على
انهم يؤملون تمديدها والتقليل من سلطانها بترقية العلوم وبث اضواء المرفان

رأيهم هو حاكمهم المطاع أمره النافذ قوله ولم يعهد أن ملكاً من الملوك الممتنعين
في صياصيمهم الممتزين بخصونهم كان له من الماقل والمنازيس ما يعادل ما يحيط به ذلك
الحاكم من ضروب الكفالة وأنواع الضمان المؤيدة له القائمة على اعزازه فالتقوم أحرار
يتفكرون في كل ما يكتبون ويكتبون كل ما يتفكرون وانه ليدعهم كثيراً على ما أرى
أن يعلموا أن فوق الأرض انما في قدرتها ان تستسلم لحاكم وتلقى بنفسها في قبضة ظالم
لاقت في هذه المدينة شيخاً لا أذكر اين ولا كيف لاقته وقع التعارف بيني وبينه

فأخبرني على اسمه أن يشرح لي نظام حكومتهم ويطلعوني على المعاهد المدة للمنافع العامة لأنني لم أرى في المدينة قصوراً بنيت لبعض الأفراد توفية لاسباب لذاته ولا مساح ولا دور للجيش ولا مواخير للفحش .

لما رافقني ما شاهدته قلت للشيخ هل لك ان تخبرني باسم ذلك التواضع الكبير الذي سن لكم هذه القوانين .

فبدى ضاحكاً من قولي وقال أراك آتياً من عالم آخر فأعلم أن قوانيننا ليست من وضع البشر واتي أراي الآن مضطراً الى أن أقص عليك تاريخنا في كلمات قليلة فاستمع لما أقول : اننا قبل اليوم بنحو قرنين لم نكن أحسن حالا من غيرنا من الأمم و آخر ملك تولى علينا ولا نذكر منه شيئاً حتى اسمه (لان النسيان أحسن عقاب للمسيئين الاشرار) خلع من عرشه بعد حكم أسخط عليه جميع رعاياه وألبهم على نبذ طاعته والخروج عليه ثم عرض الثأرون بعد خلعهم صوراً مختلفة وأشكالاً متنوعة للحكومة وكادوا يقتلون على اختيار حاكم لولا ان آباءنا بما كان لهم من الحكمة والدرابة قد تراجعوا وقال بعضهم لبعض ان الاولى لنا ان نرجي الفصل فيما شجر بيتنا وان نترك لأعدائنا النظر لأنفسهم فيما هو خير لهم فانه لاخير في أحسن الأوضاع ولا في أعدل القوانين ان لم نجد في اخلاق الناشئين وسيلة لاستبقائها وحينئذ اتفق القوم على أن يبقوا من قوانينهم القديمة أكثرها مطابقة لحكم العقل حيناً من الدهر وأن ينشؤوا الحيل الجديدة في هذه الفترة على حب الحرية والاخذ بها ثم لما لم تر مدرستنا انها أصل نظامنا السياسي فهمياً بنا اليها .

أخبرني الى مكان على مقربة من المدينة فما هو الا أن تجلي الخرب في اسمع الله . ثم التفت فصر أو هيكل فوق ربوة شجراً قد عاقل اناسه وانفساح ارجائه ماله من الفخامة والجلال لو أردت أن اصف لك جملة لميت بذلك . بني كل قسم من أقسامه الداخلية على طريقة حديثة في فن العمارة وبلغ من الازديان بما وضع فيه من التماثيل والصور وآثار الفنون الى حيث ان جدرانها كانت تكاد تكفي أن تكون وحدها طريقة من طرق التعاليم تكون ماحوته يتقش على اذهان التلامذة ومشاعرهم وينقسم هؤلاء الى عدة أئم يمثل كل منها جيلاً من أجيال الانسان وقد وقع ذلك البناء في وسط مشاهد تأسر القلب وتأخذ باللب بما فيها من ضروب التباين ووجوه التعاليف فتجد حوله الآجام والصخور وماقط الماء ونحته البحر .

وقد كنت على إحدى جامعات اللندون فأذا بنا من أنواراً مختلفة من الرياضات البدنية فالمسارعة والعدو والرمية بالقبض والآخر من هشت له في هذه الحافسة أن معلميها كانوا من هتود امريكا الحر الاصليين كما تبيّن ذلك من لوسهم ونواقة أنفسهم وما كان على شعورهم من مواد الزينة الوهمية

قال لي الدليل ان هذه القبيلة المتوحشة لم تات الى بلادنا الا من عهد قريب انما جذبها الى حدودها من اخلاق قومنا ورفقة طباعهم فانا لم نعتبرهم اعداء لنا كما يفعل غيرنا بل دعوناهم الى مشاركتنا في نعم الحضارة وأرشدناهم الى ما تحصله لنا من الفوائد ونزايالهم في مدارج جحانها على البداية ولما كنا لا نجهل ما لهم من الماهب المدنية التي نحن محرومون منها قد عرضنا عليهم معاوضة المنافع ومبادلة المزايا فقبل فرحاً بهم ذلك منا وها هم أولاً الآن يروضون أبناءنا على احتمال الآلام الجسدية كغير معتادين من جباههم وعلى استبعاد البسائرهم واسماعهم في احتساب ما ينصب لهم من الجبال والبطال انما يكاد خناهم من الكناك ويعودونهم على البسالة في قبي اعتنائهم واثبتهم موافقة سلطان الارادة وعلى تعرف اخلاق الحيوانات وعوائدها في حالتها الطبيعية

وفيما نحن نحول داخل هذا المكان الذي هو منهم كما قلت الى دارات مختلفة تربوية والتعليم شهدت أمد الأبعاد التي تقام في هذه الدارات التاريخية أو العلمية من حين الى حين فخل لي أنا في آتنا (خاصة بلاد اليونان) ان لم اكن واهماً أبصرت قائماً بالاقربوبول شاحصة امامي على صخرة يعملوها معبد وتمثال والهة صنعت من النحاس الاحمر والمرمر ورأيت في الجانب الغربي لهذه القلعة دهاالزها التي اقامها بريكليس (١) وكانت أشبه طوائف من القديس في انزياء يونانية يستخرجون اليونان في اطوارهم واحوالهم تشخيصاً يقرب من العطرة ويتكلمون بلغتهم ويقلونهم في نزلهم في المدينة او غدوهم الى مرافق بيريه (٢) ومونيخي (٣) وقالير (٤) فاستغربت ما رأيت مع قلة استغراب الحالم واقسمت بأثني بروفاخوس لاكتنهن هذا السر فاما رأي صاحبي شدة ولبي بمعرفة حقيقة ما رأيت قال لي ان الامر في غاية السهولة ذلك اننا لما تبين لنا بالاختبار ان التاريخ في تعليمه للاحداث يمر باذهانهم

(١) بريكليس احد رجال حكومة آتنا الاقدمين (٢ و ٣ و ٤) بيريه ومونيخي

وقالير كلها مدن يونانية فيها مرافق

مسرور الغال غير نارك له فيها أنار آية احتراما في ان تجعل له جسما تحاد فيها سورته
فترى تلامذتنا لا يتعصبون في معلمه على مطالعة ما كان في المصور الخالية بل انهم
يمشون في تلك المصور .

فقلت له لابد ان تكون جمهوريتكم قد بانث من النروة غايها حتى تقوم بتفقات
هذه المعاهد فبال بوابها غيبة امارتها في طرق الكسب ولانها هي التي تدبر
تفقاتها بنفسها على اني ارجو ان لا تتخدع بما تراء فان ما تظنه بذلا للمال واسرافا فيه
هو في الحقيقة تدبير له وتوفير ولو مع ما نسمعه عن أوروبا القديمة لكان ما تنفقه اثمها
على حكوماتها في جانب التبذير وما تنفقه على التعليم العام في طرف التقير وأما نحن
فأمورنا تجري على خلاف ذلك فيكومتنا لا تكافنا اولا تكاد تكلفنا شيئا وتنسق
كل ارزاقنا على مسارنا فكان لنا بالسير على هذه السفن ما يسمى في عرف التجارة
صفقة رابحة والله طريقنا في التربية فالتا ببركتها استغنينا عن اتخاذ جيش دائم وكهنة
وغيرها . . . الانتقال التي توقع الحكومات في . . . هواة الفاقة وتؤديها الى الحراب

هذه الامة التي نزل على الآن اسمها لا تقصد في تربية عتول ابناءها وتقويم
طبائعهم اعدادهم لان يتبعوا في مستقبلهم نظاما مقررأ كائنا ما كان بل انها عقدت
النية على ان تقل ما يندج من التربية الحرة المؤسسة على نوايس الكون واصول العلم
من الثرات فبعثها اقدمها على ان تمهد بمستقبل بلادها الى معارف الاجيال الجديدة
وعلمهم فهي تعتبر المدرسة امة في سبيل نشأتها لها قوانينها كما ان للحكومة قوانينها
وترى تلك القوانين كانتا مقدمة لهذه وببكر بتعليم الملازمة ممارسة ما يحلى به الرجال
من الفضائل القومية .

ليس للمعالي المدرسة على التلامذة أدنى سبيل الى التأديب ولكمهم لا يسلمون عليها
بما يتفرونه من مخالفة قوانينها وعوائدها بل انهم يعاقب بعضهم بعضا على ما يقع منهم
من المخالفات فالمخالفون يحاكمون الى محكمة ينتخب اعضاؤها من اخوانهم لمدة معلومة
ومن مصلحة هؤلاء الاعضاء ان يمدلوا في احكامهم وان لا يطبقوا فيها دواعي الهوى
والغرض امامهم ان الاعتداء على حقوق الناس قد يمود عليهم ضرره في الحال او
في المال ويقوم امام هذه المحكمة محاميان احدهما من جانب المدعي والثاني من
جانب المدعى عليه فيبينان لها وقائع الدعوى بالرزانة والوقار ثم يصدر الخلفون المتطوعون
احكامهم وهي واجبة الاحترام على الدوام وما يحكم به من الجزاء يصير على كونه غاية

في الحقة من الأذهان التي هي راسية في أفق كبرياءه من
حريمها لا من معصية فقط .

فقم العسايا القويقات بأدلة وروايات منها غير قسم المسئلة
يخبرون معهم في غرض التعليم بمنهج علمي في نهجها

قال لي الشيخ أننا نعمل كثيراً في دراسة كتابنا في التعليم على ما ألفنا من العلم
المعوي في النفوس فمن اللائي نهضوا في توزيع الجوانب والكفالات على أنفسهم
فترى المهرة من هؤلاء في الرياضات البدنية والعلوم الفقهية امامهم في ساحاتها من
الحركات التي هي مظاهر البأس والقوة والمهارة هم من ينفذوا احاديثنا في العمل
يمشون على أيديهم على من المدرسة ويخرجون من بين أيديهم في ميدان التعليم
والإغاثة حرباً عواناً كل ذلك في سبيل ارتقاءهم وجميع أعمالهم بما كان لهم من
فهم أنهم سائبات الرأي سريعات الحركم في مواد الفنون كان معاه والمدرسة تطيب
أنفسهم بالركون إلى رأيهم في مسائلهم من وجهة في وتصوير فاذ صرح بحكمته
في الدفوف أعان حسان الأعمال ووجه من مدرستها ويوحدها مع الشرف والخطاب
كذلك يمتد احاديثنا على أن في شيوخنا من يدرسون في مدارسهم في مدارسهم
وجدانهم لحسن أعمالهم في زمانهم من مربيهم من دلائل استحسانهم
الأعمال بتلقيا بالانكسار والانشاء ويأخذون في تعليمهم في مدارسهم في مدارسهم
تمثل لهم فيها الفروض التي كتب عليهم اداؤها

لا يزال صدق الكلمات الأخيرة التي سمعناها من ذلك الشيخ حين في أنني قد
قال لي في نهاية حديثه لو طال زمن مكثك بيننا لشاهدت من مستجداتنا ما لا أشك
في أنه كان يبين في ذلك من الأمور التي هي في الحقيقة في كيمياء النفس
ما كان يربطنا بها بيننا من قيود الزمن والظن والخيال التي كانت سكاكين جهودنا
وبرودة ونفياً لحرارة الحياة وأن نعرف أن الأمم الحرة إنما تنشأ برجالها الاحرار
وأن آباءنا لم يخطئوا في أن يلبسوا في وجدان كل إنسان أقوى تأسير على الاستبداد
لاعتقادهم أن أحسن الحكومات أقالها وعوداً فقام قد فعلوا أن يفتشوا في
نفوس الأحداث وجدان العدل والحق الذي لا تغيره الحوادث ولا تمحوه الكوارث
على أن يدونوا لهم قانوناً نظامياً في كتاب ربما أن رياح التفتت وعواصف الثورات
الداخلية كانت مزقة من زمن بعيد وجلة القول أن الحكومة عندما ليست هي التي
مدير المدرسة بل هي المدرسة هي التي توجدنا وبنيناها . ام

أثر عمار الدين

الهدايا والتقاريط

(تأسس النظر) كتاب وجيز صنفه الفقيه الأصولي أبو زيد عبيد الله بن عمر ابن عيسى الديوبندي الحنفي في علم الخلاف وهو أول من صنف في خلاف الأئمة في الفقه .
 وعلم الخلاف نافع لمن يريد معرفة مدارك الأئمة ودلائلهم ووجوه الترجيح فيها شجر ينهم
 من الاختلاف في الأحكام فهو فرع من علم أصول الفقه . وقد سمي في طبع هذا الكتاب
 الشيخ مصطفى القباني دمشقي كما هو شأنه في السمي بإظهار كتب الأئمة النافعة
 وإشراها . طبعه على نفقة ونفقة محمد أفندي أمين الحانجي على أجود الورق التساع
 الموجود في مصر . وكنت أود أن يقف على تصحيحه أحد المشتغلين بالفقه والأصول .
 ولا أسرف كتاباً طبع في علم الخلاف غيره فمسي أن يقبل أهل العلم على مطالعته
 وقد طبع في آخر الكتاب رسالة (الأصول التي عليها مدار كتب الحنفية) وهي
 نحو أربعين أصلاً وضعها الإمام أبو الحسن الكرخي من فقهاء القرن الثالث ووضع لها
 لأمثلة والشواهد الفقهية عمر السنن المتوفى سنة ٥٣٧ ونحو نورد بعض أمثلتها عبرة
 للمفكرين قال : « الأصل أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو
 على الترجيح والأولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق » وبالله ذكر : جهات
 آخر وهو الرجوع عن قول أصحابهم إلى الآية الكريمة ولو عند عدم ظهور وجه
 وجيه في التأويل . ومنها قوله : « الأصل أن كل خبر (أي حديث شريف) يحين بخلاف
 قول أصحابنا فإنه يحمل على النسخ أو على أنه معارض بمثله ثم صار إلى دليل آخر أو
 رجح فيه عما يحتاج به أصحابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق . وإنما يفعل ذلك
 على حسب قيام الدليل فإن قامت دلالة النسخ يحمل عليه وإن قامت الدلالة على غيره صرنا
 إليه » أي أنه لا بد من تصحيح قول فقهاءهم والعمل به على كل حال . ونحن نقول كما يحمل
 نسخ الآية أو الحديث بحتم الرجوع ذلك أنه فيه عن قوله فالنسخ قليل جداً ولكن
 الأقوال المروجة التي يرجع عنها العلماء أكثر من أن تحصى . يقابل هذا بذاك وتبقى
 من غير أخرى للمعامل بالآية أو الحديث منها أنهما أصل الدين فإن قبل قول الفقيه فإنما يقبل
 لاستنادهما إليهما أو أحدهما ولو ظنا فإذا تمارض الأصل والفرع يحمل بالأصل . ومنها أن الثقة
 قبل الكتاب والسنة أعظم . ومنها أن خطأها محال وكل إمام وفقه عرصة للخطأ . ومنها

انهم أصبحوا أفصح الكلام فقههم أهل أسهل وبيانهم أعظم والله الهادي وهو أعلم وأحكم
(نهضة الأسد) قصة تاريخية تشرح حوادث الثورة العربية الشهيرة وقوة ثورتها
ونشأتها وهي من تأليف الصحفي الشهير لسكندر زحان الكبير، وقد صرنا صديقنا
الفاضل فرح أفندي أنبلون صاحب مجلة الجامعة بمساعدة ونشرها تباعاً في ذيل مجلته
جميعها في أربعة أجزاء واسم الثالث منها (لوثة الأسد) والرابع (قريضة الأسد) وهي
أفصح القصص العربية فيما أظن لأن مطالعة حوادث الانقراض في الأمم هي أكبر العبر
وأولى الناس بالاقبال على قراءة هذه الأخبار من دبت فيهم نسمة الحياة الاستقلالية،
واستمدوا لأن يكونوا أمة حية؛ فمضى أن يرغب شبابنا وشواتبنا عن مطالعة القصص
الغرامية الصحفية إلى مطالعة مثل هذه القصة التي تفوق تلك القديمة وتزيد على النعمة.
(مجلة المجلات العربية) نفي صديقنا الفاضل محمود بك حبيب صاحب هذه
المجلة بما وفق له من زيادة ألقائها وتكثير فوائدها فقد صدر آخر جزء منها يزيد
على ما تقدم في الفوائد العلمية والأدبية وكثرة الرسوم الجميلة التي لم تسبقه إليها
مجلة عربية. فسال الله أن يزيد مجاته بكماله كلاً، ويوفق الناس لأن يزيدوا عليه اقبالاً.
والحجاج بن يوسف، قصة تاريخية غرامية تتلو قصصاً نشرت قبلاً في التاريخ
الاسلامي ويتلوها غيرها فيه فهي الحقة السادسة من سلسلة وفيها خبر حصار مكة
على عهد عبد الله بن الزبير وقتها، وقيل إن الزبير والكلام في أخلاق أهل الحرمين
وعاداتهم. مؤلف هذه القصص صديقنا المؤرخ الشاب جرحى أفندي زيدان صاحب
مجلة الهلال الفراء. وقد اشتهرت هذه القصص بنشرها في الهلال بل زاد اشتهار
الهلال وانتشاره بها لما فيها من اللذة والفائدة ومازالت أمي تقي بمطالعة هذه القصص
من أولها إلى أخرها تلهل والثناء ولنا يتح لي ذلك

وقد رأيت من المسلمين من يتقد هذا الوضع من وجهين أحدهما ان من شأن
القصص ان تكون فيها أخبار كاذبة فيشتبه على القارئ الحق بالباطل وثانيهما استئصال
نسبة المشق والغرام الى رجال سلفنا الكرام. وقد كان بعض هؤلاء المتقدين
كتب رأيه في جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بما عرف واشهر. وقد تصفحت
ورقات من هذه القصة فالتفت أن الحوادث الغرامية لم تسند الى احد من رجال السلف
المعظم، والائمة الذين يجولون عن الاشتغال بالمرام، وأما مسألة الاشتباه فقد رأينا في
مقدمة هذه القصة ما يكشف عن الحقيقة فيها وهو قول المؤلف: «فالمدة في رواياتنا
على التاريخ وانما تأتي بحوادث الرواية تنويعاً للمطالعين. فبقى الحوادث التاريخية على

حاطها وندمج في خلالها قصة غرامية تشوق المطلاع الى استتمام قراتها. فيصح الاعتماد على ما يجي في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريخ من حيث الزمان والمكان والاشخاص الامتنع فيه القصة من التوسع في الوصف بما لا تأثير له على الحقيقة. اهولنا الثقة بالمؤلف الفاضل بأنه لا يكتب عن الاسلام والمسلمين الا ما يعتقده وان لم يكن مسلماً لأنه من أبعد خلق الله عن التعصب الديني وأحسنهم انصافاً فان فرط منهما أوجب الانتقاد أو يوجه فهو عن غير سوء قصد. ولا شك أن قراءة هذه القصص مفيدة فمن يرى من المتقدين أن فيها تقصيراً فليصنف ما هو خير منها. واننا لا نحزب لصديقنا بما لا نعتد واذا اتبعنا مطالعة هذه القصص أو بعضها وظهر لنا فيها خطأ فانه انبه عليه ان شاء الله تعالى. وثمن النسخة من هذه القصة عشرة قروش وأجرتها في البريد قرشان وتطلب من مكتبة الهلال بمصر.

(مسامرات الشعب) قصص مختصرة يؤلفها أو يحررها بعض المشتغلين بالكتابة والادب لمكتبة الشعب ومطبعها فطبع وتشر على نفقة صاحب المكتبة والمطبعة الهام ويصدر في كل شهر قصتين وجعل ثمن القصة قرشاً اميرياً وقيمة الاشتراك الى سنة عشرين قرشاً. وقد ذكر في مقدمتها أنه يقصد بنشر هذه القصص التهذيب وخدمة الوطن. وانما يتحقق هذا اذا جعلت هذه القصص حكايات عن أخلاق الشعب وعاداته مع استحسان الحسن واستهجان المستهجن ولم أر أعلق بهذا القصد من القصة الرابعة واسمهما (الحال والمآل) فقد أودعها كاتبها أحد حافظ أقدى عوض بيانا في كيفية عشق الناشئين والناشئات، وما يقع ذلك من الفساد والتكرات. وستكم عنها في جزء آخر

نبأ الخبلة الأولى

(الوباء والمدوى والوقاية)

ظهرت الهیضة الوبائية في بلدة موشة التابعة لمديرية أسيوط وانتقلت الى القاهرة ثم ظهرت في عدة بلاد وقد اعتنت الحكومة بالوقاية منها واهتم رجال الصحة بمنع انتشارها بقدر الامكان ولا أظن ان العناية في غير القاهرة مثلاً فيها وإن كان متيسراً. على ان حفظ الماء من القذارة في الارياض عشر جداً والزلم بالناس بالنظافة هناك

أعسر . ومما يزيد الوباء من كونه مفسداً على مساعدة ذهابي الحكومة ، قبل بعودته وقائهم لأنهم
لجأهم يتوهمون أن الحكومة تدس في أهلاكهم ، تريد إهلاكهم وتضر بهم حتى أن
الأكثرين يعتقدون أن أطباء الحكومة يسعون لنصايب الأذى السامة ليميتوهم
ولا شك أن هذا الوهم فاسد وأن الحكومة خير لهم في هذه الحال من إهلاكهم ومن
أنفسهم لأنها تجهد في وقايتهم قبل أن يصابوا وفي معالجتهم بعد ذلك إن لم يعرفوا
وأنما تخدمهم برجالهم وتنفق عليهم أموالهم المحفوظة عندها

ونحن لا نتقد على الحكومة إلا بعدم الاعتناء بالتنظيف حيث يسكن الوطنيون
كاعتنائها به حيث يسكن الأجانب . فقد استغاثت الجرائد بمصلحة الصحة طالبة
تنظيف بعض الجهات القذرة التي اتخذها الناس مناصع (والمنامع هي المواضع التي فيها
للبول والغائط) كشارع الخايج من جهة باب الحلق . فكان الواجب على الحكومة
أن تأمر بجمع التخلي هناك وفي أي شارع لا يحل عليه مصاب فيحمل الذباب جراثيم
الداء من برازه إلى البيوت المجاورة . وشي آخر لا يزال منتقداً من رجال الصحة
وهو معاملة الناس بالغاظة والخشونة عند اداء وظائفهم وهم يعلمون أن الناس معذرون
بالجهل ولعل هذه المعاملة لعلفت بعداً من جناب مستشار الداخلية بالتأطع في المعاملة
ومن أسباب انتشار الوباء جهل الأهالي بصحة المدوى وهي ثابتة شرعاً وعادياً
واختباراً بالشاهدة . وأما المدوى المنقية بالحديث فهي ما كان يعتقد في الجاهلية من
حصول ذلك بعلمه من غير قدرة الله تعالى وفي روايات الحديث ما يدل على ذلك .
أخرج أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة
ولا سفر وفر من الجذوم كما تفر من الأسد » فبعد أن نقى ما كانت تعتقده الجاهلية
بأنه ينقل من الجذوم - وسرع الحامض - من شجر وعرة من شجر إلى شجر في
حديث الجذوم بأن العلماء المحققين لأسباب الشافية قالوا بآيات المدوى على أنها سبب
من الأسباب العادية التي قام بها نظام الكون . وأخرج البخاري ومسلم من حديث
أبي هريرة : « لا عدوى ولا هامة ولا سفر » ولا يحمل المرض على المصحح ولا يحمل
المصحح حيث شاء . قيل ولم ذاك يا رسول الله قال « لأنه أذى » وهذا أصبح من
من الأول في إثبات سببية المدوى . وأخرج أحمد والبخاري ومسلم عن أسامة بن
زيد وعبد الرحمن بن عوف وأنس بن مالك عن أبي داود عن ابن عباس أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليها وإذا وقع وأنتم بأرض
فلا تخرجوا منها » فهذا الحديث الصحيح أصل في الحجر على المصابين أن يخرجوا

فيخالطوا الناس الأصحاء فتنقل اليهم بذلك المدوى . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة
ومن أسباب انتشار الوباء الجهل بمداواة الصحة والوقاية من الأمراض . ولو
كان الناس يعملون بالأداب الشرعية لكان لهم فيها غناء فان أهم أركان الصحة النظافة
والاحتياط في الأكل والشرب . فأما النظافة فهي عند المسلمين من خصال الإيمان .
وقد اشترط في تطهير الأشياء وتنظيفها عند الشافعية وأكثر أهل هذا القطر منهم
أن يكون الماء الطاهر وارداً على الشيء الذي يراد تطهيره لا موروداً وهذا الشرط
موافق للصحة . فان الثوب أو الموضو المتجسس اذا ورد على الماء ينتشر في الماء
ميكروب المرض واذا ورد الماء عليه يزيل التجاسة وما فيها من الميكروبات . ولا يجوز
وضع التجاسة في الماء ولا اليد المتنجسة فيه على تفصيل في ذلك . ومما لا خلاف فيه
بين المسلمين أن كل ما علم ضرره بالاختبار أو بقول الطبيب الموثوق به فالواجب اجتنابه
وأما الاحتياط في الأكل والشرب فأحسن ما يذكر فيه الآن ما روي عن النبي
صلي الله تعالى عليه وسلم في بيان سبب عدم قبول الطبيب الذي أهدها اليه المقوقس
ملك القبط وهو : لانا كل حتى نجوع واذا أكلنا لانشبع ، ولا أذكر من خرجه
من المحدثين وهو مذكور في كتب السير . وهذا أصل عظيم في الوقاية من الهیضة
الوبائية فان جرائم الهیضة لا تضر الا اذا انتقلت من المعدة الى الامعاء في طعام
غير مهضوم . فمن يأكل عن جوع حقيقي ولا يكثر من الاكل فانه بهضم ماأكله
بسهولة فاذا وجد في طعامه أو شرابه شيء من جرائم الهیضة الوبائية (الكوليرا)
فانه حينئذ يهضم ولا يضر . واذا كان مع هذا براعي النظافة في الطعام والماء
مراعياً فيه وصلياً الاطباء فذلك اكمل الاحتياط .

ولا يتوهم ان الحديث المذكور آنفاً يدل على ان الطب غير مطلوب شرعاً فقد وردت
الأحاديث الصحيحة والحسنة أن لكل داء دواء إلا الموت وفي رواية الأثرم وكثير
من الأحكام الشرعية بنى على قول الاطباء حتى في العبادات . فالاعتماد على قول
الطبيب المدل في ذلك واجب شرعاً وكذلك غير المدل ان صدق قائلنا كثيراً ما نهزم
بصدق من لم توجد فيه صفات العدالة الشرعية كلها لانا عرفنا صدقه وهارته بالتجربة

﴿ ابطال المولد الحسيني وغيره ﴾

أمرت الحكومة بابطال المولد الحسيني وغيره لأن الاحتياط الصحي يقتضي بتقليل
الاجتماع والازدحام في أيام الوباء لاسيما مثل اجتماع الموالد المشتعلة على الفحش والفجور

والانصراف في كل الامور الى الله تعالى كالمزلة لا من غير الله تعالى فيه الا اذا كان معه سبحانه يدلي بشي . والله تعالى يوفق المكونين الى ما يشاء من الموالد بالمره اذا كان رجال الدين لا يسمعون بوزلة الشكرات لشيء منها . ومن زعم الزاعمون ان فيها منفعة تجارية فذلك اسواقا تجارية لأصيغه للدين فيها روافد تراثت على الجرائد تسلية الناس عن ابطال المولد الحسيني فقالت ان هذه الموالد ليست من أصول الدين ولكن التناقل من أصول الدين كأنها تعني أن الموالد من فروع الدين وأن مراعاة الأصل مقدمة على مراعاة الفرع . ذلك جهل على جهل فأصول الدين بمقتضى العقائد والمنافاة ليست منها وانما هي من الفروع العملية . وأما الموالد فليست من الأصول ولا من الفروع بل هي من البدع القبيحة والاضلالات المشتملة على كثير من الفواحش والمحرمات

﴿ الخمارة الاسلامية والاستهانة بالدين اعتماداً على الاولياء ﴾

فشا شرب الخمر في مساهمي مصر وجاهاؤها به حتى كأنه مباح أو مستحب ويقال انهم اكثر شرباً من القبط والافرنج لكنهم ظلموا . فقدرين في هذا النوع من الفسق اذ لم يشغلوا ببيع الخمر حتى ازال عنهم عار التقصير واحداً منهم اتخذ له حانة يقتخر بانها الحانة الاسلامية الوحيدة . وكان الشكاري في الحانة الاسلامية هم المتحمسون فيها يستهيه الجهلاء في هذه الايام لباب الاسلام وأظهر بميزات المسلمين . مثال من ذلك انني مررت من أمامها ايلاً فرأيت على بابها رجلاً يناهز الستين والكاس في يده وهو يصيح (يا سيد يا باب النبي) كأنه علم ان الذين يقدّمهم هو وامثاله في شرب الخمر يشربون على أسماء الكبراء والامراء والملوك وهو ما نسبه الجرائد الآن النخب فأراد أن يشرب نخب السيد البدوي . والا فهو يشيد باسمه لأجل أن يشفع له . فخطر لي ان أبرمي كلمة أنهم بها مقادير . هل أمرك التي بهذا ؟ فسألني عن سمة : هو يترلي : هو نخب السيد . الله يحب النبي والسيد . التي ترلي : هو ركي . وقد علمت انه يمرض بدمى تكلمة تركي لأنه رأى ذبي كروي علمه الترك . وكأني بمن معه قد اعتقدوا انه من الاولياء لأنه ذكر اسم الله والي وتسيد على الخمر وان كان الفقهاء يمتنعون هذا استهانة بالدين ويحتوا في كمر صاحب

مجموع ما كتبه الخمر المودع في السمرات في فقه الفقه والاسلام في مصر .

لكنني اني مجموعة نطبع في مصر من الامانة في ركن . ولهم في الموالد التي هي من

رسالوها عن قريب الى ادارة مجلة الفقه والاسلام والاسلام

(ارجاءنا الكلام في مسيح الهند الى الجزء الثاني)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

١٣١٥

﴿ قل عليه الصلاة والسلام : إن الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

مصر في يوم الاربعاء ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ - ٢٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢

(الفيلسوف أبو الوائيد محمد بن رشد قاضى الفضاة فى الاندلس)

هذا الفيلسوف أشهر فلاسفة المسلمين وأكبر أساتذة أوروبا فى العلم والفلسفة لأن فلسفته انتقلت من الأندلس (اسبانيا) إلى سائر بلاد أوروبا فكانت مبدأ نهضة الأوربيين الحاضرة . ولد سنة ٥٢٠ فى قرطبة . وتوفى سنة ٥٩٥ فى بلاد المغرب . وقد نشرت مجلة الجامعة القراء تاريخه وتكاملت عن فلسفته واستمرت إلى مسائل أخرى كذهب المتكلمين فى الوجود والمقابلة بين الاسلام والنصرانية فى اضطهاد العلم والفلسفة وعدمه . وقد وقع فى تلك الترجمة غلط فى هذه المسائل . والانسان دائماً عرضة للخطأ والغلط فيما يعمه وأنقنه فكيف يكون حاله فيما لم يتعلمه بالتلقى عن أهله إذا تكلم أو كتب فيه . وإن صاحب الجامعة الفاضل لم يتعلم علم الكلام الذى هو فلسفة العقائد الاسلامية لانه ليس مسلماً ولا فلسفة اليونانيين لأنها قد نسخت بالفلسفة العصرية فلا شك عندنا أنه لم يعتمد تكفير القاضى ابن رشد ولا نسبته أنه المسلمين فى العقائد إلى انكار ارتباط الاسباب بالمسببات . ولكن بعض الذين قرأوا تلك الترجمة فى مجلته أساءوا الظن به واحتموا عليه ورجعوا الينا فى الرد عليه لأن من وظيفة المنار الدفاع عن العقائد الاسلامية وعن أئمة المسلمين وطلب بعضهم مثل ذلك من بعض اساتذتنا الاعلام ، الذين يرجع إليهم إذا احتكر من ليل الشبهات الظلام ، ولما رأينا ذلك الاستاذ وعد الطالبين بأن يكتب

في بيان حقيقة تلك المسائل التي وقع فيها الخطأ امسكنا نحن عن الكتابة لأنه هو الأجدر بالفصل بين الحق والباطل . والذي إذا قال لم يترك مجالاً لقائل ، وقد تفضل علينا وعلى الجامعة بما كتب فننشر في هذا الجزء مقالته في فلسفة ابن رشد ومذهب المتكلمين . وسننشر في الأجزاء التالية مقالاته في الاضطهاد في النصرانية والإسلام »
تمهيد لمقالة الأستاذ الحكيم : لا بد لفهم قراء النار هذه المقالة من ذكر ما قالته الجامعة في فلسفة ابن رشد لأن كاتب المقالة لم يذكر فيها إلا مواضع النقد قالت الجامعة :

﴿ المادة وخلق العالم ﴾

« ان أعظم المسائل التي شغلت حكم قرطبة مسألة أصل الكائنات ، وهو يرى في ذلك رأى ارسطو . فيقول ان كل فعل يفضى إلى خلق شيء إنما هو عبارة عن حركة . والحركة تقتضى شيئاً لتحركه ويتم فيه بواسطتها فعل الخالق وهذا الشيء هو في رأيه المادة الأصلية التي صنعت الكائنات منها . ولكن ما هي هذه المادة ؟ هي شيء قابل للانفعال ولا حد له ولا اسم ولا وصف . بل هي ضرب من الافتراض لا بد منه ولا غنى عنه . وبناء عليه يكون كل جسم أبدياً بسبب مادته أى انه لا يتلاشى أبداً لان مادته لا تتلاشى أبداً . وكل أمر يمكن انتقاله من حيز القوة إلى حيز الفعل لا بد له من هذا الانتقال والا حدث فراغ ووقوف في الكون وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة في العالم ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحولات المتتالية الواجبة لخلق العالم بل لما حدث شيء قط . وبناء عليه فالعامل الأول الذي هو مصدر القوة والفعل (أى الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لأن الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثاً والخالق نزه عن ان يكون حديثاً

﴿ اتصال الكون بالخالق ﴾

« هذا فيما يختص بخلق العالم ، وهو مذهب قريب جداً من مذاهب الماديين كما ترى . وأمكن كيف يستولى العامل الأول على الكون ويدبره »
« لابن رشد في ذلك تمثيل يدل على حقيقة مذهبه في هذه المسألة الخطيرة . فانه يشبه حكومة الكون أى تديره بحكومة المدينة . فانه كما ان كل شؤون المدينة تتفرق وتوجه إلى نقطة واحدة وهي نقطة الحاكم العام فيها فيكون هذا الحاكم مصدراً لكل شؤون الحكم ولو لم تكن له يد في كل شأن من هذه الشؤون كذلك الخالق في الاكون فانه نقطة دأرتها ومصدر القوات التي تدبرها وان لم يكن له دخل مباشرة

في كل جزء من هذه القوات . فبناء على ذلك لا يكون للكون « اتصال » بالخالق مباشرة . وإنما هذا الاتصال يكون للعقل الأول وحده وهذا العقل الأول هو عبارة عن المصدر الذي تصدر عنه القوة للشكواكب . وعلى ذلك فالسماء في رأى فيلسوف قرطبة كون حتى بل أشرف الأحياء والساكنات ، وهى مؤانة في رأيه من عدة دوائر يعتبرها أعضاء أصلية للحياة والنجوم والكواكب تدور في هذه الدوائر . أما العقل الأول الذى منه قوتها وحياتها فهو في قلب هذه الدوائر ولكل دائرة منها عقل أى قوة تعرف بها طريقها كما ان للانسان عقلا يعرف به طريقه وهذه العقول الكثيرة المرتبطة بعضها ببعض والتي تلى بعضها بعضاً محكومة بعضها ببعض إنما هى عبارة عن سلسلة من مصادر القوة التي تحدث الحركة من الطبقة الأولى في السماء إلى ارضنا هذه . وهى عالمة بنفسها وبما يجرى في الدوائر السفلى البعيدة عنها . وبناء على ذلك يكون للعقل الأول الذى هو مصدر كل هذه الحركات علم بكل ما يحدث في العالم .

(طريق الاتصال)

« وان قيل ماهى علاقة الإنسان بالخالق . فالجواب عن ذلك يأخذه ابن رشد أيضاً عن ارسطو من الفصل الثالث من كتابه « النفس » وخلاصة ذلك ان السكون عقلا فاعلا وعقلا منفعلا فالعقل الفاعل هو عقل عام مستقل عن جسم الإنسان وغير قابل للامتزاج بالمادة وأما العقل المنفعل فهو عقل خاص قابل للغناء والتلاشى مثل باقى قوى النفس وإنما يقع العلم والمعرفة بالتحاد هذين العقلين . ذلك ان العقل المنفعل يميل دائماً للاتحاد بالعقل الفاعل كما ان القوة تقتضى مادة تنفذ فيها والمادة تقتضى شكلاً توضع به . وأول نتيجة تحصل من هذا الاتحاد تدعى العقل المكتسب ولكن قد تتحد النفس البشرية بالعقل العام اتحاداً أشد من هذا فيكون هذا الاتحاد عبارة عن امتزاجها بحد الامتزاج بالعقل القديم الأزلى . ولا يتم هذا الاتحاد بالعقل الاكتسابى الذى تقدم ذكره فانما وظيفة العقل الاكتسابى ايصاله إلى حرم الخالق الأزلى دون أن يدغمه به . وأما ادغمه واتصاله به فذلك أمر لا يتم الا بطريق « العلم » فالعلم إذا هو سبب « الاتصال » بين الخالق والخالق . ولا طريق غير هذا الطريق . ومتى اتصل الإنسان بالله صار مثله عارفاً بكل شئ في الكون ولم يعد يفته شئ . ولكن كيف يتصل الإنسان بالله ؟ يتصل به بان ينقطع إلى الدرس والبحث والتنقيب ويحرق بنظره حجب الاسرار التي تكتنف السكون فانه متى خرق هذا الحجاب ووقف على كنه الأمور وجد نفسه

وجها لوجه امام الحقيقة الابدية

« اما المتصوفة فانهم يقولون ان هذا « الاتصال » يتم بواسطة الصلاة والتأمل والتجرد وليس العلم ضروريا له

« وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قائده العلم . والكون في رأيه كما مر بك إنما صنع بقوة مبادئ قديمة مستقلة محكومة بعضها ببعض وكلها مرتبطة ارتباطاً مهيماً بقوة عليا ومن هذه المبادئ شئ يستولى على العالم وينزع فيه العقل فهو عقل الانسانية . وهذا الشئ الذي يسميه عقلاً أيضاً هو عقل ثابت لا يتغير أى انه لا يتقدم ولا يتأخر لا يزيد ولا ينقص . والناس يشتركون فيه ويستمدون منه كميات متباينة . على أن من كان منهم أكثر استمداداً منه كان أقرب إلى الكمال والسعادة »

(الخلود)

ثم تسكمت الجامعة بعد ما تمهد عن رأى ابن رشد عن خلود النفس فقالت بعد كلام ما نصه : « قال : ان العقل الفاعل العام الذي تقدم ذكره من صفاته انه مستقل ومنفصل عن المادة وغير قابل للفناء . والملاشاة ، والعقل الخاص المنفصل من صفاته الفناء ، مع جسم الإنسان ، وبناء عليه يكون العقل العام الفاعل خالداً والعقل المنفصل فانياً ، ولكن ما هو العقل الفاعل العام الذي هو خالد في رأى ابن رشد ؟ ان هذا العقل الخالد هو العقل المشترك بين الإنسانية فالإنسانية اذاً هي خالدة وحدها دون سواها ، وبناء على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية ولا شئ مما يقوله المادة عن الحياة الثانية » اهـ

(دفع وهم عن فلسفة ابن رشد والمتكلمين)

(لأستاذ حكيم ، وفيلسوف عليم)

قرأت ما نشرت الجامعة من ترجمة ابن رشد . مرت على ما نقلت من آراء المتكلمين وآرائه بغير تدقيق لأننى أعرف آراء الفريقين من قبل ولم يكن لى قصد إلى النقد وإنما أريد أن أستفيد جديداً . لهذا لم يهف نظرى لأول وهلة الاعلى ما حوته تلك الجملة (الاضطهاد في النصرانية والإسلام) قرأها بتروء وانسيت منها إلى حكم من الجامعة يخالف ما اعتقد

ولا يلتزم مع ما أعرف ويصرف المارفون من الشواهد التاريخية ، عنه ذلك تهركت نفسي إلى كتابة مطور ، أشير فيها إلى كشف مستور ، أو إعادة ذكر مشهور على أسماع الجمهور .

لأقاني بعض قراء تلك الترجمة فرأيت الأثر في نفسه أشد ، ولسانه في الغيب أحد . وذكر أشياء في غير هذا الفصل من الترجمة ولقنتني إلى إعادة النظر فيها رجعت إلى الترجمة فوجدت فيها موضعين آخرين يعنيان من الكلام عنيهما ، وبأن أحاديث الجامعة فيهما ، لو كانت منزلة الجامعة من نفس منزلة غيرها من المجالات التي لا يعني كاتبوها إلا بنقل ما يقع تحت أنظارهم ، أو تحجير ما يعبر عن أهوائهم وأفكارهم ، من دون عناية بتقرير الحقيقة ، ولا رعاية لمتقدمات القراء - لوجدت من شواغل عملي ما يصرفني عن ذكر ما عرض فيها ، لكنها من المجالات التي لو أهملت مباحثها من إنسام النظر وجمالها في جانب عما تستحقه من النقد أبخسها حقها ، ونبوت بها عن موضعها .

لهذا رأيت أن أذكر لها ما رأيت في ذينك الموضعين وأبين حقيقة الأمر في الثالث . أما الموضعان فهما : (فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود) و (فلسفة ابن رشد وآراؤه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الإنسان به والخلود) وهما موضوع كلامي اليوم « فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود »

قالت الجامعة « فلسفة المتكلمين هذه (أي في وجود العالم) مبنية على أمرين . الأول حدوث المادة في الكون أي وجودها متخلق خالق . والثاني وجود خالق مطلق لا يشرف في الكون ومنفصل عنه ومبدؤه

وبما أن الخالق مطلق التصرف في كونه فلا تسأل إذاً عن السبب إذا حدث في الكون شيء لأن الخالق نفسه هو السبب وليس من سبب سواه. إذاً فلا يلزم عن ذلك قطعياً أن يكون بين حوادث الكون روابط وعلاقات كأن ينتج بعضها عن بعض لأن هذه الحوادث تحدث بأمر الخالق وحده. وفي الإمكان أن يكون العالم بصورة غير الصورة المصوّر بها الآن وذلك بقدرة هذا الخالق. ثم ذكرت في الجملة التي تلي ما تقدم أن هذه فوضى، وأن روحاً جديداً أخذ يدخل شيئاً من النظام فيها^(١).

حدوث المادة عند المتكلمين ليس مناه أن تكون يخلق خالق فإن الخلق في اصطلاحهم هو الإيجاد وكون المادة صادرة عن موجود لم يختلف فيه المتكلم والفيلسوف الإلهي. فأرسطو يقول إن المادة قد استفادت وجودها من وجودها وهو الواجب بواسطة فيض الوجود عليها هو العقل الفعال على ما سيأتي بيانه وإن كان لا أول لوجودها وإزاء حدوث المادة عند المتكلمين هو وجود الأجسام وعوارضها بعد أن لم تكن موجودة بحيث يفرض لوجودها بداية زمنية تنتهي إلى انقراضها من جانب الماضي. ولا يجوز أن يوصف بالأزلية إلا الله تعالى ومقاته عند القائلين بأنها وجودية. وقبل هذه البدايات التي لا يمكن سببها لم يكن وجود سوى وجود خالق الكون ثم إنه أبرز إيجاد الكون فأوجد من المدمم البحث. هذا هو بناء مذهب المتكلمين وهو مذهب أهل النظر

(١) ذكرت الجامعة الغراء أن مسيو هذا الروح الشامي في مجلة تلار واستشهدت لذلك بالتفسير الذي تفتبه من دروس الأستاذ الإمام كبير رجال النهضة الإسلامية الحاضرة

من المسيحيين واليهود أيضاً فلم يخالف فيه ملى من أهل الملل الثلاث .
 أما كون هذا المذهب وحده هو الذى يصح أخذه من القرآن أو
 أنه يجوز أن يتفق مع معانى القرآن رأى آخر بل هو الذى يظهر منه فذلك
 بحث آخر لسنا بصدد الآن فإن كلامنا فى تصوير مذهب المتكلمين .
 الأصل الثانى - وهو وجود خالق مطلق التصرف - لازم للأصل
 الأول لأن هذا العالم إذا كان موجوداً بفعل موجد فوجوده هو خالقه
 وهو مطلق التصرف بمعنى أنه يختار ما يخلق على الوجه الذى يخلق .
 والمتكلمون وإن اتفقوا على أن خالق العالم يختار انقسموا إلى فريقين
 عظيمين فالقدرية منهم ويسمّون بالمعتزلة أيضاً قالوا : إن الخالق وضع
 للكون نظاماً تنطبق أصوله على مصالح المخلوقين وأودع فى المخلوقين
 قوى أو قُدراً تصدر عنها آثارها بطريق التوليد والسببية أو بطريق
 الإرادة والاختيار . فهذا فريق من المتكلمين لا يخالف الفلاسفة فى قولهم
 بلزوم الآثار لمصادرهما أو تأثير قدر المخلوقين فى أفعالهم . وقد بقى من
 أهل هذا المذهب إلى اليوم طائفة الشيعة الإمامية والزيدية فإنهم لا
 يخالفون المعتزلة فى هذه الأصول . فإذا حدث فى الكون حادث سأل
 صاحب هذا المذهب عن سببه المباشرة وإن كانت جميع الأسباب تنتهى
 إلى مصدرها الأول وهو الخالق كما يسأل الفيلسوف بلافرق .

والفريق الآخر الذى عنته الجامعة وهو الذى يرى إسناد الآثار إلى
 الخالق مباشرة لم يقطع العلاقة بين الأسباب الظاهرة ومسبباتها بل قال
 إن الله يُصدر وجود المسبب عند وجود السبب فلا يقال : إن الأكل
 (مثلاً) هو الذى يحدث الشبع بل الشبع شىء يحدثه الله عند الأكل ولكنه

لا يحدثه عند الخوى إلا إذا أراد أن يخرق النظام الذي جرت به سنته
 لأمر عظيم يريد توجيه النفوس إليه وحمل هذا الفريق على هذا القول
 إنكاره نسبة الإيجاد ومنع الوجود إلى شيء سوى واجب الوجود وقالوا
 في الأفعال الاختيارية إن الله يوجدها عند تعلق كسب العبد بها ولهم في
 تصوير معنى الكسب كلام طويل لا يليق بهذا المقال استيفاءً وقالوا
 إن الأسباب والآلات لا بد منها في صدور الأثر إلا أن الذي يعطيه
 الوجود عند استكمالها هو الخالق ، ولهذا اتفق جميع المتكلمين على أن
 التكليف بالأحكام الشرعية يعتمد التمكن من الإتيان بالمكلف به من
 حيث حال المكلف وصرحوا بأنه لم يقع تكليف بشيء إلا إذا تيسرت
 أسبابه وارتفعت الموانع منه ، غير أنهم يلقبون هذه الأسباب بالمادية لأنه
 ليس من الواجب على الخالق أن يلتزمها مع اعتقادهم بأنه قررها وجرت
 سنته بها ولقبوا ما يحدث في العالم مخالفاً لها بخارق المادة وليس كل
 غريب عندهم خارقاً للمادة بل الخارق هو ، ألا يدخل في مكمة قوه حادثة
 ولا يقدر على إحداثه إلا نقاد على مخالفة النظام الذي سنه وهو الله

هذا الفريق من المتكلمين يستند في إثبات صفة العلم لله تعالى إلى من
 هذا العالم من النظام وإلى ما حواه ذلك النظام من الأسرار والحكم وهل
 يتأتى هذا الاستناد منهم إن لم يقولوا بوجود العلاقة بين الأسباب وسببها
 كان من هذا الفريق أنه تناول بحجهم كثير من الفنون كالطب وعلوم
 المواليد الثلاث الحيوان والنبات والمعدن منهم الأئمة الرازيون كفضل الدين
 الرازي وأبي بكر الرازي ومحمود الرازي وأمثالهم ومهم مثل الإمام
 أبي بكر الباهلاني . وكيف ييسر نقائل أنه لا علاقة بين الأسباب

والمسببات أن يبرع في فنون بناؤها على الارتباط بين الآثار وما يقارنها في العادة مما هو مصدر لها في بادية النظر.

فإذا حدث في الكون حادث سأل صاحب هذا المذهب عن سببه الذي جرت سنة الله بأن يكون معه وإن شئت قلت سأل عن السبب الذي أصدر الله وجوده عنده . وهل يمكن أن يقول المتكلم أنه لا علاقة بين وجود الولد ووجود والديه أو بين جودة العمل وعلم العامل أو بين غزارة الثمر وخدمة الشجر ؟ هذا شيء لم يقل به قائل منهم قط وإلا لما قرأ واحد منهم كتابا ولا خط في صحيفة سطر إلا أنه لا علاقة بين المطالعة والفهم ولا بين التحرير والأفهام .

فإن شئت أن تقول إنه مذهب مع ذلك غامض يكدر ذهن في فهمه فلك أن تقول وأن تنعم النظر حتى تفهم مبانيه وأصوله وأن تناقش بالدليل الدليل . وعلى الله قصد السبيل .

القول بنفي الرابطة بين الأسباب ومسبباتها جدير بأهل دين ورد في كتابه أن الإيمان وحده كاف في أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحوّل عن مكانك فيتحوّل الجبل^(١) يابق بأهل دين يعدّ الصلاة وحدها إذا أخلص المصلي فيها كافيّة في إقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم المنصرى وليس هذا الدين هو دين الإسلام دين الإسلام هو

(١) النار - يشير إلى ما جاء في أنجيل لوقا من الباب ١١ « ٢٣ » لاني الحق أقول

لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان ما يقوله يكون فمهما قال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كلما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم »

الذي جاء في كتابه «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم» الآية «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» الخ «سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» وأمثالها «ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار» الآيات . فلا يمكن لاهل هذا الدين وهو هو أن يقطعوا كل علاقة بين الأسباب في هذا العالم والمسببات ولهم أن يتيهوا على أرباب ذلك الدين الآخر بأن دينهم لم يوضع أساسه على دعوى من الخوارق لا يثبت أن يخسف بالسالك فيه إذا سال عليه سيل الدليل ، وإنما وضع على مستقر من الحقائق لا يتزلزل بالقائم عليه مهما عظم القال والقبل ، وليس من الممكن لمسلم أن يذهب الى ارتفاع ما بين حوادث الكون الترتيب في السببية والمسببية الا إذا كفر بدينه قبل أن يكفر بعقله .

نعم طرأ فساد على عقائد بعض المنتسبين الى ائمة ذلك المذهب وأساؤا الظن بالفدرو تظاهروا وابتترك الأسباب في أقوالهم ، وان كانوا أشد الناس تمسكا بها في ردائل أعمالهم ، وتعلقوا من الخوارق بجبل وهن ميلا إلى أهواء من جاورهم من الملل فظن الناظرون في قذائف أفواههم ، ان هذه الأوهام مما بنى عليهم اعتقاد اسلامهم ، فلا يفترون بعد ذلك مغتربا يظن أولئك الناظرون ولا بما يتوهمه هؤلاء الواهمون «سبحان ربك رب العزة عما يصفون» . هذا ما يتعلق برأى الجامعة في مذهب المتكلمين أو فلسفتهم وانتقل الآن إلى روايتها مذهب الفيلسوف ورأيها فيه .

﴿ فلسفة ابن رشد ورأيه في المادة وخلق العالم ﴾

المادة وخلق العالم قالت الجامعة: إن المادة «ضرب من الافتراض لا بد

منه» الافتراض يراد به عند الإطلاق الفرض وهو في اصطلاح

الفلاسفة مالا وجود له والمادة عندهم موجودة كما قالت الجامعة فيما قبل ذلك التحريب وفيما بعده .

ثم قالت : « وبناء عليه فالمعامل الأول الذي هو مصدر القوة والفعل (أى الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لأن الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثا والخالق ينزه عن أن يكون حديثا » . وقالت بعد هذا بسطرين : « وهو (أى مذهب ابن رشد) مذهب قريب جدا من مذاهب الماديين كما ترى » ثم ذكرت أن الفلاسوف يشبهه حكومة الكون بحكومة المدينة وأن المباشر لا تصرف في الكون هو العقل الأول وحده وأن السماء كون حى مركب من عدة دوائر والعقل الأول في قلب هذه الدوائر ولكل دائرة عقل أى قوة تعرف بها طريقها » الخ أما مسألة نفي الاختيار فقد ذكرت عليها إبهامها وأدى ذكرها كذلك الى استنتاج ان مذهب ابن رشد قريب من مذهب الماديين وليس الأمر في حقيقته كذلك .

يعلم كل ناظر في مذاهب فلاسفة اليونان أنهم كانوا فريقين إلهيين وماديين والأولون فريقان مشاؤون وإشراقيون واشتهر أتباع أرسطو باسم المشائين وأتباع أفلاطون باسم الإشراقيين .

وأول مميز للإلهيين عن الماديين أن الأولين يقولون بوجود واجب برىء من المادة والمديات وبوجود عقول مجردة عن المادة وغواشيها وبأن الواجب علما بذاته وبجميع ما يصدر عنه وعن آثاره وإن للعقول المجردة عقلا علما بذواتها وببديتها وبما يصدر عنها . والماديون لا يقولون بشيء من ذلك ألته فالتحريب بينهما قريب بين النقيضين . وابن رشد من

مقرر منسوب أرسطو فهو من الإلهيين .

وتشبيهه الفيلسوف لتدبير الكون بتدبير المدينة اكبر دليل على مفارقة الماديين كما يفارق المجرد والمادة وقد شرطوا في هذا التشبيه ان المدبر خارج عن المدبر مفارق له منزّه عن مخالطته .

أما العقل الأول فليس كما تقول الجامعة . فإن العقل الأول جوهر مجرد عن المادة وهو أول صادر عن الواجب وقد صدر عنه الفلك التاسع المسمّى عندهم بالفلك الأطلس ونفس ذلك الفلك تدبر من كنهه الحزنية وعقل آخر هو العقل الثاني وعن هذا الثاني صدر الفلك الثامن المسمّى عندهم فلك الثوابت ونفسه والعقل الثالث وهكذا الى أن صدر عن العقل التاسع فلك القمر ونفسه والعقل العاشر وهو المسمّى عندهم بالعقل الفعّال او العقل الفياض وعن هذا العقل صدرت المادة المنصيرية واليه يرجع ما يحدث في عالمها . ولا يكون العقل الأول ولا غيره من العقول في قلب تلك الدوائر عند أحد من هؤلاء الفلاسفة الإلهيين بل هو مفارق لها كما ان نفوسها جواهر مفارقة أيضاً ولها تعلق باجسادها كتمتاعق أنفسنا بأبداننا على ما سيأتي بيانه

والذي حمل الإلهيين على ذلك مبالغتهم في تنزيه الواجب وقولهم انه واحد من جميع الوجوه وزعمهم أن الواحد من كل وجه لا يصدر عنه إلا الواحد فيلزم أن لا يصدر عن الواجب إلا واحد وهو الماقل الأول . ولما تعددت وجوه الماقل في ذاته والنسبة بينه وبين مصدره الماقل لذاته وعقله لم يوجد صح أن يصدر عنه متعدد . ولهم في الاستدلال على حياة الأفلاك مقدمات لا حاجة إلى ذكرها لأن الكلام في تصوير مذهبهم

لا في تقريره أو إبطاله

فالمقول عند الفيلسوف ليست مخالطة للمادة ولا يفشاها شيء من ظلماتها وليس العقل الأول بمدير الكون وإنما هو مصدر الفلك الاطلس ومفيض نفسه عليه وخزانة مقولاته . وهكذا الأمر في كل عقل مع الفلك الذي صدر عنه وتدير العالم المنصري وهو ما دون فلك القمر راجع الى العقل العاشر وهو العقل الفعال .

قال الفلاسفة الإلهيون: ولا يجوز أن تكون لأفعال الله غايات واغراض تبعثه على إصدارها وان ما يصدر عنه إنما يفيض بمحض الجود المطلق عن غنى مطلق وقد صرح ابن رشد في تهذيبه للإلهيات أرسطو وبذلك وهذا مباغلة منهم في نسبة الكمال إلى الله على أن ما يصدر عنه إنما يصدر عن علم فالذي ينفي عنه إنما هو الاختيار بمعنى التردد بين الغايات ثم ترجيح إحداها أما الاختيار بمعنى أن الفعل صدر عن علم العالم بدون إكراه عليه فذلك لا ينفيه أحد منهم . والمليون من متكلمين ولاهوتيين وان لم يصرحوا بذلك قالوا بما يؤول اليه والتزموه فقد ذهب جمهورهم والموعول على رأيه عند قومه منهم أن علم الله محيط بالكليات والجزئيات أزلاً وأبداً وقد تعاقبت إرادته بتخصيص كل كائن بما هو عليه على حسب علمه وعلمه لازم لذاته أزليٌّ بأزلية ذاته وكل ما يكون في الكون لا بد أن يقع على وفاق مع علمه الأزلي جل شأنه فلا تردد عنده بين الغايات بل ما يصدر عنه اليوم كان لا بد أن يصدر عنه . والأسباب والمسببات وارتباط بعضها ببعض مما انتظم في علمه فهي تصدر عنه على حسب ترتيبها في العلم . وسواء كان القول غامضاً أو غير غامض وسواء توجه عليه من النقد ما يصب الجواب عنه

إذا روعيت بقية الأصول أو لم يتوجه كل ذلك لا يدفع عنهم أنهم قالوا بنفي الاختيار بالمعنى المعروف عند الناس وإن ثبت الاختيار بالمعنى الذي يليق بكمال الله تعالى فالفلاسفة وجمهور المتكلمين واللاهوتيين على وفاق في حقيقة المسألة وإن اختلفت العبارات فإن رشد رحمه الله لم يخرج في آرائه عن المليون فلا يصح أن يكون مذهبه مذهب الماديين ولا قريباً منه .

﴿ طريق الاتصال ﴾

يتوهم الناظر في هذا العنوان في الجامعة مع مراعاة الفصل الذي تقدمه فيها أنه عنوان لرأي ابن رشد في طريق اتصال الكون بالخالق فإذا استمر في قراءة ما بعد العنوان إلى آخر الفصل علم أن المراد طريق اتصال الإنسان وحده بخالقه وعثر في آخر البحث على هذه العبارة: « وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قاعدته العلم » : أما ما بين العنوان وهذه العبارة فهو مما لا يمكن أن يتحصل له معنى مفهوم في مذهب الفيلسوف . وإنى ذا كر لك رأيه في اتصال الإنسان بالله أي قربه منه وسماعته به وفي طريقة تكميله لنفسه حتى يسمد لذلك القرب وبذلك تعرف أن ما جاء في الجامعة ليس بالذي تصح نسبته إليه خصوصاً بعد قولها إنه أخذ مذهبه في ذلك عن أرسطو من الفصل الثالث في كتابه (النفس) وما قاله أرسطو في ذلك الكتاب معروف مشهور .

اثبت أرسطو وتبعه ابن رشد وجل فلاسفة الإسلام أن نفس الإنسان التي هو بها إنسان وهي ما يلقبونها بالنفس الناطقة -- جوهر مجرد عن الماده لا هو جسم ولا حال في جسم وإنما له علاقة بالجسم يدبره ويصرفه وشبهوا هذه العلاقة بعلاقة الملك بالمدينة وهو خارج عنها وهذه

النفس آلة في الجسم بها يكون التدبير
وقالوا ان انطباع المحسوسات والممانى الجزئية في الحواس الظاهرة
والباطنة على ما فصلوه يُمدّ النفس لقبول الكليات ويهيئها لتلقى
المعقولات عن مفيضها عليها وهو العقل الفعال الذي سبق لنا ذكره
وجعلوا مراتب النفس في استحصائها كالألها العلى وبلوغها ذروتها
اربعا (الأولى) العقل الهولاني وهو قوة استمداد النفس نحو المعقولات
وتسميته عقلا تسمية مجازية و(الثانية) العقل بالملكة وهي القوة التي تحصل
للنفس عند حصول المعقولات الأولى مثل الجزء والكل ومثل الحكم
بأن الأول أصغر من الثاني ومثل النفي والاثبات والحكم بأنهما لا يجتمعان
في محمول واحد لموضوع واحد . وكذلك كل ما خلص من محسوس وهو
لا يحتاج في تخليصه إلى فكر ، والنفس تنهياً بهذه القوة لاكتساب
المعقولات الثانية إما بالفكر . وإما بالحدس وليس الحدس هو الظن كما
هو في المشهور بل هو سرعة انتقال النفس من المبادئ إلى المطالب أو
انتقال النفس من المعلومين إلى الوسط الذي يصل بينهما ومن ذلك إلى
معلوم ثالث بلا تجشم نظر ولذلك جعل مقابلا للفكر الذي هو النظر
بمعينه ؟ و (الثالثة) قوة تسمى العقل المستفاد وهي أن تحصل المعقولات
الثانية بالعقل متمثلة كالأولى مشاهدة في الذهن . والرابعة قوة تسمى
(العقل بالفعل) وهي ما به تتمكن النفس من استحضار المعقول
المكتسب المفروغ منه متى شاءت من غير افتقار إلى اكتساب
قالوا والذي يرقى بالنفس في هذه المراقي هو العقل الفعال وهو ذلك
العقل العاشر المصروف للمادة العنصرية لا عقل الإنسانية العام كما تقول الجامعة

فإن أرسطو وابن رشد لا يقولان بعقل يسمى عقل الإنسانية العام بل كان ذلك من مزاعم أفلاطون التي عني أرسطو بإبطالها وتبعه ابن رشد وغيره في نفيها. فالعقل الفعال هو الذي يخرج النفس من العقل الحيواني إلى العقل بالملكة ومن العقل بالملكة إلى العقل المستفاد ومنه إلى العقل بالفعل ولما كان العقل الفعال جوهرًا عقليًا بالفعل كانت المعقولات بأسرها حاصلة له بالفعل أما نفوسنا فهي عقول بالقوة ولكنها إذا استمدت استعدادًا خاصًا للاتصال بذلك العقل أي بالإقبال عليه وتوجيه وجهتها نحوه ارتسم منه فيها الصور العقلية الخاصة بذلك الاستعداد الخاص لأحكام خاصة. وإدراك المعاني الجزئية بواسطة الحواس وحركة النفس في المعقولات الأولى والبحث والتجربة والدرس وما ينبجى هذا النحو كل ذلك من محصلات الاستعداد لقبول المعقولات في الموضوعات التي كان الاستعداد فيها. فإذا أعرضت النفس عن العقل الفعال والتفتت إلى جانب الحس أو إلى صورة أخرى غير التي حصلت لها بذلك الاستعداد انجلى المتمثل الذي كان أولًا كأن المرأة التي كان يحاذي بها جانب القدس، قد أعرض بها عنه إلى جانب الحس، أو إلى شيء آخر من الأمور القدسية.

قالوا: وهذا الاتصال الذي يفيض به العقل الفعال على النفس ما استمدت له من المعقولات له علة وعاقبة قوة بعيدة هو العقل الهولاني وقوة كاسية هي العقل بالملكة وقوة تامة الاستعداد لها أن تقبل بالنفس جهة الإشراف متى شئت بمكنة وهي المهيمنة بالعقل بالفعل ثم إن الفيلسوف وأتباع مذهب أرسطو ذكروا آراء بعض الفلاسفة ممن لا يعتد بقولهم وفيها ما يشبه ما نسبته الجامعة لابن رشد منها أن الجوهر

المائل إذا عقل صورة عقلية صار هو إياها . واستدلوا على استحالة هذا القول بأنه يلزم عليه أن يصير النفس جميع المنقولات التي تحصل لها وتصير المنقولات كلها مقولاً واحداً بل يلزم عليه انعدام النفس ووجوه ما عقلته أو استحالة النفس إليه وهو محال وخلاف الفرض . وتلقوا عن فرغوريوس أنه قال : إن النفس الناطقة إذا عقلت شيئاً فإنما تعقل ذلك الشيء بما اتصل لها بالمقل الفعال وهو حق في رأيهم ولكنه قال إن معنى اتصالها بالمقل الفعال أن يصير هي نفس المقل الفعال لأنها تصير المقل المستفاد والمقل الفعال يتصل نفسه بالنفس فيكون المقل المستفاد . وقد أبطأوا هذا القول بأنه يستلزم أن يكون المقل الفعال متجزئاً قد يتصل منه شيء دون شيء وهو مجرد لا يتجزأ أو تتصل به النفس اتصالاً واحداً تكون به النفس كاملة واصله إلى كل مقول وهو ليس بحاصل في جميع الأحوال وقالوا إن دعوى اتحاد شيء بشيء آخر على معنى استحالة الأول إلى الثاني قضية شعرية غير مقولة فلا يصح النظر فيها . أما استحالة النفس إلى المقل الفعال فلم يقل به أحد .

فقد عرفت من هذا أن اتصال النفس بالمقل الفعال ليس بمعناه البناء فيه أو الاندغام كما عرفته الجامعة بلا معناه أن ترتفع النفس بقواها عن ظلمة الغيصة عما يكون لها من الاستمداد وتجذب نحو العالم الأعلى فتشرب فيها المعلومات بمحاذاتها لمطلع ذلك النور الأعلى ، فهل مع هذا يصح أن يقال : إن النفس في العالم الأعلى غير مقولة ؟

قال ابن رشد وشيخته إن النفس الناطقة التي هي موضوع التصورة غير منتظمة في جسم تقوم به بل هي جوهر حقيقي ذو آلة بالية

فاذا امتدح الجسم عن أن يكون آلة لها وحافظاً للملاقة معها بالموت لم يضر ذلك جوهرها بل تكون باقية عما هي مستفيدة الوجود من الجواهر العقلية . فالنفس بعد مفارقتها للبدن باقية على استقلالها لا تدم شخصيتها بالفناء في شيء سواها لا عقل فمالم لا وجود واجب وهي تسعد بكاملها العلمى والأدبى الذى حصلته مدة تعلقها بالبدن . وجوز الفيلسوف أن تعلق بمد فراقها للبدن بجسم آخر من عالم آخر تتخيل فيه ما هو لذتها . وتشقى بجملها ورداءة ملاكتها . فالنفس عند الفيلسوف باقية خالدة . خلودها خلود لشخصها المتميز من كل شيء سواها سواء كان عقلاً ذملاً أو غيره فهل بهذا هذا يمد الفيلسوف مادياً ومذهبه مذهباً مادياً قاعدته العلم ؟ لا بل هو إلهى ومذهبه مذهب إلهى قاعدته العلم قائل بخلود النفس ومصادتها وشقاؤها وعذابها ونعيمها كما رأيت .

بقى علينا أن نشير إلى ما نقله فلاسفة أوربا عن الفيلسوف الجليل ابن رشد في مبدء العالم ومصدر وجوده . قالوا لم يكن يُعرف العلم والفلسفة عند الأوربيين إلا في مدارس المسلمين في إسبانيا فكان يقصد تلك المدارس طلاب العلم من كل ناحية . كان يجلس في درس الفيلسوف عدد عظيم لم تأت نهاية القرن الثانى عشر (الميلادى) إلا وقد انتشر بين المشتهين بشو من العلم رأى زرع طمأنينة الكبر . ثم أفرغ القباضين على مفاتيح الغروب بذلك الوقت الموافين على أنوارها بأذنون لها شوا من المقائد والأفكار أن بدخل فيرا وبطردون عنهم من أنوار ذلك إلى أى أخذ ينسحب إلى تقويهم من حجابهم عن أنوار الكبر أن جمع برمع في روعه من إلى واحد هو حبة الكلى وهو روح يسوم به كل جزء منه . وقالوا إن

الذي نشر هذا المذهب بين الناس هم تلامذة ابن رشد فهم بعض علمائهم من ذلك أن ابن رشد كان يقول إن مبدأ العالم هو أصل عرضته صور العالم أو روح ظهر في مظاهر الكائنات كما يقول الصوفية أو نحو ذلك، واستتبع هذا رأياً آخر وهو أن كل صورة من صور الموجودات إذا بطأت فلانما تعود إلى أصلها وهو الوجود المطابق وذن الواهم أن الأرواح تعود بعد مفارقة الأجسام إلى مشرقها العام، وتفقد امتيازها فيه، وذلك كله وإن ذهب إليه بعض النظار من الأوربيين غير ما يقول ابن رشد. أما ما يقول ابن رشد فهو كما ترى :

قال ابن رشد وكل من تابعه على رأيه ولم يخالفوا في ذلك أرسطو أن الممكن لا وجود له في ذاته وإنما يستفيد الوجود من غيره وقد كانوا قالوا إن جميع ما في الكون ماعدا واجب الوجود المبرأ من المادة وغواشيها فهو ممكن فكل ما في العالم فهو مستفيد الوجود من غيره فذلك الغير إن كان ممكناً فكيف يعطى الوجود وهو لا وجود له إلا من غيره فإذا استمد منه مستمد فلانما يستمد من فضل ذلك الوجود الذي جاءه من موجدته إلى أن ينتهي إلى الوجود الأول. فكل وجود سطع على الممكنات فهو فائض من وجود الواجب فلا وجود إلا من وجوده أو كل وجود فهو شماع لضيائه وجوده فإذا حرر المعنى من هذا على وجه أمكن عند العقل وجده يرجع إلى ما قاله السيد الشريف من أنمة أهل السنة وغيره وهو إن الممكن ليس بشيء في ذاته ثم يكون شيئاً بالإيجاد. والإيجاد لو حقيقته أمر اعتباري انتزاعي له منشأ في الواقع وذلك المنشأ هو ذات الموجد وماهية الوجود الممكن التي صارت شيئاً بتلك العملية الاعتبارية

شيء لا يوجد في نفسه وهي ما يصح أن تطلق القدرة بالقدور. وما هيبة الممكن ليست بتجوز ولا الوجود أمر موجود قائم بها. فإذا ليس من وجود قس الأمر إلا وجود الواجب فكان الوجود الحقيقي واحداً ومصدر ما يسمى وجوداً أو موجوداً فإنما ينال ذلك بالإضافة إلى الوجود الحقيقي وأولى بالتسمية أن تكون مجازية من أن تكون حقيقية.

مع ذلك لا يزال صاحب هذا القول يعتقد بتجرد الواجب عن المادة والمدة إلا أن من تلقفه منه توسع فيه حتى كان من ذيله رأى القائلين بأن الموجد الأول روح سار في العالم وإليه يرجع كل أشخاصه لقضاء شخصيتهم فيه وما هو برأي ابن رشد ولا يعرفه

على أن الصوفية وهم المصريحون بوحدة الوجود المعبون بالشهود أولاً والقضاء آخر الناطقون في ذلك بما لم ينطق به أحد سواهم لم يقولوا بزوال هويات النفوس زوالاً حقيقياً بل قالوا: إنها خالدة بعد مفارقة الأبدان ولكنها تسعد في خلودها باستغراقها في شهودها، وذهولها عن كل ما يشغلها عن مصدر وجودها، فهي غنية برفاهة عن معرفتها بنفسها وهو ما يبرهنه بالقضاء والقاء، والمصروف ونهجه، وهو معنى تقصر دون إتمامه المباركة، وإن كفى في ترفه لأهل أخى الإشارات.

ولعل الجامعة لا تصيب على الكاتب فيما كتب، وفيما أتي به من طلب، فقد وفي عقلا لها لو أعطاهم علمها بالقدرة عليه. لحق لها أن توجه العتب إليه هذا ما أرونا إيجاز القول فيه متعلقاً بفلسفة التكلمين ورأى الفلاسفة وشيخه بمقال آخر فيما حكمت به الجامعة من الكلام، على

الشيخ في الفلسفة والإسلام، إن شاء الله تعالى

تمة الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

قال (المحدث اليمنى) اتنا معشر أهل اليمن ومن يلينا من أهل الجزيرة كما اتنا لم نزل بهيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزل على ملهيب السلف في الدين بهيدين عن التفنن فيه ومسلكنا مسلك أهل الحديث وأكثرنا يخرج الأحكام على أصول اجتهاد الإمام ريد بن طي بن زين العابدين أو أصول الإمام أحمد بن حنبل واني أذكر للاخوان حالتنا الاستهدائية عسى ان الذكرى تنفع المؤمنين . وعسى أن يعلم المسلمون ولا سيما الأتراك ومن يحكمون أئامن أهل السنة لا كما يوهمون أو يتوهمون فأقول ان المسلمين عندنا على ثلاث مراتب العلماء والقراء والعامة .

فالطبقة الأولى (العلماء) وهم كل من كان متصفاً بخمس صفات

(١) أن يكون عارفاً باللغة العربية الضرية القرشية بالتعلم والزاولة معرفة كفاية لفهم الخطاب لا معرفة إحاطة بالمفردات ومجازاتها وقواعد الصرف وشواذه والنحو وتفصيلاته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاته مما لا يتيسر إتقانه إلا لمن يفنى ثلثي عمره فيه مع أنه لا طائل تحته ولا لزوم لأكثره إلا لمن أراد الأدب .

(٢) أن يكون قارئاً كتاب الله تعالى قراءة فهم للمتبادر من معاني مفرداته وتراكيبه مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها للدونة للأخوذة من السنة والآثار وتفسير الرسول عليه السلام أو تفسير أصحابه عليهم الرضوان ومن المعلوم أن آيات الأحكام لا تجاوز المسافة والخمسين آية عدداً (١)

(٣) أن يكون متضلعا في السنة النبوية الدونة على عهد التابعين وتابعيهم أو تابعي تابعيهم فقط بدون قيد بمائة ألف أو مائة ألف حديث بل يكفي ما كفى مالكا في موطنه وأحمد في مسنده ومن المعلوم أن أحاديث الأحكام لا تجاوز الألف وخمسة مائة حديث أبداً (٢)

(٤) أن يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي وأصحابه وأحوالهم من كتب السيرة القديمة والتواريخ المعتبرة لأهل الحديث كالحافظ الذهبي وابن كثير ومن قبلهم كابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كمالك والزهري وأضرابهم .

(٥) أن يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعليميين (٣)

(١) قد أحاط بها التفسير الأحمدى الهندي (٢) وقد أحاط بها الإمام الشوكاني اليمنى (٣) قد حقق التريون ان لا ثمرة من المنطق كليا فأهملوه مع أنهم يقتنون بالبحث عن وسائل تفاهم العجاوات اه من الأصل . ولله يريد بما أحاط به الشوكاني

والفلسفة اليونانية والإلهيات الفيثاغورية وباحثات الكلام وعقائد الحكماء ونزعات
المعتزلة وإغرايات الصوفية وتشديدات الخوارج وتخرجات الفقهاء المتأخرين وحشويان
الموسومين ونزويقات المرائين وتخريفات المدلسين (مرحى)

فأهل هذه الطبقة يستهدون بأنفسهم ولا يقلدون إلا بعد الوقوف على دلائل من
يقلدون فإذا وجدوا في المسألة قرآناً ناطقاً لا يتحولون عنه لغيره مطلقاً وإذا كان
القرآن محتملاً لوجوه فالسنة قاضية فيه مفسرة له . ثم ما لم يجدوه في كتاب الله
أخذوه من صحيح سنة رسول الله سواء كان الحديث مستفيضاً أم غير مستفيض عمل
به أكثر من واحد من الصحابة المجتهدين أم لم يعمل به إلا واحد فقط ومتى كان
في المسألة حديث صحيح لا يعدلون عنه إلى اجتهد ثم إذا لم يجدوا في المسألة حديثاً
يأخذون بإجماع علماء الصحابة ثم يقول جماعة من الصحابة والتابعين ولا يتفقدون
بقوم دون قوم فإن وجدوا مسألة يستوى فيها قولان رجحوا أحدهما بمرجح يقوم
في الفكر لا يتبعون فيه أصولاً موضوعة غير مشروعة أو طرقاً مقررة غير مرفوعة
وأهل هذه الطبقة عندنا ينورون أذهانهم بأصول استدلالات الإمام زيد رضي الله عنه
أو غيره من الأئمة في تخريج الأحكام واستنباطها من النصوص بدون تقييد بتقليد
أحدهم خاصة دون غيره . لأنهم لا يجوزون اتباع إمام إذا رأوا ما ذهب إليه في المسألة
بعيداً عن الصواب فلا يقلدون أحداً تقليداً مطلقاً كأنه نبي مرسل

والطبقة الثانية هم (القراء) وهم الذين يقرأون كتاب الله تعالى فراءد فهم
بالإجمال مع اطلاع على جملة صالحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء
يستهدون في أصول الدين بأنفسهم لأنها بنية غالباً على قرآن ناطق أو سنة صريحة
أو إجماع عام مفسر لغير الناطق والصرح

وأما في الفروع فيتبعون أحد العلماء الموثوق بهم عند السني من الأقدمين أو
الماضين بدون ارتباط بمجتهد مخصوص أو عالم دون آخر مع سماع الدليل والميل
إلى قبوله كما كان عليه جمهور السنيين قبل وجود المذاهب

والطبقة الثالثة هم (العامة) وهؤلاء يذهبون مع ما إن الدليل يقصد الإقناع
فالعلماء عندنا لا يجسرون على أن يفتوا في مسألة مضافاً ما لم يدكروا معها دليلها من
كتاب متفق الأخبار الذي سرحه وهو ليس له . وأما الذين لم يهتدوا بالمنطق وإنما
خرجوا به عن الطريق المحنة

الكتاب أو السنة أو الإجماع ولو كان المستقى أعجيباً أمياً لا يفهم ما الدليل وطريقته
هذه هي طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والأئمة المجتهدين والفقهاء الأولين من
أهل القرون الأربعة أجمعين (مرحى)

والتزام علمائنا هذه الطريقة مبنى على مقاصد مهمة أعظمها تضيق دائرة الجراءة
على الافتاء بدون علم وفي هذا التضيق على العلماء توسعة على المسلمين وسد لباب
التشديد في الدين والتشويش على القاصرين ولهذا الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله في
النكير على المتجاسرين على التحليل والتحريم والمستسلمين لمحض التقليد

فالعلم عندنا لا يستطيع أن يجيب إلا عن بعض ما يسأل ولا يأثم أن يقف عند
«لا أدري» بل يحذر ويحاف من غش السائل وتغريه إذا أجابه بأن فلاناً المجتهد يقول
إن الله أحل كذا أو حرم كذا لأن السائل لا يعلم ما يعلم هو من أن هذا المجتهد الذي
ليس بمعصوم كثيراً ما يخالف في قوله من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين ومن
أنه يتردد في رأيه وحكمه كم اجتهد وكم رجع ومن أن أكثر دلائله إما ظنية الثبوت
أو ظنية الدلالة أو ظنيتيها ومن أنه لم يدون ما قاله ولكن نقله عنه الناقلون وكم اختلفوا
في الرواية عنه بين سلب وإيجاب ونفي وإثبات وكم زيف أصحابه اجتهاده ورأوا غير
ما رآه ومن أنه أي المجتهد إنما اجتهد لنفسه وبلغ عذره عند ربه وصرح بعدم جواز
أن يتبعه أحد فيما اجتهد وتبرأ من تبعة الخطاء

فهذا (الإمام مالك) رضى الله عنه يقول ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه
ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل المؤرخون أن المنصور لما حج
 واجتمع بمالك أراد على الذهاب معه ليحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس
على المصحف فقال مالك لا سبيل إلى ذلك لأن الصحابة اختلفوا بعد وفاة النبي عليه
الصلاة والسلام في الأمصار يريد أن السنة ليست بمجموعة في موطنه الذي جمع فيه
مرويات أهل المدينة

وحكى في الإِدْاقِ والجواهر أن (أبا حنيفة) رضى الله عنه كان يقول لا ينبغي
لن من لا يعرف دليلى أن يأخذ بكلامى وكان إذا أفتى يقول هذا رأى النعمان بن ثابت
يعنى نفسه وهو أحسن ما قدرناه عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب

وروى الحاكم والبيهقي أن (الشافعى) رضى الله عنه كان يقول : إذا صح الحديث
فهو مذهبي . وفي رواية إذا رأيتم كلامى يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا
كلامى الحائط وأنه قال يوماً للمزني يا إبراهيم لا تقلدني فيما أقول وانظر في ذلك

لنفسك فانه دين وكان يقول لا حاجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن (أحمد بن حنبل) رضى الله عنه أنه رأى بعضهم يكتب كلامه فأنكر عليه وقال تكتب رأياً لعلى أرجع عنه وكان يقول ليس لأحمد مع الله ورسوله كلام وقال لرجل لا تقلدنى ولا تقلد مالكاً ولا الأوزاعى ولا الحنفى ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة وأسس مذهبه على ترك التأويل والترقيع بالرأى واتباع الغير فيما فيه طريق العقل واحد ونقل النقاة أن (سفيان الثورى) رضى الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه ففرقها جميعاً

وروى عن (أبى يوسف وزفر) رحمهما الله تعالى أنهما كانا يقولان لا يحل لأحد أن ينفى بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا وقيل لبعض أصحاب أبى حنيفة انك تكثر الخلاف لأبى حنيفة فقال لأنه أوتى من الفهم ما لم نؤت فأدرك ما لم ندرك ولا يسعنا أن ننفى بقوله ما لم نفهم دليله وثقنح (مرحى)

ثم قال أيها الإخوان الكرام قد أطلت المقال فاعذرونى فانى من قوم الفوا ذكر الدليل وإن كان معروفاً مشهوراً وقد ذكرت طريقة علماء العرب فى الجزيرة منوها بفضلها لا بفضلهم على غيرهم كلام بل غالب علماء سائر الجهات أحد ذهننا وأدق نظرا وأعز مادة وأوسع علماً ولذلك لم نزل نحن فى تعجب وحيرة من نظر أولئك العلماء المتبحرين فى أنفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسد باب الاجتهاد

نعم لم يبق فى الإمكان أن يأتى الزمان بأمثال ابن عمر وابن العباس أو النخعى وداود أو سفيان ومالك أو زيد وجعفر أو النعمان والشافعى أو أحمد والبخارى رضى الله عنهم أجمعين ولسكن متى كلف الله تعالى عباده بدين لا يفقه إلا أمثال هؤلاء النوابغ العظيم أليس أساس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيه (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وقال تعالى (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً) وقال تعالى (ولقد أزلنا إليك آيات بينات) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) فما معنى دعوى العجز والتثليل بمن قالوا (قلوبنا غلفت) حمانا الله تعالى (مرحى)

أما السنة النبوية أفلم تصل إلينا مجموعة مدونة بهمة أئمة الحديث جزأهم الله خيراً الذين جابوا الأقطار والبلاد التى تفرق إليها الصحابة رضى الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودونوها وسهلوا الإحاطة بها بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير

أفراد من علماء الصحابة الذين كانوا ملازمين للنبي عليه السلام .
وكذا يقال في حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعاني الغريب في القرآن
والسنة فإن علماء التابعين وتابعيهم والناسحين على منوالهم رحمهم الله لم يألوا جهداً
في ضبطها وبيانها .

وكذلك الأئمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد
والاستنباط والتخريج والتفريع وقياس النظر على النظر فهم أرشدونا إلى الاستهداء
وما أحد منهم دعانا إلى الاقتداء به مطلقاً (مرحى)

ثم اننا إذا أردنا ان ندقق النظر في مرتبة علم أولئك المجتهدين العظام لانجد فيهم
علماً وهيباً أو كسبياً خارقاً للعادة فهذا الإمام الشافعي رحمه الله وهو أغزرهم مادة
وأول وأعظم من وضع أصولاً لفقهه نجده قد أسس مذهبه على اللغة فقط من حيث
المشترك والمتباين والمترادف والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والشرط والجزاء
والاستثناء المتصل والمنفصل والمنقطع والعطف المرتب وغير المرتب والفور والتراخي
والحروف ومعانيها إلى قواعد أخرى لا تخرج عن علم اللغة واتبع أبا حنيفة في إدخاله
في أصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل دلالة المطابقة والتضمن والالتزام ومعرفة
الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض والمقدمين والنتيجة والقياس والنتيج. واتبعه
أيضاً في قياس ما لم يرد فيه قرآن أو حديث على ما ورد فيه وهكذا فتح كل من أولئك
الأئمة العظام لمن بعده ميداناً واسعاً فجاء اتباعهم ومدوا الأطناب وأكثر من الأبواب
وتفننوا في الأشكال وتنويع الأحكام وأحدثوا علمي الأصول والكلام . وهذا التوسع
كله ليس من ضروريات الدين بل ضرره أكثر من نفعه وما أشبه الأمور الدينية
بالأمور المعاشية كلما زاد التأنيق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة انسلبت الراحة

والقول الذي فيه فصل الخطاب ان الله سبحانه وله الحكم لم يرض منا ان نتبع الا علم
الأفضل بل كلفنا بان نستمدى كتابه وسنة رسوله على حسب امكاننا وطاقتنا وهو يرضى منا
بجهلنا حيث قال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فنسأل الله التوفيق لسواء السبيل.
قال (الأستاذ الرئيس) إني أحمد الله تعالى على توفيقه إيانا إلى هذا الاجتماع
البارك الذي استفدنا منه ما لم نكن نعلمه من قبل عن حالة إخواننا وأهل ديننا في
البلاد المتباعدة ولم يكن يسمع بعضنا عن بعض شيئاً إلا من السياح المنكدين الجهلاء
الذين لا يعرفون ما يصفون أو من أهل السياسة والعلماء المتشيمين لهم الذين ربما
يموهون الحق بالباطل بقصد تفريق الكلمة ومنع الائتلاف (مرحى)

ثم قال هذا اليوم قد انسحب ذيل الظل وقرب الزوال وأذن لنا الوقت بالانصراف .

باب التربية والتعليم

(الأزهر والأزهريون - د. فاضل هندي)

إلى السيد الحكيم الفاضل محرر مجلة النور الغراء

لست في حاجة إليها السيد الحكيم لأن أسهب لكم القول في فضل الانتقاد والتقديس وما لهم من الأيادي في ترقية الأمم فإن العوان لا تعلم الحرة ، وهذا مناركم الاشر لا يكاد يقف على رأس كل سنة حتى يكون قد ذكر فصولا ضافية في الانتقاد ، وانه المقوم لما اعوج من اعمال الأمم والرافع لما حمل من شأنها والآخذ بيدها على مدارج الرقي والكمال . وعلم الله انه لا حامل لي على أن أوجه بسطوري هذه اليكم آملا في نشرها على صفحات مناركم إلا عظيم الثقة ووطيد الامل بانكم لا تخشون في اللوم لانه لا يؤقدهم عن السير في سبيل الاصلاح غرض لبيان أو هتات مما يكتب في صدر فلان .

خرجت ذات يوم إلى منتزه الجزيرة لأبدد ما تراكم بصدري الحرج من الهموم والاكدار في تلك الرياض الفسيحة وذلك الفضاء الممتد حتى إذا كنت على قيد اذرع من رأس المنتزه الجديد حيث تقف هناك مركبات الكهرباء القادمة من الأهرام فالجيزة إذا أنا باحد صبية الفلاحين وقد أخذت ناحية عن أعين الناس وهو قابض على كثير من الأوراق المكتوبة يتصفحها واحدة واحدة وبعضها يتناثر من بين يديه إلى حيث تتلاقفها ايدي الرياح فتعثر بها اضعاف عيئه من قبل فهو يت إلى واحدة منها وقد جرى بها الريح إلى ما تحت قدمي فاذا بها كلام غريب فقصت نحو الغلام وتلظفت في طلبها منه وأمرته ان يذهب فيجمع لي ما فرقة بين سمواه في متبالة فاس اعطيته إياه ففعل شاكراً ودعيت طيب الحاطر راضي النفس بعد ان علمت منه أنه عثر عليها وقد لقت في خلاف على طريق الكهرباء ، فلما بين الجزيرة والجزيرة واخذت أنا طريقى الأول إلى حيث أشجار الباخ القائمة على ضفة النيل الغربية فجاءت هناك في ظلها الوارف وكان الوقت أصيلا وصوت أقدامي وأحيل فيها النظر وأحيل الفكر حتى كشف لي امرها بعد طويال إيمان هالهال روية انها صبيحة سودها بهن افضل امند المرامين باليد من د الإسلام السنين من انه تمال لها (الله أباد) وعلمت من مجموعها ان الرحن الحسنة روجاتهم اخطار رجواب

اقتار من حيث لا صاحب له إلا همة يحاول أن يظاً بها قمة العيوق ونفس تنزع به إلى
 ذرى شرف لا تتناول إنبه الاعناق وقد تجلى لى من رسائل كانت ترد إليه أن الرجل
 سيد بلدته، وأشرف بني خلدته، قدم هذه الديار سائجاً متجولاً ككجال في كثير غيرها
 من بلدان المسلمين ولا هم له التنقيب عن ادواء الأمة الإسلامية وأسباب انحطاطها
 وقد عاهد صدقاً له في (حيدرآباد) على أن يوافيه برسائل متتالية يصف له بها كل
 ما يراه من ادواء الاسلام وعوامل ضعفه وأسباب تأخره ولقد قلبت في الاوراق
 كثيراً وقد كتب بعضها بالأوردية والبعض بالعربية على اجد فيها ما يشير إلى الرغبة
 في كتمانها وصونها عن أنظار غيره فلم يظهر لى إلا عكس ذلك فقد وجدت في أولى
 رسائله عبارة صريحة يأذن لصاحبه فيها بنشر ما كتب ويكتب لكل من أحب. وأهم
 ما رأيت في تلك الرسائل ثلاثاً بعث بها إلى صاحبه في حيدرآباد يصف له فيها الأزهر
 والأزهريين بعبارة لا نسلم من العجمة ولكن لم يركب بها مخارم الاغراب ولم يتدل
 إلى حبس العامية المبنذلة وقد نحى في انتقاداته خشن القول وغلظ الكلام حتى
 جاء كلامه أكرم انتقاد واعفه واكفه واحله. لذلك احببت ان ابعث بها إلى أعظم
 مجلة إسلامية وارسخها قدماً في الاسلام وأحبها لنشر فضائل رجاله وأحرصها على
 رأب صدعهم ومداواة دأهم وقد تصرفت بالعبارة تصرفاً لا يمس شيئاً من المعنى
 راجياً أن لا تضيعوا إلى املاء. والله لا يضيع أجر من احسن عملاً، وهذه صورة الرسالة الأولى

(من القاهرة إلى حيدرآباد)

سلام عليك أيها الأخ الفاضل امد الله في حياتك ولا حرمنى إخوانك واسمع على
 رداً خلاصك. وبعد فقد ورد إلى كتابك الكريم أحوج ما كنت إليه فاستعذبت
 وحسن موقعه من قايء ساذكرت أيها الاخ من استبطاء المراسلة واشفاقك من أن
 يصرم النعد جبل الود ويطنى غلة الشوق والوجد ويضرب على ماسبق به الوعد فأنا
 استغفر لك الله في ذلك وهو العليم بمالك في فؤاد أخيك مهما شطت به دار الغربة
 وبعدت به النجعة. وما كان لى وأنت موضع ثقى ومكان اخلاصى وبك أعتضد وعليك
 اعتمد ان أظهر قولك زهرة طيف أو انس وعدك لمحة طرف وإنما هى الاسفار
 أو رثنى من الضعف والشحوب والانضاء، مالو رأيت لاصبحت عذرى فيما ارتكبت
 من الابطاء، ويعلم الله انى اكتب لك ما اكتب وأنا نضو سفر قد الحفنى من وعثائه
 جلباباً، وقل اطرفة ضربت على من رواقها قباباً، ولقد كان الاجدر بى أن لا اكتب لك

كلية حتى أتريد من الراحة أياماً واسترد بعض ما فقدت من القوة لولا ما أخشاه من جرح صدرك وتغير فؤادك - فأما ما ذكرتني به وآخذتني على تأخيريه وسألتني إنجازه من زيارة مدرسة الأزهر الإسلامية الهائلة واستعجالي بزيارتها إن لم أكره فعات ثم بالكتابة إليك بما استبان لي من أمرها وطريقة التعليم بها وأن أسهب لك القول فيما أجده بها من مواضع النقد والملاحظة . فقد صادف جميع ما ذكرت سابق رأي مني فيه . وإن منسة يزيد عدد طالبها على تسعة آلاف من المسلمين ما بين مصريين وسوريين وروسين وعرب وأتراك وبربر وهنود لجديرة بأن لا أنساها في سياحتي بل جدية بأن تكون زيارتها ودرس أحوالها جل ما أبا قاصده من تجوالي في ربوع الإسلام غير أن كتابك قد ورد علي وأنا لم يمض لي غير يومين في القاهرة وقد مضى يومان آخران من تاريخ وروده وأنا لم أزر تلك المدرسة إلا زورة واحدة لما ذكرت لك من الضعف واللغوب وسأكتب نموذجاً بما وقع لي منها في تلك الزورة من جهة التفصيل والأسباب لغيرها من الرسائل ولا غرو أنها الفاضل إن أتت رسالتك هذه مختصرة في الوصف مقتصرة على ما ذكرت لك على وجه الجملة شأن من كان قريب الدار غريب اللغة فأقول :

كثيراً ما كنت أسمع من اخواني في الهند إذا حدثتهم في شأن الأزهر كلمة مقولة وهي (الأزهر أكبر مدرسة إسلامية على سطح الكرة الأرضية) وكانت اهتزازاً لذلك من الازدياد والظرب « كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب » . ما ظننا كان يقع في أذني إذ ذاك أنه على كثرة طالبيه وتعدد معانيه قليل النظام مختلف طريقة التعام عقيم النتيجة ولكن ما كان ذلك لينزع من قلبي تلك الهزة وذاك الإعجاب به وبكثرة طلابه وما كان أيوائني من أن أجده فيه إذا دخلته قليلاً من النظام وبعض الترتيب ولقد بت ليلة قدومي إلى القاهرة من الوجد لزيارته بـ ليلة الماسوع . حتى إذا كنت من صباح القد وبلغت الساعة . . . أسرع بركوب عربة إليه ودخلت فإذا ساحة مترامية الأنحاء لا فرش فيها إلا الغبراء ولا غطاء عليها إلا السماء غير أنها تخلو من جمال هندام في جدرانها وكال هندسة في شكلها واتقان صنعة فيما يحيط بها من الأبواب والنوافذ ورأيت بها والفصل كما تعلمون شتاء أناساً كثيرين يتشمسون وقد اشتغل البعض بتلاوة القرآن والبعض بالمدح في كراسة بيده وآخرين ما بين

مستلق على ظهره ومنكب على وجهه ومن بينهم من النفوا حول أدون المسآكل
يا كالون فيها بشهوة النهوم فألقى في روعى لأول الأمر أنها ساحة يستريح بها الطلبة
في أوقات معلومة بعد طول الطاعة والدرس ، وإجهااد القوة ونصب النفس ، فعذرتهم
إذ ذاك على استقائهم وانكبابهم وتراحمهم على المسآكل لتعويض ما اندثر من أدمغتهم
عقب الجهد والتحصيل ، والاشتغال الطويل ، غير أنى لم ألبث هنية حتى أخبرنى
صاحب إلى جانبى من الطلبة السوريين — وكنت قد اصطحبته لمثل هذه الحال —
بأن تلك الساحة قطعة من المدرسة نفسها وإن ما أراه إنما هو نظامهم فى الطلب
والتحصيل فكنت أن أنصعق إذ ذاك وتلبد فكري بغيوم الكدر والحزن حتى
أوشكت أهلك أى وغماً — ولقد كنت أرى فى تلك الساحة الرجل وقد كبرت
سنه حتى خارت قوته ورق عظمه فأنحنى ظهره ، وضعف عضده ، حتى رعشت يده ،
وكل بصره حتى لا يبصر إلا شفا وأنه على ذلك كله ليجلس وإلى جانبه فى حديث
السن غنى الشباب ماطر له شارب ولا خط له عذار وكلاهما يدرس ويتفاهم مع
الآخر على أنه من أضرابه فى الطلب ومناقسيه فى التحصيل ويجلس كل منهما فى حلقة
درس واحد ، ثم اخترقت تلك الساحة وأنا مدهوش العقل ذاهل اللب لما أراه من
اجتماع الأضداد والمتناقضات وولجت من باب هناك إلى المقصورة المعدة للتدريس
وفد كنا قبيل الظهر فإذا محل فسيح الأرجاء ذو سقف يقوم على نحو أربعائة
عمود نحال على منه شكلها أنها نقلت إليه من المعابد والهياكل القديمة تميد بها تلك
الألوف ميداناً وهم على مثال من رأيت فى صحن المدرسة من اختلاط الحابل بالنابل
وتلاشى النظام والترتيب إلى حد ظننت معه أنهم مأمورون بذلك وإن من قوانين التعليم
هناك استئصال حب النظام من الصدور كما يستأصل الخلق السيئ ، وأعجب ما رأيته بين
الطلبة من سلطان العادة على النفوس أن الطالب هناك لا تحلو له المذاكرة ولا يروق
التحصيل إلا إذا رفع صوته بأقصى ما فى إمكانه فيتألف من مجموعهم دوى يصم أذن
القادم عليهم فاخترق بى صاحبي السورى الجموع حتى انتهى بى إلى محل هناك يقال له
(رواق الشوام) فصعد بى على مدارجه إلى غرفة هناك استرحت بها قليلا وكان قد
أذن الظهر فقال لى الصاحب هلم نمر بالدروس وهى منتظمة أما الدوى فلا يلبث أن
سكن لاشتغال الطلبة بالسماع من معلمهم فلم أتمالك نفسى علم الله من البكاء
على أثر قوله انتظام الدروس وفلت ومبهجى تذويج من الأسى فتحدثت من عيني

دموعاً : يا حبذا ذلك الدوى لو كان زججرة رعد تبشر بسقوط غيث العلم من سماء
على صدور الطالبين ، فثبت ما يقوم بشفاء داء الإسلام والمسلمين .
ثم قمت وقام صاحب حتى إذا كنا في واسطة الدرج أخذت أرسم له كيف
يغنى بي الدروس وذلك أن يبدأ بدرس أول كتاب يدرسه في النحو ثم ينتقل
بالتدريج حتى درس آخر كتاب اصطلاحوا أن يكون خاتمة الطلب في الفن فعمل وكان
أول درس وقت عليه درس الكتاب الأول وأول كلمة سمعها فيه قول المعلم « واختلف
في الجار والمجرور هل هو متعلق بظرف أو بفعل ؟ » فالتفت إلى صاحبي وقلت أوتهمزاً
في ياء هذا . لم أقل لك أن تذهب إلى أول كتاب فقال : لم أهزم بك والشيخ إذا يقرأ
أول كتاب في النحو ويقرر ثانياً درس في الكتاب . فقلت لن يثبت ما تقول في نفسي
حتى تريني آية ذلك فأشار إلي غلام يليه من الدرس فسأله ماذا يقرأ الشيخ بصاحبي ؟
قال الكفراوى . قلت أنا والكفراوى ماذا . قال أول كتاب يقرأ في النحو . فأخذت
بيد صاحبي إذ ذاك وأنا خجل من اتهامى إياه وقلت اذهب بي توا إلى الدروس الثانوية
حتى أرى ماذا يقرأون .. ولا أريد أيها الأخ أن أطيل لك القول في هذه الرسالة
بتفصيل ما رأيته بعد ذلك لي أحمل لك فيه القول إجمالاً . وجدت معلم الكتاب الثانى
يشتغل بتعريف المركب عند المنطقة طويلاً ثم لوى زمام الكلام إلى تعريفه عند
اللغويين فالبيانين فالتعريفين إلى فنون أخر ذهب عن أسماؤها وحفظ تعاريف
واضعها . أما الدرس الثالث فكان الشيخ فيه منهمكاً في تعريف الرثة واختلاف
الأطباء الأقدمين فيها وما قالوه في تكييف الصوت إلى كلام طويلاً . وكان ذلك كله
استطراداً من قول النحاة اللفظ صوت مشتمل على بعض الحروف . وعلى ما ذكرت لك
كان الحال في بقية الدروس حتى إذا انتهيت إلى درس آخر الكتب كان يخجل لى أن
الشيخ إنما يلفظ رطاة لا يفهمها وإني لأتسم لك وأنت تعلم قدر استعاني بالعربية
وشدة شغفى بها أنه لم يعلق بذهى من كل ما سمعته إلا كلمتين إحداهما قوله « بن أجزاء
كل جملة وعلى رأس كل كلمة » « قال الشيخ رحمه الله تعالى » والثانية ذكر سبب تسمية
سيويه من أن سيوب اسم الراثة بالفارسية وويه اسم للتفاح . هذا ما رأيته وأقول لك
على الجملة في مدرسة بعيدة الصيت طائفة الشهرة في كل قطر من بلاد المسلمين حتى كاد
بعضهم أن يعلق بها الأمل في نجاح كل عمل .

وما هو جدير بي أن أحمل لك فيه القول في الرسالة ان سنى الطلب يشغل
أن تكون من خمس عشرة سنة إلى ما يحتمل أن يعمر إنسان والطالب يشتغل

هناك بالكتاب الأول في السنة الأولى ثم بالكتاب الثاني في الثانية ثم بالثالث والرابع والخامس والسادس في خمس سنين ثم ينتقل من النحو ويكون قد حضر ما يقابله من كتب الفقه إلى علوم البلاغة ثلاث سنين ثم يصرف ما بقي في تلقى كتاب كبير في الأصول وفي خلال هذه المدة يكون قد حضر في أوقات غير منبوعة ولا منتظمة علوم التوحيد والمنطق والتفسير وبعد أن بأتى على ذلك كله درساً يكون يكون على خيار من أن يتقدم لشهادة الدراسة أو يرجع إدراجه إلى تلك الكتب والفنون فيلتزمها درساً درساً ويؤمنون ذلك فيما بينهم - إعادة المذهب . وقد ضمنى مجلس مع أحد الترشحين لشهادة الدراسة وكان ممن أعادوا المذهب فرأيت منه رجلاً وقوراً صالحاً على رأس الخامسة والأربعين من عمره غير أن بلسانه حبسة وعياً فعمدت إلى أن أعرف مبلغ علمه بالكتابة فقدمت إليه بلطف طلب ورقة سؤال راجياً أن يكتب لي ما تيسر من إنشائه ولما لم أفلح أكرت عليه من الإلحاح والإلحاف في الطلب فاكتمنى بأن أخرج لي كتاباً كان قد حرره لأخ له من أبيه أصغر منه سنناً يرتزق من الملاحة والزرع أرجو منه إرسال شيء من التهود والزراد ويشره بقرب نيل الشهادة أحببت أن أبعث به إليك بعد أن أقسم لك بالله قسماً حقاً لا آثماً فيه ولا حاثماً أنه على أصله ما تخونت منه حرفاً واحداً وهو كما ترى قد قبضت من أسطره روح البلاغة وانطفاً منها نور البيان وجفت منها غضاضة الدوق في التعبير ولقد كانت النفس تجدد لها بعض السلى وتلمس لكتابها شيئاً من العذر لولم تكن الرسالة محشوة بالأغاليط الصرفية والامحاضات النحوية كما يظهر ذلك لأول نظرة فيها - والله حكمة خافية في ثمانى سنوات مضت في درس النحو والصرف - هذا ما أذكره لك في رسالتي هذه إجمالاً وسترى فيما يتلوها إن شاء الله تعالى وأسباباً شافياً والسائم عليك ورحمة الله (الإمضا)

وسأوفي حضرات قراء السبر الأغبر بالرسالتين الباقيتين اللتين أرسلهما لصاحبه من هذه رهما كما قلت غاية في آداب الانتقاد والاعتدال مما يستميل قلوب العقلاء إليه ويستند إليه القراء العظام عليه .

عبد المزين عثمان العريشي

بالأزهر

(المستمر) لقد نا هذه الرسالة نفسيطاً لكتابي الأدبي وبياناً لكيفية تعليم في الأزهر يعرف ذلك بالتفصيل من لا يعرفه من أهلى الأفطار الإسلامية وننتظر أن تكون النائدة في رسالتي الهندى الآخرين أنهم بما فيه هذه الرسالة .

آثار علمية أدبية

« أفكوهة أدبية للشاعر المجيد مصطفى افندي صادق الرافعي »

يا طير ما للنوم قد طارا وما قضينا منه أوطارا
 كأن هذا السهد لا يأتلي يطلب من أجفاننا نارا
 إن كنت ظمآن فذى أدمعي تفجرت في الأرض أنهارا
 أن كنت ذا مسغبة فالتقط حبة قلبي كيفما صارا
 أو كنت مشتاقاً فكن مثلنا على النوى يا طير صبارا
 وجارني إن كنت لي صاحباً فان خير الصحب من جاري
 يا طير كم في إحب من ساعة يزيد فيها العمر أعمارا
 إن قلت تلهي بها فكرة جرت على الأفكار أفكارا
 أو قلت أنساها اقام الهوى من حرها في القاب تذكارا
 والصب ما ينفك في حيرة تزيده حزناً وأكدارا
 مالي أرى الأطيّار نواحة كأنما فارقن أطيّارا
 وما لأغصان الربى تلتقى كأنما استودعن أسرارا
 فاسأل نسيم الصبح إن مر بي هل حملته الخيد أنصارا
 واسأل عن الدار ويا ليتي أزور يوماً هذه الدار
 كأنها الجنة لكني أبطنت من وحدي بها النارا
 صباؤها مطلعة أنحما وأرضها تطلع أقمارا
 وكم بها من أكل إن رنا سلت لك الأجفان ديتار
 وإن مشى عطر في تيهه هزت لك الأعطاف خطارا
 لأنكر السحر وذا طرفه أصبح بين الناس سحارا
 يا فاتن الصب على رغمه والمرأ لا يعشق مختارا
 طوراً بنا هجر وطوراً نوى أهكذا تخلق أطوارا
 لو شهبوا بدر السما درهما لشهبوا وجهك دینارا
 وكم درار فيك نظمها تجل أن تحسب أشعارا
 لو أن بشارا حكى مثلها أعطت لواء الشعر بشارا

﴿ الهدايا والتقاريف ﴾

(حبر السلام ، في قراءة خلف الإمام . وقرة العينين ، برفع اليدين)
 كتابان مختصران للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب
 الجامع الصحيح جمع في الأول ما رواه من الأحاديث النبوية الدالة على وجوب
 القراءة خلف الإمام في الصلاة وفي الثاني ما رواه في إثبات رفع اليدين عند الركوع
 وسند الأول من مشيئة الأول . والأحاديث في المسألتين كثيرة . وقد تذكرت
 الآن التي سمعت أستاذنا الفقيه المحدث الشيخ محمود بشارة الطرابلسي الأزهرى
 (رحمه الله تعالى) قال وهو يقرأ لنا شرح البخاري في أوائل طلبنا للعلم أن البخاري
 روى رفع اليدين عن خمسين صحابياً وله فيه كتاب ومن ذلك اليوم تميت أن أرى
 هذا الكتاب الذي أثبت البخاري المسئلة فيه بالتواتر حتى رأيت مطبوعاً في هذه
 الأيام . وكنت أعجب لترك الناس هذه السنة حتى الدين اثبتها أنتم كالشافعية .

الحنفية يتركونها لأن شيوخهم قالوا إنها مكروهة لأنها لم تثبت عند إمامهم وإن
 كان كل من سمع راحة علم السنة منهم موقن بأنها ثابتة عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ثبوتاً لو وقع مثله لإمامهم لما تركوها مرة واحدة . وأما الشافعية فإنهم قد
 يتركونها مسaire للحنفية . صلى كاتب هذه السطور إماماً بامتازة الشيخ حسين أفندي
 اجبر فرقت يدي عند الركوع والقيام منه ومن التشهد الأول كما هو دأبي فلما
 فرغت من الصلاة قال لي أحد الشيوخ من الشافعية وكان حاضراً الصلاة : هلا تركت
 رفع اليدين أدباً مع أستاذك ؟ فقلت ما علمي أستاذي أن أترك السنة أدباً معه ولا أرى
 أن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينافي الأدب معه . فقال ذلك الشيخ : إن
 إمامك الشافعي ترك القنوت في الصبح أدباً مع الإمام أبي حنيفة عند ما زار قبره .
 فقلت معاذ الله أن يترك الإمام السنة لأجل أحد من الناس وقد أول العلماء هذه
 الحكاية عن تفسير ثبوتها (وما هي بشاة) بأن الإمام ترك القنوت لشبهة عرضت له
 في ربه غير أن جهاد وقتشه . فصدقني الأستاذ وقال نعم هكذا أولها .

فلهذه السببون يهتدون الشيوخ الذين يأمروننا بترك السنة مساهمة لأهل الجاه
 من الآحاد وغيرهم لأهل الشبهة من الأموات . ومثل هؤلاء الشيوخ الذين يرحعون
 الدين إلى شيوخهم يجرأون على انتقاد أئمة العلماء والمصلحين من المعاصرين
 من غير أن يكونوا في عصبهم وشمعنون لهم أشد الخلق في حصرتهم والمامة تغير بهم إذا

درسوا وخطبوا فيزيدونها غروراً

الكتابان اللذان نحن بصدد تخطيطهما طبعاً معاً في للطبعة الحيرية على نفقة صاحبها
الهام السيد عمر الحشاش وياغان في مكتبته فنحن بحسب السنة السنية على عطايتها والعمل
بهما «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب»
(الروضة الانيقة . في بيان الشريعة والحقيقة) كتاب يدل اسمه على مسماه من

تصنيف العالم الصوفي الشيخ عبد العزيز الديريني المتوفى سنة ٦٩٧ ر. ح. رحمه الله تعالى .
وفي الكتاب مسائل نافعة يصح ان يجعل حجة على الذين يدعون التصوف ويتشبهون
حرمات الدين . ويدعون انهم أولياء الله وأحباءه . من ذلك انه عقد باباً للإنكار
على مشايخ الطريق الذين يجتمعون بالنساء ويزعمون انهم يرشدونهن واستشهد
لذلك بعدم مصاحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنساء عند مبايعتهن على الايمان
وغير ذلك وقال انه لا يصلح لتعليم النساء الا الراسخون في العلم والدين بشرط عدم
الحلوة وعدم اظهار الزينة . على ان المرأة انما تتعلم من الأجنبي ما يجب عليها إذا لم
يكن لها محرم يعلمها . وقد ختم المؤلف هذا الباب بفصل قال فيه :

« وقد زاد قوم فزعوا ان اجتماعهم بالنساء والشبان وتعاطى هذه الأمور مما
تحصل به البركة فان قرب المرأة أو الشاب من الرجل الصالح سبب لحياة القلب فان
النور يسرى من القلب إلى القلب وأشياء هذه الزخارف الباطلة . فؤلاء قهوم تشبهوا
بالشياطين فان الشيطان يسول للجاهل أموراً محرمة ويزينها بصور باطلة . فهذه
جيلة فسق وحيلة مكر وخديعة كذب . فليت هؤلاء . حيث وقعوا في هذه القبايع
لم يضيفوا إليها ما هو أقبح منها فان العاصي المعترف بمعصيته أخف أثماً وأقل جرماً
ويجب على من له أمر أن يردع هؤلاء بالتعزير الشافي والزجر الكافي ومن لم يقدر
على ذلك فليتهم نهياً كافياً فان لم يقبلوا وجب الإنكار عليهم بالقلب كما قال الله
تعالى « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا » الآية اهـ

وقد وضع ناشر الكتاب في آخره قواعد جميلة منها هذه القاعدة الثابتة . قال :
إذا حقق أصل المسلم وعرفت مواده وجرت فروعه ولاحت أصوله كان الفهم فيه
مبدولاً بين أهله . فليس التقدم فيه بأولى من التأخر وإن كان له فضيلة السبق .
فالعلم حاكم ونظر المتأخر أتم لأنه زائد على المتقدم . والفتح من الله مأمول لكل
أحد . والله در ابن مالك رحمه الله حيث يقول : إذا كانت هذه العلوم منحة إلهية
ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من

التقديمين ، نعوذ بالله من حسد يسد باب الإصاف ، ويصد عن جميل الأوصاف . انتهى وهو عجيب) والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد ومكتوب عليه (إيايا سنة ١٣٢٠) فإنه ينتشر بين أهل الطريق فينتفعوا باعتداله (الحال والآن) قصة وضعها أحمد حافظ أفندي عوض كما ذكرنا في تقرير (قصص مسامرات الشعب) شرح فيها كيفية عشق الفتيان والفتيات أو التلامذة والتلميذات في مصر وكيف يغوى بعض البسات المتعلقات بعضاً وقد علمنا انه لم يذكر إلا بعض الواقع بالاختصار . القصة أنفع القصص التي ألقت لمكتبة الشعب أو أنفع ما ألقت الشبان المصريون من هذه القصص وإن كانت في عبارتها دون ما كتب حافظ من قبل لأنه كان في وجل من طروق هذا الباب الذي يظهر من وراءه سوء التربية في قومه وفي حذر واشفاق من عدل العاذلين ، ولوم اللامئين ، فلم ينطلق قلمه بحرية تامة وله الفضل ان طرق هذا الباب من أبواب الجدد

موضوع القصة بنت اسمها (أسماء) نشأت (ولا أقوم تربت) في حجر الدلال ثم وضعت في المدرسة فصاحبت فيها بنت أحد الأغنياء من المصريين المتفرجين حتى صارت تركب معها أحياناً إلى بيت أبيها فتبى فيه الأثاث والرياش وكيفية المعيشة على الطريقة الأفريقية فمقت غادات بيت أبيها انشروية وفي هذا المقام إلام بكيفية الانتقال من العادات الشرقية إلى العادات الغربية في شؤون المعيشة .

امتدت المعاصرة بين البنين حتى ركبنا يوماً للزهة فلتسبهما في الطريق أحد الشبان المعلمين الذين قال حافظ في وصفهم « كان مبلغ ما تعذوه من المدارس وما تلقنوه من دروس الحياة مقصوراً على العناية بملابسهم وتنسيق هندامهم ووضع طرايشهم المائلة إلى جهة الأذن على شعر لامع مدهون بكذا وكذا . . . وياقة مرتفعة ورباط رقبة فيه دبوس من الماس ولباس (أي سراويل) ضيق وخواتم من الذهب ومنظار بسلسلة ذهبية وحذاء أصفر رفيع براق » وكان هذا الشاب عشيق الفتاة المصرية فكشفت أسماء بعشقتها وسألتها عن العشق ولما عرفت أنها لا تعرفه نبذتها بلقب النسكنة . ثم أقبل الشاب وصاحفهما مسلماً وثنا صافح أسماء اضطربت من الحجل لأنها لم تعود ذلك فقالت لها رفيقها : « مالي أراك قد خجلت وهل في الحديث والتسليم على الشبان عيب ؟ إنما العيب ان لا ينظر إلينا أحد ولا ينظر إلى محاسننا إنسان » ثم رغبها في قراءة القصص العرامية واعطتها واحدة منها فقتنت أسماء بأخبار العشق والغرام ، وشغلت عن الدرس والنم ، فتغير حالها حتى تنهت والدتها لذلك

التغير وسألها عن سببه فكذبت في الجواب . قال المؤلف « وليس الصدق صفة محترمة عندنا معاشر المصريين بل يكاد الإنسان أن لا يعرف له منزلة . بل ان شئت قل إننا تعلم الكذب في بيوتنا من آبائنا وأمهاتنا » ثم إن أسماء علمت العشق فمشقت شاباً مهندياً

ثم إن المصنف ذكر أن البنيتين أسماء ونجدة حضرن احتفال عرس صديفة للثانية ووصف فيه ماهو جار في مصر الآن من مغازلة النساء المزيّنات للرجال من التوافد والكوى وهـ ، شرب النساء الخمر سحيراً ، وذكر أن أسماء علمت في تلك الليلة من البنات الشرب عى أنه من « المحمدن وانودة » فلما علمت مع صديقتها قادت إلى التوافد كغيرها فابصرت كل منهما من نخب وكأنا على موعدهما فإشارتا إليهما بالانتظار فمما التقى الإزامة حصل التعارف بين الجميع (كذلك المعادة بين الأحداث من العاشقين والعاشقين في مصر كما أخبر المجهول) ثم ذكرت أسماء مع عشيقها في مركبته كما ركب عشيق نجدة معها في مركبتها واطلقوا إلى الجزيرة . ولكن ساء صاحب أسماء سكرها ومهتكها الذي علمته من نجدة وعنفها على ذلك فوعده بأن تكون كما يحب وههات ذلك فإن السائر في طريق الرذيلة كمن يتدهور من حائل لا يقف حتى يبلغ القرار كما أشار إليه المصنف . ثم إن عاشق أسماء يأس من صلاح حالها فتركها ثم قضى أهلها عليها بالبرج بأحد أولاد العمدة الأغنياء فربدت كارهة وعامت زوجها أقبح المعاملة لاحتقارها إياه أنه لا يعرف الفرسوية وفنون التخث والتهتك وكان أولاً يحبها ويحمل إهانتها حتى عيل صبره فأبغتها وعلق بالراقصات وعرف البغايا وشرب الخمر واعتزلها بالمرّة . فشكت يوماً إلى صديقتها القدعة فأشارت عليها بأن يعلمه بالمل فأنهم منه بالبغاء ففعلت فأصيبت بداء الزهري وانتقل المرض منها إلى ولدها بالعدوى . عاث فيها المرض فقرح بدنها وانقابت سحسها وتحول ذلك الجمال إلى قببح تشعر منه الجلود وانتهى بالجنون ثم بالموت

هذا هو الوباء السارى في حياة مصر الادبية وما وصف كاتب القصة البعض من علم فهل يوجد في مصر قوم يغارون على الملة والأمة فيسمعون في تربية الناشئين والناشئات تربية دينية تصادم هذه الشرور ، وتقلل من هذا الفجور ، ؟ الآباء مهمالون والامهات جاهلات فماذا يفعل البنون والبنات ؟

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الاولاد فيه على الرقص الرجال هم الذين يغيرون أحوال الأمم الاجتماعية وليس عندنا رجال . نعم إن خير

رجال مصر هم الذين أسسوا الجمعية الخيرية الإسلامية ولكن عملهم للامة لا يزال ناقصاً
فاذا استطاعوا ان يوجدوا مدرسة كلية في مكان بعيد من المدن بل عن الناس ربون فيها
طائفة من الناشئين حتى يكونوا رجالا عاملين فذاك باب النجاح دون سواء وان
لم يستطيعوا فمستقبل مصر مظلم جداً والله أعلم بمصير الأمور

﴿ قصص (روايات) مجلة الهلال ﴾

جاءنا من بعض فضلاء القراء ما يأتي بحروفه

« رأيت في مجلة المنار الصادرة في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ تقريظاً
للا رواية الاخيرة من روايات حضرة محرر مجلة الهلال التي عنوانها (الحجاج بن يوسف)
وقد ألتئم فيه إلى ما انتقد به على المؤلف حينما ظهرت رواية (عذراء قريش) وقد
ظهر لبعض القراء أن حضرتكم لا تنعمون على هذه الروايات لما قدمتموه من الاعتذار
عما يشوبها من الكاذب التي هي من لوازم وضعها مع ان منها نسبة العشق إلى مثل
محمد بن أبي بكر رضى الله عنهما مع شهرته في التاريخ بصد ذلك وتشبه عذراء قريش
بالرجال ووقوفها في مجمع الصحابة ترشدكم إلى حقائق الدين وتوبخهم على ما حصل
منهم في بدء الفتنة المشهورة ولا يخفى حضرتكم أن مثل مقدمته التي نقلتموها لا يرى
الكاتب مما يأتي به مخالفاً لحقائق التاريخ كما هو مبدأ الاسلام في كراهة الكذب على
أية حال . واني متيقن انكم لو كنتم اطلعتكم على هذه الرواية لما قلتم كلمة واحدة في
تقريظها . وما كنا نهتم لو جاء هذا المدح في غير مجلة المنار التي هي المجلة الدينية
الموثوق بها فيما تبديه من الآراء في احكام الدين فمعظم القراء يطلبون من حضرتكم
الافصاح عما يرون فيها لأن المسألة عظيمة إذ اساسها تاريخ الاسلام والصحابة الذين هم
الاسوة الحسنة في اعمالهم وهم نقلة الحديث وهم الثقاة فيما يروون وأنا واثق أن
كلمة منكم ليست ككلمة من غيركم فنسأل الله لنا ولكم التوفيق إلى الحق والسلام »
(المنار) قد صرحنا في تقريظ القصة الاخيرة بأننا لم نقرأ القسم التي
ينشئها صاحب الهلال في التاريخ الاسلامي فنحکم لها أو عليها . وانما نذكرنا اننا
قرأنا في المؤيد نقلاً عنها وعننا أن بعض المتضلاء ناقلين من مؤلفها لأنه وصف
بعض رجال السلف الكرام بالعشق الذي لا يليق بمقامه . وقلنا في القصة الاخيرة
اننا رأيناها خالية من هذا العيب وهذا دليل على انصاف المؤلف وعمله بما يقتضيه

نقد الناقد برجوعه عن نسبة العشق إلى الصحابة وأئمة السلف رضى الله عنهم .
والحاصل أن ما انتقد به هذه القصص أمران أحدهما عدم حفظ كرامة السلف بأن
ينسب إليهم ما لا يليق بهم وقد كان المؤلف وقع في هذا تقليداً للأفريج الذين لا يتحامون
مثله ويظهر أنه رجع عنه ارضاء لقراء ما يكتب من المسلمين . وثانيهما اشتباه الحق
بالباطل في سرد وقائع التاريخ ممزوجاً بأخبار الغرام الكاذبة ونحن نرى أن المقدمة التي
تقلناها عنه تبرئه من هذا النقد إلا أن تكون غير صادقة . فإذا كان يقول أن كل ما عدا
الحكاية الغرامية من القصة هو من التاريخ المنقول فلا سبيل إلى تخطئه إلا ببيان أن
بعض ما في تلك القصص وراء الحكاية الغرامية التي تتخللها غير صحيح أو أن هناك
اشتباهاً بين الحكاية والتاريخ . فعلى المنتقد الشواهد والبيئات إذا ادعى هذا وعلينا
أن نشره ونبين رأينا فيه والله يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضيه

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

(مسيح الهند)

ملاحظاً هذا نرجل المدعى المذهبية والمسيحية الذي صرخاً ونشر الكتب ورسائل
الناطقة بدعواه في الهند تم في سائر الأقطار الإسلامية . ولكن لا يفهم أحد حقيقة
مراده والأصول التي يدنو إليها . كتبه ورسائله كلها مدجج كسجع السكبان بل هو
أقل وأضعف فإن صبر الإنسان على قراءته ليهم مراده يرجع إلى ذهنه بعد القراءة
فلا يجد فيه إلا إطلاء هذا المدعى أو الدعى نفسه والإغراق في الشناء عليها ودم الذين
لا يؤمنون به ولا يحبون دعوته . وربما يجد في الكتاب الطويل كلمات في دينه الجديد
لا يعقل أحد لها فائدة إلا ترفقه بالانكار ليركوه وشأنه يتمتع بلقبه الذي زعم أن الله
منحه إياه (المسيح) كنسخه حكم الجهاد وتحريمه على المسلمين وكهده الانكسار
والدعاء لهم لأنهم محمونه

ليخبرنا هذا المسيح الدجال أين المسلمون المشغولون بالجهاد فيحمل ركن دعوته
وأس إصلاحه أرجاعهم عنه . ألم ير أن معظم بلادهم ذهب من أيديهم لأهلهم

أمر المدافعة عنها ؟ ألم ير أن الأجاب الذين يعيرونهم بأنهم أمة حربية قد سبقوهم في
الفتون الحربية حتى سادوا عليهم ؟ فهل نزل عليه الوحي من أوربا بأن الحرب عار
على المسلمين ، وفضيلة للمسيحيين ، فصدق الوحي الأوربي وقام يدعو إليه قومه
ليهدمهم ويلم شهرهم ويرأب صدعهم .

يُزعم أن الأخبار الواردة في نزول المسيح كالمصدق عليه . الأخبار ناطقة
بنزول عيسى ابن مريم فآين عيسى عليه السلام ، من غلام أحمد القادياني عليه اللام .
الأخبار ناطقة بأن المسيح ينزل من السماء بين ملكين فآين الهند من السماء ؟ وآين
للائكة من أتباعه البنداء ؟ الأخبار تصف المسيح بما لا ينطق عليه مهما تنطع في
التأويل . وزخرف الأباطيل . يقول أن ظاهر القرآن يدل على أن المسيح قد توفي
وأمرهم اكتشفوا قبره . تقول إذا سلمنا لك أنه مات لأنه هو ظاهر القرآن فهل يدل
موته على أنك أنت المراد بالأخبار الواردة في نزوله ؟ كلا . فيما أن تؤول الأحاديث
تأويلاً مقبولاً وإما أن تقول إنها غير صحيحة منسأ وإن صحت سنداً لأن القرآن متواتر
قطعي وهو كلام الله تعالى فكل قول خالفه فهو باطل إذا كان لا يتفق معه بالتأويل .

يدعى هذا الدجال أنه جاء بخوارق العادات لأنه ألف كتاباً عظيماً في عيته
وحقير في أعين الناس ، لما فيه من الهديان والوسواس ، فإذا كان التأليف السخيف
دليل النبوة والمسيحية . فهل يكون التأليف الذي يستحسنه جميع العقلاء دليل على
الآلوهية ؟ أظن هذا الغافل أن القرآن كان معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم لأنه كتاب مؤلف ؟ كلا إنه معجزة لأنه اشتمل على أعلى العلوم الإلهية والاجتماعية
التي اهتدى بها الناس وصلحت عقائدهم وأخلاقهم وقد ظهر مع ذلك بلسان أمي لم يتعلم
شيئاً . فهذا هو الوجه الأعلى في إعجازه . ومن وجوهها أنه وصل من البلاغة إلى
حد عجزت عن بلوغه البلغاء مع أن الجائي به لم يكن معروفاً بالبلاغة . ومن بلغ
الأربعين ولم يعرف له امتياز بالشيء فلا يعقل أن ينتقل مرة واحدة إلى درجة يفوق
بها جميع الناس بذلك الشيء ، إلا بإمداد من يده خرق العادات ، والمؤيد من شاء
بآيات البينات . وأما زعمه أن الفاتحة تدل على مسيحيته وإن لفظ الرحمن الرحيم
دلت على محمد خاتم الأنبياء ، وعلى مسيحه أحمد القادياني فهذا أقبح تلاعب بالقرآن
ويمكن أن يستدل صاحبه بكل كلام على كل شيء لأنه لا يتقيد بلغة ولا عقل ولا فهم
فحسب أن يرجع هذا القادياني إلى رشده ، ونرى الجزر قلل من طغيانه ومده .

﴿ مثال من أمثلة طفولية الأمة - إبطال مدرسة فرجلى ﴾

نحس حسين بك فرجلى واحتمى على نظارة المعارف المصرية منذ أربع سنين لأنها لم تقبل بعض أولاده في مدارسها ورسول له تحمسه أن ينشئ مدرسة ينسبها إلى نفسه تكون حجة على « وطنيته » وزلفى يتزلف بها إلى أسيره وسلطانها لأنها ضد المحتلين فأوحى إلى الجرائد أن تنوه به فتوهت وساعدناها نحن على تنويرها لأن إنشاء المدارس الأهلية هو أفضل عمل يعمله الأهليون لأمتهم وبلادهم والرياء قنطرة الإخلاص كما يقول الصوفية . ومما تبجح به وافتخر أن مدرسته تزيد على مدارس الحكومة بتعليم التركية إثباتاً لجنسيته ، وبتعليم الدين خدمة للأمة . وقد كان أول دليل على انفراج زاوية الحلف بين القول والعمل أن اللجنة التي عقدها في داره لانتخاب المعلمين للمدرسة عرض عليها فيمن عرض من المعلمين رجل اعترفت اللجنة بأنه أقدر المعروضين على تعليم الدين والعربية ، ولكن فرجلى بك ومستشاريه من الأحداث الذين يسمون أنفسهم « الشبيبة المصرية الحقة » ويمتازون بكثرة اللفظ بالوطنية المهمة لم يقبلوا هذا المعلم لأنه ليس مصرياً . فلم تشفع لذلك الرجل عندهؤلاء الوطنيين ديانته الإسلامية . ولا جنسيته العثمانية

مع هذا كنا ندعو أن يثبت هذا الرجل في عمله حباً في المحمدة ولكن بلغنا في هذه الأيام أنه لم يتم على اجازة المدرسة الصيفية الشهر حتى أرسل إلى معلمها يخبرهم بهزلهم وإبطال المدرسة واختار هذا الوقت ليحرم الأساتذة من أجورهم مدة الاجازة . الأمة في طفولية وسقوط الطفل ليس بعجيب وإنما العجيب ثباته فإذا سقطت مدرسة فرجلى فإن من ذوى المدارس الأهلية من هم أقوى عزيمته منه ولذلك ثبتت مدارسهم كالمدرسة العثمانية ومدرسة الماجدى وغيرها . فلا نياش إذا سقط قوم ونهض قوم ما دمنا نرى الأمة متحركة لطلب العلم والعمل على أننا نرجو أن يثوب لفرجلى بك رشده وينثنى عن عزمه الأخير والله الموفق وهو نعم النصير

(الوباء والعدوى) ثبت بالمشاهدة أن في المصاب بالهيفة الوبائية وبراره مادة سامة حية تنمو ويزيد في الجوف الذى تدخله . فالعدوى التى يقولها الأطباء هى انتقال هذه المادة السامة من شخص إلى آخر كما ينتقل السوس والبق والثعابين . إلا أن الفرق بين جثة الوباء وغيرها أن الأولى لا ترى إلا بالنظارة فلا حياط الصحى هو ما يمنع انتقال جثة الوباء من مريض إلى صحى والدواء الذى يطهرون به أمتعة المصاب كالدواء الذى يقتل البق والسوس . فما معنى إنكار هذه العدوى باسم الدين عن لا يعرفون ديناً ولا دنياً؟

يوقن الحكمة من بقاء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي خير أكثر مما
يذكر الأول والثاني

المجلة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبينهم من أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ — ٤ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢)

الاضطهاد في النصرانية والإسلام

(المقالة الثانية لذلك الأستاذ الحكيم والفيلسوف العليم)

ذكرت الجامعة في الجزء الثامن من السنة الثالثة في سياق الكلام على ما جرى لابن رشد ان للناس آراء في : هل الدين المسيحي أوسع صدراً في احتماله مجاورة العلم والفلسفة او ان الدين الاسلامي هو الارحم خلقاً والاسع حلماً من الدين المسيحي في قبول أهل النظر في التكون اذا نزلوا بداره ، ولا ذوا بجواره ، وذكر أن للقاتلين بتسامح الدين المسيحي مع العلم وأهله دون الدين الاسلامي أن فولتير وديدرو وروسو ورنان قالوا فيما يضاد الدين ما قالوا ولم يصابوا بضرر وابن رشد لم يقل شيئاً سوى انه قرّر ما قال أرسطو ووضحه مع تصريحه بسلامة اعتقاده ومع ذلك اهين وبصق على وجهه . وللقائلين بسعة حلم الاسلام ان الاسلام لم يحكم بأحراق احد مجرد الزيف في عقيدته وكم حكمت المسيحية بذلك

ثم جعلت أهل الرأي الأول آخر من يتكلم وقالت : « فيردُّ عليهم الأولون بقولهم : هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط أم مع القريب والغريب معاً ؟ ثم لا تذكرن الحروب والفتن التي قامت بين شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فأضمت أمتهن ، وفرت كلمتهن ، فلي يجوز ان تسموا محاربة شخص واحد وإيداعه (محاربة للإنسانية) ولا تسموا كذلك محاربة شعب اشعب وأمة لأمة » اهـ

ثم قالت الجامعة إنها لا تفصل بين القوانين ، ولكنها افصلت فيهما فصلين ، الأول في قولها : « إنا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة الدينية بحكم الشرع لأن الحاكم العام هو حاكم وخليفة ممتاؤون على ذلك فان التسامح يكون في هذه الطريقة أصعب منه في الطريقة المسيحية فان الديانة المسيحية قد فصلت بين السلطتين فصلاً بديعاً بدله المسيح الحارس الحقيقي وتمدين الحقيقي وذلك بكلمة واحدة : أعطوا ما للقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا تركت السلطة الدينية مجالا للضغط على حرية الأفراد من أجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلا عن قيام وسقي الارض بدمائهم البريئة فانهما تجني جنائية هائلة على الإنسانية وعلى ذلك لا يكون في هذه الطريقة من التسامح أكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص ولو كان هذا النقص أخذ من نقص شقيقتها لانه لا نقص أعظم من نقص التسادر على التمام » والتفصل الثاني في قولها : « ان العلم والفلسفة قد تمكنا الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نماخر سوما في تربة اوربا وأينع وأثمر التمدين الحديث ولكنهما لم يتمكنوا من التغلب على الانضهاد الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً » اهـ

الجواب الاجمالي

وإني أعجل في الجواب بما يلاقي هذين الحكمين اجمالاً . أما الأول
فإن كان الإنجيل فصل بين السلطين بكلمة واحدة فالقرآن قد أطلق القيد
من كل رأي بكلمتين كبيرتين لا كلمة واحدة . قال في سورة البقرة
« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »
وقال في سورة الكهف « وتال الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر »

وأما الثاني فأسأل الجامعة في جوابه : أين الاضطهاد الواقع على العلماء
اليوم عند المسلمين ؟ وأين أوائك العلماء المضطهدون ؟ وأريد بالعلماء أولئك
الذين يساوون من ذكرتهم من فواتير وديدر وروسو و أمثالهم . وكيف
سأغ لها أن تقول ما تقول وهي في أرض مصر ومصر بلاد إسلامية
وحلها كما ترى ؟ فإذا أرادت شاهداً على حال المسيحية والعلم فلتمر بنظرها
اليوم على أسبانيا واتقف برهة من الزمان ثم لتحكم . يمكنها أن تعد من
طلبة العلوم المسلمين مئين في مدارس المسيحيين من جزويت و فرير
وأمر كان وهي مدارس دينية خصوصاً مدارس الجزويت . فهل يمكنني أن
أجد طالباً واحداً مسيحياً في مدرسة دينية إسلامية يباح الدخول فيها لكل
طالب علم من أي ملة ؟ لا نجد الا قليلاً منهم في مدارس الحكومة لعلمهم
أنها مدارس رسمية لم يقيم بناء تعليمها على الدين . فهل سمع أن والداً اضطهد
لأنه بعث بولده إلى مدرسة مسيحية يديرها قسوس مسيحيون ؟ الا يعد
هذا من تسامح الاسلام مع العلم اليوم ؟

لولا ان موضوع كلامي محدود باعتبار التسامح بالنسبة الى العلم والفلسفة وحدهما لذكرت لصاحب الجامعة أن يوجد في بلاده طائفتان تمد أحادهما بالألوف وتزعم كل منهما ان لها نسبة الى الاسلام وهي تعتقد بما لا ينطبق على أصل من أصوله حتى أصل التوحيد والتنزيه عن الحلول ولا تقول بفرض من فروضه المعلومة منه بالضرورة . وأجمع فقهاء الأمة على انها من قبيل المرتدين والزنادقة لا تؤكل ذبائح افرادها ولا يباح لهم أن يتزوجوا من المسلمات وإنما اختلفوا في قبول توبة من تاب منهم ومن العلماء من قال لا تقبل توبته . وهم مع ذلك عاشون بجوار المسلمين ومضى عليهم ما يزيد على تسعمائة سنة وقد كانوا تحت سلطان المسلمين والاسلام في أوج القوة . دخلوا في حكم الأتراك وهم هم أيام كان ملك فرنسا يستنجد بملكهم وكانت عساكرهم على أسوار فينا . كان أولئك الذين يراهم المسلمون قد خرجوا من دينهم وأسرؤا عقيدة تناقض عقيدتهم قد ظهروا بأعمال تشبه أعمالهم وهم جيرانهم ومحت أيديهم وفي مكنيتهم محوهم ومع ذلك ماشوا الى اليوم ولهم أحبة وأصدقاء بين المسلمين . وللمسلمين بينهم مصافون وأوداء فهل عهد مثل ذلك عن المسيحيين ؟

غير ان موضوع قولي محدود كما قلت فلا أخرج عنه وأراني نطقت فيه بكلامي المجمل . واسكن لا يكفي ابيان ما عرضت به الجامعة في قولها « هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط او مع القريب والغريب الخ » ولا لتحقيق الحق فيما حكمت به في حكمها الا تفصيل تعرض فيه حالة الدين مع العلم تحت نظر القارئ على وجه يمكن معه الحكم عن فهم ، ولا تلبس فيه الحقيقة بالوهم

في الجواب التفصيلي -

أرى الجامعة جاءت في كلامها بأربعة أمور آتي بها على حسب ترتيب النسق في تعبيرها . (الأول) ان المسلمين قد تسامحوا لأهل النظر منهم ولم يتسامحوا مثلهم من أرباب الأديان الأخر (الثاني) ان من الطوائف الإسلامية طوائف قد اقبلت بسبب الاعتقادات الدينية (الثالث) ان طبيعة الدين الاسلامي تأبى التسامح مع العلم وطبيعة الدين المسيحي تيسر لاهله التسامح مع العلم (الرابع) ان إيناع ثمر المدنية الحديثة إنما تتمتع به الأوربيون . سرقة التسامح الديني المسيحي . فلا بد لي من الكلام على كل واحد من هذه الأمور الأربعة وابتدئ منها بالثاني لقلة الكلام عليه

- نقد نفي القتال بين المسلمين لأجل الاعتقاد -

لم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين (الأخذ بعقيدة السلف) والأشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة سلفيين وأشاعرة . كما لم يسمع بان الفلاسفة الاسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها . نعم سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج كما وقع من القرامطة وغيرهم وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد وإنما اشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة . ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة . وما كان من حرب بين الأمويين والهاشميين فهو حرب على الخلافة وهي بالسياسة أشبه بل هي أصل السياسة نعم وقعت حروب في الأزمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة

وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية وبين الحكومة العثمانية والوهابيين ولكن يتنى لباحث بأدني نظر ان يعرف انها كانت حروبا سياسية ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم مع بقاء الاختلاف في العقيدة وبين الحكومة العثمانية وابن الرشيداءير الوهابيين اما الحروب الداخلية التي حدثت بعد استقرار الخلافة في بني العباس واضمنت الأمة وفرت الكرامة فهي حروب منشأها طمع الحكام وفساد اهوائهم وجهم الاستئثار بالسلطان دون سواهم . ومصدر ذلك كله جهلهم بدينهم وارتخاء حبل التمسك به في أيديهم . واكبر داء دخل على المسلمين في همهم وعقولهم انما دخل عليهم بسبب استيلاء الجبهة على حكومتهم . أقول « الجبهة » وأريد أهل الخشونة والفسادة الذين لم يهذبهم الإسلام ولم يكن أمقائده تمكن من قلوبهم . ولو رزق الله المسلمين طامعا يعرف دينه ويأخذهم بأحكامه لرأيهم قد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين وما قرر الاولون وما اكتشف الآخرون في اليد الاخرى ذلك لا خسرهم وهذا الدنيا هم وساروا يزاحمون الاوربيين فيزحمونهم

مالا وللحكام نعرض لهم ؟ الذي علي ان أقول ولا أخشى منازعا : انه لم تقع حرب معروفة بين المسلمين للحمل على عقيدة من العقائد أو على تركها . على ان هذا الأمر الذي جاءت به الجامعة والجأنا الى الكلام فيه خارج عن الموضوع بالمرّة لأن الكلام في التسامح الديني مع العلم لا في تسامح عقيدة مع عقيدة أو دين مع دين وإلا لأوردنا لها من حروب الطوائف المسيحية بعضها مع بعض وحروبها مع غيرها ما يستغرق أجزاء الجامعة بقية هذه السنة اذا أوجزنا ما استطعنا . هل أذكرها بما كان يقع

في الناحية من سنك الدماء بين الارثوذكس والكاثوليك على عهد
القسيسة الرومانيين ؟ هل أذكركها بمحادثة برتلمى ستهلير التي سفك
فيها الكاثوليك دماء إخوانهم البروتستانت وأخذوهم في بيوتهم على غرة
وقتلوهم نساء ورجالاً وأطفالاً . بماذا أذكر الجامعة من أمثال هذه الوقائع
التي أسود لها لباس الانسانية ، وتسببت لحدوثها البشرية ؟ هل يمكن
لأحد أن يروني حادثة مثلاً وقعت بين شعوب المسلمين بعضهم مع بعض
تختلف في العقيدة معها عظم الاختلاف

أهل الساميين مع أهل العلم والنصر من كل ملة .

ثم أرجع الى الأمر الأول من الأمور الأربعة لأن الكلام عليه
أول منه على الأمر الثالث . وأني لا أستدل على رعاية الاسلام للحكام من
المسلمين بالمسألة بقول كاتب مسلم وإنما أرجع في جميع ما أذكر الى كتب
المؤرخين والفلاسفة من المسيحيين وأذكر أسماء جماعة من المسيحيين وغيرهم
بافوا من الخلفاء عند الخلفاء وعامة الساميين وخاصتهم ما لم يبلغه غيرهم
قال المسير درابر أجد المؤرخين وكبار الفلاسفة من الاميركان :
« ان المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من
النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضوا
اليهم كثيراً من الاعمال الجسام ، ورفقوهم الى المناصب في الدولة حتى ان
هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسنيه » (هو يوحنا
ابن ماسويه الشهير) وقال في موضع آخر : « كانت ادارة المدارس مفوضة
مع نبل الرأي وسعة الفكر من الخلفاء الى النسطوريين تارة والى اليهود
تارة أخرى . لم يكن ينظر الى البلد الذي عاش فيه العالم ولا الى الدين

مدفن آباءه كما طالب . ثم سأل عن يخلفه عند فاشار الى عيسى بن شهلا ناخذ
تلاذته فأخذه المنصور . كان جيورجيس فطوق يؤذي القسوس والبطارقة
ويهددهم بمكانه عند الخليفة لينال منهم رغبته فشر الخليفة بذلك فطرده
ومن حظي عند المنصور نوبخت المنجم وولده أبو سهل وكانا فارسين
على مذهب الفرس ثم كانت ذرية مسامة لأبي سهل وكانوا جميعاً منجمين
لهم شهرة في علوم الكواكب فائقة

ومن حظي بالسكينة العليا عند الخليفة المهدي توفيل بن توما
النصراني المنجم وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان . وله كتب
في التاريخ جلية ونقل كتاب أميروس الى السريانية بأفصح عبارة

ومن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بختيشوع الطيب وجبريل
ولده ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني . ولده الرشيد ترجمة الكتب
القديمة طيبة وغيرها وخدم الرشيد ومن بعده الى المتوكل . وكان يعقد
في داره مجلساً للدرس والمناظرة ولم يكن يجتمع في بيت للمذاكرة في العلوم
من كل نوع والآداب من كل فن مثل ما يجتمع في بيت يوحنا بن ماسويه
ومن علا قدره في زمن المأمون يوحنا البطريق . وولى المأمون أقامه
كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب والفلسفة .
وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور وسابور ابنه وكانا نصرانيين . وولى
سابور بن سهل بخاراستان جند سابور

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند المعتصم ولما مات جزع
عليه جزعا شديداً وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة النصارى
وكان بختيشوع بن جبريل عند المتوكل يوماً فأجلسه بجانبه وكان

عليه دراعة حرير رومية بها فتق فأخذ المتوكل يحادثه ويمبث بالفتق حتى وصل الى النيفق (هو ما اتسع من الثوب) ودار الكلام بينهما حتى سأله المتوكل : بماذا تعلمون أن الموسوس (المصاب بخجل في عقله) يحتاج الى الشدة؟ فقال مجتئشوع : اذا عبت بفتق دراعة طيبه حتى بلغ النيفق شددناه . فضحك المتوكل حتى استلقى

وفي أيام المتوكل اشتهر حنين بن اسحق النصراني المبادي وهو من أشهر المترجمين لكتب ارسطو وغيره وامتنحن المتوكل صدقه فظهرت له عزيمة لا تقل فأفطامه اقطاعات واسعة . وكان قد عرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة في زمن المأمون وهو فني فكلفه بترجمة الكتب وكان يعطيه وزن ما يترجم ذهباً . وكانت بينه وبين الطيفوري النصراني محاسبة أفضت الى طلب الحكم على حنين في مجلس الاساقفة بالحرم من الكنيسة فمات غمماً لا ضطهاد أهل طائفته له مع عزته وعلو قدره عند الخليفة وهذا الطيفوري أيضاً كان من المقربين عند الخلفاء

ومن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة والمامة في زمنه أيام خلافة الرازي متى بن يونس المنطقي النصراني النسطوري كان متفناً في جميع العلوم العقلية أخذ عنه يونس النازاني ونهت اليه الرياسة في بغداد وكان من أهل دير قتي ونشأ في مدرسة مارماري وقرأ على روفائيل وبنيامين الراهبين اليمقويين .

ومن المقربين عند الخلفاء قسطا البعلبكي من فلاسفة دراهم الاسلام وهو نصراني طلبه الخلفاء الى بغداد لأجل الترجمة ثم نجى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي انتهت اليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته

وقرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر الفارابي

ومنهم أبو الفرج بن الطيب فيلسوف عالم . قالوا كان كاتب الجاثليق
ومتميزاً في النصارى ببغداد وكان يقرى صناعة الطب في البيمارستان العضدي
وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا والرئيس يمدح طبه ولا يحمد فلسفته
وله كلام فيه

ومن كانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والخاصة والعامة ثابت بن
قرة الحراني الصابي من طائفة الصابئين المعروفة وتربى في بيت محمد بن
موسى بن شاكر الفيلسفي المشهور وبلغ في علوم الفلسفة مبلغاً لم يدانه فيه
غيره وله تأليف كثيرة في المنطق والطب والرياضيات وبلغ عند المعتزلة
مقاماً تقدم فيه عنده على وزرائه . وولد ثابت هذا سنة إحدى عشرة
ومئتين بحوران . ثم كان ابنه إبراهيم وسنان على قدم أبيهما . ومن خلفته
أبو الحسن ثابت بن قرة . وكان ثابت وإبراهيم وسنان صابئين ولهم من
المنزلة ما علمت ومدحهم كثير من شعراء المسلمين وهم صابئة

ماذا أعدد للجامعة من الفلاسفة والحكماء من الملل المختلفة الذين
وسعهم صدر الإسلام . ولم يرض عنهم بالرعاية والاحترام . هل تريد أن
أتم لها الكلام بذكر كثير من فلاسفة الإسلام المسلمين الذين نالوا السمت
الدرجات وأعلى المقامات عند الخلفاء والملوك . هل أنا في حاجة إلى ذكر
فيلسوف الإسلام أبي يوسف يعقوب الكندي وهو بصري الأصل .
ابن الأمير اسحق الذي كان أميراً للمهدي والرشيد على الكوفة وهو من
ذرية الأشعث بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
عالماً بالطب والفلسفة والحياة والحساب والموسيقى واشتغل بالترجمة كما اشتغل

غيره بها فترجم كثيراً من كتب الفلسفة وأوضح الغامض منها وكانت له
المكانة العليا عند المأمون والمتنصم وولده احمد . هل أنا في حاجة الى ذكر
نبي موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن الذين اشتغلوا في مساحة الكرة
الأرضية ومعرفة محيطها وقطرها وما كان لهم من المنزلة عند الأمراء
والخلفاء ؟ أذكر ابن سينا ومنزلته في قومه ووصوله الى مسند الوزارة
عند شمس الدولة ؟ أم أذكر الفارابي وما كان له من المكانة عند سيف
الدولة بن حمدان .

لأريب ان أبا العلاء الميري يصلح ان يكون رجلاً ممن تعنى الجامعة
بنشر تراجمهم وقد قال ما لم يقل بمثله فولتير وروسو وقد مات مع ذلك على
فراشه وقبره اليوم مزار يرحل اليه في بلده .

أظن انه سهل بعد سرد ما عددناه أن يعرف قراء الجامعة ان الاسلام
كان يوسع صدره للغريب كما يوسع للقریب بميزان واحد وهو ميزان
احترام العلماء للعلم . ويسهل عليّ ان التمس المدر للجامعة بأنها عندما كتبت
ما كتبت تمثلت لها بعض حوادث قيل انها حدثت للدين وما حدثت له .
بل كان سبب حدوثها اما سياسة خرقاء . أو جهالة عمياء . أو تأريث بعض
السنهاء . لا أطيل خوف الاملال . وانتقل الآن الى الامر الثالث وهو
المقابلة بين طبيعة الدينين وهو أهم مما سبق ومما سيلحق

طبيعة الدين المسيحي وأصوله

(تمهيد) ظنت الجامعة ان الدين المسيحي فصل بين السلطة الدينية
والسلطة المدنية ولذلك كان في طبيعته التسامح . أما الدين الاسلامي فمن
أصوله ان السلطان ملك وخليفة ديني وذلك مما يصعب معه التسامح في رأيها

ليس هذا بكاف في بيان طبيعة كل من الدينين واستعدادها للتساع
مع العلم أو مع أية عقيدة تخالفها بل لابد من بيان أركان الدين وأهم أصوله
التي ترجع إليها جميع الفروع ومنها تصدر الآثار الحقيقية

عند النظر في أي دين للحكم له أو عليه في قضية من القضايا يجب أن
يؤخذ ممحصاً مما عرض عليه من بعض عادات أهله أو محدثاتهم التي
ربما تكون جاءت من دين آخر . فإذا أريد أن يحتج بقول أو عمل لا تباع
ذلك الدين في بيان بعض أصوله فليؤخذ في ذلك بقول أو عمل أقرب الناس
إلى منشأ الدين ومن تلقوه على سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه
وانني أوجز القول في إيراد الأصول الأولى التي وردت في الأناجيل
المعروفة الآن في أيدي المسيحيين . وجاءت في كلام أئمتهم الأولين .
ثم إراد ما جبر إليه الأخذ بتلك الأصول بحكم طبيعة الدين

- الأصل الاول للنصرانية الخوارق -

أول أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عماد له هو خوارق
العادات . تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه
إلا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه . ثم انه
جعل ذلك دليلاً على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لأصحابه ذلك كما تراه
في الإصحاح العاشر من انجيل متى وغيره . وإذا تتبعتم جميع ما قال الأولون
من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات ، من أظهر الآيات على صحة
الاعتقادات . ولا يخفى أن خارق العادة هو الأمر الذي يصدر مخالفاً
لشرائع الكون ونواميسه . فإذا ساع أن يكون ذلك لكل من علا كعبه
في الدين لم يبق عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص

زاد الانجيل على هذا ان الايمان ولو كان مثل حبة خردل كاف في خرق نواميس الكون كما قال في الاصحاح السابع عشر من متى : « فالحق أقول لكم لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » وفي الحادي عشر من مرقس « ٢٣ لأنني الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان مايقوله يكون فهو ما قال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تدعون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم »

فكل بحث يؤدي الى أن للكون شرائع ثابتة وان للعمل والشرائع أو الاسباب أو الموانع أحكاما في معالوماتها أو ماشرطت فيه أو ما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضادا لهذا الاصل في أي زمن وقد كان كل علم من علوم الاكوان لا بد فيه من هذا البحث فكل علم مضاد لهذا الاصل . ثم ان صاحب الاعتقاد بهذا الاصل لا يحتاج الى البحث في الاسباب والمسببات لأن اعتقاده في الشيء ان يكون وارادته لأن يكون كافيان في حصوله فهو في غنى عن العلم والعلم عدو لما اعتقد فما أصعب احتماله اذا جاء بزوجه في سلطانه

الاصل الثاني للنصرانية سلطة الرؤساء

وبعد هذا الأصل أصل آخر وهو السلطة الدينية التي منحت للرؤساء على الرؤسسين في عبادتهم وما تسكنه ضائرهم . وقد أحكم هذه السلطة ماورد في ١٦-١٩ من انجيل متى : « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على

الأرض يكون محلولا في السموات» وفي ١٨ - ١٨ منه «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء»

فإذا قال الرئيس الكهنوتي اشخص انه ليس بمسيحي صار كذلك وإذا قال انه مسيحي فاز بها فليس المعتد حراً في اعتقاده يتصرف في معارفه كما يشاء عقده بل عينا قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه فإذا اهتزت نفسه الى بحث أوقفها قابض على تلك السلطة . وهذا الأصل ان نازع فيه بعض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرناً طوالاً

❦ الأصل الثالث للنصرانية ترك الدنيا ❦

وبعد هذين الاصلين أصل ثالث وهو التجرد من الدنيا والانقطاع الى الآخرة . تجد هذا الأصل في الانجيل وفي أعمال الرسل وكلمات في الكتب الأولى عشرت به . وتجد الأمر الصادر بالانقطاع الى ملكوت السموات من عالم الملك صريحة في الاصحاح السادس والعاشر والتاسع عشر من انجيل متى . فما جاء في السادس : «لا تقدر أن تأخذوا الله والمال» ٢٥ لذلك أقول لكم لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس (الى أن قال) ٣٣ ولكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ٣٤ فلا تهتموا للفناء أن الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره » وقال في التاسع عشر : ٢٣ الحق أقول لكم انه يسر أن يدخل غني ملكوت السموات ٢٤ وأقول لكم أيضاً ان مرور رجل من ثقب إبره أيسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله » وفي العاشر : «لا تفتنوا

ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ١٠ ولا مزوداً للطريق ولا توبين
ولا أحذية ولا عصا الخ »

وحدث على الرهبانية وترك الزواج وفي ذلك قطع النسل البشري قال
في (١٩ من متى :) « ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت
السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » . ثم ان ملكوت السموات
قد نيط أمره بالايمان المجرد عن النظر في الاكوان فماذا يكون حظ
صاحب الاعتقاد بهذا الاصل من النظر في أي علم والعلم لا دخل له في شؤون
الآخرة والدنيا قد حرمت عليه . لا ريب ان همه يكون في الصلاة وصرف
القلب بملكته الى العبادة دون سواها وليس الفكر في الحليقة من العبادة
عنده فان عبادة الانجيل ليست شيئاً سوى الايمان والصلاة

« الأصل الرابع للنصرانية الايمان بغير المعقول »

وبعد هذه الأصول أصل رابع وهو عند عامة المسيحيين أصل
الأصول لا يختلف فيه كاثوليك ولا ارتوذكس ولا بروتستانت وهو ان
الايمان منحة لا دخل للمعتل فيها وان من الدين ما هو فوق العقل بمعنى
ما يناقض أحكام العقل وهو مع ذلك مما يجب الايمان به . قال القديس
السيلم : « يجب ان تعتقد أولاً بما يمرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد
بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » فليس الايمان وهو الوسيلة الفريدة الى النجاة
في حاجة الى نظر العقل والكون وما فيه لا يهم المؤمن ان يجيل فيه نظرة .
ويقول القديس « ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » نوع من التفضل
على النزعة البشرية الى الفهم وعلى الميل الفطري الى تصور ما يتعلق به الاعتقاد
والا فجرد الايمان كاف في الخلاص . ثم الويل كل الويل لطالب الفهم اذا

لذي اجتهاده في شيء يخالف ما يتعلق به ايمانه فكان معنى الفهم ان يحتاج
أولاً من نفسه ما يسلي به نفسه على ايمانه بغير المفهوم

(الاصول الخامس للنصرانية ان الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج اليه البشر في المعاش والمعاد)
ثم ينضم الى الأصول الاربعة خامس وهو ان الكتب المعروفة بالمهد

التقديم والمهد الجديد تحتوي على كل ما يحتاج البشر الى علمه سواء كان متعلقاً
بالاعتقادات الدينية والآداب النفسية والاعمال البدنية مما يؤدي الى نيل

السعادة في الممالكوت الأعلى أو كان من المعارف البشرية التي يتأتى للعقل
الانساني ان يتمتع بها . قال تيرتوليان (وهو أفضل من وصف الاعتقاد

المسيحي في نهاية القرن الثالث قبل ان تمرض عليه البدع الكثيرة) : « ان
عقائد المسيحية أسست على الكتب السماوية ودليل صحة هذه الكتب

قدمها وكونها أقدم من كتاب أميروس وأقدم من أقدم أثر معروف عند
الرومانيين وأقدم من تأسيس الحكومة الرومانية نفسها والزمن ناصر

الحقيقة ثم تحقق النبوءات التي وردت فيها » ثم قال : « ان أساس كل علم

عندهم هو الكتاب المقدس وتقاليده الكنيسة وان الله لم يقصر تعليمنا
بالوحي على الهداية الى الدين فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد ان نعلمه من

الكون والكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قد للبشر ان
يتألموا به جميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والارض وما فيها

وتاريخ العالم وما يجب تسميته منها من ادب العقل أو خالف شاهد الحسن
فان الناس ان يؤمنوا به أولاً ثم يجتهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه أي

في تسميته أيضاً كما ترى وقال بعض فضلائهم : انه يمكن ان يؤخذ من الهادى
بأكمله من الكتاب المقدس

الاصل السادس للنصرانية التفريق بين المسيحيين وغيرهم حتى الاقربين
 ينظم تلك الاصول كلها اصل سادس وهو آخرها فيما أرى . ذلك
 الاصل هو الذي ورد في الاصحاح المباشر من انجيل متى وهو : « لا تظنوا
 أنني جئت لألقي سلاماً على الارض ، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً ٣٥
 فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها
 ٣٦ وأعداء الانسان أهل بيته . » وقد صرح في عدة واضع من الانجيل
 ان الاخلال بشيء من محبة المسيح أو بالانقياد الى جميع ما أوصى به موجب
 للهلاك وان كان قد جاء في مواضع كثيرة ان الايمان وحده كاف في الخلاص
 غير ان روح الشدة التي جاءت في قوله « لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً بل
 سيفاً » التي بقي أثرها في نفوس الاولين من المعتقدين بالدين المسيحي وعفت
 على آثار ما كان يصح ان تستشعره النفوس من بعض الوصايا الأخر

نتائج هذه الاصول وآثارها

من هنا أعرض المسيحيون الأولون عن شواغل الكون وصدوا
 عن سبيل النظر فيه اظهروا لاغنى بالايمان والمعبادة عن كل شيء سواها
 وحجروا على همم النفوس ان تهض الا الى الدعوة الى ذلك الايمان وتلك
 المعبادة ووسائل الدعوة هي الايمان والمعبادة كذلك فاذا نزعتم العقول الى
 علم شيء من العالم وضعوا امام نظرهم كتب المهد القديم وحصروا العلم بين
 دفاتها استغناء بالوحي عن كل عمل ثقل سوى فهمه من عباراته وليس
 يسوغ لسكنى ذي عقل فهمه بل انما يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفاً
 من الزيف من الايمان السليم (البروتستانت رأوا أنه يجوز تفسير الكتاب
 لغير الكنيسة)

ثم ان لقاء السيف ووضع التفريق بين الاقارب والاحبة انما جاء حافظاً لذلك كله فاذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمى الى مصادره شيء من أمور الايمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر ولم يجز في شأن صاحبه هوادة ولا مرحمة كما أفهمه المسيح بعمله على حسب ما ورد في الانجيل فقد قيل له: «٤٧» أمك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك ٤٨ فأجاب وقال للقائل له من هي أمي ومن هم اخوتي ٤٩ ثم مديده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي . ونحو ذلك مما يدل على وجوب المقاطعة بين من يعتقد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقده ولا يخفى ان الشيء يكون بذرة ثم نباتاً ثم شجراً فانظر الى ما صار أمر هذه البدايات بحكم الطبيعة وقر في نفوس المسيحيين ان السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم وتقرر عند القوم قاعدة «ان الجهالة أم التقوى» (وكثير من أهل الأديان مسيحيين ومسلمين لا يزالون يجرون على هذه القاعدة ببركة ما ورثوا عن أبناء الزمن الغابر) فحصروا التعليم في الأديار ومنعت الكنيسة ان ينشر التعليم بين العامة الا ما كان دعوة الى الصلاح وتقرير الايمان على وجه ظاهر . وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره . ظهرت ذات الذنب التي تنسب الى هالي في سنة ١٦٨٢ فاضطربت لظهورها اوربا وولجأوا الى البابا واستجاروا به فاجارهم وطردها من الجوف فولت في الفضاء مذعورة من لعنته ولم تعد الا بعد خمس وسبعين سنة !!

لم يكن يسمح لأحد أن يبدي رأياً يخالف ما في الكتاب وعندما أظهر بلاج رأيه في أن الموت كان يوجد قبل آدم أي ان الحيوانات كان يدركها الموت قبل ان يخطئ آدم بالأكل من الشجرة قام لذلك

موضوعه وارتفعت جلبة وانتهى الجدل الى صدور أمر امبراطوري
بقتل كل شخص يعتقد بذلك . يقول المؤرخ : وهكذا عد الاعتقاد بأن
الموت كان يزور الاحياء قبل آدم جريمة على الملك

أحرقت كتب البطالسة والمصريين بالاسكندرية على عهد جول قيصر
ثم ان تيوفيل بطريك الاسكندرية انتحل أذنى الاسباب لاثارة ثورة في
المدينة لاتلاف ما بقي في مكتبة البطالسة بعضه بالاحراق وبعضه بالتبديد ،
قال أوروسيوس المؤرخ إنه رأى أدراج المكتبة خالية من الكتب بعد
ان نال تيوفيل الأمر الامبراطوري باتلافها بنحو عشرين سنة

ثم جاء بعد تيوفيل ابن أخته سيريل وكان خطيباً مفوهاً له على الشعب
سلطان بفصاحته وكان في الاسكندرية بنت تسمى هيباتي الرياضية تشغل
بالعلوم والفلسفة وكان يجتمع اليها كثير من أهل النظر في العلوم الرياضية
وكان لا يخلو مجلسها من البحث في أمور أخر خصوصاً في هذه المسائل
الثلاث : من أنا والى أين أذهب وماذا يمكنني ان أعلم . فلم يحتمل ذلك
القديس سيريل مع ان البنت لم تكن مسيحية بل كانت على دين آبائها
المصريين فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق
وهي سائرة الى دار ندوتها وجردوها من ثيابها وأخذوها الى الكنيسة
مكشوفة المودة وقتلوا هناك ثم قطع جسمها وجرّد اللحم عن العظم وما
بقي منها ألقي في النار . يقول المؤرخ راوي هذه القصة : ولم يسأل سيريل
عما صنع بهيباتي ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها ولمل ذلك كان
أول ما تقررت تلك القاعدة : « الغاية تشفع للوسيلة »

ما من عقيدة ظهرت في المسيحية وأريد تقريرها من فريق ونازع فيها

فريق الاوقد سالت لها الدماء فليراجع التاريخ لثمثل أرض مصر مصبوغة
 بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عندما أريد تشريع عبادة العذراء واتخاذها
 لله إلهاً كان ذلك في طبيعة الدين : ان من لم يتبع المسيح فهو هالك والهلاك
 لا يستحق الحياة . ألم نرى في الاصحاح الخامس من الأعمال ان قصة الرجل الذي
 باع جميع ما عنده وابتاع نفسه الى بطرس أعطاه الثمن وادخل نفسه شيئاً أخفاه
 عنه فاطلع بطرس على حقيقة الأمر ووبخ الرجل وعصر فيه بسباب
 بريئة من فريق المسيحية ثم جاءت امرأته وكان لها اطلاع على ما أخفى
 عنها ولم تنبه فوجدتها بطرس وأخبرها بموت زوجها فماتت هي أيضاً .
 فإذا كان هذا السبب في جزاء على خناس الرجل لله من ماله نفسه
 فيقدمه هدية لارسس فكيف تكون الحياة من حقه اذا خالف خلقاء الله
 في الارض وثابتهم في يعتقدون

قال الربا توماس الثالث عند الكلام في يوم من الأيام في القلوب
 «معدة الله وتيكيد» لا يجوز أن يترك لأولاد ابنايت سرور الله
 وترك الحياة لهم من «بحسان» فلم ينصر ابنايت على الجاهلين .
 عند انى اولادهم عند ترك الحياة لأولادهم يمتنون بها ضرباً من الضرب
 يومئذ لا يسوق لهم ان يعيشوا وقد جحد آباؤهم

مقاومة النصرانية للعلم

لا أجد في التاريخ كثيراً من الأمثلة والنسبة بعد ظهور المسيحية في
 القرون الأولى . فمطنيين وما بعدهم الا في أسماء المنازعات الدينية التي تثار
 فيها نارة بسطان الملوك وأخرى بجميع الجماع وثالثة بسنك الدماء فتضمد
 شعلة العلم ويقتصر الدين المحض . وإنما الذكر كل الذكر لما كان بين

المسيحية وما جاورها من المال الأخرى من الحروب الديفة لا حمل على
العقيدة بما كان يمتد المسيحيون وما كان يقع بين ملوك أوروبا من التسافك
في الدماء باغراء رؤساء الكنيسة وأمر ذلك معروف عند من له إلمام
بالتاريخ وليس من موضوعنا الكلام فيه

ولكن أرى شبه نزاع بين العلم والدين ظهر في أوروبا بعد ظهور
الاسلام واستقرار سلطانه في بلاد الأندلس واحتكاك الأوربيين
بالمسلمين في الحروب الصليبية

رجع الآلاف من الغزاة الصليبيين الى بلادهم وحملوا الى الناس
أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من ان
المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة وأجلوا عنها دين
التوحيد ونفوا عنها كل فضيلة وإخلاص وهم وحوش ضارية وحيوانات
مفترسة فلما قتل الغزاة الى ديارهم قصوا على قلوبهم ان أعداءهم كانوا أهل
دين وتوحيد وسروء وذوي ود ووفاء وفضل مجاملة

ثم كان الخليفة الحكم الثاني جعل من بلاد الأندلس فردوساً كما قال
الفيلسوف الاميركاني وكان اليهود والنصارى يتلاقون في تلك البلاد تحت
ظلال الأمن والحرية . قال بطرس المحترم الشهير انه رأى كثيراً من
العلماء يأتون الى تلك البلاد ليلقي العلوم الفلكية حتى من بلاد انكلترا
وأولئك الذين يسمعون الى طلب العلوم من أي بلاد جاؤا كانوا يجدون
فيها ركباً وسعة وكان قصر الخليفة يشبه ان يكون مصنفاً لا مكتب -
نسخ وتذهيب وتجليد الخ ما قال

ثم انتشرت صناعة الورق التي اخترعها العرب ثم اكتشفت المطبعة

وسهل على الناس ان ينشروا آراءهم بعد أن قُبِحت أفكارهم بما جلب اليهم
 رسل العلم الذين حملوه اليهم عن أهالي اسبانيا ومن حملوه مما جاورها . ثم
 انساب الى القول شي مما سماه الاوربيون فلسفة ابن رشد . عند ذلك
 اهتمت المسيحية بالأمر وأخذت تحارب كل ما يظهر على السنة الناس
 أو يرد على أسماعهم مما يخالف ما في الكتب المقدسة وتقاليد الكنيسة .
 قال دي رومنيش : ان قوس قزح ليست قوساً حربية بيد الله ينتقم بها
 من عباده اذا أراد بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء . فجاب
 الى روما وحبس حتى مات ثم حوكت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت في
 النار . وقيل في علة الحكم : انه أراد الصلح بين كنيسة روما وانكلاها .
 وأي ذنب أعظم من هذا الصلح ؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بان
 قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء

مراقبة المطبوعات ومحكمة التفتيش

انشئت المراقبة على المطبوعات وحتم على كل مؤلف وكل طابع ان
 يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة
 وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب
 أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره . وأوعز الى هذا المراقب أن يدقق
 النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يومي الى مخالفة العقيدة الكاثوليكية ووضعت
 غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة
 (كأن الحكومة العثمانية على ما تنشر بعض الجرائد أخذت نسخة من
 قرار المجمع المقدس لتجري عليه مراقبة المطبوعات ولكن للسياسة لا للدين)
 انشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة عند ما خيف ظهورها

بسمي تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا وإيطاليا.
انشت هذه المحكمة الغريبة بطلب الراهب توركاندا

قامت المحكمة بأعمالها حق القيام في مدة ثماني عشرة سنة — من
سنة ١٤٨١ الى سنة ١٤٩٩ — حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين
شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين
بالشقي بعد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين
شخصاً بعقوبات مختلفة فنذت ثم أحرقت كل توراة بالعبرية

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة « المقدسة » ؟ وسيلة
واحدة هي ان يحبس المتهم وتجري عليه أنواع المذاب المختلفة بآلات
التعذيب المتنوعة الى أن يعترف بما نسب اليه وعند ذلك يصدر الحكم
ويعقبه التنفيذ . قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢ ان يامن كل من ينظر في
فلسفة ابن رشد . وطقق الدومينكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولعن
من ينظر في كلامه شيئاً من الصناعة والعبادة لكن ذلك لم يمنع الاسراء
وطلاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل للوصول الى شيء من
كتبه وتحلية العقول ببعض أفكاره

اشتدت محكمة التفتيش في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعاة الى
كسبه ونيط بها كشف البدعة والحكم فيهاها اشتد خفاؤها — في المدن .
في البيوت . في السرايب . في الأنفاق . في الخازن . في المطابخ . في المغارات
في الغابات . وفي الحقول . فوفت بما كلفت به مع البهجة والسرور اللاتقين
بأصحاب الفيرة على الدين عملاً بالقول الجليل « ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً »
كان يؤخذ الرهبان في صوامعهم ، والقسوس في كنائسهم ،

والاشراف في قصورهم ، والتجار بين بضائهم ، والصناع في مصانعهم ،
والعامة في بيوتهم ومزارعهم ، وحيثما وجدوا ، وانما ثقفوا ، ويوقفون
أمام المحكمة وتصدر الأحكام عليهم يوم اتهمهم

قرر مجمع لاتران أن يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس
الاعتراف الواجب أدائه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس في
الكنيسة (أي الاعتراف بالذنوب طلباً لغفرانها) تذهب البنت أو الزوجة
أو الأخت لاجل الاعتراف بين يدي القسيس يوم الأحد فيكون مما
تسأل عنه عقيدة أبيها أو زوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه في بيته
وما يظهر في أعماله بين أهله. فإذا وجد القسيس متلقي الاعتراف شيئاً من
الشبهة في طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه رفع أمره الى المحكمة
فينتض شهاب التهمة عليه فإذا سأل عن الشاهد الذي عول عليه في اتهمه
لا يجاب وإنما يقام التعذيب مقام شخص الشاهد وهو من أهله حتى يعترف
أوقعت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب أهل أوروبا ما خيل
لكل من يلمع في ذهنه شيء من نور الفكر إذا نظر حوله أو التفت وراءه أن
رسول الشؤم يتبعه وأن السلاسل والأغلال أسبق الى عنقه ويديه ، من
ورود الفكرة العلمية اليه ، وقال باغلياديس ما كان يقوله جميع الناس لذلك
العهد : « يقرب من المحال أن يكون الشخص مسيحياً ويموت على فراشه »
حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ الى سنة ١٨٠٨ على
ثلاثمائة وأربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف أحرقوا بالنار أحياء

اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء عامة

لما كان ابن د... هو الينبوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية في

اوربا على زعم القسوس وكان ابن رشد استاذاً يتعلم عنده كثير من اليهود وقد اتهموا بنشر افكاره وآرائه ثم هو مع ذلك مسلم صب غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معاً فصدر الأمر في ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢ بأن كل يهودي لم يقبل المهودية في أي سن كان وعلى أي حال كان يجب ان يترك بلاد اسبانيا قبل شهر يوليو (تموز) ومن رجع منهم الى هذه البلاد عوقب بالقتل وأبيع لهم ان يبيعوا ما يملكون من عقار ومنقول بشرط ان لا يأخذوا في الثمن ذهباً ولا فضة وإنما يأخذون الأثمان عروضاً وحوالات . ومن ذا الذي يشتري اليوم ثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن ؟ (يعني ان أموال اليهود تكون مباحة بعد جلائهم الذي يتم في يوليو) . وصدر أمر توركاندو ان لا يساعد أحد من سكان اسبانيا في أمر من امورهم . وهكذا خرج اليهود تاركين كل ما يملكون ناجين بارواحهم على انه لانجاة لكثير منها فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع المدمم والفقر وفي فبراير (شباط) سنة ١٥٠٢ نشر الأمر بطرد أعداء الله المفاربة (المسلمين) من أشيلية وما حولها — من لم يقبل المهودية منهم يترك بلاد اسبانيا قبل شهر ابريل (نيسان) وأبيع لهم أن يبيعوا ما يملكون على الشرط الذي وضع لليهود . ولكن وضع للمسلمين شرط آخر وهو أن لا يذهبوا في طريق يؤدي الى بلاد إسلامية ومن خالف فجزاؤه القتل . فمؤلاء المساكين نفوا جميعاً الى القتل ان لم يكن قتل الجزاء عند الرجوع فالموت ملاقيهم بالتعب مع المرى والجوع

الا يجب القارىء اذا رأى ان برونو يحرق بالنار حياً بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ لأنه قال بقول الصوفية في وحدة الوجود وقال ان

هذا العالم يحتوي على عوالم كثيرة . الحمد لله رب العالمين
ظهر القول بكروية الأرض — ذلك الأمر الذي عرفه المسلمون
وصار رأياً لهم في أول خلافة بني العباس ولم تتحرك له شعرة في بدن —
فأحدث اضطراباً شديداً في عالم النصرانية ولا يسع هذا المقال ما وقع
من الحوادث في شأنه

هل يصدق القارئ أن مقصده كريستوف كولب من السفر في
المحيط الاطلانطي لعله يكتشف ارضاً جديدة كانت من الأمور التي
اهتمت لها الكنيسة وحكم مجمع سلامانك بأنه مخالف لأصول الدين ثم
أعيد النظر فيه وعرض على أقوال الآباء من كريزيستوم واوغستين
وجيروم وغريغوار وبازيل وانبرواز وعلى رسائل الرسل والأنجيل
والنبوات والزبور والاسفار الخمسة ولم ينتج هذا العرض شيئاً . ولكن
ساعده على مقصده بعض الملوك رغم الكنيسة كما هو معلوم . قال
كريستوف كولب ان الذي أوحى اليه هذا القصد النبيل هي كتب
ابن رشد . من هنا نفهم لم قامت له الكنيسة وقعدت .

ما أشد تمسك الكنيسة بهذا الأصل الجليل « السلطة للقسوس
والطاعة على العامة » كل رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الديني الذي يربط
ويحل في الأرض والسماء فهو باطل يجب مقاومته بكل ما استطاع . لهذا
حكم على غاليلي الذي ذهب الى ان حركة الكواكب هي على النظام
المعروف عند الفلكيين اليوم

مقاومة الكنيسة للحقن تحت الجلد : هل تدري ماذا حصل من المقاومة
لادخال الحقن تحت الجلد بمادة المرض ؟ اكتشفت هذه الطريقة

الطبية عند المسلمين في الاستانة ثم نقلها الى اوروبا امرأة تسمى ماري مونتاجو سنة ١٧٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها واحتج في تمضيدها الى التماس المساعدة من ملك انكلترا وعادت هذه الشدة في المعارضة عندما اكتشفت طريقة تطعيم الجدري

مقاومة تسهيل الولادة: أي مقاومة لم يلاقها اكتشاف تخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بالأم الطلق. اكتشاف أميركاني رأت حضرات القسوس فيه انه يخلص المرأة من تلك اللعنة أو تلك المتوبة التي سجلت عليها في سفر التكوين (إذ جاء في الاصحاح الثالث منه : « وقال للمرأة تكثيراً أكثر آتباب حملك بالوجع تلدين اولاداً »)

مقاومة السطة المدنية وحرية الاعتقاد: نشر البابا منشور في سنة ١٨٦٤

جاء فيه لمن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية أو جواز ان يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يعتقد بان الشخص حر فيما يعتقد ويدين به ربه . وفي منشوره سنة ١٨٦٨ ان المؤمنين يجب عليهم أن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وافكارهم ودعا الروم الارثوذكس والبروتستانت الى الخضوع للكنيسة الرومانية على هذا الوجه

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة بروسيا والبابا في عزل استاذ في إحدى الكليات رأى رأياً لا يروق للحزب الكاثوليكي فخرمه البابا وطلب من الحكومة عزله وكانت إحدى العضلات السياسية غير ان عزيمه بسمارك نصرت مدينة القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة وأبقت الاستاذ وجهات التعليم تحت السلطة المدنية

مقاومة الجمعيات العلمية والكتب : لا أذكر الجمعيات العلمية (الأكاديميات) التي النيت والاجتماعات التي عطلت لاشي كان فيها سوى هداية البشر الى منافعهم وتنوير بصائرهم بكشف ما احتجب عنهم من سر الخليقة بالبحث النظري ومن الطريق العقلي من غير استشارة المسيطر الالهي وهو الكنيسة . ولكن أذكر شيئاً واحداً وهو ان الكردينال اكسيمينيس أحرق في غرناطة ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب المعول عليها عند علماء أوروبا لذلك المهدي

البروتستانت او الاصلاح

ربما يقول قائل ان هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكن قد قام في المسيحية مصلحون يرون إرجاع الدين الى أصل الكتب المقدسة ويديحون لعامة أهل الدين ان ينظروا فيها ويفهموها وقد رفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والمقول ومن عهد ظهور الاصلاح والرجوع الى أصول الدين الأولى بزغت شمس العلم بالمغرب وبسط للعلم بساط التسامح وذلك لا يمكن أن يكون الا جرياً مع طبيعة الدين

لا أذكر في الجواب عن ذلك الا ما ذكر البروتستانت أنفسهم في تاريخ الاصلاح : استمرت عقوبة الموت قانوناً يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفة وقد أمر كلفان^(١) باحراق سيرفيت في جنيف لأنه كان يعتقد ان الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابتداع قبل مجمع نيقة . وكان يقول : ان روح القدس ينشئ الطبيعة بأسرها . فكان جزاؤه على هذا ان شوي على النار حتى مات وهكذا أحرق فايي في تلوز سنة ١٦٢٩

(١) كلفان هو الزعيم الثاني للبروتستانت ولوتر الأول

كان لوثير أشد الناس أنكاراً على من ينظر في فلسفه ارسطو وكان ذلك المصلح يلقب هذا الفيلسوف بالخبزير الدنس الكذاب ونحو ذلك من الألقاب التي لا بأس بها اذا صدرت من أهل الفيرة على الدين في طريق الدفاع عنه !! وكان كلفان أقل شأماً للفيلسوف من لوثير لكنه لم يكن أحسن ظناً به ولا أوسع صدر المن يطلع على شيء من كتبه . وكان علماء المسامين يقبون هذا الفيلسوف «المعلم الاول» فتأمل الفرق بين الفريقين !! قالوا : البروتستانت قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وبإبطال السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الاخرية وإبطال عبادة الصور . ولكنهم لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بان الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري كما انها منبع نور الإيمان بالدين الالهي وأنه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره الى ما يخالف شيئاً مما حوته وأنه لا حاجة الى شيء من العلم وراء ما ورد فيها . وبالجمله انهم لم يبطلوا أصلاً من الأصول الستة التي تقدمت إلا أنهم قالوا بمنع غلو الرؤساء في سلطتهم المبنية على الاصل الثاني في سابق قوائمنا

قالوا : ولهذا لم يكن مذهب الاصلاح اخف وطأة على العلم ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك لان كلا المذهبين يرجع الى طبيعة واحدة (وهي القائمة على الاصول الستة) ولم يكن لاهل النظر العقلي جزاء في كلا المثلين الا القتل وسفك الدم

لو كنت ممن يحب الجدل في الدين لعددت فيما ذكرته من عناصر الدين المسيحي ما تضمنه قول بعض الناقدين عند الكلام على الحروب المسيحية واضطهادات الكنيسة « ما أهون الدم على من يمثل في عبادته اكل

الدم وعلى من يعتقد ان خلاص العالم الانساني من الخطيئة انما كان بسفك
الدم البرئ على يد الممتدي الاثيم ، لكنني في بحثي هذا لا أريد ان استعمل
قوة الخيال ، ولا أن أذكر ما يمد من قبيل الجدال ، وانما آتي بملهو حكاية
حال ، ليس للناظر فيها مقال ،

الفصل بين السلطين في المسيحية

بقي علينا الكلام فيما جعلته الجامعة أساساً للفصل بين السلطين
الدينية والملكية وبه كانت طبيعة الدين المسيحي ادعى الى التسامح مع العلم
في نظرها . لو سلمنا أن في تلك العبارة معنى انفصل كما قالت الجامعة وقال
كثير غيرها ممن أرادوا مقاومة السلطة الدينية فماذا يفيد الفصل اذا كان
دين الملك نفسه يقضي عليه بمعاداة العلم ؟ أفلا يغلب اعتقاد الملك وما يملك
نفسه مما فيه نجاته الروحية على مطالب الملك ؟ وكم من ملك جعل مصالح
مملكته قربانا لسلطان عقيدته . هب ان مصالح الملك تكون دائماً أغلب
على النفس من حكم العقيدة وقاهر الايمان والوجدان وقد أقام الدين
سلطين منفصلتين احدهما تحل وتربط في الارض وفي السماء فيما هو من
خاصة الدين والأخرى تحل وتربط في الأرض فيما هو من خصائص
الدنيا . أفلا يكون هذا الفصل قاضياً بتنازع السلطين وطلب كل واحدة
منهما التغلب على الأخرى فيمن تحت رعايتهما معاً ؟ وهل يسهل على السلطة
الدينية أن تدع رعاياها تتصرف في أبدانهم وأموالهم بل وفي عقولهم أيدي
الملوك بما تقتضيه مصالح الملك الثاني اذا كان ذلك التصرف مخالفاً لما جاء
في كنز المعارف وهو الكتب السماوية وتأويل الرؤساء الروحانيين وسننهم
فاذا هت هذه السلطة بالمعارضة أفقصر الأخرى ؟ هذا هو الذي وقع

في العالم المسيحي منذ ظهرت سلطة الدين
كيف يتسنى للسلطة المدنية أن تتغلب على السلطة الدينية وتقف بها
عند حدها والسلطة الدينية إنما تستمد حكمها من الله ثم تمد نفوذها بتلك
القوة إلى أعماق قلوب الناس وتديرها كيف تشاء. والملك لا قوة له إلا بأولئك
الناس المغلوبين للسلطة الدينية ؛ لا يتأتى للملك أن يغالب تلك القوة إلا بعد
أن يتناول من الوسائل ما لا يد لإضعاف سلطتها . نعم هذا الفصل يسهل
التسامح لو كانت الأبدان التي يحكمها الملك يمكنها أن تأتي أعمالها على حدة
مستقلة عن الأرواح التي تحيا بها والأرواح كذلك تأتي أعمالها بدون
الأبدان التي تحمل قواها

ثم هل هذا هو معنى قول الإنجيل ؛ القصة على ما جاء في الإنجيل
أن بعض المرائين أراد أن يتسقط المسيح ليأخذ عليه ما يحم به فسأله :
أيجوز أن نعطي جزية لقيصر ؛ فأجاب لم تجربوني اثتوني بدينار لا أنظر
إليه . فأتوه بدينار فقال : لمن هذه الصورة والكتابة ؛ قالوا له لقيصر
فقال : اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فمناه الظاهر من سياق القصة
أن صاحب السكة التي تتعاملون بها إذا ضرب عليكم أن تدفعوا منها شيئاً
فادفعوه له أما قلوبكم وعقولكم وجميع ما هو من الله وعليه طابع صنفته
فلا تمطوا منه لقيصر شيئاً . والعلم ليس مما عليه طابع قيصر بل عليه طابع
الله فلا يمكن أن يكون العلم تحت سلطة غير السلطة الروحية الدينية .
فأي تسامح مع العلم في هذا

اعتقاد المسلمين في المسيح والمسيحية

هذا الذي عرضناه من طبيعة الدين المسيحي وأوردناه من مشاربه

فيما بعد نشأته وما وقع من حوادث أهله مع طلاب العلم ورواد المعارف في كل زمن الى ما يقرب من أيامنا هذه كل ذلك مأخوذ من تاريخهم الذي كتبوه عن أنفسهم ومن نصوص كتبهم الدينية التي يتوكلون عليها فيما ذكرنا من سيرتهم وأعمالهم

أما رأيي ورأي أهل العقيدة الصحيحة من المسلمين في المسيح عليه السلام ودينه فهو على غير مارآه القارىء . انا نعتقد ان المسيح روح الله وكلمته ورسوله الى بني اسرائيل بعث مصداقاً لما بين يديه من التوراة وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم ورشاد في شؤون معاشهم ومعادهم ولم يطالبهم بتعطيل قوّة من قواهم التي وهبهم الله تعالى إياها بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها ولا يشكر حق الشكر الا باستعمالها جميعها فيما أعدّها الله له . والعقل من أجل القوى بل هو قوّة القوى الانسانية وعمادها والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه وكل ما يقرأ فيه فهو هداية الى الله وسبيل للوصول اليه . وكل ما صح عندنا عن السيد المسيح لا يخالف شيء منه هذا الذي نعتقد . فان صح عنه شيء يكون في ظاهره مخالفة لهذه الأصول أمكننا تأويله حتى يرجع معناه اليها أو وكلنا الامر فيه الى الله وقلنا « لا علم لنا الا ما علمتنا » .

الدين دين الله وهو دين واحد في الاولين والآخرين لا يختلف الا صوره ومظاهره . وأما روحه وحقيقة ما طوب به العالمون أجمعون على السن الانبياء والمرسلين فهو لا يتغير — إيمان بالله وحده وإخلاص له في العبادة ومعاونة الناس بعضهم لبعض في الخير وكف أذاهم بعضهم عن بعض ما قدروا . وهذا لا ينافي الارتقاء في الدين بارتقاء عقول البشر

واستعدادهم لكمال الهداية . ونعتقد ان دين الاسلام جاء ليجمع البشر
كلهم على هذه الأصول ومن أهم وظائفه ازالة الخلاف الواقع بين أهل
الكتاب ودعوتهم الى الاتفاق والاخاء والمودة والائتلاف وهذا ما عمل عليه
المسلمون قرناً بعد قرن بحسب قوة تمسكهم بالاسلام

فاذا سأل سائلٌ إذا كان ذلك الذي قدمت فيما سبق هو اعتراف
فضلاء الأوربيين أنفسهم في منافاة طبيعة الدين للملم واشتداده في مبادئه
فما هذا الانقلاب الذي حصل في أوربا وما هذا التسامح الذي يتمتع به الملم
اليوم في أقطارها؟ فجوابه في الكلام على الامر الرابع مما ذكرت انجامة
وهو يكون بعد عرض طبيعة الدين الاسلامي وما يليق أن يكون له مع العلم
وما انجر اليه الحال بمقتضى تلك الطبيعة وما عرض عليها مما سترها وحال بينها
وبين أثرها في أخريات الأيام؛ وسنوجز القول فيه كما أوجزناه فيما مضى

باب الاسئلة والاجوبة

(١س) غممة المتصوفة من الشيخ عبد الله عبد الرحمن بالقنات : قال بعد كلام
يعرض فيه بعلماء التقليد وعدم الثقة بهم ويثني فيه على المنار ما نصه
« ما يرى سيدي فيمن نطق بالشهادتين أو بطلاق امرأته أو بأي عقد يحتاج
في اعتباره الى صراحة اللفظ نطق به كما تصنع هذه الفرقة (المتصوفة) في ذكرهم
وأريد غممتهم . اهو إسلام صحيح ، أو طلاق صريح ، أو عقد معتبر شرعاً ؟
فان قائم بصحته كلية فما هذا الذي ينكره الناس على هذه الطائفة ؟ وان رأيت
غيره فأي شيء هو ؟ ألفوا من الكلام ، لا يثبت به إسلام ، ولا يعطي ما يعطيه اللفظ
الصريح من المعاني »

(ج) الغممة هي النطق لا بيان فيه وأصلها أصوات الثيران عند الذعر وتقع
من الناس اضطراراً يقال : غمهم الأبطال عند الكفاح في الحرب . وهذا هو الذي

يلبس القن الحقيقى . فلما غم الانسان مخلاًراً فاما يكون لاجاً ومارلاً فلما جاء في
مره بكلمة الشهادة فلا يتدبها ظلمراً ولا يلماً . أما علم الاعتداد بها في اللحن
فلأن الله بأصل الدين سخرية ومنه وهو مزيد في الكفر فكيف يحصل به
الايان ؟ وأما علم الاعتداد بها في الظلم فلا تأها غير ظلمة وريعا لا يعرف غير
للعلم أنها وقت في غمته . ولأن قرية المزم . والسخرية تصرف الكلام عن ظلمه
ومثل هذا يقال في الطلاق لا أن الغمته من الحقبة والشاقبة يتصرفون هذا الطلاق
جداً فلما اعترف بأنه في غمته نطق بسنة الطلاق المتيرة فرعاً يحكم القاضي عليه
بما تقتضيه تلك الصيغة في متعبه . وإذا كان للعلم يتقد تلك فهو يعمل به أيضاً
والسائل يعلم ان العقود التي من تأنها أن يحكم فيها الحاكم تكون الميرة فيها ينظم
القول ويلتزم وأما الميراث فالعبرة فيها بما ورد في الكتاب التريز والسنة الصحيحة
مع الاخلاص في القلب ومحبة التوجه الى الله تعالى . فالتاس ينكرون على التصورة
للتفسيخ في الذكر أنهم اخترعوا لاهم عبادة لم يأتها الله تعالى في كتابه ولا على
لأن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قتلوا لهم قوله عز وجل « أم لهم شركاء شرعوا
لهم من الدين علم لم يأتهم به الله » ويصدق عليهم قوله تعالى « اتخذوا دينهم من أولياء »
ولكل مسلم الحق في انكار كل عبادة لم ترد في الكتاب والسنة في ذاتها أو صورتها فقد
أخبرنا الله تعالى في كتابه بأنه « أكل الناس ديارهم علينا به فكل من يزد فيه شيئاً
فهو مردود عليه لأنه مخالف لآية التريفة والحديث الصحيح » كل من أحدث في
أمرنا ما ليس منه فهو رد »

كل بدعة في الدين فهي ضلالة كما ورد في الحديث وأما البدع التي منها حسن ومنها
سيئ فهي الاختراعات الملتفة بأموال الناس ووسائلهم ومقاصدهم وهي للراد بحوله صلى
الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة »
ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » ولولا ذلك لكان
لنا أن زيد في ركعات الصلاة أو سجداتها والله أعلم

(ص ٢) خرافة الشجرة محمد اقصى علي السرة بيلاق : أرجوكم القدي
عن (الشامرة) وهي ان تدخل امرأة محمل عقداً من اللؤلؤ على إحدى النساء
الراضات فيكون أثر ذلك في الواحدة أنها لا تحبل بعد ذلك أبداً إلا أن تأتي بتقديم
اللؤلؤ فقصه في الماء بشكل مخصوص فاتها بعد ذلك تحبل وقد أثبت كثرة التجارب
كثيراً من هذا فهل ورد عنه شيء في الشرع الشريف

(ج) الشرع أباح للناس أو أرشدهم إلى البحث عن منافعهم الدنيوية ليستفيدوا مما ثبت لهم فائدته ويحذروا ما ثبت لهم مضرته فلو فرضنا أن التجارب التي ذكرها السائل صحيحة محققة لكان حكمها في الشرع أنه يحرم على المرأة أن تدخل على النساء بعقد من الأولو لأنها تضرها بمنع الحمل ثانية لاسيما إذا كان العقد خفياً أو كانت النساء لا تعرف العلاج أو لا تقدر عليه . وأنه يجوز لمن منع حباها بذلك أن تعالج نفسها بوضع عقد من الأولو في الماء إذا أرادت إزالة المانع

أما نحن فلا نمتد بتجارب العامة ولا سيما النساء ولا نرضى للسائل أن يصدقهن بهذه المزاعم وكم هن من أمثالها كرمهن في الزار . العاقل يشك في مزاعم هؤلاء الجاهلات إذا كانت في ذاتها قريبة في نظر العقل فكيف يصدقهن فيما يكون بعيداً من النظر كسألتنا فان العقل لا يتصور علاقة لعقد الأولو بأمر الرحم والتناسل لاسيما في صورة الانفصال والبعد

❦ باب الرد على شبهات المسيحيين ❦

(إيمان المسلمين وأعمالهم)

جاء في الجزء ٨ من مجلة بشار السلام نبذة تحت هذا العنوان ما خصصها أنه يجوز على مذهب أهل السنة أن يؤمن أحد بالاسلام ايماناً حقيقياً وتبقى أعماله شريرة . واعترض الكاتب على هذا اعتراضين أحدهما أن الايمان الذي لا ينشئ في صاحبه توبة وعملًا صالحاً بل يتركه وسيئاته تفوق حسناته ومضاره تزيد عن منفعته . . . فهو ايمان باطل عديم النفع يحط من كرامة الخلق ويزيد في شقاوة المخلوق . . . ثانيهما . . . عجز الايمان الحمدي عن الخلاص التام . . . وقد أورد الكاتب بعد الاعتراض الأول كلمات من كتب المهديين تدل على أنه يطالب من الانسان أن يكون كاملاً ولكنها لا تدل على أن المؤمن يكون معصوماً من الذنوب . . . وأورد بعد الثاني كلمات تدل على أن الايمان بالمسيح كاف للخلاص ولكن لم يشترط مع الايمان عملاً صالحاً

لو كان هؤلاء المعترضون يعتقدون بما يقولون لكانت هدايتهم قريبة واقناعهم أقرب ولكنهم يلوكون الكلام ويلوون ألسنتهم بالكتاب ليفتوا به عامة المسلمين الجهلاء ولا يبالون أن كان الكلام حجة عليهم . عهدهم الجديد ناطق بأن البر والعمل بالناموس الاهلي لا يعيان عن الانسان شيئاً وإنما يغني عنه الايمان بالمسيح فقط وبذلك

ينجو ويرث الملكوت وإن كان شر الأشرار . وأفجر الفجار ، والقرآن لا يكاد يذكر الإيمان الا مقروناً بذكر العمل الصالح . وورد في السنة الصحيحة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان . وهذه السنة مؤيدة بخمس وسبعين آية من القرآن . وهذا ما عدا الآيات التي ذكر فيها العمل الصالح بدون ذكر الإيمان

قال تعالى « وإني أنذركم من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وقال عز وجل « ليس بآمانتكم ولا أمانتي أهل الكتاب . من يعمل سوءاً يجز به ولا يجذله من دون الله ولا نصيراً » ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها شيئاً » وقال جل ذكره « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وحجج قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً » وقال تقدمت أسماؤه « والمصد أن الإنسان في خير إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » فهذه السورة القصيرة أجمع تفضائل وأبلغ في الهداية من جميع الكتب التي في العالم سماوية كانت أو غير سماوية وهي كافية لتكون ديناً مستقلاً لقوم يتفكرون

ان الشبكة التي يصيد بها الجاهلين هذا الكاتب وأمثاله الى المسيحية هي أن خلاص الإنسان محصور في أن يؤمن -- أي يقول وإن لم يعقل -- أن الاله مركب من ثلاثة أصول كل واحد منها عين الآخرين الثلاثة واحد وإن أحد الثلاثة وهو الابن حل في جسم إنسان بواسطة آخر وهو روح القدس فصار هذا الإنسان الاله وابن الاله وإنساناً وابن الإنسان وصار هو الله ثم انه ساطع أعداءه على نفسه فضلبوه واحتمل الألم والاعنة الالهية لأجل خلاص الناس من ذنب أبيهم آدم وذنوبهم لأنه لم يجد غير هذه الطريقة لخلاص عباده

لا يطلب هذا الكاتب وأمثاله ممن يدعوهم الى دينه الا هذا القول الذي لا يعقل ولا يحمل النفس على عمل صالح بل يجزئها على جميع المعاصي والجاهل يحب أن تباح له المعاصي ويكون ناجياً بكلمة يقولها . فإذا كان دعاة النصرانية قد بداهم أن يشترطوا مع هذه الكلمة التي يسمونها إيماناً ترك المعاصي والأعمال الصالحة فأية مزية لديهم غير تلك الكلمة التي لا تعقل ولا تفهم ؟ الا يعلم انه اذا دعا مسلماً الى دينه وطالبه بترك المعاصي وبعمل الصالحات فانه لا يستطيع أن يصيده مهما كان جاهلاً لانه يقول ان هذا يكلفني بمثل ما يكلفني به ديني ويزيد علي ثقل آخر وهو الإيمان بما لا أعقله ولا أفهمه

وهو أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وإن الله عجز عن أنجاء الناس بدون أن يهين ذاته العلية بالحلول في أحدهم وبالثالم وبلعن نفسه

المسلمون يعتقدون أن الإيمان يهذب الاخلاق ويصالح الاعمال وأنه يجوز مع ذلك ان تغاب على المؤمن شهوته أو غضبه فيعمل شراً لاسيما اذا لم يترب على أعمال الإيمان من النشأة الأولى ولكنه يرجع ويتوب عن قريب قال تعالى « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » وقال سبحانه « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم » ومن التوبة أن يعمل صالحاً يكفر سيئته « ان الحسنات يذهبن السيئات » فاذا قصر فهو تحت مشيئة الله

فتبين مما ذكرنا بالاختصار أن الإيمان عند المسلمين يثمر الاعمال الصالحة وان العمل لقيمة له في ايمان النصارى . أما قول مجلة بشار السلام في نتيجة الاعتراض الاول : « وبناء على ماتقدم كل ايمان لا يكون الكمال غايته والتقوى ثمرته فهو اما ايمان كاذب بالإله الحق كإيمان النصارى بالاسم واليهود بالاسم أو ايمان صادق لكنه باطل خيالي قائم على الاوهام » . فهو مسلم ولقد أنصفت فيما كتبت عن ايمان النصارى ولم يكن من شأنها ذلك فان ايمانهم ليس الا أسماء سموها وأقوالا لا تعدو القم لان العقل ينكرها . ولا يستطيع أن يتدبرها . وأما قولها بعد ذلك « وأظنك لم تنس ذكر القوم الذين هم على الاسلام بالاجماع وهم مع ذلك من أهل العصيان والفجور بحيث يحكم عليهم بالسجور في جهنم مدة لا تنقص عن تسعمائة سنة ولا تزيد عن سبعة آلاف » الخ . فهذا التحديد فيه لم يصح في كتاب ولا سنة فهو لا يعتد به عند المسلمين وان ذكر في بعض الكتب فكم في الكتب من أحاديث موضوعة وأقوال مكذوبة ولا حاجة علينا الا في القرآن الكريم والاحاديث الصحيحة . وأما كلام المؤلفين في أمور الآخرة فلا يعتد به سالم يكن منقولاً على أنه لا يجب الإيمان فيما يتعلق بعالم الفيت كحوال الآخرة الا بالقرآن والاحاديث المتواترة وهي قليلة جداً . وهذا الذي قلناه هو الاصل المعمول عليه عند المسلمين

وأما قوله تعالى « وان منكم الا واردها » فليس خطاباً للمسلمين كما زعم الكاتب لان الآيات التي قبلها كلها في الكفار فقل ان الخطاب لهم خاصة وقيل انه عام والمراد بورد المؤمنين حينئذ المرور عليها والجئوا عندها قبل دخول الجنة وبذلك يعرفون مقدار نعمة الله تعالى عليهم بدخول الجنة

(كلتان) أختم هذا الرد بكلمتين أولاهما للمسلمين الذين يرسلون إلينا هذه الجرائد لندرد عليها : لا يحزنكم أيها المسلمون هذا الاعتداء الذي لم تتعادوه ولا تمدوه من سيئات حرية المطبوعات فهو من حسناتها لأن هذا الاعتداء على الطعن بدينكم هو الذي يوقظكم من نومكم ويبعث فيكم شعور البحث والاستدلال ويحيي فيكم روح الغيرة المللية والمباراة القومية حتى تعرفوا حقائق دينكم بالبراهين والدلائل والبحث لا يزيد الحق الا ظهوراً

والكلمة الثانية للنصارى المعترضين ، الذين يسمون أنفسهم مبشرين ، وهي : انا نعتقد انكم تظنون بدين الاسلام الذي لولاه لا ثبت دين في هذا العصر المنير مأجورين لا معتقدين بما تقولون وما تكتبون . ولذلك يترك أحدكم التبشير اذا عزل من الجمعية ومنع عنه الراتب الذي كان له . ولو كنتم تعتقدون بالدين لعلمتم ان دين الله واحد وهو تنزيه الباري وتوحيده والاخلاص في عبادته وترك الشرور وعمل البر ونفع المبادء وكنتم ترون ان الاسلام قد خدم العالم الانساني بهذا الاصلاح المنقح وانه هو دين الانبياء اجمعين ظهر في اكمل ارتقاء وأخرج أهل الكتاب من الخلاف والمشكلات ولكن الهوى يصدكم عن هذا فاعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون ،

باب الوفاء والوفاء

المصريون في أوروبا وسوء التقليد

لما ولع أمراء المصريين وكبرائهم بالاصطياف في أوروبا دب فساد التقليد في نفوس الطبقات المتوسطة المتصلة بهم فصار الكثيرون منهم مهاجرون الى أوروبا بالتبذير الاموال ، واقتباس أسوء الخلال ،

وقد علمنا أن شيخاً من هؤلاء استدان مبالغاً من المال وسافر به الى باريس وقد انحرف بنتاً له في المدرسة السنية برقمة بريدية مصورة (كرت بوستال) أرسلها اليها في البريد . ولوعلم القراء ماهي الصورة التي عليها لكان لهم عبرة في هذا التقليد الضار ولا يكون التقليد الاضارا

تلك الصورة هي صورة أشهر بَنِي من مومسات باريس وقد صورت على الرقمة عارية لترغيب الفساق بالاقبال عليها وكتب تحت الصورة وصفها ووصف مكانها وكتب الشيخ المصري ابنته تحت تلك الكتابة الفرنسية أنظري يا بني ما أجمل هذه العادة

الباريسييه !!! فماذا نرجو من رجال يرثون بناتهم هذه التربية وكيف نقول ان البنات
ملومات على فساد أخلاقهن وأديهن ؟ ولو أن ناظرة المدرسة السنية اطاعت على هذه
الرقعة مع البنت لطردتها من المدرسة وأتت لها بالاطلاع عاها .
ولايتوهن أحد أن هذا الشيخ الجاهل هو من شيوخ العلم أوشيوخ الطريق .
كلا أنه من المتعممين الذين ليس لهم لقب أفندي أو بيك

﴿ ابن الرشيد وابن سعود في نجد ﴾

قد استولى ابن سعود على القسم الجنوبي من بلاد نجد الى حدود بلاد اليمن
فصار في يده نصف البلاد أو يزيد ، والباقي في يد ابن الرشيد ، ويود جميع الاهالي
لو خلصت الامارة لابن سعود لأنه أعلم وأرحم ، وابن الرشيد أجهل وأظلم ، والاميران
الآن في شبه هدنة لان ابن الرشيد يتوقع اعانة الدولة العلية وامدادها اياه بالرجال
والسلاح وهذا دليل على معرفته بعجزه . وعندنا ان الحكمة في عدم دخول الدولة
العلية في هذا الامر بالفعل لان عاقبة ذلك وخيمة جداً . والخطر متوقع على كلا
الحالين الآتين — اذا خلصت الامارة لابن سعود من غير أن تخاربه الدولة فانه
يكون موالياها وخاضعا لامرها كابن الرشيد أو أشد ولاء وخضوعاً . واذا غاب على أمر
البلاد مدد مناهاة من الدولة فيختبئ أن يسقط نفوذها من قلب البلاد العربية وبهذا
احد الخطرين . وأما الخطر الثاني وهو أشدها فهو ما ينتظر من احتفاء ابن سعود بدولة
انكسرت اذا جردت الدولة عايه جيشا لا قبل له به . ولو لا أن وصل الى آذاننا شيء من
الهمسات الخفية التي يتناجي بها سعاة الفتن في بلاد العرب لما كان يخطر في بالنا أن يكون
شيء من هذا وقانا الله وبلاد العرب من عواقب هذه الفتن
لهذا قلنا ان من الحكمة أن لاتسيء الدولة العلية أحد الخصمين بالفعل ولا شك
ان العاقبة الحسنة تكون لها اذا اتقت هذين الخطرين (والعاقبة للمتقين)

— ٥٥٥ —

(غلط في الجزء ١٥) في السطر ٦ من الصفحة ٣٧٥ كلمة دعث والصواب (وعث)
وهي الأرض التي تغيب فيها الأقدام لئلا . وفي السطر ١٣ منها بجيل والصواب
(بجيل) . وفي س ٢٠ من ص ٣٨٥ كلمة من وصوايها (في) وفي البيت ١٧
من ص ٣٩٢ (دينار) والصواب (بنار) وفي البيت ٢٢ منها (بنار) والصواب
(دينار) فليصحح

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد آتاه خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوامر الآيات

المحكمة

١٣١٥

ففسر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الآيات

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ - ١٩ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢)

— الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية —

وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم . والاستاذ العليم

طبيعة الاسلام مع العلم بحكم أصوله

(تمهيد الاصل الاول) للاسلام في الحقيقة دعوتان -- دعوة الى الاعتقاد

بوجود الله وتوحيده ودعوة الى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم .
فأما الدعوة الاولى فلم يعول فيها الا على تنبيه العقل البشري وتوجيهه الى
النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ما حواه الكون
من النظام والترتيب وتعاقد الاسباب والمسببات ليصل بذلك الى أن
لا يكون صانعاً واجب الوجود عالماً حكماً قادراً وان ذلك الصانع واحد
لوحدة النظام في الاكوان . وأطلق للعقل البشري ان يجري في سبيله
الذي سنته له الفطرة بدون تقييد فنه الى أن خلق السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح على وجه يتيسر للبشر أن يستعملها

في تسخير الفلك لمنافعه وإرسال تلك الرياح لثير السحاب فينزل من السحاب ماء فتحي به الأرض بعد موتها وتنبت ما شاء الله من النبات والشجر مما فيه رزق الحي وحفاظ حياته — كل من آيات الله عليه أن يتدبر فيها ليصل منها الى معرفته

ثم قد يزيد تنبيهاً بذكر أصل للكون يمكن الوصول الى شيء منه بالبحث في عوالمه فيذكر ما كان عليه الأمر في أول خلقه السموات والأرض كما جاء في آية: «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» ونحوها من الآيات . وهو إطلاق لعنان العقل ليجري شوطه الذي قدر له في طريق الوصول الى ما كانت عليه الأكوان . وقد يزيد التنبيه تأثيراً في إيقاظ العقل ما يؤيد ذلك من السنة كما جاء في خبر من سأل النبي صلى الله عليه وآله : أين كان ربنا قبل السموات والأرض فاجابه عليه السلام : « كان في عماء تحته هواء » ^(١) والعماء عندهم السحاب . فترى القرآن في مثل هذه المسألة الكبرى لا يقيد العقل بكتاب ، ولا يقف به عند باب ، ولا يطالبه فيه بحساب ؛ فليقرأ القارئ القرآن يعني عن سرد الآيات الداعية الى النظر في آيات الكون — « أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ » . « وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَسُوا أَفْئِدَهُ يَأْكُلُون » — « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاجْتَلَفُ السِّنِّكُمْ وَالْوَأْنِكُمْ » وأمثال ذلك . فلو أردت سرد جميعها لأتيت

(١) رواه ابن جرير والطبراني وابو الشيخ في العظمة عن أبي رزين السائل (رض)

بأكثر من ثلث القرآن بل من نصفه في مقالي هذا .
 يذكر القرآن إجمالاً من آثار الله في الاكوان تحريكا للمبرة ؛ وتذكيراً
 بالنعمة ؛ وحفزاً للفكرة ؛ لا تقريراً لقواعد الطبيعة ؛ ولا إلزاماً باعتقاد
 خاص بالخلقة ؛ وهو في الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذا السبيل ،
 انظر كيف يقرع بالدليل ، « لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا » « ما اتخذ الله
 من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلّا بعضهم
 على بعضٍ سبحانه الله عما يصفون »

فالاسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالايان بالله ووحدايته لا يعتمد
 على شيء سوى الدليل العقلي ؛ والفكر الانساني الذي يجري على نظامه
 الفطري ، (وهو مانسميه بالنظام الطبيعي) فلا يدهشك بخارق للعادة ،
 ولا يفشي بصرك بأطوار غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ،
 ولا يقطع حركة فكرك بصيحة آلهية ، وقد اتفق المسلمون الا قليلاً ممن
 لا يعتمد برأيه فيهم على ان الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وانه
 لا يمكن الايمان بالرسول الا بعد الايمان بالله . فلا يصح ان يؤخذ الايمان
 بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة ^(١) فانه لا يعقل ان تؤمن
 بكتاب أنزله الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز ان ينزل
 كتاباً أو يرسل رسولا .

وقالوا كذلك ان أول واجب يلزم المكلف أن يأتي به هو النظر

« ١٠ - المنار - أي لا يؤخذ منها بالتسليم بناءً على انها من الله ولا ينافي هذا أن يؤخذ
 الايمان بالله من كلام الرسل وكتبهم بما يقيمون من البرهان على ذلك لا بمجرد التسليم
 ولا باعتبار أنهم رسل الله ثم بعد الايمان بالله وبهم يكمل ايمانه بالاخذ عنهم

والفكر لتحصيل الاعتقاد بالله لينقل منه الى تحصيل الايمان بالرسول
وما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة

وأما الدعوة الثانية فهي التي يخرج بها الاسلام بخارق العادة وما أدراك
ما هو الخارق للعادة الذي يعتمد عليه الاسلام ، في دعوته الى التصديق
برسالة النبي عليه السلام ، هذا الخارق للعادة هو الذي توترت فيه حبال
ينقطع أثره ، هذا هو الدليل وحده وما عداه مما ورد في الأخبار سواء
صح سندها او اشتهر او ضعف أو هو قايس مما يوجب القطع عند
المسلمين . فاذا أورد في مقام الاستدلال فهو على سبيل تقوية المعتقد لمن
حصل أصله ، وفضل من التأكيد لمن سلمه من أصله . ذلك الخارق لا يترتب
المعول عليه في الاستدلال لتحصيل اليقين هو القرآن وحده . والذين
على انه معجزة خارقة للعادة تدل على ان موحيه هو الله وحده وليس من
اختراع البشر هو اننا نجد من الناس من لم يسمع الكتاب ولا يقرأ من العلوم
وقد نزل على وتيرة واحدة هادياً للضال مقوماً للمسير . كتابه نظام عالم
الحياة من يهتدي به من الأمم مستدلاً لهم من خبر الله به . وما لا شك
كانوا أشرفوا عليه . وهو مع ذلك من بلاغة الأساليب . ما يروى
اليه كلام سواء حتى لقد دعي الضعفاء والباطل الى يعارضوه . فمعه
فمجزوا وجرأوا الى الجلاء . يا سيرف وسيلك الله . واصحابك . فمعه
الى ان الجأهم الى الدفاع من غير ركود من أحدهم . ما كانت من قضا
الحق على الباطل وظهور شمس الحق لهم تحت أنوارها بأصواتها . وتند
أنوارها في جواهرها ،

وهذا الخارق قد دعا الناس الى النظر فيه بمؤمنهم وطولبوا بأن يأتوا

في نظرهم على آخر ما انتهى اليه قوتهم فأما وجدوا طريقاً لا بطل إعجازه
أو كونه لا يصلح دليلاً على المدعى فليهم ان يأتوا به . قال تعالى : « وإن
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » وقال : « أفلا
يتدبرون القرآن » . إن كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »
وقال غير ذلك مما هو مطالبة بمقابلة الحجة بالحجة ولم يطلبهم بمجرد
التسليم على رغم من العقل

معجزة القرآن جامع من القول والعلم ، وكل منهما مما يتناوله العقل
بالفهم ، فهي معجزة عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها وأطلقت له
حق النظر في أحنائها ، ونشر ما انطوى في أثنائها ، وله منها حظه الذي
لا ينتقض . فهي معجزة أعجزت كل طوق ان يأتي بمثلها ، ولكنها دعت
كل قدرة ان تتناول ما نشاء منها ، أما معجزة موت حي بلا سبب
معروف للموت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أو شفاء علة
من بدن فهي مما ينقطع عند العقل . ويجوز تشييد بهم ، وإنما يأتي بها الله
على يد رسوله لا إسكات أقوام غلبهم الوهم ، ولم تضيء عقولهم بنور العلم ، وهكذا
يقيم الله بقدرته من الآيات ، للأئمة على حسب الاستعدادات ،^(١)

ثم ان الاسلام لم يتخذ من خوارق العادات دليلاً على الحق لغير
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم ترد فيه كلمة واحدة تشير الى ان الداعين
اليه يمكنهم ان يغيروا شيئاً من سنة الله في الخليقة ولا حاجة الى بيان ذلك
فهو أشهر من ان يحتاج الى تعريف

(١) راجع الصفحة ٣٧١ من مجلد المنار الرابع وانظر الكلام في الآيات الكونية

صحيح الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل الإيمان

فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي . والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح فقد أقامك معه على سبيل الحجة وقاضاك الى العقل ومن قاضاك الى حاكم فقد أذعن الى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك ان يجور أو يثور عليه .

بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة إن الذي يستقصي جهده في الوصول الى الحق ثم لم يصل اليه ومات طالباً غير واقف عند الظن فهو ناج . فأي سعة لا ينظر اليها الحرج أكل من هذه السعة

صحيح الأصل الثاني للإسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض

أسرع اليك بذكر أصل يتبع هذا الأصل المتقدم قبل أن أنتقل الى غيره : اتفق أهل الملة الإسلامية الا قليلا ممن لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل وتقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالمعجز عن فهمه ، وتفويض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق منها مع ما أثبتته العقل . وبهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مهدت بين يدي العقل كل سبيل ، وأزيلت من سبيله جميع العقبات ، واتسع له المجال الى غير حد ، فماذا عساه يبلغ نظر الفيلسوف حتى يذهب الى ما هو أبعد من هذا ؟ وأي فضاء يسع أهل النظر وطلاب العلوم ان لم يسهم هذا القضاء ؟ ان لم يكن في هذا متسع لهم فلا وسعهم أرض بجبالها ووهادها ، ولا سماه بأجرامها وأبعادها ،

هـ أصل ثالث من أصول الأحكام في الإسلام البعد عن التكفير هـ
هلاً ذهبنا من هذين الأصلين إلى ما اشتهر بين المسلمين وعرف
من قواعد أحكام دينهم وهو : إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من
مئة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله
على الكفر . فهل رأيت تسامحاً مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من
هذا ؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحق بحيث يقول قولاً لا يحتمل
الإيمان من وجه واحد من مئة وجه ؟ إذا بلغ به الحق هذا المبلغ كان
الاجدر به أن يذوق حكم محكمة التفتيش البابوية ويؤخذ بيديه ورجليه
فيلقى في النار .

هـ أصل رابع في الإسلام الاعتبار بسنة الله في الخلق هـ
يتبع ذلك الأصل الأول في الاعتقاد - وهو أن لا يعول بعد الأنبياء
في الدعوة إلى الحق على غير الدليل وأن لا ينظر إلى العجائب والغرائب
وخوارق المعاديات - أصل آخر وضع لتقويم ملكات الأنفس القائمة على
طريق الإسلام وإصلاح أعمالها في معاشها ومعادها . ذلك هو أصل العبادة
بسنة الله فيمن مضى ومن حضر من البشر وفي آثار سيرهم فيهم . فلما جاء
في الكتاب العزيز مقررًا لهذا الأصل « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ - سُنَّةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
مِنْ رُّسُلِنَا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا - فَمَنْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَىٰ وَلَئِنْ تَبَيَّنَ
لِلسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا - أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الخ
في هذا يصرح الكتاب بأن الله في الأمم والأحوال سناناً لا يتبدل

والسنن الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار وهي التي تسمى شرائع أو نوااميس ويعبر عنها قوم بالقوانين . مائنا ولا اختلاف البارات . الذي ينادي به الكتاب ان نظام الحياة البشرية وما يحدث فيها هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل وتنبى من يطلب السعادة في هذا الاجتماع ان ينظر في اصول هذا النظام حتى يرد اليها اعماله ويبنى عليها سيرته وما يأخذ به نفسه . فان غفل عن ذلك غافل فلا ينتظرن الا الشقاء وان ارتفع الى الصالحين نسيه ، أو اتصل بالمقربين نسيه ، فهما بحث الناظر وفكر ، وكشف وقرر ، وأتى لنا باحكام تلك السنن ، فهو يجري مع طبيعة الدين ، وطبيعة الدين لا تتجاف عنه ، ولا تنفر منه ، فلم لا يعظم تسامحها معه ؟

جاء الاسلام لمحو الوثنية عربية كانت أو يونانية أو رومانية أو غيرها في أي لباس وجدت ، وفي أي صورة ظهرت ؛ وتحت أي اسم عرفت ؛ ولكن كتابه عربي والثرية لغة أولئك الوثنيين ، أعدائه الاقربين ، وفهم معناه . موقوف على معرفة اوضاع الاسان ولا تعرف اوضاعه حتى تعرف مواضع استعمال كلة وأساليبه ، ولن يكون ذلك الا بحفظ . اتفاق به العرب من منظوم ومنثور وفيه من آدابهم وعاداتهم واعتقاداتهم ما يربد عند الناظر في كلامهم صورة كاهلة من جاهليتهم وما فيها من الوثنية وأسطور . ما . هكذا صنع المسلمون الأولون . ركبوا الاستعار ، وأنفقوا الأعمار ، وبنوا المذاهب والديان ، في جمع كلام الله رب . نقطة وتدوينه وتفسيره توسلا بذلك الى فهم كتابهم المنزل فكأنما رأوا في ذلك مصريا من صروب البراءة . يبرعون من آفة فيه . من الوثنية ، فكان من طبيعة الدين أن لا يستقر المبدأ الذي الذي ولد هو فيه . بل قد يكون من الدين علم ما ليس . منه من حسن النية

في تناوله . وهذا باب من التسامح لا يقدر سمته الا أهل العلم به . أما المسيحيون الاولون فقد هجروا لسان المسيح عليه السلام سريانيا كان او عبرانيا وكتبوا الانجيل باللغة اليونانية ولم يكتب في العبرية الا انجيل متى فيما يقال . الاتري أن اسم الانجيل نفسه يوناني؟ كل ذلك كراهة لليهود الذين كان ينطق المسيح بلسانهم ويعظم بلغتهم . وتخرجنا من النظر في دواوين آدابهم ، وما توارثوا من عاداتهم

الاصل الرابع للاسلام قلب السلطة الدينية ﴿١﴾

أصل من أصول الاسلام انتقل اليه وما أجله من أصل - قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسها . هدم الاسلام بناء تلك السلطة ومحاثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله أسم ولا رسم . لم يدع الاسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه (علي ابن الرسول عليه السلام كان مبلغاً ومذكراً لا مهيناً ومسيطرأ . قال تعالى « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ») ولم يجعل لأحد من أهله أن يحل ولا أن يربط لا في الارض ولا في السماء . بل الايمان يعتق المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده ، ويرفع عنه كل رقب الا العبودية لله وحده ، وايسلم لمهما علا كعبه في الاسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه الا حق النصيحة والارشاد . قال تعالى في وصف الناجين : « وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » وقال : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

(١) هذا الاصل هو ضد الاصل الثاني من أصول النصرانية (راجع ص ٤١٤)

الْمُفْلِحُونَ» وقال : « فلولاً تفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
 ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » فالمسلمون يتناصحون ثم
 هم يقيمون أمة تدعو إلى الخير وهم المراقبون عليها يردونها إلى السبيل السوي
 إذا انحرفت عنه . وتلك الأمة ليس لها فيهم إلا الدعوة والتذكير ، والإنذار
 والتحذير ، ولا يجوز لها ولا لأحد من الناس أن يتبع عورة أحد . ولا يسوغ
 لقوي ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد . وليس يجب على مسلم أن
 يأخذ عقيدته أو يتلقى أصول ما يعمل به عن أحد إلا عن كتاب الله وسنة رسوله
 صلى الله عليه وسلم . لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله
 من كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف . وإنما يجب عليه
 قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله لفهم كقواعد اللغة العربية وآدابها
 وأساليبها وأحوال العرب خاصة في زمان البعثة وما كان الناس عليه زمن النبي
 صلى الله عليه وسلم وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحي وشي من
 الناسخ والمنسوخ من الآثار . فان لم تسمع له حاله بالوصول إلى ما يمدّه
 لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه إلا أن يسأل العارفين بهما .
 وله بل عليه أن يطالب المحجب بالدليل على ما يجب به سواء كان السؤال في
 أمر الاعتقاد أو في حكم عمل من الأعمال . فليس في الاسلام ما يسمى عند
 قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه

السلطان في الاسلام

لكن الاسلام دين وشرع فقد وضع حدوداً ورسم حقوقاً . ونيس
 كل مستفد في ظاهر أمره بحكم يجري عليه في عمله . فقد ينلب الهوى .
 وتحكم الشهوة . فينمط الحق . أو يعمد المتعدي الحد . فلا تكمل الحكمة

من تشريع الاحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود . وتنفيذ حكم القاضي بالحق . وصون نظام الجماعة . وتلك القوة لا يجوز ان تكون فوضى في عدد كثير فلا بد أن تكون في واحد وهو السلطان أو الخليفة

الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم . ولا هو مهبط الوحي . ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة . نعم شرط فيه أن يكون مجتهداً أي أن يكون من العلم باللغة العربية وما معها مما تقدم ذكره بحيث يتيسر له ان يفهم من الكتاب والسنة ما يحتاج اليه من الاحكام حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل . والصحيح والفاسد . ويسهل عليه إقامة العدل الذي يطالبه به الدين والأمة معاً .

هو على هذا — لا يخصه الدين في فهم الكتاب والعلم بالأحكام بمزية ، ولا يرتفع به الى منزلة ، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء ، إنما يتفاضلون بصقل العقل ، وكثرة الاصابة في الحكم ، ^(١) ثم هو مطاع مادام على المحجة ونهج الكتاب والسنة ، والمسلمون له بالمرصاد ، فاذا انحرف عن النهج أقاموه عليه ، واذا اعوجج قواموه بالنصيحة والإعذار اليه ، ^(٢) لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ^(٣) فاذا فارق الكتاب والسنة في عمله ، وجب عليهم ان يستبدلوا به غيره ، ما لم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة

(١) المنار — من شواهد ذلك ارتفاع قدر العلماء على الخلفاء الذين قصرُوا عنهم في الفهم والعلم . ألم يأتك نبأ الامام مالك مع الخليفة هرون الرشيد (رحمهما الله) وكيف أنزل الامام الخليفة عن المنصة وأقعده مع العامة عند لقاء الدرس لأنه في رتبة المستفيد (٢) من شواهد ذلك قول الخليفة الأول رضى الله عنه في خطبة (وان زغت فقوموني) راجع ٧٣٤ من مجلد المنار الرابع (٣) حديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما (راجع ٧٣٢ من مجلد المنار الرابع)

فيه . (١) فالأمة أو نائب الأمة هو الذي ينسب إليه ، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي التي تخلفه متى رأت ذلك من مصلحتها ، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه .

ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما ينسب إليه الأفرنج (تيوكراتيك) أي سلطان الهوى . فان ذلك عندهم هو الذي يفرد بتلقي الشريعة عن الله وله حق الأثرة بالتشريع ، وله في رقاب الناس حق الطاعة لا بالبيعة وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة بل بمقتضى الأيمان فليس للمؤمن مادام مؤمناً أن يخالفه وان اعتقد انه عدو لدين الله ، وشهدت عيناه من أعماله مالا ينطبق على ما يعرفه من شرائعه ، لأن عمل صاحب صاحب السلطان الديني وقوله في أي مظهر ظهر اهودين وشرع . هكذا كانت سلطة الكنيسة في القرون الوسطى . ولا تزال الكنيسة تدعي الحق في هذه السلطة الى اليوم كما سبقت الإشارة اليه

كان من أعمال التمدن الحديث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية فترك للكنيسة حق السيطرة على الاعتقاد والأعمال فيما هو من معاملة العبد لربه . تشرع وتفسخ ما تشاء ، وتراقب وتحاسب كما تشاء ، وتحرم وتعطي كما تريد ، وخوّل السلطة المدنية حق التشريع في معاملة الناس بعضهم لبعض . وحق السيطرة على ما يحفظ نظام اجتماعهم ، في معاشهم لافي معادهم ، وعدّوا هذا الفصل منبعا للخير الأعم عندهم . ثم هم يهيمون فيما يرمون به الاسلام من انه يحتم قرن السلطين في شخص واحد .

(١) مثال ذلك ان يكون له عصية أقوى من الأمة يخشى ان ييدها بها . در .

المفاسد مقدم على جلب المصالح .

ويظنون ان معنى ذلك في رأي المسلم ان السلطان هو مقرر الدين وهو واضع أحكامه وهو منفذها والايمان آلة في يده يتصرف بها في القلوب بالإخضاع ، وفي القول بالإقناع ، وما العقل والوجدان عنده الامتاع ، وينون على ذلك ان المسلم مستعبد لسلطانه بدينه . وقد عهدوا ان سلطان الدين عندهم كان يحارب العلم ، ويحمي حقيقة الجمل ، فلا يقيسز للدين الاسلامي ان يأخذ بالتساح مع العلم مادام من أصوله أن إقامة السلطان واجبة بمقتضى الدين . وقد تبين لك ان هذا كله خطأ محض وبُعد عن فهم معنى ذلك الأصل من أصول الاسلام . وعلمت أن ليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير عن الشر ؛ وهي سلطة خوفا لله لا ذنى المسلمين يقرع بها أنفأ اعلام ، كما خوفا لها لا اعلام يتناول بهامن أدنام ، ومن هنا تلم « الجامعة » ان مسألة السلطان في دين الاسلام ليست مما يضيق به صدره ، وتخرج به نفسه عن احتمال العلم ، وقد تقدم مايشير الى ما صنع الخلفاء العباسيون والأمويون الأندلسيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء . وربما أتينا على شيء آخر منه فيما بعد يقولون : ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للقاضي أو المفتي أو شيخ الاسلام . وأقول : ان الاسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام . وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قرررها الشرع الاسلامي . ولا يسوغ لواحد منهم ان يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه أو ينازعه في طريق نظره

الأصل الخامس للاسلام حماية الدعوة لمنع الفتنة عن المسلمين

قالوا : إن الدين الاسلامي دين جهادي شرع فيه القتال ولم يكن

شرع في الدين المسيحي ففي طبيعة الدين روح الشدة على من يخالفه وليس فيها ذلك الصبر والاحتمال اللذان تقضي بهما شريعة المسألة وهي الشريعة التي وردت في كثير من الوصايا المسيحية « من ضربك على خدك الايسر فادر له خدك الايمن من سخرك ميلا فسر معه ميلين » ونحو ذلك . حتى لقد طلبت فيها محبة الاعداء وإن كانت محبة العدو مما لا يدخل تحت الاختيار بل ولا محبة الصديق وإنما الاختياري المدل بين الاعداء والاولياء . لكن في ملكوت الله كل شيء مستطاع ولا شيء فيه بمستحيل . قلنا : لكن انظروا هل دفع الشر بالشر عند القدرة عليه وعند عدم التمكن من سواه خاص بالدين الاسلامي أو هو في طبيعة كل قادر يُعذَرُ الى خصمه ؟ . ليس القتل في طبيعة الاسلام بل في طبيعته العفو والمسامحة : « خُذِ الْقَوَّاءَ مِنْهُ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » ولكن القتال فيه لرد اعتداء المتبدين على الحق وأهله الى أن يأمن شرم ويضمن السلامة من غوائلهم . ولم يكن ذلك للإكراه على الدين ولا للانتقام من مخالفه . ولهذا لا تسمع في تاريخ الفتح الاسلامية ، ما تسمعه في الحروب المسيحية ، عند ما اقتدر أصحاب « شريعة المسألة » على محاربة غيرهم من قتل الشيوخ والنساء والاطفال . لم تقع حرب إسلامية بقصد الإيادة كما وقع كثير من الحروب بهذا القصد بأيدي المسيحيين . وإنما كان الصبر والمسألة ديناً عندما كانت القدرة والقوة تعوزان الدين . وغاية ما يقال إن العناية الالهية منحت الاسلام في الزمن القصير من القوة على مدافعة أعدائه ما لم تمنحه لغيره في الزمن الطويل . ففسر له في شيبته ما لم يتيسر لغيره الا في كهولته أو شيخوخته .

﴿مقابلة بين الاسلام الحربي والمسيحية السلمية﴾

الاسلام الحربي^١ كان يكتفي من الفتح بادخال الارض المفتوحة تحت سلطانه ثم يترك الناس وما كانوا عليه من الدين يؤدون ما يجب عليهم في اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد . وإنما يكلفهم بحزبة يدفعونها لتكون عوناً على صيانتهم والحفاظة على أمنهم في ديارهم وهم في عقائدهم ومبادئهم وعاداتهم بعد ذلك أحرار لا يضايقون في عمل ولا يضامون في معاملة . خلفاء المسلمين كانوا يوصون قوادهم باحترام العباد الذين انقطعوا عن العامة في الصوامع والاديار لمجرد العبادة كما كانوا يوصونهم باحترام دماء النساء والاطفال ، وكل من لم يعن على القتال . جاءت السنة المتواترة بالنهي عن إيذاء أهل الذمة وبتقرير ما لهم من الحقوق على المسلمين (لهم مالنا وعليهم ما علينا) و (من آذى ذمياً فليس منا) واستمر العمل على ذلك ما استمرت قوة الاسلام . ولست أبالي إذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الاحكام ، عند ما بدأ الضعف في الاسلام ، - وضيق الصدر من طبع الضعيف - فذلك مما لا يلصق بطبيعته ، ولا يخلط بطيبته ،

المسيحية السلمية كانت ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطاتها ترأب أعمال أهله وتخصصهم دون الناس بضروب من المعاملة لا يمتثلها الصبر مهما عظم . حتى إذا تمت لها القدرة على طردهم بعد المعجز عن إخراجهم من دينهم وتسيدهم أجنتهم عن ديارهم ، وغسلت الديار من آثارهم ، كما حصل ويحصل في كل أرض استولت عليها أمة مسيحية استيلاء حقيقياً . لا يمنع غير المسيحي من تمدي المسيحي الا كثرة العدد ، أو شدة العصد ، كما شاهد التاريخ وكما يشهد كايوه . ذلك كله لأنه ما جاء ليلي

سلاماً بل سيفاً ولأنه جاء ليفرق بين البنت وأمها والابن وأبيه^(١) والاسلام يقول كتابه في شأن الوالدين : « وإن جاهدك على أن تُشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب الي » فهو في اشتداده على المهتدين لأمنه لا يقضي بالفرقة بين أب وابن ولا بين أم وبنت . بل يأمر الأولاد المؤمنين ان يصحبوا آباءهم المشركين بالمعروف في الدنيا مع محافظتهم على دينهم

(١) تقدم نص إنجيل متى في هذا . ومثله قول انجيل لوقا ١٥ — ٢٥ و ٢٦ (وقال لهم يسوع) ان كان احد يأتي الي ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً . وفي الباب ١٩ من هذا الانجيل ما نصه (٢٧) أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم تأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي . وأما أسفار التوراة فقد جاء فيها نحو ذلك في القسوة مع الالهين الخائفين ومع سائر المحاربين . قال في ١٣ : ٦ — ٩ من تشية الاشتراع (وإذا اغوالك رآ أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قتلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم نعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب القريبين منك أو البعيدين عنك من أقساء الأرض الى أقصاها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلاً تقتله : الخ)

وفي سفر التثنية أيضاً (٢٠ : ١٠ — ١٦) ما نصه (حين تقرب من مدينة لتحاربها الى الصلح فإن أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك لاسخير ويستعبد لك . وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فخاصرها وإذا دفعها الرب آهلك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فغتمها بنفسك وتأكل غنيمتك الذي أعطاك الرب آهلك . وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جداً منك التي ليست من مدن هؤلاء الاعم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب آهلك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما)

فانت ترى الاسلام من جهة يكتفي من الأمم والطوائف التي ينساب على أرضها بشي من المال أقل مما كانوا يؤدون من قبل قلبه عليهم وبأن يعيشوا في هدوء لا يعكرون منه صناديد الدولة ولا يخلون بنظام السلطنة العامة. ثم يرعى لهم بعد ذلك غنائ الاختيار في شؤونهم الخاصة بهم لا رقيب عليهم فيها الا ضمائرهم. ومن جهة أخرى ينهى أفراد المؤمنين عن مقاطعة ذوي قرباهم من المشركين ويطلبهم بحسن معاملتهم. وفي طبيعته ان يكل أمر الناس في سرائرهم الى ربهم، وفي طبيعته ان يجير من لا يعتقد عقيدته، ويحكي من لا يتبع سنته، وان كان في عي من الجمالة؛ وخبل من الضلالة؛ أفترى انه يصعب عليه بعد ذلك ان يحتمل العلم والعلماء؛ ويضيق به حمله عن صنع الجليل بالفضل والفضلاء؛ ممن ينفق عمره في تقرير حقيقة؛ أو كشف غامض أو تبين طريقة. كلاً ثم كلا. فمن بحث ونقب، وسبر وقر، أو شق الأرض، أو ارتقى الى السماء، فهو في أمن من ان يعرض الاسلام له في شيء من عمله الا أن يحدث شغباً، أو يفسد أدباً، فتند ذلك تمتد يد الملك لرد كيد الكائد، وإصلاح الفاسد، بسماح من الدين

الاصل السادس مودة المخالفين في العقيدة (١)

المصاهرة - أباح الاسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية نصرانية كانت أو يهودية وجعل من حقوق الزوجة الكتابية على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها، والقيام بفروض عبادتها، والذهاب الى كنيسها أو بيتها، وهي منه بمنزلة البعوض من الكل، وألزم له من الظل، وصاحبه في العز

(١) هذا الاصل الاسلامي هو ضد الاصل السادس للتصيرية (راجع ص ٤١٨)

والذل ، والترحال والحل ، بهجة قلبه ، وريحانة نفسه ، وأميرة بيته ، وأم
بناته وبنيه ، تتصرف فيهم كما تتصرف فيه ، لم يفرق الدين في حقوق الزوجية
بين الزوجة المسلمة والزوجة الكناينة . ولم تخرج الزوجة الكناينة باختلافها
في العقيدة مع زوجها من حكم قوله تعالى : « وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ
مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » فلها حظها من المودة ، ونصيبها من الرحمة ، وهي
كما هي . وهو يسكن اليها كما تسكن اليه ، وهو لباس لها كما أنها لباس له ،
أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة
وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ماعهد في طبيعة البشر .
وما أجلى ما يظهر من ذلك بين الأولاد وأخوانهم ؛ وذوي القربى لو الدتهم ؛
أغيب عنك ما يستحكم من ربط الألفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح
الذي لم يعهد عند من سبق ولا فيمن لحق من أهل الدين السابقين عليه ^(١)
ولا يخفى على صحيح النظر أن تقرير التسامح على هذا الوجه في نشأة
الدين مما يمود القلوب على الشعور بأن الدين معاملة بين العبد وربّه ؛ والعقيدة
طور من أطوار القلوب ؛ يجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب ؛ فهو

(١) المنار — يقول بعض النصارى : إذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكناينة
ليعلم البشر التألف والعاطف ، مع النابن في العقيدة والتخالف ، فاما إذا لم يسمح
للكنايني أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء
لأنهم أقوى منهن فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه
وبين زوجته الضعيفة ويأمره ببغضها وببغض أولاده ووالديه إذا خالفوا عقيدته أن
يتزوج بأمرأة مخالفة . أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم

الذي يحاسب عليها ؛ أما المخلوق فلا تطول يده اليها ؛ وغاية ما يكون من العارف بالحق أن يذبح العاقل ؛ ويملم الجامل ؛ وينصح للغاوي ؛ ويرشد الضال ؛ لا يكفر في ذلك نعمة العشير ؛ ولا يسلك به مسالك التعسير ؛ ولا يقطع أمل النصير ، ولا يخالف سنة الوفاء ؛ ولا يحيد عن شرائع الصدق في الولاء ، ماذا ترى في الزوجة الكتابية لو كانت من أهل النظر العقلي وذهبت مذهباً يخالف مذهب زوجها ؛ أفينقص ذلك من مودته لها ؛ أو يضعف من شعور الرحمة التي أفاضها الله بينه وبينها ، فإذا كان المسلم يتعود الاحتمال بل يتعود المحبة والنصرة لمن يخلفه في عقيدته ؛ ودينه وملته ، ويألف مخالطته وعشرته ؛ وولايته ونصرته ؛ أتراه لا يحتمل أن يرى بجواره من يعمل نظره في نظام الخليفة ليصل منه إلى اكتشاف سر أو تقرير أصل في علم أو قاعدة لصناعة وإن كان قد يخالف ظاهراً مما يمتد ؛ أو يميل إلى رأي غير الذي يمجّد ؛ أفلا يسمع هذا ما يسمع المجاهر بالخلاف ؛ وهو مدبه على ما رأيت من الائتلاف ؟؟

لو ذهبت أعدائي في طبيعة الإسلام من عناصر وأركان كلها تؤلف مزاج الكرم ؛ وتكون حقيقة المساعدة مع العلم ؛ لأطلت على القارئ أكثر مما أطلت . ولهذا أرى من الواجب علي أن أختم القول بذكر أصل أشرت إليه ولا غنى لما نحن فيه عن ذكره

﴿ الأصل السابع للإسلام الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ﴾ (١)

الصحة الحياة في الإسلام مقدمة على الدين ، وأما الحنيفية السمحة إن كانت

تختطف العبد الى ربه ، وتملاً قلبه من رهبه ، وتقم أمله من رغبه ، فهي مع ذلك لا تأخذه عن كسبه ، ولا تحرمه من التمتع به ، ولا توجب عليه تقشف الزهادة ، ولا تجشمه في ترك اللذات مافوق المادة ،

صاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم لم يقل « بع ماملكك واتبعني » ولكن قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله « الثالث والثالث كثير إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس »^(١)

الرخص - فرض الصوم على المؤمنين لكن اذا خشي منه المرض أو زيادته أو زادت المشقة فيه جاز تركه بل قد يجب اذا غلب على الظن الضرر فيه . الوضوء والغسل من شروط الصحة للصلاة الا اذا خشي منه الضرر أو عرضت مشقة في تحصيل الماء . القيام مما لا تصح الصلاة الا به الا اذا أصابت المصلي مشقة فيه فيسقط ويصلي قاعداً . السعي الى الجمعة واجب الا اذا كان وحل غزير أو مطر كثير أو ما يوجب تعباً ومشقة فيسقط . وهكذا تجد القاعدة قد عمت : « صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان »

فقرى الدين قد راعى في أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح الزينة والطيبات - أباح الاسلام لأهله التجميل بأنواع الزينة والتوسع في التمتع بالمستحبات على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية ، والوقوف عند الحدرد

(١) التار - يشير الكاتب الى حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة . كان سعد مريضاً في حجة الوداع فعاده النبي صلى الله عليه وسلم وكان عازماً على الصدقة بثاني ماله وفي رواية بجماله كله فسأله النبي عما ترك لولده فقال هم أغنياء . وفي رواية الجماعة انه لم يكن له الابنت . وفي رواية أحمد والنسائي انه أمره أولاً بان يتصدق بالمشر . والحاصل انه ما زال يراجمه حتى رضي الله عليه وسلم بالثلث وحرّم الزيادة بالحديث

الشرعية، والمحافظة على صفات الرجولية، جاء في الكتاب العزيز: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ؟ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (سورة الأعراف)

ثم عد الله النعيم والجمال والزينة من نعمه علينا التي يذكرنا بها فضله، ويهيج بها نفوسنا لذكره وشكره، كما قال: «وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْفَيْهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»

ثم قال: «وهو الذي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُ جَوَامِئَهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (سورة النحل).

الاقتصاد — ووضع قانوناً للانفاق وحفظ المال في قوله: «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ أَرْبَةً كُفْرًا . وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا» (سورة الإسراء)

الهي عن الغلو في الدين - وخشي على المؤمن ان يغلو في طلب الآخرة
 فيها دنياه وينسى نفسه منها فذكرنا بما قصه علينا أن الآخرة يمكن
 نيلها مع التمتع بنعم الله علينا في الدنيا اذ قال : « وابتغ فيما آتاك الله الدار
 الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ
 الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين »

فترى ان الاسلام لم يخس الحواس حقها ، كما انه هيا الروح لبلوغ
 كمالها ، فهو الذي جمع للانسان اجزاء حقيقته واعتبره حيواناً ناطقاً لا
 جسمانياً صرفاً ، ولا ملكوتياً بحتاً ، جعله من اهل الدنيا كما هو من اهل
 الآخرة . استبقاه من اهل هذا العالم الجسداني ، كما دعاه الى أن يطلب
 مقامه الروحاني ، ليس يكون بذلك وبما بينه في قوله : « هو الذي يخلق
 لكم ما في الارض جميعاً » قد أطلق القيد عن قواه ، لتصل من رفاه الحياة
 (مع القصد) الى منتهاه ، والنفوس مطبوعة على التنافس قد غرر فيها حب
 التسابق فيما تعتقده خيراً ، أو تجده لذيذا أو تظنه نافعاً

وليس في الفريزة الانسانية ان يقف بها الطالب عند حدٍ محدود ،
 او ينتهي بها السعي الى غاية لا مطلع للارغبة وراءها ، بل خصها الله بالمكنة
 من الرقي في أطوار الكمال من جميع وجوهه الى ما شاء الله ان ترقى
 بدون حدٍ معروف .

فاذا جمع سائق الانفس ومزجها ، ومرشدها وهاديها ، بين شاحذين
 شاحذ التمتع بمتاع الحياة الدنيا ، وشاحذ الرغبة في النعيم الدائم في الآخرة ،
 فقد جمع لها كل ما يسو بها عن الرضاء في الدنيا بالدون ، وفي الآخرة

بمذاب الهون ، فترى كل نفس تمضي مع استعدادها ، بشهادة فؤادها ،
مضاه الزمير^(١) لا تخشى العثرة بالوعيد ، ولا تقعد عن مطلبها بقعدة
الرعد يند^(٢) فتطلب منافعها ، من هذا الكون الذي وجدت فيه ووجد
لها ، فتسير في مناكب الارض ، ولا تكتفي عن الكل بالبعض ، وتبحث
في تربتها ، ولا يقف بها ظاهرها عن باطنها ؛ ولا يحجبها ظهرها ؛ عن مديديها
الى ما في جوفها ، ولا تجدد ايصدها عن النظر في الهواء ، والبحث في
الماء ، والاهتداء بنجوم السماء ، بعد معرفة مواقعها ، وحركاتها في مداراتها ،
واستقامتها وانحرافها ، وظهورها وخنوسها ، وبالجملة فكل مستعد لوجه
من وجوه النظر ، او الولوج في باب من ابواب العلم ، ينطلق الى حيث
يلبغ به استعداداه إما للنجاة من ضرورة ، وإما لاستتمام منفعة او استكمال
لذة ، لا يجد من نواهي الدين ما يصدّه عن مطلب ، ولا ما يكف يده
عن تناول رغبة ، أين هذا من ذاك الذي لا يرى الخلاص الا في مجافاة
هذا العالم ولذائذه ويجد ان الغنى والثروة من الحجب التي لا تحرق تحول
بينه وبين ملكوت السموات

كيف يتسنى للمسلم ان يشكر الله حق شكره ، اذا لم يضع العالم
بأسره تحت نظر فكره ، لينفذ من ظاهره الى سره ، ويقف على قوائمه
وشرائمه ، ويستخدم كل ما يصلح لخدمته في توفير منافعه ، كيف يشكر
الله اذا توانى في ذلك وقد ارشده الله في كتابه وبسنة نبيه الى أن عالمه إنما خاق
لأجله ، وقد وضعه الله تحت تصرف عقله ، انظر الى لطف الاشارة في الاية

(١) هو الخنزير القوي المزينة يرمع على الأمر فيمضي فيه ولا يتنى والحيد الرأي المقدم

(٢) ثر عديد الحيات الكثير الارتداد

المتقدمة « قل من حرم زينة الله » الخ حيث قال : « كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » فأهل العلم هم الذين يعرفون مقدار نعم الله تعالى فيما يرفقه به معيشتهم ، ويجمل به حياتهم ، ويجلي به زينتهم ؛

المسلمون مسوقون بنابل من دينهم الى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد ؛ والعزة والمجد ؛ ولا يرضيهم من ذلك بما دون الغاية ؛ ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم ؛ فهم محفوزون أشد الحفز الى طلب العلم وتلمسه في كل مكان ، وتلقيه من أية شفة وأي لسان ، فاذا لاقاهم العالم في أي سبيل ، أو عثروا به في أي جيل ، أو ظهر لهم من أي قبيل ، هشوا له وبشوا ، ونصبوا اليه وكمشوا^(١) ، رشدوا به أو اصرم ، وعقدوا عليه خناصرهم ، ولا يباليون ما تكون عقيدته ، اذا نفقتهم حكمته ، « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها »^(٢) ألم يأتهم عن ربهم : « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » ألم يسمعوها في وصفهم قوله : « الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ » ذلك شأن المسلم مع العلم اذا كان مسلماً حقاً . وذلك ما تنجر اليه طبيعة دينه . وحديث اطلبوا العلم ولو بالصين^(٣) ان كان في سنده

(١) لعل نصّبوا من نصب السير وهو ان يسير طول يومه سيراً لينا . وكمش الرجل كان سريعا ماضيا . وكمش كاشة شجع واسرع (٢) النار — حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة ، ورواه غيره بألفاظ أخرى والمعنى واحد . ومنه رواية موقوفة على ابن عمر رضي الله عنهما « خذ الحكمة ولا يضررك من أي وعاء خرجت » وفي رواية عن علي كرم الله وجهه « الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق » (٣) رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان والمدخل وابن عبد البر في العلم والخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وغيرهم وله طرق كثيرة يقوي بعضها بعضها

لفظه الى النبي صلى الله عليه وسلم مقال فسنجد معناه متواتر فانه سند القرآن نفسه
 فان الله يفضل العلم وأهل العلم بدون قيد ولا تخصيص ، فالمسلم مطالب بطلب
 العلم ولو في الصين ولم يكن في الصين مسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
 لا شيء ينقلب عند النفس الانسانية لذته بنفسه وان كان في أول أمره مطلوباً
 لغيره مثل العلم . تطلب العلم أولاً لحاجتك اليه في تقويم معيشة . أو ترفيه
 حال . أو دفاع عن نفس وملة . ثم لا تلبث اذا أوغلت فيه أن تجهد اللذة في
 العلم نفسه فتصير اللذة بتحصيله والوصول الى دقائقه غاية تقصد بنفسها .
 وتضمحل فيها كل غاية سواها . وعلة ذلك ظاهرة فان العلم مسرح نظري
 العقل والعقل قوة من أفضل القوى الانسانية بل هي أفضلها على الحقيقة
 قد وضع لها العليم الحكيم لذة كما منح لكل قوة سواها نمياً ولذة . ولست
 في حاجة الى تعديد لذة البصر أو السمع أو الشم أو الذوق أو اللمس فالحيوان
 يمر بها بله الانسان . وكلما عظم اختصاص القوة بالنوع عظمت لذته باستعمالها
 فيما وجهت له فيمكنك ان تستنتج من ذلك ان لا شيء عند الانسان الذ من
 كشف المجهول . وإحراز المعقول . وقد سمع الاسلام للمسلم ان يتمتع في
 هذه الحياة الدنيا بما يلذ له مع القصد والاعتدال . أفلا يكون من لذائذه
 ومتممات نعيمه أن يسبح في مملكة العلم ليمتع عقله ، كما يسبح في بسيط
 الأرض ليكسب رزقه ويقيم أهله ، على ان العلم كان من ضروريات معيشة
 المسلم أو حاجياتها كما ذكرنا فاذا طفق يستنبط ماء للضرورة ، ويستجلي
 سناؤه بالحاجة ، فلا يلبث أن يصير هو حاجة نفسه ، وشاغله عن حاجات
 حسه ، حتى يدخل معه في رسمه ، كما وقع لكثير من المسلمين . قال امام جليل
 من أئمتهم « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا الله » (له بقية)

باب الترتيب والتعلم

السورة الثامنة منه بهريرة ارسم (*)

فجلي العلم في العمل

زرت بالأمس أنا وه اميل ، ولولا مسبك قصدير في بازناس واقع على ضفاف خليج الجبل ولست أقضي العجب من منقطع هذا الخليج الذي كأنه في عظمه وجهاله صدر تيتيس (١) أحاطت به السكة الحديدية فجعلت له من شريطها قسلادة • يوجد المسبك تجاه الخليج ويتألف بناؤه من أما كن قديمة تقوم على أعمدة من الخشب تغطيها سقوف من البلاط الاسود لا يتردد الناظر اليها في أن يحسبها سقائف لانخفاضها وانفراجها للرياح من كل ناحية

رأينا في احدى هذه السقائف أكواما من تراب أسمر يسمى بمعدن الحجر جمعت فيها ووزعت على غير نظام وتحتصر أعمال المسبك في احالة هذا التراب القسطنطيني اللون (كذا) الى معدن يطلبه التجار كثيرا

كانت زيارتنا للمسبك في نحو الساعة التاسعة من المساء أي بعد غروب الشمس بزمان طويل في ليلة ظلماء كان يتخلل ظلامها بصيص نار الافران التي بنيت بالآجر وجعل لكل منها باب من حديد في وسطه ثقب مستدير كأنه حدقة من نار

يصر القصدير ويعد مكابته محناً مختلفة تجرد مما كان متمزجا به من المواد المذكورة لصفاته وهي الحمص والكبريت والنحاس فاذا تم ذلك جاء وقت صبه وهي الساعة المشهورة • يخرج هذا المعدن الثقيل الصافي من ثقب في أسفل الفرن وقد بلغ من الحرارة درجة البياض ويسقط في خابية من الحديد المصبوب فيذكر الناظر ساعة باستدارة سطحه ولمعانه القمري في احدى ليالي الصيف أبيض ساطعا

اذا صب القصدير في الخابية آخر مرة (ولابد من اذابته أكثر من مرة) ألقيت عليه أغصان من الشجر الأخضر خصوصا أغصان التفاح فتفوره وتهيجه

«مرب من (باب تربية الياقوت) من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية والتعليم

(١) تيتيس جنية من جنات أساطير اليونان

وويل حينئذ للعمال أو الناظرين الذين لا يبادرون بالابتعاد عنه ليتقوا عوادي هذا المعدن النضبان. ذلك أن ققاقيع الهواء التي تنفصل منه ترتفع معها قطرات محرقة تسمع لها نشنشة تنبجس من كل ناحية انجاس الشرر من باقة نار الزينة

لاجرم ان « اميل » ولو لا لم يدركا السر الكيماوي في جميع هذه الاستحالات التي تصورت معدن الحجر قبل صيرورته قصديراً بل انهما ربما لم يحصل في ذهنهما من مجموع ما حصل من الاعمال الا معنى في غاية الابهام ولكن قد شاقهما من هذا المنظر جدته فانهما رجواني أن آخذها الى المسبك مرة أخرى

أرى أن القائمين على تربية الناشئين قد أفرطوا في التفريق بين العلم وبين ما يربطه بالصناعة من الروابط ومع كوني لا أنكر أن ما في المدارس من المعامل الكيماوية والمجموعات التعليمية والدروس العامة هو من المساعدات العظمى على التعلم واقصد قصداً أكيداً أن أستمع به على تعليم ولدي في مستقبله تراني أفضل الآن أن اختلف به الى معهد آخر تمثل فيه امامه الاعمال ونراى له الوقائع

زرنا معاً متحفاً من متاحف الدقائق الأثرية في بانزانس وهي ليست كثيرة في بلاد كرنواي والكثير فيها انما هو المعادن المفيدة كالرصاص والقصدير والنحاس وغيرها من المعادن الحجرية الغريبة فلم يلفت ذهن « اميل » ما في خزائنه من قطع هذه الدقائق للرتبة الا قليلاً وأما دولوريس فأخص ما استرعى نظرها ما يوجد فيها من فلذ البلور وبعض الحجارة التي لو تناولتها يد الصناعة لصارت من مواد الزينة الجميلة

ثم أخذنا طريقنا بعد ذلك بأيام الى متحف كبير يمتد مكشوقاً على ضفاف المحيط بين جبال من الصوان بمجتها يد الانسان فكان مرآة في نظر الفلاحين أحسن من جميع متاحف الدنيا

ففرق عند الطفل بين أن يرى من وراء الزجاج معادن حجرية رقت في رواق ترمياً خالياً من دواعي التأثر وبين أن تمثل أمامه الصخور في وضعها الطبيعي ويشاهد الارضين وقد شاء وجهها وانقلبت ظهراً لبطن وكتل البلاط الاسود والرخام السماقي في جسامتها المربعة وقد تناوبها المصدع وبارود المدفع فلو سحباها صدعا وأشبعاها كسراً وقد هاج شوق « اميل » منظر أعمال التحت هيجاً شديداً ففطن بمخاطب النحاتين ولا بدع فالانسان في سنه لا يستكف أن يخاطب كل من

يراه لأن قلبه حينئذ لا يكون قد أفسده الكبر وقد استفاد من محاورته معهم فلم تذهب عليه عبثاً

ان فتي إيقوسياً اسمه هوج ميلار صار من أشهر العلماء في بريطانيا العظمى ببركة تكسيره الاحجار ونحتها من منحت حجر رملي قديم واستولى استيلاء المالك على اقليم ذلك المنحت الحافل بالدقائق الالوية وأصبح اسمه كأنه علم له

ربما احتذى « اميل » مثال هذا العالم اذا زرنا معا اقليم ديقونشاير فاعتضد المطرقة وحمل المتحاف فاني أراه مدفوعاً على ذلك بسائق الطبع لأنه يشتهي كفيه من أترابه أن يهجم على ما يلاقيه من العقبات فيدمره ويزيله ولأن الدقائق الالوية التي يستخلصها الانسان بنفسه من الصخرة أعلى في نظره كثيراً مما يجده منها مرتباً في المتاحف ذلك لأن آثار الاجسام المضوية تكون غالباً من الاحتباء في باطن الحجر بحيث انه لا بد قبل استخلاصها من تمييزها منه بل ربما صح لي أن أقول انه لا بد من تخمين وجودها بما يبدو من تحت غطائها الجافى من سمة تدل عليها أو طرف من أطرافها ثم ان الصخرة تارة تكون صلبة فتقاوم منحات المناحت وتحتملها وطوراً تكون هشة فتلاشى وتنفتت وفي كلتا الحالتين يهدم الخرق والخطأ بنقرة واحدة عمل الدهر في قرون كاملة وما أكثر ما يتعلم الطفل في هذا الجهاد. نعم ان « اميل » سيخدع فيه غير مرة وسيتفق له أن يحسر لقطاته أو يعيبها على حين اعتقاده انه حصل عليها سالمة من كل نقص ولكن لاشي في هذا فان مثله من اليافعين اذا غلبته العقبات للمادية وجد عليها وبغته ذلك على الانتقام لنفسه منها فلا يلبث أن يظفر بها

كأن مشاهدة المناحت واسطة ينتقل بها الذهن من علم طبقات الارض الى فن العمارة فسيذكر « اميل » اذا عرض له في طريقه ما في المدن من الابنية الفخيمة ان حجارها تحت من قاع البحار القديمة واذا رأى المعابد والقصور فان نوع حجارها سيحضر في ذهنه الصخرة التي تحت منها والحلوقات المضوية القديمة التي صارت هذه الصخرة رمساً لها.

العلم الذي يحصله الانسان بمرق جينه ربما لا يكون واسعاً ولكنه يكون متيناً راسخاً خذ لذلك مثلاً الزهرة التي تنجى من غور بعد اقتطاع ما كان دونها من العقبات يكون لها في ذاكرة جانبها آثار أقوى مما يكون لزهرة رآها بلا غناء بمجهزة

محفوظة في إحدى صحف المجموعات النباتية. وما يجمعه المرأ بنفسه من الحمار والصدف على شاطئ البحر يدرب بصره على ادراك ما يميزه من صفاته الظاهرة أكثر مما يدربه على ذلك ما يوجد منه مرتباً ومفوضاً في رواق معد له فالبحث يكسب البصر واليد دربة ومراة

أنا لأشك في أن التجارب الكيميائية والطبيعية مفيدة لمن منحوا الميل إلى التعلم ولكني أرى أن عامة الاطفال قد يبدون من الارتياح إلى العلم ومعولابه في الصناعة ومن الانفعال بما يرونه من آياته فيها أكثر مما يبدونه لمثل هذه التجارب وقلمما يوجد معمل من المعامل الكبيرة ألا وهو أيضاً مدرسة كبرى للعقل فلما أبهر ما يرى عليه من قوى الطبيعة مقيدة ومطلقة و(كل) مؤلف من عجلات وأسنان تسحق الحجر سحقاً وتمضغ الحديد مضغاً وتقطع الخشب قطعاً وآلاف مؤلفة من انباض البخار الذي يحرك جسم هذا الكل والسان استبدل باعضائه هذه الاعضاء الصليية في كده وكده فحلت محله وحرت على مقتضى إرادته وقام هو عليها يلاحظ مجاهداتها العجيبة بعين قريرة ساكنة. نعم ان هذا المشهد لا يأخذ أول الأمر الابصر اليافع ولكنه متى كان فيه شيء من الشوق إلى العلم لا يلبث ان يسأل عن سبب هذه الحركات الاستقلالية وعمما للمواد بعضها على بعض من التأثير المتناوب وبالجملة عن سر الطرق التي تحيل المادة الفطرية إلى محاصيل صناعية

ليس أحقر الأشياء بأقلها دائماً في صنعه إثارة للشوق ولا ملاحظته بأقل جدوى في التسليم فعلية الكبريت والديوس والشمعة (كما ينه فاراداي (١) حق البيان) لها بعلمي الطبيعة والكيمياء تعلق يدركه كل واحد من الناس ويعرفه لأول نظرة أنا أعلم أن تحصيل عام عدة من الصناعات والاحتصاص به يقتضي أن يعيش الانسان اضعاف عمره ولذلك لا أرجو مطلقاً أن «اميل» إذا رأى غيره يشتغل بحرفة يحيط خبراً بأسرار العمل فيها. على أن الشبان أقل حاجة إلى الوقت من غيره فلو أن القائمين على التعليم احسنوا في توجيهه إلى غايته ما شككت ابداً في ان الطفل الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره يتعلم في المعامل شيئاً كثيراً وجملة القول ان لدينا في جميع المدن الكبرى بل وفي القرى كثيراً من معاهد

(١) فاراداي عالم انكليزي من أشهر علماء الطبيعة اشتهر بتأليفه في الكهرباء

ولد في سنة ١٧٩٤ ومات سنة ١٨٦٧

العمل التي لو اختلف الطفل اليها لأدرك بالعيان والحس بعض قوانين المادة وتعلم حب العامل وتمظيمه ولكانت اقل فائدة له من ذلك ملاحظة طرق الصناعة او الزراعة ان لم يباشر شيئاً من اعمالها بيديه وتلك منزلة اخرى له قايت شمري هل يصح في نظر العقل ان تغفل هذه الينابيع المتدفقة للعرفان وتجنس حقوقها من العناية وتكون دراسة الالفاظ هي موضوع الاهتمام والرعاية اه

اثار علماء المسيحية

﴿ مثال من أمثلة تسامح الاسلام وضيق صدر المسيحية ﴾

تعرض صاحب مجلة الجامعة للكلام في علم العقائد الاسلامية وهو لاشك جاهل به لانه لو عرفه لكان مسلماً او لو كان مساماً لعرفه فزعم ان علماء الكلام (وهو العلم الذي وضع لاثبات العقائد ورد الشبه عنها) ينكرون ارتباط الاسباب بالسيات وان كان القرآن يثبتها . وتعرض للكلام في طبيعة الدينين الاسلامي والمسيحي فزعم ان طبيعة الاسلام تنافي العلم والحكمة دون طبيعة المسيحية ولذلك ارتقت العلوم في أوروبا وماتت في البلاد الاسلامية يعني ان طبيعة الاسلام حكمت على المسلمين بالجهل والغباوة والبعد عن المدنية ونتيجة هذا انهم لا يرتقون الا اذا تركوا هذا الدين وصاروا نصارى « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى » وتعرض للكلام في تاريخ بعض حكماء الاسلام فأورد عنه ما يقتضي كفره وهو غير صحيح . كل هذا في جزء واحد من أجزاء مجلته وهو أعظم جناية جناها على قارئها من المسلمين لانه يشكك غير العالم الراسخ في دينه والشك في الدين كفر قامت قيامة من اطلع على هذا الجزء من أذكاء المسلمين وعدوا هذه المجلة أضر عليهم من المجلات النصرانية الدينية التي تطعن في الاسلام طعناً صريحاً لأن مجلة الجامعة تكلمهم بلسان العالم المحبوب عندهم بطبيعة دينهم فيخشى أن يفتر العاقل بما فيها وتلك المجلات والجرائد تقابلهم بالعدوان الظاهر فينفرون منها . وقد علم القراء ان المستأئين رجعوا اليها والى امام من أئمتنا راغبين في الرد ورأوا ان ذلك الامام كتب في بيان الحقيقة كتابة أتى فيها على صاحب الجامعة وعلى مجلته على ما كان منه

وان تلك الكتابة كانت مثال الأدب والكمال الذي يليق بسعة صدر الاسلام وتسامحه مع المخالفين ، وان كانوا طاعنين وقادحين ، والتمس له العذر على طعنه بالدين القيم وبأعظم علمائه وحكمائه

ورأوا أيضاً ان النار قد حسن الظن فيه واعتذر عنه وبرأه من سوء القصد . ولكن صاحب الجامعة لم يرض بذلك كله وأثبت لنا في الجزء الاخير انه متعمد لذلك الطعن ومصرّ عليه . وقد قابلنا على الاعتذار عنه بالسب والشم

أما شتمه لنا فلاننا قلنا انه قال ما قال لأنه لا يعرف علم الكلام الاسلامي فنسبنا الى الجهل بمعتقد ديننا مكافأة لنا وقال ان تلك المقدمة تنتج هذه النتيجة . يعني ان « الفضيلة والحقيقة والضمير » التي ياهج بأسماها تقضي علينا ان نقول انه لا يعرف اللغة الفرنسية اذا هو قال اننا لانعرفها . وأما شتمه للامام صاحب الرد فلم ينتحل له سبياً والسبب معروف وهو تأثير النصرانية في عدم التسامح وحملها على الشدة مع المخالف بقدر الاستطاعة . وفي مصر الآن من الحرية ما يسمح للصغير ، ان يتسامى ويتساقى للظمن في الكبير ، وربما زين الغرور اصاحبه ان كلامه الوضيع في الرفيع هي الطريقة المثلى للانتقال من الضعة الى الرفعة لذلك نرى أكثر المتطفلين على انشاء هذه الجرائد التي تبرز كل حين في مصر ثم تخفى كفقاقيع الماء يستهلون جرائدهم بالنيل من الجرائد الفنية المنتشرة توها انها تهتم بالرد عليهم فيكونون سواء . وينالون مانال أولئك من الشهرة والثناء . ولا نرضى هذه الحطة للجامعة وصاحبها

قال بعض الناس الذين رأوا الجامعة الاخيرة للامام : رأيت ما كان من صاحب الجامعة الذي أثبت عليه وعلى بحته حتى رفعها الى أعلى منزلة للمجلات . . . فقال الامام : « لا خسارة في حسن الأدب » ولم يزد على ذلك شيئاً

فهو بنوهمن الرصيف المحترم صاحب الجامعة أن صاحب هذا الأدب الباهر يتنازل تواضعاً الى تصحيح مقالته والعناية بإرشاده بعد العلم بأنه لا قابلية فيه لذلك ولا استمداد ، ولا يعرف قيمة هذا الارشاد ، أم بنوهمن ان أحد تلامذته يحفل برد سفسطة الجامعة وتحريفها الكلم لأجل تصحيح أغلاطها . اماما تفننت به على المسلمين وتفقوله على اعتقادهم فاننا نبين الحق فيه لا بصفة رد أو مناظرة بل نجعله في باب رد شبهات المسيحيين وحجج المسلمين لأن الجامعة التي كان اسمها (الجامعة العثمانية) ثم صار اسمها « الجامعة » فقط قد صارت « الجامعة النصرانية » ولا نعيب صاحبها

بخدمة الدين الذي ينتسب اليه ولكتنا ننصح له بالتروي والاعتدال
« النار » مجلة مليه كما أنها علمية ادبية وهي مع ذلك لا تعرض للدين المخالفين الارثا
على ما يعتدون به على الاسلام. والجامعة لا تعترف بأنها مجلة مليه مسيحية وهي مع ذلك
تطعن في الاسلام والمسلمين ابتداءً، وتفتخر الكلام في ذلك اقتحاراً، فهي في ظاهرها
عامية ادبية صريحة كالمقتطف والهلل وفي باطنها دينية مليه كراية صهيون وبشار الاسلام
والشرق ونحب لها ان يكون ظاهرها كباطنها،

قلنا ان صفار التلامذة لا يحفلون برد سفطة الجامعة التي سمتها رداً فان القيد
الذي خلقته لتصحيح زعمها انكار المتكلمين للاسباب « وهو انهم ينكرونها كما يفهم
الفلاسفة) لا يفيد شيئاً . فان قولها الأول بالانكار كان مطابقاً وحكم المطلق ان
يجري على اطلاقه كما هو معلوم . وقولها ان ابن رشد كفر الاشعرية وقال بضلالهم
لأمر نسبها اليهم منها انكار الاسباب الضرورية . واستدلالها بذلك على ان المتكلمين
ينكرون الاسباب كما يفهمها الفلاسفة هو حجة عليها لأن ابن رشد يرد على الاشعرية
بذلك رداً دينياً—وهو من علماء الدين الراشدين—لأنه بنى عليه التكفير والتضليل
والفلاسفة لا يسمون مخالفهم كافراً فكان ابن رشد يقول ان من انكر الاسباب فهو
عند المسلمين كافر اوضالاً لأن من اصول الاسلام التي يشهد لها القرآن وتنطبق على
سيرة السلف والخلف المهتدين « ان الأسباب مبروطة بالمسيبات وان للكون سنناً وناميس
مطرودة » قال الله تعالى فيها « ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً »

وأما زعمه ان المعتزلة ايسوا من المتكلمين فكل طالب علم يعرف نقوله فيه على
المسلمين . فالتكلمون منهم المعتزلة ومنهم الاشاعرة ومنهم الماتريدية . وكذلك الفقهاء
منهم الحنفية والشافعية والمالكية . وكما اختلف هؤلاء في بعض المسائل الفقهية وكلهم فقهاء
اختلف أولئك في المسائل الكلامية وكلهم متكلمون . والجميع مسلمون من اهل القبلة .
ومن أعجب المزاعم زعمه أن الاعتقاد بوجود التواميس (اي سنن الكون) والاعتقاد
بتغيرها نقيضان لا يجتمعان . وهو يعلم ان الفلاسفة انفسهم يقولون بان مكان تغير
التواميس بل يقولون بأن التغير حدث ويحدث بالفعل وهو ما يعبرون عنه بفئات
الطبيعة . فان احتاج الفلاسفة الى تأويل هذه الفئات فالمسلمون احوج لأن اساس
هذه الفلسفة كلها قوله تعالى : « ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

وما يضحك صفار التلامذة استدلاله على معاداة الاسلام للعلم والعقل بكلمة

جارية على ألسنة العامة لا يعرف قائلها وهي « من تنطق ترندق » ويفهمون منها أن من تعلم المنطق صار زنديقاً . هذه الكلمة لعامي مجهول في شخصه وفي ملته ودينه والدليل على كونه عامي أن معنى « تنطق » لبس المنطقة وليس معناها أنه تعلم المنطق . خلافاً لما يوهمه المصباح ، يستدل بهذه الكلمة صاحب الجامعة الذي لا يراعي في قوله إلا الحقيقة والضمير على ما ذكره ينسى أو يتناسى أنه لا يوجد طالب علم في المسلمين لم يقرأ المنطق وأن الأزهر لا يعطي شهادة العالمية إلا لمن يؤدي الامتحان في علم المنطق ومثله جميع المدارس الإسلامية . ومن كلام حجة الاسلام « من لا يعرف المنطق فلا ثقة بعلمه » لا يبعد أن يكون صاحب الجامعة قد كتب ما ذكرنا عنه وهو يعتقد أنه محمّد . ويقرب أن يكون مغترّاً بما اجاب به عن تخطئه في تلخيص فلسفة ابن رشد لأن سنده في هذا الجواب ثلاثة أمور (أحدها) زعمه أن النساخ من العرب كانوا يحذفون من كتب ابن رشد المواضع المهمة أو يبدلون فيها فراراً من الملام والاضطهاد . أي أن أولئك النساخ كانوا علماء بالفلسفة وبعلم الدين ومكلفين بأن يتصرفوا بما ينقلونه بحسب معارفهم حتى يكون الكتاب مشتملاً على فلسفة النساخ لا فلسفة المؤلف . فإذا خالفوا لأمرهم من استأجرهم للنسخ أو اضطهدهم !!!

ثانيها أن الفيلسوف رنان — الذي نزهته الجامعة عن التعصب والذي علمنا عنه أنه كان أشد المتعصبين على الاسلام حتى أن السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ناظرهما في باريس وارجعاه عن كثير من خطئه — قال أن العرب اخطأوا في فهم فلسفة اليونان وثقافتها . ومنهم ابن رشد .

ثالثها أنه « لا مناص للكاتب العربي اليوم من أخذ تلك الفلسفة عن الأفرنج أنفسهم ولا يشترط في هذا الأخذ سوى حسن اختيار المؤلف أي أن يكون ثقة ومنصفاً غير متعصب لفريق دون فريق » وهذا ما توخته الجامعة « أه بنصه

ولا احتمال اغترار الكاتب بهذه المقدمات التي صحح بها قوله نبشره بأنها لا تروج عند أحد طلاب العلم لأمر » . (أحدها) أن العرب قد اعتنوا بأمر النقل والرواية اعتناء لم يسبقهم به سابق ، ولم ياحقهم فيه لاحق ، ومن آثار ذلك أنهم نقلوا فلسفة اليونان ، بعناية الدقة والإتقان ، وقد تعلموا اليونانية ولهم فيها قواميس . وقد اعترف لهم الأفرنج المنصفون بذلك وفضلوهم به على أنفسهم ومنهم سيديو المؤرخ الشهير . (ثانيها) أن الأفرنج برعوا في علوم التجربة ولكنهم لا يوثق بهم في علوم النقل

فكتبهم طائفة بالكذب على الاسلام والمسلمين في دينهم وتاريخهم . قال سيديو في مبحث اشتغال العرب بالعلوم الرياضية : « وايس للعرب مجرد نقل كتب اليونان حرفيا كما زعم بعض الافرنج » ثم ذكر انهم زادوا عليها ما اخترعوه في هذه الفنون . وقال في أول المبحث الذي عقده « في عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة ارسطو ما نصه مبريا : « زعم الافرنج انه لم يكن فلسفة عربية وما ذاك الا لجهاهم بأشغال العرب فان جميع الدروس بمدارس أوروبا في القرون المتوسطة مستمدة من تأليف العرب الفلسفية » الخ وقال غير ذلك بمناه

(نائبها) غير معقول ان الذين كانوا يستسخون الكتب الحكيمية كانوا يرضون بأن يغير النسخ فيها وغير معقول ان النساخ كانوا يستطيعون التصرف في تلك الكتب ويمملون بتلك الاستطاعة .

(رابعها) ان ما نقلته الجامعة عن الافرنج غير موثوق به لأن صاحبها غير عالم بالفلسفة فيستطيع نقلها من لغة الى لغة لأنه اذا كان لم يفهم فلسفة المتكلمين بالعربية فكيف يفهم فلسفة ابن رشد واليونان من الفرنسية ؟ ولو فرضنا انه أحسن الفهم فلا يسهل علينا أن نقرضه حسن القصد لظهور تعصبه على الاسلام والمسلمين . وإصراره على هذا التعصب ومماراته ومكابرته فيه بعد بيان الحق له بالتي هي أحسن . وقد زعم في هذا الجزء ان المسلمين كاليهود والنصارى يعتقدون ان العالم وجد منذ بضعة آلاف من السنين وليس هذا من اعتقاد المسلمين في شيء . فما يدرينا ان كل نقله من هذا القليل

وأما كلام الجامعة فيما سمته الأمور الجزئية فحسبها فيه الخلط بين الاصطلاحات العلمية ومماني الكلم اللغوية . وزعمها ان ما قاله الامام في علاقة الانسان بالخالق غير صحيح لأن رنان أفرد فصلا لهذا البحث استعان فيه بكلمات ارسطو اليونانية . وهل يقول عاقل ان قول فلان غير صحيح لأن فلانا خالفه فيه . وما يدري صاحب الجامعة ان ما قاله الامام هو الصحيح وما قاله رنان هو الخطأ ان صح نقلها عن رنان هذا وان الامام مطلع على ما كتب رنان وغيره من الافرنج وقد كتب ما كتب

(الخاتمة) نشكر في ختام القول للجامعة ولصاحبها هذا التحامل على الاسلام والمسلمين لأنه كان السبب في تصدي ذلك الامام العظيم الى بيان هذه الحقائق التي تحمي الشهور الإسلامي في نفوس المسلمين وتبنيهم الى العمل بما يرشد اليه دينهم

القويم من الرغبة في العلم والحكمة ، وإِعْلَاهُ شَأْنُ الْأُمَّةِ ، ومعاملة المخالفين بالمحاشنة ، وان ظهروا بمظهر المحاشنة ، وليس في كلام الإمام ، الا برد الهمدون والسلام ، الدُعي الى حسن الالتئام ، فلا يحشين الرصيف منه إثارة الخصام ، وان ~~ي~~كان هو يحب الموااة ويدعو اليها فليدع الكلام فيما يتعلق بالاسلام . فانه ليس من موضوعه ولا يهنيه . ولا علم له بظاهره ولا خفيه ، وهذا القدر يكفيه .



جاءنا من الاستاذ الفاضل صاحب التوقيع ما ياتي بنصه :

﴿ بماذا دفع العلماء نازلة الوباء ﴾

دفعوها يوم الأحد الماضي في الجامع الازهر بقراءة متن البخاري موزعاً كراريس على العلماء وكبار المرشحين لتدريس في نحو ساعة جزياً على عادتهم من اعداد هذا المتن أو السلاح الحبري لكشف الخطوب وتفريغ الكروب فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم والأسل وفي الحريق مقام المضخة والماء وفي الهیضة مقام الحیطة الصحية وعقاقير الاطباء وفي البيوت مقام الخفراء والشرطة وعلى كل حال هو مستنزل الرحمت ومستقر البركات

ولما كان العلماء أهل الذكر والله يقول : فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون . فقد جئت أسألم بلسان كثير من المسترشدين عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله أو رأي مستدل عليه لأحمد المجتهدين الذين يهتدون بهم ان كانوا قد أتوا هذا العمل على انه ديني داخل في دائرة المأمور به . والافمن أي حذاق الأطباء تلقوه ليتين الناس منه أو من مؤلفاته عمل تلاوة متن البخاري في درء الهیضة عن الامة وان هذا داخل في نواويس الفطرة أو خارج عنها خارق لها . واذا كان هذا السر المجيب جاء من جهة أن المقروء حديث نبوي فلم خفن بهذه الزية مؤلف البخاري ولم لم يحجز في هذا موطأ مالك وهو أعلى كعباً وأعرق نسباً وأغزر علماً ولا يزال مذهبه حياً مشهوراً . واذا جروا على أن الامر من وراء الاسباب فلم لا يقرؤه العلماء لدفع ألم الجوع كما يقرؤنه لازالة المغص أو التقي والإسهال حتى تذهب شجاء الجرابة من صدور كثير من أهل العلم وعلى هذا القياس يقرأ لـ شيء ما دامت العلاقة بين الشيء وسببه مفصومة .

فإن لم يستطيعوا عنوا هذا الدواء الى نطاق الاطباء سالت للعلم منهم بالتسريح

أن يرشدنا الى من سن هذه السنة في الاسلام وهل قرئ البخاري لدفع الوباء قبل هذه المرة قلنا نعلم انه قرئ للعرايين في واقعة التل الكبير فلم يلبثوا أن فشلوا ومنزقوا شرمزق ونسلم انه يقرأ في البيوت لتأمين من الحريق والسرقة ولكن بأجر ليس شيئاً مذكوراً في جانب أجر شركة التأمين المعروفة مع أن الناس يتسابقون اليها تسابقهم على شراء الدواء اذا نزل الداء ويمدلون عن الوقاية التي نحن بصدددها وهي تكاد تكون بالجمان ومجدون في نفوسهم اطمئناناً لتلك دون هذه

فان لم يجد العلماء عن هذه المسألة اجابة شافية خشيت كما يخشى العقلاء حملة أهل الاقلام عليهم حملة تسقط الثقة بهم حتى من نفس العامة وحينئذ تقع الفوضى الدينية المتوقعة من ضعف الثقة واتهام العلماء بالتقصير وكون أعمالهم حجة على الدين. هذا — وقد لهج الناس بآراء على أثر الاجتماع الهضي الازمري .

فمن قائل : ان العلماء المتأخرين من عادتهم أن يهربوا في مثل هذه التنازلات من الإخذ بالأسباب والاصطبار على تحملها لمشقتها الشديدة ويلجؤون الى ما وراء الأسباب من خوارق العادات لسهولة ولا يهائم العامة انهم مرتبطون بعالم أرقى من هذا العالم المعروف النظام فيكسبون الراحة والاحترام مما فيظهرون على الأمة ظهور اجلال ويمتلكون قلوبهم ويسيطرون على أرواحهم ولهذا تمكنوا حتى فترت شررة الوباء فقرءوا تيميمهم ليوموا ان الخطر انما زال ببركة تيميمهم وطالع ينهم

ومن قائل : انهم يخدعون أنفسهم بمثل هذه الاعمال بدليل ان من يصاب منهم لا يعالج مرضه بقراءة كراسة من ذلك الكتاب بل يعتمد على المخرجات من النعنع والحل وماء البصل وما شابه أو يلجأ الى الطيب ولا تلتفت نفسه الى الكراسة التي يعالج بها الأمة فهذا يدل على ان القوم يعملون على خلاف ما في وجدانهم لهذه الأمة خادعين أنفسهم بتسليم اعمال سلفهم . ومن قائل : ان عدوا من أعداء الدين الاسلامي أراد أن يشكك المسلمين فيه فدخل عليهم من جهة تعظيمه فاوحى الى قوم من متعاليه السابقين أن يعظموا من شأنه ويرفخوا من قدره حتى يحملوه فوق ما جاءت له الاديان فيدعون كشف نوائب الايام بتلاوة أحاديث خير الأنام ويروِّجون ما يقولون بأنه جرب وأن من شك فيه فقد طمن في مقام النبوة حتى اذا رسخت هذه العقيدة في الناس وصارت ملكة دينية راسخة عند العوام وجربوها فلم تغلح وقعوا والعياذ بالله في الشك واصابهم دوار الحيرة كما حصل ذلك على أثر واقعة التل الكبير من كثير من الذين لم يتذوقوا الدين من المسلمين حتى كانوا يبالغون عن قوة البخاري الحربية ونسبته الى البوارج ساخرين

منه ومن قارئيه وإذ وقوف أهل الفكر منهم على أن هذا العمل ليس من الدين وأن القرآن يقول: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ» الخ اضلوا واضلوا وقد جراً هذا الأمر غير المسلمين على الخوض في الدين الإسلامي وإقامة الحججة على المسلمين من عمل علمائهم ولا حول ولا قوة إلا بالله

ويقول قوم: إن التقليد إنج بالعلماء مبلغاً حرم على العقول النظر في عمل السلف وإن كذبته العينان. وخالف الحس والوجدان، ويقول آخرون ممن لا خبرة لهم ببيعة العلماء في مثل هذه الكوارث: أما كان ينبغي لهم أن ينبشوا في المساجد والاندية والولائم حاثين الناس على الوقاية من العدوى معضدين الحكومة في تسكين سورة الأهلين مفاوضين الصحة في فتح المساجد وتعمدها بالنظافة فإن هذا يرتبط بهم أكثر مما يرتبط بوفد أعيان القاهرة جزاء الله خير الجزاء

فإن أعوزهم البيان وخاب القلوب بذلاقة اللسان فلا أقل من أن يؤلفوا رسالة في فهم ما ورد متشابهاً في موضوع العدوى حتى يعلم الناس أن الوقاية من الداء أمور بها شرعاً وعقلاً وسياسة فيكون كل فرد عارف عضداً للحكومة ولو طلبوا من الصحة طبع ما ألفوا وتوزيمه على المصالح والنواحي لبثت ذلك شاكرة وكان لهم الأثر النافع هذا ما يقوله القوم في شأن علمائهم رفعة اليهم ليكونوا على بينة منهم لأنهم لا يختلطون بالناس غالباً إلا في الولائم والمآتم وإن اختلطوا فقلما يناقشونهم في شيء محرزا من حديثهم في المناقشة ورهيم مناظرهم لأول وهلة بالزيف والزندقة فلذلك يجاملونهم ويوافقونهم خشية إلهجر والمعامدة. أما أنا فاني لا أزال الخ في طلب الجواب الشافي عن أسئلة دفع الوباء بقراءة الحديث وعن منح متن البخاري مزية لم يمنحها كتاب الله الذي نعتقد أنه متعبد بتلاوته دون الحديث ولو كان هذا العمل من غير العلماء الرسميين اضربت عنهم وعن علمائهم صفحاً ولما خطت كلمة ولكنه من علماء لهم مراكر رسمية يزاحمون بها مراكر الأمراء فيجب أن يؤبه لهم وإن ينظر لعلمائهم بأزاء مراكرهم من الأمة التي يسألون عنها والله ولي التوفيق (متصح)

بَابُ التَّوْفِيقِ وَالْإِجْمَاعِ

﴿الإسلام والتصيرية مع العلم والمدنية﴾

قد نشرنا من هذا الكتاب مقالين أحدهما اضطرهاد التصيرية للعلم بمقتضى

أصولها نشر في الجزء الحادي عشر الماضي واقتبسته جريدة المؤيد . وثانيهما أصول الاسلام القاضية بالتسامح مع العلم أينما وجد واكرام العلماء من أي ملة كانوا نشر في هذا الجزء . وبلي هذا مقال آخر في نتائج هذه الأصول الاسلامية المذكورة في هذا الجزء . وآثارها في ترقية العلم والعمران . وإيجاد مدنية فاضلة للإنسان . وسينشر في الجزء الآتي . مؤيداً بالشواهد التاريخية ، وشهادات المؤرخين والفلاسفة من الأمم الأوروبية ، ويتبع هذا مقال رابع في شرح حالة المسلمين في هذا العصر ، وما نكبوا به في كل قطر ، ويحتم الكلام بمقال خامس في كيفية معالجة الداء ، وبيان النجاة من البلاء ، بحسب رأي هذا العليب الروحاني ، والامام الرباني ، لازال ذخراً للاسلام ، ومرشد للأنام ، وسينشر ذلك تباعاً في المنار وربما وفقنا للتعميل ببعض الاجزاء واصدارها قبل وقتها اكراماً للقراء ، فقد رأينا منهم اقبالاً على ما نشر واعجاباً به لم نر ما يشابهه الا اعجابهم بالرد على موسيو هاتو . ولا غرو فهذه الحكم متدفقة من ينبوع واحد ، لا ينكره مكابر ولا حاسد .

﴿ عبرة وتنبية . في موت وجه ﴾

كتب الينا من بومباي (الهند) انه توفي فيها « حسني بك نائب سفير الدولة العلية » فيها فاحتفل المسلمون بتشييده احتفالاً عاماً وغلقوا الدكاكين وتركوا جميع الأعمال عامة يومهم . وسيرسلون كتاباً يعزون به أهله في الاستانة العلية والاعتبار في الخبر من وجوه — أحدها شدة تعاق مسلمي الهند بالدولة العلية ، لأنها أقوى الدول الاسلامية ، وهذا أثر من آثار هداية الاسلام الذي من مقاصده جعل البشر كرام إخوة . ولولو جد في الهند مثلاً ما يوجد في مصر من أحداث السياسة وخطباء الفتنة الذين يحثون قومهم على بغض كل من لا يمكن له نسب عريق في بلادهم ويسمون هذا وطنية لما بقي لحب الدولة العلية في قلوبهم عرق بغض ، ولا لحقوق المسلمين حكم بفرض ، (وثانيها) ان آمال المساميين لا تزال معلقة بالسياسة ورجالها ، والحكومات وأعمالها ، وإيتهم ينظرون أولاً الى انفسهم وأعمالهم ، ويعتمدوا بعد الله على كفاءتها واستقلالهم . (وثالثها) حرية الحكومة الانكليزية فلو ان أهل جاوه ارادوا أن يعملوا عملاً كهذا لتصدت لهم الحكومة الهولندية وصدتهم عنه . فيا ليت المساميين الذين هب عليهم نسيم الحرية المنعش للأرواح يعرفون كيف تكون به الحياة الطيبة ويعملون بما يعلمون ولا يحفلون بما يلفظ به الناشون الذين يقبحون لهم نعمة الحرية بدم مصدرها

﴿ السيد محمد المهدي السنوسي ﴾

نمت النابريقات أوربا في الشهر الماضي هذا الرجل العظيم الذي أشهر بالعلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى والارشاد إلى طريق الرشاد فارتبنا في صحة الخبر وبرهنا به التكذيب فما كان إلا أن أكدته الجرائد الغربية تأكيداً كبيراً وتبعها غيرها .

وقد اطمانا اليوم قبل طبع على كتاب من طرابلس الغرب لأحد التجار جاء فيه ما نصه :
« وردت مكاتيب مشعرة بوفاة الاستاذ المهدي وبالتحقيق لم يثبت ذلك إلى الآن »

أسلا بالكلية بل المتحقيق انه انتقل إلى جهة من الجهات مجهولة .

« محاربة الفرنسيين بالاقطار السودانية لم يحصل على خبر منها إلى الآن وقد كان في تلك المحاربة رجل من الجزائر أتى إلى قسطنطينة إحدى الممالك الجزائرية وأرسل إلينا جواباً يفيد انه قادم إلى طرفنا وعند وصوله نفهم منه حقيقة الواقع تفصيلاً واجالاً وما الذي سيصنعه الفرنسيون بخصوص ما ذكر ونعرفكم بذلك والسلام » اهـ

وسأني البحث في ذلك وقول من يكذب خبر المحاربة فيما ننشر من ترجمته

(الترجمة) جمع هذا الرجل من الصفات والحلال ، ما يندر أن يكون لأحد من الرجال .

— الشرف والعلم والزهد والارشاد وسيادة المصيبة فهو الرجل الديني الوحيد الذي

كانت تلهج بذكره الجرائد الأوربية وتستقرى أعماله وتتبع حركاته وسكناته وتبني

عليها الآراء السياسية بل كان على زهده وانزوائه في زاويته أشبه بملك عظيم أو قائد

باسل مستعد لكفاح الأقران ، وفقوح البلدان . وكان الناس في أوربا وفي الشرق

مختلفين في أمره ، وهائمين في أودية الظنون من شأنه ، والاكثرون يعتقدون أن

طريقته جامعة بين الدين والسياسة ومن أصولها الاستعداد للمدافعة والمقاومة عند الحاجة

إلى ذلك . واشتهر بين الناس في هذه البلاد وغيرها أن أتباعه كانوا يعتقدون أنه

المهدي المنتظر . وقد عرفت أحد دراويشه الصالحين من صحراء طرابلس الغرب

واستفدت منه فوائد كثيرة عن السنوسيين فكان مما قاله لهم يعتقدون أن شيخهم هو

المهدي المنتظر وأنه سيحج ويبيع في حرم مكة وفي عرفة « الشك » في ، وقال :

إذا ذهب سيدي المهدي إلى الحجاز فلا تخف أحد من المغاربة عن الحج في تلك

السنة إلا لعجز مقعد . وكان يقول أيضاً : أن من أصول الطريقة حياة الأرض

وغرس الأشجار واقتناء السلاح . ونحن نعلم أن السنوسيين أتباعاً في مصر يكتمون

كل ما يعرفون من أمرها بل يكتمون في الغالب كونهم من أهلها

مثل هذه الأخبار وذلك الاحتبار ، هو الذي أثار في النفوس عندنا ما أثار ،

وأما الأوربيون فمشت أوهامهم وأحلامهم في السنوسيين حراند فرنسا وكها (راجع صفحة ١٧٨ وما بعدها من محله النار الأول بحديثه القول التي تؤيد هذا) . وقد باننا أن الحكومة الفرنسية قد خصصت مئة ألف فرنك في كل سنة لمقاومة سلطة أصحاب الطريق في الجزائر وما يابها وتتصل بها وإن الذين يأخذون هذا المال هم الذين كانوا يعظمون أمر التيجانية ثم صاروا يعظمون أمر السنوسية بما يكتبونه في الجرائد والكتب والله اعلم بالحقيقة . وإنما غرضنا من هذه الجملة كلها بيان اختلاف الناس في أمر السنوسية وعذرهم في هذا الاختلاف

وقد كتب في جريدة (الحاضرة) التونسية مقالة بتوقيع (محمد الحشايشي) في بيان الطريقة السنوسية وترجمة صاحبها . قال الكاتب انه كتب عن عالم وروية لأنه ساج في الصحراء الكبرى وما جاورها من البلاد المجهولة واختبر السنوسيين الاختبار التام وكتب في ذلك رحلة سماها الرحلة الصحراوية . ونلخص من مقالته المفيد لأنها أوسع ما كتبه المسلمون في هذا الرجل الكبير فتقول

ساق أولا نسبه الى سيدي ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي من فاطمة الزهراء عليهم السلام . ثم قال ان صاحب الترجمة من مدينة مستغلم بعمالة وهران (التابعة لجزائر) من قبيلة الخطاطبة . ارتحل والده الى مدينة فاس في سنة ١٢٢٩ بعد أن حفظ القرآن بالروايات السبع وكان ابن ثمان فاجتمع بالشيخ أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية الشهير وتلقى هناك العلوم حتى برز فيها ثم ارتحل الى المشرق سنة ١٢٤٥ قاصدا أداء فريضة الحج . وظهرت له كرامات عديدة في طريقه فأقام بمكة المشرفة سنين عديدة ونشر في أثناءها طريقته المستمدة من نفس الطريقة الحمديدية التي أخذ احازتها عن سيدي أحمد بن ادريس . فانتشرت الطريقة في الحجاز واليمن الى ان بلغت العراق وفي سنة ١٢٥٩ انتقل الى الجبل الأخضر من وطن درنة وبنغازي (من ولاية طرابلس الغرب) وتصدى الارشاد . وولده صاحب الترجمة سنة ١٢٦٠ بالزاوية البيضاء قرباه التربية الدينية في مهد العام والارشاد . حفظ القرآن في الثامنة ثم حفظ الكثير من المتون الفقهية وغيرها واشتغل بطلب العلم على الاستاذ الحافظ لشيخ أحمد الربيعي بعد ما قرأ القرآن على مؤديه الشيخ هاشم الصفاقي والحافظ الشيخ مدين وأخذ عامي التفسير والتصوف عن والده وعلوم الادب عن الشاعر الأديب الشيخ محمد أبو سيف وعامي الحديث والأصول عن الشيخ أحمد الربيعي . جميع هؤلاء من علماء المغرب بعضهم من الاقصى وبعضهم من الأدنى

« لهابيه »

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي يستمعون القول
فيعملون
وأنزلنا من السماء
الكتاب

المكتبة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي يستمعون القول
فيعملون
وأنزلنا من السماء
الكتاب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و • مناراً • كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة غرة رجب سنة ١٣٢٠ - ١٣ • أكتوبر (تشرين) سنة ١٩٠٢)

• الاسلام والنصرانية • مع العلم والمدنية •

(وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم • والاستاذ العليم)

(نتائج هذه الاصول وآثارها في المسلمين)

الى م أفضت طبيعة الاسلام بالمسلمين ؟ وماذا كان أثرها في اسلافهم
الأولين ؟ - فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر واستولى بجيشه
على الاسكندرية بعد خاق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرفيق
الاعلى بست سنوات في رواية وتسع سنوات في رواية أخرى والاسلام
في طلوع فجره ، وتفتح نوره ، فكان من بقايا ما تركت الازمان الأولى
رجل مسيحي من اليعقوبيين اسمه يوحنا النحوي كان في بدء أمره ملاحاً
يبر الناس بسفينته وكان يميل الى العلم بطبيعته فاذا ركب معه بعض أهل
العلم أصغى الى مذاكرتهم • ثم اشتد به الشوق فترك الملاحة واشتغل بالعلم

وهو ابن أربعين سنة قبلغ فيه ما لم يبلغه الناشئون فيه من طفوليتهم وقد أحسن من العلم فنونا كثيرة حتى عدَّ من فلاسفة وقته وأطبائه ومناطقته يقول كثير من مؤرخي الغربيين ومؤرخي المسلمين ان عمرو بن العاص سمع به فاستدناه منه وأكرمه لعله ووقعت بينهما محبة ظاهرة أمرها واشهر حتى قال أحد فلاسفة الغربيين : « ان المحبة التي نشأت بين عمرو بن العاص فاتح مصر ويوحنا النحوي ترينا مبلغ ما يسمو اليه العقل العربي من الأفكار الحرة والرأي العالي . بمجرد ما اعتق من الوثنية الجاهلية ودخل في التوحيد المحمدي أصبح على غاية من الاستعداد للجولان في ميادين العلوم الفلسفية والأدبية من كل نوع »

خالط المسلمون أهل فارس وسوريا وسواد العراق وأدخلوهم في أعمالهم ولم يمنعهم الدين عن استعمالهم حتى كانت دقاتهم بالرومية في سوريا ولم تغير العربية الا بعد عشرات من السنين فاحتكت الأفكار بالأفكار وأفضت سماحة الدين الى أن أخذ المسلمون في دراسة العلوم والفنون والصنائع

سبب اشتغال المسلمين بالعلوم الأدبية ثم العقلية

وبعد عشرين سنة من وفاته عليه الصلاة والسلام أخذ الخليفة علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه يحضُّ على تعليم الآداب العربية ويطلب وضع القواعد لها لما رأى من حاجة الناس الى ذلك . وأخذ المسلمون يتحسسون نور العلم في ظلام تلك الفتن استرسالا مع ما يدعوم اليه دينهم وتنبههم لطلبه شريعتهم . وان كانت الحروب الداخلية التي اشتعلت نارها في أطراف بلادهم للنزاع في أمر الخلافة قد شغلتهم عن كل شيء من مصالحهم فانها لم تشغلهم عن تلمس العلوم والتناول منها بالتدريج على

سنة الفطرة . فالبراعة في الآداب من علم بوقائع العرب وتاريخهم وقول
الشعر وإنشاء البليغ من اثر قد بلغت في خلافة بني أمية مبلغاً لم تبلغه أمة
قط في مثل مدتها . وكان الخلفاء الأمويون يعملون منزلتها ويرفعون
مكانات الشعراء والخطباء والعلماء بالسيرة . ثم ظهرت آثار العلوم العقلية في آخر
دولتهم وترجمت جملة من الكتب العقلية والصناعية قبل نهاية القرن الاول .
نقل الخلفاء الأمويون دار الخلافة من المدينة الى الشام ولم يسيروا
في الزهد سيرة الخلفاء الراشدين فقد جاء رسول من الفرس الى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فلما سئل عنه ذل عليه فذهب اليه فاذا هو نائم على
الارض تحت نخل البقيع بين الفقراء وجاءت رسل الملوك الى معاوية
رحمه الله فاذا هو في قصر مشيد محلي البنيان بأجل ما يكون من الصنعة
العربية مزين بالجنت والرياض وينابيع الماء مفروش بأحسن الفرش يرى
الناظر فيه أنحر الأثاث والرياش . ولم يكن معاوية في ذلك قد خالف
الدين أو حاد عن طريقه وإنما تناول مباحاً وتمتع برخصة آتاه الله إياها ولا
يخفى ما في ذلك من ترويح فنون الابداع في الصنعة على اختلاف ضروبها
استغاثهم بالعلوم الكونية في أوائل القرن الثاني

انقضت دولة بني أمية والناس في ظلمات من الفتن كما قلنا ودالت
الدولة لبني العباس واستقرت في نصابها من آل بيت النبي قرب نهاية الثلث الاول
من القرن الثاني للهجرة (سنة ١٣٢) ثم نقل المنصور عاصمة الملك الى بغداد
فصارت بعد ذلك عاصمة العلم والمدنية أيضاً . وأخذ المنصور ينشي المدارس
للطب والشرعية وكان قد جعل من زمنه ما ينفقه في تعلم العلوم الفلكية
وأكل حفيده الرشيد ما شرع فيه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة

لتعليم العلوم بأنواعها . وجاء المأمون فوصلت به دولة العلم الى أوج قوتها ، ونالت به أكبر ثروتها ، ويقال انه حمل الى بغداد من الكتب المكتوبة بالقلم ما يتقل مئة بعير . وكانت من شروط صلحه مع ميشيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الاستانة . فوجد مما فيها من النفائس كتاب بطليموس في الرياضة السماوية فأمر المأمون في الحال بترجمته وسموه بالمجسطي . ولا يسهل على كاتب إحصاء ما ترجم من كتب العلوم على اختلافها في دولة بني العباس أبناء عم الرسول صلى الله عليه وسلم

عن انشاء دور الكتب العامة والخاصة

وقد أخذت دول الاسلام تعني بديار الكتب عناية لم يسبقها مثلها من دول سواها حتى كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي على مئة ألف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفلك لا غير . وكان من نظامها أن تعار بمض الكتب للطلبة المقيمين في القاهرة . وكانت فيها كرتان سماويتان احدهما من الفضة يقال ان صانعها بطليموس نفسه وإنه أنفق فيها ثلاثة آلاف دينار . والثانية من البرنز . ومكتبة الخلفاء في اسبانيا بلغ ما فيها ست مئة ألف مجلد . وكان فهرستها أربعة وأربعين مجلداً . وقد حققوا انه كان في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عمومية . وكان في هذه المسكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة

وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويجمعون ديارهم معاهد دراسة لما تحتوي عليه . يقال ان سلطان بخاري دعا طبيباً أندلسياً ليزوره فأجابه ان ذلك لا يمكنه لأن كتبه تحتاج الى أربعمئة جمل لتحملها وهو لا يستغني عنها كلها . وكان حنين ابن اسحق النسطوري في بغداد ممن جعل

في داره مكتبة عامة يقد إليها طلاب العلوم العقلية والرياضية وكان ينبرع
بذاكرتهم فيما يريدون المذاكرة فيه .

انشأهم المدارس للعلوم وكيفية التدريس

غطى بسيط المملكة الإسلامية على سعتها بالمدارس . تقول « على
سعتها » لأنها زادت في السعة على المملكة الرومانية بكثير . فكنت تجد
المدارس في كل الاقطار - في المغرب . في الشرق . في الشمال من جهة الشرق . في
مراكش . في فاس . في اسبانيا من جهة المغرب .

كانت طريقة الاساتذة في التدريس أن كل مدرس يُعَدُّ درسه
ويكتب في الموضوع الذي يلقي الدرس فيه ما يريد ان يكتب ثم يلقيه على
التلامذة وهم يكتبون عنه ثم تكون هذه الدروس كتباً وأمالٍ تنشر بين
الناس في كل علم . وهنا نبادر الى القول بأن المؤرخين قد أجمعوا على
ان جميع المقالات والكتب كانت تنشر ويتداولها الناس بدون أدنى
مراقبة ولا حرج ولا نقص شيء مما كتب صاحب الكتاب غير ان مؤرخاً
واحداً رأته ذكر أنه قد وضع قانون في بعض الممالك الإسلامية لنشر
كتب العقائد مقتضاه ان لا ينشر منها شيء الا باذن . على أنني لا أعلم شيئاً
من ذلك وقع في الممالك الإسلامية أيام كان الاسلام إسلاماً

نرجع الى الكلام في المدارس الإسلامية . يقول جيون في كلامه
على حماية المسلمين للعلم في الشرق وفي الغرب : « ان ولاية الأقاليم والوزراء
كانوا ينافسون الخلفاء في اعلاء مقام العلم والعلماء ، وبسط اليد في الاتفاق
على إقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه . وكان عن ذلك ان ذوق
العلم ووجدان اللذة في تحصيله قد انتشرا في نفوس الناس من سمرقند

وبخارى الى فاس وقرطبة . انفق وزير واحد لأحد السلاطين (هو نظام الملك) مائتي ألف دينار على بناء مدرسة في بغداد وجعل لها من الربيع يصرف في شؤونها خمسة عشر ألف دينار في السنة . وكان الذين يُفَضَّلُونَ بالعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم العلماء في المملكة وابن أفقر الصانع فيها . غير ان الفقير ينفق عليه من الربيع المخصص للمدرسة وابن الغني يكتفي بمال أبيه . والمعلمون كانوا يُنْقَدُونَ رواتب وافرة » اهـ

انقسمت الممالك الاسلامية في زمن من الازمان الى ثلاثة أقسام وتنازع الخلافة ثلاث شيع . كان العباسيون في آسيا (الشرق) والامويون في الأندلس من أوروبا (الغرب) والفاطيون في مصر من أفريقيا (الوسط) . ولم يكن تنافس هذه الدول الثلاث قاصراً على الملك والسلطان ولكن كان التنافس أشد التنافس في العلم والادب . وكان مرصد سمرقند قائماً في ناحية المشرق يشير الى ما كان عليه المشرقيون من العناية بالرياضة الافلاك ، ومرصد جيرالد في الأندلس يجيبه بأن أهل المغرب ليسوا بأحط منهم في الادراك ،

جميع المدارس في البلاد الاسلامية أخذت نظام الامتحان في المدارس الطبية عن مدرسة الطب في القاهرة وكان من أشد النظمات وأدقها . ولم يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادة بأنه فاز في الامتحان على شدة . وأول مدرسة طبية انشئت في قارة أوروبا على هذا النظام المحكم هي التي أنشأها العرب في ساليرن من بلاد ايطاليا . وأول مرصد فلكي أقيم في أوروبا هو الذي أقامه العرب في أشيلية من بلاد اسبانيا

ولم المسلمون بالعلوم الكونية على اختلافها، والفنون الادبية بجميع أنواعها، حتى القصص والاساطير الخيالية، في الاحوال الاجتماعية، وابتدأوا بأخذ العلم عن اليونانية والسريانية، وأخذوا ينقلون كتب الاوليت من تلك اللسان الى اللغة العربية بالترجمة الصحيحة . وكان مترجموهم في أول الامر مسيحيين وصباثين وغيرهم ثم تعلم كثير من علماء المسلمين اللسان اليوناني واللاتيني وكتبوا معاجم في اللسانين . وذلك كله ليأخذوا العلوم من أصولها، وينقلوها الى لسانهم على حسب ما يصل اليه علمهم فيها، وكان المعلمون لأبناء العظماء في أول الامر من المسيحيين واليهود ثم انشئت المدارس الجامعة وكان المدرسون فيها من كل ملة ودين . كل يعلم العلم الذي عرف هو بالبراعة فيه

❦ علوم العرب واكتشافاتهم ❦

كان علم العرب في أول الامر يونانياً لكنه لم يلبث كذلك الا دون قرن واحد ثم صار عربياً . ولم يرض العربي أن يكون تلميذاً لأرسطو وأفلاطون أو اقليدس أو بطليموس زمناً طويلاً كما بقي الأوربي كذلك عشرة قرون كاملة من التاريخ المسيحي

قالوا إن باكون هو أول من جعل التجربة والملاحظة قاعدة للعلوم المصرية وأقامها مقام الرواية عن الاساتذة والتمسك بأراء المصنفين وأطلق العلم من رق التقليد . ذلك حق في أوروبا . أما عند العرب فقد وضعت هذه القاعدة عندهم لبناء العلم عليها في أواخر القرن الثاني من الهجرة . أول شيء تميز به فلاسفة العرب عن سواهم من فلاسفة الأمم هو بناء معارفهم على المشاهدات والتجربات وان لا يكتفوا بمجرد المقدمات العقلية في

العلوم ما لم تؤيدها التجربة حتى لقد نقل جوستاف لوبون عن أحد فلاسفة
الاوربيين : أن القاعدة عند العرب هي « جرب وشاهد ولا حظ تكن
عارفاً » وعند الأوربي الى ما بعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي « اقرأ في
الكتب وكرر ما يقول الاساتذة تكن عالماً » . (فلينظر المصريون وغيرهم
من الشرقيين كيف انقلب الحال ، وماذا أعقب من سوء المآل)

قال دي لامبر في تاريخ علم الحياة : « اذا عددت في اليونانيين اثنين
أو ثلاثة من الراصدين امكنك ان تعد من العرب عدداً كبيراً غير
محضور » . أما في الكيمياء فلا يمكنك ان تعد مجرباً واحداً عند اليونانيين
ولكنك تعد من المجربين مئين عند العرب ولهذا عدت الكيمياء
الحقيقية من اكتشاف العرب دون سواهم . وقد كانوا يعدون الهندسية
والفنون الرياضية من الآلات المنطقية ، يستعملونها في الاستدلال على
القضايا النظرية ، وهي من أصدق الأدلة في الايصال الى المجهولات
كما هو معروف

العرب هم أول من استعمل الساعات الدقيقة للدلالة على أقسام الزمن
وهم أول من اتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض . وقد اكتشفوا
قوانين لثقل الأجسام جامدها ومائتها حتى وضعوا لها جداول في غاية
الدقة والصحة كما وضعوا جداول للأرصاء الفلكية وكانت تلك الجداول
معروفة يطلع عليها الناظرون في سمرقند وبغداد وقرطبة حتى لقد وصلوا
بتلك القوانين الى ما يقرب من اكتشاف الجاذبية

لا يمكنني في مقالتي هذا ان أعد ما اكتشف العرب ولا ما زادوه في
العلوم على اختلاف أنواعها فذلك يحتاج الى سفر كبير . وقد أحصى ذلك

أهل المعرفة والانصاف من فلاسفة الاوربيين ومؤرخيهم . وربما يتيسر
لأبناء الأمة العربية أن ينشروا ذلك لآخوانهم حتى يعرفوا ما كان عليه
أسلافهم .^(١) ولكني أذكر كلمة قالها بعض حكماء الغربيين^(٢) : « تأخذنا
الدهشة أحياناً عند ما ننظر في كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم
تولد الا في زماننا كالرأي الجديد في ترقى الكائنات العضوية وتدرجها
في كمال أنواعها فان هذا الرأي كان مما يعلمه العرب في مدارسهم وكانوا
يذهبون به الى أبعد مما ذهبنا فكان عندهم عاماً يشمل الكائنات غير
العضوية والمعادن . والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى
المعادن في أشكالها . قال الخازني : اذا سمع الشهب الجاهل ما يقال بين
العلماء ان الذهب قد قلب في الأشكال المختلفة حتى صار ذهباً ظن من
هذا أنه مرّ في صور معادن أخرى فكان رصاصاً ثم قصديراً ثم صفراً ثم
فضة ثم صار بعد ذلك ذهباً ولا يعلم ان الفلاسفة اذا قالوا ذلك قائماً
يقصدون منه ما أرادوه من قولهم في الانسان انه وصل الى حالته الحاضرة
بالتدريج ومن طريق الترقى وهم لم يعنوا بقولهم هذا انه قلب في صور
الأنواع المختلفة كأن كان ثوراً ثم حميراً ثم فرساً ثم قرداً ثم صار بعد ذلك
إنساناً اه ويقول الفيلسوف كوستاف لوبون : « ان العرب أول من علم
العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين »

وهنا أنكر على بعض فلاسفتهم ماقلوه عن ابن رشد من انه ذهب
في حرية الرأي الى نقض أصل الدين وقال إن الروح لا بقاء لها بعد فناء

(١) قد نشرنا جملة صالحة من ذلك في مقالات (مدينة العرب) في المجلد

الثالث (٢) هو الفيلسوف دراير الاميركاني

الجسد وإنما الذي يبقى هي أرواح الأنواع . فإن هذا خطأ عرض لهم من سوء فهم كلامه في بيان بقاء الأنواع دون الأشخاص فانه قال كما قال ارسطو وغيره : ان الأشخاص توجد وتفتنى وأما الأنواع فهي باقية لا تزول . وهذا باب آخر يغير بالمرّة ما استنتجوا منه (وقد سبق الكلام في بيان رأيه من وجه آخر) ^(١) كما أخطأوا في قولهم عنده إنه كان يعتقد بأن الله روح العالم يظهر في صورته والكل يرجع اليه بمعنى انه يفنى في ذاته ولا يبقى في العالم باق آخر وهو يقرب من قولهم السابق . فان ابن رشد كان مسلماً وكان يعرف ان الاسلام لا ينافي العلم وإنما ينافي هذا الضرب من الوهم الذي لم يسقط فيه أحد الا من عثر في طريق العلم أو الاسترسال مع الخيال . وكثير ممن سكروا بهذا الرأي أفاقوا منه . ولكن كتب ابن رشد التي بين أيدينا تبعد بنا عن نسبة هذا الرأي اليه كما سبق بيانه ^(٢) ولكني لا أنكر نسبته لو نسب الى ابن سبعين وهو ممن أخذ عن تلامذة ابن رشد فان في كلامه ما يدل على ذلك

ويقول فيلسوف آخر : « ان العلوم التي تلقاها العرب عن اليونانيين وغيرهم وكانت ميتة بين دفات الدفاتر مقبورة بين جدران المكاتب أو مخزونة في بعض الرؤس كأنها أحجار ثمينة في بعض الخزائن لاحظاً للإنسانية منها سوى النظر اليها - صار عند العرب حياة الآداب ، وغذاء الأرواح ، وروح الثروة ، وقوام الصنعة ، ومهمازاً للقوى البشرية يسوقها الى كمالها الذي أعدت له . وليس في الاوربيين من درس التاريخ وحكم العقل ثم ينكر ان الفضل - في إخراج اوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم وفي تعليمها

(١) و (٢) قد سبق ذلك في المقالة الاولى التي رد بها الكاتب على الجامعة

كيف تنظر وكيف تتفكر وفي معرفتها ان التجربة والمشاهدة هما الاصلان اللذان يبنى عليهما العلم -- انما هو للمسلمين وآدابهم ومعارفهم التي حملوها اليهم وأدخلوها من اسبانيا وجنوب ايطاليا وفرنسا عليهم . وكان من حفظ العلم العربي والأدب الحمدي عندما خلا الى ايطاليا ان البابا كان غائباً لأن كرسيه كان انتقل الى فرنسا في أفنيون نحو سبعين سنة فدب العلم الى شمال ايطاليا واستقر به القرار هناك . ان شوارع باريس لم تفرش بالحجارة الا في القرن الثاني عشر وقد رصت بالبلاط على نحو مارصت به مدن اسبانيا . اهـ

ويقول آخر : « لا أدري كيف أعطانا الاسلام في مدة قرنين عدداً من الفلكيين يطول سرد أفرادهم وان الكنيسة تسلطت على العالم المسيحي اثني عشر قرناً في اوربا ولم تمنحنا فلكياً واحداً »

هذا النماء والزكاء العلمي لم يكن خاصاً بطائفة دون طائفة بل كان الناس في التمكن من تناوله سواء . وانما كان التفاضل بالجد والمعمل . والفضل في ذلك كله لحلم الخلفاء وعملهم وسماحة الدين ويسره وسهولته على أهله وأهل ذمته . قال بعض فلاسفة الغربيين قولاً يعرفه الحق وثبته المشاهدة : « ان شعوب الأرض لم تر قط فاتحاً بلغ من الحلم هذا المبلغ (يريد فاتحي الاسلام على اختلافهم) ولا ديناً بلغ في لينه ولطفه هذا الحد »

﴿ أخذ الخلفاء والأمراء • بيد العلم والعلماء ﴾

ان الخلفاء الذين يقال عنهم انهم رؤساء دين وحكام سياسة معاً كانوا هم بأنفسهم المتعلمين للعلوم الداعين الى تعلمها . كانوا العالمين الماملين . كان خليفة كالمأمون يضطهد أحياناً أعداء الفلسفة وقد عرف التاريخ كثيرين من أرباب الشهرة الذين قضوا في سجنه الشهور أو السنين لأنهم كانوا

يصادون الفلاسفة ظناً منهم ان منها ما يدعو على الدين فيفسده . هل رأيت في غير الاسلام رئيساً دينياً يضطهد أعداء العلم وجفاة الفلسفة ؟ لعلك لا تجد أبدأ كان أهل العلم والأدب عامة يجدون من الاحترام عند الخلفاء والأمراء والخاصة ما يليق بهم كيفما كان حالهم . وسأضرب المثل بالشيخ أبي العلاء المعري لشهرته بين الناس بما يشبه الزندقة : يذكر علي بن يوسف القعطي أن صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى المرة وقد عصى أهلها عليه فنازلها وشرع في حصارها ورماتها بالمنجنيق فلما أحس أهلها بالغلب سارعوا الى أبي الملاء بن سليمان وسألوه ان يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعه قائد يقوده فأكرمه صالح واحترمه ثم قال : ألك حاجة ؟ قال : الأمير أطال الله بقاءه كالسيف القاطع لان مسه وخشن حده ، وكأنهار البالغ قاط وسطه وطاب برده ، « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » فقال له صالح قد وهبتها لك . ثم قال له انشدنا شيئاً من شعرك لترويه فأنشده على البديهة أبياتاً فيه فترحل صالح . فانظر كيف وهب الأمير بلداً عصى أهله لفيلسوف معروف بما هو عنه معروف . ولو ذكرت مانال العلماء والفلاسفة عند الأمراء والخلفاء لطال بي المقال أكثر مما طال وفيما سبق كفاية لمكتف

﴿ إزالة شبهتين وبيان حقيقة الاضطهاد ﴾

قد يتوهم قوم ان الاضطهاد قد يظهر في مقت العامة وخلقههم ما يخلقون من المقتريات على أهل العلم والفكر الحر وهمس بعضهم في آذان بعض وتمازهم على أهل الفضل ولزمهم إياهم بالألقاب بل واحتقارهم في بعض الأحيان وهذا النوع منه عند المسلمين بلا تكبر . وهو خطأ ظاهر لأن

هذا النوع مما يكره أهل العلم لا تخلو منه أرض ولا تطهر منه بلاد منها بلغ أهلها من الحرية ومما بلغ ذوق العلم من نفوس أهلها فإن القائمين على عتيدة الكاثوليك الى اليوم في أرض فرنسا نفسها يعقنون الفلاسفة الذين يظهرون بمعاداة الكنيسة ويكتبون ما يوهن قواعدها وقد يخلق عليهم أحزاب الكاثوليك ما لم يقولوه ويرون ان النظر في كتبهم لا يجوز في شريعة الدين . ونحن لانرتاب في ان نحو هذا كان عند المسلمين أيام كانت سوق الفلسفة رائجة عندهم ولكنه ليس من الاضطهاد في شيء وإنما هي نفرة الانسان مما لا يعرف مع ترك صاحبه وشانه يمضي في سبيله الى حيث يشاء

يقول آخرون : ان التاريخ يروي لنا ان بعض أرباب الأفكار قد أخذ السيف لغلوه في فكره فلم يترك له من الحرية ما يتمتع به الى منتهى ما يبلغ به وليس يصح أن ينكر ما صنع الخليفة المنصور وغيره بالزيادة وأقول : ان كثيراً من الغلو اذا انتشر بين العامة أفسد نظامها وأضر بآمنها كما كان من آراء الحلاج وأمثاله^(١) فتضطرب السياسة للدخول في الأمر لحفظ أمن العامة فتأخذ صاحب الفكر لا لأنه تفكر ولكن لأنه لم يرد أن يقصر حق الحرية على شخصه بل أراد أن يقيد غيره بما رآه من الحرية لنفسه مع أن غيره في غنى عما يراه هو حقاً له وتخشى الفتنة اذا استمر مدعي الحرية في غلوئه فلماذا يرى حفاظ النظام أنه أمثال هؤلاء يجب أن يُنقى منهم المجتمع صوتاً له عما يزعم أركانه . ونحن نرى الفلسفة

(١) المنار — ذكر امام الحرمين في كتابه (الشامل) في اصول الدين انه كان بين الحلاج والجنابي رئيس القرامطة اتفاق سري على قلب الدولة وان ذلك هو السبب في قتل الحلاج

اليوم تضطهد الدين هذا الضرب من الاضطهاد . ألم تقض الحكومة الفرنسية على الراهبين والراهبات أن تكون جمعياتهم ومدارسهم تحت سيطرة الحكومة وان لا ينشأ شيء منها الا بإذن من الحكومة ومن لم يخضع لذلك تحل جمعيته وتقتل مدارسه بقوة السلاح . وقد ينفي من البلاد كما نفي كثيرون في سنين سابقة ؟ ولكن هل يسمى هذا اضطهاداً ، كلا ولكن الاضطهاد حق الاضطهاد هو اضطهاد محكمة التفتيش واضطهاد رؤساء الاصلاح بعدها في أول نشأتهم

ماذا يقول القائلون ؟ ان التعليم عند المسلمين كان غريباً أصره ، يكاد يكون خفياً سره ، مسجد أو مدرسة تابعة لمسجد يجلس فيها للتدريس الفقيه والمتكلم والمحدث والنحوي والمتأدب والفيلسوف والفلكي والمهندس ؛ يذتقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ومن مجلس الحديث الى مجلس الأدب . واذا وقعت مذاكرة بينهم في مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في الإقناع والإلزام وسقطت قيمة الغلو في التعبير وأخذ التسامح بينهم مأخذه . كان عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة وأشدهم صلابة في أصول مذهبه ومع ذلك هو من مشايخ الامام البخاري صاحب الصحيح وكانت له منزلة عند المنصور تملو كل ذي منزلة عنده حتى قال له يوماً وهو خارج من بين يديه : « رميت لكل الناس حباً فلقطوا الا أنت يا عمرو بن عبيد » فانظر كيف كان لامام من أئمة السنه أن يصل سنده في الحديث برئيس من رؤساء المعتزلة ولا يرى في ذلك بأساً

اذا عدّ عادّ بعض رجال العلم الذين أخذتهم القسوة في الاسلام وقتلهم حماقة الملوك باغراء الفقهاء وأهل الغلو في الدين فما عليه الا أن ينظر

في أحوالهم فيقف لأول وهلة على ان الذي آثار أولئك عليهم ليس مجرد
 المعصية للدين وأن ليست الغيرة عليه هي الباعث لهم على الوشاية بهم
 وطلب تشكيلهم . وإنما تجد الحسد هو العامل الأول في ذلك كله والدين
 آلة له . ولهذا لا ترى مثل ذلك الأذى يقع الا على قاضي قضاة (كان
 رشد ورجوع الحاكم الى الففو عنه وإنزاله منزله دليل على ذلك) أو وزير
 أو جليس خليفة أو سلطان أو ذي نفوذ عظيم بين العامة . وهذا كما يقع
 من الفقهاء مثلاً لا يذاه الفلاسفة يقع من الفقهاء بعضهم مع بعض لا هلاك
 بعضهم بعضاً كما يشهد به الميان ويحكى لنا التاريخ فليس هذا كذلك معدوداً
 من معنى اضطهاد الدين للفلسفة لأن التحاسد أكثر ما يقع بين من لا دين
 لهم على الحقيقة وان لبسوا لباسه . وإنما ذلك الاضطهاد هو الذي يحمل
 عليه محض الاختلاف في العقيدة أو ظن المخالفة للدين في شيء من العلم أو
 العمل لضيق الدين عن ان يسع المخالف بجانبه وهذا لم يقع في الاسلام .
 اللهم الا أن يكون حادث لم يصل إلينا

هذه طبيعة الدين الاسلامي عرضت عليك في أهم عناصرها
 ومقومات مزاجها . وهذا كان أثرها في العالم الشرقي والغربي . وهذه
 سعة فضل الدين وقوته على احتمال مخالفته وتيسيره لأولئك المخالفين ان
 يحتسبوا به متى رضوا بأن يستظلوا بظله . هل في هذا خفاء على ناظر ،
 وهل يرضى لبيب لنفسه أن ينكر الضوء الباهر ، أفلا يبسم الاسلام عجباً
 وهو في أشد الكرب لمقوق أنبائه ، من أديب لم يكن يعدم من أعدائه ان لم
 يحسبه في أحبابه ، عند ما يراه يستدسهمه اليه ، ويجور كما يجور
 الجائرون في حكمه عليه ، ؟؟

﴿الاسلام اليوم - او الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام﴾

﴿المقال الرابع لذلك الامام الحكيم﴾

ربما يسأل سائل فيقول : سلمنا ان طبيعة الاسلام تأبى اضطهاد العلم
بمعناه الحقيقي وأنه لم يقع من المسلمين الأولين تعذيب ولا إحراق ولا شنق
لحملة العلوم الكونية ، ومقومي العقول البشرية ، لكن أليس العلماء من
المسلمين اليوم أعداء العلوم العقلية ، والفنون العصرية ، أوليس الناس تبعاً
لهم ؟ أفلا يكون للأديب عذره فيما يراه ويسمعه حوله ؟ ألم يسمع بأن رجلاً
في بلاد اسلامية غير البلاد المصرية كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب
فيه الى ماذهب اليه أئمة المسلمين كافة . ومقالا بين فيه رأيه في مذهب
الصوفية وقال انه ليس مما انتفع به الاسلام بل قد يكون مما رزى به
أو مايقرب من هذا وهو قول قال به جمهور أهل السنة من قبله . فلما
طبع مقاله في مصر تحت اسمه هاج عليه حملة العائمه ، وسكنة الاثواب
المباعب ، وقالوا انه مرق من الدين ، أو جاء بالإفك المبين ، ثم رفع أمره
الى الوالي فقبض عليه وألقاه في السجن . فرفع شكواه الى عاصمة الملك
وسأل السلطان أن يأمر بنقله الى العاصمة ليثبت براءته مما اختلق عليه بين
يدي عادل لايجور ، ومهيمن على الحق لايمحيف ، الخ مايقال في الشكوى .
فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله فقد صدر الأمر هناك أيضاً بسجنه
ولم يعف عنه الا بعد أشهر مع انه لم يقل الا مايتفق مع أصول الدين
ولا ينكره القارئ والكاتب ، ولا الآكل والشارب ،

ألم يسمع السامعون ان الشيخ السنوسي (والد السنوسي صاحب
الجنوب) كتب كتاباً في أصول الفقه زاد فيه بعض مسائل على أصول

المالكية وجاء في كتاب له ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الاحكام من الكتاب والسنة مباشرة وقد يرى ما يخالف رأي مجتهد أو مجتهدين . فعلم بذلك أحد المشايخ المالكية (رحمه الله تعالى) وكان المقدم في علماء الجامع الأزهر الشريف فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسي ليطعنه بها لأنه خرق جريمة الدين ، وتابع سيلا غير سبيل المؤمنين ، وربما كان يجترئ الاستاذ على طعن الشيخ السنوسي بالحربة لو لاقاه وإنما الذي خلص السنوسي من الطعنة ، ونجى الشيخ الرحوم من سوء المغبة ، وارتكاب الجريمة باسم الشريعة ، هو مفارقة السنوسي للقاهرة قبل ان يلاقيه الاستاذ المالكي .

هل غاب عن الاذهان ما كان ينشر في الجرائد من نحو ثلاث سنين بأقلام بعض علماء الجامع الأزهر من المقالات الطويلة الأذال الواسعة الأردان في استهجان إدخال علم تقويم البلدان (الجغرافيا) بين العلوم التي يتلقاها طلبة الجامع الأزهر ، وكان كتاب تلك المقالات يعرضون بمن أشار بإدخال هذا العلم وغيره بين تلك العلوم وأنه إنما يريد الغرض من علوم الدين . أم لم تنشر في العام الماضي فصول بأقلام بعضهم تشير الى الطعن في عقيدة البعض الآخر وإرادة التشهير به مع انه لم يجهر بمنكر ولم يقل قولاً يبعد من الكتاب والسنة ؟

ألم تحمل الينا الرواة ما عند علماء الأفغان والهند والمعجم من شدة التمسك بالقديم ، والحرص على ماورثوا عن آباءهم الأقربين ، وإقامة الحرب على كل من حاول ان يرحزهم أصبغاً عما كان عليه سلفهم ، وان كان في البقاء عليه تفهم ، وما عليه الحال اليوم في حكومة المغرب من القل في التعصب والمعاقبة بقطع بعض الأعضاء في شرب الدخان أو بالقتل

في كلمة ينكرها السامعون ، وان أجمع عليها المسلمون الآخرون ،
ثم ألا يتخيل المؤمن انه يسمع من جوف المستقبل صخباً ولججاً وضوضاء
وجلجلة ، وهيئات مضاربة ، اذا قيل انه ينبغي لطلبة الأزهر ان يدرسوا
طرفاً من مبادئ الطبيعة أو يحصلوا جملة من التاريخ الطبيعي ؟ ألا تقوم
قيامه المتقين ، ألا يصيحون أجمعين أكتعين أبتعين : هذا عدوان على
الدين ، هذا توهين لعقده المتين ، هذا تقرير بأهله المساكين ، ولا يزالون
يشيرون بهذا الى ان لا يبقى شيء عرف له اسم في اللغة الا الصقوه بهذه
البدعة في زعمهم

هل هذه الحال جديدة على المسلمين حتى يقال إنها مارض عرض
عليهم ، أو مريض من الامراض الوافدة اليهم ، ؟ لا يسهل على من يعرف
أحوال المسلمين تحت نظره من قرون متعددة أن يظن ان هذه الحال
من العلل الطارئة على أمرجة الأمم خصوصاً عند ما يجد الوحدة في الصفات ،
والشمول في جميع الاعتبارات ، فلو أخذ مسلماً من شاطئ الاطلانتيق
وأخر من تحت جدار الصين لوجد كلمة واحدة تخرج من أفواههما وهي :
« إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » وكلهم أعداء لكل
مخالف لما هم عليه وإن نطق به الكتاب واجتمعت عليه الآثار . اللهم الا فئة
قليلة زعمت أنها نفضت غبار التقليد وأزالت الحجب التي كانت تحول بينها
وبين النظر في آيات القرآن ومتون الاحاديث لفهم أحكام الله منها .
ولكن هذه الفئة أضيق عطاءً وأخرج صدراً من المقلدين وان أنكرت
كثيراً من البدع ونحت عن الدين كثيراً مما أضيف اليه وليس منه . فإنها
تري وجوب الاخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتقيده بدون التفات الى

ما تنضيه الاصول التي قام عليها الدين ، واليه كانت الدعوة ، ولاجلها منحت النبوة ، فلم يكونوا للعلم أولياء ، ولا للمدينة السليمة أحياء ، هل يمكن ان ينكر أحد جود الفقهاء ووقوفهم عند عبارات المصنفين على تباينها واختلافها واضطراب الآراء في فهمها واذا عرضت حادثة من الحوادث ولم يكن لمصنف معروف رأي فيها اجتمعا عن إبداء الرأي واجتهدوا في تحويلها عن حقيقتها الى أن تتفق مع قول معروف في كتاب من الكتب حتى لقد جاء طالب علم من بلد من بلاد الدولة العثمانية وأراد الالتحاق بأحد الأروقة في الجامع الأزهر فوقع الشك هل بلده مما لأهله استحقاق في ذلك الرواق على حسب نص الواقف . فقال قائل لشيخ الرواق : ان كتب تقويم البلدان تشهد بأن البلد داخل في شرط الواقف فقال : إني لا أقنع بما في تلك الكتب وإنما الذي يصح ان آخذ به هو ان يكون فقيه (ممن مات) قال : ان هذا البلد من قطر كذا وهو الذي وقف الواقف على أهله . واذا قيل لأحدهم : إن الأئمة أنفسهم لم يعينوا مواقع البلدان ولم يضعوا لنا جدولاً لبيان ما يحويه كل قطر وبيان الحدود التي ينتهي اليها وإن أصول ديننا تسمح لنا بأن نأخذ بأقوال العلماء في هذه الفنون (وهم منا) وتواتر الاخبار وما أشبه ذلك من البديهيات قال : إنما أريد نصاً فقهياً ، لا دليلاً عقلياً ،

واذا قيل لهم : اختلف الشؤث ، وفسدت الملكات والظنون ، وساءت أعمال الناس ، وضلت عقائدهم ، وخوت عباداتهم من روح الاخلاص ، فوثب بعضهم على بعض بالشر ، وغالت أكثرهم اغوال الفقر ، فتضعفت القوة ، واخترق السياج ، وضاعت البيضة ، وانقلب

المزة ذلة ، والهداية ضلة ، وسا كنتم الحاجة ، وأفتكم الضرورة ، ولا تزالون تألمون مما نزل بكم وبالناس ، فهلا نبهكم ذلك الى البحث في اسباب ما كان سلفكم عليه ، ثم علل ماصرتم وصار الناس اليه ، قالوا : ذلك ليس اليينا ، ولا فرضه الله علينا ، وإنما هو للحكام ينظرون فيه ، ويبحثون عن وسائل تلافيه ، فان لم يفعلوا ولن يفعلوا فذلك لأنه آخر الزمان وقد ورد في الأخبار ما يدل على انه كائن لا محالة وان الاسلام لا بد ان يرفع من الارض ولا تقوم القيامة الا على لكمع ابن لكمع . واحتجوا على اليأس والقنوط بآيات وأحاديث وآثار تقطع الأمل ، ولا تدع في نفس حركة الى عمل ، رأي رنان في الاسلام : هذا الجمود — الذي لو أردنا بيان ما امتد اليه

من طبقات الأفكار وثبات الوجدان لكتبنا فيه كتاباً — هو الذي حمل الموسيو رنان الفيلسوف الفرنسي المشهور ان يقول في عرض كلام له في تساهل المذاهب الدينية مع العلم نقلته عنه الجامعة : « على أنني أخشى ان يثبت الدين الاسلامي وحده في وجه هذا التسامح العام في العقائد ولكنتي أعرف ان في نفوس بعض الرجال المتمسكين بآداب الدين الاسلامي القديمة وفي بضعة من رجال الاستانة وبلاد الفرس جرائم جيدة تدل على فكر واسع وعقل ميال الى المسألة . الا أنني أخشى ان يمتنع هذه الجرائم بتعصب بعض الفقهاء فاذا اختتمت قضي على الدين الاسلامي . ذلك انه من الثابت الآن أمران — الأول ان التمدن الحديث لا يريد إماتة الأديان بل مرة لأنها تصلح أن تكون وسيلة اليه . والثاني انه لا يطبق ان تكون الأديان عثرة في سبيله . فملي هذه الأديان ان تسالم وتلين والا كان موتها ضربة لازب » اه كلام رنان بتصرف لفظي قليل

فمن أين يكون هذا الجمود العام الذي سمح للطاعنين ان يحكموا على الاسلام بأنه عثرة في طريق المسلمين يسقط بهم دون ان ينالوا فلاحاً في سعيهم ، أو نجاحاً في أعمالهم ، من أين يكون هذا الجمود ان لم يكن من طبيعة الدين ؟ ومن أين يكون ما سردناه من الحوادث إن لم يكن ناشئاً من أصول الدين ؟ فان لم تسلم بأن هذا اضطهاد وان الاضطهاد من لوازم الدين الاسلامي فعليك ان تسلم بأنه عداوة للألم أو اشترازمه ، أو استهجان له أو احتقار لشأنه ، وأحد هذه الأمور كاف اذا عم بين المسلمين في ان ينفر بهم عن كل مجد ، وأن يحرمهم كل نفع ، وان يحقق فيهم ما تنبأ به رنان وغيره فما قولك في هذا ؟ (له بقية)

(المنار) سيأتي الجواب في الجزء الآتي وفيه بيان حقيقة هذا الجمود وأسبابه وكونه لا بد ان يزول ان شاء الله تعالى فانتظر العجب العجيب

الاجتماع السادس للجمعية أم القرى

يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

في الضحى الأول من اليوم المذكور تألفت الجمعية حسب معتادها وقرئ الضبط السابق واستعدت الاذهان لتلقي ما يفيضه الله على السنة أهل الإيمان من الإخوان قال (الأستاذ الرئيس) مخاطباً (الشيخ السندي) انك يا مولانا لم تشاركنا في البحث الى الآن فترجوك أن تتكرم على إخوانك ببذرة من عرفانك تنور بها افكارنا وزججوك أن لا تحتشم من التعلم في بعض التعبيرات اللغوية لغلبة المعجمة عليك فان لك أسوة بالفيروز آبادي والسعد والفخر وغيرهم .

فقال (الشيخ السندي) انكم ايها السادة الاخوان سراء افاضل الزمان ، وسباق فرسان كل ميدان ، قد اقدمتم وأجدمتم ولم تتركوا القائل من مجال ، ولا مثلي غير الإصفاء والامثال ، وإني احب ان اذكر لكم حاتي وفكرتي قبل هذه الاجتماعات وما

أثره في هذه المفاوضات . فاقول : انني من خلفاء الطريقة النقشبندية وإذ كان والذي
المرحوم هو ناقل هذه الطريقة للأقاليم الشرقية والجنوبية في الهند فقد صرت بسد
والذي مرجعاً لعامة خلفائهم جرت لي سياحات مكررة في تلك الأرجاء وفي أيلات
كاشغر وقازان حتى سيريا وتلك الأنحاء . وبسبب حرصنا على تعميق طريقتنا صار لها
شروع مهم وانتشار عظيم بين مسلمي هاتيك الديار .

ومن المعلوم ان طريقتنا من أقرب الطرائق للإخلاص وأقلها انحرافاً عن ظاهر
الشرع وهي مؤسسة على الذكر القلبي وقراءة ورد خواجكان ومراقبة المرشد
والاستمداد من الروحانيات وإني لم أكن أفكر قط في أن الذكر وقراءة الورد على
وجه راتب فيه مظنة البدعة أو الزيادة في الدين ولا أن المراقبة والاستفاضة والاستمداد
من أرواح الأنياء والصالحين فيها مظنة الشرك إلى أن حضرت هذه الاجتماعات المباركة
فسمعت وفتحت وأقلت والحمد لله .

على اني صرمت أيضاً على أن أتلف في الأمر بالنصيحة والموعظة الحسنة عسى
ان أوفق لهداية جماهير النقشبندية في تلك البلاد إلى تصحيح وجهتهم بأن يذكروا الله
قلباً ولساناً بدون عدد مخصوص معين قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم بدون هيئة أو كيفية
معينة متى شاؤوا وأرادوا بدون وقت مرتب فرادى ومجتعين بدون تداع . وان يتركوا
المراقبة ويستعينوا عنها بالدعاء بالغفران والرحمة لكل من الشيخهء الدين النقشي
مرشدهم الأعلى وخليفته مرشدهم الأدنى الذي هم مابيعوه .

وقد فتح الله عليّ بركة جمعيتنا هذه فهم أسباب ميل المسلمين في هاتيك البلاد
صالحهم وفاسقهم للانتساب إلى إحدى الطرائق الصوفية وكنت قبلاً أحمل ذلك على
مجرد اخلاص المرشدين والآآن اتضح لي أن السبب هو ان السادة الفقهاء عندنا من
الحنفية والشافعية قد ضيقوا على المسلمين العبادات تضيقاً لا يعلم ان الله تعالى يطلبه
من عبادته وكثروا الاحكام في المعاملات تكثيراً ضيع الناس وشوش الاقتاء والقضاء
حتى صار المسلم لا يكاد يمكنه أن يصحح عبادته أو معاملته ما لم يكن فقهاً .

فوسيع الفقهاء دائرة الاحكام أنتج تضيق الدين على المسلمين تضيقاً أوقع
الامة في ارتباك عظيم ارتباكاً جعل المسلم لا يكاد يمكنه أن يعتبر نفسه مسلماً ناجحاً
لتعذر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته على ما يتطلبه منه الفقهاء المتشددون الآخذون
بالغرائم فبذلك أصبح الجمهور الأكبر من المسلمين يعتقدون في أنفسهم التهاون

اضطراباً فيهن عليهم التهاون اختياراً كالغريق لا يحذر البلل . لأنه كيف يطمئن الخفي العمي حق الاطمئنان في الاستبراء لتصح طهارته وكيف يحسن مخارج الحروف كلها وقد أقسدت العجمة لسانه لتصح صلاته . وكذلك كيف يصحح الشافعي العمي نيته على مذهب امامه في الصلاة أو يعرف شدات القاححة الثلاث عشرة ويتنبه لإظهارها كلها ليكون أدنى فريضته

بل أي عمي يعرف وصف الكلام ومعنى الاستواء وتأويل الوجه واليد واليدن وتعيين الجزء الاختياري وإضافة الأعمال له أو لله إلى غير ذلك ليكون عند الحنفية المازيدية والشافعية الأشاعرة مسلماً مقلداً يرجي له قبول الإيمان ؟ ومن من العامة يحيط عاماً بكل ما ثبت بالنص القاطع حتى صفة بقرة بني اسرائيل مثلاً لكيلا يعتقد خلافه فيكفر فيحبط عمله ومن جملته انتفاخ نكاحه . وممن مسلم يحكم عليه الفقيه الشافعي بأنه نسل سفاح ومقيم على السفاح وراض لمحارمه بالسفاح إلى غير ذلك مما ينافي سماحة الدين ومهابة الدين به في الدنيا قبل الآخرة .

فهذا التصديق صار المسلم لا يرى لنفسه فرجاً إلا بالتجاء إلى صوفية الزمان الذين يهونون عليه الدين كل التهوين . (مرحى) وهم القائلون : ان العلم حجاب و : بامحة تقع الصلحة . و : بنظرة من المرشد الكامل يصير الشقي وياً وبنفخة في وجه المرید أو تفلته في فمه تطيعه الأفعى وتحترمه العقرب التي لدغت صاحب الغار عليه الرضوان (١) وتدخل تحت أمره قوانين الطبيعة . وهم المقررون بأن الولاية لا ينافيها ارتكاب الكبائر كلها إلا الكذب وان الاعتقاد أولى من الانتقاد وان الاعتراض يوجب الحرمان أي ان تحمين الظن بالفساق والفجائر أولى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك من الأقوال المهونة للدين والأعمال التي تجعله نوعاً من اللهو الذي تستأنس به نفوس الجاهلين .

على ان الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين — وأين هم — لقروا منهم فرارهم من الأسد لأن ايس عندهؤلاء الاتوسل بالاسباب العادية الشاقة لتطهير النفوس من أمراض الإفراط في الشهوات وتصفية القلوب من شوائب الشره في حب الدنيا وحمل الطبايع بوسائل القهر والتعزير على الاستئناس بالله وعبادته عوضاً عن الملاهي المضرة وذلك طلباً للراحة الفكرية والعيشة الهنية في الحياة الدنيا والسعادة الأبدية

في الآخرة . وأن التهمين السائل البيان الصوفية الزمان من هذه المطالب التهذيبية الشاقة ومن حقائق العرفان المعنوية التي لا يعرفها ويتألمس بها إلا من وفقه الله وكشف عن بصيرته . وذلك نحو العرفان عن يقين وإيمان أن من أعز كلمة الله أعز الله ومن نصر الله نصره الله ومن توقع الخير أو الشر جازماً نال ما توقع ومن تصفوا نفسه بأنهم رتبه ومن اتكل على الله حقاً كفاء الله ما أمه ومن دعا الله مضطراً أجاب دعاءه إلى غير ذلك من الحقائق المقتبسة من القرآن وأسرار حكمة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم (مرحي)

قال (الأستاذ الرئيس) قد أحسن أخونا الشيخ السندي توصيفه المتفقه المتشدة والمتصوفة المختفة واني ملحق تقريره بما يناسب ان يكون مقدمة تاريخية لبحث التصوف فأقول :

قد كان التنسك في المسلمين شعبة لأكثر الصحابة والتابعين ثم ان التوسع في الدنيا قلل عدد المتنسكين فصار لأهله حرمة مخصوصة بين الناس وصار بعض المتفرغين يقصدون نيل هذه الحرمة بالتألمس بالنسك والزام النفس بالتمرن عليه وإذ كان من لوازم استحصال تلك الحرمة اظهار التقشف اتخذوا الصوف دناراً واسم الفقر شعاراً فغلب عليهم اسم الصوفية واسم الفقراء ثم ان بعض العلماء من هؤلاء المعترين بالنسك أحبوا التميز بالرياسة أيضاً فصاروا يدعون الناس إلى التنسك ويرشدونهم إلى طرائق التمرن عليه ومن هنا جاء اسم الإرشاد واسم الطريق .

وإذ كانت ارادة الاعتزاز بالدين ارادة حسنة لأن فيها اعزاز الكلمة الله فلا يؤخذ بشيء على المرشدين الاواين ولا على البعض النادر من المتأخرين ولو من أهل عهدنا هذا كالسادات السنوسية في صحراء أفريقيا .

أما دخول الفساد على التصوف واضرارده بالدين وبالمسلمين مما ذكره أخونا الشيخ السندي وغيره من الإخوان الكرام فقد نشأ من أن بعض المرشدين من أهل القرن الرابع لما رأوا توسع الفقهاء في الشرع وتفنن المتكلمين في العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته في الإلهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملاً وألبسوها لباساً إسلامياً فجعلوه علماً مخصوصاً ميزوه باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن . وهكذا بعد ان كان التصوف عملاً تعبدياً محضاً جعلوه فناً نظرياً اعتقادياً بحتاً .

ثم جاء منهم في القرن الخامس وما بعده بعض غلاة دهاة رأوا مجالا في جهل

أكثر الأئمة لأن يحوزوا بينهم مقاماً كمقام النبوة بل الألوهية باسم الولاية والقطبانية أو الفوئية وذلك بما يدعون من القوة القدسية والتصرف في الملكوت فوسموا فلسفة التصوف بأحكام تشبه الحكم بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحركات والمثال والخيال والأحلام والأوهام وأنفوا في ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة محشوة بحكايات مكذوبة وتقريرات مخترعة وقضايا وتركيبات لا مفهوم لها البتة حتى ولا في محيلة قائلها كما ان قارئها أو سامعها لا يتصورون لها معنى مطلقاً وان كان بعضهم يتظاهر بحالة الفهم ويتماظ بان للقوم اصطلاحات لا تدرك الا بالذوق الذي لا يعرفه الا من شرب مشربهم

وبعض هؤلاء الغلاة قتلوا كفراً ومع ذلك شاعت كتبهم ومقالاتهم وحازوا المقام الذي ادعوه بمدعاتهم لأن في تعظيم شأنهم ترويج مقاصد المقتفين لآثارهم كالإباحيين . وبعضهم لم يكن من الغلاة ولكن أخلافه اعظاماً لأنفسهم في نظر حتى الأئمة نسبوا اليه الغلو وعزوا اليه كتباً ومقالات لا يعرفها ومنهم الأفاعيون يفعلون ذلك حتى في عهدنا هذا ولا حول ولا قوة الا بالله (له بقية)

(المنار لقد بانغ الرجل رحمه الله في التقدير للقوم في مجموعهم حسنات لم يذكرها كما ان لهم سيئات وقد بينا ما لهم وعليهم من قبل

باب الاستمطار والكهربائية

(س ١) الاستمطار بالكهربائية ومفاتيح الغيب — محمد افندي كامل الكاتب بمحكمة أسبوط : رأيت في بعض المجلات أن علماء الطبيعة في اليابان أمكنهم أن يستحدثوا سحبا ويستمطروها حسب أهوائهم . ورأيت في مجلة أخرى أنهم في بلاد الانكليز يستمطرون السحب الطبيعية . وقد ورد في القرآن الشريف للإعجاز أن الخالق جات قدرته هو الذي ينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام الخ . وورد أيضاً أن الغيث ينزل بقدر معلوم وان الله تعالى هو الذي يرسل السحاب حيث يشاء . فهل ما ذكر عن الانكليز واليابان ينافي الإعجاز الوارد في القرآن وما حدده من علم الانسان بالكائنات؟

ترجو البيان وتفسير الآية « نفخنا الله والمسلمين بغزارة علمكم » اه باختصار (ج) ان الأئمة الاميركية هي السابقة الى ادعاء إمكان الاستمطار بالعمل وذلك

بإرسال مقدار عظيم من الكهرباء في الجو تنتشر في السحاب فتجتمع بها دقائق

البخار فتكون ماء فينزل مطراً . ويقال انهم جربوا ذلك فتجح بهض التجاح ولكنه لم يأت على حسب المراد ، ويعبر خاضعاً لكسب الإنسان بفعله متى أراد ، والذي نههم الى هذا . لاحظت حدوث المعطر عقيب الحرب حيث تطلق المدافع فتحدث في الجو تغيراً عظيماً .

وليس من المحال عقلاً ولا شرعاً أن يصل علم الإنسان بسنن الله في الخلق الى حد يستمطر به السحاب متى شاء فان الله تعالى لم يجعل لعلم الإنسان بالكائنات حداً معيناً بل تشير آيات القرآن باطلاقها الى أنه لا حد له كقوله تعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض » ولا ينافي ذلك ان حصل كون الله تعالى هو الذي ينزل الغيث وكونه ينزله بقدر معلوم فان ما يناله الإنسان بسعيه وكسبه لا يخرج عن قدرة الله تعالى وعلمه ولم يرد ذلك للايجاز . أرايت هذه الينابيع التي تفجرها ، والآبار التي تحتفرها ، أهي تخرج بكسبنا عن سلطة القدرة الإلهية . وتحتجب بسمينا عن علمه المحيط بالبرية ، كلا

أما قوله تعالى : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت » فليس نصاً في في كون علم الإنسان لا يصل الى معرفة شيء من هذه الأمور . ولكن يشبه على الناس تفسير قوله تعالى « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » بهذه الخمس المذكورة في الآية كما في حديث أحمد والبخاري . وقد قال الإمام الرازي وغيره أن المراد مفاتيح خزائن الغيب أي فلا يعلم جميع ما في خزائن الغيب إلا من بيده مفاتيحها وهو الله تعالى . وقد ظهر لي في أيام طلب العلم وقراءة التفسير وجه دقيق لجعل هذه الخمس مفاتيح للغيب ولم أر أحداً من المفسرين تعرض لذلك . وقد عرضت هذا الوجه يومئذ على أستاذنا الشيخ محمود نشابة وعلى شيخنا القاوجي (رحمهما الله تعالى) فاستحسناه وكتبته في كتابي (الحكمة الشرعية) وهو :

ان المفاتيح جمع مفتاح بفتح الميم أو كسرهما بمعنى الخزائن أو المفاتيح والغيب ما غاب عن الناس وهو عالم الآخرة وعالم البرزخ بين الدنيا والآخرة وبعض عالم الدنيا وهو النبات الذي لم يفت والحوان الذي لم يولد وما تكسبه النفس في المستقبل . فالساعة مفتاح عالم الآخرة والنيث مفتاح عالم النبات وما في الارحام مفتاح عالم الحيوان وقوله تعالى « وما تدري نفس ماذا تكسب غداً » ظاهر في مفتاح الكسب والاعمال التي ستحدث . وكذلك كون الموت مفتاح عالم البرزخ ظاهر في باقي الآية . اه وفي الكتاب

تصوير لمعنى الآية بصورة أخرى . ولك أن تسمى الموت برزخاً ولا تجعل البرزخ عالماً
(س ٢) الأعطار الأفرنجية - ١٠ ز . غ . في السويس : أرجو الافادة عن

المطر المسمى (بالوندا) ونحوه أطاهر أم نجس الخ

(ج) هو طاهر كما ي بناء بالأداة في الصفحة ٥٠٠ من المجلد الرابع فليراجع السائل

(س ٣) الخطباء والموضوعات - ١٠ ع . بالازهر : صلياً آخر جمعة من جمادى

الثانية في الازهر الشريف فمعنا الخطيب ذكر في الخطبة الحديث الذي كنتم ذكرتم
في المنابر انه موضوع وهو من صام يوماً من رجب فله كذا الخ فاذا كان ما نقلتم عن
المحدثين من وضعه هو الصحيح الثابت فكيف تجرأ خطيب الازهر على اسناد
الاحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم اليه وهو بخطب على رؤس أشهر
علماء الدين في المسلمين . وهل يجب منع امثال هؤلاء الخطباء من ذلك أم لا

(ج) جاء في فتاوي ابن حجر المكي الحديثية أنه سئل عن خطيب يرقى المنبر
في كل جمعة ويروي احاديث كثيرة ولم يبين مخرجها ولا روايتها . فذكر في الجواب اشتراط
معرفة الحديث في جواز ذلك أي أن يكون الخطيب محدثاً يروي ما صح عنده أو
ينقله من كتب الحديث المعتبرة . قال : « واما الاعتماد في رواية الاحاديث على مجرد
رؤيتها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث أو في خطب ليس مؤلفها كذلك فلا يحل
ذلك » من فعله عزير عاينه التعزير الشديد . وهذا حال أكثر الخطباء فانهم بمجرد
رؤيتهم خطبة فيها احاديث حفظوها وحفظوا بها من غير أن يعرفوا أن لتلك الاحاديث
أسلاً أم لا . فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك ويجب على حكام
بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه ما هو ولا يخفى أنه ليس عندنا في هذا العصر
حفاظ ولا محدثون فيا ليت مدير الاوقاف يلزم الخطباء بتخريج الاحاديث من الكتب
الصحيحة وضروها في الخطبة الى مخرجها كالبخاري ومسلم وغيرها من الحفاظ

والذي ساق الخطباء الى اختيار الاحاديث الموضوعة والواهي هو التزامهم انشاء
الخطب في مدح الشهور والمواسم المبتدعة . واذ لم يجدوا حديثاً صحيحاً ولا حسناً في
صوم رجب ذكروا المكذوب والواهي . أكثر المشتغلين بالعلم جهلاء بالحديث ومن
كان منهم عالماً به في الجملة فهو غيّر عامل فلا ينهي عن المنكر ولا يأمر بالمعروف ولذلك
استمرت هذه المنكرات حتى كاد يعدمها العامة من ضروريات الدين ، ألا تراهم يحتفلون
بصلاة الرغائب في دار السلطنة وغيرها وهي كما نص الفقهاء والمحدثون بدعة مذمومة
(راجع بدع رجب في المجلدين الثاني والثالث)

(س ٤) القراءة على القبر — الشيخ احمد حامد بدوي بالأزهر : قرأت في رواية
عذراء قرين ، لحضره جرجي القندي زيدان ، انه لما استند الخلاف على عثمان
رضي الله عنه دخل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عند قبر رسول الله عليه الصلاة
والسلام وشكا اليه حال الأمة ودعا لها ثم قرأ الفاتحة ، ونحن نعتقد أن قراءة القرآن
لا تجوز على القصور مطلقاً فحسب هذه السطور لنسأل المتأهل هل ما نعتقد صحیح أو يجوز
قراءة القرآن كما فعل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (كما قاله صاحب الرواية)
والاسلام منكم مزيد النضل والشكر

(ج) ان الأخبار والآثار التي يحتج بها شرعاً لا تؤخذ من القصص ولا من
كتب التاريخ وإنما تؤخذ عن المحدثين الذين يبنون أسانيدهم ليحتمل الاحتج بها أم لا .
فالأثر المنقول في الرواية غير صحيح ولو صح لجاء فيه الخلاف في الاحتجاج بعمل
الصحابي ثم يقال بعد هذا ان العلماء مختلفون في جواز القراءة عند القبر ولا بد أن
يكون اعتقاد السائل بالتمتع مبني على عدم الاعتماد بما ذكره المجيزون من الدليل فكيف
يعتد بعد هذا برواية في قصة لمن ليس من أهل الحديث ؟ وقد ذكرنا رأينا في المسئلة
من قبل فلا نصيده فليراجع السائل الجزء الرابع من هذه السنة والمجلدات السابقة

باب الاخبار والآراء

أرجأنا تمة ترجمة السنوسي الى الآتي

(الاسلام والدولة البريطانية)

لهج بعض الجرائد في هذا الايام بمقالة لكاتب انكليزي اسمه (مسترد . ج . كوربت)
نشرت في الجزء الخامس من كتاب انكليزي كبير في الدولة الانكليزية ومستعمراتها .
عنوان هذه المقالة (الاسلام والدولة البريطانية) وقد ارسلها كاتبها الى بعض الجرائد
الاسلامية ومنها جريدة المؤيد وطلب منها رأيها فيها وقد عبرتها جريدة المؤيد
ونشرت التعريب في ستة أجزاء فكان له وقع عظيم عند المسلمين . ونحن نلخص
عيون المقالة في اربع مسائل

(١) انكلترا أكبر دولة اسلامية يقول الكاتب في اثبات هذه المسئلة ان المسلمين
الذين تحكمهم الدولة العثمانية ستة عشر مليوناً ونصفاً بحسب الإحصاء الرسمي
والذين تحكمهم دولة الصين ٣٢ مليوناً والذين تحكمهم روسيا ستة ملايين . وهذه
الدول الثلاث أكثر الدول تابعاً من المسلمين بعد انكلترا التي تحكم ١٠٧ ٠٧٦ ٨٠٤

مسلمين . وقد بين الكاتب ذلك بالتفصيل في ثلاث جداول احصائية . واستدركت عليه جريدة المؤيد قائلة ان هذه الجداول مأخوذة من احصاء ١٨٩١ وقد زام عدد المسلمين في المستعمرات الانكليزية في العشر الاخير زيادة عظيمة فقد كان عدد مسلمي الهند في العشر الماضي ٥٧ مليوناً وصار عددهم بحسب الاحصاء الاخير ٨٧ مليوناً بل ٨٩ مليوناً و ١٢٥ ألفاً . وبالجملة ان المؤيد قدر عدد المسلمين الخاضعين للانكليز ١٣٨٧٠٦٧٤٠ وقال ان هذا المجموع أقل من الحقيقة بكثير

(٢) معاملة الانكليز للمسلمين : يقول الكاتب ان المسلمين في المستعمرات الانكليزية يتمتعون بالحرية الدينية ويرتقون في معارج الحياة الاجتماعية ويزدادون بالتدريج ثروة وعلماً وأدباً وستكون الهند مصدراً لمدينة آسيا ومصر منبعاً للحياة ما يجاورها من آسيا وأفريقيا . ثم انه مع هذا ينسب الى قومه الانكليز التقصير في القيام بمصالح المسلمين وينبت لهم ان مستقبل بريطانيا العظمى مرتبط بمستقبل المسلمين ومصالحهم مقرونة بمصالحهم . ويقول ان الانكليز ارتكبوا هفوات مع المسلمين جهلاً وغروراً ونقل عن الدكتور ايتنر الذي وصفه بأنه حجة ثقة جملة جاء فيها أن الصلاة انقطعت بين الانكليز والمسلمين في الهند بابطال محكمتي الصدر الديواني ونظام عدالت

قال الدكتور « وان أحكام محاكمنا (أي الانكليزية) صارت بعيدة عن الغرض المقصود لجهل قضائنا باللغة العربية التي لا يمكن أن يكون لأحد مع المسلمين نفوذ بدون معرفتها لارتباطها بالشريعة الحمديدية ارتباطاً انفكاً له . » وينقل الكاتب عن هذا الدكتور أيضاً القول بوجوب رد الانكليز المرتبات والهيئات التي منعت عن المسلمين بغير حق ليستمنوا بها على « التربية الدينية والأدبية اللازمة للأمة الحمديدية » . ويقول اذا اتينا نصيحة الدكتور فاننا نكفر عن سيئاتنا الإدارية وغلطاتنا السياسية التي وقعت من بعض حكام الهند قديماً خصوصاً إقفال ابواب المدارس العليا في وجوه الناشئة الاسلامية وما تبع ذلك من التضيق عليهم في وظائف الحكومة . ويعترف الكاتب للسيد احمد خان بأنه كان هو السبب في تقرب الانكليز من المسلمين وانهم خطوا بسعيه خطوات واسعة ويمدح مدرسته التي كانت مساعدة على هذا التقرب وازالة سوء التفاهم بين الفريقين . ويوجب على الانكليز مساعدة المدارس التي تربي الناشئة على الاستقلال ومحاسن الاخلاق وصفات الرجولية كمدرسة احمد خان

(٣) ارتباط مصلحة الانكليز بالمسلمين : قال يجب علينا وراء التكفير عن سيئاتنا ومساعدة اخواننا المسلمين على الترفي أن نزيل ماعاق بأذهان بعضنا من سوء فهم

الدين الإسلامي فإن نتيجة هذا الجهل جعلهم أعداء لنا - ثم نقل أن المسلمين دعوا الله تعالى في مساجد الهند بأن ينصر الإنجليز على البور واستدل بهذا على إخلاصهم لحكومتهم وعلى وجوب جذبهم اليها لكيلا تصيبهم السموم التي ينقها أعداؤها . وذكر الأفغان وما يكون لهم من الشان إذا حاربت روسيا الإنجليز في الهند وانتقل إلى أفريقيا وذكر قوتالستوسيين فيها وازدياد نفوذهم وانما ستكون وبالا على الإنجليز إذا هم لم يجذبوا المسلمين إليهم فانهم لا يلومون في المستقبل إلا أنفسهم

قال : • الواسطة الوحيدة لتمكين سلطتنا في آسيا وأفريقيا هي أن نبذل جهدنا في إقناع المسلمين أن مصالحها الدينية والسياسية مرتبطة بمصالحنا وانهم بخدمة مصالحهم يخدمون مصالحنا ونحن كذلك • ويلزم المسلمين لذلك أن يعلموا أن كثيرا من معتقداتهم التي يحسبونها من الدين ليست منه ولا جاء بها كتابه • يقول القاضي سيد أمير على أحد بهاء المسلمين : • إن سبب تأخر المسلمين وبقائهم على ما هم عليه من التأخر يرجع في الغالب إلى ما رسخ في أذهانهم من أن لا حق لهم في استعمال عقولهم في فهم دينهم لأن ذلك قد انتهى بانقراض المجتهدين الأولين فصار الاجتهاد بعدهم محرما • وأن المسلم لا يكون مسلما حادقا إلا إذا كان مقلداً للذهب من المذاهب المعروفة • فيترك المسلم ما يعتقد وما يفهم ويمسك بأراء أهل القرن التاسع من المفسرين والفقهاء غير ملتفت إلى الآراء والأفكار التي وصل إليها العالم في القرن التاسع عشر •

وقد ختم الكاتب كلامه بذكر حركة العالم الإسلامي الآن للترقي وحث على الإنجليز مساعدة هذه الحركة والاستفادة منها وعلق الأمل في ربط الامة بين افريقيين بمسلمي إفريقيا (٤) دين الإسلام دين مدنية : انتهى الكاتب على الإسلام بناء من فهمه ورد على المعارضين عليه بفهم وعقل ونقل اقوال ثقات الحكماء والعلماء الغربيين في مدحه واجاب عن الاعتراضات المشهورة بأجوبة حسنة . وربما تلخص تلك الاقوال والمدائح بعد • وان لنا كلاما في الوفاق الاسلامي الانكليزي نذكره في الجزء الآتي

﴿ مثال من أمثلة طفولية الأمة — جمعية مكارم الاخلاق ﴾

يسرف قراء النار أن جمعية وجدت في القاهرة سميت (جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية) ثم وجد لها فروع في الزقازيق والاسكندرية وغيرها • وقد أقبل الناس في القاهرة على الجمعية حتى صار أعضاؤها يعدون بالمئين أو تجاوزوها وأنشأت الجمعية مجلة سمها باسمها بلغ عدد المشتركين فيها بعد أشهر من ظهورها زهاء أربعة آلاف

مشارك . وكان الفرع الذي تفرع منها في الزقازيق اكبر الفروع نفعا وأعزها نفراً
فانه أنشأ مدرسة وعال بعض الفقراء . ولكن الجمعية الكبرى لم يثبت أن انحلت وابطالت
بجانبها بعد مرض عرض على ادارتها وغول غال مالياتها . وظلت جمعية الزقازيق بعد
سقوط أمها قائمة على طريقها حتى جاءنا في هذه الايام خبر سقوطها وابطال مدرستها
وبيع ادواتها وأثاثها واقتسام الاعضاء له

يعلم الله أننا نكتب هذا بمذاد الاسف والامتعاض . ويعلم اهل الفضل والمروءة
من افراد الجمعية بعض ذلك متناجحتنا اياهم على احياء الجمعية في القاهرة وتعيين رئيس
لها صالح للإدارة بخدم الجمعية للجمعية . واننا لم نياس من همة هؤلاء الفضلاء
فإن كان النهوض بعد السقوط عسراً فهو اذا حصل أجدر بالثبات واخرى بالدوام
ويسرنا بقاء فرع الجمعية في الاسكندرية ثابتاً وقد احدث للمجلة مطبعة واعاد نشرها .
ولا شك ان اهل الاسكندرية أرقى في الحياة الاجتماعية من اهل الزقازيق ولكنهم
يسوا في مجموعهم بأرقى من اهل القاهرة فاعمل هؤلاء بحقوق رجاءنا فيهم ولا يقطعونهم
سقوط الطفل قبل فطامه ، من نهوضه وقيامه

(تصحيح) في السطر ٥ من الصحيفة ٤٠١ كلمة (الارحم) وصوابها (الارحبي)
وفي س ١٨ و ١٩ من ص ٤١١ : (بصري الاصل . ابن الامير) والصواب (بصري)
الاصل ابن الامير) وفي س ١٢ ص ٤٣٢ (تجربوني) والصواب (تجربوني) .
وفي س ٤ ص ٤٤٣ (بالخايقة) والصواب (في الخايقة) وفي س ٣ ص ٤٤٤ (بها)
والصواب (فيها) وس ٢١ ص ٤٤٤ ايضاً (دعا) والصواب (دُعي) وفي س ١٨
ص ٤٤٧ (وان نجد لسننتنا) والصواب (ولا نجد لسننتنا) وفي س ٧ ص ٤٤٩
(الاصل الرابع) وصوابه (الاصل الخامس) وايصح ما بعده من الاصول على الترتيب .
وفي س ١ من هامش ص ٤٥٦ (لوقا ١٥ — ٢٥ و ٢٦) والصواب (لوقا ١٤ — ٢٦)

﴿ محادثة بين صاحب جريدة الحاضرة ورئيس تحرير جريدة فرنسوية ﴾

اجتمع صاحب جريدة الحاضرة العربية الوحيدة في تونس بموسيو تريدون
رئيس تحرير جريدة الديش تونزيان وتكلما في موضوع التعليم الذي تبغيه فرنسا
بتونس . فرأينا أن نلخص ما دار بينهما لما فيه من العبرة للمسلمين الذين استعمر
بلادهم الاوربيون أو احتلوها باسم الحماية أو غير ذلك ،

(الصحافي الفرنسي) : ما قولك أيها الرصيف في المقالة التي نشرت اليوم في

حريدينا تحت عنوان (ماهي النسبة التي عاينا أن نعلمها) في التونسيين (عاينا)
جواباً على مسألة في هذا الشأن نشرت في التونسي جرائد بحث على سرد
التونسيين من نعمة التعليم العالي الموصى الى السامح الفخرية النافعة من حيث وهذا سنة
وخصام (كذا وأعله يريد الحق) وتبرير في رأيي بحريه هذه الفريدي ان نظام
الحماية قاض لا يقاء التونسي دائماً في دناي نجهل حتى لا يتبدى الى الحواس والتفري
الفكري سيلا وبماملته كما تعامل البونم حتى لا يطمح الى الاستقلال ولا يتوصل
الى انكار ما يلحقه من الأذى والنظم

(الصحافي التونسي) بعد جملة في مدح العلم : هل تشكرون ان فرنسا احتلت
عنا التطلعات أنوار العرفان ونشر راية المدنية بين أهالي المملكة فكيف يمكن
الجمع بين هذه التديوي وبين قضية حرمان شبان التونسيين من التعليم

(الفرنسي) : نحن لم نقل بحرمان التونسي من كل تعليم بل زدنا على السماح له
بالتعليم الابتدائي أن أجزنا أن يتعلم بعض الأفراد العلوم العالية بصفة استثنائية خاصة
لا عامة لأن انتشار العلوم العالية يتقف العقول ويفتح البصائر ويولد الطمع بالاستقلال
في نفوس المسلمين لما هم عليه من صفات الرجولية والشجاعة وحب الجلال والحفاظة
على شعائرهم بخلاف اليهود فإنهم لا وطن لهم ولا مطامع سياسية وهم بكثرة تقليد هم
وميلهم لمجانسة الأوربي كادوا أن يكون على صبغته فحقن على خلاف رأي التونسي
فرانسييس ترى تقييد نشر العلوم العالية وتخصيصه ببعض الشبان لحرمان جميع
الأفراد منه بالرة

(التونسي) : لعلكم سلكتم هذا المسلك مصانعة لأصحاب الاسهم من التونسيين
(وفي الأصل مراعاة لحاظ أصحاب الاسهم)

(الفرنسي) : ربما كان ذلك من جملة الاسباب ولكن هذا هو رأينا الخاص
(التونسي) : كيف يسوغ ذلك التقييد والعلم نور ساطع لا يمكن إخماده وفي
محاولة حجب عن الناس خصوصاً القادرين منهم على اقتباسه بأنفسهم من إيقار
الصدور وجاب البغضاء ما لا يليق بدولة حرة هي قدوة الأمم في ترقى الفكر

(الفرنسي) : لقد ضيق الانكاز من قل دثرة تأتي الشبان المصريين للعلوم
العالية في مدارس الحكومة

(التونسي) : لكنهم لم يتمكنوا من منع النهضة نصرية التي أغنت الأمة عن

وعدوا عن هذه الفكرة في تلك الفترة حيث أقام أشهر القوم وسرهم المدارس
الكثيرة للعلوم العالية من صيغة واحدة مبرنة وذلك لأنهم رأوا هذه السياسة أكفل
إيماناً وثباتاً ومناخاً متقدماً

في تلك الفترة حيث اكتشف أذهان التونسيين ذمة العلوم العالية وأن لا يخرجوا
مجموعاً أساندة فاقين على النفع والانتفاع بحضارتهم حتى تأمن مقاديرهم فلا يسلكوا
في ذلك المكي كيون في التحامل على الحكمة ونظامات التونسية

التونسي : هذا كلام فيه نظر فإن كمال التعليم بقي الكمال من الخنوح الى
البطل ويملك به طريق الجهد والعمل السافح له ونقومه وإن تطرف المكي كيون من
ثمرات التعليم الابتدائي انتاقص الذي يجيزه

(الفرنسي) : لو تجنس كل نابغ في العلوم العالية بالجنسية الفرنسية لما أوجسنا
منه خيفة لأنه حينئذ يكون عضواً فرنسياً يؤدي واجب الخدمة العسكرية من عهد الشبيبة
(التونسي) : هل يتساوى بهذه الجنسية التونسي والفرنسي في جميع الحقوق
والمصالح ؟ اننا رأينا من خواص الفرنسيين من لا يرى هذه المساواة مطلقاً ويعيب
بجائسه بجدانة التجنس

(الفرنسي) : ذلك لأنهم مع التجنس وبعد أداء الخدمة العسكرية في الجيش
يعودون الى عوائلهم يلبس الطربوش وربما ايسوء عثمانياً وارتداء لباس البادية
والإقبال على الصلوات والأذكار !!!

(التونسي) : لعلكم تقصدون بالتجنس ترك شعار الدين وتغيير الأزياء ولو
شاطركم المتجنس في أعز الامتيازات الوطنية كمشاطرة اليهود لكم في الامتيازات
الوطنية كمشاطرة اليهود لكم في الحقوق والمصالح الحيوية بتغييراتهم الصورية ؟ فهل
الخاص لكم من يترتباً بازياؤكم مع العلم بان لبس الزنار لا يقتضي التهرب ؟ وهل
تنطبق هذه الأفكار على حرية (الدين) ان لم نقل ترك الدين ؟ الا بعد هذا لو صدر
من مسلم من التعصب الذميمة والتفالي للمقوت في عرف مدينة هذا العصر الذي ضيقت
الحكومة فيه على مدارس الرهبان ؟

(الفرنسي) : انما نقصد نحن امتلاك القلوب ولذلك نود أن يتنازل لنا المسلم عن
أحكام دينه الذاتية كالأنكحة والمواثيق مما هو مصداق الحالة الشخصية

(التونسي) : اذا كان القصد من التجنس هو تغيير الدين وأصوله الأساسية بما يخرج المسلم عن دائرة دينه وملكته فهو مما لا يرغب فيه مسلم ذو مروءة لأن المارق من دينه محقوت عند الله وعند الناس ولو كان دخيلا فيهم . ثم ان في التجنس بهذه الصفة قلب الهيئة الاسلامية بتغيير الأنساب والنسب في الموارث وحقوق الزوجية في التصرف اذ المرأة عندنا حرة لا يتوقف تصرفها على اذن زوجها الى غير ذلك من مسائل الارحام والأنساب التي جاءت بها أحكام الشريعة الاسلامية المنزلة . فلماذا لا تتغير أحكام القانون الفرنسي الى الاحكام الاسلامية ؟

(الفرنسي) : الحق لكم في هذا البحث فان نسبة الموارث مقصودة لأجل ابقاء الميراث بيد الذكور أعمدة البيوت وهو ما تصده الانكليز من احكامهم في هذا الباب . على انه لا مانع من البحث عن طريقة للتوفيق بين مصالح الهاتين الاهلية والفرنسية لدوام اللفة وحسن المعاشرة في هذه الاوطان

(التونسي) : ذلك أحسن مرغوب تنجيه اليه القلوب وترتاح له النفوس ويا حبذا لو سعت الجرائد المحلية في تحقيقه . غير اني اقول بالاجمال : ان اكفل وسيلة لبلوغ هذه الامنية هي توزيع الفوائد والمغانم وتقسيم المنافع المادية بصورة عادلة توفر الاهالي حظا من فوائد القطر ومغانم حسية كانت او منوية كالوظائف والمساعدات المادية والادبية والحث على الترقى الفكري الذي هو ثمرة المدنية . (قال) ثم وادعنا رصيفنا الموحي اليه قائما بما ونحناء له من الخطاب . اهـ

(النار) نقلنا هذا الخطاب بتصريف لفظي قليل لا يغير شيئا من المعنى ولا نستبسط منه شيئا بل ندعه للقارئ يفهم منه ما يفهم . ونعرف رصيفنا الفاضل صاحب الحاضرة بأن الانكليز لم يحاولوا مقاومة التعليم الأهلي فيقال انهم انهم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية الخوان المدارس التي حدث عنها لم تكن عن مدارس الحكومة ولا قاربها في حسن التعليم ولوان المصريين عرفوا قيمة حرية الانكليز في العلم والدين وكل ما يحتاجه من يتولون امورهم لكنت لهم مدارس كما وصف الرصيف ولكنهم رزوا باحداث ينفذون اليهم الانكليز واعمالهم ويمتدحونهم بأن فرنسا ستخرجهم من وادي النيل بهذين اولئك الاحداث وانقطعوا فاشتغلوا بهذا عن كل شيء حتى علمهم الزمان بحوادث حقيقة غرور الاحداث وتغريهم والآن صار يرجي منهم النهوض الحقيقي والتعليم النافع فان فعلوا فان الانكليز يساعدونهم كما يساعدون اخوانهم في الهند والله الموفق

البدع والانحرافات

وَالْبَقَالِيدُ وَالْعَجَائِلُ

﴿ مثال من أمثلة تعصب النصرانية على العلم ﴾

صاحب مجلة الجامعة الذي يدعي أن النصرانية أكثر تسامحاً مع العلم من الاسلام ارتوذ كسي المذهب . وفي القاهرة جريدة لارتوذ كسي آخر تصدت للانتصار له والتنويه بخدمته وفلسفته وهذه الجريدة دينية اخبارية وان لم يكتب عليها (دينية) وقد نشرت في العدد الذي انتصرت فيه لصاحب الجامعة المحترم مقالة عنوانها (المدارس والاكليرس) يصح أن تكون مثالا أو ان يؤخذ منها مثل متعددة لتعصب النصرانية على العلم حتى اليوم « من فك أدينك »

جاء في المقالة أن عاملين يتنازلمان النجاح وعدمه في تعليم الاولاد « الأولون التعصب الديني الذي يحمل الآباء على ارسال اولادهم الى مدارسهم الطائفة سواء كانت مفيدة أو غير مفيدة » الخ « والثاني النظر الى المستقبل » وذكر أن الناس يتراوحون بين هذين العاملين ثم قال مانصه بحروقه :

« وما زلنا نرى الناس في هذا التضعع نرى رؤساء الاديان مع الفئة الاولى المتعصبة يسمعون الى الضغط على الافكار وارغام الاهالي التابعين لهم على ارسال اولادهم الى مدارسهم كأن يقولون لهم اركوا مستقبل اولادكم وحافظوا على صحة اعتقادهم لأن هاته المدارس ما فتحت في بلادكم الا لتسلب منكم اولادكم وتضطربهم الى ترك معتقدات آبلهم وأجدادهم

« وهذا ما قاله أيضاً غبطة البطريرك المسكوني ونقله لنا البريد الأوربي فقد حله في جريدة الثان لمكاتبها في الاستانة : « أصدر غبطة البطريرك المسكوني لاروم الارتوذ كسي في الاستانة منشوراً شديداً للهجة الى جميع المطارنة ضد المدارس الدنيئة الفرنسية حرض به أبناء الطائفة الارتوذ كسية أن لا يرسلوا اولادهم اليها » اه فهل سمع مثل هذا عن شيخ الاسلام في الاستانة أو شيخ الازهر في مصر ؟ ليست المدارس الفرنسية ملأى بولاد المسلمين المخالفين لهم في أصل الدين لاني

مذهب من مذاهبه كالحلاف بين الكاثوليك والارثوذكس . نعم ان الاسلام ليس فيه سلطة دينية تحمل الملقب بشيخ الاسلام أو شيخ الازهر مسيطراً على الناس ولكن فيه وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجدر الناس بالقيام بهذا الواجب ، هم الذين يرتقون الى مثل هذه المناصب ، ولكن تسامح الاسلام قد غلب حتى خرج عن كونه تسامحاً وتساهلاً وصار اهماً وتقريباً

نسب صاحب هذه الجريدة ما نكتبه في الرد على صاحب مجلة الجامعة الى رجل صاحب منصب سام في المسلمين وما كان له ان يصرح بظنه لأن الحق يعرف بذاته لا بقتله والباطل كذلك ولأن آداب الصحافة تقضي بذلك فليس لي اذا رايت مقالة متقدمة في جريدة منسوبة لكاتب غير معين ان أنسبها لمعظم احب غميزته والنيل منه او احب ان اجعل نفسي مناظراً له ليتوهم الجاهلون بي وبه انني من نظرائه . ولم يكتف صاحب الجريدة المشار اليها بالنسبة المذكورة والمقارنة بين شاب من المتدينين في الكتابة من اهل مذهبه وبين هذا الشيخ الجليل الذي ذكره بل خرج عن الموضوع في عدد آخر (وهو العدد الأخير) واتى بجانب اسمه بما لا يليق أن يصدر من السوقة . هذا وكل من قرأ الرد على الجامعة أعجب بزهارة الكلام وادبه لانه لا يشم منه رائحة تحقير احد فليس فيه ان صاحب الجامعة « اساء الفهم وبجاهل » ولا « انه حقر المسلمين » بل كل ما فيه سرد القول من كتب الدين وكتب التاريخ وما يقادر الى الفهم منها مع الاعتذار عن المعارض على الاسلام والمسلمين والتناء عليه بما عده الناس فوق ما ينبغي . فما كان لمن عومل هذه المعاملة ان يعامل بضدها من عدهم من الاصدقاء ، وهو مأمور بحجة الاعداء ، ولا أن يستجد ابن مذهبه ليقول في الانتصار له مالا يقوله هو أو يرضى منه ذلك ليحقق التهويل الذي اشار اليه وأرجف به وتبرأ من تيمته والفاها على من رده عليه . تلك آداب دين التعصب والغلظة وهذه آداب صاحب الجريدة المنتصرة لدين المسامحة والمسائلة ومحبة الاعداء . أقام الله منهم ادلة على دعاويهم ، وأيد كلمة الحق بما تنقذه افواه متأدبهم ،

وبقي ان نقول ان فضلاء المسيحيين وأدباءهم قد قدروا الرد الذي نشره قدره وعرفوا قيمته اذ فهموا انه ابلغ ما كتب في اقناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة مع المخالف في الدين ، ووجوب الأخذ بأسباب الارتقاء الذي هو الوسيلة الوحيدة لسعادة الشرق والشرقيين ، ولو تأتى الرصيف المحترم صاحب الجامعة القراء وصبر حتى قرأ

الرد كله (ولم يحكم بأنه ٣٥ صفحة فقط ٠٠٠) لجاز ان يظهر له منه ما ظهر لعلماء
المسيحيين وكبار كتابهم من انها كبر خدمة خدم بها الشرق ، والله الهادي الى سبيل الحق

﴿ سخافة بشار السلام . في الجاهلية والاسلام ﴾

نشرت مجلة بشار السلام الانجيلية في جزئها التاسع نبذة في الجاهلية والاسلام
زعمت فيها ان الاسلام في عقائده وأعماله دون الجاهلية وقد توسعت في الكلام على
الركن الأعظم في الايمان وهو توحيد الله تعالى فزعمت أن الاسلام زاد الجاهلية وثنية
على وثنيها !!! واحتجت على ذلك بستة أمور (١) كون الايمان بمحمد محمداً بعد الايمان
بالله تعالى فجعلت هذا شركاً بالله وما هذا الا الايمان بالوحي والرسول فان من ينكر نبوة
موسى أو عيسى كافر عند المسلمين كمن ينكر نبوة محمد عليهم الصلاة والسلام . فيظهر
أن الايمان بالوحي شرك ووثنية عند الكاتب الانجيلي . وتعييره بمقارنة الاسمين في
الشهادتين لا يزيد الشبهة قوة فان صيغة الشهادة المروية في الصحيحين هي «أشهد أن لا اله
الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله» فهل يكون العبد رباً وآلهماً ؟ وأما المقارنة في
الذكر قولاً وكتابة فهي لا تمتنع الا اذا حرم ذكر الله تعالى ومنع بالمرءة ؟ الا يقول
الكاتب : رحم الله فلانا ونحو هذا ؟ وقد كبرت على الكاتب كلمة توجد في بعض كتب
المسلمين وهي ان كلتي الشهادة مكتوبتان على العرش قبل خلق السموات والارض .
القول بهذه الكتابة ليس من عقائد الاسلام فن عاش ومات ولم يسمع بها أو سمع ولم
يصدق بأنها وردت في الحديث بالمرءة فلا يعد هذا ولا ذاك نقضاً لإيمانه ولا نقضاً منه .
واذا قلنا ان هذه الكتابة ثبتت وصحت فأي وثنية فيها والآله آله والعبد عبد ؟ نعم ان
ذلك يدل على التثنية . وهل يقول الكاتب ان جميع عباد الله سواء في معرفته
وعبادته وتفع خلقه وان تشريف بعضهم وتفضيله على الآخر شرك بالله . وان التوحيد
الحال هو ان يعتقد الانجيلي بأن موسى كفرعون وابراهيم كنمرود بلافروق ؟ هذا
هو فهم دعاة النصرانية في الدين . وهذا ما يتقنون من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين
(٢) زعم الكاتب ان المسلمين أنزلوا حديث النبي منزلة القرآن وجعلوها سواء في
أخذ الاحكام مع اعتقادهم بان القرآن كلام الله والحديث كلام محمد . وزعم ان الشيعة
تركوا الحديث فاسخطوا أهل السنة . وكل من الزعمين باطل فاهل السنة لا يقولون بان
القرآن والأحاديث سواء والشيعة لم يرفضوا الأحاديث . القرآن أصل الدين والسنة مينة
له قال تعالى «وأأنزلنا اليك الذِّكْرَ لتبين للناس ما نزل اليهم» وللقرآن خصائص ومزايا

ليست السنة كوجوب الايمان بجميع ما فيه وكالتعبد بتلاوته . وأما الأحاديث فلا يضر في الايمان انكار أي حديث منها (ومن ثبت عنده شيء بالتواتر لا يستطيع انكاره وان لم يكن حديثاً فلا يجبي الحديث المتواتر هنا) وهي على أقسام فما كان منها متعلقاً بأمور الدنيا لا يجب الأخذ به ويجوز أن يكون خطأ كما في حديث تأييد النخل الصحيح وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أتم أعلم بأمور دنياكم » وما كان متعلقاً بأمر الدين فإما أن يكون عن اجتهد وإما أن يكون عن وحي . أما اجتهد الانبياء فقد جوز علماء أهل السنة ان يقع فيه الخطأ ولكن لا يُقرّون عليه بل يأتيهم الوحي ببيان الحق لئلا يفتنوا واقعة أسرى بدر . وأما ما يقولونه عن وحي من الله فيجب الأخذ به . ويفرق المسلمون بين القرآن وبين الوحي الذي يعبر عنه النبي بعبارة من عنده ويسمى عند المسلمين خبراً وحديثاً بما تقدم وبأنه اذا وقع تعارض بينهما ولم يمكن الجمع يعمل بالقرآن دون الحديث . فالحديث الصحيح في المرتبة الثانية لا يمكن ان يساوي القرآن ولذلك سأل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً عند ما ارسله الى اليمن بماذا يحكم فقال بكتاب الله وأنه اذا لم يجد يحكم بالسنة فأجازه على ذلك . وهذا هو المروي عن أبي بكر وعمر وغيرهم من أئمة الدين أي أنهم ينظرون في القرآن أولاً فان رأوا فيه حكم ما يطلبون قضوا به والا بحثوا في السنة وعملوا بها . فلي نظر المسلمون كيف يخرج المسيحيون لهم اصولاً للدين ، وينون عليها رميهم بالشرك المين ، فهذا هو تعصبيهم وهذا تساهلنا والحمد لله رب العالمين .

قال : الثالث ذكر اسم محمد مع اسم الله في مواضع جمة من القرآن نظير شريك له في الأمر والنهي والحل والربط ووجوب الطاعة له والحجة ، الخ وقال الكاتب أنه لا يذكر الشواهد الا من سورة التوبة وحدها ولكنه ذكر ثلاث آيات اثنتان منهما من التوبة والثالثة من الأحزاب . وقد حرف الآيتين مع وضعهما بين علامات تدل على أنه نقاهما بنفضهما فكتب « ان الله بريء مما يشركون ورسوله » والله تعالى يقول « ان الله بريء من المشركين ورسوله » وكتب « وما كان المؤمن او مؤمنة » الخ والله تعالى يقول « وما كان المؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً » الآية . اما الجواب عن الشبهة فهو واضح وهو ان أحكام الله تعالى إنما تؤخذ عن رسوله فكل ما ينفي به الرسول من أمر الدين فهو مبلغه عن الله تعالى ويصح اسناده اليه كما يصح اسناد الحوادث الطبيعية الى اسبابها لأن الله تعالى جعلها مرتبطة بها ولا يسمى شيء من

هذا شركا • وكأني بالكاتب يقول ان دينه يحكم بشرك من يقول « ينبغي للانسان ان يستحي من الله ومن الناس » ونحو هذا لأنه قرن اسم الناس باسم الله في حكم واحد فلينظر المسلمون الى ثقة دعاة النصرانية في الثقل وليقابلوا بين ما ذكر من التحريف في الآيات والخطأ في المزو الى السورة وبين ما وقع لنا مع احد كبار العلماء وهو انه نهى الى وجوب التنبيه على غلطة وقعت في النار نقلا عن الانجيل وهي « لم تجربوتي » وقد حذف نون الوقاية من الفعل بالطبع قطعت (تجربوني) • وليتأمل المتصفون في نقله عن القوم وتعلم عنا للتمييز بين الصادقين والكاذبين • والتزيل بين المتساهلين والمتحصين • والحمد لله رب العالمين •

قال: « الرابع اتخاذ المسلمين محمداً سيّداً لهم » ثم استنبط من هذا ان المسلمين يعتقدون بانهم عبيد لمحمد وقال ان هذا هو الشرك الذي عناه • وجوابه ان المسلمين لم يوجبوا ان يقول احد عند ذكر النبي كلمة « سيدنا » ولم يرد الأمر بوصفه عليه الصلاة بذلك في الكتاب ولا في السنة • وقد ذهب بعض العلماء الى أن إضافة لفظ (سيدنا) على صيغة الصلاة الملحقة بالشهد مكروهة وقال بعضهم انها مستحبة لأن هذا اللقب من القاب التكريم التي اعتادها الناس مع الكبراء ومع الاقران • واما استدلال الكاتب على هذه السيادة التي تستعج الشريك عنده بآية « ان الله وملائكته يصلون على النبي » فهو غريب لأن الصلاة من الله الرحمة ومن غير الله الدعاء كما صرح بذلك العلماء • فلو كان كل من نطلب له الرحمة الهاً لنا وكل من نخطبه بلقب السيادة آلهاً لنا لكان لنا وللكتاب آلهة لا نحصى !!! نعم ان المسلمين يعتقدون ان محمداً افضل الانبياء والمرسلين ويعبرون عن ذلك بالسيادة والانبياء افضل بني آدم فهو افضل بني آدم وسيدهم ولكنهم ليس عبيداً له • اما وجه تفضيله فهو ظاهر بآثره وقد كتبنا فيه وسنكتب ايضاً ان شاء الله • فليتأمل المتأملون في تمحل هؤلاء الدعاة المسيحيين • واستنباطهم الذي يضحك المحزونين • والحمد لله رب العالمين •

قال: « الخامس مغالاة المسلمين في قدمية محمد الى ان قالوا انه نور كان قبل البشر » الخ وتقول ان هذه المغالاة ليست من الدين في شيء فلا توجد في القرآن ولا في كتب السنة الصحيحة ولا في كتب العقائد وانما توجد في كتب القصص والمواالد التي لا اعتبار لها والدين ينهى عن القول بغير علم • على ان العامة الذين يروج عندهم هذا القائل لا يختلفون في حدوث نبيهم وغيره من الانبياء فلا يصح ان يسمى القائل بذلك مشركاً بوجه ما •

ولينظر الناظرون مبلغ علم هؤلاء الناس بالاديان التي يحكمون ببطلانها ويدعون أهلها الى تركها وليدلونا على مسلم يتكلم مثلهم بغير علم ؛ ويستدي عليهم في الدعوى ثم في الحكم ، وحسبنا اننا من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال • السادس والآخر اتخاذ المسلمين محمداً شفيعاً • ثم قال • واتخاذ الخلق شفيعاً عند الله هو عين الشرك الذي كان عليه العرب في الجاهلية لا اكثر ولا اقل • ثم ذكر ان اتخاذ الجاهلية شفعاء كثيرين اخف شركا من حصر المسلمين الشفاعة في شفيع واحد • على ان المسلمين لم يحصروا • والجواب ان الشفاعة عند المسلمين هي الدعاء • ولذلك يقولون في الصلاة على الميت • وقد اتيناك راغبين اليك شفعاء له اللهم ان كان محسناً فزد في احسانه • الخ فكل مسلم شفيع بل كل مؤمن بالله يدعو الله تعالى لنفسه ولغيره والدعاء لغير يسمى شفاعة • كأن الكاتب الانجيلي يقول ان دينه يحكم بترك كل من يذكر ميتاً كوالده او غيره ويقول رحمه الله تعالى • فهكذا يفعل (دين التساهل) بفتات اهله على المخالفين ، واذا اجابوهم بالحق يدعونهم متعصين ، ولكن هذا لا يخرجنا عن تساهل المسلمين • والحمد لله رب العالمين ،

وان تعجب فعجب قول من اتخذوا نبيهم اليها : ان الذين يقولون ان نبيهم عبد الله ولكنه افضل عباده لأنه تقع خلقه افضل منفعة وهداهم بذاته اكمل هداية هم مشركون بالله لأنهم يعرفون فضل نبيهم ويسألون له رحمة الله تعالى ويطيعونه فيما يبلغه عن الله تعالى . قال الكاتب بعد ايراد ما يقدم : • ورد على ذلك اتخاذنا نحن التصاري السيد المسيح شفيعاً وحيداً بين الله والناس على ما جاء في الانجيل . فأجيب اذا كنا معتقدين ان المسيح مخلوق (كذا) واتخذناه شفيعاً وحيداً او معه غيره نكون بلا شك مشركين ولكن اذا كن ان المسيح باحقيقة كلمة الله الأولي وهو الخالق وغير المخلوق الذي كان به كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان فلنسا مشركين بل نصداً آلهما واحداً تبارك اسمه • !!! يعني ان الشرك هو اعتقاد ان نبيهم عبد الله وان شفاعته دعاء لله وان التوحيد الخالص هو اعتقاد الناس ان نبيهم الذي ولد منذ ١٩٠٢ هو الله القديم الأزلي الخالق لكل شيء مما كان قبله وما يكون بعده . وانه شفيع بمعنى انه واسطة بين الناس وبين نفسه بصلاتها وبلغها لا بصلاتهم !! يخرج ما أحسن هذا التوحيد . هذه شبهات للمسيحيين المصلحين . فله الشكر والمثنة ان جعلنا مسلمين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ،

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فليقيموا أذانهم والذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

بشر عبادي الذين يستمعون القول
فليقيموا أذانهم والذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصري يوم السبت ١٦ رجب سنة ١٣٢٠ - ١٨ أكتوبر (تشرين ١) سنة ١٩٠٢)

﴿ الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية ﴾

(تمة المقال الرابع لذلك الامام الحكيم)

« الجواب »

أقول هذا كلام فيه شية من الحق ، ولمعة من الصدق ، أما ما نسمعه
حولنا من سجن من قال يقول السلف فليس الخامل عليه التمسك بالدين فان
حملة المهائم إنما حركهم الحسد لا النيرة . وأما صدور الأمر بالسجن فهو
من مقتضيات السياسة والخوف من خروج فكر واحد من حبس التقليد
فتنتشر عدواه فينتبه غافل آخر ويقتبع ثالث ثم ربما تسري العدوى من
الدين الى غير الدين - الى آخر ما يكون من حرية الفكر يعوذون بالله
منها . فان شئت أن تقول إن السياسة تضطهد الفكر أو الدين أو العلم فانا
ملك من الشاهدين . اعوذ بالله من السياسة ، ومن تمط السياسة ، ومن

معنى السياسة ، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ، ومن كل خيال
 يخطر ببالي من السياسة ، ومن كل ارض تذكر فيها السياسة ، ومن كل
 شخص يتكلم او يتعلم او يجنُّ او يعقل في السياسة ، ومن ساس ويسوس ،
 وسائس ومسوس ، . بذلك على ان العقوبة سياسة أن الرجل كان يقول
 يقول السلف من اهل الدين . لا تقل : إن هذه السياسة من الدين ، فاني
 اشهد الله ورسله وملائكته وسلفنا اجمعين ، ان هذه السياسة من أبعد
 الأمور عن الدين ، كأنها الشجرة التي تخرج في اصل الجحيم ، طلعها كأنه
 رؤوس الشياطين ، فإنهم لا يكون منها فئاتون منها البطون ، ثم إن لحم
 عليها لشوياً من حميم ؛ ثم إن مرجعهم لا إلى الجحيم ، إنهم ألقوا آباءهم ضالين ،
 فهم على آثارهم يهرعون ،

جود المسلمين وأسبابه

واما ما وصفت بعد ذلك من الجود فهو مما لا يصح ان ينسب
 الى الإسلام وقد رأيت صورة الإسلام في صفاتها ونصوع بياضها
 ليس فيها ما يصح ان يكون اصلا يرجع اليه شيء مما ذكرت ولا مما تنبأ
 بسوء عاقبته (رنان) وغيره . وإنما هي علة عرضت على المسلمين عند ما
 دخل على قلوبهم عقائد أخرى ساكنت عقيدة الإسلام في افئدتهم .
 وكان السبب في تمكنها من شوسهم وإطفائها لنور الإسلام من عقولهم
 هو السياسة كذلك . هو تلك الشجرة الملعونة في القرآن عبادة الهوى
 واتباع خطوات الشيطان هو السياسة

لم ار كالا لإسلام ديناً حفظ اصله ، وخلط فيه اهله ، ولا مثله سلطانا
 تفرق عنه جنده ، وخفي عهده ، وكفر وعيد ووعده ؛ وخفي على الغافلين

قصده ، وإن وضع لناظرين رشده ، كل الزمان أهله الأولين ، وأدال
منهم خُشارة من الآخرين ، لآلم فهموه فأقاموه ، ولآلم رجموه فتركوه ،
سواسية من الناس اتصلوا به ، ووصلوا فسبهم بسبه ، وقالوا نحن أهله
وعشيرته ، وحماته وعصبته ، وهم ليسوا منه في شيء إلا كما يكون الجهل
من العلم ، والطيش من الحلم ، وأقن الرأي من صحة الحكم ،
أنظر كيف صارت حزية من مزايا الاسلام سيياً فيما صار اليه أهله . كان
الاسلام ديناً عربياً ثم لحقه العلم فصار علماً عربياً بعد ان كان يونانياً ، ثم أخطأ
خليفة في السياسة فاتخذ من سعة الاسلام سيلاً إلى ما كان يظنه خيراً له . ظن
أن الجيش العربي قد يكون عوناً لخليفة علوي لأن العلويين كانوا الصق بيت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فأراد ان يتخذ له جيشاً اجنياً من الترك والديلم
وغيرهم من الامم التي ظن أنه يستعبد لها بسلطانه ، ويصطنعها باجر حسانه ، فلا
تساعد الخارج عليه ولا تعين طالب مكانه من الملك . وفي سعة أحكام الاسلام
وسهولته ما يبيح له ذلك . هنالك استعجم الاسلام وانقلب عجيباً .
خليفة عباسي أراد أن يصنع لنفسه وخلقه وبش ما صنع بآمته
ودينه . أكثر من ذلك أن الجند الاجنبي وأقام عليه الرؤساء منه فلم تكن
الاعشية او ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء واستبدوا بالسلطان
دونهم وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه
الاسلام والقلب الذي هذب الدين . بل جاؤا الى الاسلام بمشونة الجهل
يحملون الروية الظلم . لبسوا الاسلام على أبدانهم ، ولم ينفذ منه شيء الى
وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل آله معه يعبده في خلوته ، ويصلي مع
الجماعات لتمكين سلطته ، ثم عدا على الاسلام آخرون كالنار وغيرهم

ومنهم من تولى أمره ، أي عدوّ لهُؤلاء أشد من العلم الذي يعرف الناس منزلتهم ويكشف لهم قبح سيرهم ؛ فمالوا على العلم وصديقه الاسلام ميلتهم . أما العلم فلم يحفلوا بأهله ، وقبضوا عنه يد المعونة وحملوا كثيراً من أعوانهم أن يندرجوا في سلك العلماء وأن يقتربوا بإسرائيل ليُمَدُّوا من قبيله ثم يضموا للعامة في الدين ما يفيض اليهم العلم ويبعد بنفوسهم عن طلبه . ودخلوا عليهم وهم أغرار من باب التقوى وحماية الدين . زعموا الدين ناقصاً ليكملوه ، أو مريضاً ليعالوه ، أو متداعياً ليدعموه ؛ أو يكاد ان ينقض ليقيموه ،

نظروا الى ما كانوا عليه من نفخة الوثنية ، وفي عادات من كان حولهم من الأمم النصرانية ، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو برآء منه لكنهم نجحوا في إقناع العامة بان في ذلك تنظيم شماؤه ، وتضخيم أوامره ، والتوغّاء عون الناشئ ، وهم يد الظالم ، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات ، وتلك الاجتماعات ، وسنوا لنا من عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة ، وأركس الناس في الضلالة ، وقرروا ان التأخر ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد القول . ثم بثوا أعوانهم في أطراف الممالك الاسلامية ينشرون من القصص والايثار والآراء ما يفتح العامة بأنه لا نظر لهم في الشؤون العامة . وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض للمال يئنيه . وأن ما يظهر من فساد الأعمال ، واختلال الاحوال ، ليس من صنع الحكام وإنما هو تحقيق لما ورد في الاخبار من أحوال

آخر زمان . وأنه لا حيلة في إصلاح حال ولا مآل . وأن الأسلم تفويض ذلك لله وما على المسلم إلا أن يقتصر على خاصة نفسه . ووجدوا في ظواهر الألفاظ لبعض الأحاديث ما يعينهم على ذلك وفي الموضوعات والضعاف ما شد أزرهم في بث هذه الأوهام . وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضلين وتماوت ولالة الشر على مساعدتهم في جميع الأطراف واتخذوا من عقيدة القدر مشبطاً للعزائم وغلاً للأيدي عن العمل . والعامل الأقوى في حمل النفوس على قبول هذه الخرافات إنما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين وموافقة الهوى . أمور إذا اجتمعت أهلكت . فاستتر الحق تحت ظلام الباطل ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يضارب أصول دينهم ويبيانها على خط مستقيم كما يقال

هذه السياسة سياسة الظلمة وأهل الأثرة هي التي روجت ما أدخل على الدين مما لا يعرفه وسلبت من المسلم أملاً كان يخرق به أطباق السموات ، وأخذت به إلى يأس يجاور به العجاوات ، فجث ما تراه الآن مما تسميه إسلاماً فهو ليس بإسلام وإنما حفظ من أعمال الإسلام صورة الصلاة والصوم والحج وقليل من الأقوال التي حرقت عن معانيها . ووهل الناس بما عرض على دينهم من البدع والخرافات إلى الجمود الذي ذكرته وعدوه ديناً . نموذجاً لله منهم ومما يفترون على الله ودينه . فكل أعياب الآن على المسلمين ليس من الإسلام وإنما هو شيء آخر سموه إسلاماً . والقرآن شاهد صادق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، يشهد بأنهم كاذبون ، وأنهم عنه لاهون ، وعما جاء به معرضون ، وسنوفي لك الكلام في مفساد هذا الجمود وثبت أنه علة لا بد أن تزول

﴿ مفاسد هذا الجود ونتائج ﴾

طالب أمد هذا الجود لاستمرار عمل المامنين في المحافظة عليه ،
 وولوع شهواتهم بالدفاع عنه ، وقد حدثت عنه مفاسد يطول بيانها وإنما
 يحسن إجمال القول فيها . كان الدين هو الذي ينطلق بالعقل في سعة العلم
 ويسبح به في الأرض ويصعد به الى أطباق السماء ليقف به على أثر من
 آثار الله أو يكشف به سرّاً من أسرارهِ في خليقته ، أو يستنبط حكماً من
 أحكام شريعته ، فكانت جميع الفنون مسارح للعقول تقتطف من ثمارها
 ما تشاء وتبلغ من التمتع بها ما تريد . فلما وقف الدين ، وقعد طلاب اليقين ،
 وقف العلم وسكنت ربحه ، ولم يكن ذلك دفعة واحدة ولكنه سار سير التدرج
 افساد الجود للغة : أول جناية لهذا الجود كانت على اللغة العربية وأساليبها
 وآدابها فان القوم كانوا يُعنون بها لحاجة دينهم اليها - أريد حاجتهم في
 فهم كتابهم الى معرفة دقائق أساليبها ، وما تشير اليه هيئة تركيبها ، وكانوا
 يجدون أنهم لن يلفحوا ذلك حتى يكونوا عرباً بملكاتهم ، يساوون من
 كانوا عرباً بسلطانهم ، فلما لم يبق للمتأخر الا الأخذ بما قال المتقدم قصر
 الحصول تحصيلهم على فهم كلام من قبلهم واكتفوا بأخذ حكم الله منه
 بدون ان يرجعوا الى دليله ولو نظروا في الدليل فأروهم غير دال له بل دالا
 لخصمه بأن كانت عرض له في فهمه ما يعرض للبشر الذين لم يقرر الدين
 عصمتهم لخطأ وأظلموا وأعموا أبصارهم وقالوا: نعوذ بالله ان تذهب عقولنا
 الى غير ما ذهب اليه متقدمنا وأرغموا عقولهم على الوقفة فيصيه الشال من
 تلك الناحية . فاي حاجة له بعد ذلك الى اللغة العربية نفسها وقد يكفيه
 منها ما يفهم به أسلوب كلام المتقدم وهو ليس من أولئك العرب الذين

كان ينظر الأولون في كلامهم .

وهكذا كل متأخر يتصرفه على النظر في كلام من يليه هو غير مبال
بسلقه الأول بل ولا بما كان يحفّ بالقول من أحوال الزمان فهو لا ينظر
إلا اللفظ وما يعطيه قسمة منزله في تحصيل اللغة بمقدار بعده عن أهلها
حتى وصل حال الناس إلى ما تراهم عليه اليوم . جملوا دروس اللغة لفهم
عبارة بعض المؤلفين في النحو وفنون البلاغة وإن لم يصلوا منها إلى غاية
في فهم ما وراءها قد رست علوم الأولين وبادت صناعاتهم ، بل فقدت
كتب السلف الأولين رضي الله عنهم ، وأصبح الباحث عن كتاب المدونة
لمالك رحمه الله تعالى أو كتاب الام للشافعي رحمه الله تعالى أو بعض
كتب الامهات في فقه الحنفية كطالب المصحف في بيت الزنديق . تجد
جزءا من الكتاب في قطر وجزءه الآخر في قطر آخر فإذا اجتمعت لك
أجزاء الكتاب وجدت ما عرض عليها من مسخ النساخ حائلا بينك
وبين الاستفادة منها

هذا كله من أثر الجود وسوء الظن بالله وتوهم أن أبواب فضل الله
قد أغلقت في وجوه المتأخرين ، ليرفع بذلك منازل المتقدمين ، وعدم
الاعتبار بما ورد في الاخبار من أن المبلغ ربما كان أوعى من السامع^(١) وإن
هذه الامة كالطر لا يدري أوله خير أو آخره^(٢) وقلة الالتفات إلى أن
ذلك قد أضاع آثار المتقدمين أنفسهم ولا حول ولا قوة الا بالله . لا ريب

(١) النار : يشير إلى حديث ابن مسعود عند الترمذي وابن ماجه وهو : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « فضر الله أمرا سمع مني شيئا فبلغه كما
سمعه قرب مبلغ أوعى له من سامع » ورواه غيرهما عن غيره . (٢) يشير إلى حديث

ان القارئ يحيط بمقدار ضرر هذه الجناية على اللغة . فكيفه من ذلك انه اذا تكلم بلغته لغة دينه و كتابه وقومه لا يجد من يفهم مايقول ، وأي ضرر أعظم من عجز القائل عن ان يصل بمعناه الى المقول ،

افساد النظام والاجتماع : وأعظم من هذه الجناية جناية التفريق وتمزيق نظام الأمة وإيقاعها فيما وقع فيه من سبقها من الاختلاف وتفرق المذاهب والشيخ في الدين . كان اختلاف السلف في الفتيا يرجع الى اختلاف أفهام الأفراد والكل يرجع الى أصل واحد لا يختلفون فيه وهو كتاب الله وماصح من السنة فلا مذهب ولا شيعة ولا عصبية . ولو عرف بعضهم صحة مايقول الآخرون لا سارع الى موافقته كما صرح به جميعهم . ثم جاء أنصار الجهود فقالوا يولد مولود في بيت رجل من مذهب إمام فلا يجوز له ان ينتقل من مذهب أبيه الى مذهب إمام آخر . واذا سألتهم قالوا : « وكلهم من رسول الله ملتصق » لكنه قول باللسان ، لا أصل له في الجنان ، ثم كانت حروب جدال بين أئمة كل مذهب لو صرفت آلاتها وقواها في تبين أصول الدين ونشر آدابه وعقائده الصحيحة بين العامة لكننا اليوم في شأن غير مانحن فيه . يجد المطلع على كتب المختلفين من مطاعن بعضهم في بعض ما لا يسح به أصل من أصول الدين الذي ينتسبون اليه . يضلل بعضهم بعضاً ويرمي بعضهم بعضاً بالبعد عن الدين وما المطعون فيه بأبعد عن الدين من المطاعن ولكنه الجهود ، قد يؤدي الى الجهود ،

كان الاختلاف في العقائد على نحو الاختلاف في الفتيا تخالف

أنس عند الترمذي وهو : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ امْرِئٍ مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يَدْرِي أَوَّلَهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ » ورواه غيره

أشخاص في النظر والرأي. وكان كل فريق يأخذ عن الآخر ولا يبالي بمخالفته له في رأيه. مسجدهم واحد وإمامهم واحد وخطيبهم واحد. فلما جاء دور الجلود - دور السياسة - أخذ المتخالفون في التنطع، وأخذت الصلات تنقطع، وامتازت فرق وتآلفت شيع. كل ذلك على خلاف ما يدعو إليه الدين. وقد بذل قوم وسهرم في تمييز الفرق تمييزاً حقيقياً فما استطاعوا وإنما هو تمييز وهمي، وخلف في أكثر المسائل لقضي، وإنما هي الشهوات وضروب السياسات اشعلت نيران الحرب بين المنتسبين إلى تلك الشيع حتى آل الأمر إلى هذه الفرقة التي يظن الناظر فيها أنها لا دواء لها. قال قائل من عدة سنين: إنه ينبغي أن يعين القضاة في مصر من أهل المذاهب الأربعة لأن أصول هذه المذاهب متقاربة وعبارات كتبها مما يسهل على الناظر فيها أن يفهمها. وقال: إن الضرورة قاضية بأن يؤخذ في الأحكام ببعض أقوال من مذهب مالك أو مذهب الشافعي تيسيراً على الناس ودفعاً للضرر والفساد. فقام كثير من المتورعين، يحوقلون ويندبون حظ الدين، كأن الطالب يطلب شيئاً ليس من الدين، مع أنه لم يطلب إلا الدين، ولم يأت إلا بما يوافق الدين، وبما كان عليه العمل في أقطار العالم إلى ما قبل عدة سنين. فأتى قول هؤلاء « وكلهم من رسول الله ملتس »؛ لكن هو جمود المتأخر على رأي من سبقه مباشرة وقصر نظره عليه دون التطلع إلى ما وراءه. أو هي السياسة تحمل ما تشاء وتحرم ما تشاء، وتصحح ما تشاء وتبطل ما تشاء، والناس متقادون إليها بأزمة الأهواء،

جناية الجلود على الشريعة: هذا الجمود في أحكام الشريعة جرّ إلى غسر حمل الناس على إهمالها. كانت الشريعة الإسلامية أيام كان الإسلام إسلاماً

سمحة تسع العالم بأسره وهي اليوم تضيق عن أهلها حتى يضطروا إلى أن يتناولوا غيرها وأن يلتسوا حماية حقوقهم فيما لا يرتقي إليها. وأصبح الاتقياء من حملتها يتخاصمون إلى سواها. صعب تناول الشريعة على الناس حتى رضوا بمجاهلها عجزاً عن الوصول إلى علمها فلا ترى العارف بها من الناس إلا قليلاً لا يعمد شيئاً إذا نسب إلى من لا يعرفها. وهل يتصور من جاهل بشريعة أن يعمل بأحكامها؟ فوقع أغلب العامة في مخالفة شريعتهم بل سقط احترامها من أنفسهم لأنهم لا يستطيعون أن يطبقوا أعمالهم على مقتضى نصوصها. وأول مانع لهم ضيق الطاقة عن فهمها لصعوبة العبارات وكثرة الاختلاف. سألت يوماً أحد المدرسين في بعض المذاهب: هل تبيع وتشتري وتصرف النقود على مقتضى ما تجد في كتب مذهبك؟ فأجاب أن تلك الأحكام قلما تخطر بباله عند المعاملة بالفعل وإنما يفعل ما يفعل الناس. هكذا فعل الجود بأهله ولو أرادوا أن تكون لأشريعة حياة تحيي بها الناس لعلوا ول سهل عليهم وعلى الناس أن يكونوا بها أحياء تعلم ما وصل إليه الناس من فساد الأخلاق والانحراف عن الشريعة. لو سألت عن سببه في القرى وصغار المدن لوجدته أحد أمرين إما فقد العارف بالشريعة والدين وسقوط القرية أو المدينة في جاهلية جهلاء يرجع بعض أهلها إلى بعض في معرفة الحلال والحرام وليس المسؤول بأعلم من السائل والكل جاهلون. وإما عجز العارف عن تفهيم من يسأله لا اعتقال لسانه عن حسن التعبير بطريقة تفهمها العامة فهو إذا سئل يقرأ كتاباً أو يسرد عبارة يصعب على السامع فهمها وعلى المتكلم إفهامها. وذلك للخرج الذي وضع فيه نفسه فلا يستطيع التصرف فيما يسمع ولا فيما يعلم. فإذا

قلت للعارف تعلم من وسائل التعبير ما يقدرك على مخاطبة الطبقات المختلفة من الناس حتى تنفع بملكك وأعل بنفسك إلى أن تفهم الغرض من قول إمامك فتجد لأصله انطباقاً على هذه الحادثة مثلاً وإن لم يأت ذكرها بنفسها في قوله أو قول من جاء بعده من أتباعه . قال : سبحان الله : هل فعل ذلك أحد من المشايخ ؟ يريد أن لا يأتي شيئاً إلا ما أتى به شيخه الذي أخذ عنه يداً بيد ولو أبعد بنظره لوجد قدماً المشايخ قد فعلوه وبالفوا فيه حتى خالفوا من أخذوا عنه في بعض رأيه . ثم إذا حاجته في ذلك لم يبعد من رأيه أن يمدك زنديقاً وأنت تدعوه إلى الخروج من دينه ولا يدري المسكين أنه بذلك يخالف نصوص دينه وأنه يهياً للخروج منه نموذ بالله تعالى

كان كلام بني وبين أحد المدرسين في أخذ الطلبة بالنصيحة وتذكيرهم بفضائل الأخلاق وصالح الأعمال خصوصاً عند إلقاء الدروس العلمية ودروس الحديث والتوحيد . فقال لي : أنه لا فائدة في ذلك قطماً وهو تعب في غير طائل . فقلت له : ذلك حق عليك أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وليس عليك أن ياتمر المأمور ولا أن ينهي المنهي . فقال : إذا تحققت استحالة المنفعة كان الأمر والنهي لغوا . فانظر كيف اعتقد استحالة الانتفاع بنصحه لبلوغ الفساد من النفوس غايته كما يزعم . ولم ينظر في الوسيلة لاقتلاع هذا الفساد مع أن الدين يدعو إلى ذلك وهو يعمل كل يوم عمله لتعليم من لا سبيل إلى إصلاحه . هذا كله لأنه لم ير نفسه أهلاً لأن يتخذ وسيلة لم يتخذها من أخذ عنه أو لم يرشده إليها من تعلم هو بين يديه ولم يتذكر عند ذلك شيئاً من الأوامر الإلهية التي وردت في

النصيحة والتأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر وأن اليأس من روح الله إنما يكون من القوم الكافرين أو الضالين

لا بل إذا قلت له ان هذا الضرب من ضروب التعليم عقيم لا ينجح المطلوب منه أو ان هذا الكتاب الذي تعود الطلاب قراءته قد يضر بقارئه وغيره أفضل منه . كاد يظن أن قولك هذا مخالف للدين ورأي المدول عما تعودوه نوعاً من الاخلال بالدين . وقد يقيم عليك حرباً يعتقده نفسه فيها مجاهداً في سبيل الله اذا قلت له : ان دروس السنف كانت تقريراً للمسائل واملاءً للحقائق على الطلاب ولم يكن لأحد منهم كتاب يأخذه بيده ويقرئه تلامذته ولم يكن بأيدي الطلبة الا الأقلام والقراطيس يكتبون ما يسمعون من أفواه أساتذتهم . وقد يعترف لك بصحة ما تقول ولكنه يستمر في عمله اعتماداً على أنه وجد الناس هكذا يعملون . فهل يخطر ببال عاقل ان هذا الجمود من الدين ؟ وهل يرتاب من له أدنى ادراك في سوء عقابه على الدين وأهل الدين ؟

حجاية الجمود على العقيدة : ذلك جمودهم في العمل وأشد ضرراً منه

الجمود في العقيدة . نسوا ما جاء في الكتاب وأيدته السنة من أن الايمان يعتمد اليقين ولا يجوز الاخذ فيه بالظن وان العقل هو ينبوع اليقين في الايمان بالله وعلمه وقدرته والتصديق بالرسالة وان النقل ينبوع له فيما بعد ذلك من علم الغيب كأحوال الآخرة وفروض العبادات وهيئاتها وان العقل ان لم يستقل وحده في إدراك ما لا يد فيه من النقل فهو مستقل لا محالة في الاعتقاد بوجود الله وبأنه يجوز ان يرسل الرسل فتأتينا عنه بالمتقول . نسوا ذلك كله وقالوا : لا بد من اتباع مذهب خاص في العقيدة

وافترقوا فرقا وتمزقوا شيعا كما قلنا . ولم يكنهم الا لزام باتباع مذهب
خاص في نفس المعتقد بل ذهب بعضهم الى أنه لا بد من الأخذ بدلائل
خاصة للوصول الى ذلك المعتقد فيكون التقليد في الدليل كالتيقيد في المدلول .
وكانهم لذلك جعلوا النقل عمادا لكل اعتقاد وباليته النقل عن المعصوم
بل النقل ولو عن غير المعروف . ففتررت لديهم قاعدة : ان عقيدة كذا
صحيحة لان كتاب كذا للمصنف فلان يقول ذلك . ولما كانت الكتب قد
تختلف أقوالها صار من الصعب أن يجد الواحد منهم لنفسه عقيدة قارة
صافية غير كدرة ولا متزعزعة . وقد سرى ذلك من قراء المتأخرين الى أميهم
فترامهم يعتقدون بكل ما يقال وينقل عن معروف الاسم وان لم يكن في حق
الأمر من أهل العلم وتناقض عقائدهم على حسب تناقض مسوعاتهم
انجر التساهل في الاعتماد على النقل الى الخروج عما اختطه لنا السلف
رضي الله عنهم فقد كانوا يتقبون عن صفات من ينقلون عنه ويمتحنون
قوله حتى يكونوا على شبه اليقين من أنه موضع الثقة . ولكن جمود المتأخر
على ما يصل اليه من المتقدم صير النقل فوضى فتجد كل شخص يأخذ ممن
عرفه وظن أنه أهل للأخذ عنه بدون بحث ولا تنقيب حتى شاع بين الناس
من الأقوال وموضوعات الأحاديث ما ترتفع الأصوات بالشكايه منه
من حين الى حين . وكل ما نراه من البدع المتجددة فنشأه سوء الاعتقاد
الذي نشأ من رداءة التقليد والجمود عند حد ما قال الأول بدون بحث في
دليله ولا تحقيق في معرفة حاله وإهمال العقل في العقائد على خلاف ما يدعو
اليه الكتاب المين والسنة الطاهرة . دخلت على الناس لذلك عقائد يحتاج
صاحب النيرة على الدين في اقتلاعها من أنفسهم الى عناء طويل وجهاد شديد

وسلاحه الكتاب وسلاح أعدائه أقوال بمض من تقدم ممن يعرف ومن لا يعرف . وما أكثر عدد من ينصر أعداءه اليوم وما أقلهم غدا إن شاء الله .
سأل سائل من الاستاذ شيخ الجامع الأزهر عن حكم عمل من الأعمال الجارية في المساجد يوم الجمعة - ومنزلة الشيخ من الرياسة في أهل العلم بالدين منزلته - فافتي بما ينطبق على السنة وما يعرفه المارفون بالدين وقال إن العمل بدعة من البدع يجب التنزه عنها . أظن أن المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا ، كلاً . حدث قيل وقال ، وكثرة تسأل ؛ ودخلت السياسة ثم قيل إن الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الأمر كذلك من قبلنا . سكت السائل وماذا يصنع المحيب . نعم هذا من شؤم ذلك الجود فقد فصل بين العامة ومن يرجي فيهم تقويم ما أغوج منها وولكلها إلى أناس منها لا علم لهم بالدين ولا بالأدب وقد غرسوا في أذهان الدهماء شر الفرس ولا تجني الأمم منه إلا أخبث الشر . فلوقام العالم بالدين وأراد أن يبين حكم الله المصريح به في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المجمع عليه عند السلف قاطبة انتصب له ناعر من العامة يصيح في وجهه « ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين » ويريد من آباءه الأولين من رآهم بعد ولادته أو ذكرت له أسماؤهم بلسان مضيه حتى صار إرشاد العامة اليوم من أصعب الأمور وأشقها على طالبه

ماذا يمكن أن أقول ؛ أصبح الرجل يرتكب في وسائل العبادة أقبح المنكرات في الدين وإذا دعي إلى ترك المنكر نفروا زجروا ، وأبى واستكبر ، انظر ماذا يصنع الموسوسون ومن يقرب منهم في الاستبراء من البول على مرأى من المارة وفيهم النساء والأطفال وهم يظنون أنهم يتقربون إلى الله بما يفعلون

هذا هو شأن العامة يرون ما ليس بدين ديناً ويصمم على حفاظ الدين ارشادهم بفضل جمودهم على ما ورثوا من ملقنيهم بدون تفكير. فهذا معظم الامة تراه قد تخلص من أيدي منذريه ولو شاؤا لأقبل كل منهم على صاحبه وهو أيسر شيء على حملة الشريعة وما هو إلا ان يرجعوا الى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من سعة الدين وسماحته ، ثم العمل على حفظه وحياطته ،

الجمود ومتعلمو المدارس النظامية

ثم ان الجمود قد أحدث لنا فريقاً آخر وهو فريق المتعلمين على الطرق الجديدة إما في مدارس الحكومات الاسلامية وإما في المدارس الاجنبية داخل بلادهم أو خارجاً عنها . لا أتكلم عن هذا الفريق في بلاد القرم أو القوقاس أو سمرقند وبخارى أو الهند فاني لأعرف كثيراً من أحوالهم ومن رأيته منهم رأيت فيه خيراً وأرجو أن يكون منهم لقومهم ما ينتظره الاسلام من المارفين به فقد رأيت أفراداً قليلين من هؤلاء تعلموا في البلاد الأوربية ودرسوا العلوم فيها درساً دقيقاً وهم أشد تمسكاً بلب الدين الاسلامي وروحهم من كثير ممن يدعي الورع والتقوى ولا يسمحون لأنفسهم بترك عادة صحيحة من المادات التي أورثها دينهم لقومهم فتم المتعلمون هؤلاء أكثر الله منهم

وانما أتكلم عن هذا الفريق من المتعلمين في مصر وسوريا وسائر بلاد الدولة العثمانية . ساحة الاسلام وسعة حلمه للعلم أباحت للمسلمين أن يرسلوا أولادهم ليأخذوا العلم في المدارس الرسمية وغير الرسمية عن أساتذة فيهم المسلم وغير المسلم أو عن أساتذة كلهم غير مسلمين بل في مدارس لم

تبين الاتروجيج دين غير الدين الاسلامي . وأباحث أمير آباء هؤلاء التلامذة أن
يسكنوا وان لا ينكروا عليهم عما هم مادامت العقيدة سالمة من الهدم والفساد فمذمة
جود تلامذة المدارس الأجنبية : هؤلاء التلامذة ان كانوا في مدارس
أجنبية لا أثر لتعليم الدين الاسلامي فيها بل ربما يتعلم فيها دين آخر فقد
يسري الى عقائدهم شيء من الضعف وقد تذهب عقائدهم بالمرّة وتحتل
مكانها عقائد أخرى تناقضها كما شوهد ذلك صراحة . ولو كان آباؤهم على علم
بطرق الاستدلال الإقناعية لعقائد دينهم لدعموا من عقائد أبنائهم
وحفظوها من التزلزل أو الزوال . وكيف يكون لاولئك الآباء شيء من
هذا العلم مع الجمود على طرق قديمة لا يصل الى فهمها من ينقطع لتعلمها
فضلا عن أولئك المساكين . بل لو كان هناك مرشدون على طريقة
يسهل فهمها لتيسر لهؤلاء التلامذة أن يهتدوا بهديهم ولكن الجمود صير
كل شيء صعباً وكل أمر غير مستطاع

فهذه جناية من جنایات الجمود على أبناء المسلمين الذين يتعلمون في
مدارس أجنبية يخرجهم من دينهم من حيث لا يشعرون . وباليتم يستبدلون
بالدين رادعاً آخر من الأدب والحكمة كما يرجو بعض المغرورين الذين
لا يعلمون طبائع هذه الأمم أو كما يروّجه بعض من لا يريد الخير بها .
ولكنه ترك أفئدتهم هواء خالية من كل زاجر أو دافع اللهم الا زاجراً
عن خير أو دافعاً الى شر فاتخذوا إلهم هواهم وامامهم شهواتهم فهلكوا
وأهلكوا . ومن هؤلاء ورثة الاغنياء الذين تعصّبوا من شرور أعمالهم
لجرائد كل يوم . فالجهل خير مما يتعلم هؤلاء بدون ريبة وليت الاسلام
لم يرحب صدره لثل هذا الضرب من التعليم والتعلم .

مدونة المذاهب والمدارس الرسمية والأهلية : -

أما المتعلمون في مدارس رسمية أو غير رسمية للتعليم الديني فيها شيء من البقية . فهو لا ينشأون على شيء من المعارف في الفنون المختلفة وتقرر لهم حقائق في الوجود السماوي أو الأرضي أو في الاجتماع الانساني ومن عرف شيئاً انطلق لسانه بالخوض فيه وقد يسمعه متطوع ممن يلبس لباس أهل الدين وهو جاهل على ألقاظ سمعها فلو سمع غيرها أنكره وظنه مخالفاً للمقيدة الصحيحة فيأخذ يلوم المتعلم ويوبخه ويرميه بالاروق من الدين . هذا والمتعلم لا يشك في قوة دليله وجهله بالدين يمتد أن ما يقوله خصمه منه فينفر من دينه نفرة من الجهل . ولو قال له قائل : ارجع الى كتب الدين تجد فيها ما يسرك وينصرك على نفسك وخصمك . حار لا يدري الى أي كتاب يرجع ولم يسهل عليه فهم تلك العبارات التي ورثها القوم على ما فهم من تشيت وتمقيد وأبقوها كما ورثوها . فيعود الى النفور من الدين نفور طالب الفهم مما لا يمكنه فهمه

لهذا يمتدأ كثير هؤلاء ان الدين شيء غير مفهوم بل قد يسهده بعضهم خرافة « نعوذ بالله » فيأخذون عنه جانباً ويتركون عقائده وفضائله وآدابه ويلتصون لهم آداباً في غيره وقلما يجدونها فتراهم وقد فترت قلوبهم وقصرت همهم فلا يطلبون الا ما تطالبه المامة من كسب مميشة أو علو جاه ويسلكون الى ذلك أي طريق ولو أضروا بالمامة أو بالخاصة « مادام الشرف محفوظاً » فاذا وجد بينهم من يدعي الوطنية أو النفرة الملية أو نحو ذلك فأنما ينثر الالفاظ ثراً لا يرجع فيها الى أصل ثابت ولا الى علم صحيح ولهذا يطلب المصلحة لبلاده من الوجه الذي يؤدي الى التسدة وهو يشعر

أولاً يشمر على حسب حاله . ومنهم من يصيح باسم الدين ولا تتحرك نفسه
لمعرفة حكم من أحكامه أو درس عقيدة من عقائده فشأنهم كلام في كلام
ولبش ما يصنعون . ولولا هذا الجمود لوجدوا في كتب دينهم وفي أقوال
حملته ما يتبع به قلوبهم ؛ وتطمئن إليه نفوسهم ؛ ولذا أقوا طم القلب ، وأدوماً
بالدين وتمكنوا من نفع أنفسهم وقومهم ولوجدت منهم طبقة معروفة يرجع
إليها في سير الأمة وسياسة أفكارها وأعمالها الاجتماعية .

﴿ الجمود علة نزول ﴾

(المقال الخامس لذلك الإمام الحكيم . وفيه بيان علاج الداء .)

تفصيل مضرات هذا الجمود وسيئاته يحتاج إلى كتاب طويل فنكتفي
بما أوجزناه في الصفحات السابقة . ولكن يبقى الكلام في أنه عارض
يمكن زواله إن شاء الله تعالى .

قد عرفت من طبيعة الدين الاسلامي بعد عرضها عليك فيما سبق
أنها تسمو عن أن ينسب إليها هذا المرض الخبيث — مرض الجمود على
الموجود — وكم في الكتاب من آية تنفر من اتباع الآباء مهما عظم أمرهم
بدون استئمال العقل فيما كانوا عليه ولا حاجة إلى إعادة ذلك . ثم اننا أشرنا
أيضاً إلى بعض الأسباب التي جلبت هذا الجمود على المسلمين لا على الاسلام
وان محدثها إما عدو للمسلمين طالب لخص شأنهم أو لاستعبادهم
والاستغلال أيديهم لخاصة نفسه . وإما محب جاهل يظن خيراً ويميل
شراً وهذا الثاني كان أشد نكابة ، وأعون على الغواية ، وهمل نزول
هذه العلة ويرجع الاسلام إلى سعة الأولى وكرمه القياض وينهض بأهله
إلى ما ذكر لهم فيه ؟ ؟

جاء في الكتاب المبين « إِنَّا نَحْنُ نُزِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِعُونَ »
 ذلك الذِّكْرُ هو الذِّكْرُ الحكيم وهو القرآن الذي أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ
 مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ، وَهُوَ كَمَا قَالَ : « كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ
 يَعْلَمُونَ » وَعَدَ اللَّهُ بِمَا نَزَلَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَقَدْ أَنْجَزَ وَعْدَهُ قَدْ تَطَالَى إِلَيْهِ يَدُ
 عَزِيزٍ مُتَعَالٍ ، فَيُزِيلُ كَمَا يَشَاءُ جَاهِلٌ ، فَبَقِيَ كَمَا نَزَلَ وَلَا يَضُرُّهُ عَمَلُ الْقَرِيقَيْنِ
 فِي تَفْسِيرِهِ وَتَأْوِيلِهِ ، فَذَلِكَ مِمَّا لَا يَلْتَمِصُ بِهِ قَوْلَا يَزَالُ بَيْنَ دِفَاتِ الْمَصَاحِفِ
 طَاهِرًا تَقْيِيرًا مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَالْاِضْطِرَابِ ، وَهُوَ إِيَّاهُمُ الْمُتَقِينَ ، وَهُوَ مُتَوَدِّعٌ
 لِلَّذِينَ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ إِذَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ وَعَظُمَ الْخَطْبُ وَسُمِّتِ الْأَنْفُسُ مِنْ
 التَّخَبُّطِ فِي الضَّلَالَاتِ ، وَلَا يَزَالُ لِأَشْعَةِ نُورِهِ نَفُوذٌ مِنْ تِلْكَ الْحُجُبِ الَّتِي
 أَقَامُوا مَا دُونَهُ وَلَا يَدَّ أَنْ تَمُزَّقَ كُلُّهَا بِأَيْدِي أَنْصَارِهِ فَيَتَبَاجَضُ ضِيَاؤُهُ لِأَعْيُنِ
 أَوْلِيَائِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

هذا الضياءُ كان ولا يزال يلوح لاممه في حنادس الظلم لأفراد
 اختصهم الله بسلامة البصيرة فيهدون به إليه ويحمدون سرائرهم ، بما عرفوا
 من نجاح مسامهم ، ولكن الذين اطبقت عليهم ظلم البدع ، وراى على
 قلوبهم ما كسبوا من التحزب للشيعة ، وطمست بصرهم ، وفقدت عقولهم ،
 بما حشوها من الباطل ، وبما عطلوها عن النظر في الدليل ، هؤلاء في
 نهي عن نوره وقلوبهم في أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرة يصيحون بأنهم
 عُمِّيٌّ صَمٌّ فلا يرون له سناء ، ولا يسمعون له نداء ، ويمدون ذلك من كمال
 الإيمان به ولبس ما رخصوا لأنفسهم من السفه وطيش الحلم وهم يعلمون .
 هذا حال الجمهور الأعظم ممن يوصفون بأنهم مسلمون ويحلبون البار على

الاسلام بدخولهم تحت عنوانه ، ويقعون حبيج أعدائه في حربه بزعيمهم
الاجتماع تحت لوائه ، وما هم منه في شيء كما قدمنا

هؤلاء لا بد أن يصيبهم ما أصاب الأمم قباهم فقد أتبعوا سبلهم شراً بشير
وذراعاً بذراع وضيقوا على أنفسهم بدخولهم في جحر النيب الذي
دخلوه ^(١) ومن أتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت أحكام سنن الله فيهم
فإن مخلص مما قضى الله في عذابهم . فقد قص عليهم سير الاولين وبين لهم
ما نزل بهم عند ما انحرقوا عن سننه وحادوا عن شرعه ونسبوا كتابه
وراءهم ظاهرياً . أحل بهم المال ، وضرب عليهم المسكنة ، وأوتيت غيرهم
أرضهم وديارهم . فهل ينتظر المتنبون سننهم ؟ السائرون على أثرهم ؟ أن
نعم الله بهم غير الذي صنع بسابقين . وقد قضى بأن تلك سننه . إن
جدد سننه بديلاً

لا تزال الشدائد تنزل بهؤلاء المنتسبين الى الاسلام ولا تزال القوارع
تحل بديارهم حتى يفيقوا (وقد بدأوا يفيقون من سكراتهم) ويفزعوا الى
طلب النجاة وينسلوا قذى المحدثات عن بصائرهم ، وعند ذلك يجدون
هذا الكتاب الكريم في انتظارهم يُمدُّ لهم وسائل الخلاص ويؤيدهم في
سبيله بروح القدس ويسير بهم الى منابع العلم فيعرفون منها ما يشاؤون
فيعرفون أنفسهم ويشهدون ما كان قد كن فيها من قوة فيأخذ بعضهم بيد
بعض ويسيرون الى المجد غيرنا كلين ولا نخذولين . ولهذا أقول : أن
الاسلام لن يقف عثرة في سبيل المدنية أبداً ولكنه سيهذبها وينقيها من

(١) النار : في الكلام اشارة الى حديث « لتبمن سنن من قبلكم شراً بشير
وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » الحديث رواه الشيخان وغيرها

مضارها وستكون المدنية من أقوى أنصاره متى عرفت عيوبها وأهله. وهذا الجود سينزل وأقوى دليل لك على زواله بقاء الكتاب شاهداً عليه بسوء حاله ولطف الله بتقريب أناس للكتاب ينصرونه، ويدعون إليه ويؤيدونه، والحوادث تساعدهم، وسوط عذاب الله النازل بالجامدين ينصرهم، هذا الكتاب المجيد الذي كان يتبعه العلم حينما سار شرقاً وغرباً لا بد أن يعود نوره إلى الظهور ويترقب حجب هذه الضلالات ويرجع إلى موطنه الأول من قلوب المسلمين ويأوي إليها. العلم يتبعه وهو خليفه الذي لا يأنس إلا إليه، ولا يعتمد إلا عليه،

يقول أولئك الجامدون الخاملون كما يقول بعض أعداء القرآن: إن الزمان قد أقبل على آخره، وإن الساعة أوشكت أن تقوم، وإن ما وقع فيه الناس من الفساد، وما مني به الدين من الكساد، وما عرض عليه من المال، وما نراه فيه من الخلل، إنما هو أعراض الشيخوخة والهرم، فلا فائدة في السعي ولا ثمرة للعمل، فلا حركة إلا إلى المدم، ولا يصح أن يمتد بصرتنا إلا إلى المدم، ولا أن نتظر من غاية لأعمالنا سوى المدم، (نمود بالله) هؤلاء حقة الجهل وأعوان الناس يهرفون بما لا يعرفون. ماذا عرفوا من الزمان حتى يعرفوا أنه كاد ينقطع عند نهايته؟ إن الذي مضى بيننا وبين مبدأ الإسلام ألف وثلاثمائة وعشرون عاماً وإنما هي يوم وبعض يوم أو بعض يوم فقط من أيام الله تعالى. وإن آيات الله في الكون - وإن كانت تدل على أن ما مضى على الخليفة يقدر بالدهور والدهارير، - تشهد بأن ما بقي لهذا النظام العظيم يقصر عن تقديره كل تقدير؛ فالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً. إن ما بيننا وبين مبدأ الإسلام لا يزيد

عن عمر ستة وعشرين رجلاً كل رجل يعيش خمسين سنة . فهل يعد مثل ذلك دهراً طويلاً بالنسبة إلى دين عام كدين الاسلام ؟ ان زمننا كذا لا يكفي — وقد تبين انه لم يكف — لاهتداء الناس كافة بهديه . ولم تقوم القيامة على الدين ولم تقم على شرهم وطمعهم ؟

قد وعد الله بأن يتم نوره وبأن يظهره على الدين كله فسار في سبيل التمام والظهور على المقائد الباطلة أعواماً ثم انصرف به أعداه عن سبيله وصاروا به إلى ما يرون ونرى . ولن ينقضي العالم حتى يتم ذلك الوعد ويأخذ الدين بيد العالم ويتأولنا مما على تقويم العقل والوجدان فيدرك العقل مبلغ قوته ، ويمرّف حدود سلطته ، فيتصرف فيما آتاه الله تصرف الراشدين ، ويكشف ما مكنه فيه من أسرار المالمين ، حتى اذا غشيت سبجات الجلال وقف خاشعاً ، وقذل راجعاً ، وأخذ أخذ الراسخين في العلم الذين قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فيما روي عنه : « هم الذين أغناهم عن اقتحام السد المضروبة دون الثيوب ، الاقارار بمجمل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فمدح الله اعترافهم بالجزء عن تناول ما لم يبلغوا به ، فاعترفوا بالجزء الذي لم يبلغوا به ، فاعترفوا بالجزء الذي لم يبلغوا به ، واعتبر بعد ذلك بقوله : « فافتقر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عتاك فتكون من المالكين . هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطعاً ^(١) قدرته ، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوسوس ان يقع عليه في سميات غيوب ملكوته ، وتولمت ^(٢) ، اتلوب اليه لتجري في كيمية صفاته ، ونعمت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ،

(١) المتقطع ما يتقطع عند الشيء وهو آخره (٢) تولمت اشتد عشتها

يدعها وهي «وب» راوي - حذف^(١) «الغيوب منجاسة اليه سبحانه» فوجدت
 «ذبيبت» «معرفة بأنه لا ينال مجور الاعتصاف كنه معرفته» ولا تخاطر
 ببال أولى الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته »

هناك يلتقي (أى العقل) مع الوجدان الصادق (القلب) ولم يكن
 الوجدان ليدار العقل في سيره داخل حدود مملكته متى كان الوجدان
 سليماً ، وكان ما استثناء به من فبراس الدين صحيحاً ، إياك انت تعتقد ما
 بعتقده من السذج من ان فرقاً بين العقل والوجدان (القلب) في
 الوجهة بمتنفسى الفارة والفريزة . فانما يقع التخالف بينهما عرضاً عند
 عروض الملل والأمراض الروحية على النفوس . وقد أجمع العقلاء على
 ان المشاهدات بالأس الباطني (الوجدان أو القلب) من مبادي البرهان
 العقلي كوجدانك أنك موجود ووجدانك لسرورك وحزنك وغضبك
 ولذتك وألمك ونحو ذلك .

منحنا العقل للنظر في الغايات ؛ والاسباب المسببات ؛ والفرق بين
 البسائط والمركبات ؛ والوجدان لا إدراك ما يحدث في النفس والذات من
 لذائذ وآلام ؛ وهلع واطمئنان ؛ وشماس وإذعان ؛ ونحو ذلك مما يذوقه
 الانسان ؛ ولا يخصصه البيان ؛ فها عينان للنفس تنظر بهما - عين تقع على
 القريب ؛ وأخرى تمتد الى البعيد ؛ وهي في حاجة الى كل منهما ولا تنفع
 باحدهما حتى يتم لها الانتفاع بالأخرى . فالعلم الصحيح مقوم الوجدان ؛
 والوجدان السليم من أشد أعوان العلم ؛ والدين الكامل علم وذوق ؛
 عقل وقلب ؛ برهان وإذعان ؛ فكر ووجدان ؛ فاذا اقتصر دين على أحد

(١) السدف جمع سدف كظلمة لفظاً ومعنى (٢) حيه ضربت جيهه ورد

الأمرين فقد سقطت إحدى قائمتيه وهيات أن يقوم على الأخرى .
ولن يتخالف العقل والوجدان حتى يكون الإنسان الواحد إنسانين ؛
والوجود الفرد وجودين ؛

قد يدرك عقلك الضرر في عمل ولكنه تعمل طوعاً لوجدانك ؛
وربما أثقت المنفعة في أمر وأعرضت عنه إجابة لدافع من سريرتك ؛
فتقول : إن هذا يدل على تخالف العقل والوجدان . ولكني أقول : إن
هذه حجة من لا يعرف نفسه ولا غيره . عليك أن ترجع إلى نفسك
فتحقق من أحد الأمرين -- إما أن يقينك ليس يقين وأنه صورة
عرضت عليك من قول غيرك فأنت تظنها علماً وما هي به . وإما أن وجدانك
وهم تمكن فيك ؛ وعادة رسخت في مكان القوة منك ؛ وليس بالوجدان
الصحيح وإنما هو عادة ورثتها عن حولك وظننتها شعوراً منبئاً بالغيرية
وما هي منه في شيء .

(نتيجة) : لا بد أن ينتهي أمر العالم إلى تأخي العالم والدين ؛ على سنة
القرآن والذكر الحكيم ؛ وأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح معناه ^(١)

(١) انظر -- قال الثوري : رواه أبو نعيم في الحية بالرفوع . به إسناده ضعيف
ورواه الأصمعي في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبراني
في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث بن عمر وقال : هذا إسناده فيه نظر . قلت
فيه الوازع بن نافع متروك . وقال الزبيدي في شرح الإحياء : قلت حديث ابن عمر
انظره « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب
التفكر وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الأوسط وابن عدي وابن مردويه والبيهقي
وضمفه والأصبهاني وأبو نصر في الإبانة وقال غريب . ورواه أبو الشيخ من حديث
ابن عباس « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره » ورواه
ابن السجار والرافعي من حديث أبي هريرة « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في

« تفكروا في خلق الله ولا تشكروا في ذات الله » وعند يكون الله قد أتم نوره ولو كره الكافرون ؛^(١) وتبعهم الجامدون القانطون ؛ وليس بينك وبين ما أعذك به الا الزمان الذي لا بد منه في تنبيه الغافل ؛ وتليم الجاهل ؛ وتوضيح المنهج ؛ وهجوم الأعوج ؛ وهو ما تقتضيه السنة الالهية في التدرج « سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » . « إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا » . « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وهو خير الناصرين .

(الكلام بقية)

هو الوفاق الاسلامي الانكليزي ﴿

لقد أذن الله المسلمين أن يهبوا من رقادهم ، ويسترجعوا مجد أجدادهم ، وقد سبق لنا ان قلنا في مقالة نشرت في الجزء الرابع من المجلد الثالث ان مجد الاسلام قام على أساسين وأنه هدم بهدمهما وانما يعود بإقامتهما وهما استقلال الفكر واستقلال الارادة أما الأول فأقامته بالاجتهاد في علوم الدين والدنيا وأما الثاني فأقامته بالقوة الخ مالهناك . وقد لاحظ من قرأ مقالة (مسترد . ج . كوربت) الانكليزي الذي عربها جريدة المؤيد ونشرتها في ستة أعداد وذكرنا أقطاب مسائلها في نحو صفحتين من الجزء الماضي أن هذا الكاتب السياسي بني دعوة قومه الى الاتفاق مع المسلمين على أمرين (أحدهما) ان دين الاسلام دين مدنية يمكن لمتبعيه ان يتفقوا مع أمة راقية كالأمة الانكليزية ويسيروا معها في كل طريق من طرق العمران فننفع بهم وينفعوا بها . وهو يشترط في ارتقاؤهم ، ما يشترطه أشهر فضلائهم ، وهو إطلاق العقل من القيود والاغلال ، وتمتعه بنعمة الاستقلال ، والتربية الدينية ، التي تعيد اليهم صفات

الله الخ . وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمعنى صحيح كما قال الحافظ السخاوي في المقاصد . (١) الكافر من يرى الدليل فيصد عنه ولا ينظر فيه أو ينظر

فيرى الحق ثم يماري فيه وينكره عنادا . اهـ . من هامن الأصل

الرجولية ، و (ثانيهما) ان المستند من قوتين و عدمه في آراء وهي الأمة الافغانية .
 وأخرى في أفريقيا وهي الفرقة السنوسية ، وقد الكاتب ان الواجب على الانكليز
 أن يستعينوا بمسألة القوتين ، على تمكين ساعدهم في القارتين ، وذلك بجعل مصالحهم
 متفقة مع مصالح الأمة الاسلامية . ومساعدتها على المروح في معارج افندية ، قلما أمة
 واحدة لاجنية فيها ولاوطنية ، (فليعتبر الأحداث الذين يفرقون بين المصري
 والشامي ، والمصري والحجازي)

هل نحن في حاجة الى مساعدة دولة قوية حدية كالدولة الانكليزية ؟ وهل الدولة
 الانكليزية في حاجة إلينا ؟ نعم ولكن فرقا بين الحاجتين . نحن نحتاج الى مثل الانكليز
 الذين هم السلطان الرسمي وغير الرسمي على نحو نصفنا لأجل الترويض والقيام ، وهم
 يحتاجون إلينا لأجل الثبات والدوام ، ونحن نحتاج إليهم في الحال ، وهم يحتاجون
 إلينا لأجل الاستقبال . وهل يصدق الانكليز في مساعدتنا على التقدم والرفق إذا نحن
 صدقناهم ؟ نعم إذا قالوا صدقوا ولن يقولوا حتى يستقدوا بأن المصلحة في ذلك وحتى
 يتقوا بنا . وقد رأينا هذا الكاتب منهم يحاول إقناعهم بالمصلحة ويكوننا أهلا لتلقه
 وقد سبقه الى ذلك غيره من كتابهم وعلمائهم فهل وجد قينا من حاول إقناعنا بذلك
 مع أننا أحوج الى الوفاق منهم إذ من البديهي أن الخكوم الجاهل الضعيف أحوج
 الى مرضاة حاكمه العالم القوي . ولكن الجاهل بمنه الجاهل ان يعلم المصلحة وإذا
 علمها بمنه الضعيف ان يدعو قومه اليها لأن الجاهلين إنما يتخاطبون بما يهزون لا بما
 ينتفمون . رأيت كيف كان السيد احمد خان ظنينا في قومه متهماً في بلاده عند مقام
 يدعو الى الوفاق بين مسلمي الهند وحكامهم من الانكليز ؟ لا جرم ان هذا هو شأن
 الجاهل ولكن الذين أنتابوا يتسللون به يوماً وتنتك لا يلاقي من يجرى في مصر
 على دعوة المرسوم السيد احمد خان عشر مختار ما بقي من الضئيلة وما عانى من سراره
 الهمة وان كانت مصر ليست من الامبراطورية البريطانية كالحند

المسلمون في مصر عرفوا ما كان عليه اخواتهم مسلمو الهند أيام الجفاء بينهم وبين
 الانكليز وعرفوا نعمة دعوة احمد خان ونعمة مدرسته في حفظ حقوقهم ومصلحتهم
 بالوفاق مع الانكليز واسترجاع ما كان سلب منها بالتدريج . وظهر لهم خذلان أحداث
 السياسة الذين جعلوا التناق بالتغير من الانكليز منبعاً للمال ومنيراً للجهل وعلموا أنهم
 فاشون خادعون ضالون مضلون فتغيرت الأحوال وصار شيخ الجامع الازهر يزور عميد
 الانكليز في مصر وشاعر الحديو يمدح ملك الانكليز وينشر ذلك في الجرائد التي تنتمي الى

الانكليزوايس هذا ولا ذلك عن تضطربهم وظيقتهم أو تخفي سياستهم بأن يفعلوا ماقدروا
 اننا نعلم مع هذا ان كثير المسلمين يرتابون في تحقيق هذا الوفاق ولو عرفوا
 مصالحهم ومصالحه القوم بالبرهان لما كان لهم أن يرتابوا . ان من مصالحنا التي
 لانكث فيها ان تكون تربيتنا اسلامية دينية ويزي الانكليز الداعين الى الوفاق يرون
 بنا في هذا . ان من مصلحتنا ان نكون رجلا مستقلين في علومنا وأعمالنا ويزي
 الانكليز بدعوتنا الى ذلك ويقولون انه يساعد على الوفاق بيننا وبينهم . ان من
 مصالحنا احياء اللغة العربية لغة الكتاب والسنة واللغة الجامعة للأمة ويزي الانكليز
 بواقفنا على ذلك . فهل ترتاب في ان شيئا من هذه الأمور هو من أهم مصالحنا؟ كلا
 يقول قائل : ان كاتب المقالة وطائفة من الكتاب والسياسين الانكليز قالوا بهذا
 القول ولكن الدولة لم تقل به ولم ينتشر بعد فيصر رأيا للأمة البريطانية فتقول ان
 الحكومة ستضطر الى مجازاة الأمة . فهل نخدع لقول بعض الكائين . ونثق بمن
 لا يتفق معنا في لغة ولا جنس ولا دين ؟ ونقول في الجواب : قد قال مثل ما قال
 هؤلاء حاكم الهند العام الذي يحكم مئتي مليون من النفوس منهم نحو تسعين مليوناً من
 المسلمين أوزها خمسة أضعاف ما يحكمه الدولة العلية من المسلمين . وعب أنه لم يقل بذلك
 أحد من الحاكمين البريطانيين فأناسئلك : أي خدمة تقدمها أنت وقومك للانكليز
 جزاء على اعتقادك باخلاصهم في حب الوفاق معكم فتخاف ان تضيع هذه الخدمة
 مع من لا يستحقها ؟ لو أن هذه الدولة محتاجة اليها اليوم في عمل احتياري وهي
 تخطب ودادنا لتخدمها به لكان لنا ان نقول : انه يجب علينا أن نأخذ بالاحتياط
 ولا نخسر عملنا حتى نثق بصدق مجاملتنا .

يقولون لنا بلسان حلهم أو بلسان مقالهم : ربوا التربية الدينية . وانصعوا بصفات
 الاستقلال والرجولية . وتعلموا العلوم الفنون . وحصلوا المال والثروة ونحن
 نساعدكم على ذلك . فهل من الاحتياط ان لا نستغل بشي من ذلك لأن هذا ثقة
 بالقوم ولا ينبغي لنا ان نثق بهم الا بعد قيام البرهان على صدقهم . كيف يكون هذا
 وان ما يصدر عنهم هو عين البرهان على صدقهم .

يقول القائل : انهم يخادعون بمثل هذه الأقوال أمير الافغان والسوسي ليكون الأول
 مهمهم على روسيا وليأمنوا من اغارة الثاني على السودان . ونقول ان هؤلاء الكتاب
 بخاطبون دولهم وان حاكم الهند كان مخاطب رعيته المسلمين ومثله حاكم سيراليون (راجع
 صفحة ٧٠٧ من المجلد الرابع) فهل اتفق هذا وهو في غربي أفريقيا مع ذلك في شرقي

آسيا على مخادعة السنوسي الذي لا يسمع خفايا ولا يقرأ الجرائد فيعرف خبرها ؟
نعم ان أمير الافغان يعرف أحوال الهند وما يقول حاكمها . ولكن حاكم الهند العام
لا يقول للمسلمين : « انني لو كنت مسلماً لما أضعت من وقتي خمس دقائق من غير
فكر في ترقية شأن الاسلام » ولا ينصح للمسلمين بأن يقيموا التربية الدينية ويمدهم
بمساعدة الحكومة لهم لمجرد المخادعة فانه انما كان يخاطب قوماً علملين يخاطب رجال
التربية الاسلامية في احتفالهم العام بمدرسة عليكده . فقوله هذا أكبر منشط لهم
بالفعل . ثم ما كان لأمر الافغان أن يتجذع بالاقوال . التي لا تنطبق على الاعمال .

يقول هذا القائل : ان هؤلاء الحكام يقولون هذا ليطمن المسلمون الى حكومتهم
وهم يعلمون ان المسلمين لا يعملون . وتقول : اذا كنت أيها المسلم أسوأ ظناً
بقوهك منك بالانكليز فلا تجمل الذنب على خير الفريقين ولكن اجعله على شرهما
وهو من يقال له اعمل لنفسك فلا يعمل ثم يعتذر بأن من يقول له اعمل غير
مخلص في قوله . واعلم ان عقلاء المسلمين لا يرضون لانفسهم ما وصفهم به وأن
الانكليز لم يقولوا ولن يقولوا للمسلمين اعدوا ونحن نسي لكم . وأنهم ان قالوا
لرعاياهم : اعملوا ونحن لانعارضكم فاهم الشكر . فان زادوا وقالوا ونحن نساعدكم
فلهم الفضل العظيم فان سائر المستعمرين من الافرنج يتمتعون رعاياهم ومن في حمايتهم
من غير اهل دينهم من التعلم . وكل وسائل التقدم .

هذا الوفاق يراه المصريون رأياً جديداً ويراه سائر العثمانيين قديماً فهو رأي أكثر
وزراء الدولة وسائرها ولكنه كان وفاقاً انكليزياً تركياً . وكان عليه العمل بين الدولتين
ولا تنسى مساعدة بريطانيا العظمى للدولة العلية في الحروب الروسية حرب القرم وما
بعدها . ثم راحت عرى الصلة بينهما بعد احتلال انكلترا مصر وكادت سياسة المستر
غلاستون التحمسية تقطع تلك العرى قطعاً بما ظهر من تعصبه على الدولة وعلى
الاسلام في ابان الفتنة الأرمنية . وكان من أثر ذلك توثيق عرى الصلة بين السلطان
وعاهل الامان وضمف نفوذ الانكليز وكسدت تجارتهم في البلاد العثمانية حتى قال
البرانس بمرح ما مضى : ان المعلم غلاستون قد هدم بشقشقه الحمقى ما بنته دولته
في نحو قرن . ولا يزال أكثر نبهاء العثمانيين يفضلون الانكليز على كل دولة أوربية
وهذا كله مبني على قاعدة مسامة عندهم وهي انه لا بد للدولة من الاعتماد على دولة أوربية
في سياستها الخارجية

الدولة الانكليزية به ورأينا الجريدة السياسية الكبرى للمسلمين في مصر (المؤيد) موافقة عليه ولا يوجد في مصر جريدة سياسية غيرها يعتقد المسلمون برأيها في مصلحة المسلمين . الا أن هؤلاء يرتابون في انكليز مصر ان لم يرتابوا في انكليز الهند وحينهم في الارتباب ماذا ذكره المؤيد ويذكره جميع الناس من تصرف المستر دنلوب في المعارف تصرف من يريد اضافة اللغة العربية والدين الاسلامي في مدارس الحكومة . وانتقاد عمل المستر دنلوب بجمع عليه في مصر لا يختلف فيه مع المسلمين القبط والسوريون فهو منتقد في غير ما ذكرنا من أمر اللغة والدين . ولا ينسب عمله الا الى سياسة دولته ، وان كان يجوز انه خطأ في ادارته ،

والذي يكشف عن وجه الحق في هذه المسئلة وأشباهاها هو أن يرجع بعض الوجهاء العقلاء الى من بيده أزمة سياسة هذه البلاد وهو اللورد كرومر ويدينوا له الضرر فيما يعتقدونه ضاراً للبلاد أو للمسلمين في لغتهم أو دينهم فان أشكاهم وأزال الضرر فعليهم أن يمتدوا أن الانكليز لا يريدون بالمسلمين سوءاً وانما يحبون أن يتفهموا من بلادهم وينفعوهم جزاء على ذلك . وأن تين له الضرر وأصر على ابقائه فلمهم أن يسيروا الفطن بدولته وأن يمتدوا أن هذه الأقوال التي تقال في الخطب والكتب والجرائد تقرير وتعمية . اما نحن فنظن انه لا يستع منهم بمضرة الا ويزيلها قياساً على من كلفه في شأن ابطال التباية من الحاكم وبين له ان ذلك ضارٌ بالبلاد فكثرت قتل الاتفاق على ذلك بعد توكيده . وعلى من كلفه في مسئلة بيع الدائرة السنية وبين له مضرة الفلاحين فيه فقفز الاتفاق بعد ايرامه . ومثل ذلك كثير

ونحتم البحث بقول ينبغي أن نكرره دائماً وهو أن من لا يميل لنفسه فلا يصح أن يطالب غيره بأن يميل له . ومن كان مفسراً في حفظ حقوقه فلا يلوم من غيره اذا قصّر فيه . ومن عرف نفسه وعرف مكانه ممن يميل معهم لا يُظلم ولا يهضم . ومن أعطي الحرية في العلم والعمل ، فليس له عذر في التقصير والكسل ومن عرف قوة الرابطة الاسلامية لا يقطعها بمعية الوطنية فلو لا أن المسلمين كالجسد الواحد كما ورد في الحديث لما طلب الانكليز الوقاف معهم ، ومن ظلم نفسه كان جديراً بأن يظلمه غيره . اذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

والسلام على من تدبر القول فحكم عليه لا على القائل ، وكان همه منه التمييز بين الضار والنافع والحق والباطل .

التاريخ الإسلامي

﴿ الهدايا والتقاريط ﴾

(تاريخ التمدن الاسلامي) كتاب جديد يشغل بتأليفه صديقنا المؤرخ المتصف جرجي أفتدي زيدان صاحب مجلة الهلال الشهيرة « وهو يبحث في نشوء الدولة الاسلامية وتاريخ مصالحها الادارية والسياسية والمالية والجندية وسعة مملكتها وبيان زرونها وحضارتها وأنها وأحوال خفافها ومجالسهم وقصورهم وكل ما يتعلق بهم وتاريخ العلم والصناعة والآداب والشعر والآداب الاجتماعية والعادات والأخلاق في ابان ذلك التمدن وعلاقته بالتمدن الحديث » وقد صدر الجزء الأول منه في هذه السنة وفيه من اللباحت المهمة (١) بحث (العرب والتمدن) وفيه ثببات ان العرب عريقون في التمدن وأولو استعداد له راسخ فيهم . و (٢) عصر الجاهلية في الحجاز و (٣) حكومة العرب في الجاهلية و (٤) النهضة العربية قبل الاسلام أي استعداد العرب لظهور الاسلام فيهم بارتقاء عقولهم وآدابهم واحساس بعض خواصهم بالحاجة الى الاجتماع . و (٥) الدعوة الاسلامية . و (٦) الروم والفرس عند ظهور الاسلام ، وما كانوا عليه من الفساد والانقسام ، و (٧) انتشار الاسلام وأسبابه . ومثل هذه اللباحت يراها الجاهل طعناً في الاسلام لأنها تبين أنه قام على سنن الكون المعقولة والمسلم العالم يراها مؤيدة للاسلام ومينة لبعض حقايقه لأن من مقاصد هذا الدين ترقية العقل وهدايته الى سنن الله في الخلق ليسير عليها حتى يبلغ كماله وما هو بدين الغرائب والعجائب ومن مباحته الكلام في الخلفاء الراشدين والفتوحات الاسلامية والدول العربية في الشرق والغرب . والكلام في الخلافة والولاية والوزارة والجند والسلاح ونظام الحرب والاساطيل أو بيت المال وموارده ومصادره والقضاء والحسبة . والكتاب مزين بالرسوم وصفحاته ٢٠٣

يرى القارئ ان هذا وضع في العربية جديد بهذا التريب والتبويب وبحكم بالاجال قبل أن يراه بأنه وضع مفيد ، وان الأمة في افتقار اليه شديد . وقد قدره الباحثون في التاريخ من المسلمين قدره اذ تصدى غير واحد منهم لاستقاده فكتبوا في المؤيد مقالات يظهرون فيها ما عده عليه من الخطأ في بعض المسائل وقد رد المصنف على بعض من كتب واعترف ببعض الخطأ وأشار الى سيئه وأنه غير مهم . وقد

كنا شرعنا في قراءة الكتاب بالتدقيق لننقده بما يظهر لنا ولما رأينا شواغلنا الكثيرة لا تسمح لنا بإتمامه إلا بعد عدة أشهر ورأينا المناقشة في أمره كثرت رأينا من حقنا علينا أن نبادر إلى التنويه به والاعتراف بأنه مثال جيد لقراء العربية ولكن مسائله لا تؤخذ قضايا مسلمة فعلي من اطالع على النقد والرد أن يحكم الإنصاف وقواعد العلم مع النقل وعلى من لم يطالع على ذلك أن يراجع الكتب فيما يراه محلا للتوقف . أقول هذا وأنا واثق بأن مؤلف الكتاب لم يكتب إلا ما اعتقده مع حسن النية وصحة القصد . وأوضح دليل على ذلك أحجُّ به من أساء به الظن من المسلمين لأنه غير مسلم هو أنه أثبت أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قام بالدعوة وهو موقن بأنه مرسل من الله تعالى وأنه لم يكن طالب ملك ولا مال ولا جاء بل طالب إصلاح ألهمه الله تعالى القيام به ولما نأمرود إلى استقاد الكتاب بعد إتمام مطالعته . أمائنه فتمنوا قرشاً وهر يطلب من مكتبة الهلال بالفتجالة

(المروءة والوفاء) أو الفرج بعد الضيق . قصة عربية جاهلية حدثت في الجزيرة من العراق العربي بين الغريتين قرب الحورنق والسدير على ضفة الفرات قبل الاسلام في يوم يؤس النعمان بن المنذر . وقد نظمها ومدتها فيها ما شاء فقيد بيت الأدب الشيخ خليل اليازجي بن الشيخ ناصيف اليازجي الشهير ومثلت في بيروت على عهد الناظم . وقد طبعت في هذه السنة بمطبعة المعارف الشهيرة بأثقان الطبع . وقد قرأنا منها جملة فاذا شعر محرر ، وهو على صاحبه لا ينكر ، وثمن النسخة خمسة قروش وهو ثمن لا يذكر

(الهديب) . جريدة تهذيبية أدبية علمية تاريخية ديفية لطائفة الاسرائيليين القرايين بمصر . يحررها الأديب الأصولي مراد افندي فرج الحامي . وهي تصدر في شكل كراسة وقيمة الاشتراك فيها عشرة قروش تدفع الى (الحاخاخانة) أنشئت الجريدة في العام الماضي وقد أهدانا جناب الحاخام القاضل ورئيس اللجنة المالية المجلد الأول منها فالفناء طامحاً بالمباحث التاريخية والأدبية والدينية . وقد كنا نتعجب قبل العلم بهذه الجريدة للشعب الاسرائيلي كيف لا نكون له جريدة علمية أدبية أو مليّة في مصر مع ارتفاع الاسرائيليين في العلم والأدب والثروة والرابطة المليّة . وقد سرنا من هذه الجريدة عدم تعريضها بما يسوء أحد الطوائف . ولا غرو فأدب الاسرائيليين المالية تقضي بذلك (السعادة) مجلة نسائية علمية تهذيبية تاريخية فكاهية تصدر في الشهر مرتين

صاحبا ونشأتها رويتا . وقد نصحتنا الممددات من هذا المصدر في ز
 (كبر) فأنهم مفتوح ثلاثة في (الدفاع عن النساء) تناش فيها الرجال الجاهلين،
 الذين يرون حرمان الآتى من الطعام من الدين، ويلبها وصية من والده لابتها وهي
 وصية تدور على وجوب قيام المرأة بتدبيراتها بنفسها وان كانت غنية ووجوب محبتها
 لزوجها حتى يرى سعادته مرتبطة بها . ويتلوها مقالة في المرأة لصاحب المطبعة
 التجارية بمدة بضعة أسطر غربية في خبر غريب عنوانه «دير في سفينة» وهو ان رهبان
 جبل أثوس اتخذوا لهم سفينة في البحر ديرا . وللمهم يتمرنون فيها على الاعمال البحرية
 كما يتمرنون في أديار الحيل المقدس على الاعمال الحربية . لأنهم كما يقال رهبان من ابطون
 بارشاد روسيا . وسيكون لهم شأن في مستقبلها مع تركيا .

هذا وان المجلة مؤلفة من ثلاث كراسات وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشا
 مصريا في مصر و١٦ فرنكا في خارجها فمسي أن تلقى رواجاً ونجاحاً

(أسرار القصور) — قصة وضعية تبحث عن ماهية الروح ومعالها من الجسد
 وعن التنويم المغناطيسي الشائع بأوروبا وعن الزار والتدل بالقطار الشرقية . مؤلفها
 محمد أفندي حسين محرر جريدة البوستة وقد كتب في مقدمتها انه نشر فيها رأيا له منذ ست
 سنين . وكان سنة ثلاثا وعشرين . وهو اليوم لهذا الرأي من المنتقدين .

(المصري) «جريدة أسبوعية عامة مدرسية تصدرها جمعية التلامذة الإسلامية»
 ومحررها مدير الجمعية علي أفندي عبدالكريم . يطفو في مصر كثير من هذه الجرائد
 الصغيرة ثم يرسب بل يبدو ثم يخفى ولا تذكر منها شيئا لعلنا بأنها في حكم العدم .
 ولكن للتلامذة عندنا شأنا كبيرا وبأيت شائهم عند أنفسهم كذلك . لهذا نقول انه
 يسرنا أن تتوجه نفوسهم الى الأعمال الاجتماعية فيتكلموا بأنفسهم وأقلامهم عنها في
 وقت التعليم ليقوى اعتمادهم ويكمل رشادهم . حتى اذا صاروا في سن العمل
 كانوا من العاملين . ويسعدنا جدا أن ترضى جمعية التلامذة الإسلامية لنفسها
 إصدار جريدة تطبع على أردا الورق وتخوض في الموضوعات الحسنة والمهذبة،
 والاشعار الحمرة والقراية . فان المرأة المهذب يحفظ احسن ما يسمع ويقول أحسن
 ما يحفظ وهو مع هذا يتساهل في القول مالا يتساهل في الكتابة التي يرض فيها عقله
 وأدبه وأخلاقه على الناس أجمعين . فمسي أن يلتفت من يصدر هذه الجريدة الى قبول
 نصيحتنا باختيار الحسن من الكلام والورق حفظا لكرامة التلامذة وقادتهم والله الموفق

﴿ الاحتفال بافتتاح بمدرسة بني مزار ﴾

أنشئت في هذه السنة مدرسة خيرية اسلامية في بني مزار من مديرية النيا بتعاون أهل الخير والبر وقد أنيطت ادارتها بالجمعية الخيرية الاسلامية التي انشأتها بمساعدة الأهاليين فهي ليست كسائر مدارس الجمعية خاصة بأولاد الفقراء وخالية من النفقات الأجنبية بل هي كالمدارس الابتدائية الأميرة الاميرجي من زيادة العناية فيها بأمر الدين . ويتعلم فيها أولاد الأغنياء بأجرة قليلة . وقد كان افتتاحها في يوم السبت الماضي باحتفال رأسه الاستاذ الشيخ محمد عبده رئيس الجمعية الخيرية وحضره الوجهاء والفضلاء في مقدمتهم سعادة مدير النيا وقاضي المديرية ورئيس لجنة المدرسة حسن بك عبدالرازق العضو في مجلس شورى القوانين عن مديرية النيا . وقد كتب اليها المحامي الفاضل حسن اتندي عبد الرازق تفصيلاً عن هذا الاحتفال لحضائه بما يأتي

لما كل نظام المحفل قام الاستاذ الرئيس خطيباً فبدأ بالبسملة وقائمة الكتاب والصلاة والتسليم ، على النبي الهادي الى الحق والي طريق مستقيم ، و أعلن افتتاح المدرسة . ثم شكر للمتبرعين بانشاء المدرسة غيرتهم وفضلهم ومما قاله لهم . انكم انفقتم في خير سبيل ، وتاجرتم أربع متاجرة . فان هذه المدرسة ملككم لو أن العلم يملك وما الجمعية الخيرية الا نصيرتكم في عملكم وهي لاتي في معاوتكم باذن الله وتوكل ان تكونوا سواعدها وأعضادها . ثم قال . ان ما فرض على التلامذة الموسرين من أجر التعليم (وهو ثلاث مئة قرش سنوياً) ليس مما يضيق به صدر الكريم ، وتعلمون أن نفقة التنفيذ في المدارس الأخرى تبلغ ثمانية جنيئات في السنة أو تزيد ولو أنكم دفعتم في مدرسة لي لكم ضعف . تدفون في مدارس غيركم لكنكم الراجحين لان فرقاً بين من يتفق في بناء دار هي له ومن ينفق على دار متاجرة

ثم قال مامأخضه : لا تريد ان تخاطب الموسرين الذين أغوتهم شررة الفنى وأسكرتهم خمرة الشباب فقدفوا بأموالهم في هوة الضياع وصرفوا الطارف والتأيد . فيما يضر وما لا يفيد . فأولئك كالأغنام بل هم أضل . وانما تخاطب العقلاء من الأغنياء فتقول : اذا كنتم تقتصدون لتوفروا من مالكم ماتر كون لأولادكم حتى لا يكونوا فقراء تصاء فقد سعيتم في طريق محمود . بهذه الاسلام . ودعا اليه النبي عليه الصلاة والسلام ، وان ما تصرفونه في سبيل العلم والتربية هو من هذا القيل أيضاً لأنه توفير لسعادة الأبناء بل لاسعادة بالمال اذا لم تصحبه تربية نافعة وعلم صحيح يهتدي بهما المتمول الى كيفية الانتفاع .

لا يكون الانسان سعيداً الا اذا كان عائلاً مع يهذين سعداء . هب انك تركت لولده
بني من البروة وهو في موطن حيث تربية الخيالة ، واستجودت على آله الصلاة . آراء
بن سعيد آتية الاستاذ . رعايا خيرين . ولا يتدليه يد الغواية وتغاب عنه
بائع السفهاء . وتستهويه شياطين الزهوان . ان المرأ بقريته ورجل الخير بن
الشرور على خطر . ثم اتفق من مثله فسلم والتربية فهو الذي يوطئ لدرسته
اكتاف السعادة . ويوطئ لم دعائم المعيشة الراضية . لأنه يصلح لهم عبادة يمشون في
ظلالها آمنين .

ثم بين الاستاذ أسباب انقصار المدرسة في هذه السنة على تعاليم السنة
الأولى للتلامذة وعدم انشاء فرق من تلامذة السنة الثانية وما بعدها مع أن في
طلاب التعلم من هم أهل لذلك . وذلك الاسباب هي ضيق المحل الذي استوجر
لمدرسة الى أن تم بناؤها ولم يوجد غيره . وكون الوقت بين قبول الجمعية الخيرية
إدارة المدرسة وافتتاحها لم يكن كافياً لاختيار المعلمين الأكفاء والظفر بهم لقلة
عددهم في مصر . وثم سبب ثالث عام وهو أن السنة الالهية في الترقى أن يبدأ التي
مستفيدة أن تترقى بالتدريج وأن الأمور التي تنشأ كبيرة فالتألب أن ينحل عقد نظامها
في القريب العاجل واليأذ بالله تعالى .

ثم تكلم الاستاذ الرئيس في مسألة سن التلميذ فقال . ان الجمعية الخيرية الاسلامية
لم تحدد سن التلميذ في نظامها عبثاً ولا تقليداً ولكن حددته لفوائدها . تعلمون
بالضرورة أن ليس كل من دخل هذه المدرسة يكون محتلوا الوظائف بل سيكون منهم
التاجر والزارع والصانع . اذا دخل التلميذ المدرسة في الثامنة وأتم التعليم في أربع سنين
أو خمس يخرج منها مستعداً مهيناً للدخول في أي عمل شاء . واذا تقدم في السن
ودخل المدرسة بعد العاشرة فقد عود . من أن يلبس الأعمال الصناعية أو الزراعية
وربما يحجز أبوه عن أعماله فلهذا وهو عاجز عن الاشتغال بأعمال العاش فيضيع بين عجزين
ثم ختم القول بشكر سعادة المدير لحضور الاحتفال واستقص منه لتعميم المدارس
في المديرية وشكر لبعيد الرحمن بيلك قهني مأمور مركز بني مزار سعيه في الاكتاب
لهذه المدرسة . ثم دعا للمدرسة الدعاء الصالح ونسبوا الحديو المنظم قائلن الحاضرون .
وقام في أثره المدير فشكر للرئيس فضله وسعيه ووجه أنظار الوجهاء الحاضرين لتدبر نصائحه
ثم تلاه حسن افندي عبد الرزاق فبدأ قوله بخطاب الرئيس مثناً عليه بما هو أهله

ميناً نحوهم القلوب عليه ، وتوجه نفوس طلاب الترقى إليه . ثم أتى على المتبرعين للمدرسة وخص بالذكر كرام المسيحيين الذين عرفوا قيمة الوطنية ، ف تبرعوا للمدرسة مع علمهم بأنها إسلامية ، ثم تلاه المأمور فأظهر السرور والابتهاج بالاحتفال وأتى على فضيلة الرئيس وسعادة المدير .

ثم خطب حسن بك عبدالرازق رئيس لجنة المدينة فكلمهم على ما تقدم فأحسن وكان الحام مسكاً فجزى الله هؤلاء المحسنين خير الجزاء ، ووفق سائر الناس إلى حسن الأمانة والافتداء .

باب الاخبار التاريخية والزوار

﴿ تمة سيرة السنوسي المنشورة في الجزء ١٢ ﴾

وكان اعتناؤه منصرفاً الى علوم القرآن والتفسير والحديث . ولم يذكر كاتب المقالة السبب في هذا وما هو الا النزعة الاجتهادية التي كان عليها والده ورباه عليها ولذلك تولى تعليمه التفسير والحديث بنفسه . وكان الاجتهاد في الدين وفهم الأحكام من الكتاب والسنة صار ميباً عند المسلمين . ولذلك حاول كاتب المقالة تكذيب ما أشيع من ان المهدي غير مالكي المذهب وزعم أن كل السنوسيين على مذهب الإمام مالك (رضي الله عنه) قال « ويسلمون في الصلاة ويقبضون أيديهم » لعله يريد أنهم لا يتركون المشهور من مذهب مالك الا في بعض التدويات . والصواب أن السيد محمداً المهدي السنوسي لا يعمل الا بما صح عنه في الكتاب والسنة كما كان والده من قبله

ثم نكلم الكاتب عن سياسته فقال ان السنوسيين لا ينجشون فيما لا يمتهم كالسياسات فذلك عندهم فالحرمات وما أشيع عن السنوسي من أنه مستعد للحرب ويدخر الاسلحة المتقنة المجلوبة من أوروبا وأنه يشيد الحصون بالصحراء ويصنع البارود وله عسكر وخيول مسومة ويغض الإفرنج فهاته كلها خرافات وأراخيف لا أصل لها وسيعرف الناس ذلك عندما تسمح الحال بالمواصلات بين افريقيا الشمالية والجهات الصحراوية . وكتب مستشهداً ولا يفتك مثل خير . ثم أطلب الكاتب في تكذيب هذه الإشاعات ونهاها إلى ذوي الأغراض حتى كاد إطنابه يوقع في الظنة . واحتج على صدق قوله بأن الرحالة (مونتاني) وصف السنوسي وإخوان طريقته بما يقرب مما قاله

وقد كان في ذلك وقت ظهور واقع سياسي شجرة نشاد من الغارة والمار.
 في السنة ١٣٠٥ م. حرر الشيخ رافع بن رافع بن رافع بن رافع في السنة الفارطة
 في السنة ١٣٠٥ م. أخذت اسمها فاطمة في عاصمة راج. ثم وصف من ظلم هذا السنوسي
 الجديد وعنه ود كراني بعض الكتاب الفرنسيين لما سمعوا بحجبه طفقوا يستدرون
 السنوسي صاحب الطريقة ففان أنه جاهرهم بالبدوان. وسرى هذا القلط الفاحش
 إلى الطبقات العالية من أهل الصحف كالطان وغيره. وقال أنه لا لوم على تلك
 الصحف في غلطها. لأن هذا الإيهام سرى أيضاً لبعض الصحف الإسلامية نفسها
 مثل مجلة المنار فقد ذكرت أن السنوسي المهدي له حرب مع الفرنسيين.

ثم قال أن الشيخ المهدي السنوسي رحل في سنة ١٣١٢ من بلد جنجوب على
 حين تنفلة مع أهله وولده وبعض الأخوان قاصداً بلد الكفرة بالصحراء الشرقية في
 عرض ٢٥ درجة وطول ٢٠ درجة (من باريس) فوصل إليها بعد مسير أربعين
 يوماً وسبهاها بغداد من الجديدة ولم يعلم السبب في ارتحاله والذي أظن هو ميله
 للأنزواء وابتناءه عن الوسوس والمطامع الانكليزية اذ كان قدم عليه بعض سياح
 الانكليز في جنجوب. وفي سنة ١٣١٧ ارتحل من الكفرة فتوجه إلى نواحي كاتم
 ولا زال في تلك الأماكن على عادته المألوفة من عبادة ربه وعدم اشتغاله بما لا ينيه
 هو وطائفة من اخوانه إلى أن بلغنا انتقاله إلى الدار الآخرة في شهر جادى الأولى
 سنة ١٣٢٠ على طريق الصحف الاخبارية رحمه الله تعالى وجعل الجنة مثله ومثواه.
 (المنار) : قد انتهى تلخيص ما كتب في جريدة الحاضرة. ونحن نقول : ان أمر
 موته لا يزال مشكوكاً فيه فان السنوسيين الواردين من زوايا الصحراء على مصريكذبون
 ذلك ولا يبعد أن يكون تكذيبهم مبني على اعتقادهم بأنه للمهدي المنتظر. فان احتق
 أياماً فلا بد أن يظهر، ولذلك نرى أنه يقتضي الشك في موته لا رجح عدمه

وأما خبر تناوشة الفرنسيين للسنوسيين فانما اعتمدنا فيه على مكاتبات السنوسيين
 أنفسهم لا على الاشاعة والاستنباط، وليس حديث هذه المناوشة بالحديث وانما كان في
 العام الماضي فقد راجعنا بعد نشر مکتوب ذلك الطرابلسي مكتوباً آخر من أحد
 بطانة السنوسي مؤرخاً في رمضان سنة ١٣١٩ وفيه ما نصه :

« الاخبار الواردة من جهة كاتم ان الفرنسيين لما سمعوا أن سيدي البراتي
 توجه للزيارة قصدوا الزاوية مرادهم في هتك حرمة فوجدوا بها بعضاً من الاخوان

وبعضاً من العربان وبعضاً من التوارق والتقوا عند طلوع الشمس ٢٦ رجب ثم انتسب بينهم الحرب من الصباح الى الزوال وقتل منهم جماعة وافرة وثلاثة من كبارهم والمقاتلون الذين بأيديهم السلاح ثمانية عشر رجلاً لان الناس متفرقة والكفار اتوهم على حين غفلة لكن نصر الله المسلمين وهزم المشركين واستشهد فيها من الاخوان اخونا سليمان بن اخ سيدي البراني وأخونا عبد الرزاق فقيه الزاوية وأخونا حسين بن الفضل . ومن المجاربة ثلاثة اخونا ابو علي النمر وأخونا عبد الله بن موسى وأخونا مهدي بن شبيب واستشهد أيضاً الشيخ غيث بن الشيخ عبد الجليل وابن عمر المضبوه المغربي وبعض من التوارق وأثنان من جماعة السلطان قورون كانا عند الاستاذ زارئين وواحد قطروني وابعوا نفوسهم لله كما قال عز وجل : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واسواهم بأن لهم الجنة » . ولما أتى الخبر الى الاستاذ رضي الله عنه وجه سيدي البراني والحاج محمد التني ومعهم جيشا من المجاربة وزويه لقتال أعداء الله ربنا ينصر المسلمين على أعداء الدين » اه باختصار قليل جدا

ومنه ومن أمثاله من الكتب ومنها ما نشرناه في الجزء الثامن) يعلم القراء انه حصل شيء بين الفرنسيين والسنوسيين استمر قريبا من سنة ولا نعلم كيف انتهى لأن الاخبار الخصوصية انقطعت عنا من مدة طويلة واتنا نتوقع الخبر اليقين عن قريب . وبما ذكرناه يعرف القراء ان السنوسيين مستمدون للدفاع عن أنفسهم ولكنهم ليسوا أهل اعتداء فهم يمتلكون قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تمتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وستكون هذه الآية الكريمة هي منتهى المدينة في الحرب فان بقي صاحب المقالة المنتورة في الحاضرة في قريب بعد هذا فلتنا نذكر له في جزء آخر شيئا من نفوذ السنوسيين في اداي ونواحيها وتوايتهم للملوك وحلهم للمشكلات بينهم بذكر وقائع معينة بالاسماء والجهات ليحلم أننا نتكلم عن بصيرة . وقد كنا ذكرنا ذلك الخبر لغرابته بالنسبة الى المصريين وليس من موضوع المتار التوسع في هذه المسائل لانهم اقرب الى السياسة منها الى التاريخ ولا غرض لنا بالسياسة

أما العبرة التاريخية في ترجمة السنوسي فهي في شيئين (أحدهما) اجتهاده في الدين وعدم تقيده بمذهب من المذاهب وقد مهد له والده رحمه الله تعالى السبيل الى ذلك بكيفية تعليمه وبما ترك له من مؤلفاته التي بين بها الحق على وجوب العمل بالكتاب والسنة وعدم الرغبة عنهما الى قول أي عالم أو امام . وقد اطلنا على كتابه « بنية

القصد . في خلاصة الراسد » وهو مختصر كتاب الراسد) وفيه القدر الكافي من الاحتجاج على وجوب العمل بالكتاب والسنة . و (ثانيهما) تأليف عصية كثيرة بساطة الطريقة . وبما يتقدمه على أصحاب هذه الطريقة أنهم غلوا في شيخهم كثر أهل الطريق مع شدة تمسكهم بالدين الذي ينهي عن الغلو وأنهم يستقدون من شيخهم المترجم هو المهدي المنتظر وهذا الاعتقاد يضر في المستقبل عندما يتبين لهم كتمان لغيرهم عقبيه وأننا نرى عقلاءهم لا يستقدون هذا الاعتقاد ويقولون ان شيخهم لا يرضاه والله أعلم بمسير الأمور .



﴿ مشروع مجلة الجامعة الاقتصادية ﴾

كانت مجلة الجامعة تصدر في الشهر مرتين ثم جعلت في السنة الثالثة (الحاضرة) شهرية وجعلت عشر كراسات (ملازم) أو إحدى عشرة ويضاف إليها كراسات من القصة المعربة الملحقة بها . فتعذر على منشئها إصدارها في مواعيها على نشاطه واجتهاده حتى كان بين الجزء وما يليه أكثر من شهرين . ثم أنه شرع الآن في جعل المجلة خمس كراسات مع بقائها شهرية وجعل القصة التي يضيفها إليها كذلك فتوفر عليه تعريب ثلاث كراسات في كل شهر . ثم أنه يطبع من القصة الملحقة بالمجلة نسخاً زائدة يربح منها مثل ربع المجلة أو أكثر . ونرجو ان يتمكن بذلك من إصدار المجلة في كل شهر مرة

وما كان له ان يسمى هذا العمل مشروعاً لأن الناس اصطالحوا على إطلاق لفظ المشروع على الأعمال الكبيرة العمومية الجديدة التي تعدها الحكومات والشركات والجمعيات ثم تشرع في تنفيذها . وتعريب القصص ونحوها من الكتب لا يستحق هذا الاسم لاسيما اذا كانت منفعة الناس به تكون أقل مما كانت كما هو الشأن في هذا العمل فان مجلة الجامعة كانت صفحات مجموعتها السنوية تزيد على ألف صفحة بعد تعريب القصص الملحقة فصارت الآن تنقص عن خمسمائة . وانتقدنا على الرصيف أيضاً اختياره قصة بولس وفرجين للتلخيص والحاقها بالجزء الأخير الذي ابتدأ به مشروعاً وبنيها عليه ملاحظتنا . وذلك ان حسن هذه القصة في لغتها الفرنسية هو الإطناب في وصف الميثة البدوية فباختصارها زال هذا الحسن وليس في الموضوع قاذرة أخرى تستحق العناية . ثم ان القصة عبرت بتمامها من قبل وطبعت . ثم أعاد تعريبها بعض الأدباء

وهو ينشرها تباعاً في جريدة التمدن القراء . فمسي يكون اختيار الرصيف للأجزاء التالية أنفع من هذا الاختيار . هذا ما كتب للجزء الماضي من النار وقد تبين ان المعجز مستمر لان المجلة لما تصدر . فمسي أن يزول قريباً بزوال الضنك المالي . . .

(البراعة في الاعلان) كان صاحب مجلة الجامعة يرسل لكل جزء يصدر من مجلته إعلاناً الى جريدة المؤيد يتني فيه على الجزء ماشاء ويشترط أن يكتب في الاخبار المحلية بصفة تقرير وكانت ساحة الاسلام تحمل المؤيد على القبول . ثم انه تحرش بصاحب الهلال ليناقشه فيشوق قراءه الى الإطلاع على ما يجيب به ولكن صاحب الهلال لم يرد عليه مطاعنه فيه حيا بالمسألة التي هي طبع له . ولما ضاق ذرعه تحرش بالاسلام ووطن فيه وفي أئمة قصدينا للرد عليه لأننا كنا نعتقد فيه حسن النصد ولا نكره التنويه بمجلته وانتشارها . ثم انه خيب ظننا فيه وأظهر أنه متعمد للامس فوجدنا لذلك حتى زال العجب لما علمنا أنه أرسل كتاباً الى صديق له يقول فيه عن الوطن بالاسلام : قد عرفت أنه اكتشف مهم للاعلان عن الجامعة وثكنتي مشتركها وسترى قريباً في الجامعة بحثاً آخر عن الفزالي سيكون بصفة إعلان أشهر ويمثل ذلك نزول « عنى المسرات وينمحي الضنك » بفضل اقبال المشتركين من المسلمين حتى لم يبق جزء واحد في الادارة من هذه السنة . هذا ما كتب فعلنا أن خدمة « الحقيقة والضمير » هي خدمة المجلة لازالة « الضنك والمسرات » وأنا نعلم علم اليقين ان المسلمين لا يقبلون على تعصيد من يطمعن في دينهم وأئمتهم وانه لم يكتب الى بعض أصحابه ما كتب الا ليثبتموا ذلك فيكون تيمناً للاعلان . وتذكر الرصيف المحترم بمجريدة كبيرة منتشرة في القطر المصري انتشاراً لا تطمع فيه الجامعة نقلت لمنا في الاسلام مرة فكادت تسقط لشدة اعراض المسلمين عنها مع قوتها وزنها فكيف تبت الجامعة امام هذه الماصفة على ضعفها وبشره بان المسلمين شهوراً يميزون به بين ما يبي وما يسر ولا يمكن أن يعضدوا من يطمعن بدينهم مهما كانوا مقصرين في خدمته . فقدم الشهرة خير من الشهرة السيئة فليترك الفزالي وغيره واستكلم بما يعلم . فهو أنفع وأسلم ، وهذا آخر نصائحنا له أو إعلاننا له .

(النقل أمانة) ترى بعض الجرائد في هذه الديار وغيرها تنقل عن النار ولا تنزرو اليه . ومن ذلك أن جريدة المأمون القراء تنقل المقالات الطويلة من مجلدات النار السابقة تنير عناوينها أو تقسم المقالة الى مقالات تحمل اسكل عنواناً وكثيراً ما تسند المقالة الى عالم مجهول فنكتب : قال بعض علمائنا ، فقد ذكرها بوجوب اسناد الشيء الى مأخذها لأن النقل أمانة

بوقى الحكمة من بناء ونبوءات
الحكمة فقد أوفى خيراً كثيراً وما
يذكر الألويم الألباب

المجلة

١٣١٥

ففسر عبادى الذين يستمعون القول
فيتقون أحسنه أو تلك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان الإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت غرة شعبان سنة ١٣٢٠ — ١ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

الاسلام والنصرانية • مع العلم والمدنية

(حرية العلم في أوروبا الآن • ونسبها الى الماضي والحاضر في الإسلام)

(وهو المقال السادس لذلك الامام الحكيم)

لم يبق علينا من الكلام الا ما يتعلق بالأمر الرابع مما ذكرته الجامعة^(١)
وهو « ان تمكن العلم والفلسفة من التغلب على الاضطهاد المسيحي في
أوروبا وعدم تمكنهما من التغلب على الاضطهاد الاسلامي دليل واقعي على
ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً مع الفلسفة »
ليس من السهل على أن أعتقد أن أديباً كصاحب الجامعة يقول
هذا القول وهو ناظر إلى الحقيقة بكلتا عينيه مع معرفته بلسان الغربيين

(١) يذكر القراء ان كلام الجامعة في الطعن بالإسلام كان مبنياً على أربعة أمور

أقدم الرد على ثلاثة منها وفي هذا المقال الرد على الرابع

وإطلاعهم على ما كتبوا في هذه المسألة وهي من أهم المسائل التاريخية .
وإنما هي عين الرضى تناولت من حاضر الحال ومما انتهى إليه سير التاريخ
مأثولت ثم أملت على قلبه ما جرى به قلمه

هل يصح أن تُسمى الاستكانة للغالب تسامحاً؟ وهل يُسمى المعجز
مع التطلع للأزاع عند القدرة حلماً، أم يُسمى غلّ الأيدي عن الشر بوسائل
القهر كرماء؟ هل تعد مساكنة جناب البابا ملك إيطاليا في مدينة واحدة
واجتماع الكرسيين العظيمين كرسي المملكة الإيطالية والمملكة البابوية
في عاصمة واحدة تسامحاً من قداسة البابا مع الملك؟ أليس الأجدر بالمنصف
أن يسمي ذلك تسامحاً من الملك مع البابا لأنه صاحب القوة والجيش
والسلطنة ويمكنه أن يسلب البابا تلك الثمالة التي بقيت له من السلطة
الملكية؟ كما أن الأليق به أن يسمي تلك الحالة التي عليها أهل أوروبا اليوم من
طأئنة العلم بينهم بجانب الدين تساهلاً من العلم مع الدين لا تسامحاً من الدين
مع العلم بعد ما كان بينهما من الحوادث ما كان وبمعد غلبة العلم واستيلائه
على عرش السلطان في جميع الممالك ورضاء الدين بأن يكون تابعاً له في أغلبها
(اقتباس مدنية أوروبا من الإسلام . وأسباب ظهورها التام)

السبب الأول الجميات : كان جلا ديين العلم والدين في أوروبا وتآلفت
لنصرة العلم جميعيات وأحزاب منها ما اتخذ السرّ حجاباً له حتى يقوى
ومنها ما ابتدأ بالمجاهرة . وكان الدين يظهر بالعلم كما سبق بيانه لكثرة أعوانه
وضعف أعوان العلم حتى أشرقت الآداب المحمدية على تلك البلاد من سماء
لأندلس وتبع إشراق تلك الآداب واشتغال الناس بهاسطوع نور العلم
لعمري من الجانب الشرقي كما ذكرنا . وقد وجد هذان النوران استعداداً

من النفوس للاستضاءة بهما في السيل التي تؤدي بهما الى المدينة التي كانا يحملانها. هذا الاستعداد كسبته الانفس بما ضايقها من غلو رؤساء الدين في استعمال سلطاتهم واشتدادهم في استعباد العقل والوجدان حتى ذرع القطرة عن الاحتمال فأخذ الشعوب الإنساني يتلمس السيل الى الخلاص وإذا لاح له هذان النور ان اتخذها له هداية واستقبلها بوجهه وكان بعد ذلك ما كان من تأثر الدين لأهل العلم وإحراقهم بالنيران، ونفيهم من الأوطان، ومقاومة رؤساء الدين للحكومات ولأهل الأفكار المستقلة في أدنى الأشياء وأعلاها حتى إنه عند ما شرع ملوك فرنسا في فرش شوارع باريس بالبلاط على الاسلوب الذي وجدوه في مدينة قرطبة وصدر الأمر بمنع تربية الخنازير في تلك الشوارع أغضب ذلك قسوس القديس أنطوان ونادوا بأن خنازير القديس لا بد أن تمر في الشوارع على حريتها الأولى . وحصل لذلك شغب عظيم اضطر الحكومة أن تسمح بذلك مع صدور الأمر بأن توضع في أعناقها أجراس . وقالوا ان الملك فيليب السمين مات بسقطة عن فرسه عند ما انزعج الفرس من منظر خنزير وصلصلة الجرس في عنقه لقائل ان يقول : ان القسوس في ذلك الزمان كان يمكنهم أن يتمتعوا من وضع الأجراس في أعناق الخنازير فرضاهم بذلك بعد تسامحاً عظيماً مع العلم (أو الصناعة) ويسهل علي أن أوافقه على ان مثل هذا الضرب من التسامح في أجراس الخنازير كان يظهر من حين الى حين الا أنه فيما ظن لا يكفي في تشييد هذه المدينة التي يفتخر بها الأوربيون اليوم ونحن لا نجسمها قدرها كذلك

السبب الثاني الضغط الديني : شدة الحاجة وغلو الرؤساء كانوا يوقدان القيرة في قلوب طلاب العلوم فلم تفرلهم همة فهم أمرهم واكتشفوا كثيراً من

الحقائق التي نفعت العامة ونهت العقول للأخذ بها يجدون فيها صارتا شريفة
 بينهم وبين رؤساء الدين سجالا إلى أن سر دعاة الإصلاح أدنى
 (البروتستانت) فانضم دعاة العلم إليهم غنائمهم أن سيكونون معهم من
 المجاهدين في سبيل العلم. وكان منهم إيراسم الشيرفلما انتصر طلاب الإصلاح
 ودالت لهم دولة استمروا يماقبون بالموت على الأفكار التي تخالف ضاهي
 ما يمتدنون كما تقدم فاتفصل إيراسم ومن معه من حماة الحرية واستقلال
 الإرادة الشخصية وترك المصلحين يتفرقون شيئا ويقتل بعضهم بعضا وقال :
 ما كنت أظن أن دعاة الإصلاح يكونون كذلك أعداء العلم
 هذه الطوائف التي تفرقت عقائدها في الإصلاح لم تنظر إلا أن
 تأمن عدوها العام وهو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فلما امنها أخذ بعضها
 يصول على بعض واشتعلت نيران الحروب بينهم . قال أحد أفاضل
 مؤرخيهم : « وكلما ارتفعت طائفة منهم إلى عرش القوة لوثت يديها بالجرائم
 في العمل لإفناء البقية حتى شئت النفوس دوام تلك الحال ووجدت من
 توالي حوادث الانتقام وظهور مضارته في كل طائفة أن الأفضل لكل
 طائفة أن تمنع الأخرى من الحرية مالا تستغني عنه واحدة منها . والعلم
 كان يعمل عمله في كشف الحقائق وترقية الآداب وكان من أقوى المنبهات
 إلى مضار الحروب ومفاسد المدوان على حرية الأشخاص من أي طائفة
 كانت . من هذا نشأ ذلك الأصل العظيم أصل التسامح والرضى بمجاورة
 المخالف في الرأي . نشأ من القهر والقسوة التي كانت كل طائفة تعامل
 بها الأخرى » انتهى كلام المؤرخ بالمعنى

السبب الثالث الثورة : ولا حاجة بي إلى ذكر ما جاءت به الثورة

الفرنسية وكيف كانت قيامتها على الدين ورؤسائه مما هو معلوم . وإنما أتبه القارئ إلى الاعتبار بما تقدم من القول ، وبما يمكنه أن يقف عليه في مكتب التوم ، ليعلم أن الدين المسيحي في أوروبا لم يحتمل العلم فضلاً عن كونه ، بل انخرطت عليه أحزاب العلم فسامره استكانة وخضوعاً ، ولو



الدين في أوروبا الآن : رؤساء الدين المسيحي رجال ذوو عنصرية وفساد ديني ، فلم يدانهم فيها رؤساء دين من الأديان . وهم مع غلوهم في الدين وانعدامهم في استعمال سلطانهم على النفوس كانوا ولا يزالون يتخذون كل وسيلة لتأييد دينهم . وهم أشد الناس حرصاً على تقويم أركانهم ودفع الشبه عنه ولم يزدع العلم الجديد إلا وسائل وسبل لترويض عقائده وآدابه ولم تقرر لهم حمة في نشره وتزيينه للقلوب . ومع ذلك كله نرى أن رجال العلم وحماته المدنية يتملأون منه ، والامة من الشعوب في تحاذل عنه ، والامة الفرنسية التي كانت تدعى بنت الكنيسة أصبحت من أشد الناس عليه ، ورأت فلسفتها أن تحدد حرية أهل الدين في تعليمهم واجتماعهم . كل ذلك ومدارس اللاهوت لا تزال عامرة وطلاب اللاهوت يمدون بالآلوف . كل ذلك وكثير من الدول ترى من مزاياها حماية الدين المسيحي في أقطار الأرض . قال أحد رؤساء البروتستان في خطبة من خطبه التي ألقاها في بعض البلاد الفرنسية سنة ١٩٠١ بعد كلام له في أن المسيحية رومانية أوروبية فقدت خاصتها الدينية كما فقدت قائدها الاجتماعية مانسه مترجماً : « إذا كان الدين المسيحي ليس شيئاً سوى الكثرة المحتاجة إلى الإصلاح (المذهب الروماني) أو الكثرة التي دخلها



الاصلاح بالفعل (المذهب الباطني وتشتقي) فاقرب نواحي الخشوع والعبادة
الخالصة (لا يكون مسيحياً ابداً)

وقد جاء في كلام عبد الله الخطيب - رحمه الله - في بيان ان مطالب
المسيحية مبنية على آخر ينطبق كل الانطباق على دعوات المسلمين يجب ان
وفق للنجاح في سعيه زال الخلاف - ان شاء الله - بين الدين والعلم
بين المسيحية والاسلام

عود الى ساحة الاسلام : اخذ بيد القاري الآن ، وأرجع به الى ما مضى
من الزمان ، واقف به وقفة بين يدي خلفاء بني أمية والأئمة من بني
العباس ووزرائهم : والعقلاء والمتكلمون والمحدثون والأئمة المجتهدون من
حولهم ؛ والأدباء والمؤرخون والأطباء والفلكيون والرياضيون
والجغرافيون والطبيعيون وسائر أهل النظر من كل قبيل مطبقون بهم ؛
وكل من قبل على عمله فاذا فرغ عامل من العمل أقبل على أخيه ووسع يده
في يده يعاين النقيه المتكلم والمحدث الطيب والمجتهد الرياضي والمحكم
وكل من يرى في صاحبه عوناً على ما يستعمل هو به ، وهكذا أدخل به بيتاً من
بيوت العلم فأجد جميع هؤلاء سواء في ذلك البيت يتخذون ويتبعون
والامام البخاري حافظ السنة بين يدي عمران بن حطان الخارجي يأخذ
عنه الحديث وعمر بن عبيد رئيس المعتزلة بين يدي الحسن البصري شيخ
السنة من التابعين يتلقى عنه وقد سئل الحسن البصري عن رجل يسأل
لقد سألت عن رجل كان لا زكوة أدبته وكان لا أخيه ربه ان علم به
فقد به وإن قعد بأمر قام به وإن أمر بشي كان الزم الناس له وإن نهى
عن شي كان أترك الناس له ما رأيت طاهراً أشبه باطن منه ولا باطناً

أشبه بظاهر منه « بل أرفع بصري فأجد الامام أباحنيفة أمام الایام زيد ابن علي (صاحب مذهب الزيدية من الشيعة) يتعلم منه أصول العقائد والفقہ ولا يجد أحدهم من الآخر الا ما يجد صاحب الرأي في حادثة ممن ينازعه فيه اجتهدا في بيان المصلحة وهما من أهل بيت واحد - أمرٌ به بين تلك المصنوف التي كانت تختلف وجهها في الطلب وغايتها واحدة وهي العلم وعقيدة كل واحد منهم أن فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة كما ورد في بعض الاحاديث ^(١)

الخلقاء ائمة في الدين مجتهدون وبأيديهم القوة وتحت أمرهم الجيش والفقهاء والمحدثون والمتكلمون والائمة المجتهدون الآخرون هم قادة أهل الدين ومن جند الخلقاء . الدين في قوته والعقيدة في أوج سلطانها وسائر العلماء ممن ذكرنا بعدهم يتمتعون في اكنافهم بالخير والسعادة ورفه العيش وحرية الفكر لا فرق في ذلك بين من كان من دينهم ومن كان من دين آخر فهناك يشير القاري المنصف الى أولئك المسلمين ، وأنصار ذلك الدين ، ويقول : ههنا يطلق اسم التسامح مع العلم في حقيقته ، ههنا يوصف الدين بالكرم والحلم ، ههنا يعرف كيف يشق الدين مع المدنية ، عن هؤلاء العلماء الحكماء تؤخذ فنون الحرية في النظر ، ومنهم تهبط روح المسألة بين العقل والوجدان (أو بين العقل والقلب) كما يقولون

(١) النار: رواء أبو الشيخ ابن حبان في العظمة عن أبي هريرة بسند ضعيف . ورواه من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات . ولكن له روايات أخرى منها رواية الديلمي في مستند القردوس عن أبي بلقظ (ثمانين سنة) وفي رواية موقوفة على ابن عباس « خير من قيام ليلة » وثمرة هذا المعنى قال الترمذي وردت السنة بكذا

يرى القاري أنه لم يكن جلااد بين العلم والدين • بينما كان بين
أهل العلم أو بين أهل الدين شيء من التخالف في الآراء شأن الأحرار
في الأفكار الذين أطلقوا من غل التعقيد ، وعوقوا من علة التقليد ، ولم
يكن يجري فيما بينهم اللز بالآفتاب فلا يقول أحد منهم لا خرائه زنديق
أو كافر أو مبتدع أو ما يشبه ذلك • ولا تناول أحداً منهم يد بأذى إلا
إذا خرج عن نظام الجماعة وطلب الإخلال بأمن المامة فكان كالعضو
المجذم فيقطع ليذهب ضرره عن البدن كله

(ملازمة العلم للدين • وعدوى التعصب في المسلمين)

متى ولع المسلمون بالتكدير والتفسيق ، ورُمي زيد بأنه مبتدع وعمر
بأنه زنديق ، ؟ أشرنا فيما سبق إلى مبدأ هذا المرض ونقول الآن إن ذلك
بدأ فيهم عند ما بدأ الضعف في الدين يظهر بينهم وأكلت الفتن أهل البصرة
من أهله (تلك الفتن التي كان يثيرها أعداء الدين في الشرق وفي الغرب
لخفض سلطانه ، وتوهين أركانه) وتصدر القول في الدين برأيه من ثم
تمتزع روحه بروح الدين ، وأخذ المسلمون يظنون أن من البدع في الدين
ما يحسن إحداه لتعظيم شأنه تقليداً لمن كان بين أيديهم من الأئمة المسيحية
وغيرها • وأنشأوا ينسبون ماضي الدين ومقالات سلفهم فيه ويكتفون
برأي من يرونه من المصادر المتعالمين ، وتولى شؤون المسلمين جهلهم ، وقام
بارشادهم في الأغلب ضلالهم ، في أثناء ذلك حدث القلاو في الدين واستمرت
تيران المداوات بين النظر فيه وسهل على كل منهم لجهله يديه أن يرمي
الآخر بالمروق منه لأدنى سبب • وكلما ازدادوا جهلاً بدينهم ازدادوا غلوًا
فيه بالباطل ودخل العلم والتفكير والنظر (وهي لوازم الدين الاسلامي) في

جملة ما كرهوه ، واتقلب عندهم ما كان واجباً من الدين محظوراً فيه
 لا أكاد أخطئ القاري إذا زعم أن المسلم إنما استفاد اسم زندقة
 وزندق ومتزندق وزنديق من فضل ما طه جيرانه إذا كانوا يقولون :
 هرقة وهرتق وهو هرتوقي . أو ما يماثل ذلك . أو زعم أن قد فشت في
 المسلمين سرعة التكفير بطريق العدوى من أهل الملل المتشعبة وإن الذي
 سهل سريان العدوى بتلك السرعة الشديدة هو ضعف الزاج الديني عند
 المسلمين بمجهلهم بأصوله ومقوماته ومتى ضعف الزاج استعد لقبول
 المرض كما هو معلوم .

إن المسلمين لما كانوا علماء في دينهم كانوا علماء الكون وأئمة العالم .
 أصيبوا بمرض الجهل بدينهم فانهزموا من الوجود وأصبحوا أكلة الآكل
 وطعمة الطاعم ، هل وقف الجهل بالمسلمين عند تكفير من يخالفهم في مسائل
 الدين أو يذهب مذهب الفلاسفة أو ما يقرب من ذلك ؟ لا بل عدايتهم للجهل
 على أئمة الدين وخدمة السنة والكتاب فقد حُمِلت كتب الامام النزالي
 الى غرناطة وبعد ما انتفع بها المسلمون أزماناً هاج الجهل بأهل تلك المدينة
 وانطلقت السنة المتعالمين من البربر بتفسيره وتضليله فحُمِلت تلك الكتب
 خصوصاً نسخ « إحياء علوم الدين » ووضعت في الشارع العام في المدينة
 وأحرقت . قال قوم يعدون أنفسهم مسلمين في ابن تيمية — وهو أعلم
 الناس بالسنة وأشدّهم غيرة على الدين — : إنه ضال مضل . وجاء على
 أثر هؤلاء مقلدون عملاًون أفواهم بهذه الشتائم وطبهم أثماً وإثم من
 يقوم بها الى يوم القيامة

حفظ اهال آثار السلف وحال علوم الدين وطلابها

أهل المسلمون علوم دينهم والنظر في أقوال سلفهم حتى انك لا
تجد اليوم في أيديهم كتاباً من كتب أبي الحسن الأشعري ولا أبي منصور
الماتريدي ولا تكاد ترى مؤلفاً من مؤلفات أبي بكر الباقلاني أو أبي
اسحق الإسفرائيني . وإذا بحثت عن كتب هؤلاء الأئمة في مكاتب
المسلمين أعياء البحث ولا تكاد تجد نسخة صحيحة من كتاب . كتبت على
القرآن تفاسير كثيرة في القرن الثالث من الهجرة وما بعده الى السادس
منها تفسير الطبري وتفسير أبي مسلم الاصفهاني وتفسير القرطبي وتفسير
الخصاص وتفسير النزالي وتفسير أبي بكر ابن العربي وكثير غيرها وفيهم من
آراء اولئك الأئمة ووجوه استنباط الحكم والاحكام ما لا غنى لطالب علم الدين
عنه . فهل يجد الباحث المجتهد نسخة من هذه الكتب الجليلة يمكن الوثوق
بصحتها الا بطريق المصادفة وحسن الاتفاق ؟ وهل يليق بأمة تدعي أنها
على دين وأن لها فيه سلفاً صالحاً أن تهجر آثار سلفها وتدع ما كتبوا
طيمية للث و فراشاً للتراب ؟ هل وقع مثل ذلك من المشتغلين باللاهوت
المسيحي في زمن من الأزمان ؟

ان حالة طلبة العلوم الدينية الاسلامية أصبحت مما يرثي له في أكثر
بلاد المسلمين فهم لا يقرأون من كتب الكلام الا مختصرات مما كتب
المتأخرون يتعلم اذ كام منها ما تدل عليه عباراتها ولا يستطيع ان يتعلم البحث
في أدلتها وتصحيح مقدماتها وتمييز صحيحها من باطلها وإنما يتلقاها كأنها
كتاب الله أو كلام نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ ما فيها بالتسليم . فإذا
ناظره مناظر في بعض قضاياها وعجز عن تصحيحه قطع الجدل بقوله

هكذا قالوا وإن لم يكن القول منفصلاً عليه بل قد يكون القول مما لم يقل به
سوى صاحب الكتاب الذي اشتغل به وربما كان صاحب الكتاب ممن
لو رآه أحد من السلف لم يرضه تلميذاً يعني عنه ما يقول .

كأن ينقطع طلب العلوم الدينية في سوريا والحجاز وتونس والجزائر
وقل جداً في المغرب الأقصى ولم يبق الاهتمام به إلا في بعض الصحاري
وذلك إما بصعوبة طرق التعليم واقتضاها الزمن الطويل وحاجات الناس
مانعة لهم من إقناء أعمارهم في عمل لا يسد من حاجتهم . وإما لتفضيل الآباء
تربية أبنائهم على الطرق الحديثة في أوروبا أو في المدارس الأخرى وليس
فيها من الدين شيء وإن كان فيها شيء منه فهو مما لا يعد تلميذاً دينياً ينظر
إليه . وإما للفتور والجمود ، الذي نشأ عن التقليد والجمود ؛ وبذلك تجد
المسلمين قد تولاهم الجهل بدينهم ؛ وأخذتهم البدع من جميع جوانبهم ؛
وانتشرت الصلة الحقيقية بينهم وبين سلفهم ؛ حتى لو عرض على الجمهور الأعظم
منهم ما اتفق عليه السلف من الأحكام لأنكروه واستغربوه وعدوه بدعة
في الدين وصح فيهم ما قال عمر الخيام في بعض أشعاره الفارسية مخاطباً للنبي عليه
الصلاة والسلام : « إن الذين جاؤا بعدك زينوا لك دينك ووشوه وزر كسوه
حتى لو رأيته أنت لأنكرته » فهذا الصنف من المسلمين وهو معظمهم قد
أنكر دينه الحق وعباده ونقم على أهله القاعين بخدمته وإنما اصطفي
لاعتقاده بعض أفراد لم يعرف عن السلف اختصاصهم بالثقة ولم يسمح الدين
باختصاصهم بالتقليد . فإذا وقع عن هذا الصنف ما فيه أذى للسلم وأهله فرب
يبد ذلك واقفاً من دين الاسلام دين محمد صلى الله عليه وسلم دين القرآن
دين السنة الثابتة دين الخلفاء الراشدين ومن تبعهم من السلف الأولين ؟



مناجاة العلماء للاسلام ومبادئه

العلم لا الخلق . فادعهم الى دينهم انهم انما هم من خلق الله . فكلما بعد عنهم علم الدين بعد عنهم علم الدنيا وخرموا ثمار العقل . وكانوا كالبقر في العلم الدينية ، توسعوا في العلوم الكونية ، وضربوا الزمان سوط من الزرة ، اما غيرهم فكلما اتصلوا بالدين وجدوا في المحافظة عليه انكسار العلم وتجردهم واكفر وجهه للعلم . وكلما بعدوا من الدين سالهم العلم وبش في وجوههم . وتلك يصرحون بأن العلم من ثمار العقل والعقل لا يصح ان يكون له في الدين عمل ، ولا أن يظهر منه فيه أثر ، والدين من وجدانات القلب ولا علاقة بين ما يجد القلب وما يكسب العقل . فالفصل تام بين العقل والدين ولا سبيل الى الجمع بينهما . ساء بهم الله فيما يسمونه تسامحاً مع العلم ، وهم يصرحون بأنه عدوه الذي يستحيل ان يكون بينه وبينه سلم ،

هل عرفت السبب في اضطهاد المسلمين للعلم ؟ أقول اضطهاد ولا أريد به ما كان عند الامم المسيحية من الاشتداد في إيادة أهله والتكفل بهم واختراع ضروب التعذيب والتفتن في صنع آلات الهلاك مع الأخذ بالشبهة ، والاكتفاء في الإعدام بمجرد التهمة ، فان ذلك لم يقع عند المسلمين لا أيام علمهم ، ولا في أزمنة جهلهم ، ولكن أريد من الاضطهاد الاعراض عن العلم ورعي الألفاظ الخيفة في وجوه أهله وقذفهم بشيء من الشتم مع الابتعاد عنهم . لا ريب أنك قد أيقنت بأن السبب في هذا الذي يسيه الأديب اضطهاداً إنما هو جهلهم بدينهم . فالدواء الذي يجمع في شفائهم من هذا الداء لا يكون : لا ردهم الى العلم بدينهم والتبصر فيه للوقوف على أسرارهِ والوصول الى حقيقة ما يدعوا اليه . كان الدين

واسطة التعارف بينهم وبين العلم فلما ذهبت الوساطة تناكرت النفوس
وتبدل الأتس وحشة

الدعاة الى الاسلام: فهل قام بينهم دعاة للعلم حقيقيون، أو دعاة لأصل
الدين عارفون، ثم استعصت قلوب المسلمين عليهم، وجمعت نفوسهم عن الانقياد
لهم، وهل كثر أولئك الدعاة في أطراف بلاد المسلمين كثرتهم في أوربا من
أواسط القرن السابع عشر من التاريخ المسيحي الى ان ظهرت قوة العلم في أوائل
القرن السابع عشر وفيما بعد ذلك؟ لا. إنما رأينا من الصادقين أفراداً يظهر
متفرقين في عصور مختلفة ربما لا يجتمع أربعة منهم فإزيد في قرن واحد ويأخذون
في العمل لما وجهوا اليه ثم لا يكادون ينطقون ببعض الكلام فيحس الناس بهم فيأخذ
المستعدأهبة لمفارقة ما كان عليه واتباعهم حتى تشمر السياسة (نعوذ بالله منها) بما
عنى يكون من أمرهم فتخمد أنفاسهم، قبل ان يبلغوا من قلب واحد ما أرادوا
من غرس أفكارهم، فينطفيء النور، ويذهب الدُّجُور، فهل يعد الأديب هذه
الضربات من أيدي أرباب السياسة اضطهاداً للعلم لأجل حماية الدين؟ أنزه
كل أديب عن ان يظن ذلك وإنما هي صدمات تقع على الدين لا تختلف
عن أمثالها مما يصيبه منهم مباشرة فلا تعد حجة على الدين في نظر المنصف
المقلد دون المقلد: ربما يقول القائل: ان كان المسلمون قد أخذوا الجلود
في التقليد والنفرة من العلم والاعتقاد بالعداوة بين الدنيا والآخرة وبين المقل
والدين وما أشبه ذلك مما هم فيه وورثوه عن الأمم السابقة عليهم خصوصاً
أقرب الأمل اليهم، فما بالهم لم يقلدوا المسيحيين في الحرص على نشر دينهم
والتوسع في علومه مديلاً بما أخذوه عنهم ولم يقسموا أنفسهم قسمين كما قسم
المسيحيون إخوانهم قسمين قسماً ينقطع الى الآخرة في الأديار والصوامع

وقدما يشغل بالدنيا ليقبض نفسه ويهت أهل القسم الأول ويحمي نفسه ويحميهم من الدوائف ؛ ومالك ترى المسلمين خلوا وانحلت أعصابهم وشتموا النظر في علوم دينهم كما ذكرت ثم صاروا أبعد الناس من معرفة الطرق لتحصيل الغنى والثروة ، والقبض على ناصية القوة وصولجان العزة ، وشيروا أنفسهم في تيار من القدر كما يقولون ، يجري بهم الى حيث لا يعلمون ؛ ثم هم مع ذلك أحرص الناس على حياة ؛ وأشدهم لهما على الخطام ، فلا ترى الجمهور منهم في شيء للدين ولا للدنيا فما هذا التناقض ؛ فأقول له : انك قد نسيت ان المقلد يكون دائما أخطأ حالا وأخسر منزلة من المقلد . فالمقلد إنما ينظر من عمل المقلد الى ظاهره ولا يدري سره ولا ما بني عليه . فهو يعمل على غير نظام ، يأخذ الأمر لا على قاعدة ، ولذلك سقط المسلمون في شر مما كان عليه مقلدوهم لاسيما انهم قد خلطوا في التقليد وأضافوا الى دينهم مالا يمكن ان يتفق معه فصاروا في مثل حال المتخبط الذي تنازع عدة قوى يذهب مع كل منها آثما ثم ينتهي أمره بملء الخيبة بالتمسك الشديد فيستلقي الى أن يستريح فينهض الى العمل على هدى أو يموت . لما كان المسلمون غاياه كانت لهم عينان عين تنظر الى الدنيا والأخرى تنظر الى الآخرة فلما طفقوا يقلدون انغمضوا احدى العينين وأقعدوا الأخرى بما هو أجنبي عنهم ففقدوا المطلقين ولن يجدوها الا بفتح ما انغمضوا وتطهير ما أقعدوا

الاصلاح والمصلحون : لا تأتئ أن تقول : كيف تدعي أن دعاة العلم والدين

قليل بين المسلمين مع أننا نسمع أصواتهم تتلاقى في جوار مصر وسوريا وغيرهما من البلاد في هذه الأيام . كل يقول : ديني ملتي : اسلام مسلموني : قرآن سنة .

عند الإسلام القديم، ساقه الصالحون، تعلم تلميح : كتب قديمة كتب بديع ، وما يشاكل ذلك مما يظهر منه ان الداعين الى العلم أو المنهين الى الاخذ باصول الدين الاسلامي كثيرون ولا ترى مع ذلك من أغلب المسلمين الا اذا ناصبوا عينا غيبا وصدقا عما يدعوا اليه هؤلاء ، ويمكنني أن أقول له : ان الصادق في هؤلاء ليس بكثير سنة ، والجمهور منهم قلما يخلص قصده ، وما تجد أكثرهم الا من جرح من سنة كلمات ، الكذب بعض خريجات : ويظهر لك ذلك من أنهم يلقون هذه الاسماء وقلما يدرسون شيئا من مدلولاتها ايقفوا على الحقيقة منه ، انما يلقف بعضهم عن بعض خواهر كان لا تمكث في الارض ، اما الصادقون على قلتهم بقديح بعض الناس يسمعون ما يقولون ، ويطلبون الرشاد مما يملكون ، خصوصا في أمر الدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا لا سيما في بلاد الهند وبين مسلمي روسيا . ولكن الاصلاح ليس ريمحائب فتمسح الأرض من الشرق الى الغرب في وقت قريب فانتظر قديقون القائل : لم تم يكثر هؤلاء كثرتهم بين الأوربيين فيما مضى حتى يغلبوا الظالمين من أهل السياسة ويستيلوا المادلين منهم اليهم ، ونهضوا بالمسلمين من هذه الرقعة التي طال أمدها عليهم ، ولم لا يزال أهل البصيرة منهم قليلا ، تفرق بينهم يمسون بالقول ولا يجهرون ، وليس لهم فيهم دعاء مليون ، ، ليس ذلك سبيلا لمواخدة الاسلام وحجة عليه ؟ ، وأقول له : ان حظ المسلمين لا يصح ان يكون أسعد من حظ مقلديهم بل المنتظر ان يكون أتمس وقد أقامت المسيحية ما يزيد على الف سنة قبل ان يظهر فيها العلم أو تنشأ الحرية الشخصية ، أو تسري فيها الحركة العملية ، الى ما فيه صلاح الجمعية الانسانية ، مع توالي المنهات ، وتواصل



الصدمات إثر الصدمات ، ولم يمض على المسلمين من يوم استحكمت فيهم البدعة وأطبقت عليهم ظلم المحدثات ودخلوا جحر الضب الذي دخله من كان قبلهم الا أقل من ثمانمائة سنة فلم يمض عليهم وهم في بدعهم الجديد ذلك الزمن الذي قد يكون عمرا مثل هذه الحالة ثم تقضي نحبها في آخره . وما أظن ان يمر على المسلمين مثل تلك المدة قبل ان يبلغوا من صلاح الدين والدنيا ما هم أهل له

الفرق بين التعصين: وعلى كل حال لا يجوز في شريعة الانصاف أن يذكر المسلمون في جانب جمهور المسيحيين اذا ذكر الغلو في التعصب الديني فضلا عن ان يقال ان المسلمين أشد إفراطا فيه . والشاهد يدلنا على انه قد يكون للمسلمين في التعصب الفاظ وكلمات ، ولكن الذي يكون من جمهور المسيحيين إنما هو أعمال وضربات في الممارسات ؛ وما على طالب الحقيقة الا ان يسبح بفكره في المستعمرات الهولندية في الشرق ومثل مملكة الترنسفال قبل سقوطها وبلاد الناتال في الجنوب ثم يرجع الى بعض بلاد روسيا في الشمال من قبل عشرين سنة ثم يرجع الى الجزائر وما يليها في جهة الغرب ليعلم كيف تكون الشدة في المعاملة مع غير أهل المذاهب المسيحية وكيف يبلغ التعصب من أهلها حدا تنظر اليهم فيه الانسانية شزراً ، ولا تقبل لهم فيه المدنية عذراً .

ما على الباحث الا أن ينظر فيما يكتبه الكتاب الفرنسيون ليعلم أنهم في حيرة من أمرهم مع المسلمين . يريدون أن تكون لحكومتهم طمأنينة فيما ملكت من بلاد المسلمين ولكن حكومتهم لا تجد السبيل اليها مع ما اتخذته قاعدة لعملها وهو الشدة والافراط في القسوة على المسلمين خاصة

وخدم دون سواهم. وأرباب الأعلام يبحثون عن تلك الطمأنينة مع المحافظة على تلك القسوة ويأبى الله أن يعثرهم على ما يبحثون عنه لأنهم يطلبون الجمع بين الشدين في موضوع واحد وهو محال كما يقرره فلاسفتهم

حجج رأى هانوتو الأخير في معاملة المسلمين

موسيو هانوتو أطلق لقلبه من سنوات أن يجري في البحث عن طريقة حكم للمسلمين وقاعدة لمعاملتهم في البلاد التي يحكمها الفرنسيون وجاء في فصول مقاله بما لا يزال يذكره القراء . ثم بعد أن قتل المسألة علما ثلاث سنين رجع الى موضوع البحث هذه السنة بالذات غير الذي كان ينطق به ورأي غير الذي كان يصدر عنه . وإني ذاكر . لخص ما نقلته الجرائد من خطابه الذي ألقاه في المجمع الجغرافي في شهر مارس من هذه السنة متعلما بأفريقيا واقتصر منه على ما يتعلق بما نحن فيه وهو بالمعنى : « ان التواعد الجديدة التي يجب ان يكون عليها العمل في أفريقيا هي مخالفة للتواعد القديمة التي كانت تجري عليها السياسة الاستعمارية فيما مضى من الزمان » (أي قبل ساعة وقوف الخطيب لالقاء خطابه) ثم بين هذه التواعد الجديدة التي يعامل بها المحكومون فقال لهم اننا نؤمن ونسلم ثم قال : « اننا مدينون لهم بالعدل والسلام كما اننا مدينون لهم بالتساهل الذي ولست أشير الى هذا الموضوع الخطير الذي له علاقة بكل ما يثير النفس البشرية الا إشارة خفيفة فاقول : ان التمدن الاوربي يجد في طريقه في أفريقيا لاسيما في شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذي هو دين الاسلام والذي هو في هذه الجهات (شمال أفريقيا) أكثر نشاطاً منه في غيرها . وهذا الدين يدعو الى آله واحد ويحمل الايمان بالتوحيد مصدراً لكل الفضائل

الإنسانية والاجتماعية والسياسية . ونحن نؤمن به سبباً أساسياً في كل شيء .
 على التعلات منه . فمن المشرع وضع علينا التساهل في هذا الشأن .
 التساهل بكاف وحده فمن الواجب ان ندرس هذا الدين ونبدل جهته
 في فهمه . وعلينا ان نأخذ الكلمة الاسلامية « لا إكراه في الدين »
 شعاراً لنا لا نخرج عن حدود معناها . وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه
 من كل طارئ سوء . ولا بأس بذكر كلمة للأمير عبد القادر الجزائري
 في هذا المقام وهي : « إن أختاب الأديان الثلاثة يشبهون ثلاثة اخوة من
 ثلاث أمهات » انتهى محصل كلام هانوتو . قبل الكلام عليه أسأل القارئ
 هل سمع مثل هذه الكلمة ممن يمثّل الأمير عبد القادر في نسبه ان
 الى صاحب الرسالة ومقامه في أهل دينه ومكانته من سلامة متيدة في
 في مذهبه ؟ أو سمع ما يقرب منها ممن لا يدانيه من أهل المال الاخرى ؟
 ترى هانوتو يرشد أهله الى اتخاذ سبيل جديدة في سياسة المسلمين
 وهذا الجديد هو السلم والأمن والتساهل مع المسلمين في أن يستمر
 مسلمين واحترام حقوقهم وتركهم يعملون بدينهم ، وعد هذا مبدءاً جديداً
 لم يسبق الجري على مثله . وهل تجب الحكومة الفرنسية مثله ؟ مسألة
 فيها نظر . فهل يليق بمنصف ان يذكر المسلم اذا ذكر التعصب مادام
 في الكون مثل هذه الدرجة منه ؟

﴿ سياسة الانكليز في التسامح ﴾

نعم نحن لا ننكر ان بين الأمم الاوربية أمة تعرف كيف تحكم من
 ليس على دينها وتعرف كيف تحترم عقائد من تسوسهم وعوائدهم وهي
 الأمة الانكليزية فهي وحدها الأمة المسيحية التي تقدر التسامح حق قدره .

لا يسمى علينا أن نقول : إن - نشأ ذلك أن أمراء عافى الحروب والصراية
وقواد جيشها كانوا من أشد العدائين علاقة بساطان المسلمين وأمراء جيشه .
وقد امتاز الانكليز في ذلك الزمن المظلم بدرس عقائد المسلمين وعاداتهم فحماوا
من ذلك شيئاً كثيراً إلى بلادهم ولم تحجبهم غشاوة المنصب عن إبصار ضوء
الحق وظهر أثر ذلك في أفلام كثير من كتابهم مثل ولتر سكوت وشيل وغيرهما
قبل أن يظهر في أفلام الكتّاب من غير الانكليز بأزمان طويلة . فلما أن
نقول ولا نخشى لأننا : إن هذه الخصلة الشريفة - خصلة إطلاق الحرية
لأهل الدين يمتنعون بإداء فرئيسه مع : احترام - يحترمون - هي من
أجل الخصال وربها غير المسلمين عن المسلمين . وهل أجد من يأتي على
القول بأن الاسلام السليم من البدع هو أستاذ الانكليز وعنه اخذوا
هذه الخلة ؟ الا ترى ان نظامهم في ذلك يقرب من نظام المسلمين
في يوم كانوا مسلمين : يكتفون من الناس بالخضوع للقوانين وداء
الأنفرض عليهم من الضرائب ثم يحفظون نظام العدل بينهم بقدر ما تسمح
به السياسة لا يفرقون بين دين ودين . وهكذا كان حال المسلمين .
كان ذلك على قاعدة أبر وارحم

خاتمة : فان قال قائل : أليس لهذا المقال من آخر ؟ أليس في طول الكلام
مجدبة الملل ، وترويج الكسل ، قلت اني أوجه كلامي هذا الى أهل النهم
الى الفهم ، وأرباب الشره الى المعرفة ، ولا أظن هؤلاء الا طالبين ما هو
أوسع من هذا المقال وأطول منه اضمافاً مضاعفة لأن الموضوع جليل ،
والكلام فيه مهما كثر قليل ، وأما القارئ الملول ، فعليه بدخول ، وعزمه
مفلول ، فكيف مفلول ، وهو قصير الامة فيما يتصور : ان الطوار ، فلا

عليه في تلك الحالة، فلو كان هذا الكتاب من كتب التفسير،
 لكان له شأن كبير في فهم القرآن الكريم.

البدع والمحدثات فيه والعلل التي نشأت بالمسلمين بسببها فرصة أخرى
 وقبل أن أترك القارئ أنبهه إلى أن ما أوجلت في هذه الفصول لم يقصد
 به الطعن في حال أحد من الناس ولا طائفة من الطوائف كما يعرفه القارئ
 نفسه من لباس المعاني وما يكسوها من الأدب والتزهد عن كل كلمة تشم
 منها رائحة العيب على آخره. وقد يعلم من هذه النزاهة أن هذا رأي طبخناء
 لنطمع به بأنفسنا، ونفقد منه على من تلزمنا نفقته من أهلاء، ولم يكن يخاطر
 بالنا عند ما أجدنا يلبخه أن نفيض منه على غيرنا، لكن إذا عشنا الساري
 إلى ضوء نارنا، وطلب القارى متاعاً سمناه ما لدينا، وعرضنا عليه آخر من
 تنس الحياة، واهناً من خلق الأناة، إن شاء الله، اهـ

(المدار) من غيب الاتقى أنه بعد ما كتب هذا المقالات ونشر بعضها
 ظهرت تلك المقالة للمستر كوريت الانكليزي التي نشرت في المؤيد فجاءت
 شاهداً مؤيداً لما كتب الكاتب في فضل الإسلام وفي صفات الانكليز
 وسنلحق قوله في الإسلام بالمقالات التي نشرت على حقتها في كتابنا
 القراء بأن هذا الامام وعد بان يكتب مقالا آخر ملحقاً بهذا في بيان إن ما نشرنا
 على الإسلام من البدع وما لحقها من الجحود سيكون هو السبب في الرجوع
 إلى الأصل وإعادة مجد الإسلام ولعلها تنشر في الجزء الآتي

وقد باع كتاب (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة) نحو مئتي صفحة
 وسنزيد شهادة الكاتب الانكليزي ثم مقال الامام الموعود به. وقد طبع على
 رزق جيد وجعلنا منه مع هذا خمسة قروش صحيحة فقط رغبة في سعة انتشاره

(باب الأسئلة والأجوبة)

(حدوث العالم في نظر الاسلام والفلسفة)

(س ١) المولى رضا الدين افندي قاضي القضاة وعضو الجمعية الاسلامية المامل في اوقاف (روسيا) : قد طال النزاع وقوي الجدل وكثر في هذه الأيام القليل والقال بين الناس في هذا القطر في مسألة حدوث العالم من جهةها الشرعية . فبعضهم يقول : ان الاعتقاد بالحدوث الزماني حسب ماقرره علماء الكلام من متأخري المسلمين فرض على العباد مثل الاعتقاد بوحدة الله تعالى وصدق رسوله وسائر الاعتقادات الواردة في القرآن الشريف . وبعضهم يخالفه ويقول : ان الاعتقاد بحدوث العالم حدوثاً زمنياً لا يكلف به الشرع ولا أخبر به النبي ولا نطق به القرآن الكريم بل هو من آراء أهل الكلام ويدعمهم أخذوه من فلاسفة اليونان ولقنوه العوام باسم الدين وما هو من الدين أصلاً . بل هو من باب الدين بالرأي . وانما الواجب على المسلمين هو اعتقاد ان العالم مخلوق له تعالى من غير تعرض الى حدوثه بالزمان أو بالذات . وهو الذي نطق القرآن به في عدة مواضع . وبالجملة ان القول بالحدوث الذاتي أو الزماني انما هو من مسائل الفلسفة لانماق له بالشرعية . ولما كانت جريدة المنار هي الجريدة الدينية الوحيدة جئنا الى حضرتكم نستفسر رأيكم في هذه المسئلة ونشره أيضاً في أحد أعدادها ويكون هو ان شاء الله تعالى الفاصل بين الحق والباطل .

(ج) ان الصواب في الرأي الثاني . وما كان لدين الفطرة . مقرر الحثيفة السبعة . الذي ظهر في الامين ، ودعا اليه المتوحشين والممدنين ، ان كل يكلف كل فرد في نصحيح الايمان ، بنظريات فلاسفة اليونان ، وانخير بين تلك الخلافات في الحدوث بالزمان والحدوث بالذات . ثم خلاقات الفلاسفة مع أهل الكلام ، في أصل وجود الزمان . فالتكلم يقول انه أمر اعتباري ، والفيلسوف اليوناني يقول انه وجودي ، وانهم الممارك بحارب الباحث فيها غير عدو حتى اذا أعيا من مقارعة الدليل بالدليل ، ونفض عنه غير القال والقليل ، رجع الى أحد الامرين — وقوف الحبرة أو دين الفطرة ، المقصد الاول من مقاصد القرآن المين ، تقرير عقائد الدين ، ثم هو لم ينطق بكلمة من مادة الحدوث للاعيان ، لا بحسب الذات ولا بحسب الزمان ، فلما نظر ان يقول : ان أطراد السنن الآلهية ، في العوالم العلوية والسفلية ، ووحدة النظام مع الاتقان ، في جميع هذه الاكوان . يالآن على ان لها ذاتاً عالياً . قدراً حكماً .

حيًا قيومًا ، لا اذ لا اذلة ، لا معقب لحكمه وحكمته ، انه
النظام المشهود ، في عرج الوجود ، وهذا يكون مؤنابا برهان ، به يطبق القرآن ،
وان لم يخطأ به الله حدوث تلكا ، حدوث الزمان ،

أما مسألة حدوث اسم في نظر اناسفة فالمتفق عليه ولاسه المعبران كل ما يراه
ونحس به من هذه المعالم الأرضية والسموية فهو حادث بمعنى أنه لم يكن كانه ، لأن
ثم كان ، والكن عضلة العقد عند المتقدمين والمتأخرين ، هي مسألة مشأ التكوين ،
وهم متفقون على ان الوجود المطلق قديم وان العلم المطلق لاحقة له ولا يتصوره
العلم وانه لا يحدث شيء من الاشياء ، قال فلاسفة والمتفلسفون يحسمون ان علم
المسائل القطعية ، لا يطبق على الايمان وان سهاوية ، ونحن نول ان العلم الذي
في القرآن ، قد رعا الاستقام في كنه الله تعالى آية تدل على ان الوجود
الحقيقي ، صدر عن العلم الخبي ، بل قال : « وخلق كل شيء بقدرة تفسيرا » والخلق
به التكب وهو لا يمتد في القدم ، بل هو اولم ير الذين كفروا ان السحاب
والارض كانتا رتقا ففتقناهما ، وقال : « ثم اسسوى الى السماء وهي دخان فقال لهم
« انفس اربا لربكم ان كنتم ائتمنا بوعدا ربكم » واما مسألة حدوث العلم
في الوجود الذي انما يمكن حدوثه ، وأنه صدر عن وجوده ، فهو قديم
لانعرف حقيقة ولا كيفية صدره عنه وانما قام البرهان بأنه صدر بارادة وهدرة
وعلم وحكمة ، وذلك ما ذكرناه من وحدة النظام والاحكام واطراد التواءيس والسفن .

دعوى كتابة النبي التركية . (ص ٢) ومعه : قال الفاضل المرجاني

صاحب « نظورة الحق » في رسالته « مستند الاحبار » : ان حدث اتي مبررة
المذكور في أسد الغابة طبع مع بعض النسخة (ص ١٤٠) . فغ فيه عذرا عطلا
وقت طبعه والصواب ، في النسخة الخطية في زمان قريب من عصر المؤلف ابن
الأثير رضي الله عنه ، وهو هكذا : « وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب
امير ومن معه كتابا تركيا ذكره » فان رواه نقول بالفاظ عربية وبدلوها وصحفوها
تركناها لذلك ولم لم يكن لدينا نسخة أخرى سوى المطبوعة المذكورة انقاباها
رجونا من حضرتكم متابلة النسخة المطبوعة مع الأصول المصححة خدمة للعلم
والدين ثم بيانه لنا لتكون على بصيرة من ذلك وأجركم على الله .

(ح) لم يكن التحريف والتبديل في النسخة المطبوعة وانما كانا في رسالة

الفاضل القزاني « مستفاد الأخبار » فإن ما كتبه عن النسخة الخطية هو عين ما في النسخة المطبوعة إلا أنه صحف لفظ « تركنا ذكره » بقوله « تركياً ذكره » ولفظ (غريبة) بلفظ (عربية) فكان التبديل والتحريف ، من هذا التصحيف ، وسببه أن النسخة الخطية التي رآها غير منقوطة فأوقعت الفاضل فيما رأيت . وما كان مثله أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم يكتب لقوم من العرب كتاباً تركياً فإن جاز أن يعرف هو التركية من طريق المعجزة فمن أين لعمر وقومه بني أسلم علم ذلك ؟ وما هو الداعي إلى مخاطبة العرب بلسان المعجم ؟ ثم ما كان مثله أن يخفى عليه أن كلمة (ذكره) بعد كلمة (تركياً) لا معنى لها ولكن معناها ظاهر إذا كانت الكلمة (تركنا) وهو أن المصنف ترك ذكر الحديث لوقوع التحريف فيه وسبب التحريف وجود الالفاظ الغريبة التي لم يفهمها رواه . أما عبارة الكتاب فهي كما في ترجمة عمير بن أفضى الاسامي : « روى أبو هريرة قال قدم عمير بن أفضى في عصابة من أسلم فقالوا يا رسول الله انا من أرومة العرب نسكافي المدو بأسنة حداد ، وأذرع شداد ، ومن ناوانا أوردناه السامة ، وذكر حديثاً طويلاً في فضل الانصار وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمر ومن معه كتاباً تركياً ذكره فان رواه نقلوه بالفاظ غريبة وبدلوها وصحفوها تركناها لذلك أخرجه أبو موسى اه وقد قابلنا النسخة المطبوعة بنسخة خطية في مكتبة الحكومة المصرية كتبت في سنة ٧٢٢ أي بعد وفاة ابن الأثير بأقل من قرن فالفيناها مطابقة لها

السلام على غير المسلم : (س ٣) الشيخ بسطوي يسي بركات بالحلة الكبرى : قال الله تعالى « وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَخَبِّرُوا بِأَحْسَنِهَا أَوْ رُدُّوها » وقال تعالى « وَلَا تَقْرَبُوا لِيسَ أَلْتَمَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا » وقال « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا » الآية . فهل هذا الإطلاق في الآيات الكريمة يشمل المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب وغيرهم من بني آدم أم هو خاص بالمسلمين قيدت إطلاقه عليهم أحاديث صحيحة صريحة ؟ وهل قوله صلى الله عليه وسلم فيها معناه : أن من حق المسلم على المسلم إفشاء السلام . يعتبر من قيود الإطلاق لفهم البعض سقوط حق غير المسلم أم لا ؟ وإذا قيل أنه عام فهل ينبغي شيوعه بين الطوائف حتى يصير عادة مألوقة أم لا ؟

(ج) إن الاسلام دين عام ومن مقاصده نشر آدابه وفضائله في الناس ولو

بالتدريج وجذب بعضهم إلى بعض ليكون البشر كلهم أخوة . ومن آداب الإسلام التي كانت فاشية في عهد النبوة إقباء السلام إلا مع المحاربين لأن من سأم على أحد فقد أمتنه فإذا فك به بعد ذلك كان خائناً ما كنا نعهد . وكان اليهود يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم فردد عليهم السلام حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بانفظ (السَّام) أي الموت فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحيبهم بقوله « وعليكم » وسمعت عائشة واحداً منهم يقول له : السَّام عليك . فقالت له : عليك السلام واللغة . فأنهرها عليه الصلاة والسلام میناً لها أن المسلم لا يكون قاحتاً ولا سبباً وإن الموت علينا وعليهم . وروى عن بعض الصحابة كابن عباس أنهم كانوا يقولون ناذمي : السلام عليك . وعن الشعبي من أئمة السلف أنه قال لنصراني سأم عليه : وعليك السلام ورحمة الله تعالى . فقل له في ذلك فقال « أليس في رحمة الله بيمش » وفي حديث البخاري الأمر بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف . وروى ابن المنذر عن الحسن أنه قال « فحيوا بأحسن منها ولا تساموا » أو ردوها « لأهل الكتاب » وعليه يقال للكتابي في رد السلام عين ما يقوله وإن كان فيه ذكر الرحمة

هذه لممة مما روي عن السلف ثم جاء الخلف فاختلّفوا في السلام على غير المسلم فقال كثيرون أنهم لا يبدأون بالسلام لحديث ورد في ذلك وحلوا ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على الحاجة أي لا يسلم عليهم ابتداءً إلا الحاجة . وأما الرد فقال بعض الفقهاء أنه واجب كردّ سلام المسلم وقال بعضهم أنه سنة وفي الحانية من كتب الحنفية ولو سلم يهودي أو نصراني أو مجوسي فلا بأس بالرد . وهذا يدل على أنه « إجماع عند هذا القائل لا واجب ولا مستنون مع أن السنة وردت به في الصحيح أما ما ورد من حق المسلم على المسلم فلا ينافي حق غيره فالسلام حق عام ويراد به أمران مطلق التحية وتأمين من تسلم عليه من القدر والإيذاء وكل ما يسيء . وقد روى الطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة : « إن الله تعالى جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا » . وأكثر الأحاديث التي وردت في السلام عامة وذكر في بعضها المسلم كما ذكر في بعضها غيره كحديث الطبراني المذكور آنفاً

أما جعل تحية الإسلام عادة فتعدي أن ذلك مطلوب وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن اليهود كانوا يسلمون على المسلمين فيردون عليهم فكان من تحريفهم ما كان سبباً لأمر النبي صلى الله تعالى عليه والسلام بأمر المسلمين أن يردوا عليهم

بأنظروا عليكم ، حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرفين . ومن مقتضى القواعد أن الشيء يزول بزوال سببه . ولم يرد أن أحداً من الصحابة نهى اليهود عن السلام ، لأنهم لم يكونوا يحفظوا على الناس آداب الاسلام ، ولكن خاف من بعدهم خاف أرادوا أن ينعوا غير المسلم من كل شيء بعمله المسلم حتى من النظر في القرآن وقرائة الكتب المشتملة على آياته وظنوا أن هذا تعظيم للدين ، وصون له عن المخالفين ، وكما زادوا بعداً عن حقيقة الاسلام زادوا أيضاً في هذا الضرب من التعظيم . وإنهم يشاهدون النصارى في هذا العصر يجتهدون بنشر دينهم ويزعمون كثيراً من كذب على الناس عجباً ويمهدون أولاد المخالفين لهم في مدارسهم ليقربوهم من دينهم . ويجتهدون في تحويل الناس الى عبادتهم وشمارهم ليقربوا من دينهم . حتى أن الأوربيين فرحوا فرحاً شديداً عندما وافقهم خديو مصر السابق على استبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري وعدوا هذا من آيات الفتح . ونرى القوم الآن يسعون في جعل يوم الأحد عيداً أسبوعياً للمسلمين يشاركون فيه النصارى بالبطالة . ومع هذا كله نرى المسلمين لا يزالون يحبون منع غيرهم من الأخذ بأدابهم وعاداتهم وزعمون أن هذا تعظيم للدين . وكأن هذا التعظيم لانهية له الا حجب هذا الدين عن العالمين ، ان هذا هو البلاء المين . وسيرجعون عنه بعد حين .

باب التوسيع والتعميم

الازهر والازهريون . وقاضل هندي

(الرسالة الثانية مما وعده الشيخ عبد العزيز العريشي الازهرى والاولى نشرت في الجزء ١٠)

(من القاهرة الى حيدر اباد)

إليك أيها الاخ سلام صديق طبع قلبه على الاخلاص لك ، وارتبط بأسباب محبتك . وشكوى شوق قد برح في برح . لا أستطيع له شرحاً . وبعد فقد ذكرت لك في رسالتي السابقة طرقاً من نظام مدرسة الازهر وطرق التعليم بها على وجه الجملة والآن أريد أن آتي لك بعبارة أوسع وتفصيل أشق على كل ما رأيته من نظام طلبتها وسلوكهم مناهج التحصيل مقتفياً أثر الطالب في كل دور من أبواب طلبه من إبان

دخوله فيها حتى يترشح لنيل شهادتها ميئاً لك قوته وما حصل عليه في كل دور منها
 زرت أيها الاخ تلك المدرسة من تاريخ الرسالة الاولى حتى اليوم زورات متعددة
 في أوقات مختلفة وقفت فيها على تلك الدروس وقفة العاشق الدقب على الربيع المحيل
 وهو يبكي لأناس غاهدوا الرحيل على أن لا يملؤا التذبل

فكانت نتيجة ذلك البحث الدقيق والتقرير المتواصل ان ظهر لي ما عليه تلك
 المدرسة الواسعة الكثيرة العدد ووقوفها على مواضع خللها وسوء نظامها على ما أنا
 عليه من القرية وبعد الدار . ورأيت أن أجعل كل موضوع رأساً مستقلاً بنفسه
 أذكر فيه كل ما استبان لي من التقدم كما سيربك ان شاء الله

انتظام الطلبة : وأول أمر رغبت في كشف سره وبيان سببه من أمور هذه المدرسة
 هو سبب كثرة طلابها حتى بلغوا التسمية آلاف أو يزيدون وأغلبهم من المصريين كما
 قدمت لك في رسالتي السابقة فكان غاية ما وقفت عليه من ذلك ما سمعته هناك من أن
 ثقة خير قال : لا يكاد يمر الانسان ببلدة من البلدان المصرية أو قرية من قرراها حتى
 يرى مئات من شبان المصريين حلقاء القرية وضيق ذات اليد وهم يطاردون الجوع
 بالغاس والمحراث وتمضية يومهم الطويل في الحقول وللمزارع والتعب والتصب تحت شمس
 تذيب بوجهها رأس الضب . ومن بينهم أفراد لا يكاد يخلو منهم بلد من البلدان أو قرية
 من القرى معطلون عن كل عمل يطلقون عليهم تارة لقب الفقهاء أو الوعاظ وطوراً اسم
 المأذنين يرى الواحد منهم في جبة وقباء وعمامة مجرأياً كل جميع ساعات نهاره مامتر بما في بيته
 خالياً من كل عمل أو قاعداً في إحدى الزوايا ينثر من فيه على بسطاء أهل الفلاحة
 ما يسمونه وعظاً وارشاداً وما هو الا أقاصيص أو لغو في حكمها يدعوا الناس به الى
 حب التواكل والبطالة حتى اذا أتى على آخر الدرس لبث مكانه منتظراً ما تدركه
 أيدي أولئك العملة الساكنين الذين لم يحصلوا على الدرهم الا طراداً ، ولم ينالوا
 اللقمة الا جهاداً ، ومن ذلك يتألف لهؤلاء المظللين عيشة لا تعب فيها ولا نصب فاذا
 رزق الله أحد الفلاحين الفقراء ولداً وقع بين تارين ما أن يدعه يشغل بما يشغل
 هو به فيعيش عيشة البؤس والخصاصة وإما ان يدفع به الى الأزهر ويثابر على أن يقسم
 له ما يناله من الأجر على أعماله حتى يمضي عليه عدد من السنين فيخرج منه وقد
 ترشح لأن يأكل من أوساخ الناس ويميش عالة على العباد متوسداً الراحة من
 غناه كل عمل . فاذا ترجع عنده الامر الثاني دفع به الى الأزهر وأخذ يجري عليه

من التفقة ما يقطعه من قوت يومه الضروري . لذلك لا تكاد تجد في المائة واحداً من الطابة من البيوتات الشريفة التي يعمل أهلها لمستقبل شريف كالتضاء والافتاء . فانت اذا سرت في ساحة تلك المدرسة فاعلم انك تشق أجساماً تنبوع رؤيتها النفس وهم مختلفون متبعثون ليس لهم نظام ولا ترتيب . ويفلب ان يكون سن الطالب عند اندراجه في سلك الازهرين . ما بين الخامسة عشرة الى الثلاثين . وقد كان امتحان الدخول في هذه المدرسة بسيطاً قاصراً على معرفة القراءة والكتابة اما اليوم فهم يشترطون مع ذلك حفظ جميع القرآن للكفيف ونصفه لغيره .

ولأجل ان تمكن من أن أبين لك ادوار الطالب هناك وأوقفك على قوته في كل دور منها اقسماً الى ثلاثة أدوار كل دور ثلاث سنوات فيكون المجموع اثنتي عشرة سنة . وهي أقل مدة أمكن بعض الطلبة نيل الشهادة فيها

الدور الاول : يتقدم الطالب للانتظام في الازهر وهو في السن الذي قدمت لك فان كان من الفلاحين (وهو الاغلب) رأى نفسه قد انتقل طرفة من بين رعاة الشاء الى حلقات المدرسين ومجالس العلماء وان كان من البيوتات الكبيرة والأسر الخاصة (وقليل ماهم) انتقل المسكين وثبة في يوم واحد من نعم العيش وحسن الحال الى عيش الشظف والحشونة وبذل في ساعة واحدة بروية أهله وهم على ما عهد من النظافة وجمال الهندام رؤية أولئك الذين ذكرت لك . وسواء كان الطالب من العامة أو من الخاصة فانه يتساوى مع غيره في الطلب وطرق التحصيل

يدخل الطالب تلك المدرسة وهو لا يدري كيف يحضر ولا ماذا يقرأ ولا على من يتلقى دروسه ولا على أي وجه يسير فيها ولا ما هي الكتب تشرى لذلك الغرض من حيث لا ناظر له هناك ولا رقيب عليه يأمره بشراء كتاب معلوم والاختلاف الى درس مخصوص بل يمكث هناك المسكين أياماً يجول في أركان الازهر وهو على ما ذكرت من البساطة والسذاجة يأخذ كل يوم في التطواف بحلقات الدروس يتسائل من الطلبة المتقدمين عن كتاب يشتريه، ودرس ينتظم في سلك طاليه ، حتى اذا تيسر له ذلك بعد الذي تقدم من الحيرة والتعب وضياح الوقت وحضر احد الدروس أخذ يقلب طرفه فيما بين يديه ، ويحدد أذنيه لسماع ما يلقي عليه ، فلا ينظر الا قهوشاً لا مقدرة له الا على النطق بها دون أن يعقل لها أقل معنى . ولا تهج في أذنه الا ألفاظ هي أتب بالرطانة منها بما يتكلم به الناس فيظل سنت الاول وهو يروح الى الدروس كما يندو اليها خالياً من الفائدة مجرداً من

فهم أي شيء مما يتلوه عليه معلمه اللهم الا أن يحفظ بعض كلمات مثل : ضرب زيد .
وقوله بكر عمراً : وتأبط شراً : وقال رحمه الله تعالى : الخ .. هذا مبلغ ما يصل اليه
الطالب من اختلافة الى دروس النحو في سنة الأولى - وأريد قبل أن أسلك
بالكلام الى دروس الفقه أن أقول كنت أود أن أطلعك على جميع ما يشتغل به
الطالب من الكتب على المذاهب الأربعة الا اني لا أرى في استقصائها كبر فائدة بل
الأحسن أن أفصل كتب مذهب واحد واخترت أن يكون الحنفى لأنه الأشهر .
وان لم يكن الاكثر : ثم أنت تقيس ما بقي من الكتب في المذاهب الأخرى عليه
لما بينها من المشاكلة التامة في صناعة التأليف وأسلوب التحرير .

وما حصل عليه في سنة الأولى من النحو يحصل على ما يشاكله في الفقه . وأول
كتاب في النحو يسمونه الكفراوى وما يقابله من الفقه يسمى مراقى الفلاح . اما لكفراوى
فقد وضعه صاحبه شرحاً لمن صغير اسمه الاجرومية مشوش المبارة مختصراً جداً .
واما مراقى الفلاح فهو كتاب يقتصر من الفقه على المباديات فقط وهو على
ذلك مجلد ضخم سلك به مؤلفه مسلك الإسهاب والإطناب . على انه على ما به من
التطويل يعد أحسن كتاب في الفقه هناك . وتصارى القول ان الطالب يقطع شهور
سنة الأولى كلها ولا يعلق بذهنه ما يستحق أن يذكره لك . وانما هي كلمات يسميها
قمر عليه من الخيال السارى - ثم يدخل في سنة الثانية وهو على هذه الحالة في كل
أيامها وهو بالخيبة والذهول لقصور ذهنه عن ادراك أي شيء مما يسمع أو يقرأ .
وكثيراً ما يلحق الطالب أو أهله القنوط من التعجاج فيخرج من هناك ليحترف . ولا
كتب يحضرها في سنة الثانية على الغالب الا ما أمضى فيها سنة الأولى وسيره فيها
لا يميز عن السنة الفاشة الا بكونه وصل الى أن يعرب جلا بسيطة معلومة حفظ
اعرابها حفظاً على غير فهم ولا تفكير . ويعرف بعض أسماء الأئمة وشيء من الأسطلاحات
الفقهية في الفقه . ثم يتدرج من هاتين السنتين الى السنة الثالثة وفي أولها يكون قد أثر
في ذهنه كثرة ما يرد عليه من تعقيد الجمل وتشويش المبارات تأثيراً يحملة على الجلد
والتصبر على تلك الأساليب وربما فهم اذذاك بعض الجمل بعد أن ينصب نفسه ويتعب
فكره كل التعب وينقل حينئذ من الكفراوى الى كتاب يسمونه (الشيخ خالد)
وهو كتاب أصغر في الحجم من الكفراوى وأسهل منه عبارة ولكن يظهر أن
سهولته لم ترق للاشاخ هناك فانبرى له بعضهم وعلق عليه حواشي من المفروض

عن الطالب الازهرى أن يكف ذهنه في فهمها ولم أر علم الله كتاباً يكف الفكر
من التفتيش في فهم عباراته المشوشة المضطربة مثل ذلك الكتاب . ويقابل هذا
كتاب من اللغة في هذه السنة كتاب (العناني) أخو تلك الحاشية في فساد العبارة
وسماحتها وقبح تحريرها ركب به مؤلفه أسلوباً لم أر ما يشاكله في كل ما وقع لي من
مؤلفات العرب فهو يحذف ما يلزم أتباعه ويكتب ما من حقه الحذف ويؤخر ماله
التقديم ويقدم ما من شأنه التأخير .

وأعجل اليك قبل أن أرتقي إلى ذكر الكتب الفقهية الكبيرة . بيان أن هذا
الطالب الضعيف يفاجأ في هذه المدة بتلك الابواب الطويلة المشوشة بالخلاف وتضارب
آراء الأئمة فيما لا يسود بأقل فائدة على التلميذ ولا ينتظر أن تكون منه فائدة لغيره
مثل ابواب العقق والرق الخ وهناك ابواب أخرى فتحها نافع ولكن توسعتها ضارة
لأن مؤلفي تلك الكتب خرجوا بها عن دائرة التشريع إلى بيده واسعة من الخيال
المحض فلا تكاد تنظر في باب من ابواب الطلاق مثلاً حتى ترى الكثير من الصور
الغريبة الناتجة عما يقصد الشرع في كتاب الله الحكيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
وما جرى عليه أصحابه وأئمة السلف في الصدر الاول من الاسلام .

على ما قدمت ينهي التلميذ من دوره الاول ولو أتى بعلام سليم الفطر إلى معلم
حكيم في التعاليم وأخذ يعل عليه كل يوم قليلاً من النحو والفقه ويفهمه أيامه حق التفهم
لباغ في ثلاثة شهور من التحصيل إلى أضعاف ما يبلغه طالب الازهر في ثلاث سنوات .

الدور الثاني : اذا خرج الطالب من هذا الدور وهو على ما مر بك وأخذ يدخل في
الدور الثاني كان أول شيء يبدأ به أن يضم إلى درسي النحو والفقه درساً أو درسين في
التوحيد أو المنطق أو البلاغة أو العروض واختيار الطالب أي فن من هذه الفنون
أمر موكل إلى المصادقات التي تسوقه إلى أي فن منها وكثير من الطلبة لا يجد عينه
إلى تلك العلوم الا بعد مضي ست سنوات ولا أريد أن أذكر لك الآن ما هي هذه
الكتب وما يستعبد الطالب منها بل ادع ذلك لفرصة أخرى وآتي لك قبل ذلك
بشيء مما يشغل به من الكتب في العلمين الأسليين عندهم الفقه والنحو
وأول كتاب يفتحون به السنة الرابعة في الفقه كتاب يقال له (متلا مسكين) يفتي
به القضاة على الطالب سنتين ومتلا مسكين هذا كتاب ما تقدم من الكتب محشو
بالجمل والخواص غير جدوى والتعمق في فروع تنقضي الأعمار ولا تقع ولا

يحتاج إليها غير أنه يمتاز عن تلك الكتب بالخطأ فيها. يورده من نقول أئمة المذاهب الأخرى في معرض الرد عليهم وتزيين أقوالهم . وهو مالا يكاد يخلو منه كتاب أو باب من الابواب . بعد أن نتم المسكين (مفلا مسكين) يأخذ في تلقي كتاب بعده يقال له (الميني) وهو كتاب بلغ به صاحبه حد النهاية من الخطأ والفاط والتعجل في تزيين مذهب الامام الشافعي واختراع الصور الفقهية ولا يكاد يأتي الطالب على آخره وفي صدره شيء من جوهر العلم اللهم الا تلك الصور الذهبية والمسائل الخيالية والمباحكات اللفظية وحفظ أسماء أغلب من استقلوا بهذا الفن لكثرة ما يرد من اسماهم في صدد الخلاف . وان تعجب فموجب بل ألف عجب اتفاقاً كثر جماعة الازهر وجل مشايخه على استحسان هذا الكتاب وامتداح كل من حذا حذوه في صناعة التأليف . رندي ان ذلك كاف لبيان ما هم عليه من الذكاء والنبيل وما وصلوا إليه من العلم والفضل . ويشغل الطالب فيما يقابل ذلك من النحو في الدور الثاني بثلاثة كتب — الازهرية والقطر والشذور . أما الازهرية فكتاب سهل العبارة اقصر من النحو على المبادئ الا أنه مبتلى كاخواته بحاشية شط فيها مؤلفها في أغلب المواضع عما هو بصدده . وأما كتابا القطر والشذور فكلاهما درة متلألئة بين اطمار بالية الفهما ابن هشام رحمه الله غابة في حسن العبارة وانسجام الاسلوب لم يترك قاعدة يحتاج إليها الطالب الا أنى عليها في هذين الكتاتين . ولو اقصر الازهريون على قراءتهما متاهجراً من الحوانني والتقارير لحصل الطالب منهما على الغرض المقصود من النحو . ولكن الأمر على عكس ذلك فقد وضع بعض الأشياخ على كل كتاب حاشية لم يقع طرفي حتى اليوم على عبارة أبرد ولا اسمج من عبارتها وقد سلك بها طريق التسلف والتعقيد حتى صارت سجفاً يحول بين الطالب وما توخى بيانه المؤلف رحمه الله . ومن غرائب الاتفاق ان وقعت في يدي اليوم حاشية القطر فكانت أول جملة وقع طرفي عليها من غير قصد ما كتبه صاحبها تطبيقاً على بيت أورده المؤلف وهو :

(الايأسلى يدارمى على البلى ولا زال منها ليجر عالمك القطر)

(قال المحشى) الاحرف استفتاح واسلمى فعل امر دمي اسم امرأتى البلى مة صور مكسور المراد به الاندراى والقناء . اى اسلمى وان كنت قد بليت . ثم قال بعد كلام واعترض على الشاعر أنه لم يحترس لان دوام المطر يخرب الدار . واجيب بأنه قدم الاحتراس في قوله اسلمى وبأن ما زال تقتضي ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلاً

لما على حسب قابليتها ثم قال وقد ضمن بعضهم هذا البيت حيث قال
إليك استياقي يا كنانة زائد قال غناء عنك كلا ولا صبر
فلا زلت اكلني كل يوم وليلة ولا زال نهلاً بجراً عامك القطر
(والكنانة) انتهى الحاروي للمصريين . هذا ما يشتغل به الطالب هناك في مدة
ست سنوات من النحو والفقه وأقسم ليها الاخ اني لم أر حتى ساعى هذه ممن بلغ
السنة السادسة وحضر تلك الكتب في النحو من يحسن أن يكتب سطرأ واحداً او
يقراً جليتين بغير لحن وغلط وأريد أن أختم هذه الرسالة الآن مقتصراً على ما ذكرت
وفي الرسالة الآتية ترى البقية الباقية والسلام عليكم ورحمة الله

أنا علي بن الحسين

﴿ رسالة الكسائي في لحن العوام ﴾

ظفر بها الباحث الألماني (بركن) وطبعها في ألمانيا وأهدى نسخة منها الى
صديقنا أحمد زكي بك الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار فرأينا أن نشرها في المنار
لما فيها من الفائدة للكتاب والطلاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين . اللهم صل على محمد وآله الطاهرين .
هذا كتاب ما تلحن فيه العوام مما وضعه علي بن حمزة الكسائي لارشد هرون
ولا بد لأهل الفصاحة من معرفته .

تقول حرصت بفلان بفتح الراء . قال الله عز وجل « وما أكنز الناس ولو
حرصت بمؤمنين » ولا تقول فحرص بفتح الراء . قال الله تعالى « إن تحرص على
هدأهم فإن الله لا يهدي من يضل » . وتقول ما قمت منه الا عجلته بفتح القاف
لا يقال غيره قال الله عز وجل « وما تقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله » . وتقول دعه
حق يسكت من غضبه بالتاء ولا يقال بالثون يسكن (١) قال الله عز وجل « ولما

(١) تر من عدى سكت الغضب بمن ولم يشهد له وانما الشاهد في الآية
معدى بن . وقد فسر (سكت) الزجاج وغيره بسكن . وقيل إن الكلام على القلب
أي سكت موسى عن الغضب . وذكر الزمخشري الحرف في مجاز الاساس فقال :

سكت عن موسى النضب . . . وتقول قد قَعِدَ المالُ والطعامُ بكسر الفاء قال تعالى
 « قل لو كان البحرُ مدادًا لكلماتِ رَبِّي لَنَفِدَ البحرُ » . . . وتقول عَجَزَتْ عن الشيءِ
 بفتح الحيم ومنه قوله تعالى ذِكْرُهُ « أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ »
 وتقول كسرت ظفر زيد بضم الفاء والظاء جميعاً (١) قال الله تعالى « وعلى الذين
 هَادُوا حَرْمًا كُلُّ ذِي ظْفَرٍ » وتقول قد صرفت فلاناً وقد صرف وجهه بصير
 ألف ولا يقال أصرفت فلاناً قال الله عز وجل « ثم انصرفوا صرفاً الله قلوبهم »
 وتقول قد أصرفت الكلبة إذا طلبت الماطلة . . . وتقول قد اسندت البطانة بكسر
 الباء (٢) قال الله جل ذكره « يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ »
 وتقول لنا على المضي إلى فلان (٣) بتشديد الياء قال الله تعالى « فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا
 وَلَا يَرْجِعُونَ » . . . وتقول شكرت لك ونصحت لك ولا يقال شكرتك ونصحتك .
 وقد نصح فلان لفلان وشكر له . هذا كلام العرب قال الله تعالى « واشكروا لي ولا
 تكفروا » . . . ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم . . . وتقول عَسَيْتُ
 أَنْ أَكَلِمَ زيدا بفتح السين قال الله عز وجل « فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ
 تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ » . . . وتقول قد أريت فلاناً موضع زيد ولا يقال أوريت فإنه خطأ
 قال الله تعالى « وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا » وقال أيضاً « رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ »
 وتقول قد أوريت النار إذا أشعلتها بالواو وقال تعالى « أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ »
 وقال عدي بن زيد في شاهد ذلك :

وُطِفَ حَدِيثَ السَّوءِ بالصمت إنه متى تور ناراً للعتاب تأججاً (١)

« وسكت عنه النضب والحزن وكل ماله أثر ناطق » ففهم وجه العجوز وقال السكاكي
 أنه استمارة تبعية . . . وقرأ معاوية بن قرة في الشواذ (سكن) بالثنون فهو ليس خطأ
 (١) هذه هي اللغة الفصحى ويقال ظفر بضم الظاء وكسر ها مع سكون الفاء .
 (٢) في اللسان السدد القصد في القول والوقوف والإصابة وقد تدله واستد . وبطانة
 الإنسان خاصته الذين يفضي إليهم بأسراره مأخوذ من بطانة الثوب (٣) الجملة غير ظاهرة
 ولها في الأصل استفهام (١) كذا ضبط (طف) في الأصل والمعنى يقتضي أنه من
 المهموز والمعروف ألقاً النار . ثم رأيت اللسان والتاج روياء (وأطف) وتأججاً
 أصله تأجج مجزوم وحذف التاء قياس

ويقال وقع القوم في صَعُودٍ وهَبُوطٍ وَحَدُورٍ ومَقُوحَاتٍ الْأَوَّلَى وكذلك السَّحُورُ مشهور الصائم (١) والْفَطُورُ أيضاً على مثال قُتُولٍ قَالَ اللَّهُ عَنْ وَجَلٍ سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا « وكذلك الرَّكُوبُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « فَنَهَا رَكُوبَهُمْ » . وَتَقُولُ شَدَّ ثَوْبَكَ وَشَدَّ عَلَيْهِ بَضْمُ الشَّيْنِ قَالَ تَعَالَى « فَشُدُّوا الْوَتَاقَ » وَتَقُولُ ذَرُّهُ وَدَعَّهُ وَذَرِ الْأَمْرَ وَلَا يَقَالُ: وَذَرْتَهُ وَلَا وَدَعْتَهُ قَالَ اللَّهُ « ذَرَّهُمْ يَا كَلُوا وَيَتَمَتَّعُوا » وَلَا يَقَالُ مِنْهُ فَعَلْتُمْ وَلَكِنْ تَرَكْتَهُ . وَتَقُولُ جَهَدْتُ بِهِ كُلَّ الْجُهِدِ وَالْجَسِيمِ الْأَوَّلَى مَفْتُوحَةٌ وَالتَّانِيَةُ مَضْمُومَةٌ قَالَ اللَّهُ « وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ » وَتَقُولُ دَمَعَتْ عَيْنِي بِفَتْحِ الْمِيمِ وَبُخِصَتْ عَيْنُهُ بِالْفَتْحِ وَلَا يَقَالُ بَخِصْتُ بِالْيَيْنِ (٢) إِنَّمَا الْبَخْسُ وَالنَّقْصُ أَنْ تَقْصُ الرَّجُلَ حَقَّهُ . وَتَقُولُ وَدِدْتُ أَنِّي فِي مَنْزِلِي بِكسر الدالِ الْأَوَّلَى قَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ :

أَحَبُّ بُنَيْتِي وَوَدِدْتُ أَنِّي حَفَرْتُ لَهَا بَرَايَةً قَبِيرًا (٣)

﴿ الهدايا والتأريظ ﴾

(الصراط المستقيم) كثرت شكوى الباحثين في الإصلاح — ورأسه إصلاح التربية والتعليم — من كتب القرون المتوسطة وما بعدها ووعورة مسالكها وضُمومة أسلوبها وعدم موافقتها للتعليم فقيض الله تعالى لهم من أنفسهم من يسمى في إحياء كتب السلف ليستعان بها على إحياء اللغة والدين، ومن يشتغل بتأليف كتب جديدة يستعان بها على التربية والتعليم، فينا جملة إحياء العلوم العربية تشتغل بطبع المختص وتسمى باستنساخ مدونة الإمام مالك وكتاب الأم للإمام الشافعي لطبعهما ومنهجي هذه الحجة يشتغل بطبع (دلائل الإعجاز) بعد طبع (أسرار البلاغة) إذا بالشيخ أحمد زاتي ناظر مدرسة القبة الحديوية وأستاذ العربية والدين فيها يؤلف الكتب القريبة التناول في التعليم القوية التأثير في علم الدين

وأكبر مؤلفاته فقهاً، وأحسنها صنفاً، كتاب في علم الدين سماه الصراط المستقيم؛ وقد جعله ثلاثة أقسام قسم في العقائد وقسم في العبادات وقسم في الآداب . وفي

(١) السحور ما يؤكل وبالضم فعل الأكل وقت السحر . ومثله الفطور (٢) أنكر

البخز بمعنى الفوق الأزهرى والمصنف وأبته الأصمعي وقال إنه لغة كالبخز

(٣) كذا ضبطها المطابع ولا يصح ولعلها تصغير قبر . وفي هامش النسخة المطبوعة

لفظ (خفيراً) وهو بمعنى القه

كل قسم فصول في الواجبات الاعتقادية والعملية والأدبية . يتدنى الفصل بالآيات الكريمة الواردة في الواجب الذي يتكلم عنه فيه ثم يأخذ احكم مما تهدي اليه مع بيان مناهها . فهكذا يجب أن تكون مكتب الدين لتطمئن بها القلوب ، وتؤثر في النفوس ، وقد ألزم في الكتاب بيان أسرار العبادات والآداب الدينية ، ومنافعها الدنيوية والأخروية ، وبمقد فراغ المؤلف من كتابه مرضه على الأمير الصباس أيده الله تعالى فسر به وأمر بأن يطبع على نفقة الخاصة الخديوية قطع في المطبعة الأميرية طبعاً متقناً على ووق جيد وجعل في جانب كل صفحة منه جدولين يذكر في أحدهما بإزاء الآيات القرآنية التي افتتحت بها الفصول اسم السورة وفي الثاني عدد الآية ولو كان هذا البيان عامّاً لجميع الآيات القرآنية في الكتاب لكان النفع أمّ . وصفحات الكتاب ٤٠٠ وثمنه ١٢ غرشاً صحيحاً

(الهداية الى الصراط المستقيم) اختصر المؤلف كتاب الصراط المستقيم بكتاب سماه بهذا الاسم وهو مثل الأول في ترتيبه وأسلوبه الا ان حجمه نصف حجمه والترض من الاختصار ان يكون المختصر كتاب تعليم يرتقي منه التلميذ الى الماطول ويتدنى بتلقي هذا دراسة الى فهم ذلك بنفسه . وقد طبع الكتاب الثاني على نفقة الخاصة أيضاً وفق الله مولانا الأمير ، الى ما فيه احياء العلم والدين . وثمنه ثمانية قروش صحيجة فنحت كل من يطلب فهم الدين على مطالعة الكتابين

(حجج القرآن) كتاب من أجل ما كتب علماء الاسلام في خدمة الدين للإمام أبي الفضائل أحمد بن محمد بن المفطر بن المختار الرازي جمع فيه الآيات القرآنية التي تخرج بها الفرق المفرقة من الاسلام في المسائل المتخالف فيها بينهم ليظهر التاثر في الجميع بمجتمعة لديه ، ممثلة أمام عينيه ، أيها الحق بالقبول ، وأدل على المدلول ، وقد ذكر في فاتحته ان أصل الفرق ثمان — الخيرية وفي مقابلتها القدرية . والمرجئة وفي مقابلتها الوعيدية . والصفانية وفي مقابلتها الجبهية ، والشيعية وفي مقابلتها الخوارج . قال : ومن هذه الفرق الثمان تشعبت الفرق الثلاث والبعون ، أي التي ورد بشأنها الحديث المشهور . وابواب الكتاب ثلاثون باباً في كل باب فصول كثيرة جمعت المسائل المهمة المتخالف فيها . واننا لمقداته يعسر على كل عالم ان يفهم الحق في هذه المسائل بدون ان يطلع على هذه الآيات التي تخرج بها كل فريق على رأيه ولا نفر لها مجموعة في غير هذا الكتاب . فلذا أقول ان احياء هذا الكتاب خدمة جليلة للاسلام . فخرى أنه الشيخ أحمد عمر الحمصاني الازمري خير الجزاء ان طبعه ونشره بين

الناس ثمن بنفس وهو قرشان صحيحان ، ومن طلبه من الخارج فليرسل مع الثمن قرشاً لأجرة البريد . وهو يوجد في إدارة الخزانة بمصر وفي مكتبة هندية ومكتبة الميمني ومكتبة الرافعي ومكتبة المؤيد ومكتبة الهلال

(حياتنا التناسلية) أو « دليل العازب وطبيب الزوج » كتاب يدل اسمه على موضوعه مؤلفه الطبيب سعيد أبو جرة الذي تلقى الطب في المدرسة الكلية ببيروت وأتمه في كلية (ماريون سمي) في الولايات المتحدة . هو يبحث عن أعضاء التناسل في الذكور والإناث وما يمرض لها من الملل والأمراض قبل الزواج وبعد . وعبارته سهلة يفهمها كل قارئ ولا غنى لقارئ عنها فإن أكثر الناس عرضة للأمراض والأدواء التي تنزل في هذه الأعضاء أو في البدن كله من استمالها فيما يحرمه الدين والطب (وكل ما ثبت ضرره طبياً فهو محرم شرعاً) ومن ذلك المادرات الضارة التي تكون من الشبان في حال الأفراد ويحسبونها هينة وما هي هينة وإنما هي علة الملل للأدواء والأمراض القاتلة . ولو علم الناس ما وراءها لأعلموا العلم على مغالبة الشهوة ، ومحاربة اللذة ، لأنه هو الركن الركين ، بمد تربية الدين ، وأين التربية الدينية من قوم يذكر أطباؤهم ومرشدوهم بحجاب صنع الله تعالى وحكمه وآياته في الآفاق وفي أنفسهم فيسندونها إلى شيء مجهول يسمونه « الطبيعة » ولا يسندونها إليه جلّت قدرته كما فعل صاحب كتابنا هذا . وإنما لا ترى في هذا الكتاب غير هذا الميب . ونقول على كل حال أنه ينبغي لأهل كل بيت اقتناء هذا الكتاب ومطالعة والاستعانة به على تربية الأولاد . وهو مطبوع في مطبعة الهلال وعدد صفحاته مئتان وثلاثون وثمانون ١٢ قرشاً مصرياً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر (نيل الأرب في موسيقى الأفرنج والعرب) الموسيقي فن من الفنون التجسسية يرتقي في الأمم بارتقاء المدنية والحضارة ويتبدل بتدليهما . والميل إلى طبع في الإنسان بل الميل إلى حسن توقيع النغم مهود في الحيوان الأعجم . ولقد كان العرب حفظ منه أيام مدنيهم فذهب بذهابها . ولما ذلت الحضارة إلى الأمم الغربية ارتقى عندهم هذا الفن حتى صار ركناً من أركان الفنون الحربية ، كما أنه ركن من أركان التربية النفسية ، وكان من موضع العجب أن المصريين اشتغلوا بتقليد الأفرنج من زمن طويل وأخذوا عنهم كثيراً من علومهم ولكنهم لم يضموا لنا كتاباً مصنفاً أو مترجماً في فن الموسيقى حتى ظهر هذا الكتاب في هذه السنة لمؤلفه أحمد أفندي أمين الديك . ومن صرف المؤلف محكم بأنه إنما ألف هذا الكتاب بباعث طبيعى وشعورى بأن قومه في حاجة إلى هذا الفن وأنه

أراد أن يكون البادي بسد هذه الحاجة. وانما قلنا هذا لأنه شاب بيد من التفرغ ومذاهبه متمسك بالدين عملا وأدبا على أن الشائع في قومنا أن الموسيقى من الفنون المذمومة في الدين . وما المذموم في الدين إلا هذا التخت الشائع عندهم في الضام . أما الموسيقى فهي نافعة في الحرب والآداب والأخلاق . هذا وإننا لا نحكم على الكتاب من الجهة الفنية لأننا نعرف مع الرجل بأننا لا نعرف الفن . والكتاب مطبوع بالرسوم وأشكال (النوتة) بالمطبعة الأميرية وثمة خمسة قروش .

(الأنهار بالنساء) هي القصة العائرية . من (روايات بيضاء صبرات الشجر) المصرية بقلم حسن . اقدني توفيق لارجوي من ضباط البوليس ومحرر كتاب (التربية الحديثة) وقد صدرت القصة صاحب مطبعة الشعب بكلمة الصحافة المصرية يطالبها فيها بالتقيد هذه القصص التي يقصد بثورها خدمة الأمة . وينتقد تقريب الجرائد بفتح كل كتاب أو قصة تفسر وتغني الرواج لها .

الانتقاد واجب وإن كان يسيء ناشر في الكتب كما جربنا . وإذا لم يفتح وقت أصحاب الجرائد وكتابتهم إهداء الكتاب كله أو بعضه فلا يجوز لهم قريظه لأن التقريظ حكم لا بد فيه من العلم بالمحكوم عليه . وأما طالبا قصة الأنهار بالنساء هذه ظنا منا أن الذي حمل نشرها على تمريرها للنقد هو ثقتنا بأنها تعلمو عليه لما فيها من الإرشاد النافع فالفيناها مشجونة بأخبار الفسق والفحش والكيد ومنفك الدم والانتقام . ومثل هذه الحوادث التي تشرحها القصة يؤثر الكلام عنها في النفس أسوأ تأثير ويكون غذاءا رديئا للنفس المستعدة للشروع لأنها لم تترب تربية صالحة . وأين التربية الصالحة في هذه البلاد ؟ يحتاج ناشر وأمنال هذه القصة بأنها لا تخلو من بيان سوء طائفة المجرمين . ونحتاج عليهم بأن الكتابة في تمثيل عواقب الجرائم والمآثم يشترط فيها أن يكون ما يكتبون فيه شائعا فيمن يكتبون لهم بحيث تفيدهم الكتابة عظة وعبرة ولا تزيدهم علما بوجود المنكرات وطرق السيئات . لأن ما لا شبهة فيه أن كل قارئ يوجه فكره إلى ما يناسب طباعه ورغائبه من الكلام ويفضل عن غيره . والجرائم المشروحة في هذه القصة إشارات على الشرط بخلاف قصة (الحال والمآل) التي قرأناها من قبل فلما جاءت على الشرط لأنها ذكرت ما ذكرنا معروفا قائما في مصر ويقتضيه عقابته لذلك اتينا عليها إشارات على هذه وأنت كلاً في الموضوعين يكون طاملا على الرغبة عن الضار إلى الرغبة في النافع والنافع إلى (روايات الخدائن) أحسن القصص التي تشر في مصر لهذا العهد على ما نعتبه تقيد التحرير فحبيب أفندي الخدائن وقد أجابنا في بيانها منذ أشهر الماضية

أحداها واستعار الأخرى أحد أصدقائنا ولم يعد لها فكنتنا هذه الكلمة لتلايتهم
المودي أننا أغفلنا بقرينتهما أحيافاً بحقه

باب الأخبار والآراء

(ألقاب التعظيم) سرت إلى الكتابة العربية وإلى أهل العربية عادة من عادات
الأعاجم المفضولة وهي إضافة الألقاب التعظيم والتبجيل إلى أسماء الأشخاص عند ذكرهم
في القول والكتابة . ولقد أسرف الناس في هذه الألقاب حتى ألحقوا بها المنفصول
بالباضل ، وساءوا العالم بالجاهل ، وإننا كنا نألم لاتباع عادة الجرائد في ذلك على
نحو أننا القصد فيها وثرى النفس تنزع إلى اتباع سلفنا فيه ولكننا رنجي ذلك حتى كان في هذا
الجزء أن كتبنا بتدوين رسالة الكسائي وذكرنا في رجبها اسم طابعها واسم المهداة إليه
مقروئين بألقاب التعظيم المألوفة ثم لم نلبث أن نقلنا اسم الكسائي وهو من أئمة العلم
وهرون الرشيد وهو من أعظم الخلفاء بعد الراشدين ولم نرهما مقروئين بلقب .
فنبهت النفس إلى ما كانت تنزع إليه وأمرت بترجيح تلك الألقاب التي كانت كتبت
فترجعت . ونحن بعد اليوم لا نذكر مع اسم أحد الألقاب الذي يتميزه في نفسه
أو صفته كالشيخ واليك والأفندي . ومن كان غير معروف للقراء نعرفه بجملة خبرية
لا بالألقاب مفردة يفتت بها لغتاً ، وتنظم مع اسمه عقداً ، ويدخل في هذه القاعدة
أستاذنا وأستاذنا فإذا قلنا قولاً عن أستاذنا الأكبر (ولفظ الأكبر هنا بيان للواقع)
نقول : قال الشيخ محمد عبده أو مفتي الديار المصرية . وإذا كان الكلام عن الجملة العلمية
نقول : قال رئيس الجمعية . ولكننا إذا أسندنا إليه قولاً من غير ما ذكر اسمه قلنا المشير
إليه بلقبه الذي اشتهر وهو (الأستاذ الامام) بالترفيف . وإنما سبق لنا تعريفه بلقبين
لأن لفظ (الأستاذ) وحده ينصرف في كتب الكلام والاصول إلى الشيخ أبي اسحق
الاسفراييني وألفظ (الامام) وحده ينصرف إلى تفر الدين الرازي وألفظ (الشيخ)
الامام) أطلقه تاج الدين السبكي في كتبه على والده الشيخ تقي الدين . فمتى ما استقر
رأينا على أن نجعل لاسمنا الذي يكثر نقلنا عنه لقباً مختصراً يعني عن ذكر اسمه ووظيفته
اخترنا هاتين الكلمتين لأنه لم يشتهر بهما أحد . وقد عرف ذلك قراء المنار في جميع
الاقطار لذلك نقره بشرطه

(كلمة في المنار) قد كتبنا مرات متعددة على غلاف المنار بأنه لاحق للمشارك
أن يطلب جزءاً من المنار لم يصل إليه بعد صدور ما بعده . ثم رأينا بعضهم يحتاج

بأنه إذا تأخر جزء يتوهم أنه لم يصدر فلا يعرف أنه قد صدر الأبد وصول ما بعده إليه . لذلك رأينا أن نمد في الوقت فنجعله عشرين يوماً في القطار المصري . فن طلب الجزء الذي يصدر في أول الشهر مثلاً في الحادى والعشرين منه فما بمسئله فطلبه ان يرسل عنه ٢٥ ملياً سواء كان قد صدر الجزء الذي بعده أم لا ومن وصل إليه الجزء فأضاعه أو وهبه فلا يجوز له ان يطلب بدله الا باليمن . وربما يمد بعض القراء هذا تشديداً في موضع التساهل ولكنه اذا علم أن الطالبين للاجزاء المفقودة كثيرون جداً وان كل جزء رسله بضيع علينا مجموعة سنة كاملة فانه يمدنا للاحالة

(سكة الحديد الحجازية) أخبرنا من شاهد العمل في هذه السكة واختبره بنفسه أن المهمة المبذولة فيه عظيمة وان الآلات والأدوات الحديدية والحشية التي في بيروت والشام كافية لإيصال الخط الى مكة المكرمة وأن مهندساً ألمانياً هناك قال : ان هذا الخط أتم وأحسن من خطوط الحديد في انكلترا . ومع هذا كله لا بد لإتمام العمل من أربعة ملايين جنيه . وهو مبلغ لا يرجي له الا سخاء صاحب المشروع الذي يتخذه بتمامه على يديه أشرف الذكر وهو مولانا السلطان وفقه الله تعالى لما فيه خير الأمة والدولة . وما ينتقده جميع الذين شاهدوا العمل أمر التضييق على المسكر المشغلين به فانهم لا يجدون ما يكفيهم من الغذاء والدواء وهم يمسكون بمجذوبات حير المهندسين الأوربيين واوافدين المتفرجين . وقد علمنا أن الرئيس الذي يدير العمل من خير الناس فمضى أن يوفق للمحافظة على صحة أولئك الجنود المساكين . (الأذان السلطاني) بلغنا أن شيخ الجامع الأزهر أنكر في جامع القلعة هذا الأذان في الليلة السابعة والعشرين من رجب التي احتفل فيها بقراءة قصة المعراج . وكاشف بذكره . ففي الديار المصرية واتفقا على التهي عنه فيها فمضى ان يؤثر ارشادها في محو هذه البدعة السيئة

﴿ نصيحة للقارئات ومن يسمع من الأميات ﴾

ان من خلائق الأتي وسجاياها ما هو عون للسفهاء على إغوائها وهو انها تحب دائماً ان تكون موضع الإعجاب والاستحسان . ولذلك يتماق اليها المبهضون ويخادعونها بالمدح والفواقي يفرهن التناء حق يستميلوها اليهم ويهينوا شرفها بالمغازلة على الأقل . ومن الضعف في الأتي ان تعتقد ان كل من يرمي بيمره اليها يكون مستحباً لها . ناهيك بصاحب التعديق ونظر التزيق وهو نظر العاشق المستهتر

مادة والمبصير المتعلق اختلافاً وبخداً عما كانه يفر الفناء الغير ويقع من قلبها موقع السهم ،
الذي بقي بالسهم ، وقد ورد في الحديث ، النظره سهم مسوم من سهام ابليس فن تركها
خوفاً من الله آناه الله ايماناً بمجد حلاوته في قلبه ، رواء الحياكم وصحيح اسناده .
بلغ النساء عندنا من الفرور بتطاع السفهاء البهن انك نجد نساءنا يتلفتن في
الاسواق ملثيات ، وينحنين وهن في المركبات ، وقد يكن مع هذا من المحصنات
الزنيات ، وان هو الاحب توجيهه الانظار ، واعجاب النظر ، وري نساء الافرج
يمشين قاصرات الطرف ، مستقيمت المطف ، تحسبن في ادبهن الظاهر من الملائكة
المقرين ، وان كان فيهن من هن اغوى من الشياطين ، وما ذلك الا لهن تربين على
ادب الاجتماع ، وتعلمن ما يمد بهن عن سرعة الانخداع ، وان الظهور في المنكر
ليزيد في ضرره لما فيه من اغواء الناس وتسهيل سبله على من لا يعرفه ولذلك ورد
في النسخ ان الممضية الصغيرة تكون كبيرة بالمجاهرة وري القوانين الوضعية عند
الأمم كلها تحظر الجهر بما ينافي الآداب حتى ما يسيحه منه في السر
السبب في هذا التبرج والتفتيح ، والتشوف والتقصص ، والانتاء والانحناء ،
الذي يزيد في فساد السفهاء ، هو حب الانثى لان تكون زينة في الاعين وشغلا
للقلوب . وانها تكون كذلك في جميع الاعين وجميع القلوب اذا ظهرت بمظهر
الكمال والهيأة ولم تلتفت لكلاب المبصين ولم تكلمهن اذا تعرضوا لمكائنها
فان هذه الاماديج التي تسمعها منهم تنقلب الى ضدها بمد ان تبعد عنهم فلا تسمع
ما يقولون ، فان سفهاء الناس وغوغاهم لا يزالون يعرفون قيمة الفضيلة ويحترمونها اهلها
هذا اللين في العطف والخضوع في القول قد اطمأ أصحاب القلوب المريضة في
كل امرأة تمر في الطريق فلا تنكاد تسلم من سفهم او عنهم امرأة ولا يسهو مثل
هذا المنكر في مدينة ولا قرية مثلما يوجد في هذه البلدة الظالم اهلها . وانا لنعجب
من ضعف غير الرجال التي اباحت لهم التساهل مع نساءهم حتى اباحوا لهن كل هذا
انما ليسو منا جداً ان ترى البنات ينشأن على مثال امهاتهن وعماتهن في هذا اللين
المذموم لافرق بين المتعلمات منهن والجاهلات . وانا ليجزنا ان نرى التلامذة الذين
هم محل الرجا ، مستقيمين ستة اولئك السفهاء ، حتى انك لا تنكاد تجد فرقاً بين من نشأ
في المدارس ومن نشأ في الطرق والشوارع . رايت من ايام تلميذاً يجني مع اخوانه
في السوق خارجين من المدرسة فربا امرأة فوضع يده على وجهها وعبث برفعها ولم
ار مثل هذه الوقاحة من غوغاه الحشاشين ، فهل يفر البنات تطلع امثال هذا التلميذ

الذين . و ضد به لا عواشهن ؟ وهل كان مغرمًا بتلك المرأة التي عبت بيرة بها فكأن الغرام هو الحامل له على اهانتها في السوق ؟ وهل مثل هذا الغرام - اذا فرض - تبارغب فيه ؟ ان ما تقدم من القول هو مقدمات النصيحة التي اقدمها للدقارات والنتيجة المقصودة هي ان الإنسان يؤخذ دائماً من جهة ضعفه ومن الضعف في الانثى الانخداع لمن يظهر لها الحب والاستحسان . وان الرجال دائماً يخادعون النساء حتى ان احدهم اثبت على النظار بالحب زمناً طويلاً ليصدق . فيجب على الفتاة المتعلمة ان لا تصدق احداً من هؤلاء الشبان الذين يظهرون لها الحب والغرام فان احدهم ليختل كل فتاة يراها بمثل هذه الخاتلة . ولو كان صادقاً فيما يظهر من الإعجاب بمحاسنها والرغبة في الاقتدار بها وكان اهلاً لذلك لكان يغار عليها من نفسه ومن غيره فلا ياملها بهذه المعاملة . من البصيرة والمنازلة . ولكنه يزيد على هذه الإهانة التي تكون منه في كل طريق . بان يحدث بها كل صديق ورفيق .

(الحسود المعتم) كتب ذو عمامة الى صاحب الجامعة يضره بالظمن في صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية . مع العام والمدنية) لأن صاحب العمامة حيد صاحب هذه المقالات على ما اوتيته من سعة العلم وقوة التأثير وعلو المكانة فحاول ان يطلق نار حده بذنوب من ذنوب ذلك الظمن الذي امر به . ولكن صاحب الجامعة اعقل من صاحب العمامة وأعلم منه بقيقة تلك المقالات . وان انكر من فأنتماء ما عرف حكمته في إنسانها وخاتمها ، وإنه يعلم ان مثل صاحب العمامة منصف كمثل الشيطان . اذ قال للإنسان اكفر الخ فهو لا يراه الا بيمين النقص ولا يمتد فيه الا ما يليق به في رقة عقله ودينه . ولا يرضى لنفسه ان يكون مع صاحب العمامة كما كان صاحب الحمار . على ان الظمن في مثل هذه الحال . على مثل ذلك المقال ، لا يزيد المظنون فيه الاحترام واجلالاً . ولكنه يسلي الحسود لأن عقله صغير ، وفكره قصير .

(مفكرة مطبعة الموسوعات) . اخترع الافرنج هذه الدقار التي يسمونها المفكرة او المذكرة لاصحاب الاشغال الكثيرة من الحكام والتجار والحامين . ولما رأت مطبعة الموسوعات ان المصريين يشترون هذه الدقار الافرنجية ويتمشون في كتابة التاريخ في كل صفحة منها بالعمية اصدرت في هذه الايام (مفكرة) عمية لسنة ١٩٠٣ وضمت التاريخ الهجري في كل صفحة منها الى التاريخ المسيحي . رجعت في آخرها جداول لتحويل النقود فجاءت خيراً من المفكرات الافرنجية وحملت من النسخة ١٢ قرشاً ونصفاً جميعاً فهي ارخص من المفكرات الافرنجية وتطلب من المطبعة والمتظر ان تصادف رواجاً عظيماً

يقول الحكمة من بقاء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر هادي الدين يستمعون القول
فبشرون أحسنه أو تلك الذين هدام
الله وأهلكهم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاثنين ١٦ شبان سنة ١٣٢٠ — ١٧ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

المستقبل للوسط

(بقلم صاحب السباحة السيد الشيخ محمد توفيق البكري شيخ مشايخ الصوفية (١))

— { الفصل الأول في رأس مال الإسلام } —

(المكان والسكان)

ان مستقبل الأمم يتوقف في الحقيقة على أمرين طبيعيين هما كثرة السكان وخصب المكان فإذا استوفت الأمة حظها من هذين الأمرين عظم مستقبلها بقدر ذلك مهما حرمت في الحال من الأسباب الأخرى البكسية كالعلم والأخلاق والقوانين والحكومة وغير ذلك فان هذين جميعهما يائي بها دور الزمان . وان آخرتها آونة طوارق الجدعان . ولذلك قال (مونتويرو) و (تين) وغيرهما أن مستقبل الصين أكبر من مستقبل أية دولة أخرى . ومن شاهد رقي اليابان وما كانت عليه روسيا منذ ثلاثة قرون وما هي عليه الآن من ضخامة السلطان لا يشك في صواب ذلك القول المتقدم . وقد أشار ابن

(١) من قراء المنار في الاقطار الثانية من لا يعرف البكري . هو من ميونخ الحبيب والمجد وقد انخرط في صفوفه بتاتي العلوم في مدارس أوروبا المالية ونبيل رتبة قاضي محكم من الدولة العلية . وهو في العربية خزانة الأدب . ولسان العرب . يشهد له بذلك شخص فحل . ونثر جزل .

يخلدون الى شيء من هذا حيث قال ان اتساع نطاق الدولة يكون بغير اتساع عصيتها في الاصل . وقال الشاعر : وانما العزلة كآثر . فاذا تقرر ذلك علمنا ان مستقبل الاسلام كبير وشأنه خطير . فان نحظه من هذين الأمرين وافر ، ونقصه متمكنا ، واليك البيان اذا تأمل المسلم في مظهر الجغرافية يجد ثلاثة عوالم قد قسمت الارض وهي العالم الاسلامي في الوسط والعالم المسيحي عن يساره والعالم الوثني عن يمينه على هيئة قلب وجناحين . ويرى ان قسط العالم الاسلامي من هذا الاقسام عظيم ، ونصيبه جسيم فهو يمتد في فسحة من الارض بدوها بحر الأطلنطيق ، ونهايتها رسيف الباسيفيك آخذة من حواشي سيبيريا شمالا الى جزر المحيط جنوباً . أقاليم متصلة ، وأقطار غير منفصلة ، وأمنار متاخمة ، وأخفاف متلاحمة ، وبين ذلك قصور وخيام ، ودور وأطام ، ووبر ومدر ، وبدو وحضر ، بقاع هي أطيب المعمور رقة ، وأمرعه نجمة ، فيها النيل والفرات ، وسبحون وحيحون ، فيها أوداء مصر ، وسهول الهند وميطان الصين وسواد المراقين ، وبطاح الأناطول وجبالها ، وريف فارس ورمالها ، فيها مرقد النبي العربي الهاشمي ، ووطن المسيح بن مريم ، ومبعث موسى الكليم ، ومهبط الوحي على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الى غير ذلك من هواء طاق ، وماء عذب ، وجو هجوى ، حسنات وراء حسنات ، تقصر دونها الأمصار ، وتثوي حيرة عليها الأقطار ، ذهب بمضبحوس الهند الى لوندرة فقال له بعض أهلها كيف أنتم تعبدون الشمس ؟ فقال الجيوني : وأنتم لو رأيتموها لبعثتموها



ثم ان هذه السمة في الارض والبسطة في الخصب التي رزقها الصالح الاسلامي أصل كبير في نمو أفراد وحسن حالهم اذ ارتباط المكان بالسكان في السعادة والشقاء والمقالة والكثرة امر مقرر في علم الاجتماع الانساني . قال (لوبون) : « ما دامت الارض القابلة للزراعة كافية للسكان يتأتى هؤلاء ان يزدوا عدداً فيكثرون ويثمنون بالفعل فان تمادات موارد الأرض وعدد السكان بقي هؤلاء على حالتهم لا يزدون ولا ينقصون فان زاد عديدهم عن موارد الأرض وقموا في افرة الشدائد والضييق وتواترت عليهم المصائب والأزمات الى ان تأتي حروب جارفة او وبئة قاشرة فتعدل الكفتين » . هذه حقائق بسيطة ومع ذلك قد تغيب من افهام كبار الخواص واشهر الكتاب فلا يفتأون يطلبون كل يوم زيادة السكان بأية وسيلة كانت بلا مراعاة لما

تقدم وقد وقع في مثل هذا الخطأ (جول سيمون) وزير معارف فرنسا السابق على سعة علمه حيث قال في خطاب ألقاه على مجمع المعارف سنة ١٨٦٨ : « ان من يمكنه ان يزيد سكان فرنسا مليوناً من النفوس يفيدنا أكثر مما يزيد حدودها بعض فراسخ من الأرض بواسطة الحرب والدم بألف ضعف » وهذا كلام خلو من الصواب لأن من يزيد مساحة فرنسا يكثر مواردها فيجمل الزيادة في السكان محتمة ، ومن شك في هذه الحقيقة احتناه على قول استاذ لا يشق له غبار في هذا المضمار وهو (بيليج) الشهير قال : « قد اقتضت الحال زيادة السكان في بلدان أوربا زيادة كثيرة غير طيبة حتى اختلفت النسبة بين عديدهم وبين غلات تلك البلاد فلا يمضي غير حقبة من الزمن حتى تعجز الأرض عما يفي بحاجاتهم مهما انهكوا قواها بمختلف الأسمدة وعندها لا يحتاج الى نظريات علمية او قياسات فنية لإيضاح التاموس الطبيعي الذي يأمر الانسان بان لا يفغل عن المحافظة على ابواب رزقه ويعاقبه العقاب الأليم عند مخالفة ذلك » ولا يكون ثمة للامم الاوربية من حيلة ولا مخلص الا ان تتفانى لتبقى فترى اذن امثال مجاعات سنة ١٣١٦ وسنة ١٣١٧ وحروب بعد ذلك تلها حتى يحمل الأمهات جيف القتلى لاطعام اطفالهم كما وقع ذلك في (حروب الثلاثين سنة) المروفة فكل ذي دربة وروية دقق النظر في امم ممالك اوربا ومستقبلها يجدها غير قائمة على اسس متينة بل على أسنة الأبر » اهـ

هذا : وربما ذهب بعض المعارفين الى أن طبيعة أرض الشرق مفسدة للهمم ، مقعدة للآمم ، فلا تكون اذن هذه الأرضون من النعم بل من النقم ، وهذا رأي تفنده الأقيسة الصحيحة ، والآراء النافذة ، قال (فولير) في دحضه مانصه : « نسأل من يذهب الى أن طبيعة الأجواء يتوقف عليها حالة الأمة وأخلاقها لما قال الامبراطور (جوليان) ان الذي اعجبه من أهل باريس هو متان أخلاقهم وأجندهم بالجد والصلابة والسكون في طباعهم . وهما هي أجواء باريس كما هي وأهلها فيها الآن أخف احلاماً وطباعاً من فراشة . أطفال في زي رجال ، وصغار وان كانوا كباراً . وهؤلاء المصريون الذين يصفهم لنا المؤرخون بقوة العزائم ومتانة الطباع وعظم الفتوح أصبحوا الآن لامة رخوة ضعيفة العزائم ، طعنة لكل آكل ، ولم لا يوجد الآن في أثينا مثل (أناقريون) و (اوستطاليس) و (زوقسيس) . ولم استعاضت رثما عن (شيشيرون) وعن (قاطون) وعن

(تليفت) قوماً بهنا لا يحسنون أن يقولوا ولا أن يعملوا . أعظم أمانهم ينحصر في أن يكون الزيت وخص الثمن لديهم . وقد كان من عادة (شيشيرون) الخطيب الروماني أن يهزأ بالانكليز ويتنادر عليهم حتى أنه كتب مرة في رسالة لآخيه (أفانتوس) الذي كان ضابطاً مع قيصر في غزواته التي غزاها بانكلترا يسأله مستهزأ أن كان وجد ثمة فلاسفة كباراً أو رياضيين عظاماً . فهلا علم (شيشيرون) أنه نشأ بعده فيها أعظم فلاسفة العالم ورياضيه تحت تلك السماء المظلمة بعينها . هذه كلها أمثلة تدل أن ليس للأقليم أثر يذكر في ارتفاع الأمم وانخفاضها بل العوامل الأخرى مثل الحكومة أو الدين تفعل في ذلك أكثر منها بمائة ضعف .



كأن الله سبحانه وسعدانه أراد أن لا تنزع هذه البلاد الجميلة من أيدي المسلمين إذا أعجزهم الضعف يوماً ما عن صونها حتى يؤوبوا إلى القدرة على حفظها فجعلها شبه وقف عليهم وذلك أن جعل وسطها الطبيعي غير صالح لأن تعيش فيه الأمم المتغلبة الآن وهي الأمم الأوربية وليان هذا نقول :

قد تقرر في الطبيعيات أن الحيوان أو النبات أو الإنسان إذا نشأ في وسط طبيعي لا يعيش في وسط آخر غير مماثل له وأقيم على ذلك هناك البرهان . وعندهم أنه كما لا يمكن للأسماك أن يعيش في اليباء ، ولا للناقة أن تدوم في الماء ، ولا للذئبة أن تنبت بين صخور الجليد ، لا يمكن للانكليزي أن يستوطن الهند ، ولا لابن اللانمان ، أن يثبت في السودان ، قال (لويون) في كتاب الفسيولوجي : « ذكر بعض المؤلفين أن الإنسان يمتاز عن الحيوان بكونه يعيش في كل جو وعلى كل أرض . وهذا خطأ عظيم ، وهم كبير ، فقد أثبت التاريخ مراراً أن أهل الشمال لا يمكنهم العيش في أرض الجنوب ، انظر إلى البربر من أهل الشمال وبلاد الجليد الذين فتحوا أرض الرومان وسكنوا أقاليمها الحارة كيف لم يمض قرن واحد حتى أفناهم الموت وأتى عليهم الفناء فلم يبق من الغوطيين واحد في إيطاليا . وهذه مصر حكمتها عشرون أمة فأكلتهم وبقي الفلاح المصري كما هو على أرضه . وكذلك عجز الرومان عن أن يستوطنوا أفريقية مع أنهم استوطنوا أسبانيا وأرض الجول حتى جعلوها بلاداً لاتينية بجملة . ولا ريب أننا سنلاقي في الجزائر ما لاقاه فيها الرومان في سابق الزمان فهلك هذه الأرض ذراري فاتحها ما لم يفء . كما يفعل الانكليز في الهند من إرسال أبنائهم ليتربوا في أوربا . وبالجملة إن الإنسان

إذا اختلف وسطه الطبيعي هلك وخصوصاً إذا جاء من الشمال الى الجنوب ، اهـ .

* *

* *

جميع ما تقدم متعلق بالمكان أي مواطن الاسلام وبلاده . أما السكان وهم الامم المسلمة فحدث ولله الحمد عن حمى البطحاء ، ورمال الدهناء ، وأنجوم السماء ، كثرة آحاد ، ووفرة أعداد ، فمن هؤلاء في أفريقية ما ترى :

في مراکش	٩ ٠٠٠ ٠٠٠
الجزائر	٤ ٥٠٠ ٠٠٠
تونس	١ ٥٠٠ ٠٠٠
طرابلس	١ ٤٠٠ ٠٠٠
مصر	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠
السودان المصري	٦ ٠٠٠ ٠٠٠
الصحراء الكبرى	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
السودان الذي تحت حماية فرنسا	١٣ ٠٠٠ ٠٠٠
السودان الذي تحت حماية انكلترا وفي النيجر	٩ ٠٠٠ ٠٠٠
السودان الاوسط كواداي وباجرمي ونحوهما	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
الكونغو	١ ٥٠٠ ٠٠٠
توبوقامرون	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
الأوغندة	٣ ٠٠٠ ٠٠٠
الأريطرا والحبشة	٣ ٥٠٠ ٠٠٠
موزمبيق ومدغشقر والكامبال والنيجار وأوبوك وأفريقيا الوسطى	٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠
مجموع ما في أفريقيا	١٠٥ ٤٠٠ ٠٠٠
وفي أوربا ما ترى	
في تركيا أوربا	٢ ٥٠٠ ٠٠٠
البوسنة والهرسك	٧٠٠ ٠٠٠
البلقار والروماني الشرقي	١ ٠٠٠ ٠٠٠
رومانيا	٦٠ ٠٠٠
المجموع	٤ ٢٦٠ ٠٠٠

في الصرب	٢٠٠٠٠
» الجبل الاسود	١٠٠٠٠
» اليونان	٣٠٠٠٠
» روسيا أوروبا والقفقاس	٢٥٠٠٠٠٠
مجموع ما في أوروبا	٦٨٢٠٠٠٠
وفي آسيا ما ترى	
في الاناطول	٧٠٠٠٠٠٠
» أرمينية	٤٠٠٠٠٠٠
» العراق	٢٥٠٠٠٠٠
» الشام	٢٠٠٠٠٠٠
» جزيرة العرب	١٢٠٠٠٠٠٠
» المعجم	١٢٠٠٠٠٠٠
» روسية آسيا	١٠٠٠٠٠٠٠
» أفغانستان	٩٠٠٠٠٠٠٠
» بلوچستان	٥٠٠٠٠٠٠٠
» الهند	٩٠٠٠٠٠٠٠٠
» سيام	١٠٠٠٠٠٠٠٠
» الهند الصيني	٢٠٠٠٠٠٠٠٠
» الصين	٤٥٠٠٠٠٠٠٠٠
مجموع ما في آسيا	١٩٢٠٠٠٠٠٠٠
وفي الاقيانوس ما ترى	
في فيلين	٥٠٠٠٠٠٠٠٠
» سوماطرا	٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠
» الجاوا	٣٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠
» بورنيو	٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠
» ماليزيا وغيرها من الجزائر	٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
مجموع ما في الاقيانوس	٥١٠٠٠٠٠٠٠٠٠

فهذه ثلاثمائة وستون مليوناً من النفوس خلف تلك السلف الذين يقول الله سبحانه فيهم « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُهم فِي وُجُوهِهم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزُعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ قَازِرُهُ فَاسْتَفَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُحْجِبُ الزُّرْعَ أَيْغِظُ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا »



وهذه الأمة الكريمة ان حرمت الآن كثيراً من أسباب العلم والعمل فإنهم يزل في أمر جها آثار شريفة وصفات قويمه من أثر دينها وارث سلفها تمتاز به على كثير من الأمم. قال القسيس (اسحاق طيلر) « ان الاسلام يمتد في أفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار الكرم والعفاف والتجدة من آثاره، والشجاعة والاقدام من أنصاره، ومن الأسف ان السكر والفحش والقمار تنشر بين السكان بانتشار دعوة المبشرين » وقال (كونتسن) : « يمتاز المسلمون في الصين على مواطنهم من الوثنيين برفعة في السجایا وشرف في الاخلاق قد طبعت في نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن بخلاف الوثنيين فانهم في سقوط تام من حيث ذلك »

ومن أهم الثموت التي يمتاز بها المسلم عزرة النفس فهو سواء في حال بؤسه ونعيمه لا يري العزرة الا لله ولرسوله وله. وهذه الصفة التي غرسها الدين في نفوسهم اذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع لها الى التسابق الى غايات المدنية ورقبات السكال. وان أردت فالملح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا يجد من فتور في حركاتهم وقصور في همهم وخصوصاً اذا بنى عليهم الجهل فظفوا أنهم أدنى الملل كطاشة الدهير وما ذلك .



ثم ان هذه الأمم الاسلامية وإن اختلفت بهم البلدان وتباينت البقاع والميطان، وتنوعت الاجناس واختلفت الألسنة فقد وحدتهم وحدة الاسلام وجمعتهم جامعة الدين وهي جامعة كبرى تتلاشى أمامها الجامعات الصغرى وتلغى الفروق فيكون جميع المسلمين بها اخواناً. قال تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا الى عصبية » فوطن المسلمين هو مجموع الأمة الإسلامية في الدين

وهو الذي قيل فيه : حب الوطن من الإيمان . (١) وليس المراد به حب التربة والمسكن والأهل والعشيرة ولو كان كذلك لما كانت الهجرة في الإسلام . ولما نطق الكتاب بالحث عليها والأمر بها . قال الله تعالى : « وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » فمن قال من المسلمين في أية بقعة من الأرض (وطني) فقد قال (ديني) وقال تعالى : « إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » وقال سبحانه : « وَاتَّخِذُوا لِلَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » ولهذا رأى المسلمين مهما تباعدوا أو تباغضوا لا تزال تعمل هاته إلى الجامعة عملها فيها يسرون أسرور بعضهم ويحزنون كذلك وإن افرقت بهم البلدان ما بين المشرق والمغرب . وقد عظمت الصلابة في هذه الجامعة الدينية والرابطة الإسلامية حتى سماها غيرهم الآن (تمصبا) (٢)

على أن التعريف بالوطن على هذا النحو هو غاية ما رقى إليه الأمم ، وتنبعث نحو الهمة ، قال آدمون ديولان : والمهاجر من الانكليز السكسونيين يشعر دائماً بأنه إنما يرحل عن بلده مستصحباً لوطنه إذ هو يرى الوطن حيث يعيش المرء حر ثم قال : « والنصر كل النصر للامم التي وطدت أركان نظامها على دعائم هذه الوطنية والتعريف بالجامعة أيضاً على مثال ما تقدم سيرت مع سنة العمران وذلك أن أول اجتماع للانسان كان على شكل جماعات صغيرة جامعتها النسب كبنى دار وبني أس وبني شيدان الخ ثم ارتقى إلى جماعات أكبر من الأولى جامعتها الجنسية وهي التي عليها الامم الآن ويقول العلماء انه سيرتقى إلى جنسيات كبرى واحدة جامعتها الانسانية

- (١) المار — اشهر ان هذه الكلمة حديث وقد نبهنا غير مرة على أنه موضوع
- (٢) ان في مصر من أحداث السياسة من يكتب ويخطب لينسخ هذه الآيات الكريمة ويفرق هذه الجامعة بكلمات مخيفة مثل « الوطنية الحقة » و« الدخلاء » فهذه الوطنية الباطلة لا رضى الاسلام والمسلمين ولا غيرهم من وطنيين ومهاجرين لأنها هضمت كل حق . أما الجامعة الاسلامية فانها تعطى كل ذي حق حقه ولهم مالنا وعليهم ما علينا » واثن وجد شيء من التعصب في بلاد المسلمين فانما وجد بتراخي مصرى هذه الجامعة العادلة كما يبناء مرارا

بأنه إذا تقررت من تلك الغاية الهائية بتأليف الأجناس المتقاربة إلى جنس
 واحد كشيء الجرماني والسكسون والسيلاي واللاتين في ذلك الآن ، فمذا تين هذا
 كان الدعوة الإسلامية التي أُنشئت بل لا بُدَّ من أن تكون جنمات الأجناس ونقائها إلى جماعة
 مغلقة بكنة في كل شيء ، بل هو من ٣٦٠ مليوناً خطونا كبرى في السير نحو تلك
 الدعوة التي ستضم أفراد الإنسان والتي هي دواءنا لا نخرج من ثلاثة عشر قرناً (١)
 فشان الدعوة الإسلامية أشبه تلك الجماعة الأمريكية التي تضم الأجناس المختلفة فيها
 شرقاً وغرباً بالأيدي عيلاً (عوزويه)

ولا نقول بغير حجة ، بل من المبرحين أن التثبث بالجماعة الإسلامية يفقد
 أساسه إلا أن لهم قلوباً لم يصدقوا في هذا القول فقد المسلمون بذلك عشرة
 ملايين نفس ، وكل المسلمين الذين في بلاد الإسلام وكسبوا ٣٦٠ مليوناً من
 أحوالهم ، على أن الأمر ليس كذلك فإن رابطة الأمة تقوم مع هؤلاء المبرحين مقام الدين
 فلا يحرم المخرجان من التعاون والتعاقد فاعمل وقد أمر القرآن بمزيد الحسنى معهم
 قال تعالى : «لَا يَنْهَى كُفْرُ الَّذِينَ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُحْرِجُواكُمْ
 مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَنْصَرِفُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»

هذا وإن الإسلام أخذ في الازدياد والنمو في اكفاف الأرض بكيفية تستوقف
 البصر ، ونحو الفكر ، بل هو كما حزبه الأعداء ، وضايقه الأواء ، أربى في البناء ،
 كالشجر إذا شرب منبه زائد ، أو الأتي إذا شدد طريقه فغرق البلاد ، وقد جزم
 أمارفون وفي أولهم عاماء لا فرنج أنه لا يمضي حرس من الدهر حتى يربو على جارية المسيحي
 والوثني وعدد الأول الآن (٤٢٠) مليوناً والثاني (٥٠٠) مليون . وذلك لأن نسبة
 الزيادة فيه والزيادة فيهما مختلفة جداً حتى تكاد تكون كالفرق ما بين المائتين والاربع
 الهلالج . كان سكان مصر سنة ١٨٨١ ستة ملايين فاصبحوا سنة ١٨٩١ نحو عشرة
 ملايين وكان مسلمو الهند سنة ١٨٩٢ (٥٧) مليوناً فصاروا سنة ١٩٠١ (٩٠) مليوناً
 وعلى هذا فقس مسلمي الصين والسودان وغيرهم . وهذا شيء لا يوجد مثله في الأمم
 الأخرى . قال ديمولان : يتضاعف عدد سكان فرنسا في ٣٣ عاماً وسكان ألمانيا

(١) النار : راجع القراءات مقالة (الجنسية ودين الإسلام) في المجلد الثاني من النار (ص
 ٣٢١) ومنها يعلم أن الإسلام هو الذي جاء لجمع البشر كلهم فهم يسمون إليه ولا يعلمون

في ٩٨ عاماً وانكلترا في ٦٣ عاماً واستراليا في ٦٢ عاماً
والاسباب في انتشار الاسلام وازدياده في كل صقع وقطر من أحشاء افريقية
الى ميطان الصين الى جزر المحيط كثيرة نذكر بعضها فنقول

(السبب الاول) — سلامة العقيدة الاسلامية وسهولتها . فأت مرة للسيد جمال
الدين الافغاني ماهددين المستقبل؟ فقال لي هذه الآية من كتاب الله : **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَاعْمَلُوا بِحَسَنَاتِهِمْ**
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . قلت : فكيف تفر في وفاءه عن
الاسلام : « هكذا جذب الاسلام قسما عظيما من العالم بما أودع فيه من اعلاء شأن النفس
بتصور الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها خمس صلوات في كل
يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث اباح للناس شيئا مما يشتهون . واعظم
عامل في انتشار الاسلام خصوصاً عند الأمم الزنجية (السود) بساطة مذهبه وسداجة
تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم الطباع . دين لا اسرار فيه
وكلمة (اي كلمة الشهادة) يمتاض عنها عند الاحتضار بشارة تدل عليها كرفع السبابة
الى السماء اشارة الى وحدانية الله تعالى فكلما وجد الرجل الجاهلي امامه دينين
متحددين في حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح — وهما الاسلام ودين عيسى — تراه يختار
الدين الذي لا يزيد شيئا على دينك الحقيقيين ويمتنق الاسلام بلا محالة وهي قوة يفضي
بها القرآن الديانة المسيحية في الانتشار وكانت معروفة عند أهل القرن السابع عشر لذلك
نقرأ في كتاب القس (ماراشي) الذي سماه (الرد على القرآن) : « ولا يفين عن ذهن
القارئ ان تلك الطائفة . . . لا تزال حافظة لكل مافي الدين المسيحي من الامور
الظاهرة والوضوح القريبة التصديق مضافاً اليه ما يوافق نظام الكون وقانون النشأة
الدنيوية فقد أبعد عنه احاجي الانجيل التي تخالها في أول الامر غير صحيحة لا تدرك
انقول كما انه جرد تعاليمه من كل قاعدة يشد بها الخناق على البشر مما جاء في ذلك
الكتاب وبهذه الواسطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحس كل واحد منا بانهما
الحاجز بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو
اسبب في أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في أيامنا هذه يمتاضون عنه بالاسلام
دون الديانة المسيحية » اهـ

وقال (اسحق طيلر) : « ليس أمر المسيحية واقفاً عند المعجز عن إحياءات

مواطئ جديدة لأقدامها فقط ولكن المقام الذي هي فيه قد تعجز عن حفظه أيضاً .
 أن دين الإسلام قد انتشر آنفاً من مراکش الى جاوا ومن زنجبار الى الصين وهو
 الآن ينتشر في افريقية بسرعة لا يأتي عليها الوصف وإنما ترى الإسلام أوفق ما يكون
 لتهديب الأمم المتوحشة وترقيتها . أما الديانة المسيحية فلا نالها عقولهم وبدأ قد دفع
 الإسلام المدنية أكثر مما نفعتها المسيحية . إذا دخلت الديانة المحمدية في قبيلة زنجية تحت
 عبادة الأوثان وأبصرت كل لحوم البشر ووأد الأطفال وأنشأت فيهم النظافة وعزة
 النفس والوقار وكرم السجاياء فصير قري الضيف بمنزلة الفريضة الشرعية ويندر السكر
 والقمار والمراقص الحزينة وتعد العفة في الأنث من خلافات التقوى ويفشو التصالح
 بالاحسان والأخوة بالوجدان * ()

(السبب الثاني لانتشار الإسلام) — موافقة أحكامه للفطرة الانسانية وابتنائها على
 الحكمة العقلية . قال (لوشاتليه) في كتابه المسمى (الإسلام في القرن التاسع عشر) :
 « إن نمو الإسلام في الهند أمر لا ينكر وسببه في الغالب حكم المساواة بين
 الناس الذي سنته الشريعة الاسلامية وذلك ان أهل الهند بحسب مذاهبهم القديمة
 ينقسمون الى طوائف لا ينبغي لطائفة منها أن ترقى الى الطائفة التي فوقها فن ولد
 بينهم في طائفة دنيا لا يجد له مخلصاً الارتقاء الى العلاء والخلوص من قيد الطائفة الا
 اعتناق الإسلام » وقال (لودوفيق دو فنتاسون) في كتابه المسمى (النصارى والإسلام) :
 « لا يصل أهل الهند الى أن تكون لهم حكومة وطنية مستقلة الا اذا ذهب من بينهم
 التخالف في المذاهب والطوائف والاجناس ولا يكون ذلك الا اذا ساد فيهم الإسلام
 الذي يبيد جميع هذه الفروق ويقيم اركان المساواة والإخاء والحرية التي هي من قواعد
 الديانة الاسلامية » (١)

(السبب الثالث) — وهو أهم الأسباب حذق دعاة الإسلام وهم الصوفية . الصوفية
 جمعية في الأمة الاسلامية مرتبة النظام ، منظمة الهندام ، يبالغ عددها مائة مليون من النفوس
 فهي أكبر جمعية في الدنيا لا يضارعها البوكسر في الصين ولا الطوائف الدينية في

(*) تراجع مقالات اسحق طيلر وخطبه في المنار (١) إن من أحداث السياسة
 في مصر من يحاول إبطال هذه المزايا الاسلامية بفمه وقلمه لغواً بالوطنية ويزعم مع
 ذلك أنه يخدم مصر والإسلام !!!

أوروبا وغيرها وقد قامت هذه الجمعية بالدعوة الإسلامية مقاماً محمياً (١) . قال بعضهم : « إن العالم الإسلامي وقف عن التقدم والغلب أمام الأول الأوربية من مدة مديدة فاستطاعت هذه الدول على الممالك الإسلامية وغلبت الكثير منها بالدعوة

(١) للصوفية (علم وعمل) أما العلم فهو العقائد والقواعد والاحكام المعروفة في كتب التصوف كالفتوحات ، والفصوص ونحوها وأما العمل فهو إرشاد المسلمين ودعوة غير المسلمين الى الاسلام .

وإننا نرى في هذه الايام من بعض متطوري الكتاب انكاراً وتشكيكاً على علماء الصوفية وطلباً للتلاشي هذه الجمعية من بين المسلمين بسبب ذلك قال بعضهم : « إن هذا المذهب دخل الى الاسلام من القرن الثاني مع ما دخله من المذاهب اذ ذاك وإنما نقل اليه من الفرس بدليل ان مشائخه الاولين كلهم أعاجم كالجنيد النهاوندي وأبو يزيد البسطامي وإبراهيم ابن أدهم البلخي وإشهر الحافي الروزي وسهل التستري الخ وبدليل انهم جعلوا سند الطريق الى علي رضي الله عنه دون غيره ولا يفعل ذلك إلا بالفرس الذين هم شيعة . وبدليل انه كان مدوناً في كتب الفرس وأشعارها قبل الاسلام وقد نقله الفرس عن اليونان اذ كان عندهم مذهباً للحكماء الاشراقيين . وأخذ هذه اليونان من الهندو الاقدمين اما بواسطة فتوح الاسكندر أو قبلها . قال ابو الريحان البيروني في كتاب الهند عند ذكر اعتقاد الهند في الموجودات العقلية والحسية مانصه : (ان قدماء اليونانيين قبل ظهور الحكمة فيهم بالسبعة المسمين أساطين الحكمة وتهذب الفلسفة عندهم كانوا على مثل مقالة الهند وكان فيهم من يرى أن الاشياء كلها شيء واحد (وحدة الوجود) ثم من قائل في ذلك بالكمون ومن قائل بالقوة وان الانسان مثلاً لم ينفصل عن الحجر والجماد الا بالقرب من العلة الاولى بالرتبة والا فهو هو ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لا استغنائها بذاتها فيه و حاجة غيرها اليها وان ما هو مفقود في الوجود الى غيره فوجوده كالحبال غير حق والحق هو الواحد الأول فقط . وكانت هذه الآراء آراء (الصوفية) أي الحكماء فان سوف باليونانية معناها الحكمة وبها سمي الفيلسوف أي محب الحكمة ولما ذهب في الاسلام قوم الى قريب من رأيهم سموهم باسمهم ولم يعرف الا لقب بعضهم فسموهم بالتوكل الى الصفة وأنهم أصحابها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصيره بعضهم من الصوف وعدل أبو الفتح البستي عن ذلك أحسن عدول في قوله :

العقلية والمادية ولكن الذي أعجزها وضاعت معه قوتها وحياتها هم الصوفية . فالصوفية هم في الحقيقة القوة الدالة على الحيوية والنماء في العالم الاسلامي فتراهم في افرقية

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قدما وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أحل هذا الاسم غير فتي صافي فصوفي حتى لقب الصوفي
وكذلك ذهبوا الى أن الموجود شيء واحد وان العلة الأولى تترأى فيه بصور
مختلفة وتحل قوتها في أوضاعه بأحوال متباينة توجب التغير مع الاتحاد (الحلول
والاتحاد) وكان فيهم من يقول ان المنصرف بكنيته الى العلة الأولى متشبهاً بها على
غاية امكانه يتحد بها عند ترك الوسائط وخلف العلائق والموانع (الرياضة والتجرد) .
وكانوا يرون في الأنفس والأرواح أنها قائمة بذواتها قبل التجسد بالابدان
معدودة مجتدة تتعارف وتتأكر وأنها تكتسب في الأجساد بالخيورة ما يحصل لها به
بعد مفارقة الابدان الاقترار على تصاريف العالم ولذلك سموها آلهة وبنوا الهياكل
باسمائهم وقرئوا القرابين لها كما يقول جالينوس في كتاب الحث على تعلم الصناعات
(أجباب الكرامات) اه كلام البيروني

قالوا والوصول الى المعرفة عند الصوفية ليس من طريق النظر والتجربة بل
من طريق الرياضة وكل ما يفعله الصوفية الآن من الاهتزاز الشديد في الذكر ونحوه
هو لتخليص النفس من الحس حتى تجلي لها المعرفة بقدر ذلك ولا شك ان هذه
جميعها عقائد وقواعد يجب الغاؤها لأنه لم يجز بها كتاب ولا سنة . اه

أقول هذا تهوّر وخطأ وبعد عن الصواب اذ كيف يجوز لمسلم أن يطلب إيقاف
الحركة التي يعترف الافرنج أنفسهم بأنها الحركة الحية الوحيدة الباقية الآن في الاسلام
والتي فتحت للاسلام الآن قدر ما فتحت سيوف الفاتحين الأولين أما الطريقة لاصلاح
حال الصوفية ونفي الضر عنها وإبقاء النافع فيها فهي ان نجعل (العلم) عندهم هو
علم الشرع الاسلامي بلا زيادة ولا نقص و (العمل) يبق موضوعه على ما هو عليه
فيكون عبارة عن ارشاد المسلمين الى الشريعة المطهرة ودعوة غير المسلم الى الاسلام
وهذا يكون التصوف عبارة عن (علم بالشرع وعمل به) ويقوم مشايخ الصوفية
من بركني التلميم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين حث عليهم الكتاب
السكريم قل تعالى (واتك منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر) وقال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

وفي الصين والهند وأواسط آسيا بل في جزائر المحيط يدعون إلى الإسلام ويدخلون الأفواج فيه كل يوم حتى أن الخطوط التي ترسم في أفريقية لبيان حدود الإسلام وراء خط الاستواء تنقل متقدمة إلى الجنوب في كل عام من أثر فتوحات مشايخ الطرق في مجاهل أفريقية . وما دخل الفرنسيين قرية في الكونغو إلا وجدوا الصوفية قد سبقوهم إليها وزرعوا بغض الناس لهم فيها . ومن أطلع على المؤلفات الكثيرة الأوربية التي تؤلف في هذه السنين في أوربا عن أحوال الصوفية وتاريخ الطرق وكيفية سير أهلها في الدعوة علم أن مسألة الصوفية هي المسألة الشاغلة للباحثين عن حالة الإسلام الماضية والمستقبلية

وقد بلغ من العناية بهم أن والي الجزائر كلف جمعية برئاسة (اوكتاف دويون) عن البحث في أحوال الصوفية ففعلت وطبعت أعمالها في مؤلف ضخمة ورسمت خريطة عامة يتبين منها ما يوجد من الطرق والطوائف في كل بلد من بلاد الإسلام بعلامات مخصوصة حتى تستقصى منها حركاتها وتنقلاتها في الأقاليم اهـ

وقال دي كاستري : « قد فطن المسلمون إلى ما أحرق بهم من الأخطار و أرادوا تمكين الجامعة وتوحيد الروابط بينهم وهي عند المسلمين أشد قوة منها لدى غيرهم من الأمم التي تدين بدين واحد لأن القرآن شريعة دينية وقانون مدني وسياسي ومن ذلك وجدت حركة في النفوس غايتها مقاومة النصرانية بجميع الوسائل الممكنة وعلى الخصوص مغالبة التمدن الجديد باسم الإيمان . قال القائد (رين) وتأتي قوة هذه الحركة الإسلامية من تعدد الطرق الصوفية التي وجدت من أول هذا القرن وعظم شأنها في جميع الأنحاء وصار لها تأثير شديد في قلوب الناس ولهم رسل ومریدون يطوفون البلاد الإسلامية التي لا حدها وغير الإسلامية كبشربين أو مستعطين أو قاصدين للحج ويصلون بهذه الكيفية بين الأقطار من مكة إلى جنجوب إلى القسطنطينية وبغداد إلى فاس وتبكتو إلى القاهرة إلى الخرطوم إلى زنجبار ثم كلكتا وجاوه ومنهم التاجر والمنجم وطالب العلم والشحاذ والمجنوب وكلهم يلاقون صدوراً رحيمة و منزلة كريمة بين المؤمنين اهـ

قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .) وتكون جمعية الصوفية في الدنيا أشبه بمدرسة عظمى فيها المشايخ والخلفاء أساتذة والمریدون من الكافة تلامذة قد وضعوا أنفسهم تحت التعلم ومراقبة العمل به مدى العمر اهـ مؤلف الرسالة

وقال (كونتانسون): نرى حركات كثيرة وأعمالاً كبيرة يقوم بها المهديون أو الأمراء في العالم الإسلامي ثم نزول كأن لم تكن . أما العمل الثابت الدائم فيه فهو عمل الصوفية فالفضل لهم في انتشار الإسلام شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً. وقال (شاتليه) بعد أن اطال في وصف انتشار الإسلام في الدنيا وعزاه لمساعي مشايخ الطريق: «والخلاصة أن الإسلام مدين بكل فتوحاته السامية وانتشاره في الافطار لجماعة الصوفية . فشايخ الطريق هم في الحقيقة الذين يدرون حركة الإسلام الحية . ولا يخفى ما في عماء هذا من الخطر على المصالح الأوربية »

(السبب الرابع) : تعدد الزوجات وهو الأمر الذي به يتفق للمسلم الواحد أن ينسل خمسمائة نسمة وفي الحديث «تناكحوا تكاثروا فاني بياكم الأمم يوم القيامة» (١) وقال تعالى في حكاية دعاء إبراهيم وإسماعيل : (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ)

قال دي كاستري أيضاً: «ومن الوسائل الناجحة في المسلمين لانتشار الإسلام الزواج فإن سلاطين السودان يتزوجون من المائات الوثنية لهذه الغاية ولا تمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الأسباب لانتشار الدين الإسلامي وقد أشار موسيو (رونان) الى ذلك في بعض كتبه حيث يقول (من الصعب ان يصم المرء أذنه اذا تقدمت اليه النساء والاطفال ومد كل يديه اليه وطلب منه ان يعتقد بمن نعتقد) على ان الزواج هو السبب في وجود انصار الإسلام الاولين »

(السبب الخامس) — بغض الأمم الوثنية للمسيحيين وميلهم الى المسلمين بالفتنة قال (كونتانسون): ان مما اعلى كعب الاسلامية على النصرانية في الصين عناية ملوك الصين بالمسلمين من قديم فديم بمنحونهم على الدوام من المراتب والألقاب والمنح ما يمدونه النصارى. وقال بعض الكتاب: «قدماء الأوربيون بلاد الصين بمجاهير المرسلين من كل ملة ونحلة وسهلوا لهم سبل التملك ووعدوهم بالمساعدة فأدخل هؤلاء المرسلون بعضاً من أهل الصين في دينهم بعد ما وعدوهم بالحماية الأجنبية. من كل ساطة للقانون فجرأهم ذلك على ارتكاب منكره القوانين والاعتداء على أهل البلاد فنجم عن هذا معظم الأسباب التي أوجبت كره أهل الصين للمسيحيين كرهائشبه التعصب

(١) المنار: رواء عبدالرازق في مصنفه من حديث سعيد بن أبي هلال مرسلًا بسند ضعيف. ولكن ورد بمعناه في مكاررة النبي الأمم والأنبياء بأمة ما يقويه

وبالجملة إن الأوروبيين القائلين بالمساواة يعاملون اللون الأبيض من نبي الإنسان معاملة الأخ لأخيه واللون الأصفر معاملة الرجل لحادمه واللون الاسمر معاملة السيد لعمده ويطلقون الرصاص على ذي اللون الأسود كما يطلقونها على الوحش الضاري فالإنسان كلما مال لونه الى السواد كان نصيبه من هؤلاء الخذلان وقاحش الامتهان . ولهذا كان كره الأثم الشرقية لهم متكاملاً وحقدهم عليهم عظيماً .

وقال (فيليكس مارتان) في كتابه عن اليابان مانسه : « وقد استأصل أهل اليابان جميع النصارى فلم يبقوا مبشراً الا شرودوه ولا قسيساً الا قتلوه وكان قد تنصّر من أهل اليابان ٣٧ ألف نفس فاعدموهم قاطبة » . وقال أيضاً : « ان الصبغة التي تغطي كل مشكلة أو نورة في اليابان الآن لتجعلها مقبولة من الناس هي الحركة ضد الافرنج »

وقال أيضاً : « كل من زار اليابان من الأوروبيين يعامون بان الحلة اليوم كانت في الازمنة السابقة وان الافرنج في اليابان كأنهم في دار حرب أو بلد عدو وأنه لو كشف العطاء عن الياباني الحالي وزخرفته لوجد انه ذلك (الساموري) القديم الذي يغلي دمه بعداوة الافرنج عداوة ورائية فيهم لافرق فيما بين الكبير والصغير والامير والحقير » وقال هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً في مقابته عن الاسلام : « وقد اتبعت شعبة منه في بلاد الصين فانتشر فيها انتشاراً هائلاً حتى ذهب البعض الى القول بان العشرين مايو نأمن المسلمين الموجودين في الصين لا يلبثون ان يصيروا مائة مليون (١) فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء (لسا كياموني) وليس هذا بالامر الغريب فانه لا يوجد مكان على سطح المعمورة الا واجتاز الاسلام فيه حدوده منتشراً في الآفاق . فهو الدين الوحيد الذي امكن اعتناق الناس له زمراً وأفواجاً وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل الى اتنين به كل ميل الى اعتناق دين سواه . ففي البقاع الافريقية ترى المراطيين وقد أفرغوا على أبدانهم الحلل البيضاء يحملون الى الوثنيين من العبيد العارية أجسادهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك في هذه الدنيا كما ان أمثالهم في القارة الآسيوية ينشرون بين الشعوب الأصفر اللون قواعد الدين الاسلامي ثم هو — أي هذا الدين — قائم الدعائم ثابت الاركان في اوربا عينها أعني في الاستانة — حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومته من هذا الركن المنيع الذي يحكم على البحار الشرقية ويفصل الدول الغربية عن بعضها شطرين »

(١) المنار : جاء القاهرة في هذه الأيام تاجر بلوحي مسلم ذهب الى الصين مراراً فأكّد القول بان مسلمي الصين يبلغون ٨٠ مليوناً وان عامائهم يمزأون بقول الأوروبيين أنهم ٤٠ مليوناً

وقال آخر : ان الاسلام في الصين أربعين مليوناً من النفوس وان للمسلمين عند أهل الصين منزلة عالية قال موسيو (وازيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي : ان مصيره القيام مقام مذهب (ساكياو ني) (١) وان لمسلمي المملكة السماوية اعتقاداً جازماً بأن الاسلام لا بد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة وهي مسألة من أهم المسائل اذ الصين آهلة بثلاث العالم او تزيد فلو صاروا كلهم مسلمين لاوجب ذلك تغييراً عظيماً في حالة تلك البلاد باجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الأكبر الهادي ويخشي على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم ان أمة الصين أمة عاملة وان هددت أخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذو البأس القوي لحشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها (٢) وقال موسيو (مونتبط) لقد صار من المحقق ان الاسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية «

وقال شاتليه (ان من تأمل حال الاسلام في الفطرين اللذين هما أهل أقطار آسيا بل أقطار العالم — الهند والصين — يجد أن الاسلام وحده يتقدم وينمو على حين يرى غيره من الديانات القديمة تداعي وتضعف والمسيحية لا تكاد تثبت)

وقال آخر بعد ان وصف فتوح الاسلام في الديانات الأخرى وعجز الآخرين عن الفتوح فيه : (ولم رالمبشرون في طريقهم بلداً قامت في وجههم سدوده وأقفلت دونهم أبوابه مثل بلاد الاسلام ومن الصعب أن يكيف الانسان حالة مسلم يريد أحد المسيحيين أن ينصره حتى لو شهبناه بمسيحي مستجير يريد وثني أن يميل به الى عبادة الأصنام لكان التشبيها ناقصاً)

وقد ملأت هذه الفتوحات الاسلامية قلوب الامم الأخرى وبلبلت بلبالهم حتى عدوها من الخوارق وبنوا أسبابها على ما وراء الطبيعة

(١) هو احد ملوك الصين تخلى عن الناس في التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم او المتنور ووضع المذهب الذي اتخذته الصين والهند ديناً وكان ظهوره في القرن الحادى عشر قبل المسيح وقيل في القرن السابع وهو الأرجح (٢) راجع كتاب موسيو دابرى المسمى الديانة المحمدية في الصين وتركستان الشرقية المطبوع في باريس سنة ١٨٧٨ هـ من هاشم كتاب الاسلام لدي كاستري

قال دي كاستري : « هذه هي أهم الأسباب في انتشار الإسلام ولست أدري ان كانت تكفي لإدراك سر هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية غير ان الإسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الارض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة

« ونحن نعلم ان يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيراً وكرر له ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى لتكون من أولادك وأعاد يهوذا هذه البشارة مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي نجاني الصحراء حيث رمي ليموت عطشاً وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجل الروايات ووصف بادية الظماء ولطف الام على ولدها من ألطف ما يقال (نضب الماء في الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلاً ثم جلست أمامه على مسافة مرمى النبل وقالت لست أصبر ان أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء فهو قد كان بكاء الطفل سبقها الى السماء فناداها الملك من قبل الله : مالك يا هاجر لا تخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذي وضعته فيه فقومي وساعديه على القيام وايشهد ساعدك على حمله فسيكون من ذريته أمة كبرى)

« ولقد ارتعشت يدي عندما مددتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أقرأ الآيات التي سطرها ولولا ما قاله الاب بروغلي من أن تقدم الإسلام أمر مندرج تحت ما بشر به أبو المؤمنين لما نتجرت ان أطبق تلك الآيات على الإسلام ولا ذهبت الى أن في انتشار هذا الدين سرّاً من الاسرار الربانية » اهـ

هذا ما أردنا بيانه في هذا الفصل ومنه يعلم أن حفظ الإسلام من الارض أو فخر حظ وان ارضه له لا يمكن أن ينزعها منه غيره وان عدد المسلمين كثير وان صفاتهم الفطرية قوية، وجاءتهم الدينية عظيمة، وانهم يزيدون زيادة تستوقف الابصار، وتحير الافكار، وانه لا يتسنى لغيرهم أن يجاريهم في هذا المضمار. وإذا كان الامر كذلك كان رأس مال الإسلام من الاصليين الطيبين الضروريين مستقبل الامم كبرا في الحال، أكبر من غيره في المستقبل، ولا ينقصه الا الامور الكسبية والاسباب الوضعية التي لا بد أن تدفعه طبيعة العمران لتحصيلها شاء أو أبى. فيصل الى ما قدره له الله من السعادة والعلاء والمجادة والله در انقائل :

لى في ضمير الدهر سر كامن لا بد أن تستلّه الاقدار

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في أسباب الانحطاط)

« الجهل »

اختلف العلماء واختلف العقلاء في أسباب انحطاط الأمم وارتقائها وانقسموا في ذلك الى فريقين وهما

(الفريق الاول) — يرى هذا الفريق ان الأمم في ارتقاءها وانخفاضها أشبه بالإنسان في أدوار عمره لا تكبره الإرادة ولا تضمره الصنعة فهو اذا جاء زمن المشي مشى وحده واذا جاء زمن النطق نطق كذلك. وان الجماعات الإنسانية مسيرة بناموس طبيعي كالناموس الذي يسير الكواكب في أفلاكها . وان الجمعية الحالية هي نتيجة ضرورية لماض طويل الأمد ، وأنها حاملة معها جميع بذور التحولات والأطوار التي لابد لها من المرور عليها في رقيها وانحطاطها . وأنه بذلك تكون الجمعية كالشخص لا يبلغ منا مالم يمر بالأدوار التي تفصله عنه وان تأثير الإنسان في هذا السير هو كتأثير الطبيب في سير المرض أي ضئيف لا يذكر .

[الفريق الثاني] — يرى هذا الفريق ان الأمم مثل الشمعة المذابة تضعها في أي شكل أردت . وتجعلها في أية صورة صورت ، وأن الإرادة تفعل في كيانها فعل الأكسير الذي يحول التراب ثبراً . ورجال هذا الفريق هم أساطين الحكمة مثل (أفلاطون) و (أرسطو) و (أينيذ) و (ليكورغ) . ولا حاجة في اطالة الكلام لترجيح الفريق الثاني في هذا المقام فان اليابان هي البرهان الذي لا يختلف فيه انسان .

ثبت عند كبار الحكماء أن الأمم يمكن رفعها وخفضها بالإرادة . أما الآلة الرافعة أو الخائضة لها فقد اتفقوا على أنها العلم أو الجهل . قال لينيز الحكيم : « لو كان أمر التعليم موكولاً الى لغت وجه أوربا في أقل من قرن » وقال أيضاً : لو أجلسنا النظر لألقينا ان تسعين في المائة من الناس هم فضلاء أو أرتلون نافعون أو مضرون بالتعليم الذي تعلموه وان كل ما يوجد من فرق بينهم فسيبه ذلك التعليم . وقال (ديدرو) علة العلل في ارتقاء أو انحطاط الأمم هو العلم أو الجهل وما عدا ذلك فأسباب ثانوية وعال جزئية ترجع الى تلك العلة الاصلية

هذا وقد يدتنا النظر في حالة العمران أن العلم هو العلة التي تقوى بها أمة على ملة والجهل هو سبب انحطاط فريق عن فريق وإنه أن هذ الأرض وإن توعت أجزائها في المواضع واختفت ألوان بقاعها في الحر والبر في بلاد مصر والناصر والأثم فيه كآمة واحدة فيها القوي والضعيف . وقد وجدت المصداقة بعض هؤلاء في حيز ناصر . فعم بالنعم والبعض في حيز ناصر مملوء بالقيم وجبلى الأرض على حب الأثرة لنفسه ولو هلك في ذلك أهل الأرض جميعاً . قال سهل بن عبد الله بن الجبل : « ليس لي من مالي إلا ما منعه الناس ولو أهكهم لنقصوا بي حجر حجر » فوقع بين القوم بسبب ذلك ما يسمى بالنزاع الحياة وهو في الواقع قتال بلا رحمة . كل يطلب الطيبات لنفسه . ويحرس على أن لا يزع ذلك من الآخر بقوة أسسه . ومهمة يعيش فيها الخبايا . وهناك الرعي . ويحيي القوي ويموت الضعيف . فهذه خارج كل واحد أن يكون أقوى من قرنه فزاجعوا في الأزمان الأولى في القوة الجسمية حتى ذاسما العقل واستنبط من الأساليب ما طيس به قوة الجوارح . فزعموا إلى القوة العلمية ولهذا قال بعض السياسيين : « الماهل الآن كالأعزل في القرون الوسطى » . فمن كان أكثر علماً كان أكثر قوة فكان له الغلب والنجاح على خصمه . وقد يكون هذا النزاع جهرياً وهو معروف في لغات الأثم بعضها على البعض بقوة الآلات المستبصرة والعدد المبتدعة وقد يكون خفياً وهو الذي نشظر في سائر وسائل الحياة . فالأثم في الحقيقة جيوش متلاحمة ، ومقاتلة متحملة . كما قال المثاني :

إنما أنفس الأيس سباع يتفارسن جهرة وغتياً

فالجنود تقاتل الجنود والتجار التجار والصناع الصناع والزراع الزراع وهكذا . وكما أن الجندي إذا غلب الجندي وكان سلاح أحدهما المكسب وسلاح الآخر الرمح غاب الأول لا محالة فكذلك الحال في سائر الأنواع الأخرى . وقد مر ما يكون في جميع طبقات الأمة من سعة العلم يكون غلب مجموعها على غيرها ولا يمكن أن يحضر فرد واحد منهم إلا أثر ذلك في كونها كما إذا وقفت بعوضة على طرف سفينة عظيمة أثقلها وأمانها حقيقة وإن لم تدرك ذلك . شاعرنا .

ومن هذا يعلم أن جميع أحوال الأمة متوقفة على حالة أشخاصها من الجهل والعلم فإن صاحبت الأشخاص صاحبت الأحوال والعكس بالعكس . وبهذا جاء القرآن الكريم قال تعالى : « إِنْ أَلِهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ »

وقال تعالى : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِمَّكَ الْقُرَىٰ يَظْلِمُونَ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » وقال تعالى : « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » وقال جل ثناؤه : « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » وقال صلى الله عليه وسلم : « كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّىٰ عَلَيْكُمْ » (١) وفي معناه قول الحكيم (الأمة تعطى الحكومة التي تستحقها) وقال فواتير : « الظلم الواقع على الأمة عقاب لها على جهلها » .
ويعلم مما تقدم أيضاً أن الذين يعددون الأسباب الكثيرة في انحطاط الأمم أو ارتفاعها إنما يذكرون أسباباً ثانوية لعل أولى هي عللة الملل وهي الجهل أو العلم . فمن جعل السبب محصوراً في الحكومة مثلاً قلنا له إن الحكومة لا تكون إلا على نسبة استعداد الأمة وما شذ عن ذلك لا يحكم له بل لأقائدة فيه فقد رأينا أن المصادفة قد توجد حكومة فوق قدر الأمة فلا تلبث أن تبدل بموت القائم بها أو نحوه بالمغري تفسد كل ما أتت به الحكومة الأولى . وهكذا من جعل السبب في فشور العقائد الفاسدة في الأمة أو المبادئ التي زعم أنها من الدين وليست منه نقول له إن السبب هو سهل بالدين وهلمجرًا

ثم إن العلم له ثبوتان في الوجود وهما الأنبياء والحكماء أي الدين والحكمة فنأخذ من الدين أولاً ثم إن أردنا التفصيل في الفروع أخذنا من الحكمة . قال ابن مسكويه : « إن تحصيل السعادة على الإطلاق يكون بالحكمة . وللحكمة جزآن نظري وعملي فبالنظري يمكن تحصيل الآراء الصحيحة وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة وبهذين الأمرين بعث الله الأنبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عابها وهم أطباء النفوس يعالجونها من أسقام الجهالة بالأدب الحق لما يأخذونهم به من الآداب الصحيحة والأعمال النافعة ويطالبونهم بالاستسلام لهم بعد إقامة الحججة عليهم بالمعجزات فمن تبعهم ولزم محجتهم وقف على الصراط المستقيم . ومن خالفهم ردّى في سواء الجحيم . فأنما من أحب أن يعلم صحة ما دعوا إليه بالنظر الصحيح فانه يجد ذلك من جهة الحكماء » . ولا يقول قائل انه يوجد تباين بين الدين والعلم يتنافيان به فان ذلك غير صحيح وإنما جاء لهم من أنهم حصلوا من الدين ما ليس منه أو اخطأوا وتصادموا معناه . قال شيخ الفلاسفة في هذا الزمان هربرت سبنسر في كتابه (التربية والعلم) مانعه :

(١) مندر : رواه الديلمي عن أبي بكره والبيهقي عن أبي اسحق السبيعي مرسلًا

« العلم عدو الاوهام المتداولة بين الناس باسم الدين ولا يمكنه ان يسجد للدين الحق الذي كثيراً ما تحاول هذه الاوهام ستره عن الابصار . نعم أنه يوجد شيء من العلم المتداول يظهر عليه مناقضة الدين ومصادماته . ولكن هذا أيضاً من قبيل العلم الذي اكثره وهم اذ العلم الحقيقي الذي يغوص وراء حقائق الاشياء لا يناقض الدين كما قدمنا » وقال (باقون) امام الفلسفة الحديثة : « القليل من العلم يبعد من الله والكثير منه يقرب منه » وقال (هكسلي) الحكيم الكبير : « الدين والعلم كتواأمين متلاصقين فصلهما يؤدي الى موتهما . فان العلم يخون متى كان ديناً والدين يثبت متى كان علمياً . وأهم آثار الفلسفة انتجتها أفكارهم بسائق ديني في الحقيقة »

ولو تتبعنا جميع رؤساء الحكماء وأساطين الفلسفة العقلاء من سقراط وأرسطو وأفلاطون الى كانت وديكارت وليبنز وأمثالهم لوجدناهم من أهل الدين وان لم يتسموا بهذا لانهم يعتقدون بما جاء به الدين ويتخذون بالحكمة التي أمر بها أن تكون . قال (كارايل) الفيلسوف في كتابه (الهيرود) : « قال (جوتي) اكبر شعراء الجرمان وقد وصف له الاسلام : ان كان هذا هو الاسلام افلا نكون جميعاً عائشين فيه ؟ (ثم قال كارايل) نعم ان كل واحد منا عنده حظ من الفضيلة والكفا في الحياة عائش فيه » ولا فرق مثلاً بين قول سقراط : « يجب ان تعرفوا ان إلهكم واحد » وقول المسيح في الانجيل : « وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوا انك انت وحدك الاله الحق » وقول الله سبحانه وتعالى « قل هو الله أحد »

وكل ما أدخل على الدين من تحريف الاصول الحقيقية والقواعد العامة التي فيه فانما جاء من فساد عرض أو عرام طراً وهو منه براء . وهذه الاصول العامة التي هي عماد السعادة كما لا يختلف فيها الدين عن الحكمة لا يتباين فيها دين ودين بل الاديان فيها سواء . قال الله تعالى : « قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » وقال تعالى : « مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ »



إذا توضّح ذلك وانه لا خلاف بين العلم والدين فلندين هنا ماهية كل منهما ليس العلم هو هذه الابواب المحفوظة فقط التي يسمى محصولها بالعلماء عند المسلمين

الآن بل هو أوسع من ذلك رحاباً وأفصح مجالا ، هو معرفة حقائق الوجود جميعاً . وينقسم الى حكمة نظرية وحكمة عملية . وتنقسم الحكمة النظرية الى ثلاثة أقسام وهي (قسم العلم الإلهي) وهو ما لا يفتقر في الوجود الخارجي والتعقل الى المادة و (القسم الرياضي) وهو علم بأحوال ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي دون التعقل و (القسم الطبيعي) وهو علم ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي والتعقل . وتنقسم الحكمة العملية الى ثلاثة أقسام أيضاً (قسم الاخلاق) وهو علم بمصالح الشخص و (قسم تدبير المنزل) وهو علم بمصالح العائلة و (قسم السياسة) وهو علم بمصالح الأمة ويدخل تحت كل قسم من هذه الاقسام جملة علوم كالرياضي يدخل تحته عيلم الحساب والهندسة والجبر والهيئة وكالطبيعي يدخل تحته الكيمياء والطب والنبات والحيوان والجغرافية والفلاحة الى غير ذلك بل كل واحد من هذه العلوم يدخل تحته علوم أخرى كالطب يدخل تحته التشريح والجراحة والكحالة وهكذا الى ما شاء الله . ولو احصيت العلوم التي تقوم بها أعمال المجتمع الانساني الآن لارت على ألف علم

وكل علم من هذه العلوم له وظيفة لا يقوم بها غيره فتعلمها في جسم الاجتماع كمثل الاعضاء في الجسم لا تغني فيه العين عن الاذن ولا اليد عن القدم وهكذا . فالعلم الالهي أو الفلسفة الاولى هو أس العلوم في الحقيقة . سأل (رينان) السيد جمال الدين عن سبب عقم المدارس في الشرق سوائاً فيها القديمة والحديثة فقال له السيد ان سببه فقد الفلسفة الاولى منها اذ هي لا معلوم كالسلك للمقد أو القاعدة للمسائل فلو ان فقيده السلك تبدد العقد أو عدمت القاعدة تثار المسائل

وأما العلم الطبيعي والرياضي فهما باب الارتزاق وسلم المدنية . وعنهما يقصد نراه في الأمم المرتقية الآن من الحركة والعمران

وأما علم الاخلاق فهو طب النفس . ومن العجيب اننا نرى الانسان انما يصيب دمل في جسمه اسرع الى العلاج والطبيب وفي نفسه عشرون دماً لا يلتفت اليها وان انهكت في الحقيقة آلامها ولا سبب لهذا الافتقار لهذا الطب من بين المسلمين الآن مع نموهم عند غيرهم من الأمم وحسبك ان الف في مرض الارادة وحدهم كتب ذات أسفار . ويجب ان يكون هذا العلم ملكة في النفس كملكة النحو في اللسان حتى تنطبق أحوال المرء على قواعده بلا تكلف فبصير الفضائل - كانوا قوف عند الاعتدال في الاعمال والحق في الاقوال والاعتماد على النفس ونحو ذلك جميعه - خاتمة له وسجدة طيبة وأما تدبير المنزل فهو من أهم الأمور الضرورية لسعادة الأمة وذلك ان المنزل

هو المدرسة الاولى وبعده مدرسة التعليم ثم مدرسة الدنيا فان كان عمل الاولى مضاداً لثانية ضاعت النفس بينهما ضايع لب المأمور لآمرين مختلفين

وأما علم السياسة فهو طب الاجتماع الانساني وطالما أدى الجهل به الى شقاء البشر قال لوبون: إنك لا ترى أحداً لم يقرأ أفلاك أو الجبر ثم يحاول حل مسائل فلكية أو مضلات جبرية ولا ترى أحداً كذلك لم يتعلم التشريع ثم يحاول ان يخطط عرقاً مفضوعاً مثلاً ولكن ترى كل يوم رجالاً لا يفقهون شيئاً من علم السياسة يسوسون الأمم ويضعون القوانين ويسنون التواميس غافلين عن الاخطار والازمات التي تنجم من عمالهم هذا مع ان خطأ الجاهل بالطب يؤدي بشخص واحد وهذا الخطأ يؤدي بأمة . وعلى هذا النحو ففس سائر العلوم والفنون

أما الدين فليس هو ايضاً ما يفهم الناس من أنه مجموع حركات بدنية فقط او ايفيف أحاجي لا يصل اليها العقل بل هو العلم باقسامه الا انه أبعد غاية . ومقصده هو عين المقصد الذي وجد لاجله العلم اي ارشاد الخلق الى الحق ثم هدايتهم بقواعده الى كل ما فيه السعادة لهم الا ان الدين يمتاز على العلم بأنه يجمع السعادتين سعادة الدنيا والآخرة وان العلم برغب في الفضيلة فقط وهو يقهر عليها قهراً ويرتب على ذلك ثواباً وعقاباً

ولتقريب فهم المقصود من الدين والانتفاع بما جاء به تفرض على وجه التمثيل أن الكتاب السماوي الكريم هو كتاب علم وحكمة ونقسمه في ذهنا الى الاقسام السابق ذكرها في تقسيم العلم . فنجد تحت اسم الإلهيات مفعماً بما لا يصل البشر الى الاتيان بمثله ولا الوصول الى مثل تعبيره وتمثيله . قال سبنسر الحكيم في كتاب المبادئ الاولى : « نعرف للدين الفضيلة الكبرى بأنه أول مادل على الله وأنه لم يضاً يعلن ذلك في كل زمان ومكان » . ثم اتنا نجد الدين وان لم يتعرض لقسم الرياضيات والطبيعات فقد حث عليها في جملة ما حث فيه من النظر في الكوان وكذلك وضع العبادات التي تحيي التوحيد في النفوس . أما الاخلاق وتدير المنزل والسياسة المدنية وما يتبع ذلك من الاحكام فقد بلغ فيها غاية ابس ورامما . مطالع المناظر وكانت عمومياته هي الاصل الذي فرع عليه الحكماء جميع ما أتوا به في هذ الانوار . وأما ما يقوله اسفها . من عدم موافقة بعض احكام الدين لسير العمران فهو خطأ ووهم ان تراهم قد قهروا الى الرجوع الى كثير منها بعد أن انكروها قرونا عديدة

واذ قد نبين أن الجهل هو سبب الانحطاط وأن العلم هو سبب الارتفاع على الإطلاق
فيهما فلم يبق خلاف في أن سبب انحطاط الأمم الإسلامية هو الجهل • ولو نظرنا نظرة
واحدة في أحوال المسلمين لتبين لنا مقدار ذلك الجهل وآثاره السيئة فيهم

قلنا إن بابي العلم هما الدين والحكمة. أما الدين فلو حكمناه في نفوس أكثر المسلمين
الآن وطبقناه على عقائدهم وأخلاقهم وأحكامهم لوجدنا لدى أكثرهم في محل كل عقيدة
قرآنية أو خلق ديني عقيدة أخرى أو خلقاً آخر يكاد يضاد الأول على خط مستقيم •
وإذا كان الأول آلة للعلاء كان الثاني علة للانحطاط • ليس الغاية من الدين مجرد
الانساب إليه فإن ذلك لا يهدي إلى خير ولا يدفع عن شر وإنما العمل والانتفاع بكل
ما جاء فيه هو الذي يرقى صاحبه إلى ذرى الكمال وذلك كالطبيب فإنه لا يكفي أن يعتقد
الإنسان أنه نافع فيبرأ من مرضه أو وسابه وإنما يحصل على ذلك باستعماله والأثمار بأوامره
والانتهاء عن نواهيه • ولذلك حرصت جميع الأديان على تبيان هذه الحقيقة للناس
قال تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » وجاء في الإنجيل « وأنه
ليس الذين يقولون للمسيح ياسيدي ياسيدي يدخلون ملكوت الله بل الذين يعملون
إرادة الله » ومهما قابلت بصرك لا تجد الدين في الغالب مستعملاً فيما وضع له • فهو
عند الخاصة موضوع مناقشات لفظية وصناعة فصاحة كلامية ومجال براءة في اختراع
وجوه وتأويل مناجي وبعد عن مقاصد • وعند العامة دفتر تعاويد ورقى وكتاب ترتيل
وكلام يقال لكي لا يفهم حتى قال بعض الأدباء : فات هؤلاء أن يفهموه الأحياء فهم
يسمعونه الموتى في القبور « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا »

وأما العلم فخالفهم فيه كحالهم في الدين • فهم كل يوم يبعدون عنه ويقربون من
نقيضه ولهذا نجد الكتاب عندهم كلما كان أقدم كان انفس وأجود بخلاف الأمم الحية
فإنه لا يقرأ الكتاب فيها إذا مضى عليه عشرون عاماً

منذ كسرت أقلام المسلمين الأولين نرى العلم واقفاً بيننا لا يتحرك • أين الجماعات
المشتتة بالعلوم الإلهية ؟ أين منشئو المذاهب والآراء ؟ أين المحامون عن العقائد ؟
أين المؤلفون في الرياضيات ؟ أين المخترعون لعلوم لم تكن كالجبر والكيمياء ؟ أين من
نقل فلسفة أوروبا كما نقل أولئك فلسفة اليونان ؟ أين من شرح كتب كانت وديكارت
منما شرح ابن رشد كتب أرسطو وابن كونه كتب أفلاطون ؟ أين من جمع علوم

الأوائل في سفر شامل كما فعل الفارابي في كتاب التعليم الثاني؟ أين من ألف فوق مائة مؤلف في الطب كابن سينا والرازي؟ أين من سافر لجمع غريب النبات وتدوينه كما سافر ابن البطريق إلى بلاد الأمازيق؟ أين من جرب في الحراثة ودون كتابي زكريا الأشيلي الذي رقت تجاربه زراعة الأندلس؟ أين من ساح آسيا وأفريقية والجزر واكتشف البقايا ووصف المواطن كالحسن بن محمد القرطبي المعروف بالأسد الإفريقي والبيروني والشريف الإدريسي؟ أين أنواع العلوم الكثيرة التي يتداولها المسلمون ويؤلفون فيها والتي حصرها صاحب كشف الظنون في زهاء مائتي علم؟ أين من دون حوادث زمانه يوماً يوماً وأخبار قومه خبراً خبراً باختلاف الروايات وتنوع الأسانيد؟ أين من وقف على حدود العلوم وزاد فيها على ما كان عند الأمم؟ أين من طلب العلم للعلم وأراد به أن يعرف حقيقة يجهلها ولذة عقلية يحصلها؟ أكثر ما عند المسلمين الآن اختلاف في أعراب البسطة وبيان وجوه الصفة المشبهة وأمثالها وشيء من الفقه يعلمونه ولا يعلمون به وما عدا ذلك فمقشور من العلم في المدارس الحديثة المقصود منها صنع موظفين للحكومات أو إجراء لبعض المهن كالطب والحقوق ونحوهما

هذه مصر وهي في مقدمة بلدان الإسلام عمراتها حضارة ورفاهية وشاردة - تسمون في المائة من أهلها أميون ولا يوجد إلا واحدة في المائتين من نساها تقرأ الخط - فكيف حال المغرب والتركمان والمعجم والسودان؟ حيثما سرت وابن المجتهد وقعت عينك على أناسي لو جردتهم في الخيال من ألقابهم وأموالهم وحليهم لم يبق في يدك شيء - قال المعري :

لو يعرف الإنسان مقداره لم يفخر المولى على عبده
لو لا سجاياه وأخلاقه لكان كالممدوم في وجده

الناس أجمع في حركة وعمل والمسلمون في سكون وسكوت كما قال تعالى «وحيث تضعون ثيابكم من الظهيرة» والله درأبو تمام حيث يقول :

أفكر في أحلامكم أين عجزت فيصرعني طورا وأصرعه الفكر
إذا الوحي فيكم لم يضركم فاني زعيم لكم أن لا يضركم الشعر

الفصل الثالث في وسائل الارتفاع

(العلم)

إذا كان الجهل سبب الانحطاط كان العلم سبب الارتفاع - فلا تصلح أحوال المسلمين حتى تصلح نفوسهم توقف المملوك على العلة

ولكن ربما رأى الانسان الفساد الحال بالمسلمين في أنفسهم في أهلهم في أنفسهم في دينهم في دنياهم وقد سكن في كل عضو منهم علة ، وفي كل جراحة ألم ، وأزمنت الادواء واستطردت الى بعضها حتى أصبحت كل علة تسوق عللاً وكل مرض يهيج أمراضاً وغداً بينها شبه الدور والتسلسل . فتيه في هذا التيه ولا يدري كيف يسري وماذا يصلح وماذا يترك وأي دواء يستعمل وقد اختلفت الأمراض وتباينت الآلام فيقف حاراً بارئاً يائساً يرى ان خلق خلق جديد أهون من اصلاح هذا . فمثل هذا الحائر المشتبه أضرب المثل الذي ضربه (فكتور هوجو) الشاعر الكبير قال : مثل سلطان الاستبداد مثل مصر بني على بطائح (النيفا) في روسيا وقد جمد الناج ما بها فشيدت القرى والمنازل على الجليد وسارت المجلات ودارت حركة المعاش في الأسواق كأكثر ما يكون وضرب الرجل برجله الأرض فوجد أصلب من الصخر لا تعمل فيه المماول ولا يقطع له الديناميت فليل له ان هذا كله ظل زائل لا يلبث الا عشية أو نوحاً حتى يمحي فلا يكون له أثر فكذب وأنكر وهاله الأمر وبينما هو كذلك واذا بشماعة من الشمس سالت على هذه الدنيا الصغيرة فاذا هي حلم حلم . قال (هوجو) هذه الشماعة هي (الحرية) وأقول أنا هي (العلم) وقد بينا أنفاً ماهية هذا العلم الذي ترقى به الأمة اذا أخذ كل منها بنصيبه منه . فنذكر الآن الوسائل اللازمة لإدخاله في أرض المسلمين . وهي تنحصر في (كيفية نقله) و (كيفية تعليمه) و (المال اللازم لذلك) و (من يقوم بهذا العمل)

أما نقل العلم وإيجاده بين المسلمين فله طريقتان وهما ترجته الى لغات المسلمين أو تعليم المسلمين لغة من لغات العلم (وهي الآن الفرنسية والانكليزية والألمانية) انكون هي لغتهم العلمية ومن يقول بالوجه الأول يذكر انه هو السبيل الذي سلكته كل الأمم السالفة في نقل العلم اليها كما فعل العرب في نقل علوم اليونان والفرس والكلدان وكما فعل الفرنج في نقل علوم العرب حتى أنك لتجد الآن كثيراً من مؤلفاتهم المهمة مترجمة الى اللاتينية مطبوعة بها من قرون عدة مع فقدانها من بلاد الإسلام ويقول هؤلاء : اننا اذا ترجمنا العلم فقد نقلناه اليها وان تعلمنا اللغات فقط فقد نقلنا افراداً منا الى العلم . وأما من يقول بالوجه الثاني فيرى ان سير النقلة وسير العلم في حركته كفرق ما بين راكب الناقة وراكب البخار فان بدما من نقطة واحدة الآن فلا يلبث ان يتفارقا فيسبق العلم النقل ويبقى الناقل أبداً لا يبدى ذنباً له . وان أريد نقل

ما عند القوم من أول الدهر إلى اليوم لزم لذلك خسارة علم يكونون فيها قد تقدمونا
بمثل هذا القدر من السنين . ويقول هؤلاء : لهذا رأينا الأمم الآن غيرت الطريق
الأول في نقل العلم إلى هذا الطريق كما فعلت اليابان

وعندي أنه يجب التوفيق بين هذين القولين فتجعل تعليم اللغة العلمية إجبارياً
وبهذا نعطي لكل واحد (مفتاح الجفر) و نرفع الستار عن عالم العلم . ثم نجعل
التعليم والتأليف بلسان الأمة التي هو فيها . ومتى فعلنا ذلك أمكننا أن نسير مع
العلم اذ كتبه وحدوده التي هو عليها تصبح كتبنا وحدودنا وأمكننا أن ننقل منه
ما شاء الله ان ننقل منه .

ولا يلزم أن نتعلم اللغة العلمية بحيث نحسن الكتابة والتكلم بها بل يكفينا القدرة
على فهمها جيداً والنقل منها كما كان ذلك شأن النقلة الكبار مثل ابن ماسويه وحنين
ابن اسحق ورفاعة بك والرشيدي صاحب المادة و أمثالهم . ولو حفظ الانسان في كل يوم
خمسة مصادر بمشتقاتها لكان رأسه في ختام السنة قاموساً

وانما يجب اذن أن نجعل اللغات الاسلامية في حالة يمكنها بها أن تكون لغة عامية
وذلك بنقل ما جدد من الالفاظ والاصطلاحات اليها وللوصول إلى هذا نتخذ أحد
المعاجم الموجودة بين أيدينا أصلاً ونذيبه بما استجد من ذلك ناقلين ألفاظ المعلوم
والاصطلاحات الفنون كما هي بمد تحوير قليل تنظم به في صيغ اللغة الأصلية . أما الجهد
في سد هذا النقص بإيجاد ألفاظ من متن اللغة القديمة تؤدي المعاني الجديدة أو استدراك
ذلك بواسطة التخت أو الاشتقاق من الجوامد أو نحو ذلك فعبث ولا لزوم له

وأما كيفية تعليم العلم وترتيب ذلك فأهم ما يجب أن يعمل فيه أن يكون التعام
عاماً إجبارياً على ثلاث طبقات (ابتدائي وثانوي وعالي) وان يكون التسامدة بقدر
عشرين في المائة من عدد السكان . منهم واحد في المائة للمدارس العالية وسبعة في المائة
لثانوية وما بقي فللمدارس الابتدائية . وان يكون الاساندة على نسبة واحد لكل
خمسة عشر تلميذاً في المدارس العالية وواحد لكل ثلاثين في المدارس الثانوية . والى
خمسین في المدارس الابتدائية

وعلى هذا يجب أن تكون المدارس الابتدائية منتشرة في كل قرية انتشار المساجد
والزوايا ، والمدارس الثانوية في كل مركز . والمدارس العليا (أي الجامعة) في أمهات المدن

وينبغي أن تكون الغاية عند الكفاية من طاب العلم أن يكون المرء سعيداً في رزقه سعيداً في نفسه وفي فكره وفي بيته وفي أمته لا أن تكون أداء امتحان واخذ شهادة ثم ان جدول التعاميم في المدارس (البروجرام) هو بمثابة الجوهر وكل ما عداه في مقام العرض فعليه يتوقف الفلاح في الحياة أو الحية فيها . وطالما حرص الفلاسفة على تبيان أهمية هذا الامر واهتمت به الحكومات . قال جان جاك روسو : « ان أكثر ما نتعلمه في المدارس كأنما نعلمه للنساء لاغير ذلك اذ معظمه مما لا نستفيد منه في حياتنا مرة واحدة » وقال آخر : « الفساد في التعاميم يفسد أمة بأسرها » وقال هيربرت سبنسر الفيلسوف الانكليزي « لو لم يكن عندنا من العلم الا ما نعلمه في المدارس لكانت انكلترا اليوم على ما كانت عليه في القرون الوسطى . فجميع ما عندنا من المعارف الكبرى التي صرنا بها أمة عظيمة في الدنيا لم تنشأ من المدارس المعدة لذلك بل من أكواخ حقيرة وزوايا مهجورة » وقال (كوريون) عن مدارس الصنائع في فرنسا : ان ثلاثة أرباع الوقت بضيع فيها سدى . وقال (هنري دوفيل) في جاسة عامة باهديمية الموم في فرنسا : « اني غصو في المدرسة الجامعة (كلية باريس) من مدة واني اليوم على وشك الاعتزال من الاعمال فأقول لكم قولاً يجب أن يمسأ كل أذن وهو انه مادامت هذه المدرسة على هذه الحال فلا تسوق الا الى الجهالة . واذا كلن الامر من الأهمية بحيث استدعى ايراد هذه الاقوال عن مدارس اوربا وجبان نجته في المنزلة التصوى من الاهتمام به ولا نقصد تلك الأمم بنقل برجراماتها كما هي وقد سمعنا اقوال الفضلاء في قيمة تلك البروجرامات وقلة جدواها في التربية العامة

واينس لي ان اجزم هنا في مسألة هي الآن مشكلة الأمم ومختلف العقلاء وانما رأيي ان يكون التعليم الابتدائي محصوراً في الأمور التي يجب على كل امرئ ان يعلمها وهو علم (ما يحفظ الجسم) كمبادئ قواعد الصحة والفسولوجيا وعلم (ما يحفظ النفس) كالاخلاق وما (يحفظ العائلة) كتدبير المنزل وما (يحفظ الأمة) كمبادئ السياسة والتاريخ ونحوه وما (يحفظ العقيدة) وهو مبادئ الآلهيات والحكمة الأولى التي هي سلم الموم الحافظ لها من الضياع كما قدمنا ثم لا بد له من علم (ما يحفظ الرزق) وهو الزراعة أو الصناعة أو التجارة ومبادئ علم الاقتصاد والحساب الضابط للعمل واما المدارس الثانوية فيتعلم فيها العلم الذي اختاره المرء لنفسه وما يلزمه من الفنون ولغة اجنبية من لغات العلم

ويتعلم التلميذ في المدرسة العليا تفصيل ما اجمله في المدرسة الثانوية . وتقسم حينئذ المدارس العليا (الكلية) الى اقسام كل يختص بعلم مخصوص .

والاختصاص بالفن الواحد من اهم الأمور في بلوغ الغايات في العلوم اذ المعلم يعطيك من نفسه بقدر ما تعطيه من نفسك . ومما يجب تعويد الطلبة عليه السير مع العلم كل يوم وعدم الوقوف طول العمر عند ما يتلقونه في المدارس . وذلك بالاطلاع على فهارس (دور الكتب) والوراقين والوقوف على كل ما نشر في الفن . قال برتراند الكيماوى المشهور: كنت أقرأ في كل عام فوق مائتي معنفة تنشر في الكيمياء وأحلل ما أجده فيها في نفسي تحليلاً كيماوياً فيتيسر لي بذلك توسيع دائرة هذا العلم واكتشاف أمور كثيرة فيه

* * *

وأما المال اللازم لذلك فهو لا يتجاوز ريالاً واحداً عن كل شخص من الأمة وهو ثلث ما تنفقه أمة كالأمة المصرية على الخمر والدخان في كل سنة . والحصول على هذا المال يكون اما من طريق الحكومة بالطاب منها والاحاح عايتها والاستماتة في ذلك . أو من طريق الأمة بالاكشاب العام الدائم والحك عايتها بالخطب على المنابر والجرائد وغيرها . وقد كان السيد جمال الدين رأى في ذلك رأياً وهو أن ينشأ صندوق يسمى (صندوق المسلمين) يوضع في كل قرية وعلى كل طريق ومسجد ويجمع فيه المال لاصلاح احوال المسلمين . ولا بأس من جعله تحت مراقبة ادارة رسمية لتزداد ثقة الناس به كما جعلوا صندوق التوفير تحت ادارة مصلحة البوسطة مثلاً . على انه لا يدمم الاسلام رجلاً في هذا الزمان يقومون على قدم أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سالف العصر من بذل كل أموالهم في تأييد العقيدة التي أخذوا بها والدين الذي انتسبوا اليه . روى مسلم في صحيحه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من أمن الناس علي في ماله وصحبته أباكر)

أما البحث عمن يقوم بهذا الامر فهو أهم الابحاث وأس المسائل . الذي يقوم بهذا الامر إما الامة وإما الحكومة . أما الامة فما دامت في الضفوية فلا يمكنها أن تميز خيراً من شر أو أن تترك العادة وتشترى الكتاب . وأما الحكومة فهي اما حكومة وطنية وهي في الغالب الآن مع الأمم الاسلامية في مقام السيد مع العبد فان تعاملت الامة وارتقت أصبحت معها في مكان الوكيل مع موكله وهيئات هيئات ان تساعد على ذلك . وأما

الحكومة الأجنبية فهي بمثابة الوصي الطماع مع القاصر الغني فصلحتها ان تحول بينه وبين الرشد دائماً (١) وإذ قد نفضنا أيدينا من هؤلاء جميعاً فلم يبق أمل يرجى وأمنية تنتظر الأمن فئة قليلة بلغت الرشد فعرفت الحال والمآل اعني بها (عقلاء المسلمين) هذه الفئة هي المسأولة وحدها ولا مسؤولية على عامة الأمة « ليس على الاعشى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج » وهؤلاء العقلاء بالنسبة الى بقية الأمة القاصرة في مقام الأولياء فهم المسؤولون عن خيرها وشرها ونفعها وضررها لاسبيل الى نجاة المسلمين وإعلاء كلمة الاسلام الا أن يؤلف هؤلاء العقلاء في كل قطر جمعية يسمونها جمعية (مستقبل الاسلام) وان يؤلفوا جمعية أخرى عامة تضم هذه الجمعيات تسمى (المؤتمر الاسلامي) يتعقد في مكة أو في أي مكان يتفق عليه كل سنتين مرة ويكون أعضاؤه مندوبو جمعيات الاقطار المختلفة ووجهته اصلاح

(١) يقول بعض السذج من البسطاء لا حاجة لاهتمام المسلمين بأحوالهم اذ الافرنج لابد ان يسوقهم دافع المدنية وروابط الانسانية الى أن يحتلوا بلادهم فيصالحوا أحوالها وينظموا أعمالها كما ذكر ذلك (روسفات) رئيس جمهورية الولايات المتحدة في خطبة له قال فيها : (أن داعي الانسانية يضطرنا الى احتلال البلاد الضعيفة والغلب على الأمم المنحطة لترتب أحوالهم ونصاح أعمالهم ورقمهم حتى يصبحوا مثلنا تماماً وما نأخذه في انشاء ذلك من المنافع هو اجر ذلك العمل). اقول ان هذا تقرير للابصار، وتضليل للأفكار. اذ لا فرنج قد يصالحون الأشياء لا الأشخاص ومثل هذا الاصلاح لا يفيد المسلمين وهم في حالة الانحطاط بل هو اشبه بالثياب المهندمة التي يضعها الباعة على تماثيل الخشب. زخرف على ربة، ونقش على خربة. فان الأمة لا يمكنها ان تنازع غيرها سبيل الحياة الا بنفسها فاذا فقدت نفسها فهي فاقدة لكل شيء. ولا ترجع فائدة هذه الاصلاحات الا على الافرنج انفسهم فنلهم فيه مثل من يعمر البيت بأجرته ثم يسكنه مدة طويلة حتى اذا خرج منه يوما كان البيت قد عاد الى حاله الاولى . اما اصلاح الأشخاص الذي هو أس كل اصلاح حقيقي فهو مالا يفعله الافرنج بل ما يدأبون في الغالب لصدده وردده. قال بعض نبهاء التونسيين وقد سئل عن حال بلاده (تقدمت البلاد وتأخر اهلها) ولا عجب في ذلك كله ما دامت سنة الاجتماع قد قضت بان تكون حياة القوي في موت الضعيف اه لمؤلف الرسالة .

أحوال المسلمين ونشر التعليم الذي هو وسيلة ذلك
أي دولة قامت، أو راية نصبت، أو أمة خلصت، أو وحدة تألفت، الأبالجيات،
الجمعية عامل لا يموت وأمة في واحد، هل اجتمعت الوحدة الإيطالية أو تهيأت الجامعة
السلافية والجنسية السكسونية، الأبالجيات السرية أو الجهرية. هذه الأمة
الارمنية والطائفة المقدونية والفئة الكريتية على صغرها في الوجود، وكونها لا تكاد تذكر
بين كل موجود، تعمل أعمال الخيابة في الخلاص من حضيض الأسر، إلى أوج النسر،
والأمة الإسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تنفض انتفاض الطائر في شباك الصائد
ولا تعمل للنجاة عملاً. وكيف ترجو الوصول إلى الغاية وهي لا تنقل إليها قدماً، ولا
تحرك شفة ولا قلماً، ومن طلب شيئاً وجده، ومن تركه فقداه.

ولا يعتذر الحبان المفقود القلب بأن عقد هذه الجمعيات مما يتعذر حصوله في البلاد
الإسلامية الآن إذا أي جمعية انشئت لمثل هذا الغرض فلم تقابل بالكفران، وتخط
بالنيران، ولكنها العزيمة التي ترى أن الموت في حياة الأمة خير من الحياة في موت
وأنه لا محيص من الصدر أو القبر. على أن كثيراً من بلدان الإسلام الآن مفتوحة
الابواب لمثل هذا العمل وأخصها الممالك التي احتلها الإنكليز ويقرب سكانها من
نصف المسلمين (١) على أن الممالك الأخرى متى علمت أن المقصد من العمل هو
التأميم والتربية. لا يكون لها مجال في منعه. فان منعه في الجهر فهل يمكنها أن
تمنعه في السر؟ وإن أمسكت الأفواه فهل يمكنها أن تضبط القلوب
أما أولئك الآخرون الذين تراهم يندرون بفناء الإسلام وانتهاء أمده ويستدلون

(١) أوجه كثيرة كانت تحماني دائماً أن أجزم بأنه من الضروري للمسلمين أن
يتفقوا مع الإنكليز في السياسة العامة سوا في ذلك الذين تحت ساطعتهم والذين تحت ساطعة
الدول الأجنبية الأخرى والمستقلون.

أما الذين تحت ساطعتهم فيجب عليهم ذلك لأسباب كثيرة منها أن الإنكليز
يطلقون في مستعمراتهم حرية الدين والتأميم والقول والتجارة ويكتفون من الفائدة
بأن تكون البلاد سوقاً لتجارهم ومجالاً لارتفاقاتهم المالية. ولا شيء أنفع وأجدي على
الإسلام من هذه الحرية التي لا توقف نموه الطبيعي ولا يخشى عابه أكثر من وقوف
القوة أمام ذلك النمو.

على ذلك بالأحاديث الموضوعة والاقوال التي افقها اعداء الدين قديماً لإدخال اليأس على قلوب المسلمين فيجب أن نسد أفواههم ونوجع أقدانهم ونسلو على أسماعهم قول الله تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وقوله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »

أيها المسلمون جدوا في هذا امر لتجدوا ، وموتوا فيه لتحيوا . واعرفوا قومكم قبل أن يسكروكم ، واحفظوا بلادكم قبل أن تضيعكم ، قد حدثت فيكم حركة عامة فأبدوها

ومنها أنه يمكن للأمة الإسلامية إذا ارتقت أن تخلص من نير الانكليز بالاتفاق أو بالقوة إذ قوة الانكليز البرية ضعيفة . وقد صعب عليهم أن يخضعوا ثلاثمائة ألف من البوير أخيراً فكيف يخضعون ثلاثمائة مليون إذا أصبحوا مثل البوير

ومنها أنه إذا لم تكن الانكليز بين ظهرانيهم فلا بد أن يكون غيرهم من الأمم الأجنبية إذ الضعف الذي هو علة تسلط أولئك لم يبارقهم فإن تسلطت عليهم دول أخرى كروسيا في آسيا أو ألمانيا وفرنسا في أفريقيا ودهمتهم بما عندها من الجند الذين لا يقاومون عن خمسة عشر مليوناً فقل على المسلمين السلام .

على أنها إذا لم تشكل بهم فأنها تسد أبواب الحرية الدينية والسياسية في أوجههم . هذه تونس بطل منها الحج ، والجزائر لا تدخلها جريدة إسلامية حرة كالملئيدوتر كستان لا يقرأ في مدارسها أي الجهاد من كتاب الله ، وجاءه أصبح المسلمون فيها من الضفط والاهانة في مرتبة الحيوان الأعجم .

وأما المسلمون الذين تحت سلطة الدول الأخرى — فللأسباب المتقدمة جميعها ولأن مصلحة الانكليز في خلاصهم من يد تلك الدول وهي أقدر الناس على هذا في الحقيقة إذ هذه الدول (ماعدا روسيا) لاتصل إلى ممالك الإسلام إلا من طريق البحر ومفتح البحر في أيدي الانكليز .

وأما المسلمون المستقلون فيجب عليهم الاتفاق مع الانكليز أيضاً لأوجه منها أن مصلحة الانكليز تفضل بقاء هذه الممالك مستقلة غير محكومة بدولة أجنبية وذلك لأن روح هذه الأمة التجارة وما دامت الممالك الإسلامية مستقلة فأبواب التجارة مفتوحة وطريقها مأمونة فإن احتلتها دولة أجنبية فهناك المخافة والخطر . ولهذا

وتحملوا فيها الاذى . هذا صوت القرآن يناديكم . وداعي الله يستدعيكم « ياقومنا احيوا
داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من عذاب اليم »

— — — — —

﴿ الهدايا والتقاريط من باب الآثار الأدبية ﴾

(اللؤلؤ النظيم . في روم التعلم والتعليم) كتيب لشيخ الاسلام زكريا الانصاري
المتوفى سنة ٩٢٦ ذكر فيه شروط الاشتغال بالعلم وآفاده . ثم ذكر العلوم المعروفة
في العربية وتعريفاتها . أما ما ذكره من الشروط والآفات فهو حسن جداً . وبإياد
أهل الازهر يتدبرون قوله ويسرون على منهجه كما يقرأون منهجه في الفقه وغيره من
كتبه . فقد ذكر من الشروط أن يقصد بكل علم ما وضع له وهم يتصدون بكل علم
للمناقشة بعبارات كتبه . وذكر منها أن يشتغل كل طالب بالعلم الذي يميل اليه طبعه لأن
كلما يسر لما خلق له وهم لا يراعون هذا . وذكر منها اختيار الكتب الحيدة وهم
قد التزموا كتباً مفضولة لاجحة لهم على اختيارها الاتقليد الآخرون سبقه في ذلك .
وذكر منها أن لا يدخل علماً في آخر وهذه الحواشي التي التزموها قد انتزجت فيها
المعلوم انتزاجاً فصارت أخلاطاً وأمشاجاً

وأما ما ذكره في تعريفات العلوم وفوائدها فقد جرى فيه على المعروف عند أهل

السبب كان الانكليز احرص الناس على مساعدة هذه الممالك على التقدم والنجاح
والبقاء ومن رأى مخاطبات السير ليارد سفير انكلترا للباب العالي بعد الحرب
الروسية وجد غيرة كبيرة على مستقبل الدولة

أما استيلاء الانكليز أنفسهم على بعض الممالك الاسلامية فهو في الغالب لتحقيقهم
وشك وقوعها في أيدي غيرهم ان لم يسبقوا اليها . على أنه تولد من انكليز وأموالهم
لانتولي الروس على القسطنطينية وعلى المعجم والافغان وملكت فرنسا مراكنس
والطليان طرابلس وهكذا . ومن هذه الاسباب يعلم ان الممالك الاسلامية محتاجة في كل
وقت الى عضد قوي تنقي به أوربا . والانكليز هم أولى الناس بهذا إذ تجمعهم مع الأمة
الاسلامية كراهية أوربا للفريقين وكرههم لها

هذه هي أفكار في هذا الموضوع . ولولا ان هذه المسألة جوهرية بالنسبة الى
مستقبل الاسلام لما احتجت للتمرض لها في هذا المقام . اهملوا الرسالة

عصره في الغالب وفيه خطأ وقصور من اغرب ذلك قوله في الكيمياء: « علم بأصول يعرف بها معدن الذهب والفضة » وقوله: « علم الهيئة علم يعرف به الاجرام البسيطة من حيث كمياتها وكيفياتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها »

(تعريف اصطلاحات علم الاصول) رسالة أو مقدمة للشيخ زكريا الانصاري أيضاً ينبغي لمن يتدبّر في تعلم الاصول الاطلاع عليها فانها تؤنس به تلك الاصطلاحات على ما فيها من خطأ وقصور . ومن غريب ذلك قوله في تعريف المعدوم: « ضد الموجود » مع قوله عقبيه: « الضدان أمران وجوديان يستحيل اجتماعهما في محل واحد » وهذا يفيد أن المعدوم من الامور الوجودية ! ومنه قوله: « الذاتي ما يستحيل فهم ذاته قبل فهمه » ومنه تعريفه العدل والعدالة بالاعتدال والنبات على الحق . وانما انتهت على هذه الانغلاط لألفت طلاب الازهر الى عدم التسليم بكل ما قاله الشيوخ المؤلفون لانهم ألفوا وماتوا . هذا وقد طبع الرسائلان أو المقالتان أو الكتيبان الشيخ أحمد عمر المحمدي الازهري وجعل لهما مقدمة وخاتمة فكان جميع ذلك ٣٦ صفحة صغيرة ولكن الثمن أصغر من ذلك فهو نصف قرش صحيح

(المعلقات السبع) هي أشهر من أن ينوء بها فما من مشتغل بالعلم الا وهو يعلم أنها أبلغ ما يؤثر عن العرب في الجاهلية وأنها يحتاج اليها في اكتساب ملكة فصاحة اللسان وذوق اللغة ولكن نسخها التي في الأيدي غير موثوق بضبطها وصحتها لذلك ابرى الشيخ أحمد عمر المحمدي الى تصحيحها وضبطها على الشيخ محمد محمود الشنقيطي وهو كما يعلم القراء امام اللغة في هذا العصر وقد طبع النسخة المصححة مضبوطة بالشكل وذكر في هامشها اختلاف الروايات وأضاف اليها القصيدة المعروفة بلامية العرب مضبوطة مثلها وجعل ثمن النسخة من الورق الأبيض الناعم قرشين صحيحين والنسخة من الورق الباتي قرشاً ونصفاً فنحت كل مشتغل بالعربية على حفظها بهذا الضبط والتصحيح . ويا حبذا لو كان أضيف الى ذكر الروايات تفسير الغريب (سفينة النجاة في قواعد النحاة) اسم لكتاب تعليمي مؤلف من أجزاء طبع الثالث منها أخيراً طبعاً حسناً مضبوطاً بالشكل على ورق حسن وهو أوسع من كتاب النحو الرابع الذي يقرأ في المدارس الأميرية او مثله لكنه أكثر تمريناً فهو خير كتاب رأيت في تسهيل تعليم النحو . وبما رأيت متقدماً فيه ذكر جعل فائدة في التمرينات لأجل اصلاح التلامذة لها وعندي ان هذا مما يترك للمعلمين ولا يكتب في الكتب . والخطب سهل . ومنه ذكر بعض الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والحكم المأثورة مع تصرف

فيها بالزيادة والنقصان أو التبديل والتفسير والمعنى صحيح . ولعل المؤلف يعتذر بأن هذا من قيل الاقتباس الذي اعتادوا التصرف فيه بالمأثور وهو عذر يقال وإنما انتقدت لأن القارئ يقع في الوهم من ذلك السرد الذي ليس مظنة للاقتباس إذ لم يعتد في مثل هذا المقام ، أما مؤلف الكتاب فهو أحد (الفرير) وقد أشار الى اسمه بهذه الإشارة (ح . ط . ٥) وأسمها بهذه العبارة « مفتش اللغة العربية في أحد المدارس الكبرى بالقاهرة »

﴿ المنار وجريدة « تربت » الفارسية ﴾

جاء في جريدة تربت الفارسية التي تصدر في طهران تحت عنوان (مجلة المنار) ما ترجمته ان العلوم والمعارف في هذا العصر قد بنيت في عمدة أقسام الدنيا كما ينبغي أن تبنى ، وأحكمت كما يجب أن تحكم ، ولم يبق إلا القليل من الأمكنة التي يعيش أهلها بالآوهام الباطلة ، والخيالات الواهية ، جاغلين غنان اختيارهم بأيدي أهواء مختلفة ورياح متناوذة ، يسلكون المناهج المظلمة غمياً لا يبصرون

ان معارف الفلاسفة الأقدمين وأفكار العلماء العرفاء من أهل القرون المتوسطة قد أصبحت مفاتيح لحكماء هذا العصر الجديد حتى سهل لهم بها تذليل الأقفال الصعبة ، وفتح الأبواب الموصدة ، وأصبح عمر الانسان القصير من جراء هذه الاكتشافات يعد بالألوف من السنين ، والعالم يفهم ان معنى العيش وحقبة الحياة هو العلم ومن فوائد العلم القدرة على العمل ومن لا علم له لا قدرة له

والاشياء التي رومها الجاهل في عمره ويرجو ان يدفع بها آلامه وواجاعه هي التي تولد الامراض ، وتضاعف الالوجاع ، فحكمها حكم الحجر التي يشر بها الشارب في جنح الليل اصدع همومه فيحدث في صباحه ما يكثر همومه من الصداق والكسل قال احد عبدة الحجر : إني لم اشرب في عمري غير جام واحد لترويح النفس وكل ماشريته بعد قائم كان لدفع ما اورثته تلك الكأس من الخمول والخمود

لابعد فالغرض هو العلم اذ به أصبحت أكثر الممالك في هذا العصر جنات دانية الجنى وقد تسلسلت أنهار الفضل ببعضها وصيرت السراب بجرأ متدفق الجوانب بالأمواه العذبة . وأحد تلك البحور الزاخرة التي ليس لها ساحل هو وادي النيل وكرسي الفراغة الذي صار حقيقة بأن يدعى في عصرنا هذا بعرش الحكمة . وأي دليل على ما نقوله أقوى من وجود منبع الفضل العلامة الأوحدمولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية — متفنا الله بطول حياته — في الجامع الأزهر في القاهرة

(الجامع الأزهر هو مدرسة تحتوي على آلاف من الطلبة مشغولين فيه بتحصيل العلوم) وقبل هذا كثيراً ما تكلمنا عن الجرائد والمجلات المصرية وأتينا نكرر الحديث فيها حتى لا نكون مدينين بشيء لشرح هذا الخطاب المهم ولا يفوتنا مستحب مؤكد بل فريضة لازمة .

في هذا الأسبوع وردت على إدارة التربية (مجلة المنار) ففاز رواد المعارف الذين هم في حوزتنا الصغيرة من مطالعة تلك المجلة بأكثر المنافع وبها عرفنا منزلة صاحبها السيد الفضلاء الأستاذ الأمل السيد محمد رشيد رضا ومقدار ما عليه حضرة من الفضل والأدب أقول : لم يبق في هذا العصر الأمة المصرية شيء يمنعها من بلوغ مقاصدها السامية فإن أسباب الكمال مجموعة لديها فكتبها مثل السيد ومحررو أخبارها من ذكرنا قبل ومرشدنا فياسوف مثل فضيلة الشيخ الأجل الشيخ محمد عبده (شكر الله مساعيه) ودار كتبها الشهيرة (الكتبخانة الخديوية) لا يحيط بها الوصف . فإذا لم يصل أوائك القوم إلى أقصى درجات العلم والحكمة فلا أدري من أي جهة يكون التقصير وما هو السبب فيه .

المنار مجلة علمية أدبية تهذيبية مليحة وفيها أخبار متنوعة تصدر في غرة كل شهر وفي السادس عشر منه . هي جنس يجب أن يشرى بالروح . ومن زينة الحياة الدنيا أن هذه المجلة الواحدة تكفي وتفي . إن ما يسطر فيها يمزج بماء الحياة ويشرب فهو ينقذ من مخالب الاستسقاء المهلك ويحيي الروح ويخفي من الموت ولم يؤلف كتاب ولا رسالة أحسن من مجلة المنار . لأجل الوصول إلى الحقيقة ومزايا الإسلام ولو أن ابن خلدون الحاضر مي كان حياً لعلم ما أقوله وأثبتته .

في كل مقالة من هذه المجلة الغراء أثر من طيب ربحانة الفاضل الخبير ، والتحرير الذي ليس له نظير ، رئيس معلمي قانس كل علم ، علم الأعلام ، سند الإسلام ، فضيلة الشيخ محمد عبده دام عياله ، الذي هو كمال المشرق والمغرب وجهلها . وإذا راقى الآراء الممدودة من حكمتنا في أعين العرفاء من الإفرنج قائل تلك الآراء هي تصورات ذاك المولى الكبير — أعني الشيخ محمد عبده جعل الله إلى أعلى المقامات منتهاء وإلى أعظم البحور طريقه . ومن هذه الجملة أستنبط حسن حظ المصريين الذين هم اخواننا المسلمون واعلم أن شكر هذه النعمة من الواجب . وبعد الأسف الكثير على حال المسجونين في ظلام الجهل أقول : يخرج مصر التي منحت فوق دار الكتب ودار الآثار والمكتبات والمدارس كنوز معارف من المجلات المضيئة المفيدة . وما أطيب زمن طلاب جامع

الازهر اذ يحكمون مباني عقولهم وأفهامهم وينورون ساحات قلوبهم وأبصارهم بسماع
حكمة تلك الكلمات والآيات وجواهر أحاديث الفيلسوف الأعمى ، الجناب المستطاب
المعظم ، الشيخ محمد عبده سامه الله تعالى ، بحسن من أهل بلادنا أيضاً أن يطلبوا
مقداراً من هذه المجلة ويسرحوا النظر فيها وإذا نشأ عن ذلك خطايا فخطاياهم في عتقي .
طالت حياة شيخنا الأجل الشيخ محمد عبده اذ فيها خير للمسلمين . وإن شاء الله

سنزين أوراق « التربية » بشرح ذلك مع الفوائد العظيمة من مجلة المنار
(المنار) لقد سبق ان قرّط المنار من علماء الاقطار وفي خير الجرائد والمجلات
العلمية في مصر وغيرها ولم ننقل من ذلك شيئاً لانسأري أن نأقل مدحه كمدح نفسه
بنفسه ولكننا غنينا بتعريب ما كتب في هذه الجريدة (تربيت) ونشرناه لأن صاحب
الجريدة من أكابر العلماء والفضلاء ، وخيرة الكتاب البلغاء ، ولأن الجريدة لها
المكانة العالية في نفوس كبراء الفرس وفضلائهم كما أخبرنا بذلك صديقنا ميرزا مهدي بك
صاحب جريدة « حكمت » الفراء ، بل لأن صاحبها على مذهب الشيعة فأحببنا أن يعرف
قراء المنار من أهل السنة ان من فضل الله تعالى على الاسلام والمسلمين ان نزع من
قلوبهم في هذا العصر تلك العصبية والتجزبات التي خضدت بها من قبل شوكتهم .
وفرقت كلمتهم ، فذهبت ريحهم ، وخبت مصابيحهم ، نقشت الظلمات وانجلى انوارها
عن فضلاء الامة فأبصروا ان مصابيحهم واحدة لان جامعهم واحدة وهي جامعة الدين
الحق الذي جمعهم اخواناً . ضار المسلم في فارس بفرح لاخيه المسلم في مصر اذا أحسن
عملاً ويحزن لاخيه في مراكنس اذا ساء صنعاً ، وكذلك حال المصري يتنهج بما يسمع
من حسن حال اخوانه في ايران . ويستاء اذا هضمت حقوقهم في بلوچستان ، الا ما
يلفظ به بمض الأحداث ، وان لم يصادف أقل اكرات ، فلا وطنية ولا عصبية ، في هذه
الديانة الاسلامية ، وعلى كل حال يجب أن نشكر لأخيها صاحب جريدة (تربيت)
حسن ظنه بنا وبالمنار على ضعفنا وتقصيرنا ، أما مقاله في الاستاذ الامام ، فهو الذي اتفق عليه
ذوو الافهام ، ولكن الشرط في حصول المراد ، هو كمال الاستعداد

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(مدرسة الشوريجي في كفر الزيات) — الناس معادن والاستعداد للخير يظهر
أحياناً في أفراد لا يهتدي أحد من الناس الى السر في ظهوره فيهم لأنهم لم يمتازوا في
تربيتهم امتيازاً يرفعهم عن قومهم فيسند الى تلك التربية ما يندفعون الى القيام به من

الأعمال الشافعة والمشروعات العامة . وإنما يتعالى علماء النفس والأخلاق في التعاليل بأن ذلت الاستعداد جاء من الوراثة لأحد الأجداد السابقين وفاتهم ان لله في بعض أناس عناية أولية ، وفي بعض الذنوب الهامة خفية ، وليس هذا وذلك من الشذوذ عن التوازي ، بل من مألوف التحقيق والتعاليل الصحيح عند علماء النفس .

مبني على ذلك الشريجي تربي في الحقول والمزارع لاني المكاتب والمدارس وهو لا يفر من الحساب والهندسة التي تربى في البناء واليدرس والمستشفيات . وقد وفق منذ سجن الى إنشاء مدرسة للبنين والبنات في بلدة (بمديرية البحيرة) وأوقف عليها من الأرض ما يفي ريعه بنفقتهم ثم انما صار يتردد الى بلدة كفر الزيات (بمديرية الغربية) لعاهدة . التي اشتراها فيها ورأى انه ليس فيها مدرسة للمساكين شرع في بناء مدرسة للبنين والبنات فيها وبناء بيوت بجانبها توقف عاها . وكان يوم الجمعة الماضي يوم الاحتفال بالانيس وكان رئيس الاحتفال عدلي باشا يكن مدير الغربية وحضره كثير من الوجهاء والنصلاء . وبعد ان وضع المدير الحجر الأول على الأساس على الطريقة الأوروبية الجديدة دعي كاتب هذه السطور الى الخطابة فقام وقال ما فتح الله به من بيان حسنات العلم ومنافعه في الزراعة والصناعة والتجارة وكل أعمال الحياة الاجتماعية لاسيما جمع كلمة الأمة وتوحيد مصالحها ومنافعها الذي يحقق به معنى الانسانية . ثم بيان ان نشر العلم الذي له هذا الشأن في الحياة هو أفضل الفضائل على الإطلاق حتى ان إنشاء المدارس له أفضل من انشاء المساجد . ثم الانتقال الى بحث الاغنياء على إنشاء المدارس وبيان ان جميع طبقات البشر متقاربون في اللذات الحسية وان أوهمت المظاهر الضرورية خلاف ذلك فلم يبق من فائدة للاستزادة من جمع المال الا الشرف وكان في أيام الجهل محصوراً في الاتفاق على احتفالات الاعراس والمآتم ونحوه ولكن أهل هذا العصر لا يرون الشرف الا في العلم والسعي في نشره أو القيام بمراته في نفع الناس فعني من يريد ان يكون شريفاً عزيزاً في الدنيا ان يسعى في انشاء المدارس وعلى من يريد ان يكون سيداً في الآخرة ان يسعى في ذلك أيضاً

ثم نهت بعد هذا على اقبال القبط على تعمير التعليم وتبقيهم المسلمين فيه مينا ان العلم هو القوة الكبرى فاذا وجدت في فريق من الأمة دون آخر يرى الفريق العالم انه الأحق بالسيادة والرفعة وينشأ عن ذلك التنازع والتفان بين الفريقين الجاهل قذا كان هذا على نسبة قريبة منه في العدد والثروة يسرع اليه الغلب والتلاشي ويسود العلم على الجهل سريعاً كما يرشد اليه قوله تعالى : « أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » .

أي الذين يصلحون لعمارتها، والعمل بسنن الله في تربيته، وإذا كان للفرق الجاهل قوة من العدد والمال يكون التنزع شديداً، وخراب البلاد، وشيكا، والنتيجة أن حبر البلا في أن يكون أهلها متفقيين على عمراتها ولي يتفقوا في العمل حتى يتفقوا في العلم المصلحة. وذكرت أيضاً العلم النافع وأنه ما يصلح العمل له نفعاً أو الدين أو ما يصلح الاعتدال ويقوم الفكر. ثم ختمت القول بحث وجهاء الغربية الحاضرين على محاربة وجهاء المتوفية في إنشاء المدارس وعنقت الرجا، بمساعدة مدير "الغربية" وسعيه وبالله التوفيق ثم قام إبراهيم بك الهلباوي المحامي الشهير فألقى خطاباً مفيداً بين فيه أن العلم كان حلية وزينة في الزمن الماضي وصار ضرورياً للحياة في هذا الزمن. ومن كان كانوا يمتازون بالسجاية النظرية فصاروا يمتازون بالعمارة الكسبية ولذلك صار العلم حياة حقيقية والجهل مهتاتاً حقيقية. وضرب المثل بينوا أميركا الذين اقرضوا لأنفسهم لم يقدرُوا أن يعيشوا مع المستعمرين العالمين -- إلى غير ذلك من الفوائد التي اشتهرت بتوبه المؤيد بها. وقد ضم الخطيب صوته إلى صوتي في تعليق الرجا. ثم قام جندي أفندي إبراهيم صاحب جريدة الوطن الغراء فألقى خطاباً قال فيه أن الذي حملاه عليه هو مقاله الخطيب الأول (صاحب المنار) في النسبة بين المسلمين والقبيل وقال أنه موافق في القول وشاكر عليه. ثم ذكر بمآثر المصريين مشيدي الأهرام وذكر أن السبب في سبق القبيل المسلمين في التعليم هو العناية بتعليم البنات وإطال في بيان فائدة تعليمهن فجعله أهم من تعليم الذكور

وكان من محاسن الاحتفال حضور بعض التلامذة والتلميذات من مدرسة الشوريجي في البحيرة فخطبوا وانشدوا الأناشيد في مدح العلم ومؤسس المدرسة. ثم انصرف الناس داعين شاكرين

(المستقبل الاسلام) شغلنا معظم هذا الجزء بهذه الرسالة الجلية ليحيط القراء بفوائد هامة واحدة، وإذا كان هذا رأي شيخ عامة المسلمين في القطر وهم الصوفية وما تقدم في مقالات (الاسلام والنصرانية...) هو رأي شيخ خواصهم من العلماء والكتاب. وقد اتفقا وبرهنا على أن المستقبل الاسلام والعاقبة للمتقين فلم يبق عذر للمسلمين في تقدير القول قدره والعمل في تحقيق حسن العاقبة

فليز عبادي الذين يستمعون القول
فليؤمنوا وحسنة أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

بوتن الحكة من تشا ومن يشا
أكله فقد أنقذ من أكله
بذكر الألو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و مناراً ، كمنار الطريق)

(مصر في غرة رمضان سنة ١٣٢٠ — ١ ديسمبر (تشرين ١٧) سنة ١٩٠٢)

﴿ أبصروا ولا يسلوهم ولهم مؤمنون ﴾

إذا كان الله تعالى قد منحنا الدين ليهدينا به الى سعادة الدارين ومنافع
الحياتين فلا غرو ان يكون لكل عبادة فيه وجهان احدهما روحاني
ينظر الى توثيق عقدة الايمان وتهذيب الاخلاق والآخر اجتماعي دنيوي
ينظر في احكام عمرى الارتباط بين المؤمنين المابدين لتأكيد أخوتهم ،
وتبرم جامعهم ، وتحقيق وحدتهم ، وقد اهتمدى علماء الاجتماع في هذه
المصود الى وجوب توحيد عادات الامة لان الوفاق كلما كثر وتمدد ما
به يكون اشتدت الاواخي وأمنت التراخي حتى يكون مجموع الافراد
كالشخص الواحد ، فتراهم قد اتفقوا في انواع العادات فهم يلبسون زيّاً
واحداً أو يأكلون في وقت واحد ويشترهون في وقت واحد كما يتعلمون
على طريقة واحدة ويتربون على مثال واحد . وبهذا صاروا كأنهم اهل بيت
واحد يتماطفون ويتماضدون بل صاروا في مجموعهم كالجسد الواحد كما

ورد الحديث في وصف المؤمنين

الصوم والصلاة عبادتان علمتا المسلمين الاولين مراقبة الله تعالى والتوجه اليه وطالب مرضاته فصاحت نفوسهم وسمت همهم وتهذبت اخلاقهم وعلمتاهم الاجتماع في اوقات معينة والاكل في اوقات متفقة فأرشدتهم الى النظام وطرق الوحدة فصاحت احوالهم باطنياً وظاهراً فكانوا كما قال الله تعالى في خطابهم: «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» أو كالبنيان يشد بهضه بهضاً كما ورد في الحديث

مضت سنة الاولين من أهل الملل ان الدين يضعف فيهم ويضمحل على هذا النحو - نزول حقيقته المعنوية اولاً ثم نزول بعدها صورته الظاهرة بالتدريج . الجسد الحي بقاءه بقاء روحه فاذا أزهقت الروح منه أسرع اليه الفساد ثم التلاشي والاضمحلال . وإنما تزهق روح الدين بأمراض تعرض لها بعد فقد الأطباء الروحانيين أو إهمال خواص الأمة لهم وتركهم طبيهم لا ارواحهم عند مرضها . والسبب في رغبة هؤلاء عن مداواة نفوسهم هو أن الأمراض التي تلم بهم مستأذنة بل هي لا تعدو الا إفراط في اللذة مع الجهل بالمعاقبة وما وظيفة الدين الا هداية الانسان الى موقف الاعتدال في استعمال قواه الفكرية والنفسية لتبقى فطرته سليمة معتدلة

الصلاة افضل من الصيام لان سلطانها على الروح اعلى ، وجذبها اياه الى عالم القدس اقوى ، ولان تأثيرها في جمع القلوب والتأليف بين الافراد ابلغ ، وإشعارها نفوس الطبقات المختلفة معنى المساواة أشد ،

الصيام يذكر النفس بالسلطان الالهي عند ما تعرض لها الطيبات في النهار فتري انها ممنوعة منها بأمر الله تعالى شأنه وعند القطر والسهور

إذا تذكرت أن تغيير مواقيت الأكل إنما كان لتحقيق هذه العبادة التي فرضها الباري جل جلاله على عباده ترويضاً لأرواحهم وجسودهم وتوذكيراً لهم على حكم قواهم النفسية كيلا تفرط عليهم وتغني استمدوا بذلك كله لتقواه جل وعلا . وأما الصلاة فكل قول من أقوالها وكل عمل من أعمالها فهو يفتح هذا الروح الحي فيمن يقيم الصلاة لا في كل من يصلي لأن فصلاً بعيداً بين إقائه الشيء على وجهه وبين الاتيان بصورته كالفصل بين خالق الإنسان وبين رسم صورته على لوح او جدار

إذا قال مقيم الصلاة : الله أكبر : أعطته هذه الكلمة من تجريد التفضيل في التكبير أن الله تعالى أكبر من كل ما يوجد ويتصور فيطمن قلبه بالتنزيه وتستولي عليه هيئة الكبرياء والمظمة . ثم إذا قال : وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض : (وهو مستحضر أنه يعبر عن توجه قلبه ، الى حضرة معرفة ربه) فإن نفسه تسمو عن الالتفات الى الدنایا ، وتسمو عن الاشتغال بالخصائس ، وحسبك من الصلاة ما تعطيه هاتان الكلمتان فكيف بك إذا تدبرت سائر الاذكار والتلاوة وفقرت ر ذلك القيام والتمود ، والركوع والسجود ،

كأنني بعض الممكرين الذين يحكمون على الدين وتأثيره بما يجدون في أنفسهم وما يعرفون من حال معاشريهم والمائشين معهم يقولون : إن هذه الامعاني مختزعة ، وأسرار مبتدعة ، وخواطر سائغة ، وموازين غير راجحة ، وعذرهم في ذلك الحرمان ، وعدم تدبر سيرة الذين سبقونا بالايمان ، ومن ذاق عرف ، ومن عرف وصف ، ولست واقفاً هنا موقف المناظر ، ولم أقصد بهذا القول إقناع المكابر ، وقد سبق للمناظر

القول في بيان فوائد الصوم النفسية والبدنية والاجتماعية (فليراجع في المجلدين الثاني والرابع) وكذلك القول في فوائد الصلاة . وانما نريد الآن أن نذكر امراً غريباً في التصور ولكنه واقع شائع وهو ان كثيراً من الناس يصومون رمضان ولا يصلون الا في رمضان اولا يصلون مطلقاً .

الصوم من آيات الايمان فلا يجمع الكفر والجحود ولكن كيف يكون المرء مؤمناً بدين ثم هو يستبيح ترك افضل عباداته وآكد فرائضه وأعظم شعائره ، وما هي علة هذا الترك المطاق ، والإهمال المستغرق ، اذا كان الايمان هو الذي بعث ذلك الصائم على الصوم فلماذا لم يدعه دعاء الى الصلاة التي تلي الايمان في المرتبة ؛ أيتصور ان يكون له واحدة معلولات فتوجد ويختلف عنها اول تلك المعلولات وأولاهها ، ثم يوجد أضيقها وأقصاها ، هذا موطن من مواطن المعجب ، ولا بد من بيان السبب ،

قد يقال : اذا كان ترك الصلاة لا يجمع الايمان وترك الصيام لا يجمع الكفر فلا بد ان يكون من يصوم ولا يصلي في مرتبة بين المؤمن الصادق ، والكافر المارق ، وهو ما كانوا يدعونه المنافق ، فهو مرتاب يصوم لاحتمال صحة الدين ، ولا يصلي لفقد اليقين ، ويمكن ان يقال : ان صوم مثل هذا ليس من ثمرات الايمان ، وانما هو مجارة للاهل والجيران ، فهو عادة لا عبادة . ولو تركه المماشرون والافران ، لما بعث عليه القرآن ، ولذلك ترى الذين لا يبالون بالمعادات لقوة عزائمهم في العمل بما يتفقدون قد تركوا الصوم فهم يحاربون الدين جهراً ولا يحترمون اهله ولا يحاملونهم من حيث هم به مستمسكون . ويصح ان يقال : ان من تارك الصلاة المارق ، ومنهم المنافق ، ومنهم من يتركها مرض الجهل والكسل لمرض

لأرتياح أو الجوع ، ولذلك يصوم هذا صوماً حقيقياً يفيد تقوى الله تعالى في أمور كثيرة فهو يظلم ويَسْتَدِي ولا يشرب في خلوته لعلمه بأن الله تعالى يراه ولا يرضى له أن يكون ضيف النفس مغلوباً لشهوة الماء يعصي الله لأجلها ، فإن لم يلاحظ مثل هذا بالتفصيل فلا أقل من الإجمال

أما الجهل الذي يساعد الكسل على ترك الصلاة فهو ذو شعب كثيرة يوجد بعضها عند أبناء العصر الجديد وبعضها عند أبناء العصر القديم . يقول أبناء العصر الجديد : إن الله تعالى لا يعذب الناس إذا قصرُوا في عبادته لأن الدين لا يصح أن يكون عقوبة للبشر وإنما فرضت الصلاة لتعين على تهذيب النفس ونحن قد تهذب نفوسنا فلا نرضى لأنفسنا أخلاق هؤلاء المصلين الذين فشا فيهم الكذب والنش والزور والطمع والدناءة الخ :

قول أشبه حقه بباطله ومسلك الجهل فيه دقيق . ولنا أن نقول لهم صدقتم في قواكم أن الدين لا يصح أن يكون عقوبة بل هو رحمة من الله تعالى قال تعالى إنييه وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، وقال في خطاب المكلفين « ولو شاء الله لأغنتكم » ولكنه لم يشأ فله الحمد والشكر . وقال جل ثناؤه « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وفي معناه قوله عز وجل « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ولكن العقوبة على ترك الصلاة ليست من الحرج وإنما هي من الرحمة فإن الصلاة منفعة وترك المنفعة ضار لأنه وقوع في الضد وهي واقعة في الدنيا ومعقولة فمن الجهل الارتياح فيها . ألا ينظر هؤلاء القائلون في صنفهم والذين تعلموا وتربوا مثلهم كيف تفتك فيهم العواش والمنكرات فتذهب بمالهم وبصحتهم وتكبل بلادهم بالسلاسل والأغلال

وتسليمها إلى الأجنب . وإذا وجد فيهم أفراد ساعدتهم الاستعداد الفطري وما يسونونه (الظروف) والوراثة الطبيعية اسلفهم المصائب على تهذيب نفوسهم فهل استغنوا بهذا التهذيب الذي امتازوا به على العدد الكثير من أمتهن المريضة عن تكميل نفوسهم بمناجاة الله تعالى . أليس لكل واحد منهم أمراض نفسية لو أقام الصلاة لوجد فيها شفاءها . منهم الهلوع الذي يجزع لكل شريعته حتى كأنه امرأة ضعيفة أو طفل صغير والذي إذا أصابه الخير أمسكه عن إعانة الضعيف ، وإغاثة لليف ، بل الذي لا يخرج منه الحق الثابت عليه الا نكداً . وإذا فرضنا أن جهله بحقيقة نفسه وحقيقة الصلاة زين له عدم حاجته اليها ولو لشكر الله تعالى وحفظ شعار الدين الذي ينتهي اليه فهل يُزين له أيضاً أن أهله من زوجة وبنين وبنات في غنى عن هذه الصلاة ؟ وإذا لم يكونوا في غنى عنها فهل يرى أن إقامتهم إياها من الأمور السهلة إذا كان هو لا يصلي ؟؟ أما صلاة فاسدي الأخلاق الذين يمثل بهم هؤلاء فهي شبيهة بصيامهم أي إنها محاكاة وتمثيل للحياة الصلاة الظاهرة .

وجملة القول في جواب هؤلاء ان اعتذارهم بعدم المقوبة على ترك الصلاة غير سديد وانهم لم يفهموا معنى الصلاة فيفهموا معنى المقوبة على تركها . ولو فقهوا تأثيرها في النهي عن الفجشاء والمنكر افقهوا معنى كونها رحمة تزي النفس فتطلع في الدنيا والآخرة . وكون تركها نقمة تدسي النفس وتسهل لها سبل الفواحش والمنكرات فتسللكها فتخسر في الدنيا والآخرة . لو تأمل المتأمل المؤمن بالله منهاها وما وصفتها به الكتاب العزيز لفقه ذلك . ولو علم انها الآلية الكبرى في انقلاب أحوال مسامي الصدر الأول وتبدل أخلاقهم وسجاياهم لفقه ذلك . ولو كان عندنا اليوم عدد من مقيمي الصلاة

لاستئنيان عن هذا وذلك في تعليم الجاهل، وتنبيه الغافل، واقناع المجادل، هذا ما يقول لنا أبناء العصر الجديد وما قول لهم الآن بالاجازة وان لنا العودة تفصل فيها القول تفصيلا ان شاء الله، وأما أبناء لعصر العتيق فان لهم من الضلال في فهم الشفاعات والمكفرات، والانتساب الى اصحاب الاضرحة والمقامات، ما يصرفهم عن اقامة الصلاة، ويغلأ أيديهم عن أداء الزكاة، فكيف إذا أضافوا إلى ذلك الغرور بالله والتشديق بذكر الرحمة والمغفرة. وقد كشفنا من قبل جميع هذه الشبهات وأن أكبر آية على ضلالهم في فهمها سوء تأثير هذا الفهم فيهم حتى انتهى بهم أركان الاسلام وترك شعاره فكاد ينطمس مبناه، بعد ما جهل معناه، ولكن خطباء الفتنة وعلماء السوء هم الذين يروجون هذه الاضاليل فهم قادة المقادير، وعونهم على إضاعة الدنيا والدين، وكأنك بغربانهم تنفق على اعداء المنابر بهذه المكفرات ومنها المكذوب على الله ورسوله كقولهم: إن الله يعتق في كل ليلة من رمضان ستمئة الف عتيق من النار فاذا كان آخر ليلة منه اعتق بقدر ما مضى: وامثال ذلك. وفي أقوالهم ما تصح روايته ولكن الفساد في جهل معناه. لذلك نرى أكثر العامة يصومون ولا يصلون ولا يزكّون، ومنهم الذين لا يحاؤون ولا يحرمون،

الصوم اسهل على النفس من المحافظة على الصلاة ومن إيتاء الزكاة. فهو الرسم الباقي عند أكثر المسلمين فاذا درس (والعياذ بالله تعالى) كان دروسه خطرا كبيرا على الرابطة الاسلامية. لهذا نرى ان الذين يجاهرون بالإفطار في رمضان من المسلمين الجغرافيين أشد فتكا بالاسلام والمسلمين من كل مخالف يطمئن بمقائدهم او يستأثر بسياستهم. ومن العجيب ان يوجد فيهم

من يتشدد بكلمة الوطن او الامة. واعجب المعجب ان بعضهم يذكر الاسلام ويظهر انه يتمنى عزته. ويحاول خدمته،

اذا كان تارك الصلاة إنما يتركها تافلاً من مقدماتها وشروطها وتكرارها فانما أدله على ما يذهب بثقل هذه الامور كلها ويسهل عليه ما عسره اختلاف الفقهاء. وإنما يكون ذلك بالرجوع الى اصل الدين، والعمل بما اتفق عليه جميع المسلمين، فأما الطهارة فالغرض منها النظافة وهي مما يرغب فيه كل كريم النفس ويتجراه بحسب استطاعته واما كون التنزه عن القليل من النجاسة والكثير شرطاً لصحة الصلاة فما اختلف فيه السلف الصالح والائمة المجتهدون فليتحرر الانسان التنزه احتياطاً الا اذا عسر عليه ولماذا يحتاط لقول بعض الفقهاء حتى يترك الصلاة احتياطاً ولا يعمل بقول من لا يرى الشرطية ويقيم ركن الدين الركن احتياطاً. بل ان الذين اشترطوا طهارة الثوب والبدن للصلاة قالوا ان المشقة تجلب التيسير ولا حرج في الدين فمن صعب عليه الاحتراز من شيء فله رخصة فيه

وأما الوضوء فهو اسهل شيء اذا روعيت السنة ونبتت الوسوسة فقد ورد ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم توضأ ولم يقع شيء من ماء وضوئه على الارض فيسهل على العارف بالسنة ان يتوضأ من كوب ماء (كوبايه) وهو واقف او قاعد لا سيما اذا كان يسبح على ما يستر رجله ولو جورباً من قطن او صوف فان ذلك جائز عند كثير من الصحابة والتابعين وعليه الامام احمد

واما تمدد الصلاة فخير لصاحب الشغل الكثير من الترك ان يأخذ بالحديث الذي رواه مسلم في صحيحه والشافعي في سننه وغيرهما وهو ان

النبي صلى بالصحابة الظهر والمصر في وقت واحد والمغرب والمشاء في وقت واحد « من غير مرض ولا سفر » وقد أول أكثر الفقهاء الحديث فحمله الشافعية على وقت المطر والمالكية على تأخير الأولى والتجليل بالثانية والكن في بعض رواياته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تعليل ذلك بقوله « لئلا يخرج أمته » فدل هذا على أن هذا الجمع رخصة والمزيمة في أداء الصلاة في وقتها أفضل ولكن الرخصة أولى من الترك كما هو واقع . كل واحد من هؤلاء المترفين الذين يتناقلون عن أداء الصلاة فيفضل أطرافه عند القيام من النوم فإذا جعل ذلك الفضل موافقاً للوضوء الشرعي وصلى ركعتين شكر الله تعالى وحفظاً لأفضل شعار يربطه بأتمه وتعالماً لمن يعيش معهم الدين بالعمل أو حملهم على التأسى به فأي ثقل عليه ؟ ثم إذا فعل مثل ذلك في وقت الظهيرة إذ يسكن إلى الراحة أو وقت الاصيل إذا شغل وقت الظهيرة فأي تب في ذلك وهو عمل لا يستغرق ربع ساعة ؟ وكذلك وقت المشي عند ما يستريح من عمل النهار

اختم القول بتذكير أبناء العصر الجديد بمسألة هم أعرف بتفصيلها من سواهم . وهي أن الأئمة الحية تحافظ على عاداتها القومية وشعائرها الملية وإن كانت تستقدن وضعية فلا يرضى أهل الرأي منهم بترك شيء من ذلك إلا إذا تبين لهم أنه ضارٌّ ضرراً كبيراً لا يشفع فيه حفظ الرابطة المامة بالثبات عليه ثم إنهم يروون في ذلك الترويض الواجب . فما بالكم وأتم تقلدوهم في الزم والحركة في الطريق (لا في العمل) وبني الماعون والاثاث لا تقلدوهم في الثبات على شعائركم والمحافظة على روابط جامعتكم ؛ تعلمون أنهم ما تركوا شيئاً إلا بعد أن استبدلوا به ما رأوه خيراً منه فإذا استبدلتم بهذه الشعائر

الاسلامية النافعة ، والروابط المليية الجامعة ، التي تتركونها بذير علم ولا
هدى ولا كتاب . نير : ألا إنكم تستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير
تمحاون عسى جاء متكم التي فيها عنكم وشرفكم في الدنيا وسماذكم في الآخرة
وأنتم لا تشعرون ، فتوبوا الى الله لعلكم تفحسون ،

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده في الازهر)

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ .

تقدم تذكير بني اسرائيل بالنعمة في آية قبل هذه الآية مقرونا
بالامر بالوفاء بهمد الله وبالوعد بالجزاء عليه ثم الامر بالخشية منه وحده
وتلاها آيات أمرهم فيها بالايان بالقرآن ونهاهم عن لبس الحق بالباطل
وكتمانهم . ثم أمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم وبخبرهم على نسيان أنفسهم
من البر مع امر الناس به وتلاوة الكتاب الداعي اليه ودلهم على الطريق
الذي يذهب بهذا النسيان وهو الصبر والصلاة التي فقدوها بفقد روحها
وهو الاخلاص والخشوع . وبعد هذا عاد الى التذكير بالنعمة بنوع من
التفصيل فان النعمة في الآية الاولى جملة والإجمال ينبه الفكر الى التذكر
في الجملة فاذا تلاه التفصيل والبيان كان على استعداد تام اكمال الفهم فيكون
التذكر أتم والتأثر أقوى والشكر على النعمة أرجى



﴿ كيف يكون المستقبل للمسلمين ﴾

قرأت في (المنار) الزاهر مقال سماحة السيد البكري فايقظ في نفسي
آهلاً كباراً، وهاج من قلبي مرامي بعباداً، ورأيت يتفق معي في الناية؛
ويلاقي قلبي في النهاية، إلا أنه سار إليها من طرق المعارف التشريعية،
وانتهى إليها وجهة علم الظواهر الجبوية، وناط ذلك المستقبل بالقواعد
الطبيعية، والاحوال الوسطية، من كثرة السكان، وخصوصية المكان،
وعدم إمكان الإنسان المعيشة في كل مكان، وهي قضايا يتناولها النقد،
ويمكن فيها الأخذ والرد، والإقبال والصد، إن رضيها (جوستاف لوبون)
ورفضها (لينيه) و(كاترفاج) و(داروين) و(وروسل ولاس) و(هكسلي)
و(لامارك) و(كوفيه) و(بوفون) وغيرهم من إخوانه الفسيولوجيين،
على أن تعليق حياة الاسلام على مؤثرات الوسط وعوامل المكان لا

باسب مجده وعلو شأنه، وأهميته أكبر من أن تدفع الكاتب إلى تخري
افكار الافراد لسكّين الحواطر على نجاة بلدانه، وسلامة اوطانه، فان
كان الاسلام له المستقبل الباهر، والآتي الزاهر، فليس ذلك الا لكونه
الحق الصميم، والنور الصريح، والسكامة العليا، والمحجة البيضاء، أنشودة
الانسان، وضالة المرفقات، ونظام العلم والدين، وسلك الفلسفة الحسية
واليقين، ان كان ينشره الصوفية اليوم بين الشعوب الشرقية، المنحطة في
درجات المدنية، والعلوم الكونية، فينشره غداً لهاجم الفلسفة الحسية،
ويأفخ المعارف الطبيعية. ليس لكونه كما اعتدنا ان نقول دينا جمع بين
المصالح الروحية والجسدية ويربط بين الأمور الدنيوية والاخرية فقط
هذه بعض مزايا الاسلام ونابع بسيط لتعاليم نسردها سرداً لبعض المقول
البسيطة التي لا تدرك غيرها، ولا تتمسك بالدين الامن أجلاً، أما غداً وليس
ببعيد يوم تجي دولة الروح ويخرج الانسان من قهر المادة العمياء وساطة
الطين الاصم وينتهي دور الخراف الحيوانية، وتزول سلطنة البطن والامبال
البهيمية، وينقلب شأن الانسان من حال مادي الى حال روحاني، كما انقلب
من حال فطري الى حال فكري عقلي، فتشرق الروح في عالمها وتزعج الانسان
الى أداء مطالبها، وتصبح به لأن يرجع بها الى محتدها، ويصمد معها الى
أوجها، كما كانت تزعجه المادة الى القيام برغائبها، وتميل به الى عالمها، وتطالبه
بالركون الى طينها، ذلك اليوم تطلب الروح باباً لزوجها، وترتاد طريقها
لصمودها، تلنفت الى جثمانها فتراه عبثاً ثقيلاً، ومائماً كثيفاً، وأنى له اختراق
طبقات اللطافة المملكوثة بها، وكيف له السبح في الموائم النورانية معها، هنالك
يكون التنازع بين الروح والجسد لا كما هو الآن تنازع بين مطالب غذائية

وزخارف مادية ؛ وأغذية دهنية وشحمية ؛ وألبسة قطنية أو حريرية ، بل تنازع في كيفية اعتمادهما معاً على السبع في سبحات النور الاقدس ، والجري يدايد في باحات الكمال الاقدم .

هنالك سيدور الانسان على نفسه دورة اخرى على محور لا يتخيله الآن الا كبار الافئدة كبار العقول . هنالك سيكون الاسلام قائد تلك الحركة وسلاطان تلك الدولة والداعي الى الكمال بلسان المدالة المطلقة والمؤاسي بمراهمة الشافية القلوب اليانسة . هنالك سيحوم الناس حول الاسلام كما يحول الفراش حول النور يطلبون نجاة ارواحهم واجسادهم معاً لا ارواحهم فقط . هذه حقائق لا خيالات الا ان تجليها الاذهان يحتاج الى كلام كثير بل سفر كبير

فستقبل الاسلام فيما أعلم وأرى من هذا الباب دون غيره وهو البق بملو شأنه وأنسب لرفعة مكانه واولى به ديناً إلهياً ؛ ووحياً علوياً ؛ ولكن متى نصل اليه ؛ وأي نوع من أنواع الوسائل نمول عليه ؛ هذه جهة الخلاف بيني وبين سماحة السيد . يرى أن أنجم الوسائل لذلك فتح المدارس وترتيبها ؛ وترجمة الكتب العلمية ونشرها ؛ ومشاطرة الاجانب في لغاتهم والتعمق فيها ؛ ويرجو لذلك أن تمقد جمعيات ؛ وتشكل هيئات ، وتنضم أصوات وتتحذ وجهات ، وتتفانى هم أئمة ؛ وتشكاتف عزائم إسلامية ؛ وتبذل أنفُس عزيزة وأرواح ؛ وتباع في سبيل الوحدة بيع السماح ؛ وكلها مطالب سامية ؛ ورغائب عالية ؛ ولكن هل تحقق ؟

لنجل في إمكانها نظراً ؛ ونعمل في احتمالها فكراً ؛ فإن لاح لنا برق أمل ضممننا صوتنا الى صوته ؛ والا أبدينا فيها رأينا ؛ وعززناه بأسلوبنا ؛

حكم السيد بان لا وطن للإسلام ولا جنسية؛ وأن رابطتنا الوحيدة هي جامعة العقيدة وأصرة الإيمان ووشيجة اليقين. فليُنظر هل تلك الرابطة اليوم صالحة لأن تضم اجزاءنا وتلم شعثنا وتوجه عواطفنا الى تيار واحد لنحقق بذلك آمالاً عظيماً؛ وزأب بها من جسم هيأتنا صدوعاً جساماً؛ يضرب لنا السيد مثلاً بالجميات الأجنبية التي تألفت للوحدة الإيطالية؛ والجامعة السلافية، والجنسية السكسونية، وعاج من ذلك على ذكر الثورات الأرمنية والمقدونية والكريدية، ثم قال انها «تعمل أعمال الجبارة في الخلاص من حضيض الاسر، إلى أوج النسر، والامة الإسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تنتفض انتفاض الطائر في شباك الصائد. ولا تعمل لانتجاة عملاً. وكيف ترجو الوصول الى الغاية وهي لا تنقل اليه قدماً، ولا تحرك شفة ولا قلماً، ومن طالب شيئاً وجده، ومن تركه فقد»، ثم أردف ذلك بقوله: «ولا يفتذر الجبان المفقود القلب بان عقد هذه الجميات مما يتعذر حصوله في البلاد الإسلامية الآن اذ اي جمعية انشئت قبل هذه فلم تقابل بالكفران، وتحط باليران، لكنها المزعمة التي ترى ان الموت في حياة الأمة خير من الحياة في موتها وأن لا يحيص من الصدر أو القبر».

نقول ولستنا بجبناء، ولا مفقودي الزأب ولا يائسين ولا مفتونين: لقد سلك السيد في مقاله مسلك الكاتب الحماسي — ولكنه لم يسر سير العالم ولا الفيلسوف العمراني. ولو كان قبل ان كتب مقالته تدبر في ألوف المقالات التي كتبت قبل مقالته بمشرين سنة وكان فيها من ضروب الخوض والحث والتحميس ما لا يمكن المزيد عليه ومع ذلك لم تنتج أثراً؛ ولم تحقق

لكتابها ولا لخلافه أملاً ، لكان رجع إلى نفسه وعلم أن المانع للأمة من سماع تلك الصيحات ، والإصاغة لتلك الجميمات ، أمر جلال وخطاب كبير . ولتراث له أدواء يجب فحصها وعمل لا ينجح دعاء بوجودها .

قررت العلوم النفسية ، وحكمت المشاهدات الوجودية ، أن الإنسان لا يعمل عملاً بل ولا يتحرك حركة الا وهو معتقد صلاحية ما يعمل او يتحرك من أجله ومتيقن من الوصول الى غايته فهل لدى فضلائنا الذين يطلب منهم تأليف تلك الجميمات من العقيدة الراسخة واليقين الثابت ونحن في القرن العشرين ما يحملهم على تشكيل الجميمات وبذل نفوسهم ونفائسهم دفاعاً عن حقيقة قديمة وقراءاً دون حريماً ؟

أنا أول من يقول بأن المستقبل للإسلام وكتبي ومؤلفاتي تشهد لي بذلك ولكني لا أحب أن أجعل للخيال سلطاناً على قلبي ، ولا للحماسة التي تنطفي بمجرذ الكتابة نفوذاً على إحساسي ؛ بل أعلم أنني عايش في عصر الفلسفة الحسية . والمدنية المادية . والمارف الطبيعية . وصرفت زماناً ليس بالصغير في فحص وسطي الذي أعيش فيه وامتني التي أنا بين ظهرانيها ورأيت بالحس أننا إن لم نسع لمداواة عللنا من اصولها تنها في تطهيرها وضملائنا في علاجها وذهبت كل صيحاتنا أدراج الرياح كما ذهبت صيحات من كان قبلنا . أما داؤنا الوحيد اليوم وسبب عدم صلاحية خاصتنا لاداء وظائفها الصحيحة فوهن العقيدة وضعف الايمان وما دامت على هذه الصفة فلا يرجى منها اجتماع على أمر البتة .

مجرد اعتقاد ان الاسلام دين يدعو الى الفضائل ويحض على الاخذ بالماديات والمعنويات ، ما وانه آخذ في الانتشار بين القبائل الشرقية ، او انه

مهيب الجانب في بعض البلاد الأجنبية ، كما اعتاد كثير من خاصتنا التفكر به في المجالس اظهارة لغيرتهم على الاسلام وتحمساً لكثرة براهيته لا يفيدهم في اليقين شيئاً لان كلهم تقريباً ممن تعلموا اللغات الأجنبية ، ودرسوا العلوم الطبيعية ، والمعارف التشريعية ، ووقفوا على تعاليم (داروين) و (جوستاف لوبون) الذي استشهد به السيد وعرفوا منها ومن أمثالهما ان اصل الانسان قرد وانه لا آدم ولا حواء ولا كتاب سماوي ولا روح ولا نفس ولا حشر ولا نشر ومن يرد أن نمطيه صورة موجزة من فلسفة هذه المدنية التي يقرأها خاصتنا من عرفة اللغات الأجنبية ويعتقدون حقيتها فاليه غير مضمون عليه

يقولون يا معشر المتدينين انكم لو جردتم نفوسكم عن الهوى ، ووجهتم وجوهكم شطر الهدى ، لرأيتم انه ليس دينكم الا اثر آمن آثار الماضين ، وبقية من بقايا أوهام السالفين ، ليس لها من القيمة والقدر الا كما لسائر آثارهم الاخرى من العلوم الطبيعية ، والصناعات اليدوية ، فقد حكم العلم (مماذ الله) بان ثوابيس السكون كافية في تحليل ظواهره ، وقوانينه قد فسرت اكثر غوامضه ، فلا داعي لفرض وجود قوى وراء الطبيعة ، ولا موجب انزعج عالم علوي بهذه الرينات المحسوسة ، أما الوجود فقديم إن لم يكن بصورته فبمادته الاولى . وأما القوى التي تصرفه فلا استقلال لها في ذاتها بل هي صفة لهيولاه الاصلية فلا مادة بلا قوة ولا قوة بلا مادة بل المادة في نفسها تظهر من مظاهر القوة المتحركة في الأثير من الازل .

أما الانسان وما نسبتموه اليه من نفس مستقلة عن الجسد وما منحتموها من مزية الخلود بعد فناءه وتبثر ذراته فما تبطله الشواهد العلمية ،

وتحمله البداهة التشريحية ، فقد قرر العالم (مماذا الله) أنه لا فرق بينه وبين غيره من الكائنات السفلية، ولا ميزة له على سواه من الأنواع الحيوانية، بل ليس هو في ذاته إلا حيواناً فاق في قوة العقل والادراك غيره من أبناء نوعه . على أن أبناء نوعه (الحيوانات) غير محرومة من قسط مناسب من العقل والادراك . وإذا أردت الدليل فدونك كتب حياة الحيوان ترى من آثار الفكر ونتائج العقل ما يدل على تمام الدلالة على أن العقل ليس بوقف على الإنسان ولا هو وصفه المميز . فإذا نسبت للإنسان روحاً مستقلة عن الجسد ومنحتها مزية الخلود والبقاء اعتماداً على القوة العقلية فلم لا تحكم هذا الحكم نفسه بالنسبة إلى الحيوانات أيضاً؟ ليس هذا من آثار المعلومات السابقة النافذة حينما كان الناس لا يميزون بين ما يؤيده الحس والعيان . وبين ما هو من قبيل الخيالات التي تنشأ في الوجدان بلا روية ولا إيمان؟ أما الفضائل التي تفرعون الأذان بها . وتضربون وجوه مناظريكم بـإلحاحها مدعين أنكم قادتها وزعماءوها . وإن لكم حق السيطرة على الناس بها . فليست في الحقيقة تبعاً لتعليم من التماثيل القديمة لكتب خاصة يقوم بها رجال ذوو صفات خاصة بل هي تابعة لنواميس طبيعية تظهر في الأمم الحية ظهور سائر آثار النواميس الأخرى فلا علاقة لها بدين البتة . الآثرون أن كثيراً من المتدينين بعداء عن الفضيلة . مغمودين في غمرات الرذيلة . ودونك الإحصائيات المدققة التي يعتني بجمعها علماء الإنسان ترى أن أكثر أصحاب الجرائم من المتدينين المتشددين في الدين واليك كتب علماء الجرائم مثل (لومبروزو) و(فريرو) و(سيرجي) ترى المعجب العجيب . بل انظر بعينيك إلى الأمم التي تزعم أن لها ارتباطاً بالدين

وغيره على اليقين ألا تراها في حالة من الإجرام والتسفل تفضل عليها معها
الامم التي تركت الاديان ، وجعلتها خبرا كان ، والتفتت للمدنية ، والمعلوم
الطبيعية ، فاصلحت شؤونها ، ودبرت أمورها ، فتأملت على قطب الاستقامة
والاستقلال ، ونحت منحى الكرامة والجلال ، فكشفت لها المدنية عن وجهها
الباسم ، وتجلت لها الحضارة في شكلها القاتن ، فسيطرت على الامم الاخرى
بعلومها وصنائعها ، وقهرتهم بقوتها وسطوتها ، كما صارت بالنسبة اليهم علما
في فضائلها وآدابها ؟ اذا كانت لا فضيلة بغير الدين وأنها لا تخرج عما
حددتم لها من القيود في كتبكم فما سبب هذه الآثار المدهشة للعقول المضلة
للمدرك ؟ اذا كان الانسان كما تقولون خلق مستقلا بذاته من طيبة
علوية ، وأنه مستعد لأن يسمو بروحه اسمى منصة للحياة الملكية ،
فلماذا هبطتم وعلا عليكم اولئك الذين يزعمون أن الانسان من سلالة
القردة وان بينه وبين الحيوانات أواصر من القربى ووشائج من الرحم ؟
اذا كانت الفضيلة كما تقولون لا تثبت للانسان بغير دين ولا تطبع بضميره
الا بطابعه فلماذا حرمت من أصغر أنواعها وسببكم في باحائها من يقول
أن الفضيلة صفة من صفات الحياة الانسانية والذيلة كذلك . تنشأ الأولى
عند ما تكون شؤون تلك الحياة جارية على سمت منتظم ملائمة لقوانين
الخلقة وتبرز الثانية في ضد تلك الحالة ؟

اما ما تزعمون من أن لا قوام للامم بغير الدين ، ولا نظام لهم سوى
حبله المتين ، فما لا يحتاج معكم فيه الى كبير جدال ، ولا كثير قيل وقال ،
فدونكم الامم القريبة الكبرى قد بنت عظمها بلا شانه وأقامت وحدتها
بمنازعة أشياعه ، ومع ذلك نرى لها كل يوم في سجل الممالي أثرا جديدا ،

وفي حقائق الفخار والمجد صرحاً شديداً، فإن كان الحال كما تزعمون فـهذا
الآثر المنعكس، وما تفسر هذا الأمر الملتبس؛ ليست كل هذه البراهين
المحسوسة دالة على أنكم متمسكون بأقوال لا يقوم عليها من عالم الشهود
شاهد، ولا ينهض لها من وقائع الحوادث مدافع، لا جرم أنكم
تتأخرون وتنتقم، وتخضعون وتتحكم، ولا غرو أن علونا وسفلم،
وتعزونا وذلتكم، كما لا عجب أن استخدمنا نواويس الكون وأسر تكلم،
واستغلنا خيرات الطبيعة وحرمتهم.

كل هذه الشبه المتعاصية قد نشأت في وسط العلم الأوروبي ونبع منها
من بين ذرات دسم هذه المدنية العجيبة فائتات باكثر العقول أقدارها.
وتسمت الفطر بسوءها. وقد سرت هذه السموم الى شبيبتنا الإسلامية
التي نهات من دن العلوم الاجنبية نخلتها عن مجموعها وذهبت بها مذهباً لا تجملها
مع هؤلاء ولا هؤلاء. وكفى امة عجزا وضعفا ونقصورا وتأخراً أن لا يكون
لشبيبتها وجهة تسير عليها، ولا غاية تمتعدها وتتوق اليها، وتدأب للحصول
عليها، حلت هذه الشكوك والشبه من قادة النشأة وزعماء التقدم في البلاد
الاجنبية محلاً علياً، وجمعتهم يابدون. منقادتهم ظهرياً، ولكن قام مقامها لديهم
موقفاً غير قومية، وحمية جنسية اولفوية، ملت شفتهم وضمت اجزاءهم حيناً
ظنوا فيه امكان قيامهم بدون الدين بل خالوا ان مصدر رفعتهم ومنبع نظامهم
والنماء، ومنشأ الفهم ووثاقهم، هدم تاليمه وتذريتها في الهواء مع الهباء ثم
لما استقاموا على هذه المفازة الخطرة حيناً من الزمان ورأى قادتهم ورؤساء
همارفهم ان هذه خطة عوجاء، وسراب ليس وراءه ماء، وان بالادمان
على متابعة السير في خطتهم هذه الهلاك المتناصل والجائحة الكبرى التي

تطفى نور مدنيهم ، وتهدم صروح عظمتهم ، ويساعد هذا الاثر في نفوسهم الاحساس بالفراغ الذي ألم بصميم معناتهم الانساني وجوهرهم البشري من جراء فقد العقيدة التي هي لازم من لوازم هذه النفس الناطقة تمطشت قلوبهم الى الدين الصحيح وحنث فطرهم اليه حين البائس ينتظر فرجه ويتنسم من شطر الخلاص نسمة . ولكن أين الدين ؟؟ كانت الفلسفة الحية فلسفة (اجوست كوت) وأشباعه القائلين بأن المعقول إذا لم يؤيده شاهد من الحس جاز أن يكون ضلالاً آخذاً من الافكار مكانة لا يمكن قلعه منها وما دامت أسس الدين من عقيدة وجود الروح وخلودها في دار بعد هذه الدار مما لا يمكن الاستدلال عليها بمحسوس جاز أن تكون وما لا حقيقة له في الواقع . فهي على حسب أسلوب هذا المذهب الكثير الأشباع من قبيل ما لا يمكن إثباته ، وما لا بد من عدم الحوض فيه ، وما معنى دين بدون روح وخلود وآخرة فيها نعيم مقيم أو شقاء مستديم ؟ كيف الوصول الى الاعتقاد بدين مهما كانت آماله في عصر هذه فلسفة بنيه وتلك مبادئها ؟ ولكن الله سبحانه أكرم من أن يخيب سائلاً وأرحم من أن يطرد طارقاً فأرسل عليهم من جهة فلسفتهم هذه آيات تأخذ بالاعناق خضوعاً ، وبالأبصار والبصار دهشة وخشوعاً ، فنشأت أبحاث سموها (اسبوترزم) و (مانيتزم) التوهم المغناطيسي و (اسبرتزم) استحضار الأرواح وغير ذلك استدلت منها عليهم على أن للإنسان روحاً وخلوداً فأنشأوا مئات من المجلات والجامع وعقدوا لها المؤتمرات والمحافل ، وألقوا فيها الكتب والرسائل ، وبلغ عددهم من العلماء الأعلام ، وقادة المطارف العظام ، والمحامين البارعين ، والكتاب المتفنيين ، ما يزيد عن عشرين مليوناً كما سنوضحه بعد أن شاء الله . فهم على هذا لم يقوموا حتى نهضوا ولم يضلوا حتى أوشكوا يهتدون . ولكن شبيقتنا التي جرعت من حوض علومهم وشهنت في أذهانها صور معارفهم لم يشأوا أن يوسموا دائرة معارفهم وكأنهم لم يعلموا أن ما يدرس في المدارس من العلوم الطبيعية والرياضية ليس الاقطرة من بحر لا تنقح صدى ولا تروي غلة . بل كأنهم يعتقدون أن العلم واقف حيث هو من عهد (لغوازيير) و (توسيلي) و (ماريوط) و (قواطلا) وإن باب الرحمة الالهية أغلق في وجه بني آدم (معاذ الله) فلا مرمى بعد مرماهم ولا مذهب بعد مذهبهم ثم نسوا ما تعلموه أيضاً ولم تحفظ ذاكرتهم منه الا بشكلا مشوهاً من استنتاجات عرجاء ليس لها أصل ترتكن اليه ولا أساس تعتمد عليه فهم على مذهب (اجوست كوت) و (داروين) بدون أن

يكتفوا أنفسهم بمعرفة ماهية مذهبهما ، ولا أصول نظريتهما ، وكانهم كفاهم في أن يكونوا (أوجوستيين) و (داروينيين) أن يروا في بعض المجالات نبأ من فلسفتهم لم يرد على أسلوب صحيح ولا سلك فيه كاتبه سلك الاستقراء والتحليل . ثم أنهم على فرض تمسكهم في فلسفة علماء هذا العصر وتغافلهم في مناحيها تدقيقاً وتمحيصاً لم يكتفوا أنفسهم النظر في ماهية الإسلام وأصوله ليروا أن كانت مبادئها تهتمها هذه الأبحاث أو هي بالعكس تقويها وتؤيدها

أقول هذا ولا أنكر أن لدينا أفراداً من رجال هذه المنشأة صاروا لهامة علوم العصر ناجحاً وقي ذرواً لعلاء الإسلامى علماً ، ولكنهم وباللأسف قليلو العدد مبغضون في الجهات مشغولون بالوظائف يتألمون لهذه الحالة مثل ماتالم ويرون أدواء تامل ما ترى . هذه صورة مصغرة من الشبه والشكوك التي جرفها إلينا مدنية أوروبا والعقبات بأذهان كثير من رجال نشأتنا التي استقت منها معلوماتها ، واخذت عنها لغاتها ، فهل بعد هذا يطوف بفكر عمراني باحث أو تحليلي مدقق أنه يمكن جمع جمعية عصيتها الدين وجامعتها العقيدة وسلاحها اليقين ويكون من أثرها تشييد معالي الإسلام وإرجع مجده إليه ولو ببذل الأرواح ، وبيع المهرج ببيع السماح ؟ اللهم لا . أذن فلنختار أحد أمرين إما أن نقبل شكل هيئتنا الاجتماعية من شكلها الحالي إلى شكل آخر روابطها الوطنية أو الجنسية أو أي امر غيرها وهيئات أن يتم لنا ذلك في ألفي سنة . وإما أن نتمهد رابطتنا الأصلية وهو الدين ونجليه لتلك الأذهان ، في شكل يذهب شكوكهم وشبههم ، ويرجع إلى تلك الفطر الإسلامية النათية نورها الصافي حتى تدور على نفس القطب الذي كانت تدور عليه تلك الأرواح الطاهرة والنفوس الكريمة روح سيد ولد آدم وأصحابه الذين كانوا حجة الحق الدائمة . وأنوار الفضائل الساطعة ، وخلفاء الله في أرضه وجيرانه في عالم قدسه . صل اللهم عليهم ونايهم آمين

محمد فريد وجدي

(المثار) : ما دخل هذا القرن الميلادي الا وكان شغل طائفة من كبار كتاب أوروبا البحث عن مستقبل الإسلام فيه فكتبوا في ذلك المقالات الطويلة كل يظهر رأيه فمنهم من بشر ومنهم من أنذر . وقد كنا نسرعنا من عدة أشهر بكتابة مقالة في ذلك عنوانها « مصير الأنام » ومستقبل الإسلام ، ولكن شغلتنا عنها مقالات « الإسلام والنصرانية » مع العلم والمدنية ، ثم مقالة السيد البكري في الموضوع ثم

هذه المقالة . السيد البكري أحسن في بيان الأغراض التي رعى إليها وتأملها صحيحة وإن كان بعض البحث في المقدمات لا يلم من التقدير كما قال صاحب هذه المقالة ولكن لم يكن للتخيلات في كلامه ذلك السلطان الذي نسب إليه بل التخيلات الخطائية والشعرية في هذه المقالة أكثر ولا بأس بذلك إذا أريد به التأثير فيها بحمد وإيمانهم إذا كان خلاصة وخداماً ، وأما قوله : ان الجامعة الإسلامية لا ترجي لما رجاه السيد منها وان عقلاء المسلمين الذين طالبهم السيد بالعمل لا يمكن ان يعملوا واستدلاله بعدم تأثير المقالات الطويلة التي كتبت منذ عشر من السنين : فهو غير سديد فان كل ما كتب بحق وإخلاص قد أثر حتى أحدث حركة عظيمة في العالم الإسلامي وإن عقلاء المسلمين يشغلون الآن بما طالبهم به السيد وإنما مطالبة لزيادة البيان والتنشيط والكمال ، وإنما لم يظهر أثر كبير لسميهم لضعف الاستمداد ، الكل أجل كتاب ، وفي هذه المقالة موافقة على هذا فان الكاتب طالب المسلمين في آخرها بأحد أمرين وهم قائمون بالتاني منهما وهو السديد ، وتعلمن نبأ بمدحهم ، التوسيم واستحضار الأرواح لم يزل أثرهما مبهماً ، ومستقبل أثرهما مجهولاً ، وتمايق مستقبل الإسلام عليهما لا يبحث المسلمين على عمل ، ولا يحجي في نفوسهم ميت الأمل ، نعم اننا نرجو من كل ما يكشفه العلم من اسرار الخليفة تأييداً للإسلام سواء كان السر روحانياً او مادياً والقول الذي لا ريب فيه هو ان المستقبل للإسلام لأنه دين النظرة والاجتماع المرشد الى مصالح الروح والجسد والهادي الى الوفاق بين وظائف العقل ووظائف القلب . فلا بد ان يكون الإسلام هو الحاكم الأعلى في المدنية العالما عند ما تكمل هي ويظهر هو خالياً من التقاليد التي اضيفت اليه كما قلناه مراراً . وسنزيده بياناً . اما ما ذكره الكاتب من شبهات اوربا على الدين فهو لا يمس الإسلام لأن عقائده مؤيدة بالعقل وسيرة المسلمين اظهر سيرة البشر عند ما كانوا على الإسلام السليم من البدع . وعلى كل حال نشكر للكاتب الاول وللكتاب الثاني اعمال قام بها في هذا الموضوع الشريف وكل منهما احسن في الوجه الذي كتب فيه ولا تنافي بينهما ولا تناقض في الحقيقة وكل ما كتبنا لا نمتنا من نشر ما كنا نشرنا فيه ولكنه كفانا مؤنة التطويل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

﴿تمة الاجتماع السادس لجمعية أم القرى﴾

(تابع لما في الجزء ١٣)

ثم قال (الاستاذ الرئيس) للخطيب القازاني: ان الاخوان يترقبون منه أيضاً ان يفيدهم بما يلهمه الله مما يناسب موضوع مباحث الجمعية
قال (الخطيب القازاني): ان الاخوان الأفاضل لم يتركوا قولاً لقائل ولذلك لا أنجد ما أنكم فيه وإنما أقص عليهم مساجلة جرت في الاستهداء بين مفتي قازان وافرنجي روسي من العلماء المستشرقين الصارفين باللغة العربية المولعين باكتشاف وتبع العلوم الشرقية ولا سيما الإسلامية وقد هداه الله الى الدين المين فاجتمع بمفتي قازان وقال له انه اسلم جديداً وهو بالغ من معرفة ائمة القرآن والسنة مبالغاً كافياً وعلم بموارد ومواقع الخطاب علماً وافياً ف يريد ان يتبع القرآن وما يمكنه ان يتحقق وروده عن رسول الله فيعمل بما يفهمه ويمكنه تحقيقه على حسب طاقته لانه لا يرى وجهاً مقبولاً للوثوق بزيد او عمرو او بكر أصحاب الأقوال المتضاربة المتناقضة لان حكم العقل في الدين المتعارضين التساقط وفي البرهانين المتباينين التهاثر فهل من مانع في الإسلامية بمنع من ذلك فاجابه (المفتي) ان اكثر الامة مطبق منذ قرون كثيرة على لزوم اعتماد ما حرره احد المجتهدين الاربعه المنقولة مذاهم فاطباق الاكثرية دليل على الصحة فلا يجوز الشذوذ فقال (المستشرق) لو كان الصواب قائماً بالكثرة والقسم وان خالف المعقول لاقضى ذلك صوابية الوثنية ورجحان التصرائية ولا يقضى كذلك عكس حكم ما صح وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان امته تفرق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة هي التي كان هو وأصحابه عليها وقد وقع ما أخبر به وكل فرقة تدعي انها هي تلك الواحدة الناجية ولا شك ان الاثنين والسبعين فرقة اكثر من اي واحدة كانت منها فابن يبق حكم الأكثرية .

فاجابه (المفتي) انه قد سبقنا من اهل التحقيق والتدقيق الذين تشهد آثارهم بيزيد علمهم ألوف من الفضلاء وكلهم اعتمدوا لزوم اتباع احد تلك المذاهب القديمة حتى بدون مطالبة اهلها بدلائلهم لأن مداركنا قاصرة عن ان توازن الدلائل وتميز الصحيح والراجح من غيرها ومثلنا في ذلك كالطبيب لا يلزمه ان يجرب طبائع المفردات كلها ليعتمد عليها بل يأخذ عامه بطبائهم اعما دونه أئمة الطب .

فقال (المستشرق) نعم ان الطيب يعتمد على ما حققه الأولون ولكن فيما اتفقوا عليه واما ما اختلفوا فيه على طرفي نقيض بين نافع اوسام فلا يعتمد فيه على احد القولين بل يعلمهما ويجدد التجربة بمزيد الدقة والتحقيق لان اعتماده على احدهما يكون ترجيحاً بلا مرجح . هذا وانما نرى ببادئ النظر ان هؤلاء الأئمة الأقدمين لم يقدروا ان يطلعوا على ما لا يقدر المتأخرون ان يطلعوا عليه ويكفينا برهاناً على ذلك (أولاً) تخالفهم في كل الاحكام الا فيما قل ونذر نخالفهم مذهباً ما بين موجب وسالب ومحل ومحرم حتى لم يمكنهم الاتفاق في نحو مسائل الطهارة وسترالمورة وما يحل أكله وما لا يحل . (ثانياً) ترددهم في الاحكام وتقلبهم في الاراء وذلك لحكم أحدهم في المسألة ثم عدوله عنه الى غيره كما يقول اصحاب الشافعي انه كان له مذهبان رجع بالثاني منهما عن الأول (ثالثاً) اختلاف اتباعهم في الرواية عنهم كاصحاب أبي حنيفة الذين قالوا يتفقون على رواية عنه ويأول ذلك لهم بعض المتأخرين بتمدد مذاهبه في المسألة الواحدة . والحاصل ان الانسان الذي يتقيد بتقليد أحد أولئك الأئمة ولا سيما الامام الاعظم منهم لا يخلص من قاق الضمير او يكون كخاطب ليل وعلى ذلك لا بد من تحري في دينه من ان يتهدي بنفسه لنفسه أو يأخذ عن يثق بعلمه ودينه وصوابية رأيه ولو من معاصريه لان الدين أمر عظيم لا يجوز العقل ولا النقل فيه المماثلة واتباع التقايد .

أجابه (المفتي) نحن لا نحتم بأن الصواب مقطوع فيه في جانب احد تلك المذاهب بل المقلد منا اما أن يقول باصالة الكل أو يرجح الخطأ في جانب من ترك مع احتمال الصواب .

فقال (المستشرق) هذا القول يستلزم تعدد الحق عند الله أو القول بالترجيح بلا مرجح لانكم تتوهمون المفاضلة بين الأئمة واعترافيكم باحتمال المذاهب للخطأ . يقتضي جواز تركها كلها مع انكم توجبون اتباع أحدها أفليست هذه قضايا لا يتطابق ولا تسفل فلماذا لا تجوزون وانتم على هذا الارتباك ان يستهدي المتبلي لنفسه فأذا تحقق عنده شيء عن يقين أو غلبة ظن اتبعه والآ كان مختاراً ولا يكلف الله نفساً الا وسعها . أجابه (المفتي) اننا لبعد العهد لم يبق في امكاننا التحقيق فما لنا من سبيل غير اتباع أحد المتقدمين ولو كان تحقيقه يشمل الخطأ .

قال (المستشرق) ما الموجب لتكليف النفس ما لم يكلفها به الله ؟ اليس من الحكمة أن يحفظ الانسان حريته واختياره فيستهدي بنفسه لنفسه حسب وسعه فان أصاب كان مأجوراً وان أخطأ كان ممدوراً ويكون ذلك أولى من أن يأمر نفسه

للخطأ المحتمل من غيره .

أجابه (المفتي) ان هذا الغير أعرف منا بالصواب واقل منا خطأ فتقليده أقرب للحق .

قال (المستشرق) هذا مسلم فيما اتفق عليه الاقدمون اما في الخلافات فالما قبل يقف عند الترجيح بلا مرجع ولا سيما اذا كنتم لا تجوزون أيضاً البحث عن الدليل ليحكم المبتلى عقله في الترجيح بل تقولون نحن أسراء النقل وان خالف ظاهر النص .
أجابه (المفتي) اننا اذا أردنا ان لا نعد من شرعنا الا ما تحقق بانفسنا دليلاً من الكتاب أو السنة أو الاجماع نضيق حينئذ عنايا احكام الشرع فلا نفي بحمل اشكالنا في المبادات ولا تعين احكام حاجتنا في المعاملات فيحتاج كل منا ان يعمل برأيه في غالب دقائق المبادات والمعاملات ويصير القضاء غير مقيد بالمجبات شرعية وهل من شك في ان اطراد الآراء وانتظام المعاملات البقى بالحكمة من عدم الاطراد والانتظام .

قال (المستشرق) لانتك في ذلك ولكن أين الاطراد والانتظام منكم ولا يكاد يوجد عنكم مسألة في المبادات أو المعاملات غير خلافة ان لم تكن في المذهب الواحد فين مذهبين أو ثلاث . هذا وربما يقال ان توفيق العمل على قول من اثنين أو أكثر أقرب للاطراد من الفوضى المحضة في تفويض الامر لرأي المبتلى أو تفويض الحكم لحرية القاضي فيجيب عن ذلك بأن الامر أمر ديني ليس لنا ان نتصرف فيه برأينا ونعزوه الى الله ورسوله كذباً وافتراءً وافساداً لدين الله على عباده ولو ان الامر نظام وضحي لما كان ايضاً من الحكمة ان يلتزم اهل زماننا آراء من ملقوا من عشرة قرون ولا أن يلتزم اهل الثرب قانون اهل الشرق وعندي ان هذا التضييق قد استلزم ما هو مشاهد عنكم من ضعف حرمة الشرع المقدس .

ثم قال (المستشرق) واعيد قولي انكم تحبون أن تكلفوا أنفسكم بما لم يكلفكم به الله ولو ان في الزيادات خيراً لا حارها الله لكم ولم يمنعه منها بقوله تعالى : (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) أي مما يتماق بالدين (١) وقوله تعالى (الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) وقوله تعالى (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأَلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ولكن علم الله الخير في القدر الذي هداناكم اليه وترك لكم الخيار على وجه الإباحة في باقي

(١) يريد ان القرآن محيط باحكام الدين وما يناسبه لا بكل علم الله كما يتوهم الكثيرون

شؤونكم لتوفقوها على مقتضيات الزمان أبي الغير وهوجبات الاحوال التي لا تستقر
فبناء عليه اذا اتيتكم اكثر اسما لكم الحيوية باطمئنان قلب باباحتها يكون خيراً من أن
تأثروها وأنتم حيارى لا تدرون هل اصبتم فيها ام خالفتم امر الله فتعيشون واثبتتكم
مضطربة تحاذرون في الدين شؤم المخالفة وفي الآخرة عذاباً عظيماً وليس هذا من مخافة
الله التي هي راس الحكمة ولا من مراقبة الوازع التي هي منزلة الدين بل هذا من الارتباك
في الرأي والاضطراب في الحكم ونتيجة ذلك فقد الحزم والعزم في الامور

ثم قال : اعلم أيها المفتي المحترم ان هذه الحالة التي اتسم عليها من التشديد والتشويش
في أمر الدين هي أكبر أسباب انحطاط المسلمين بعد القرون الأولى في شؤون الحياة
كما انحط قبلهم الاسرائيليون بما شددته وشوشه عليهم أهل التلمود وكما انحطت
الأم النصرانية لما كانت (ارثوذكسية) منغلقة أو (كاثوليكية) متشددة يتحكم فيها
البطارقة والقسيسون بما يشاؤون تحت اسم الدين فكانوا يكلفون الناس أن يتبعوا
بما يلقونهم من الاحكام بدون نظر ولا تدقيق حتى كانوا يحظرون عليهم أن يقرأوا
الأنجيل أو يستفهموا عن معنى التثليث الذي هو أساس النصرانية كما ان التوحيد
أساس الإسلامية . وبقي ذلك كذلك الى أن ظهرت (البروتستان) أي الطائفة
الانجيلية التي رجعت بالنصرانية الى بساطتها الاصلية وأبطلت المزيادات والتشديدات
التي لا صراحة فيها في الأنجيل والى أن اتسع من جهة أخرى عند الأمم النصرانية
نطاق العلوم والفنون رغماً عن معارضة رجال الكهنوت لها فتلطفت أيضاً الكاثوليكية
والارثوذكسية عند المومنين واطمأنت بالكلية عند الخواص لان العلم والنصرانية
لا يجتمعان أبداً كما ان الإسلامية المشوبة بمشوا المفتنين تضلل المقول وتشوش الافكار .
أما الإسلامية السليمة الخالصة من شوائب الزوائد والتشديد فان صاحبها لم يزل
إيماناً كلما ازداد علماً ودق نظراً لانه باعتبار كون الإسلامية هي أحكام القرآن
الكريم وما ثبت من السنة وما اجتمعت عليه الأمة في المصدر الاول لا يوجد فيها ما
يأباه عقل أو يناقضه تحقيق علمي

وكفى القرآن العزيز شرفاً انه على اختلاف مواضعه من توحيد وتعليم وإنذار
وتبشير وأوامر ونواه وقصص وآيات آلاء قد مضى عاينه ثلاثة عشر قرناً ثم خضعه
أفكار الناقدين للماديين ولم يظفروا فيه ولو بتناقض واحد كما قال الله تعالى فيه :
« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » بل الأمر كما تنبه إليه

المدققون المتأخرون أنه كلما اكتشف العلم حقيقة وجدها الباحثون مسبقة التاميم أو التصريح في القرآن. أودع الله ذلك فيه ليتجدداً مجازة ويتقوى الإيمان بأنه من عند الله لأنه ليس من شأن مخلوق أن يقطع برأي لا يبطئه الزمن .

فهذه القضايا التي قررها حكماء اليونان وغيرهم على أنها حقائق ولم تردّد فيها عقول عامة البشر الوفا من السنين أصبحت محكوماً على أكثرها بأنها خرافات .

وكذا يقال كفى السنة النبوية شرفاً أنه لم يوجد في أعظم الحكماء المتقدمين والمتأخرين من يربو عدد ما يميز إلى من الحكم التي قررها غير مسبوق بها على عدد الأصابع مع أن في السنة المحمدية على صاحبها أفضل التحية من الحكم والحقائق الأخلاقية والتشريعية والسياسية والتعليمية الوفا من المقررات المتكررة يحلّي أعظم قدرها مع تجديد الزمان وترقي العلم والعرفان .

وكفى بذلك ملزماً لأهل الإنصاف بالإقرار والاعتراف لصاحبها عليه السلام بالنبوة والأفضلية على العالمين عقلاً وعلماً وحكمة وحزماً وأخلاقاً وزهداً واقتداراً وعزماً . وكفى أيضاً بهذه المزايا العظمى ملزماً بتصديقنا في كل ما جاء به واتباعه في كل ما أمر أو نهى لأن الدهر لم يأت بمشرد للبشر أكمل وأفضل منه (مرحى)

ثم قال (المستشرق) المفتي وهذا مادعاني إلى الإسلام فليت والحمد لله وعندى أن لو قام في الإسلام سرارة حكماء دعاة مقدمون لما بقي على وجه الأرض عاقل يكفر بالله . ثم قال : واني أرى أنه لا يمضي قرن إلا ويكثر المهتدون من المستشرقين ويرسخون في الدين فيتولون تحرير شريعة الإسلام ، ويفيضون بها على الأنام ، حتى على أهل الركن والمقام ، ولا يبعد أن تأتي الأيام بالبرنس محمد المهدي التروبي أو الأكلبيزي متلاً قائماً مقام الإمام ، معيداً عن الإسلام بأكمل نظام .

أجاب (المفتي) : لا مانع مما ذكرت . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ودين الله دين عام . لا يختص بقوم من الأقوام .

ثم قال (المستشرق) : أيها المفتي المحترم لا يطأ وعني أساني أن ادعي الغيرة على الملة البيضاء الأحمدية أكثر منك إنما أناشدك بالله وبحبك لدينك أن تترك هذه الأوهام التقليدية القائمة في فكرك وتبينني على تأليف كتاب يصور حكمة دين الإسلام وسماحته ليكون سعيها هذا خيراً عظيماً ننال به نحر ونواب هداية عشرات الملايين بل مئات الملايين من الناس إلى هذا الدين المبين . ولا يكبرن ما أقول على فكرك فإن أهل هذا الزمان

المستعيرين الأحرار لا يقاسون بأهل الأزمنة المظلمة الغابرة . نعم وننال أيضاً ثواب حفظ الملايين الكثيرة من أبناء المسلمين العريقين تلامذة المدارس المصرية من هجر الإسلامية على صورتها الحاضرة المشوهة باختلاط الحكم بالخرافات المعطلة بثقل التشديدات المبتدعة فالبدار البدار لأن نفوز بيده الخدمة التي (يكاد) يبادل أجرها أجرني مرسل والله الممين الموفق .

اجابه (المفتي) أصبت فيما تفكرت ولعم ما أشرت به ولكن هذا عمل مهم يحتاج القيام به لضاية جمعية يتكون من تضلع أعضائها في فروع العلوم الدينية علم كاف لإحاطة وحصول الثقة واسوء الحظ لا يوجد من فيهم الكفاءة في هذه البلاد ولذلك نختم علينا أن نترك هذه الفكرة آسفين وندعو الله تعالى أن يباهم علماء مكة أو صنعاء أو مصر أو الشام القيام بأداء هذا الواجب .

ولما انتهى (الخطيب القازاني) الى هنا قال هذه هي المساجلة وقد سمعت المفتي يقول انه اجتمع بكثير من المستشرقين فوجدهم كلهم يحسنون العربية أكثر من علماء الاسلام غير العرب مع انهم يشتغلون في علوم اللغة عمرهم كله وما ذلك الا من ظفر مدارس اللغات الشرقية الافرنجية بأصول تعليم العربية أسهل من الأصول المعروفة عندنا .

قال (المجتهد التبريزي) اني أرى ان الاسلام اصابه قنطان عظيمتان ولولا قوة أساسه البالغة فوق ما يتصوره العقل لما ثبت الدين الى الآن . أما الفتنة (الأولى) فقد قدرها الله ومضت على وجهها وهي حين تشاجروا في الخلافة والملك وانقموا على أنفسهم بأسمهم ينهم يقتل بعضهم بعضاً وتفرقوا في الدين لتفرقهم في السياسة .

وأما الفتنة (الثانية) فلم تزل . سيرة وهي ان الخلفاء العباسيين ملأوا الى تعويق النظر في العقائد فخدمهم من خدمهم من علماء الاعاجم تقريباً اليهم في علم الكلام وأكثروا من القيل والقال ثم سرت المدوى الى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من المذاهب فاقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافات بين أبي حنيفة والشافعي وأثاروا بينهما فتنة عمياء وحرباً صماء وتركوا بقية المذاهب فاندست ولم يبق منها سوى مذهب زيد وأحمد في جزيرة العرب ومذهب مالك في الغرب ومذهب جعفر في بلاد الحزر وفارس فأكثروا التأليف والتصنيف في هذه المذاهب كل مؤلف يحب ان يبدي ما عنده ليشتهر فضله وينال حظه من دنياه زاعماً ان غرضه استباط دقائق النزاع

وتقرير على المذاهب فزاحموا وتجادلوا ونافض بعضهم بعضاً وكان من العلماء بعض الصالحاء المعندين شاركوهم في الفتنة وهم لا يشمرون كما قال الله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَا يَكُونُونَ لَا يَشْعُرُونَ) وقوله تعالى (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ يُخْسِنُونَ ضَلُّوا) .

وهكذا اتسعت دائرة الأحكام في الشرع فنصار الخلف عاجزين عن التقاط الفروع فضلاً عن الرجوع الى الأصول فاطمأنت الأمة للتقليد وأقبل العلماء على اعمقات في الدين يغرب المفسر ويتفنن ولو بحكايات قاضي الخن لأنه غير مطالب بدليل ويتفحص المحدث عن نوادر الاخبار والآثار ولو موضوعة لأنه غير مسئول عن سنده ويتنقبط النقيب الحكم ولو بالشبه من وجه لا لازم الا لازم للعملة لأن مجال التطبيق واسع وهذه الفتنة لم تنزل مستمرة الى أن أوقفها قصور الهمم عند الأكثرين .

على أن هؤلاء المتأخرين اخلدوا الى التقليد الصرف حتى في مسألة التوحيد التي هي أساس الدين ومبدأ الايمان واليقين والفرق بين الكفر والاسلام وجعلوا أنفسهم كالعميان لا يميزون الطامة من النور ، ولا الحق من الزور ، وصاروا يحسنون الظن في كل ما يجدونه مدوناً بين دفتي كتاب لانهم رأوا التسليم أهون من التبصر ، والتقليد أسهل للجهد ، وصار أهل كل اقليم أو بلد يتمصبون لمؤلفات شيوخهم الأقدمين ويتخذون الخلافات مداراً لتطبيق الأحكام على الهوى لا يبالون بحمل أثقال الناس في الدين على عواقبهم يزعمون ان التسليم أسلم وانهم أسراء النقل وان خالف نظام النفس جرمهم ، ان اختلاف الأئمة رحمة نعمة .

ثم ان اختلاف الأئمة يكون رحمة اذا حسن استعماله ويكون نعمة اذا صار سبباً لتفرقة الدينية والنيابغض كما هو الواقع بين أهل الجزيرة السفاين وبين أهل مصر والمرب والشام والترك وغيرهم من المسلمين وبين أهل عراق المعجم وفارس والعسف الممتاز من أهل الهند الشيعيين وبين أهل زنجبار ومن حولهم من الأباضيين فهذه الفرق الكبرى بما تعد كل منهم انهم وحدهم أهل السنة والجماعة وان سواهم مبتدعون أو زائغون فهل والحالة هذه يتوهم عاقل ان هذا التفرق والانشقاق رحمة لا نعمة وسببه وهو التوسع في الأحكام سبب خير لا سبب شر .

وكذلك اختلاف المجتهدين في كل فرقة من تلك الفرق لا يتعمد العقل ان يكون

رحمة لا تقيد حسن استعماله والا فكم نعمة حيث يوجب تفرقة ثانية بين مالكي وحنفي وشافعي مثلاً .

والمراد من حسن استعمال الحسنة هو ان كل قوم من المسلمين قد اتبعوا مذهباً من المذاهب ترجيحاً أو ورافة أو تعصباً ولا بد أن يكون في المذهب الأخذ به كل قوم بعض الأحكام الاجتهادية التي لا تناسب أخلاق أو تلك القوم أو لا تلائم أحوالهم المماشية أو طبائع بلادهم فيضطرون الى الإقدام على أحد أمرين أما التمسك بتلك الأحكام وإن أضرت بهم أو الجحوق الى تقليد مذهب اجتهادي آخر في تلك الأحكام فقط وقد كان أكثر علماء وفقهاء المسلم من القرن الثامن بل التاسع يختارون الشق الثاني فيقلدون في هذه الحالة المذاهب الأخرى ولكن بعد النظر والتدقيق في الأدلة كما كان شأنهم في نفس مذاهبهم الأساسية مثلاً يكونوا مقلدين تقليداً أعمى لا يحوز به الدين أساساً الا لجاهل بالكلية .

وهذه الطريقة هي الطريقة المثبتة الى اليوم في بلاد فارس والامام المتصدرون لذلك هم أفراد من نوابغ العلماء المتصاميين في علوم ما خلد الدين وأكثرهم ولا سيما الإيرانيون منهم متفهمون وناصريون . مذهب الامام جعفر الصادق (رضي الله عنه) المدون عندهم ويطلق اهل فارس على هؤلاء العلماء اسم (مجتهدين) تجوزوا وأبغوا لمادة الاعاجم في التمثالي في التبجيل ، نعمت الاحترام ومن ذلك يعلم ان ما يظنه فيهم اخوانهم المسلمون البعيدون عنهم غير الواقفين على احوالهم الامن تفوهات السياسيين غير صحيح فها هم كما يقولون عنهم مجتهدون في أصول الدين يجوزون الرأي في الإجماعات يخرجون الأحكام اخذوا من الأدلة الطيبة ولو لم يقل بها احد من علماء الصحابة والتابعين واعظم أئمة الهداية الأولين فما احرى مجتهدي فارس بأن يلقبوا بمرجحين او مخرجين او فقهاء مدققين

ثم ان بعض الناس دعوا المقلداً أحد المذاهب اذا اخذ في بعض الأحكام بمذهب آخر ملغفاً وسدوا اخذه تافيقاً واستعملوا لفظة تلفيق في مقام التلاعب في الدين او الترفيع القبيح والحال ان ماسمونه بالتلفيق ليس الا عين التقليد من كل الوجوه ولا بد لسلك من اجاز التقليد ان يميزه لانه اذا تأمل في القضية يجد الفاس هكذا يجب على كل مسلم عاجز عن الاستدعاء في مسألة دينية بنفسه ان يسأل عنها من اهل الذكراي يقلد فيها مجتهداً وكل مقلد عاجز ملغماً عن الترجيح بين مراتب المجتهدين فينته عليه بجوز له ان

عند في كل مائة سنة مرة واحدة

وما المانع على هذا الاعتبار من أن يتعلم كل مسألة من الطهارة والغسل
والوضوء والصلاة من عهد أو عهد تابع لمجاهد فإذا اغتسل بماء دون قلين لمقتضيه
قطرة خروا عنبرة طاهراً كما علمه عالم مالكي غسل بدون ذلك كما علمه عالم حنفي وبعد
حدث موجب توضاً ومسح شعرات من الرأس كما علمه عالم شافعي وصلى بعد خروج
دم قليل منه كما علمه عالم حنبلي صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علمه عالم زيدي
ووسائل الفرض بصلاة أخرى بدون خروج من الأولى كما علمه عالم جعفري أفلا
يكون هكذا المتبادر على صلاة تجزئة عند الله؟ بل بل تجزئة بالضرورة حتى لا يقوم
دليل على أن ذلك خلاف الأولى كما يقال في حق الخروج من الخلافات لأنه لا يمكن
أن يكلف هذا المتبادر بأخذ دينه من علم واحد لأن الصحابة رضي الله عنهم مع
اجتهادهم وتخالفاً لهم في الأحكام كان يصلي بعضهم خلف بعض مع حكم المؤتممين
بشيء حسب اجتهادهم بينهم صحة صلاة إمامه واشترائط صحة صلاة المؤتمم بصحة صلاة
الإمام وهل يتوهم من أن أبا حنيفة كان يمتنع أن يأنم بمسك أو يأنم أن يأكل
زبد جعفر كلال كانوا أجل قدراً من أن يحظر لهم هذا التعصب على بال و...
كان مخالفهم إلا من احتياط كل منهم لنفسه

ويوجد في كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الإمام أو الفقهاء المعروفين
بالمرجحين كل منهم كان مجتهداً لم يتقيد بمذهب إمامه تماماً وخالفه في كثير أو قليل من
الأحكام مخالفة اجتهاد بسبب اطلاع على أدلة مجتهد آخر أو التفتح عليه بما لم يفتح
به على إمامه ولأن الذين يلزم المسلم أن يتبع في كل مسألة منه الشارع لا الإمام وإن
يملك في مواقع الاجتهاد باجتهاده لا باجتهاد غيره وإن كان أفضل منه .

وهذا أبو حنيفة وإمامه رحمه الله تعالى كانوا أفضل من أن يعتقدوا في أنفسهم
الأفضلية على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومع ذلك خالفوها في كثير من الأحكام
الاجتهادية وفقهاء كل مذهب من المذاهب لم يزلوا إلى الآن يحوزون الاخذتارة
بقول الإمام ونارة قول أحد أصحابه مع أن ذلك هو عين التلويح فلماذا لا يحوز
الحنفية مثلاً التلقيح بن أقوال أبي حنيفة والشافعي وغيره وليس فيهم من يقول إن
أصحاب إمامهم أفضل من الشافعي ومالك وابن عباس فما هذا التفريق بلا فارق
وحكم يمسك الدان .

وقد نتج من التفريق بين المسامين والتشديد عليهم في دينهم ومصالحهم بدون موجب غير التعصب المخالفة لأمره تعالى (أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه). «مرحي» ثم ختم (المجتهد التبريزي) مقاله بقوله : «وليس مقامنا الآن مقام استيفاء لهذا البحث وإنما أوردت هذا المقدار منه بقصد بيان جواز التلقيق إذا كان عن غرض صحيح كما جوزه كثير من فقهاء كل المذاهب». ولا شك أن ضرورة التلقيق أهم من الضرورة التي لأجلها جوزه الفقهاء الحيل الشرعية مع أنها وصمة عار على الشرع حيث لا يمكن أن يقال مثلاً أن الشفعة مشروعة دفعاً للضرر عن الشريك أو الجار ولكن يجوز هذا الإضرار للمحتاج. أو أن الربا حرام ولكن إذا أضيف للقرض ثمن مبيع خسيس بنفيس جاز استباحة مقصد الربا. أو أن إيتاء الزكاة فرض ولكن إذا أخرج رب المال ماله قبل الحول ثم استعاده سقطت عنه — إلى غير ذلك من إبطال الشرع وجعل التكليف تخيراً والتقييد إطلاقاً. ولا حجة لهم في هذا غير ما رخص الله به لايوب عليه السلام من التوصل للبر باليمين في قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تخش) وما أبعد القياس بين الحث وبين إبطال الشرع. ولا شك أن المسلمين بذلك صاروا كأنهم لا شرع لهم وقد غضب الله على اليهود لتجيلهم على صيد السبت فقط ونحن نجوز ألف حيلة منها بضرورة وبلا ضرورة.

بناءً عليه من الحكمة أن نلتزم للضرورات أحكاماً اجتهادية فيأمر بها الإمام إن وجد والا فالسلطان ليرفع الخلاف فتعمل بها الأمة ما دام المقتضي باقياً فإذا ألجأ الزمان إلى تبديلها بقول اجتهادي آخر فكذلك يأمر به الإمام أو السلطان رفعاً للخلاف «ويمثل هذا التدبير الذي لا بأهأ شرعاً ولا تنافية الحكمة بتلك الحيل المعطلة للشرع المسلمة لترقيعات كل فقيه ومتفقه أحكاماً شرعية إيجابية لا يرفع فيها ونحو ذلك بسلام شرعاً من التلاعب والتضارب ويخلص القضاء والإفتاء من التوفيق على الأهواء وحينئذ يحقق أن الخلاف في الفروع رحمة. والحاصل أنه يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصب لمذهب دون آخر فيكون سعيهم هذا منتجاً للتأليف وجمع الكلمة في الأمة

قال (الاستاذ الرئيس) أنا نشكر أخانا المجتهد التبريزي على بيانه لنا حالة اخواننا أهل فارس وعلى غيرته للدين وقصده التأليف بين المسلمين أما تقريره بخصوص أن حكم الإمام أن وجد والا فالسلطان يرفع الخلاف وبخصوص أن التلقيق هو عين

التقليد فتقرير يحتاج الى نظر وفريق وستقوم بمثل هذه التدقيقات في المسائل المذكورة
التي بحث فيها الاخوان الكرام الجمعية الدائمة التي ستشكل ان شاء الله . واليوم قد
قرب وقت الظهر وان اوان الانصراف

باب الاخبار والاراء

(رمضان - المنكرات فيه) هم شهر الصيام ، والتلاوة والقيام ، والاقبال على الله ،
والاعراض بقدر الامكان عن سواه ، وان تأثير ما يظهر في جميع بلاد المسلمين بترك معاهد
انه هو والكوف في المساجد وتغيير مادات الا ان هذا التأثير في هذه المدينة (القاهرة) اضعف
منه في ارب بلاد الاسلام فيما أعلم الخ لا ما تنشر به من كثرة المرتان للقرآن في البيوت
تري اكابر العلماء في غير القطر المصري قد اتدبوا فيه اقراءة الدروس الدينية وإلقاء
المواعظ المؤثرة منتشرين في المساجد وتري مساجد القاهرة التي عدد علمائها يزيد على
عدد العلماء في كل مدينة . واما خلة باسم الاقوال كالمسجد الحسيني والمسجد
الزمني . واكثر من يتصدى لادارة المساجد الذين يعرفون الاس الالمانى ويقصرون
عناهم انقص الخرافية والاساطير الوهمية . وفي كل سنة نذكر الشيخ عاب اليزيدوي
شيخ المسجد الحسيني بوجوب منع هؤلاء القداميين منه وامله يقول في هذا العام
يقول شيخ الأزهر في المسجد الزماني لا يادن لأحد بالوعظ فيه الا اذا وثق بعلمه
اذا كانت معاهد العلم والإرشاد ليست عامرة في القاهرة فلا تعجب اذا عمرت
معاهد اللهو والفسق حتى في رمضان فقد اطلعتنا منذ أيام على (إعلان) ياتر في
الطريق والشوارع فاذا فيه أن زعماء من زعماء الملاحية قد استحضروا غنية شهيرة تورا قصة
اربعة الاجل احياهم اليه زمان النصف . ولما ولوا في عدد هؤلاء النعمان الجفرايين
الذين يحربون بيوسهم بأيديهم ايمروا ببيت أعدائهم بعية من البيرة المليحة والشهامة
الاسلامية لكافوا هذا المستهين بهم والمستهزي بدينهم بالاعراض على قنيتهم ورائحتهم
وان لم يتوبوا عن الفسق توبة نصوحا

الجرائد ورمضان - أو - المنار والمنارات

سمعتنا من بعض أصحاب الجرائد المنتشرة الشكوى من يحل رمضان عليهم وهو
أبسط الشهور في الاتفاق بدا ، واكثرهم في التوسع مددا ، ولكن هذا البسط هو
السبب في ذلك القبض أعني قبض الأيدي عن دفع اشتراك الجرائد لأن الناس
يحبون الاتفاق في رمضان على المآدب لا على الآداب وفي القرابات الدينية ، لافي

الكرات السياسية ، ولهذا لم يكن النار من الشاكرين ، وإنما هو من الشاكرين .
 لأن حظه في رمضان كحظ أخواته منارات المساجد كما أن وظيفته كوظيفته . كل منهما
 وضع لدعوة المساجدين إلى الصلاة والصيام ، وكل منهما يزيد مدده في هذه الأيام ،
 أما المنارة فمددها الزيت والقناديل ، وأما المنارة فمدده الدراهم والدنانير ، وحق المنارة
 أكد وأثبت من حق المنارة لأن دعوتها عامة تشمل الغنائم والأخلاق ، ودعوتها
 خاصة بالصلاة والصوم ، ودعوتها باسمها الألف ، ودعوتها باسمها تفر قليل ، ودعوتها
 مؤيدة بالبرهان ، ودعوتها تذكير مجرد لأهل الإذعان ، ودعوتها متوقفة على مدد القراء ،
 ودعوتها لا تتوقف على الزيت ولا الكهرباء . ولهذا كان إمدادها هذا متقدماً عند
 المتورعين ، وترك إمداده متقدماً عند المتدينين ، وقد سبق إلى العمل بهذا الحكم
 أهل المنصورة والسنبلاوين ، وستتلوهم اليوم وشيخنا ، اللهم آمين

(بدعة جديدة في مسجد جديد) جدد ديوان الأوقاف مسجداً من المساجد المدعومة
 في اليوم وقد احتفلوا بافتتاحه في يوم الجمعة الماضية بالصلاة فيه وكان الاحتفال بعد الصلاة
 وسماع خطبة الخطيب الخرافية التي مدح وأضاعها فيها المسجد مدحاً استبطله من
 خروجه . وبالله كيف يرضى المسلمون بأن يقول خطبائهم مثل هذا الكلام اللغو
 الذي أمر الله تعالى بالأعراض عنه كما أمر بالاسماع للخطبة حتى أن حاضر مثل هذه
 الخطبة لا يدري أهو مطالب بأن يكون ممن قال الله تعالى فيهم « والذين هم عن اللغو
 معرضون » وقال فيهم « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » أم هو مطالب بأنه مثل قوله
 عز وجل « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا » على قول المفسرين أنها نزلت
 في الخطبة ؟ أما كون ذلك من اللغو فبغيره العامي إذا لاحظ أن كل حرف يكون مبدأ
 كلمات تدل على معاني شريفة وكلمات تدل على معاني خبيثة فالأول حرف من
 كلمة الدين والدعاء والدراية وكذلك هو أول حرف من كلمة الدنس والدناءة والدعارة
 ثم قام خطيب الاحتفال بعد الصلاة وقال « أفتتح المسجد باسم الحديو » الخ ثم مضى
 في كلامه والناس تصفق له لا سيما عند ذكر الأمير حتى كأنهم انقلبوا عن الإسلام إلى
 عبادة الجاهلية التي نزل فيها قوله تعالى « وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدي
 فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » والتصدي هي التصفيق . فليعلم الغافلون أن
 بيوت الله تفتتح باسم الله والخشوع له وتجنب فيها عبادات الجاهلية ، وبدع المدنية .
 فمن كان مخلصاً لسلطانها وأميرها فليدع الله تعالى فيها بأن يصالح شؤونهما ويوفقهما لما فيه
 خير الملة والامة وإعلم أنها بيوت يستوي فيها المأمور والأمير . في الخشوع لله العلي الكبير

(استشارة في أمر ذي بال) رأى القراء في آراءه من مباحث حميدة أم
انقرى في الاجتماعات الستة أن كل ما ذكره أعضاءها من أسباب فتور المسلمين وضعفهم
يرجع إلى الدين والشؤون الاجتماعية والسياسة العامة . وفي الاجتماع السابع الآتي
تفصيل أسباب الفتور في سياسة الدولة العثمانية وإدارتها وهي عشرون سبباً
وقد كنا ذكرنا عند التنويه بسجل الجمعية وذكر المزمع على نشره في انوار أن
ما فيه من القول بسينات الدولة العلية يؤلم أكثر القارئ وأننا نختار حذفه عند
الوصول إليه . ولكن رأينا كثيراً من الناس يشند هذا الرأي ويقول إن قراء المنار
كلهم أو جلهم من خواص الناس وأهل الفضل الذين يزيدهم العلم بميوب دولتهم
حرصاً على بقائها وسعيّاً في إصلاح حالها أن استطاعوا فيجب أن لا يجرموا من الاطلاع
على الآراء والمباحث التي دونت في سجل الجمعية . فلم يبق لنا هذا القول تمام الإقناع
وأحياناً أن نستشير قراء المنار الآخرين ممن كان يرى نشر السجل برمته وذكر كل
ما فيه عن الدولة والترك نفسه سكرته دليلاً على رأيه . ومن كان يرى وجوب حذف
ما ينفذ على الدولة فعليه أن يذكر لنا رأيه قولاً أو كتابة وإننا نرجح هذا الرأي إذا كان
عائده عشر المشتركين ولا يصح لمن يسكت قبل النشر أن يلوم بعده

(أشهر مشاهير الإسلام) صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب في سيرة سيدنا عمر بن
الخطاب (رضي الله تعالى عنه) وفيه أبواب من العبرة واسعة ، ومباحث في التاريخ
والسياسة الإسلامية نافعة ، منها بحث : حكم الإسلام في المسيحيين وحكم الأوربيين
في المسلمين ، ومنه يعلم أي الفريقين أعدل . وبحث الردة وحقيقتها . وبحث كون
دمشق كانت قاعده الفسائيين أو كون سوريا كانت وطنهم . وبحث شجاعة المسلمين
ومساعدتهم نرجس في الفروج . وبحث الحكم الديني والشورى في الإسلام . وبحث
الاستعمار . وأبحاث تدوين الدواوين وترتيب العمال وضرب النقود ووضع البريد
والحكومة العسكرية والحكومة القانونية وبيت المال وغير ذلك مما يؤخذ من سياسة سيدنا
مرويسيرة العادلة التي تضرب الأمم بها الأمثال ناهيك بذكر الوقائع والفتوح والقضاء .
وإننا نشكو من كثرة اغلاط الطبع فيه ولكننا وافقون على سببه وهو أن معظم الكتاب
طبع ومؤلفه (رفيق بك المعظم) غائب في الشام ولما علم منع إصداره حتى استخرج له
جدولاً أحصى فيه الاغلاط والحقبة ولولا ذلك لصدر من بضعة أشهر . وصفحاته
تزيد على ٣٠٠ ونتمه ١٠ قروش صحيحة وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من إدارة مجلة
المنار بمصر ومن الكتاب المشهورة

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
نذكر إلا ألو الالباب

المجلة

١٣١٥

فيقول عبادي الذين يستمعون القول
فيقيمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر الثلاثاء في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٠ — ١٦ ديسمبر (٣ كانون اول) سنة ١٩٠٢)

سيرة الانعام . ومسير الاسلام

كتب الباحثون من أهل اوربا مقالات كثيرة في مستقبل الاسلام في القرون العشرين تخاضوا فيه من الجهة الدينية والجهة الاجتماعية والجهة السياسية حتى ضربوا في كل فج ، وهاموا في كل واد ، فمن زاعم ان المساعدين سائرون الى العدم والافتراض لانهم اعداء المدنية الحديثة القائم بناؤها على سنن الكون ونواميسه التي لا تبدل ولا تتحول فهم بذلك اعداء الوجود ومن عادي الوجود فالعدم أولى به . ومن قائل ان هذه الامة الكبيرة لا تنقرض كما انقرض هنود امريكا لانهم أرقى منهم بما سبق لهم من المدنية ولكن يزول سلطانهم فلا تبقى لهم حكومة فتخطفهم الأمم القوية ويمشون أذلاء مستضعفين ، اني أبدأ الآبدن ، ومن ذاهب الى أنهم سينفضون ، ومن يمد عليهم سيفليون ، وأختلف هذا الفريق في

هذه النهضة كيف تكون وأين توجد . فظهر بعضهم أن ستكون بالآخذ
بمدنية أوروبا وتنشأ في الهند ، فارس والاسمانه ومصر ورجح بعض أنها
تكون بالمصيبة الدينية والقوة الحربية وتنشأ في افريقيا او الصين . وعقل
كل من المختلفين عن منبتين آخرين لمجد الاسلام المستقبل وهما أوروبا
وأمریکا اذا أسرع بهما العلم ونظام الاجتماع الى الاسلام ، الذي لا بد
أن تنتهي تلك الأمم اليه في يوم من الايام ، أو جزيرة العرب اذا أبطأ
بهما سير العرفان ، وسنن العمران ، فظالت أوروبا تطارد المسلمين وتضطهدهم
حتى يارز الاسلام برجالاته المحنكين الى جزيرة العرب كما تارز الحية الى
جحرها ومن ثم ينفثون سموم التعصب في الشرق كله فما ينظر الأوربيون
فيه إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون

أراني عجبت برأي قبل التمهيد له وذكرت نتيجة لمقدمات مطوية
ودلائل خفية ، فلا غرو أن ينكرها علي المسلمون ، قبل أن يمر بها
الأوربيون ، الا من بعد نظره ، وغاص في أعماق المسألة فكره ، فلتترك
المنكر في انكاره ، واتسار التفكير في أفكاره ، باحثين معه في مسير الانام ،
ومستقبل الاسلام ،

أين تذهب الأمم المتقدمة دائماً الى الأمام ، والى اي غاية ينتهي
سير هؤلاء الاقوام ، وهل تزداد الشعوب المتقدمة تقدماً ، وتزداد الشعوب
المتخلفة تخلفاً ، وتزداد الأمم الحية حياة والماتة موتاً ، حتى تكون الثانية غذاء
للاولى كما قال اللورد سالسبوري سياسي انكلترا الكبير ؟

هل تبقى هذه المدنية الاوربية مادية حيوانية تبيح الفحشاء والمنكر ،
وهل يحرف سيلها ما في بلاد الاسلام من بقايا الفقه والصيانة والتراحم

والثواب حتى لا يبقى للمسلمين -- وقد أخلقت فيهم اخلاق العمران -

من الصفات ما يستحقون به رحمة الله تعالى فيكونوا من الهالكين؟

هل تظل أوروبا تواب الدين كلما قلت حاجة السياسة اليه ، وعذبت

الملوم السكونية عليه ، وهل يكون حظ الاسلام عند المتعلمين الآتين ،

بحظ النصرانية عند المتعلمين الحاضرين والقابرين ، يتساوون منه لو اذا ،

ويعرقون منه زرافات وافداذا ؟

هل تثبت المدينة المصرية في ارض الاسلام كما نبتت في المغرب

وتنمو كما نمت وتثمر كما اثمرت سواء بسواء فيرجع المسلم التهقري الى القرن

السادس عشر الميلادي فيبتدى منه ؟ أم يكون اول سيره من نهاية

القرن التاسع عشر فتكون مدينته اسرع واعجل ، ومعارفه أتم واكمل ؟

“ اذا اراد الناظر ان يستنبط الجواب من سيرة المسلمين الذين ولوا

وجوههم شطر المدينة ، وانفوا هذا اللامح من الملوم الاوربية ، لا يسه

الا ان يقول : ان حال هذه المدينة ستكون (او هي كائنة منذ اليوم)

دون حال الاوربيين وانهم سينبذون الاسلام باسرع مما نبذ اولئك

النصرانية لان رؤساء الدين في النصرانية دولة لها في كل فرقة رئيس عام ،

وموظفون يسيرون بقانون ونظام ، وهم مستقلون في ذلك عن الحكام ،

ولذلك تيسر لهم محاربة العلم زمناً طويلاً ولما دالت العلم الدولة وفاز بالنصر

سالموه واستعانوا به على حفظ الدين حتى ان أزمة المدارس اصبحت في

أيديهم فلم يتركوا مدرسة بدون كنيسة . ومن عجزوا عن إقناعه بقضايا الدين

والزامه بالعمل به والدعوة اليه لا يعجزون عن إقناعه باحترامه والدفاع

عنه باعتبار أنه رابطة للجنسية ولا يزال لهم من السلطان في الانبياء المسيحية

حتى اكفرها بالدين كفرنا ما يخيف الحكام منهم فيضطهدونهم . وليس للمسلمين مثل هذه الرياسة المنتظمة في فرقة من الفرق ولا في قطر من الاقطار وما عند الشيعة من المجتهدين ليس لهم من النظام والثروة ما للأكليروس عند النصارى ولا يرجى منهم مثلكا كان من اولئك

ترعى رئيس علماء الدين في مصر — وان لقبوه بشيخ الاسلام — لا يرجع اليه بشيء من أمور المسلمين ولا يستشار في كيفية تعاليمهم وتربيتهم وليس له سلطان ما على اوقافهم الخيرية ، ولا إشراف على أعمالهم الاجتماعية ، وكذلك شيخ الاسلام الرسمي في دار السلطنة العثمانية لا وظيفة له الا تعيين القضاة والمفتين وعزلهم فهو موظف تحكم عليه السياسة ويعزله السلطان متى شاء . وليس له من الاستقلال في عمله مثلكا لرؤساء الديانة النصرانية على ان عمله للحكومة لا للامة . واكبر من هذا كله ان رجال الدين الاسلامي لا يعهد اليهم بشيء يستقلون به دون الحكومة ولا خدمة المساجد فالحاكم السياسي هو الذي يجعل امام الصلاة اماماً وخطيب الجمعة أو الحج خطيباً فهو عند المسلمين رئيس ديني مستقل وان شرع لحكومته غير ما شرع الله ، وصار يحكم بين المسلمين باسمه دون اسم الله : : : .

يقول الناظر : اذا كان حال الحكام المسلمين ما نرى من البعد عن الدين وصاروا كما قال الله تعالى « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » . واذا كان المسلمون على هذا راضين عنهم وخاضعين لهم مع علمهم بأنهم إمام خاضعين للأجانب إماماً ظاهراً وباطناً وإماماً باطنياً فقط . وإذا كان علماء الدين لا يرجع اليهم شيء من سير الامة الاجتماعية والاعمال ولا هم يشهدون لثبوت من أنفسهم ويعملون الامة مضطرة الى الرجوع اليهم

والاعتماد في تربيتها عليهم . واذا كان المتعلمون على الطريقة الاوربية من المصريين والأتراك كثيراً ما يندبون الدين ظريفاً ، ومحسوبونه شيئاً فرياً ، ويستحلون الخمر ، ويستمرعون سرعى الفجور ، ويفضلون الظلمة على النور ، واذا كان هؤلاء المتعلمون هم الذين يتولون الاحكام ، ويأخذون من الامة بكل زمام ، واذا كان الناس على دين ملوكهم . والرعايا تبعاً لحكامهم . وناموس الاجتماع قاض بتقليد الناس لامرائهم وكبرائهم . أفلا يحق لنا ان نحكم بأن المسلمين سيكونون أسرع في ترك دينهم ممن سبقهم . فان كان الجهاد بين العلم والدين في اوربامدة خمسة قرون قد أنجم بقاء الدين في نمو ، وساططانه في نفوذ وعلو ، فلا يمتضي على المسلمين قرن أو قرنان ، الا وهو في خبر كان ، واذا لاحظنا انه ليس للمسلمين جنسية ولا وطنية تقوم مقام الرابطة الدينية . وأن الذين أحبوا الامتياز فيهم والانتفاع منهم بدعوتهم الى « الوطنية » لم ينجحوا لان تأثير الدين لم يعمل لهم تأثيراً بل عداهم الذين يفهمون حكم الاسلام وأسراره أعداء الاسلام وان كانت اسمائهم اسماء المسلمين - فلنا ان نحكم بأن المسلمين سيفقدون بانحلال الرابطة الدينية كل استقلال ، ويكون مصيرهم الى الزوال ، فلا تفيدهم سعة البلاد ، ولا كثرة التعداد ، إذ لا كثرة مع فقد الرابط العام ، كما لا يكون المقدر بغير نظام .

هذا ما يقول الناظر باحدى عينيهِ ، الى ما بين يديه ، واعني باحدى العينين العين التي تنظر الى السوءى دون الحسنى والى منافذ الخوف دون ابواب الرجاء . واعني بما بين اليدين الظاهر الشائع من حال الامم دون الخفي الذي لا يرى الا بالتحديق ، وبنفوذ اشعة البصر من الحجاب الصفيق ،

فان كل انسان يدرك ما يشاهده ويمر به ما هو مستعد لإدراكه
وينبو طرفه عما سواه ون كان وانحاجاً جلياً . فما بالك اذا كانت ما يعلو
استعداد الناظر الخبير خفياً سرده ، مجهولاً عند امره ،

إن سیر الامم يشبه سیر الظل لا تعد له الخدوات ، وانتقالها يحاكي
انتقال النجوم السيارة لا يندركه لا وتدفقت ، ولولا يد يمد إذا انكر سیر
الظل وجزم بأنه واقف لأنه لا يرى حركته . والجاهل بعلم الفلك يمد إذا
انكر بديان السيارات فيرى من انحراب الى انحراف لأنه يراها تنيب في
جانب الذرب فهو يرى أثر حركة الأرض لأنه قريب يكور كل يوم ولا
يلحظ . بب تأخر . لم يترك كل الله انضالا عن غيره من السيارات .
كذلك يمد الماخذ في جاء يدس . صفت فيها على الحذات والواخير إذا
قال ان غاية مدينة أوربا ان تكون من المجاور ولا غاية أوربا . ويمد
كليل النظر اذا جاء مصر . رأت من كل شيء . دن ما كان يسمع اذا حكم
على مستقبلها بضد ما كان يتكلم به . وهو يمد عنها ويتأس من مستقبل
الاسلام بالنسبة إليها

يمد باليأس اذا دخل الازهر فرأه كالم الخيال لا أثر لحال الناس
في علمه ولا أثر لعلمه فيما عليه الناس في سيرهم ورأى أن الآثار القلمية
التي تصدر عن مصر ليست منه في شيء ولا هي مرضية في الغالب
عند أهله وإنما جل علمهم مناقشة في أساليب المؤلفين وتدقيق في تحليل
عبارات كتب مخصوصة اختاروا تدريسها . ثم رأى أن أهله غير محترمين
عند طبقة من طبقات الأمة حتى ان الحوزي (سائق المركبة) ليسخر
من المجاور في الازهر ومن العالم أيضاً إلا بعض الوجهاء الذين يحترمون

لنصابهم التي بقيت لهم او اثروتهم وقليل ما هم
 ويمذره إذا غادر الازهر الى المدارس فرأى فيها العناية باللغة
 الانكليزية، أضعاف العناية باللغة العربية، ورأى التلامذة يتلقون تاريخ
 الدين، عن المدرسين الاوربيين، ورأى علم الدين كالرسم الدارس، لا
 يحفل به المدرس ولا الدارس، ووطن لذلك أن الانكليزية سوف تستبدل بالعربية
 ويعذره إذا شاهد الجريدة الهزلية البدئية تطبع منها الوف من النسخ
 فتباع بالنقد يدأيد ويتهافت عليها القارئون والناشرات من جميع الطبقات،
 يلقون بها مقهقهين ولا ميثار للفقه، والكركرة، ولا للإلهاس والمهرنفة، ثم
 يرى قراء المجلات العلمية والتهذيبية على قوائمهم يملكون ويطلون ولا يخرج منهم
 حقها الانكده. ويعذره إذا لاحظ حال تلامذة المدارس وبلا أخبارهم،
 واكتشف ضمايرهم وأسرارهم، فرأى أكثرهم مشغولين بالسفاسف فاسدي
 التريية قصيري الآمال لا هم لأخدم إلا أن يكون موظفا في الحكومة لا
 ليرفع شأن أمته ولا ليعلم مصلحة بلاده ولكن ليكون رزقه مضمونا فلا
 يشكف عناء الاعمال، وان كان وراءها نعيم الاستقلال، - ويعذره إذا
 رأى الاغنياء والوجهاء لا هم لهم الا التمتع بالذات تنبسط أيديهم في
 الإسراف والمخيلة، وتنقبض عن الاعمال الجليلة

ويكون أعذر باليأس والفتنوط إذا رفع بصره الى الحكام والامراء
 ورآهم الهوبة في أيدي الاجانب. وقد أخذتهم الفتن من كل جانب
 هذا ما يراه الطرف القصير، والبصر الحسير، ويبنى عليه حكمه الجائر
 واكن الاسلام يسير من وراء مدي طرفة سيرا طبيعيا، ويتقدم تقدما
 تدريجيا، يسير بلغته وعلومه سير الظل الوارف وينتقل انتقال الكواكب

من الغرب الى الشرق في الباطن ومن الشرق الى الغرب في الظاهر بل كل واحد من الخافقين يسير نحو الآخر كلما خطا المسلم الى المدينة الاوربية المسرفة خطوة خطا مثلها الاوربي الى الاسلام أو أبعد منها وأقرب ولا ندري وهما في مبدأ السير أيهما يكون الاسبق الى تحكيم الاسلام في هذه المدينة المسرفة المائلة ليرجمها الى الاعتدال الذي هو غاية الكمال الممكن ولكننا نعلم أن التلاقي هو نتيجة هذا التقرب المستمر وإن ذلك لواقع ماله من دافع .



ندع الكلام الان في الحركة الاسلامية العامة الى التقدم في كل قطر من الاقطار وتقرب الشعوب المسلمة بعضها الى بعض ونداء الشيعي والسني السنّي والمتنزه الى الاصلاح وفي امتداد هذا النداء وتأثيره . وفي الجمعيات الاسلامية وفي ترقى لغة الدين (العربية) ونقدمها السريع من غير نصير من الحكومات الاسلامية أو الجمعيات العلمية -- ندع هذا فرصة أخرى ونقول كلمة وجيزة في تقرب أوربا الى الاسلام بطبيعة العلم والعمران فها الان هذا أغرب عند أكثر القارئ من الاول .

كانت أوربا في القرون الماضية تنفقد أن الاسلام دين وحي نشأ بالسلب والنهب والاعتداء وإباحة الفواحش والمنكرات وأن أهله قوم متوحشون يتقربون الى أصنامهم وأوثانهم بسفك الدماء وكانوا يذنون على هذا الاعتقاد أنه يجب على أوربا السعي باستعبادهم أو محوهم من بلادهم ليسلم سائر الناس من شرورهم . والشواهد على هذا كثيرة في كتبهم فعندهم كتب كثيرة مؤلفة في سوء حال الاسلام والمسلمين ألفها القسيسون والسياسيون لتنفير الشعوب الأوربية من العالم الاسلامي حتى أنهم ترجعوا

القرآن الحكيم ترجمة مبدلة محرفة بل القوا كتباً وضعية منها ترجمة للقرآن لو قرأ المسلم منها ما سموه سورة الفاتحة (وهي التي لا يجهلها مسلم) ولم يذكر له ان هذا ترجمة القرآن لما خطر في باله القرآن عند قراءتها مطلقاً لانه ليس فيها معنى جملة واحدة من جمل الفاتحة الشريفة . ولو شئت أن أسرد الشواهد من كلام الاوربيين في ذم الاسلام ، ونيبه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، لأحتجت الى تأليف مستقل . وأهون وصف وصفه به الفيلسوف رنان الفرنسي ^(١) في كتابه (ابن رشد) قوله فيه « دين الخنازير أو القوم المنهمكين في الشهوات » ومن التحريض عليه تلك الكلمة الخبيثة التي جاءت في مقال للدوسيو هانوتو وهي الاقتراح على فرنسا بان تهدم الكعبة المشرفة وتنقل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى قصر اللوفر في باريس . ومن أراد الزيادة على ذلك فليقرأ كتاب (الاسلام) للكونت هنري دي كاستري الذي عربه احمد فتحي بك زغلول وطبع بمصر سنة ١٣١٥

هذه إشارة الى اعتقاد أوربا في الاسلام وقولها فيه وأما العمل فما زال الاوربيون يسومون المسلمين الخسف في كل بلاد لهم استولت عليها دول أوربا حتى خفت انكثرا ثم روسيا وطانها عنهم من عهد قريب فازنت روسيا لهم بطبع المصاحف وكتب الدين وأعطتهم شيئاً من الحرية يتمتعون به الآن وكان ممن سعى بذلك لدى القيصر السيد جمال الدين الافغاني (رحمه الله تعالى) . وهذه انكثرا التي كانت ولا تزال أبعد أمم أوربا

(١) هذا هو رنان وهذا كتابه الذي اعتمدت عليه مجلة الجامعة في ترجمة ابن رشد فيلسوف الاسلام العظيم . فهل يوثق بقول متعصب على الاسلام هذا التعصب المشوه في أمر ما يتعلق بالاسلام او تاريخ رجاله العظام ؟

وحكوماتها عن التعصب وأقربهن إلى التسامح كانت قاعدة الوظائف عندها في الهند أنه تكون للإنكليزي والإوربي فالوثني فالمسلم فما كان يوظف مسلم إلا إذا لم يقبل الوظيفة التي يتولاها أحد من هؤلاء

انقلبت الحال بعد هذا في الاعتقاد وفي القول والعمل وفي السياسة فقد أقبل المدد الكثير من الأوربيين على دراسة لغة القرآن وعلوم الإسلام فظهر لهم فضل هذا الدين في الجملة وأنفقوا كتباً كثيرة في فضله وصار أكثر الباحثين فيه يمتدنون بأن نبيّه كان يدعو إلى هذا الدين معتقداً بأنه ملهم من الله وهو يؤيد من لدنه سبحانه وتعالى وأن ما جاء به إصلاح عظيم للبشر عقائده نافعة وأخلاقه محمودة وشريعته عادلة . ثم إن منهم من اجتهد في كشف الشبهات التي يوردها علماءهم على الإسلام وهي منه حقيقة كإباحة تعدد الزوجات بشرطها والرخصة في الطلاق والجهاد . وإن لبعضهم من الأجوبة عن هذه الأمور المتقدمة في نظر قوتهم أشد الانتقاد مالا تجد مثله لعالم من علماء المسلمين . وقد قام بعض القسيسين منهم بمحاول الجمع بين الديانتين كاسحق طيلر الذي نشرنا بعض خطبه ومقالاته من قبل

لم يقف التحول عند حد اعتقاد بعض الباحثين وأقوال بعض المؤلفين بل قصفت طييمة الاجتماع بالعمل ببعض ذلك ومخالفة دينهم إليه لأنه ظهر لهم أنه ضرورة لا بد منها وذلك كالطلاق الذي صار مشروعاً عندهم وشائعاً فيهم . وكذلك ظهرت فيهم بوادر الحاجة إلى تعدد الزوجات حتى قام من الكتابات من يدعو إليه في الجرائد (راجع مقالة « الرجال والنساء » ص ٤٨١ م ٤) وكأنك بهم وقد عادوا إلى ذلك بعد حين وسيجدون في الإسلام الطريقة المثلى لحل المشكلة الاجتماعية الكبرى التي من آثارها الفوضوية

والاشتراكية وتعصب المال الذي تفاقم خطبه في هذه الأيام
ان ما كشفه العلم في الخلق والتكوين يوافق ما ينطق به القرآن. ان
الآيات الكونية التي يفصلها القرآن في اثبات الالهية هي أقرب الى العلم
الحاضر والفلسفة الحاضرة منها الى فلسفة اليونان. ان الوحي الذي يطالب
القرآن بالايان يمكن ان يقبله حتى العالم المادي من غير حاجة الى إبطال
مسئلة ثابتة من مسائل علمه أو فلسفته. ان الاخلاق التي يدعو اليها
القرآن هي أخلاق الاجتماع والعمران، والعزة والسلطان، ان أصول
الأحكام والشرائع السياسية والمدنية والقضائية والحربية في الإسلام منطبقة
على ما ثبتت فائدته للأمم الغربية وفيها لم يصلوا اليه، ولو عرفوه لعولوا عليه،
ان اسكل داء من أدواء العمران وكل مرض من أمراض الاجتماع البشري
دواء شافياً في القرآن يعرف ذلك الراسخون في فقه القرآن من علماء
الاجتماع. وان من هذه الادوية ما ينفع بدين الايمان ومنها ما لا يتم الا
به كدواء الزكاة لأدواء المسألة الاجتماعية الكبرى كما قال تعالى « ونزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للؤمنين، وان المدنية الكاملة التي تسير اليها الأمم
الرافية لا تكون الا بدين يجمع هذه الاصول الإلئية التي أجهلناها الان »
وقد جاء في المنار بعض التفصيل لها وسنزيدها تفصيلاً اذا أمهلنا الزمان
ان المسلمين الاولين أخذوا هذه الاصول بالايان والتسليم فأسرعت
اليهم بالسيادة والسعادة والمكن لم يلبث العلم بها أن ذهب وحل محله التقليد
الأعشى فتركوا الأخذ بحكمة القرآن الى أقول مقلديهم ولا غناء فيها عن كتاب
الله تعالى فجهلوا في مجموعهم فقه هذه الاصول وزادوا عليها لايضاحها ما
أخفاها فساروا الى الوراء، يخبطون خبط العشواء، ولما تكمل مبدئيتهم،

الأتري مقلديهم في العقائد كيف تركوا في العلم الإلهي طريق القرآن، إلى نظريات
أنيوان تأثراً بذلك الزمان، ألا ترى مقلديهم في السياسة والأحكام كيف تركوا
أصول القرآن وما يوضحها من السنة وأستبدوا بالعمل، ألا ترى الأمة بين هؤلاء
الرؤساء، ومن الملوك والعلماء، قد فقدت الاستقلال الاجتماعي وعمومات
معاملة السوائم من الانعام، هذا هو سبب ضياع أثر تلك الأصول في
سبيل الوصول إلى المدنية الكاملة

الأوربيون يسرون الآن إلى الاسلام من طريقه فقد بدأوا بالبحث
في الآفاق فعرفوا من آيات الله فيها ما لم يعرفه الاسم من قبلهم وثنوا
بالبحث في أنفسهم فاهتدوا إلى كثير من سنن الله تعالى في قواها وفي
عمامها الحيوي والاجتماعي، ثم أنهم يقرنون العلم دائماً بالعلم بل لا يحل عندهم
إلا ما أيده التجربة العملية، وكل ما علموه كان مقرباً من القرآن فما علموه
إلا أن يفهموه وقد أنشأوا في هذه السنين يدرسون لغته ويدرسون بفقوة
واجتهاد وقام فيهم من أنفسهم دعة إليه وقد كاد يأتي فيهم تأويل قوله تعالى
« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

أما نحن المسلمين فأننا نمتزف بالتقليد أنه الحق وانكسنا تركنا من
عدة قرون البحث في الآفاق، في أنفسنا الذي علق عليه كتابنا بين الحق والآن
توجه الكثيرون منا إلى علم الآفاق وعلم النفس تقليداً للذين سبقونا فإذا
ضللنا في هذا السير الجديد قلنا تقدم من بدلتهم فترك الدين وآدابنا وليس
عندنا شيء يقوم مقامه كما كان عندنا فنكون من الخاسرين ويكونوا
« السابقين إلى الاسلام » فلا يزالون يفتنون عليه ونحن مدبرون عنه إلى أن
يصلوا بحشهم واجتهادهم إلى الحق ونحن عشرة في طريقهم وعند ذلك نرجع

باب الأسر والجهود

(تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) مصطفى أفندي رشدي المورلي بالقازيق : ما هي الحكمة في تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما أباحه القرآن الشريف لاسر المؤمنين وهو الزوج بأجمع فما دونها وتعين الواحدة عند خوف الخروج عن العدل ؟

(ج) إن الحكمة العامة في الزيادة على الواحدة في سن السكولة والقيام بأعباء الرسالة والاشتغال بسياسة البشر ومدافعة المعتدين دون سن الشباب وراحة البال في السياسة الرشيدة . فلما خديجة وهي الزوج الأولى فالحكمة في اختيارها ورأيتها الفطرة معروفة وليست من موضوع السؤال . وقد عقدت بعد وفاتها على سودة بنت زمعة وكان توفي زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية . والحكمة في اختيارها أنها من المؤمنات المهاجرات الهاجرات لأهلين خوفاً للفتنة ولأنها أتت إلى أهلها بعد وفاة زوجها (وكان ابن عمها) لمذبوها وقتلها فكفلها عليه الصلاة والسلام وكافأها بهذه المنة العظمى . ثم بعد شهر عقدت على عائشة بنت الصديق والحكمة في ذلك كالحكمة في الزوج بحفصة بنت عمر بعد وفاة زوجها خنيس بن حذافة بيدر وهي أكرام صاحبيه ووزيره أبي بكر وعمر (رضي الله عنهم) وأقرار عينهما بهذا الشرف العظيم . وأما الزوج زينب بنت جحش فالحكمة فيه تملو كل حكمة وهي إبطال تلك البدع الجاهلية التي كانت لا حقة ببدة النبي كتحریم الزوج بوجه المتبن بعد موغير ذلك . وقد نشر في المجلد الثالث من المنار مقالان في هذه المسئلة أحدهما للأستاذ الامام فليزاجهم

السائل هناك . ويقرب من هذه الحكمة المحكمة في التزوج بجويرة وهي برة بنت الحارث سيد قومه بني المصطلق فقد كان المسلمون أسروا من قومها مئتي بيت بالنساء والذراري فأراد عليه الصلاة والسلام أن يتق المسلمون هؤلاء الأسرى فتزوج بسيدتهم فقال الصحابة عليهم الراضون أضحار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي أسرهم واعتقوهم فأسلم بنو المصطلق لذلك أجمعون وصاروا عوناً للمسلمين بعد أن كانوا محاربين لهم وعوناً عليهم وكان لذلك أثر حسن في سائر العرب

وقبل ذلك تزوج عليه السلام بزينب بنت خزيمة بعد قتل زوجها عبد الله بن جحش بأحد وحكمته في ذلك أن هذه المرأة كانت من فضليات النساء في الجاهلية حتى كانوا يدعونها أم المساكين لبرها بهم وعنايتها بشأنهم فكافأها عليه التحية والسلام على فضائلها بعد مصابها بزوجها بذلك فلم يدعها أرملة تقاسي الذل الذي كانت تجر منه الناس وقدمات في حياته . وتزوج بعدها أم سلمة (واسمها هند) وكانت هي وزوجها (عبد الله أبو سلمة بن أسد بن عمة الرسول برة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاعة) أول من هاجر إلى الحبشة وكانت تحب زوجها وتجاهله حتى إن أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته فلم تقبل . ولما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم «سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيراً» قالت : ومن يكن خيراً من أبي سلمة : فمن هنا يعلم السائل وغيره مقدار مصاب هذه المرأة الفاضلة بزوجها وقد رأى عليه الصلاة والسلام أنه لا عزاء لها عنه إلا به فخطبها فاعتذرت بأنها مُسِنَّة وأم أيتام فأحسن عليه السلام الجواب — وما كان إلا محسناً — وتزوج بها . وظاهر أن ذلك الزواج ليس لأجل التمتع المباح له وإنما كان لفضلها الذي يعرفه المتأمل بحجود رأيتها يوم الحديبية وتعزيتها كما تقدم

وأما زواجه بأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب فلعل حكمته لا تخفى على انسان عرف سيرتها الشخصية وعرف عداوة قومها في الجاهلية والإسلام لبني هاشم . ورغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تأليف قلوبهم . كانت رملة عند عييد الله بن جحش وهاجرت معه إلى الحبشة الهجرة الثانية فتتصر هناك وثبتت هي على الإسلام فانظر إلى إسلام امرأة يكافح أبوها بقومه النبي ويتنصر زوجها وهي معه في هجرة معروف سبها . أمن الحكمة أن تضيق هذه المؤمنة الموقنة بين فتنتين ؟ أم من الحكمة أن يكفلها من تصالح له وهو أصلح لها ؟

كذلك تظاهر الحكمة في زواج صفية بنت حنن بن حبيب سيد بني النضير وقد قتل أبوها مع بني قريظة وقتل زوجها يوم خيبر . وكان أخذها دحية الكلبي من

سبي خير فقال الصحابة يا رسول الله إنها سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح إلا لك فاستحسن رأيهم وأبي أن تذلل هذه السيدة بأن تكون أسيرة عند من تراه دونها فاصطفاهما وأعتقهما وتزوج بها ووصل سببه ببني إسرائيل وهو الذي كان ينزل الناس منازلهم وآخر أزواجه ميمونة بنت الحارث الهلالية (وكان اسمها برّة فسماها ميمونة) والذي زوجها منه هو عمه العباس (رضي الله عنه) وكانت جعلت أمرها إليه بعد وفاة زوجها الثاني أبي رهم بن عبد العزى وهي خالة عبد الله بن عباس وخالد بن الوليد فلا أسري هل كانت الحكمة في تزوجه بها تشعب قرابتهافي بني هاشم وبني مخزوم أم غير ذلك وجهلة الحكمة في الجواب أنه صلى الله عليه وسلم راعي المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه (عليهن الرضوان) في التشريع والتأديب فجذب إليه كبار القبائل بمصاهرتهم وعلم أتباعه احترام النساء وإكرام كرائتهن وقرر الأحكام بذلك وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعامن نساءهم من الأحكام ما يابق بهن مما ينبغي أن يتامنه من النساء دون الرجال ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغني في الأمة غناء التسع . ولو كان عليه السلام أراد بتعدد الزواج ما يريده الملوك والأمراء من التمتع بالحلال فقط لاختار حسان البكار على أولئك اللذيات المكتهلات كما قال لمن استشاره في الزواج بأرملة : « هلا بكرأ نلاعها وتلاعبك » هذا ماظهر لنا في حكمة التعدد وأن أسرار سيرته صلى الله عليه وآله وسلم أعلى من تحيط بها كلها أفكار مثلنا .

﴿ ترك الملوك والأمراء فريضة الحج ﴾

(س ٢) ١ - ع بالازهر: « من المعلوم أن الحج لبيت الله الحرام فريضة عينية على كل مسلم استطاع إليه سبيلا وبديهي أن أمراء المسلمين وحكامهم هم أفدر على الاستطاعة فليحجوا ولا يحجوا وهل هناك مانع شرعي أو ما يوجب سقوطه عنهم سيما وقد مضى نحو الثلاثة قرون ولم نسمع بملك منهم حج أو اعتمر أفيدونا الجواب ولكم الاجر والنواب » (ج) لانعلم لاحد منهم عذراً في ترك هذا الركن الديني العظيم وقد كنا شددنا التذكير في هذه المسئلة في الصفحة ٣٨٦ من منار السنة الأولى . وأنا نرى العقلاء منا صاروا يلهجون بهذه المسئلة ويقولون ما بال بعض ملوكنا وأمراءنا كشاه المعجم وخديو مصر يذهبون إلى أوروبا مرة بعد المرة ولا يذهبون إلى مكة المكرمة فإذا كان الساطان عبداً لخيده يخاف على نفسه من قومه الترك أو من الأرمين (دون سواهم من رعيته) إذا خرج حاجاً لأنه لا يتيسر له من الاحتياط في السفر ما يتيسر له في قصره . وإذا كان

ساحطان المغرب الاقصى وأمنير الافغان يخافان على بلادهما من الفتن أو اقامة
غيرهما في مكانهما اذا خرجا من بلادهما فما بالك غيرهم ممن لا يخشى على نفسه ولا
على بلاده لا يحج . نعم ان الحج مفروض على التراخي فلا يستترض على شخص
بعبئيه أنه لم يحج لجواز أن يكون لم يؤخر الحج الا وهو عازم عليه ولكن
يظهر من حال ملوكنا وامرائنا الحاضرين أن سيكونون كمن سبقهم من عدة قرون .
ويعتقد المشتغلون بالسياسة أن السلطان عبد الحميد لا يرضيه أن يحج شاء العجم ولا
أمير مصر وأنه يمنعهما اذا أراد ذلك ما استطاع وكذلك سلطان مراکش لانه
يخاف أن يعملوا في البلاد المقدسة عملا سياسيا كتحويل الخلافة الى أنفسهم فهذا
كل ما نعلمه في اعتذار المعتذرين والله أعلم بالسرائر . أما الفوائد التي تكون من حج
الامراء والسلاطين لانفسهم وللمسلمين فهي كبيرة جداً فان الاجتماع في تلك البقاع
المقدسة هو خير سبيل في تعارفهم وتخالفهم على ما فيه مصلحة الملة والامة مع بقاء
كل منهم في امارته او سلطنته . ونعيد ما قلناه في المنار من خمس سنين وهو انه لو كان
لعواهل أوروبا وقياصرتهم وملوكهم مثل هذا المجتمع العظيم لما تركوا الاختلاف اليه
(اختلاف الشريعة باختلاف الزمان والمكان)

(س ٣) م . ر . بمدرسة الحقوق بمصر : يقول ارباب الشرائع والفوائين انه يجب
في تحقيق عدالتها أن تكون موافقة لاخلاق الامة وعاداتهم وطبائعهم ودرجة تربيته
واقليمهم واحوالهم المعاشية والاقتصادية . فاذا كان الامر كذلك فلم لم نشاهد سوى
قانون واحد لدى الامة الاسلامية (الشريعة القراء) مع أنه يوجد اختلاف عظيم بين
تلك البلاد في العادات والاخلاق والاقايم ؟

(ج) ان علماء الحقوق والقوانين الوضعية انما يضعون قوانينهم لاهل السياسة
وهم انما يهمهم من رعاياهم جباية الاموال والامن من الخروج عليهم لاسيما اذا كانوا
من غير جنسهم وما يساعد على ذلك من منع التمدي . فواضع القانون يحترم عادات
كل قوم وان كانت ضارة كالسكر والزنا ويخص أحكامه بحفظ النظام فيها ومنع التمدي .
واما الشريعة الالهية فاصلاح الاخلاق وانعادات فيها مقصود بذاته واساس هذه الشريعة
ردء المفسد وحفظ المصالح سواء كان ذلك في الافراد أو الجماعات وما بينهم من الروابط
والصلات . وقد وضع الاسلام على هذا الاساس اصولاً عامة الاحكام لا يختلف باختلاف
الزمان والمكان كالمساواة في الحقوق وإقامة القسط ، ولو على أنفسكم أو الولدين
والأقربين . . . وكون ردء المفسد مقدما على جلب المصالح . وارتكاب أخف

الضررين • وجعل الجنة على المدعي وهي كل ما يتبين به الحق • وجعل الحاكم مستقلاً
مجتهداً يستنبط الأحكام من فرض الاستشارة عليه • الى غير ذلك من الاصول العادلة
وبعد هذا كله جعلت العرف محكماً كوضع الشرع ليراعى فيها يختلف من أحوال البلاد
والعباد التي لا تخل بمقاصد الشريعة والدين في التهذيب وتقريب الشعوب بعضها من
بعض لتكون الامم كلها أمة واحدة

لهذا الذي أجهلناه لم نلزم الشريعة الاسلامية اتباعها بالزام جزئيات الانكحاط التي
صدرت في عهد التشريع كما هي بدون مراعاة أساس درء المفسد وحفظ المصلح وقد
تقدمت الادلة على هذا في مقالات • ومحاورات المصلح والمقلد • فليراجعها السائل في
أواخر المجلد الثالث وأوائل الرابع من المنار ومنها يعلم ان هذا الوضع من أسباب جعل
الشريعة خاتمة الشرائع ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين كما بيناه مراراً بالتوضيح
(طهارة السيرتو او الكحول)

(س ٤) علي افندي حسني بكرك السويس: قد جاءت حالة الوقت الى (السيرتو)
في إزالة ما على الملابس والطرايش من الوسخ والدهن وقد تردد الناس في طهارته ونجاسته
للشك في أصله فان كان نجساً فهل تطهر الطرايش المنظفة به بحرارة النار عند كبرها
أو بكونه سريع الطيران كما يقال ؟

(ج) قد أثبتنا من قبل طهارة الكحول بأنواعه في المنار بالادلة بل هو أقوى
المطهرات على انه سريع الطيران ولو لم يعرض الثوب على حرارة النار • والفتوى
بنجاسته ونجاسته تشديد مبني على فلسفة غير صحيحة [راجع ص ٥٠٠ م ٤]



الاجتماع السابع لجمعية أم القرى

(في مكة المكرمة يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦)
في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية وقري الضبط السابق حسب القاعدة المرعية
قال (الاستاذ الرئيس) مخاطباً السيد الفراتي ان الجمعية تنتظر منك فوق
همتك في عقدتها وقيامك بمهمتها التحريرية ان تفيدها ايضاً رأيك الذاتي في سبب
الفتور المبحوث فيه وذلك بعد ان تقرر لها بمجمل الآراء التي اوردتها الاخوان
الكرام اذ احطت بها علماً مكرراً بالسمع والكتابة والقرائة والمراجعة فأت احمنا

لها فكرياً. هذا والجمعية ترجو الفاضل الشامي والبلدخ الاسكندري ان يشتركا في ضبط خطايك بأن يتعاقبا في تلقي الجدل الكلامية وكتابتها لانهما كباقي الاخوان لا يعرفان طريقة الاختصار الخطي المستعمل في مثل هذا المقام

نظر (الفاضل الشامي) الى رفيقه واستلمح منه القول ثم قال اننا مستعدان للتشرف بهذه الخدمة

قال (السيد الفراتي) حباً وطاعة وان كنت قصير الطول ، قليل القول ، قليل البضاعة . ثم انحرف عن المكتبة فقام مقامه عليها الفاضل الشامي والبلدخ الاسكندري وما لبث ان شرع في كلامه فقال : يستفاد من مذاكرات جمعيتنا المباركة ان هذا الفتور للبحوث فيه ناشئ عن مجموع اسباب كثيرة مشتركة فيه لا عن سبب واحد أو أسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة . وهذه الاسباب منها أصول ومنها فروع لها حكم الأصول وكلها ترجع الى ثلاثة أنواع وهي اسباب دينية واسباب سياسية واسباب اخلاقية . واني أقرأ عليكم خلاصتها من جدول الفهرست الذي استخرجته من مباحث الجمعية رامزاً للأصول منها بحرف (الالف) وللفروع منها بحرف (الفاء) . وهي

(النوع الاول الاسباب الدينية)

- (١) تأثير عقيدة الجبر في أفكار الامة (١) (٢) تأثير المزهديات في السعي والعمل وزينة الحياة (ف) (٣) تأثير فتن الجدل في عقائد الدين (١) (٤) الاسترسال في التخالف والتفرق في الدين (١) (٥) الذهول عن سماحة الدين وسهولة التدين به (١) (٦) تشديد الفقهاء المتأخرين في الدين خلافاً للسلف (١) (٧) تشويش افكار الامة بكثرة تخالف الآراء في فروع احكام الدين (ف) (٨) فقد امكان مطابقة القوة للعمل في الدين بسبب التخليط والتشديد (ف) (٩) ادخال العلماء المدلسين على الدين . مقتبسات كتابية وخرافات وبدعا مضررة (١) (١٠) تهوين غلاة الصوفية الدين وجعلهم اياه هواً ولعباً (ف) (١١) افساد الدين بتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتأويلات (ف) (١٢) ادخال المدلسين والمقابرية على العامة كثيراً من الاوهام (١) (١٣) خام المنجمين والرمالين والسحرة والمشعوذين قلوب المسلمين بالمرهبات (ف) (١٤) ايهام الدجالين بالمساحين ان في الدين اموراً سرية وان العلم حجاب (١) (١٥) اعتقاد منة العلوم الحكمية والعقلية للدين (١) (١٦) تعارق الشرع الصريح أو الخفي الى عند العامة (ف) (١٧) تهاون العامة العاملين في تأييد التوحيد (ف) (١٨)

الاستسلام للتقليد وترك التبصر والاستهداء (ف) (١٩) التعصب للمذاهب والآراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلكت السلف (ف) (٢٠) الغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة وجمعية الحج (١) (٢١) العناد على نبذ الحرية الدينية جهلاً بمزيتها (ف) (٢٢) التزام ما لا يلزم لأجل الاستهداء بالكتاب والسنة (ف) (٢٣) تكليف المسلم نفسه ما لا يكلفه به الله وتهاونه فيما هو مأمور به • (ف)

(النوع الثاني الأسباب السياسية)

(٢٤) السياسية المطلقة من السيطرة والمسئولية (١) (٢٥) تفرق الأمة الى عصبيات وأحزاب سياسية (ف) (٢٦) حرمان الأمة من حرية القول والعمل وفقدانها الأمن والأمل • (ف) (٢٧) فقد العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الأمة (ف) (٢٨) ميل الأمراء طبعا للعلماء المدلسين وجهلة المتصوفين (ف) (٢٩) حرمان العلماء العلماء وطلاب العلم من الرزق والتكريم (١) (٣٠) اعتبار العلم عطية يحسن بها الأمراء على الإخصاء وتفويض خدم الدين للجهلاء (١) (٣١) قلب موضوع اخذ الأموال من الأغنياء واعطائها للفقراء (١) (٣٢) تكليف الأمراء القضاة والمفتين أموراً تهدم دينهم (ف) (٣٣) إبعاد الأمراء النبلاء والأحرار وتقریبهم المتملقين والأشرار (١) (٣٤) مراعاة الأمراء السراة والهداة والتشكيل بهم (ف) (٣٥) فقد قوة الرأي العام بالحجر والتفريق (ف) (٣٦) حماقة أكثر الأمراء وتمسكهم بالسياسيات الخرفاء (ف) (٣٧) إصرار أكثر الأمراء على الاستبداد عناداً واستكباراً (ف) (٣٨) انغماس الأمراء في الترف ودواعي الشهوات وبمدحهم عن المفاخرة بشير القحفخة والمال (ف) (٣٩) حصر الاهتمام السياسي بالجباية والجنديّة فقط (١)

﴿ النوع الثالث الأسباب الأخلاقية ﴾

(٤٠) الاستغراق في الجهل والارتياح اليه (١) (٤١) استيلاء اليأس من اللحاق بالمنازين في الدين والدنيا (ف) (٤٢) الإخلاق الى الخمول ترويحاً للنفس (ف) (٤٣) فقد التناصح وترك البص في الله (١) (٤٤) انحلال الروابط الدينية الاحتسابية (١) (٤٥) فساد التعليم والوعظ والخطابة والإرشاد (ف) (٤٦) فقد التربية الدينية والأخلاقية (١) (٤٧) فقد قوة الجمعيات وثمره دوام قيامها (١) (٤٨) فقد القوة المالية لاستراكية بسبب التهاون في الزكوة (١) (٤٩) ترك الأعمال بسبب ضعف الآمال (ف) (٥٠) أهمال طلب الحقوق العسامة جبناً وخوفاً من التخلف (ف)

(٥١) غلبة التعقل العقلاني ترافقاً وصغراً (ف) (٥٢) تفضيل الارتزاق بالجندية والخدم الأميرية على المناصب (٥٣) توهم أن علم الدين قائم في المصالح وفي كل ماسطر في كتاب (ف) (٥٤) معاداة العلوم العالية ارتياعاً للجهالة والسفالة (١) (٥٥) التباعد عن المكاشفات والمفاوضات في الشئون العامة (١) (٥٦) الذهول عن تطرق الشرك وشؤمه (١)

ثم قال (السيد الفراتي) هذه هي خلاصات اسباب الفتور التي اوردها اخوان الجمعية وليس فيها مكررات كما يظن • وإذ كان للخلل الموجود في اصول ادارة الحكومات الاسلامية دخل مهم في توليد الفتور العام فاني اضيف الى الاسباب التي سبق البحث فيها من قبل الاخوان الكرام الاسباب الآتية اعددتها من قبيل رؤس مسائل فقط إذ لو اردت تفصيلها وتشرحها اطال الامر وخرجناعن صدد محفلنا هذا والاسباب التي سأذكرها هي اصول موارد الخلل في السياسة والادارة الجارية في المملكة العثمانية التي هي أعظم دولة بهم شأنها عامة المسلمين • وقد جاءها أكثر هذا الخلل في الستين سنة الاخيرة أي بعد أن اندفعت لتنظيم امورها فعملت اصولها القديمة ولم تحسن التقليد ولا الابداع فتشتت حالها ولا سيما في العشرين سنة الاخيرة التي ضاع فيها ثلثا المملكة وخرب اثالث الباقي واشرف على الضياع لفقد الرجال وصرف السلطان قوة سلطته كلها في سبيل حفظ ذاته الشريفة وسبيل الاصرار على سياسة الافراد واما سائر الممالك والامارات الاسلامية فلا تخلو أيضاً من بعض هذه الاصول كما ان فيها أحوالا اخرى اضرت وامر يطول بيانها واستقصاؤها والاسباب المراد الحاقها ملخصة • هي •

❦ الاسباب السياسية والادارية العثمانيتين ❦

(٥٧) توحيد قوانين الادارة والمقوبات مع اختلاف طبائع اطراف المملكة واختلاف الاهالي في الاجناس والمادات (*) (١) (٥٨) تنوع القوانين الحقوقية وتشويش القضاء في الاحوال المتماثلة (١) (٥٩) التمسك بأصول الادارة المركزية مع بعد الاطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الادارة في المركز على أحوال تلك الاطراف

(*) من أهم الضروريات ان يحصل كل قوم من أهالي تركيا على استقلال نوعي اداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم كما هي الحالة في امارات ألمانيا وولايات أمريكا الشمالية وكما يفعله الانكليز في مستعمراتهم والروس في املاكهم من هاشم الاصل

المتباعدة وخصائص سكانها (ف) (٦٠) التزام أصول عدم توجيه المسؤولية على رؤساء الإدارة والولاء عن أعمالهم مطلقاً (*) (ف) (٦١) تشويش الإدارة بعدم الالتفات لتوجيه الاخلاق والمسالك في الوزراء والولاة والقواد مع اضطرار الدولة لاتخاذهم من جميع الأجناس والاقوام الموجودين في المملكة بقصد استرضاء الكل (ف)

(٦٢) التزام مخالفة الجبسية في استخدام العمال بقصد تمسك تفاهم بين العمال بالاهلي وسد الزواجر منهم أمن الإدارة غائلة الاتفاق عليها (ف) (٦٣) التزام تفويض الامارات المختصة عادة بعض البيوت كإمارة مكة وامارات العتبات المحيطة في الحجاز والعراق والمرتبات لا يحسن ادارتها لاجل ان يكون لأمير منفوراً منه من ولي عليهم مكرهاً عندهم فلا يتقدم منه ضد الدولة (٦٤) التزام تولية بعض المناصب المختصة ببعض الاصناف كالشيخ الاسلامية والاعسكرية لمن يكون منفوراً منه في صنفه العام أو الجند لاجل أن لا يتبع الرئيس والمرفوس على أمرهم (*) (ف) (٦٥) التمييز الفاحش بين اجناس الرعية في العز والحرمان (*) (٦٦) العمل في انتخاب العمال والمأمورين والاعتماد عليهم بغير لزوم وانما بقصد به اعادة العترة والحاسيب والمنتمين للماهجين .

(٦٧) التسامح في المكافاة والمجازاة بها وما يشتمون الإدارة حسدت أم ساءت كأن الرئيس بالملك صاحب (٦٨) عدم الالتفات لرعاية الشؤون الداخلية كوضع لظلمات مصادمة بالشرع بدون لزوم سياسي مهم أو مع لزوم ولكن بدون اعتناء بتفهم الامة والاعتذار لها جلباً للقناعة والرضاء (٦٩) تصيير جريمة التسامح وقوة القوانين بالالتزام عدم

(*) ولذلك كانت الحالة في الدولة قبل الثغرات الحربية خيراً منها بعدها حيث كان العمال مسؤولين لدى حضرة السلطان ثم أطلق سراحهم في عهدنا من كل مسؤولية الا في الافعال بل الاقوال بل الخواطر التي تتعلق بحقوق الساطنة من هامش الاصل

(*) فالأدلة تكون اجابات الحكومات العاجزة (*) كعضد الدولة العثمانية حقوق العرب في المناصب والادارة من غير التمسك بمصالح الانسنة فيها لأنها مميزة عليهم حال كونهم رعية من الخواص والاشناق ولا تترك ادوا الأرباؤط والرهمة الا من في الخواص وانما ردة الخواص وكانوا اهل المناصب قبل الخواص وغيرهم حتى بعض البيوت الخاصة العثمانية والاشناق والعهدة والعهدة . . . يستشاه غير المسلمين من

الاشناق في الخواص والاشناق في الخواص والاشناق في الخواص

الاشناق في الخواص والاشناق في الخواص والاشناق في الخواص

اتباعها وتنفيذها والإصرار على أن تكون الادارة نظامية اسما ارادية فعلا • (١)
 (٧٠) التهاون في مجارة عادات الاهالي وأخلاقهم ومصالحهم استجلاباً لمحبتهم القلبية
 فوق طاعتهم الظاهرية • (٧١) الغفلة أو التغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الحيران
 وترقية السكان بسبب عدم الأهتمام بالمستقبل (٧٢) الضغط على الأفكار المنتهية بتسديد
 منع نموها وسموها وإطلاعها على مجاري الأدارة محاسنها ومعاييبها وإن كان الضغط
 على النمو الطبيعي عبثاً محضاً ويتأتى منه الإغراء والتحفيز وينتج عنه الحمق على الادارة
 (٧٣) تمييز الاسافل أصلاً وأخلاقاً وعاملاً وتحكيمهم في الرقاب الحرة وتسليمهم
 على أصحاب المزايا وهذا التهاون بشأن ذوي الشئون يستلزم تسفل الادارة • (٧٤) ادارة
 بيت المال ادارة اطلاق بدون مراقبة وجزاف بدون موازنة واسراف بدون عتاب
 واتلاف بدون حساب حتى صارت المملكة مديونة للاجانب بديون ثقيلة توفي بلاداً
 ورقاباً ودماءً وحقوقاً • (٧٥) ادارة المصالح المهمة السياسية والملكية بدون استشارة
 الرعية ولا قبول مناقشة فيها وإن كانت ادارة مشهودة المضرة في كل حركة وسكون •
 (٧٦) ادارة الملك ادارة مداراة واسكات للمطلعين على معاييبها حذر من أن
 ينفثوا ماني الصدور فتعلم العامة حقائق الامور والعامة من اذا علموا قالوا واذا قلوا
 فعلوا وهناك الطامة الكبرى • (٧٧) ادارة السياسة الخارجية بالترلف والإرضاء والمحابة
 بالحقوق والرشوة والامتيازات والتقود • تذل الادارة ذلك للجيران بمقابلة تعاميمهم
 عن المشاهد المؤلمة التخريبية وصبرهم على الروائح المنة الادارية • ونولا تذكير العهد
 والروائح لما وجد الحيران وسيلة للضغط مع ما ألقاه الله بينهم من العسداوة والتبعيد
 الى يوم القيامة •

ثم قال (السيد الفراتي) ان بعض هذه الاسباب التي ذكرتها هي أمراض قديمة
 ملازمة لإدارة الحكومة العثمانية منذ نشأتها أو منذ قرون وبعضها أمور قديمة
 تزول بزوال محدثها وربما كان يمكن الصبر عليها لولا أن الخطر قرب والعيان بالقدوم
 الغاب كما أشار اليه الاستاذ الرئيس في خطابه الأول (٢)

• رعاية المذاهب التي تستوجب أن لا تسقط انزكاة عن الدافعين وكاستخدام قضاء بالرسوم
 ورواتب جزئية جداً • (١) تعطيل بعض احكام الشرع كإف خرق حرمة
 النظامية فمع كثرتها البالغة عشرات الوف قضايا لم يتفق الى الآن اجراء شيء منها
 بعض ما يتعلق بسلب الاموال (٢) أشار حضرة الرئيس وهو الاستاذ المكّي في خطابه

ثم قال ويلتحق هذه الاسباب ببعض اسباب شتى افصلها بعد تعدادها الحقا بالخلاصات . وهي

﴿ اسباب شتى ﴾

(٧٨) عدم تطابق الاخلاق بين الرعية والرعاة (٧٩) الفرارة أي الغفلة عن ترتيب شئون الحياة (٨٠) الفرارة عن لزوم توزيع الاعمال والاوقات (٨١) الفرارة عن الاذعان للاتقان (٧٢) الفرارة عن موازنة القوة والاستعداد (٨٣) ترك الاعتناء بتعليم النساء (٨٤) عدم الالتفات للكفاءة في الزوجات (٨٥) الخور في الطيعة أي سقوط الهمة (٨٦) الاعتزال في الحياة والتواكل

أما عدم التطابق في الاخلاق بين الرعاة والرعية فله شأن عظيم كما يظهر للمتأمل المدقق في تواريخ الأمم من أن أعظم الملوك الموفقين والقواد الفاتحين كالاسكندر بن وعمر وصالح الدين (رضى الله عنهما) وجنكيز والفتح وشر لكان الالمانى وبطرس الكبير وبونابرت لم يفوزوا في تلك العظائم الا بالمرأسم الصادقة مع مصادقة تطابقهم مع رعاياهم وجيوشهم في الاخلاق والمشارب تطابقاً تاماً بحيث كانوا رؤساً حقاً لتلك الاجسام لا كراس جل على جسم ثور أو بأمكس . وهذا التطابق وحده يجعل الأمة تعتبر رئيسها رؤساً فتتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها حيث لا يكون لها في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المنبى

انما الناس بالملوك وهل يفلح عرب ملوكها عجم

ومما لا خلاف فيه ان من أهم حكمة الحكومات أن تتحقق بأخلاق الرعية وتحدد مهمها في عوائدها ومشاربها ولو في الموائد غير المستحسنة في ذاتها . ولا أقل من أن تجاري الحكومة الاجنبية اخلاق الرعية ولو تكلفاً وقتياً الى أن تتوفق لاجتذابهم

الاول للحالة السائدة في الحجاز من فقد الأمن في بلد الله الامين . والجور الفظيع الذي يقع على أمن الحرمين وزوارهما من تنازع السلطات الثلاث الامارة والولاية والعسكرية وتقسيم ذلك من الاحوال التي لا تطاق وصار يتشكى منها عامة الحجاج لاسيما الداخلين تحت ساطة الأجانب وهو السواد الأعظم من المسلمين ولا غرو ان هذه الحال تستدعيهم لأن يدعوا حكوماتهم للمداخلة في شؤون ادارة الحجاز لأجل حصولهم على الأمن وراحة وحيث لا قدر الله ينفانى العرب دون حفظ بيضة الاسلام كما تقانوا قبلاً وحدهم في دفع الصليبيين عن المسجد الأقصى . اهـ من هامش الاصل

الى انقها فاحلاقها فجنسيتها كما فعل الامويون والمباسيون والموحدون وكما تنهم به الدول
المستعمرة الافرنجية في هذا العهد وكما فعل جميع الاعاجم الذين قامت لهم دول في
الاسلامية كال بويه والسلجوقيين والايوبيين والغوريين والامراء الجراكسة وآل
محمد على فانهم ما لبثوا أن استمروا وتخلقوا باخلاق العرب وامتزجوا بهم وصاروا
جزءا منهم وكذلك المغول صاروا فرسا وهنودا فلم يشذ في هذا الباب غير المغول
الأتراك أي العثمانيين فانهم بالعكس يفتخرون بمحافظتهم على غيرة وعياهم لهم فـ
يسموا باستراكمهم كما انهم لم يقبلوا أن يستمروا والمتأخرون منهم قبلوا أن يتفلسفوا
أو يتألموا . ولا يعقل لذلك سبب غير شديد بغضهم للعرب كما يستدل عليه من
أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الأمثال في حق العرب

ذلك كاطلاقهم على عرب الحجاز (ديانجي عرب) أي العرب الشحاذين واطلاقهم
على المصريين (كور فلاح) بمعنى الفلاحين الاجلاف و(عرب جنكنه سي) أي نور
العرب و(قبلى عرب) أي النور المصريين . وقولهم عن عرب سوريا (نه شامت
شكري ونه عربك يوزي) أي (دع الشام وسكرياتها ولا تر وجوه العرب) وتعبيرهم
بلفظة (عرب) عن الرقيق وعن كل حيوان أسود وقولهم (بيس عرب) أي عرب
قذر و(عرب عقلي) أي عقل عربي أي صغير و(عرب عيتي) أي ذوق عربي
أي فاسد و(عرب چكه سي) أي حنك عربي أي كثير الهزر وقولهم بوفى بارسه م
عرب اوله يم) أي ان فعالت هذا أكون من العرب وقولهم (ترده عرب ترده طنپوره)
أي ابن العرب من الطنبور .

هذا والعرب لا يهابونهم على كل ذلك سوى بكلمة بين الأولى هي قول العرب
فيهم (ثلاث خاقن للجبور والفساد القمل والترك والجراد) والكلمة الثانية تسميتهم
بالأروام كناية عن الريبة في اسلامهم وسبب الريبة ان الأتراك لم يخدعوا الاسلام
بغير اقامة بعض جوامع لولا حظ نفوس ملوكهم بذكر أسماؤهم على منابرهم لم تقم .
وانهم أتوا الاسلام بالمناعة العمياء للكبراء وبخشية الفلك أبي المصائب وباحترام موافق
الانبران (أوحافات) فزادوا بدت بلاد في ضمن الخرافات

ثم قال (السيد السراي) في جواب السؤال الثاني انهم لم يهابوا لانهم يعلمون ان ما أفرطت في
اسمهم ذلك في حقهم ان صرحت ما تصيح فيهم من كبريت ذمهم بضحكك . قال
(الامام الرئيس) ان هذا السيد انما في حبيب قبال وهرس جوار والابحار . في
المراتب السراي . في جواب السؤال الثالث في وقت الهم ستمو عندنا في الشر



كتاب التربية والتعليم

الشذرة التاسعة منه طريقة الدكتور راسم^(١)

تعليم الاطفال اليونانية واللاتينية واقرائهم كتبهما

سأطرت مع هيلانة غير مرة في ضرورة تعليم « أميل » ثلث اللغتين وإقراءه
من كتبهم من الكتب ولست أذكر لك من هذه الشذرات إلا منخسها فأقول :
الواجب أن يرى كل طفل تربية من ينبغي أن يكون من كبار الرجال فذلك هو
السياسة التي يفضل بها عامة الناس ويمتاز عنهم في مستقبله ولهذا كان حقاً على المربي أن
يعرف طبيعته ويبحث في ضروب مياله ويختبر أنواع استعداده العقلي . ولما كان
التيقن والامتياز يحصلان في هذه الدنيا بكيفيات مختلفة ويتلأن بصرف شتى كان أول
فرض عليه أن يبحث في هذه الطرق عما يلائم طبيعته ويناسب استعداده
فالذي أعنيه في طريقة التربين عندها هو إغنان ما للناشئين من القوى وضروب
الاستعداد الذميه وعدم فقهاها في شيء من التربية . ذلك أنك ترى بعض الناشئين
مثلاً قد ولد له حالة يضرب في الأرض ويحب قافها وأخسر حاجته فيما خلق لأجله
هي معرفته بلغت خيه ليس بها مع الأجانب في بلادهم فيبدأ المربون بتعليمه لغتين
وهي بين القصع التحاطب بها من على وجه الأرض . وترى آخر خلق مبالاً إلى
معرفة علم الموى المحرك وقوانين التوازن (الميكانيكا) يلقون به في بحر من الكتب
مأنة من قراره وتجدد ثانياً أعد للتجارة ورابعاً لخدمة لا يراعى ما الكلي منها
من الميل إلى ما أعد له أن يبيع في حقهما ما قضت به العادة وجرى عليه العرف وهو
أن لا يد من ربه الأسهر بالعلم في هذه الدنيا من سجنه في المدرسة ثمان سنين . كما
يحدث من مناهي فلا يدري واليونانية من يقضى عليهم بأن لا يستعملوها في حياتهم لأنهم
في مدارسهم اشتغلوا بمصالحهم قل وأبغ الحظ أن يخطر بالظلم لصنع
الكتاب فرجين (١) أو ديوان حمير (٢) والنظر في حقهما البالية التي قضوا في معانيتها
ذيرة من ساعات الشعب والسامة ولست أقصد بقولي هذا تجريد أي معرفة من

(١) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر



• عارف العقل كائنة ما كانت من الفائدة مطلقاً ولكن لا حرج علي ان رقت في ان
ما يخسره كثير من التلامذة من زعمهم في تعلم نيتك الا ان لا يساويه ما يعود عليهم من
الفوائد بتعامهما

أنا أعلم كل ما لا تنتصر لهما من وجود الاحتجاج على ضرورة تمسكهم به، فلهذا
يقول أن معرفتهما حاسة سادسة لأنها ركن واسطتها دفاعي أدلة الغنى والله تعالى مع
من الناس إنكار ما كان لطلعه الكتب القديمة المؤلفة فيهما من الآثار المادية في عهد
الناشئين الذين نفذوا بإبان معارف الأقدمين حق التغذية، إن مطالعة هذه الكتب
تخلصنا من شواغل وقتنا المادي وتعارض عصر الذي نرت فيه الناس ونسحب
درجات التفات بينهم وانتقل أهل الحقائق الثابتة دون غيرها كصورنا طاعت وملا
والغنى من مخترعات الخيال وتسرير موضع الضعف فينا بحجج الجاهل الضائع يدور
غير من طبيعتنا شيئاً ثم إن يُمدد أهل تلك العصور عناوهم بآياتهم لنا في الأخلاق والعونة
ما يساعدنا أيضاً على أن نبصر من خلال كتبهم الشعرية صلاء تهى النكاح المعنى

وفوق ذلك فإن هذه الكتب حفظته بالإنشيد الوطنية التي كان من آثارها ما رآه
في عهد الجمهورية الجليل من احتقار الملوك وجر ذيل الحبلاء عليهم فلقد ألفت سبعة
هبت من رومة أو من أينا في إنارة بغض السلطان المطلق بلوينا في القرن الثامن
عشر فإن حكماء هذا القرن وزعماء الفتنة الفرنسية فيه قد استمدوا محاد دعود من
الكتب المدرسية اصالح الصور لإيقاظ العقل واث روح الحياة السياسية في النفوس
وكان لحيالات الغابرين في ذات الجهاد الذي قام في سبيل النقي من السلاء ما كان
للأحياء أنفسهم فلا تقل لأبي غرغوس (٣) وبرنوس (٤) وشاود أو تيمسهم قدمة
بل هم أحياء يمينوننا على كفاحنا ويعاضدوننا في جهادنا ويسهموننا من أصواتهم
ويشهدوننا من أساهم ما يقوي عزيمتنا على التسمي وراء الحرية التي هي غاية الذموس الأبية
لا أنزع في ان معرفة اليونانية واللاتينية قد تكون من الرياضات النفسية المفيدة

(١) فرديان هو شاعر لا يفي شهرته له ٧٠٠ ومات سنة ١٩ قبل المسيح

(٢) عميد من أشهر شعراء العرب، المولود في الأندلس، لا علم مكان ولادته ولا تاريخه.

کذا کتاب المغرب والمغربین : ص ۱۰۷ و ۱۰۸ و ۱۰۹ و کتاب فائدہ الافرنجی : ص ۵۴

Homero-oro ۳۳۰ غزلیں کا مجموعہ۔ ومانی شہر فی اسپینا اور ذرف بولان میں

برافین و کتان و مسک اندک و ج. ب. نوس. اسید قنطاریه و الیسیس الیومینی

والكني أقول إن لرياضة النفس وتربية العقل طرقاً شتى وإن من الظلم الفاحش قصر معنى التعليم على فرع واحد من العلوم فقد يكون الانسان علماً يشار اليه بالبنان وخطيباً بامر اليان وسياسياً حذيف الجئان (وفي أمريكا ما يشهد لصحة ذلك) وهو لم يقرأ في حياته كتب أرسطو « ١ » ولا ديموستين « ٢ » ولا شيشيرون « ٣ » باللغة التي ألقت بها . ذلك ان مراقبته بنفسه الامور ومعاملته للناس واختلاطه بهم ودراسته لأدب لغته واستعداده الفطري كثيراً ما تغنيه عن الزخارف المدرسية فرائي هو ان الاحوال التي تحتف بالطفل وما يكون فيه من القوى والملكات الذاتية هي الواجب التعويل عليها في تحديد الطريقة التي ينبغي سلوكها في تربيته فان طرق التعليم انما أوجدت للاحداث ولم توحّد الاحداث لها

لما أعلم حق العلم ضروب استعداد « اميل » ولا حالة عقله حتى أحكم على اليق أنواع التعليم به وأشدها ملائمة لطبيعته والذي أتمناه له هو ان لا يكون بعيداً عن العلوم ولا عن آداب اللغة ولست أرى من وجوه الاعتراض على الجمع بين هذين النوعين من المعارف سوى ما تنفيه تعلم اليونانية واللاتينية من الزمن فان اتفق سبع سنين أو ثمان من العمر في تحصيل اللغتين مهماتين تحصيلاً في غاية النقص غالباً هو اسراف كبير في عصر لا يحصل الانسان فيه متوسط المعارف الضرورية إلا بانفاق معظم حياته واني أبحث الآن فيما اذا كانت اضاءة ذلك الزمن الطويل في تحصيلهما لازمة لطبيعة الصعوبات التي يصادفها المتعلم فيه أو انها ليست من لوازمها وان من اليسور التغيير فيها والتقليل منها

أول سبب فيما أرى اطول مدة تعلم هاتين اللغتين هو إفراط المعلمين في تعجيل تعليمهما للأطفال لانهم يبدأونهم به قبل ان يكونوا تعلموا أو راقبوا شيئاً بأنفسهم فتراهم لجهاهم كيفية سوغ الالفاظ وتركيب الاساليب التي هي قوالب المعاني لا يكادون يتمكنون بأنفسهم نفسها مضبوطة ولحسبهم بين جدران المدرسة من نعومة أظفارهم اعتادوا اعتبارها سجعاً تتعاقب عليه الاجيال الناشئة تكفيراً لمسيئة جهل آباؤهم الاولين فهم

واما قانون اتقافه وحفيد قانون القديم وهو ضابط روماني شهير كان من حزب بومباي وبعد ان شهد معه واقعة فرسالا انطلق الى أفريقيا وقتل نفسه « ١ » أرسطو حكيم يوناني مشهور « ٢ » ديموستين أشهر خطيب يوناني أثار مقدونيا عنى فليبوس وألب أمها على الاسكندر « ٣ » شيسرون أشهر خطيب روماني

لا يعرفون شيئاً من الكون وقد حلت المدرسة بينهم وبين المحاببة اليتية والجوابد
الاهلية وهي التي كانت تحب العمل اليهم وتشعر قلوبهم قدرة فأصبحوا لا تصلهم
حرارتها الا من بعيد جداً ففي أول عمل لهم يمرنون به قواهم الناشئة تفاجئهم الفاظ
وحشية وصيغ نحوية وتراكيب مجهولة فيصيّدون اتفاقاً بأيديهم العسراء من محاربهم
الكدراء ضروباً من مخالفة القياس وأنواعاً من ضعف التأليف تحري بها اقلامهم ،
ولا تدركها افهامهم ، فرحمتي لهم من حيارى ذاهلين لا ينفعهم انماق التمارين ولا
تتابع الامثال فابس تكرار الاغلاط والخطئات الواحدة في تعلم لغة مجهولة
هو الوسيلة الى اصلاحها

انا أحب ان رى ولدي قبل تعلم اللاتينية شيئاً من العالم وان يفتق ذهنه باحتكاكه
بالصناعة ودراسة تاريخ الموجودات فان كل واقعة روقت تولد في نفس مراقبها لذة
وتتم في الحاجة الى المعرفة فاذا حصل له بكسبه بعض معاني صارت بهذه الوسيلة
أحسن استعداداً لفهم ما يتقادم عن غيره من المعاني ولو ظهرت في صيغ مبهمه من الالفاظ
ثم ان من اسباب طول لئدة التي تقضى في تعلم اليونانية واللاتينية على ما أرى ان
المرين يعلموهما الاطفال قبل ان يطاموهم على شيء من احوال الرومان واليونان
والانسان لا يحسن تعلم لغة قوم الا في بلادهم ومن أجل ذلك سألهم عند تعليمهما
«أميل» بأن اجعل له من آثار اهلها بلاداً يتعلمها فيها وفي هذا المقام تظهر فائدة
انشاء معاهد التعليم التي من قبيل القصر البلوري ثم اني على يقين من ان مشاهدة ما يكون
في مثل هذه المعاهد من التماثيل والصور ومثل المعابد والمباني اثرية العامة لا تعين
التلميذ على فهم شعر عمير وفرجيل ولكن اليونانية واللاتينية اذا اقترنت تعليمهما بتعليم
تاريخ قوميهما وما يشهد لهم من دلائل التقدم القديم لا تبقيان لغتين متدثرتين اندثاراً
تاماً كما لو علمتا مجردتين

ذلك ان لقنونا الرمن من التأثير في نفوس الناشئين ما هو فوق المظنون بها كثيراً
بسبب اجالها العقل في آثار المارين وسبب اتصالها بالنفوس في اعمال الماسخين ولان من
الإبطاع هو السى الذى يسهل فيه التماسك والرفع في شخص غير اسبب سهل الادراك
وهو ان معنى الاستلال الذي لا يظهر الا قليلاً في هذا النوع من الحياة فكثرة هذا
النوع من التمسك مع اليونان والرومان في نفسي عن آثارهم يدعي التلميذ من جهة
باجل افهمه بحدس من شوب قول ان يدرى انهم انما يقرأون لغة قديمة

في سلامين ١٠» ويشهد خلف بومباي ٢٠» واقعة فرسالا . ولا يسبقن الى خاطرك ان هذا لوجود الفكري فيما غير من الزمن ليس هو الا وهما محضاً فانه لا شيء مما كان في الماضي قد مات موتاً تاماً

لم نجد طريقتهما في تعليم اللغتين اللتين نحن بصدد الكلام عنهما نفعاً فانها لا تزال عابها مسحة من تعليم القرون الوسطى وهي التي طبعها عليها القسيسون والرهبان اذ لا تزال العقبات تقوم في سبيل دراسة آثار الاقدمين دراسة صادقة واولها ما للدين المسيحي من الاوهام والوساوس في آلتهم التي تراءى على قهره اياها لا يزال يعتقد انها مفسرة حتى في انهزامها امامه فان رجال هذا الدين مع استشارهم على توالي القرون باللغات القديمة واحتكاكهم معرقها كانوا يُعَنُّون في تعليمهم بايزهق ذلك الروح الذي ألهم الصانع ما ظهر على أيديهم من تحف الصنائع وطرفها وكانت فتون الوثنيين و آداب لغاتهم من الغنائم التي اهتم أولئك الرجال بحفظها غير انهم كانوا يحترسون كل الاحتراس من اظهار آخر ما اكتشفوه من أسرارها للأحداث وكان من مصاعبتهم ان لا يزالوا عن تلك الاسرار الا طرقاتاً من حجابها لانه كان لا بد لها يمين الخلف من آثار السلف ان يردهم يوماً ما الى عبادة الطبيعة وجمالها ومن أجل ذلك كان رؤساء الدين لا يفتأون يذكرون الناشئين بأن آلهة الوثنيين آلهة باطلة لا أصل لها الا الكبرياء والكذب وانه لا ينبغي النظر اليها الا من بعيد مع الاسترشاد في ذلك بهدي الدين المسيحي

أنا لا أحترس كل هذا الاحتراس في تعليم «أميل» تلك اللغتين واقرانه كتبته لانه لا بد لمن يزاول دراسة أمر من الأمور ان يكون له فيه شيء من الاعتقاد فما صرد لو انه أخلص في الاشتغال بهرقل (٤) وأعماله ومن ذا الذي يتقدم منه ان قدم فرناناً الآلهات العفيفة (٥) والمنروة (٦) الحكمة الالسية فان في كشف حقيقة الاشخاص الخرافيين الذين وجدوا في خيال الاقدمين وكانت حياتهم ملائمة كل الملائمة لخيال

١٠» سلامين ونسعى الآن كولووردي هي جزيرة في خليج أنينا ٢٠» بومباي قائد روماني شهير له غزوات كثيرة كان فيها ظافراً ٣٠» فرسالا مدينة باقليم تسانيا القديمة من بلاد اليونانية هزم فيها قيصر الروم انمايد بومباي (٤) هرقل بطال خرافي مشهور بأعماله المعجبة (٥) الآلهات العفيفة في أساطير اليونان هي الآلهات الفنون التسمية بنات المشتري (٦) منروة هي في الاساطير المذكورة الالهة الحكمة والفنون والحرب

اليافعين وازالة الوهم من عقول هؤلاء في شأنهم في ذلك تعجيباً بزعرعة عقيدتهم في النوع الانساني . ولا يظن ظان اني أقصد بما أقول ان أوقف « اميل » عند الوثنية قاتلي انما أريد بهذا القول انه لا بد لمن يريد التفوذ الى أسرار انفة قوم من اختلاس آلتهم . اهـ

﴿ مقدمة كتاب الاسلام والنصرانية ﴾

« أَذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالنُّوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمْ نَاقِي هِيَ أَحْسَنُ .
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »

ظهرت في العالم مَدَنِيَّاتٌ ثم خفيت ، وَدَرَسَتْ فيها العلوم والفنون ثم دَرَسَتْ ، وَصَلَحَتْ أحوال الأناسي ثم فسدت ، وطلعت فيهم أفكار الهداية الدينية ثم خسفت ، ولم يزل الناس في قيام وقعود ، وهبوط وصعود ، والأثم في تلاش وقفاء ، ونشوء وارتقاء ، حتى استعدَّ المجموع في جملته للارقي العالم ، فنحى الله تعالى دين الاسلام ،

جاء الاسلام والعالم كله في تأخر من جميع الوجوه — من جهة الدين — من جهة العلم — من جهة المدنية — من جهة السياسة — فلم يمر قرن واحد حتى جدد للعالم كله ديناً قيماً ، وعلماً محكماً ، ومدنية سميدة ، وسياسة رشيدة ، ونشر ذلك كله في مشارق الأرض ومغاربها بقوة الحق . وسرعة البرق . فقير به وجه الأرض ونفخ في الانسان روحاً جديداً أعطاه من جرائم الحينة ما لا يقبل القناء ، ما دامت الأرض والسماء ، (١) ينبوع تفجر في أرض وفاس ماؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد موتها ولكن القائمين على حراسته وتماهد وضعوا فوقه أنقاضاً من خرائب جيرانهم ففيض الماء وما بقي منه صار مستنقعات تُجَرَّوى . لم يأت بعد ما غاض أن فاض منه شيء في

(١) بينا ان اركان الاصلاح الاسلامي غير قابلة للتهدم في مقالات متعددة نشرناها في مجلدات المنار كمقالات « الاصلاح الديني » والمقالة التي فاتحتها « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » ومقالات « سائمة مشيخة الطريق الروحية » وفيها الكلام على نفيد الاسلام الساطنين السياسية والدينية وجعل الناس سواء . وكل هذا في المجلد الأول . ومقالة « الجنسية والابانة الاسلامية » في المجلد الثاني ومقالة « اعادة مجد الاسلام » ومقالات « مدنية العرب » في المجلد الثالث ومقالات الحكومة الاسلامية والقضاء في الاسلام في المجلد الرابع

مواضع أخرى فاستفهم أهلها به وحافظوا عليه ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما إن أكثر أهل النبويع المتفهمين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر في تلك المواضع فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم . وأنهم لو أزالوا عنه تلك الاقراض لفاض ورجع إليهم خصيم ونماؤهم كأحسن ما كان . لأنهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للاجاء

ذلك مثل المسلمين اليوم مع الأمم الغربية الحية الراقية . أخذ الغربيون من الإسلام كل أصول الإصلاح الذين هم فيه وهم يقولون: الإسلام عقبة في طريق كل اصلاح . يقولون للمسلمين: إن ماءنا صاف تقي بحجى البلاد والعباد وماءكم آسن أجاج أحدث مستقدمات أهلكك الحرث والنسل . فكيف يستوي المآآن ، وقد اختلف الاثران ؛ منهم من يقول هذا معتقداً ، ومنهم من يقوله متقدراً ، ونحن ساكتون عنهم ، لأننا جاهلون بأنفسنا وهم

ما كان الله ليدرك المؤمنين على ما أتهم عليه حتى يبين الخبيث من الطيب . ويظهر الحق من الباطل ، فتقوم الحججة على الجاهل بدينه ونفسه ، والكابر لوجدانه وجسده . لهمم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ، فيرجعوا إلى أصول دينهم وهو الأولى بهم والأخرى . فقد أعدهم بنوائب الزمان ، وصروف الحداث ، لأن يمتروا بدينهم ، وينبؤوا بالتدريج إلى ربهم . إذا ظهر فيهم علماء ربانيون ، وأطباء روحانيون ، يعرفونهم بحقيقة الداء ، ويصفون لهم الدواء ، وما طلب الإنسان بالسان استعداداً شيئاً من مولاته ، الا تفضل عليه به وأعطاه إياه (١)

لهذا أخذ الله للمسلمين حكماً من الاعلام . واماماً من أئمة الإسلام . يطب لهم ، ويجمع ما تفرق من آرائهم . وقد كتب في هذه الايام كتابة جليلة في العلم والمدنية ، بالنسبة إلى الدينيتين النصرانية والإسلامية . رد فيها على أحد كتاب المسيحيين قوله أن المسيحية كانت أكثر تسامحاً مع العلم من الإسلام وإن الإسلام أكثر اضطهاداً للعلم والفلسفة من النصرانية ، وبين في آخر ما كتبه حال المسلمين السوء وعدم موافقها لما تقتضيه طبيعة دينهم فبرأ الإسلام وساقه من اللام ولكنه لم يبرئ المسلمين لتحرير بل دغم على حقيقة دأبهم وهداهم إلى طريقة معالجتة والخروج منه بأذن الله تعالى . وإلمري أنه أنذر فأعذر ويرى من وعيد الكتمان « فمن أهدى فأنه يهدي نفسه ومن سأل فأنه يضل عليها »

(١) راجع مقالة « الإصلاح والاععاد » على قدر الاستعداد « (ص ٦٨١م ٤)

وبلي هذا في المقدمة إلتناع لشبهات ذلك الكاتب وقد عرفها القراء من قبل كما عرفوا الرد عليها فلا حاجة لذكرها. وقد تم طبع الكتاب وإصداره ومثله ٥ قروش صحيحة وأجرة البريد في مصر ستة اعشار القرش (٦ مليات) ويطلب من ادارة المنار بمصر

باب الازغباء والاراء

في سمي في لوفاق الاسلامي الانكليزي

علم القراء من المقالة الافتتاحية في هذا الجزء أن من الفئدة الكبرى الاسلام والمسلمين ان يعرف أهل أوروبا حقيقة الاسلام لانهم متى عرفوا حقيقة يعرفون حقيقته وفضله فيكونون نصراء له وتقل مقاومة حكامهم لأهله ولا ريب ان من عرف منهم هذه الحقيقة يكون أقدر من على تعريفهم إياها بصورة يقبلونها . كما لا يرتاب عاقل في أن معرفة الانكليز بالاسلام تكون أنفع للمسلمين من معرفة غيرهم من الاوربيين لان للانكليز سلطاناً على الشعوب الاسلامية ليس لغيرهم مثله أو ما يقاربه ولا أنهم أقرب الأمم الأوربية الى أخلاق الاسلام وفضائله وأرجاهم لفائدة أهله

بعد التذكير بهذا نقول ان الحاج عبد الله براون الانكليزي الذي اهتدى الى الاسلام من عدة سنين وثبت عليه وماتج أهله توجهت نفسه الى القيام بخدمة مصلحة لأهل دينه الذي اهتدى اليه ولأبناء جسده الذين ثبت فيهم وذلك بأن يثني جريدة انكليزية في مصر غرضها الأول التوفيق بين مصلحة الانكليز ومصلحة المسلمين في مصر وفي المستعمرات الانكليزية كالمند وعمرها . وقد سافر الى الهند بمساعدة أهل الغيرة والتجدة من المسلمين الذين يعرفون قيمة هذا السعي ليعرض رأيه على كبار المسلمين هناك ويستمدهم في الإسعاد غاية . وقد بلغنا ان الاورد كره من مراتج الى هذا العمل ومساند غايته ويرجى من كبار عقلاء المسلمين في الهند أكثر مما يرجى من عدائهم في مصر . ماداً وإرفاداً .

ومما يدلنا على ان هذا العمل يرجى نجاحه أننا رأينا الحوادث قد أعدت النفس من قبل في بعض الصحف من الكتابات الكثيرة التي دأب على توجيه حكام الانكليز والذين هم في هذه المسألة من التربية المللية الاستقلالية والتعظيم النافع وقد عرب انويديتة في معرفة المصريين كما عرفوا بالاختيار سوء مغبة ماجرى عليه أحداث السياسة عندهم من اللفظ بسبب الانكليز وشتهم وجعل حسنتهم



سينات فرجع المصريون الى رأي اخوانهم مسامي الهند الذين جربوا قبلهم معاداة القوة ثم رجعوا فصرفوا فائدة المسألة وهو أنه لا أنفع للمسامين من التوفيق بين مصالحهم ومصلح الإنكليز والعمل معهم بالصدق والإخلاص . وكل هذا من مقدمات مجد الاسلام المستقبل « والعاقبة للمتقين »

﴿ مابعد الاستشارة ﴾

استثمرنا قراء النار في نشر ما جاء في سجل جمعية ام القرى من معائب السياسة والادارة في دولتنا (ايدها الله تعالى) فكتب اليها بعضهم يحزم بوجوب نشر السجل كله ليعرف محبو الاطلاع اسباب الفتور السياسية كما عرفوا غيرها . ولم يكتب اليها احد قط باستحسان عدم النشر ولكن بعض اصدقائنا قالوا لنا شفاهاً أنهم يرجحون عدم النشر لئلا ينفر الحب الجاهل الراغب في بقائه على جهله من النار ويظن أنه ينفر عن الدولة العلية التي هي أعظم دولة إسلامية . ولكننا رأينا ان انتفاع الجمهور بعلم كل من يقال عن الدولة أولى بأن يرجح على انتفاع ادارة النار من رضاء محبي الجهل عنها . اما الانتفاع بما نشر فهو ان نشر مثل هذه الافكار هو الذي يقع الترك والعرب وسائر المسامين بأنه لا شيء اضر عليهم من حل الرابطة الإسلامية استغناء بالروابط الجنسية . ويظهر ان مولانا السلطان عبد الحميد (وفقه الله تعالى) مقتنع بهذا المعنى كما اقتنع به من قبل اعظم سافه (السلطان سليم ياوز) ولذلك تراه يعتمد في مهماته على ابناء العرب اكثر من غيرهم ولو كان قادراً على ازالة الجنسية التركية لأزالها فيما يظهر وقد رأينا كثيرين من عقلاء الاراك مقتنعين بهذا الرأي اعظمهم المشير مختار باشا الغازي . ولو لا أنهم عرفوا مضرة الجنسية وعرفوا ان عقلاء العرب عرفوها لما اقتنعوا بها . ولا يجوز ان يحملنا ما ورد في سجل الجمعية على بغض الترك فزيد في ضرر الجنسية وإنما يجب ان نسي في ازالة الجنسية والرجوع الى الرابطة الإسلامية وحدها . على ان ما ذكر من بغض الترك واحتقارهم للعرب ليس عاماً فيهم وإنما هو شئنة من افسدتهم السياسة الفاسدة قوا اكثرهم اخلاط في الأصل من الأجانب والعناصر الغربية . وقد بلغنا ان الترك العريقين في الاناطول يتبركون بالعرابي اذا راوه ويحجونه لأنه من بلاد النبي صلى الله عليه وسلم وان كان في شخصه ضعفاً سافلاً . ويكادون يعبدون من ينسب الى آل البيت عليهم السلام

﴿ الجرائد والمجلات والمشترون ﴾

يكتب اليها كثيرون طالين الاشتراك بالجائفة بما دون القيمة المعروفة لانهم لا يملكون

ولأنهم فقراء ومنهم من يصف حاجته الى النار وضيق ذات يده المانع من دفع جميع الاشتراك وصفاً غريباً ولا شك ان منهم من يستحق ان يسمح له بما يريد لانه صادق في استقبال دفعه حينئذياً من مرة واحدة لانه فقير اليه ومنهم من يحرم ان يساعد على الطاعة لانه لا يملك النفس غني اليه وقد يشبه هذا بذاك فان لم يشتره فان الثاني يحني على الاول

كنا جعلنا قيمة الاشتراك لطلاب العلوم ٤ فرساً فرأينا العلماء وأساتذة المدارس و نظارها لا يدفعون الا ٤ قيساً على التلامذة والطلاب بجامع الاشتغال بالعلم ورأينا نظارة شرعيين وجميع من تخرج من المدارس الى الوظائف بأنواعها لا يدفعون الا ٤ عملاً بقاعدة الاستصحاب الفقهية أو جرباً مع حركة الاستمرار الطبيعية وهذا يضييع حق المنار بين القاعدة الفقهية والدمون الطبيعي بسوء التطبيق ثم وإذا جعلنا الفقراء سبباً للرضى بنصف الاشتراك وكان كل انسان هو المعروف للفقراء وإذا كان أكثر الأغنياء الحقيقيين مع هذا لا يخفون بالعلم والدين ولا يعصون من يخدمهم فلا شك أنه لا سلم لأصحاب الجريدة خمسة في المئة من المشتركين يدفعون قيمة الاشتراك كاملة وإذا علم به هذا ان الغني والفقير والمعلم والتلميذ سواء في المطال أو الارحام في دفع قيمة الاشتراك ولو الى آخر السنة وأن بعضهم يستحل أكل ثمن الجرائد والمجلات فيلزم تخصيص الجرائد منهم من يقتدي ببعض المشتركين باستحلال أكل ما يحصله كما وقع لمراد أو منهم من يشارك صاحب الجريدة بأخمس حق كأن المال غنيمة والحاصل هو السلطان أو بيت المال — فان العام بذلك يحجل أن يطلب الاشتراك بنصف القيمة في تجله يباع صفحات مجلداتها في السنة نحو ألف صفحة وبسرف صاحبها في تأليف سنة كاملة (المنار) أقل مجلات النظر الشهيرة ثمناً فيها مائته في السنة جنباً منها مائته ٨٠ مائته ٧٠ ومائته ٦٠ وبعض هذه المجلات أصغر من المنار حجماً وربما كان بعضها أقل فأنار ربما تشتغل عدة ساعات في البحث عن حديث واحد لتعرف جميع مخرجه وما قيل فيه فاهموا بجموع ما تقدم ثم حينئذاً الذين طلبوا الاشتراك انصبت الدموع على عمد محامهم ولاعتذار الكلي واحد منهم وقد كتبنا هذه البينة بالحق والصدق على المنار ان يسمعوا من طاعة التنازل من احد الاشتراك من محمد بن قريشاً في السنة خمسة بجوا ويرجوه ومن يعلم باليقين أنه مستمر عليه ان يورث من نفقته في السنة محمد بن قريشاً بجملها ثمناً فجأة يجب ان يقرأها ويرجى ان يراجعها فإنا نرسل اليه المنار بلا ثمن



فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيؤمنون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

يقول الحكمة من بقاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
ينكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر الخميس ١٦ شوال سنة ١٣٢٠ — ١٥ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣)

﴿ باب العقائد ﴾

﴿ رأيت في علم الكلام . وطريقة في اثبات الوحي ﴾

(لعالم عامل وكاتب فاضل)

سلام عليكم أيها القارئون ورحمة الله وبركاته . وانعامه واكرامه .

هذه كلمات قليلة قدمتها لكم على صفحات هذه المجلة النافعة . اشير فيها لبيان شيء من حال علم الكلام وأختصارها بذكر طريقة سهلة للسالك قريبة للآخذ في اثبات الوحي .

— الذي دعاني لتحرير هذا —

كيفما التفت الإنسان بحسه أو فكره لا يجد شيئاً إلا وشيء آخر يقابله هو ضد له . وكيفما تقلب لا يلقى نفسه إلا بين شيئين يسعى أحدهما « المحبة » والآخر « النفرة » . وكيفما تحرك فهو إما طالب لما يحب وإما هارب مما ينفّر . يا ويح الإنسان الذي يشغل مدة حياته بالطلب والحرب . ثم يا ويح حين يرى لما يطلبه طلاباً كثيراً يزعمونه وينازعونه . ثم حين يجد نفسه غير مستقل فيما يحب وينفّر . يحب شيئاً ، فيعاقب ، ويكره شيئاً فيعاقب ، ثم يا ويح حين يعلم أفراد نوعه متضادين ومتجادلين من أجل التضاد . هذا الجدال قد يخدم بين الأخوة بني النوع من أجل الاحتياج الذي فطروا عليه وقد يكون الاحتياج دواءً مسكناً من هذا الغليان . وطالما شوهدت أشياء ، مثل الاحتياج تكون داءً ودواءً

من أجل الاحتياج يتفرق النوع ويتخاذل ، ومن أجله يلتئم ويتعاون ، وليس كل احتياج منشأ الضرورة بل كثير منه منشأ حب التميز . ومن فضل الخالق أن جعل كلاً محتاجاً ومحتاجاً إليه . المَطْعَمُونَ محتاجون للكاسين ، والكاسيون محتاجون للمطعمين ، والتريقان محتاجان للبانين ، والثلاثة محتاجون للبانين ، والأربعة محتاجون للحافظين ، وخمسة المحتاجون للإثبات ، والسادس المحتاجون للمحول ، والسابع حريصون على محصل الثمانية ، والثامن محتاجون للتسارعين الذين يبنون

الحدود والحقوق، والكل محتاجون مع العمل الى العلم والمعلمين، وفي هذا كله حكم عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها
ما احوجنا مع هذا الاحتياج والتعاون في لوازم الحس الى التخاب والتعاون في لوازم العقل في الاسف لم نر انفسنا الا على هذه الحالة متفرقين وما نحن ابتدعنا الفرق بل كان قبل ان كانت اشخاصنا وسبقنا الى من بعدنا ليس علينا رفع الخلاف ولا تقوى نحن عليه، ولكن علينا ان لا نزيده كما زاده المتعاملون المطاعون في حياتهم والمتبعون بعد موتهم، اولئك الذين يكذبون على الناس صفاء فطرتهم، ويفسدون عليهم سلامة تصورهم، بل علينا ان نجتهد في تخفيفه وذلك لا يكون الا بصقل العقول من صدى الاوهام فتأينا مجاهدة الاوهام واهلها مبلغ جهلنا، وما اجمل هذه من وظيفة نشكر عليها المحيط المقسيم الممد الذي جعل لنا منها نصيباً، وانا عليها عوناً، واحسن جلاء للعقول هو ازالة سيطرة المتعاملين بها (فهو الصدا العظيم) واستعمالها في فهم اسرار الكائنات وحكم الشرائع، وافضل عون لها في بلوغها في هذا السبيل هو الدين الخالص من شوب الناس، ذلك لان البشر منذ القديم كدروا العقل بتصورات سقيمة في شأن الموجد الاول فالدين يرشد لا سلم، وحماء النفوس على عادات قبيحة ضارة سموها عبادات فالدين يهدي لأجن ونافع، وحماءها ثقلاً من القوانين الجائرة فالدين يوصي بأعدل، وزيروا لها اخلاقاً فاسدة فالدين يدل على اصالح، لكن الناس اصناف مصنعة، كثيرهم يميلون لما هو ضد الخير ونحن نفوسهم الى الرذائل الخارجة عن حد الاعتدال في كل شيء كما هو داب الذين خلوا من قبل، فمن يمسك بالدين البتة فلا ظلام فيه هبنا، ومن تمسك

فيه تراهم في منازيرته على نوعين - نوع يغايرونه بالفعل ويتمسكون منه بالاسم وهم الاكثرون ونوع يغايرونه بعلوم يحدثونها يُبصرون الناس فيها انهم اولياؤه . فاما الذين يغايرونه بالفعل فالوظيفة معهم الوعظ والتذكير . واما الذين يغايرونه بما يحدثونه فالوظيفة معهم وظيفة المناقل مع المناقل في الدعاوي والبيّنات . وتحقق الحقيقة ويطل الغلط .

ولما عرفت ان الدين كلام يفهمه المناقلون ، ولا يحتمل ما يعزوه اليه المتفردون ، حرصت نفسي على كشف حال كثير من العلوم المحدثه فأقول مالها وما عليها ليعلم طلابها ما يضرهم وما ينفعهم . ذاك منذ علمت ان سعادتني في ان اكون مخلص القلب للمجتمع الانساني ، القائم على ناموس رباني ، وان اكون شاكراً انعم العالمين بما ينفع الناس ملتئماً مع من عرفوا النعم فشكروها ، اوجهلوهافانستعرفوها ، نافرأ عن كفروابها واستيقنتها انفسهم . فهذا ما دعاني اليوم لتحرير هذه الكلمات الشارحة رأياً في علم الكلام . وطريقة في إثبات الوحي .

﴿ تمهيد وتقسيم ﴾

هذا الإدراك الذي اوتي به الإنسان لم يقف به عند استعراف ما يطعمه ويكتسبه ويأوي اليه بل ساء به من عالم الشهادة الى عالم الغيب = من عالم الحس الى عالم الخدس =

يسأل الانسان نفسه بنفسه ما هو الموجد الأول او ما هو الموجود الأول ، من صنع هذه الكواكب الزاهرة ، من اوجد هذه البحار الزاخرة ، من انشا هذه الأرواح العاقلة ، من خلق هذه الاسباب الظاهرة والباطنة ، من سوى هذه الروابط الثابتة ، من صرر هذه

الصور المتغيرة ، من يدبر هذه الكائنات المتنوعة :

ثم ينتقل من هذا السؤال الى سؤال آخر فيقول : ما هي نفسنا ما هو ادراكنا . لماذا افرادنا متفاوتون فيه . ما هي هذه الحياة التي نحياها . ما الفائدة لنا منها . ما الحكمة للذي سوى فيها . ما الذي يجب ان نعمله معها . اين تذهب ارواحنا عند اضمحلال هذه الحياة . لماذا نحيا وهي مع قصرها مرة المذاق . كدرة الموارد . لماذا نتراحم . لماذا نتجادل . ما السبيل لسلامتنا بعضنا من بعض ؟

هذه الأسئلة وامثالها شغلت فكر هذا النوع من زمن قديم ليس لنا ولا لغيرنا علمه . وما زال الناس ولا يزالون يتساءلون ويتجادلون في هذا الى ما شاء الله . وليس البحث في هذه شأن كل فرد من الأفراد بل هو شأن نفر من كل امة من هذه الأمم المتفرقة . وقد يعقب البحث والتفكير تصور ويعقب التصور عقد . ويحمل العاقد بشيء غيره ان يعتقد كما اعتقد فكذا تكونت نحل الناس ومللهم .

والذين اشتغلوا بتدوين العلوم قد تقيّدوا باصطلاحات خاصة زعم ان بها يمكنهم تعميم فائدتها . واما الذين عرفوا كيف يقرب العلم من افهام الطبقات المختلفة فيجبون ان تتجاف عباراتهم عن الاصطلاحات . هما امكنهم ذكرني بذكر هذه القضية اني رأيت مدوني هذه المباحث في لغتنا قد تباعدوا بها عن افهام الاكثرين بكثرة ما جاؤوا فيها من الاصطلاحات وهم ما قصدوا الا التفهيم بل زعم بعضهم ان الناس اجهلين مكلفون ان يعلموا علمهم ذلك . ولا بد من ان يزعم هذا ان اصطلاحاتهم يفهمها كل واحد من أهل اللغات المختلفة . ولعل عذرهم انهم دونوها كما وجدوها على اصطلاح

الباحثين من أئمة أخرى . وهو عذر مقبول في الجملة
هذه المباحث يقال لمجموعها في اصطلاح المدونين (فلسفة) وهي كلمة
منحوتة من اليونانية قالوا معناها (حُبُّ الحكمة) . ومن أجل شيوخ
هذه الكلمة بهذا المعنى ظن البعض أن الفلسفة اليونانية هي أول فلسفة
ومن أجل أن علم الكلام (الآتي ذكره) يرد كثيراً من آراء فلاسفة
اليونان كما يرد الفلاسفة بعضهم على بعض ظن أن علم الكلام إنما جعل
لنقض الفلسفة . والظن الأول يزعمه التدقيق في التاريخ العام للأزمنة
القديمة التي يجمل منها أكثر مما يعرف . والظن الثاني يزعمه معرفة أن
علم الكلام فلسفة يعرف بها صحة الدين . وليست كل الفلسفة مناقضة للدين
حتى يحتاج الدين إلى علمه تنقض الفلسفة كما أنه ليس كل كلام أهل الكلام
مقبولاً عند الدين بل كثير منه مردود بشهادة بعضهم على بعض . والمدقق
يعلم أن ليس علم الكلام إلا قسمين قسمًا يجمعون فيه نظريات على طريقة
الفلاسفة القدماء يوافقونهم في أشياء ويخالفونهم في أشياء . وقسمًا يجمعون
فيه خلافات ومنازعات بينهم أنفسهم
ويعلم أيضاً أن الدين انتصر بروحه الزكية السالمة من الشوائب قبل
أن يجيء علم الكلام ناصراً له وناقضاً للفلسفة . ولكي يعلم الناظر هنا
آراء الناس في الإلهيات قبل الإسلام وقبل علم الكلام أذكر نموذجاً
يسيراً منها في فصل . ومنه انتقل لعلم الكلام في فصل آخر

❦ الفصل الاول ❦

— الفلسفة الالهية عند الامم السالفة —

كان الصابئة (وهم طائفة منبها بلاد فارس منها انفصل ابراهيم النبي الذي هاجر الى فلسطين وتسلسلت النبوة في عقبه) يقولون ان للمسلم صانعا فاطرا حكيماً مقدساً عن سمات الحداث والواجب علينا معرفة المعجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرأ وفعلأ وحالة وهم ينكرون نبوة البشر ولكنهم يعترفون بمعلمهم الأول هرمس (قيل هو ادريس) ويثبتون عالماً روحانياً على نحو ايسميه الكتايبون الملائكة وقسموا هذا العالم الروحاني الى طوائف منها مدبرات الكواكب التي هي هياكلها اذ لكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الى ذاك الهيكل نسبة الروح الى الجسد فهو ربه ومدبره ومدبره . وربما يسمون الهياكل أرباباً وربما يسمونها آباء والعناصر أمهات . فوظيفة هذه المدبرات تحريك الكواكب على قدر مخصوص ويحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في التركيبات فيتبعها قوى جسمية ويركب عليها نفوس روحانية مثل أنواع النبات والحيوان ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي فمع جنس المظرملاك ومع كل قطرة ملاك

واتخذ هؤلاء صوراً وتمثيل على صور الكواكب وأمثالها وولوا لها البيوت وأقاموا لها الهياكل واحتفلوا من أجلها بنفوس ومراسم شريفاً مناسب كتب الجدل وكتب التاريخ . وليس غرضنا الا التمثيل اليسير

وكان « الزروانية » (وهم طائفة من الفرس) يقولون ان النور أبدع اشخاصاً من نور كلهما روحانية نورانية ربانية لكن الشخص الذي اسمه « زروان » شك في شيء من الاشياء فحدث « اهرمن » (الشيطان) من ذاك الشك ولهم في ذلك اساطير لم نجوز سردها لقلة فائدتها.

وكان « الزرداشتية » (وهم طائفة فارسية اخرى زعيمهم زرداشت) يقولون ان النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك « يزدان » و « اهرمن » وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور المختلفة والبارئ تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولا ندويدي اصحاب (زرداشت) معجزات كثيرة له وكان (حنايس) اليوناني -- الذي تعلم الالهيات والهندسة والهيئة في مصر وهو اعظم مؤلفي الفلسفة المسماة يونانية -- يقول ان جميع ما في الكون لا يخلو عن احساس ما وانه ملوء بما لا يدركه الطرف من المخلوقات وكلها متحركة ذات ارواح

وكان (فيثاغورس) يقول ان العالم له روح وإدراك وان روح هذا الدولاب العظيم هو الاثير فنه جميع الارواح الجزئية وكان يقول ان الارواح لا تقف فهي تسيح في الهواء الى ان تصادف جسماً فتدخل فيه ولذلك كان يشدد في منع اكل الحيونات . وادعى فيثاغورس معجزات كثيرة جملها لتأييد مذهبه في تناسخ الارواح ومما فعل انه بنى له تحت الارض حجرة صغيرة وعاهدها ان تكتب له كل ما يكون ويحدث فغاب فيها سنة ثم خرج نحيقاً أشعث أغبر وجمع الناس واخبرهم انه كان

فوق جميع البشر (تأمل)

وكان (هيرقليس) يقول ان الكون ممتلي من الجن والعقول وان
الآله لما قضى أزلاً بوجود الاشياء تركها لتدبير خلقه (تأمل)

وكان « انكسغوراس » يقول بالعقل الذي يفيض على كل مادة ما
يليق بها من الصورة وكان يقول لافراغ في الجو بل هو مملوء ون
جميع الاجسام تقبل القسمة الى ما لانهاية له ولو كان الجسم صغيراً جداً
بحيث لو وجد قاسم ماهر وآلة تقسيم لا يمكن ان يستخرج من رجل
البعوضة اجزاء لو وضعت على الف الف سماء استرتها من غير انها يها في
نفسها بل لا تزال قابلة للقسمة (تأمل)

وكان « افلاطون » يقول الأصول ثلاثة الآله والمادة والإدراك
فالآله يشبه عقل العقول والمادة تشبه السبب الأول للتولد والنسب .
والإدراك كجوهر روحي قائم بذات الآله . كان الناس يلقبون
افلاطون بالالهي وكانوا يقولون ان افلاطون يعرف الآله الحقيقي معرفة
جيدة وهذا إما من جودة ذهنه او مما أطلع عليه من كتب العبرانيين
(تأمل) ووقع من افلاطون انه نوع الالهة من اثبات علويين مسكنهم
السماء ومتوسطين يسمون جنأ كوزراء للعلويين مسكنهم الهواء وسفليين
مسكنهم الماء سماهم انصاف الالهة (تأمل) وقال ان جميع عناصر العالم
وسائر اجزائه متناهية بهذا النوع الثالث وقد يظهرون في بعض الاحيان
لا بصرنا ويختفون احياناً . مع افلاطون فيثاغورس في تناسخ الأرواح
وكان « ارسطاطاليس » يقول . الأصول ثلاثة العدم والمادة والصورة
وعرف المادة بتعريفين مختلفين سلباً وإيجاباً فقال في الاول : المادة هي ما

ليست جوهر ذلك الشيء ولا امتداده ولا عرضة ولا نوعاً آخر من
الامور الوجودية المارضة له : وقال في الثاني : المادة هي مبدأ تركيب الاشياء
ومنتهى تغيراتها : وليس في الاثنين ما يفيد حقيقتها (تأمل)
وكان « ابيقور » يقول بأن الروح جسمانية ممتلئة ذلك بأنها محركة
لاجسامنا مشاركة لها المآ ولذة واننا في حالة ثقل النوم نتيقظ بها بفتة وبها
تتغير الواننا على حسب ما يعرض لها من الحركات والاعراض
هؤلاء من مشاهير اليونان الذين تكلموا في الالهيات وهذه
مشهورات من آرائهم فيها (وأما علومهم الرياضية والمنطقية فليست من
صدد موضوعنا ولا تنقضها الالهيات والعلوم الخادمة لها ولا تأمر بتنقضها
بل بإبرامها لانها لازمة نافعة واما علومهم الطبيعية فلا ننكرها عليهم أيضاً
الا ما انكروا فيها الصانع وصنعه)

وكان « اليهود » يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويقولون إن عيسى
بن مريم الذي خلق من غير اب زنت به امه واتى من الزنا وخالف بعمله
النواميس الشرعية فقتلناه وصلبناه

وكان النصارى يقولون لابل عيسى هو ابن الله بعثه ليخلص الناس
من خطيئة آدم التي لحقت بأولاده وجعله فداء لهم من الخطيئة التي لم
يسكن غضب الرب من اجلها ثم اختار أن يكون سكون غضبه وتخليص
الناس منه بواسطة اراقه دم ابنه ولا تقس أن النصارى يقولون أيضاً
بأصول ثلاثة الاب والابن وروح القدس

وكان العرب أصنافاً منهم من انكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع
الطبي والدهر المفني كما حكى ذلك القرآن عنهم « وقالوا ما هي الا حياتنا

الدنيا فوت ونحي . وما يهلكنا الا الدهر ، اشارة الى الطبائع المحسوسة
وقصر الحياة على تركيبها وتحللها . فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر
ومنهم . صنف أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة
وأنكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة
وهم الدهماء من العرب الا شراذم منهم

ومن العرب من كان يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان أوقتل
اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيراً هامة

ومنهم من كان على ملة ابراهيم كزيد بن عمرو بن نفيل . ومنهم من
تهود . ومنهم من تنصر ومنهم من تفلسف وأدرك بعقله الحشر والجزاء
قال « قس بن ساعدة » وهو أحد حكماء العرب : كلا ورب الكعبة ليعودن
ماباد . وقال أيضاً : كلا بل هو الله اله واحد . ليس بمولود ولا والد .
أعاد وأبدى ، واليه المآب غداً ، وقال « عامر بن الطرب العدوي » وهو
من حكماء العرب أيضاً اني مارأيت شيئاً قط خلق نفسه ، ولا رأيت
موضوعاً الا مصنوعاً ، ولا جائياً الا ذاهباً ، ولو كان يميت الناس الداء ،
لا حياهم الدواء ، ثم قال : اني أرى أموراً شتى وحتى : قيل له : ماذا ؟ قال :
برجع الميت حياً ، ويمود اللاشيء شيئاً ، ولذلك خلقت السموات والأرض :
وقال علاف بن شهاب التميمي

وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الأبدان

— ظهور محمد عليه السلام —

فينا حال الناس عامة والعرب خاصة على ما قصصناه ظهر « محمد »
من العرب بين أظهرهم بهدى عظيم ، ودعا الى صراط مستقيم ، صدقه

بدعوته الواحد والاثنان، وكذبته الشعب الكبير المتشعب الى جماجم
وبطون وأفخاذ، صدقه من صدقه لتور قذف في قلبه، رأى به وجهه وجه
صادق، وخطته خطه مرشد، ودعوته دعوة مويد من عالم الغيب، وكذبته من
كذبه لشبهة عنت له، وحجاب أسدل على بصيرته، ثم صدقه آخرًا من
كذبه أولاً، ولم يفارق هذه الدار وفي جزيرة العرب جماعة مكذبون

كيف آمن جمهور العرب به من بعد أن أورد متعاقلوهم كل شبهة
عنت لهم، من بعد أن قالوا ساحر كذاب، من بعد أن قالوا شاعر مجنون؟
هل آمنوا رهبة من سيفه؟ فكيف أرهب سيف هذا الواحد قلوب تلك
القبائل الكثيرة؟ هل آمنوا رغبة في الثناء؟ فكيف سرى هذا الخاطر
الواحد في أفكار الكل بعد أن صدوا أعظم الصدود وحارب بعضهم بعضاً
من أجل أن ينصره قوم ويكيدهم قوم؟

انما آمن العرب بعد حين من دعوته تربصوا فيه ان تظهر لهم أعلام
صدقه فظهرت (كما سيظهر لك) ويومئذ دخلوا في دينه أفواجاً، ووفدوا
على حضرته زمراً، يبايعونه على التصديق والاتباع، ويستعلمون منه
الوظائف والواجبات، ويرجعون عنه بأفئدة مسرورة، وعزائم مشتدة،

أما العقيدة التي كان هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوصي بها
فهي أن يشهد الرجل أن « لا اله الا الله » وأن « محمداً رسول الله » . كلمة
« الله » عند العرب علم على الخالق كانوا يقولون به ولكنهم لا يعرفون
كماله كما يجب فكان منهم من يظن أن الملائكة بناته وان الأصنام شركاؤه
في بعض ملكه فعرفهم أن الله لا يشبه المخلوقات فلا يلد ولا يولد وليس
له شريك في الملك ولا اله غيره ولا معبود سواه ولا ينبغي أن يربح

ويخاف من غيره . فكل هذه المعاني مجموعة في كلمة « لا اله الا الله »
وأما الكلمة الثانية فالمقصود منها التسليم بما جاء به في الكتاب والخضوع
لما يحكم به ويمضيه واعتقاد أن هذا الكتاب كلام الله أوحاه اليه بواسطة
ملك من الملائكة الذين هم خلق مدركون لا يعصون الله تعالى ويندرج في
هذه العقيدة الايمان باليوم الآخر

هذه العقيدة التي يصير بها المصدق محمدياً وقد ورد تفصيلها في
القرآن كصفات الله تعالى والاحتجاج على المكذبين والوعد والوعيد
في الدار الآخرة . ويعلم القارئ أن العرب المدعوين لما آمنوا ما كانوا يعلمون
القرآن كله لأنه لم يكن قد تم نزولاً . بل أكثرهم ما كانوا يعلمون غير
الآيات القليلة وكان أعلمهم به (أي الذين يعلمون كثيراً من الآيات) لا يجد
في الألفاظ شيئاً غريباً في مدلوله ليتساءلوا عنه ويتباحثوا فيه (الاماروي نادراً)
بل كان هذا التباحث من قسمة الذين اتوا بهيدم

أتى بهيد عصره أناس قرأوا القرآن فعلموا شيئاً وجعلوا شيئاً وأناس
استمعوا لآراء الناس في الإلهيات من نحو ما قصصناه عليكم وانقسموا فيه
فرقتين محبة وكارهة . ثم انقسمت المحبة فرقتين مصوبة ومخطئة . ثم
انقسمت المصوبة طائفتين مؤولة للدين على مقتضاها وتاركة له على حاله .
ثم انقسمت المؤولة زمريتين معتدلة وغالية . فهذا هو مبدأ نشأة الفلسفة
في الإلهيات عند المسلمين وعلى هذا الشكل كان تفرق أهل هذه الفلسفة

الفصل الثاني

— الفلسفة الإلهية عند المسلمين — أو — علم الكلام —

لا يصح أن نقول أن العصر الأول للإسلام كان خالياً من بذور

البدع التي حدثت بعده في الأصول والافروع . نحن لا نقول هذا القول لأن أقوال المعاصرين للرسول كثير منها محكي في القرآن ونرى في بعضها ما يدل على أنه كذهب الجبرية وفي بعضها ما يدل على أنه كذهب القدرية وغير ذلك . ولكننا نقول لم تثبت تلك البذور الا في اواخر أيام الصحابة حين أظهر معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري القول بانكواضامة الخير والشر الى الخالق سبحانه . ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وكان هذا تلميذاً للحسن البصري . ويحكى أنه دخل واحد على الحسن فقال يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبار والكبيرة عنهم كفر يخرج بها صاحبها عن الملة . وجماعة يرجئون أصحاب الكبار والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان فكيف تحكم لنا بذلك اعتقاداً ؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلين لا مؤمن ولا كافر . ثم قام واعتزل الى اسطوانة في المسجد وأخذ يقر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمي هو واصحابه « معتزلة »

وقال « واصل » هذا بقول معبد وغيلان في مسألة افعال العباد وانكر مثلها قضاء الله تعالى وقدره . فسموا « قدرية » (سماهم بهذا خصوصاً) . قال ان الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمرهم به . وأن يحكم عليهم حكماً ثم يجازيهم عليه .

وقال « واصل » واصحابه يستحيل وجود إلهين قديمين ازلين ولذلك نشواضنة العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام عن

الباري اي لم يقولوا هذه صفات للباري قديمة ازلية بل ان الله عالم حي قادر وليس علمه ولا حياته ولا قدرته الا ذاته .

هذا رأس الطائفة. « المعتزلة » وطالع بعده الشيوخ الذين اتبعوه كتب الفلاسفة فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وافردتها فنا من فنون العلم وسمتها باسم « الكلام » إما لان اظهر مسألة تكلموا فيها هي مسألة الكلام فسمي الفن باسمها واما لما بلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان . (كذا قيل)

وتفنن « المعتزلة » في هذه المباحث وزاد الآخر على الاول وتروثق كلامهم في أيام المأمون والواثق والمتصم :

أما مسألة الكلام المشار اليها فهي القول بأن القرآن مخلوق ومن اشهر بهذا القول جهم بن صفوان وكان هذا جبرياً اي يقول أن العبد مجبور في أفعاله . وهذا المذهب ضد مذهب المعتزلة الذي معناه ان العبد حر في أفعاله أي ليس مسلوب الاختيار بإرادة الله وحكمه .

وكان بين « المعتزلة » العلماء العقليين وبين أهل الرواية في كل زمان اختلافات ومنازعات في مسألة الصفات وكان العلماء النقليون يناظرون الآخرين لأعلى قانون منطقي بل على طريقة المفتين في الدين . وكان من احسنهم اتفاقاً أبو العباس القلانسي والحارث المحاسبي . وجرت مناظرة بين أبي الحسن الأشعري وبين استاذه أبي علي الجبائي في بعض مسائل والزمه اموراً لم يتخلص عنها بمجواب فأعرض عنه وانحاز الى النقليين السالكين طريقة السلف ونصر مذهبهم على قواعد منطقية واساسات نظرية فصار ذلك مذهباً منفرداً وهو المشهور اليوم بأنه مذهب أهل

السنة والجماعة . ويظن البعض بأنه بقي في مذهبه بقايا من مقالات
اساتذته قبل ان تركهم وهم من شيوخ الاعتزال . وقررت طريقته جماعة من
الأذكياء كالقاضي ابى بكر الباقلاني والاستاذ ابى اسحاق الاسفرائيني
والاستاذ ابى بكر بن فورك على اختلاف بينهم قليل .

ومن يطالع مقالات المعتزلة بامعان يتبين له ان مقاصدهم التوفيق بين
الدين والفلسفة ولم يتيسر لهم ذلك لاصرين الاول ان الفلسفة التي طالعوها
اكثرها غير صحيحة فلذلك لم تلتم مع الدين . الثاني ان المقصد الاصيلي من
الدين هو العمل وهؤلاء افرطوا في الجدل فشطوا عن مقصد الدين كما
شط مجادلوه من الجبرية الخالصة والجبرية المتوسطة والمرجئة .

لكن القوم بما صنعوه في احتجاجاتهم وبما اضطروا مناظرهم ان
يقلدوهم في النظر والاستدلال قد رفقوا شأن العقل كما يجب له ووسعوا
ميدان نظره وقرروا آداباً مهمة وقوانين محكمة في المناظرة من حيث هي
وفي المناظرة في موضوعهم هذا بخصوصه . ومن اهم تلك الآداب معرفة
كل منهم ان مناظرهم نظيرهم . وعدم تكفير بعضهم بعضاً لوجود المباني
بالفهم . ولا يلفنك عن تسليم هذا شذوذ البعض عن هذا الالف الشرعي
المعتمد على اصل شرعي ، ومن اهم تلك القوانين تقريرهم جميعاً ان الدليل
العقلي القطعي يقدم على الدليل النقلى عند التمارض ويستعان له بالهجاز
والتأويل لتلايذهب سدى كذا قال بعض الأذكياء . واقول ياليتنا استفدنا
هذه الفائدة التي اشار اليها من غير باب الجدل في الدين . والتجربة ترينا
ان هذه الفائدة لم تتم الا في عقل الباحثين واكملهم قصداً واوفرهم حكمة
وليس هؤلاء بكثيرين حتى نقول ان مخالفتهم قد شذ . نعم ليس بمنكور

عندي ان صنيعهم ذلك رفع شان العقل وكاد ان يبلغه اشده في هذا الباب
ويسير به الى ابواب اخرى من استعراف اسرار الكائنات وحكم الشرائع
عامه، والشريعة المحمدية خاصة ويومئذ كان يرجي للدين دوام سيره
وانتشاره على السيرة الاولى ولكن هو الخطأ في الدين يقف به ويمنع سيره
ان كان قوياً ويزهقه ان كان ضعيفاً .

نرجو أن تكون قد عرفت مما تقدم ان مدار الفلسفة الالهية
الاسلامية على آراء «المعتزلة» ومناظريهم . أما مناظروهم فالتكاملون من أهل
السنة (وأشهرهم الأشاعرة) والقيسون من أهل السنة والغلاة من الفريقين
كالجبرية والحشوية والمشبهة والمرجئة . والغلو في كل شيء مذموم .

وقد أجللنا هذه الفلسفة عن أن نمدني أهلها وأئمتك الذين يتشيعون في رجل
إيمنه أو يتمصبون عليه وان عدم الناس الباحثون في فرق المحدثين . اذ الشرط
أن نحكي ماله علاقة بالفلسفة دون مالا علاقة له إلا بالهوى والسياسة .

وهذه أول كلمة نوجهها لعلم الكلام وعلمائهم متأسفين على اشتغال أفاضل
أهل هذه الصناعة من المعتزلة ومناظريهم في هذه المسئلة التي أو ما أنا إليها .
والئن كان للمتقدمين منهم عذر لأن الزمان زمانها فليس للمتوسطين فضلاً
عن المتأخرين وجه من الوجوه المزيينة أو سبب من الاسباب الحاملة اللهم
الاهوى البعض وتقليد البعض ولا يؤلم قلبي الا المتبعون على عمه الذين نزلوا
أنفسهم منزلة القاصرين .

والكلمة الثانية أوجهها الجمهور أيضاً على عدم تروى كل منهم في كلام
الآخر . لأننا حين السائل والتروى نجد اختلافهم انما هو على الاصطلاحات
دائر . وقلما نجد بينهم اختلافاً عظيماً في حقيقة من الحقائق بل اختلافاتهم

مع الفلسفة يمكن القول فيها هكذا أيضاً. ولتوضيح هذا نورد هنا أمثلة:

(١) هل بين المقول السالبة اختلاف في أن الموجودات ترجع الى

مبدأ. هل بينها اختلاف في أن مبادئها يجب أن لا يكون قبله شيء. هل

بينها اختلاف في أن النفوس مستشرقة دائماً أن تعرف ما هو ذلك المبدأ.

(٢) ما هو ذلك الشيء؟ هنا الاختلاف اذا لم يترؤ الناس مع بعضهم

واذا ترووا فلا خلاف. نحلل هذا السؤال الى أربعة: (١) ماهي ذاته (٢)

ماهي صفاته (٣) ماهي أفعاله (٤) ما هو اسمه؟ اما السؤال الأول فاجواب

كل عاقل فيه لانعلمها. لا يخالف في ذلك عقلاً ملي ولا فيلسوف على

اختلاف فرق المليون والفلسفة اللهم إلا من لا يتدبرون. واما الثاني فالجواب

فيه لا يحد لأنه لم يحس، ولا يوصف لأنه لم يعرف، لا يخالف في هذا

أيضاً. ومن يصفونه من المليون لا يصفونه بعقلهم بل يتبعون فيه

الوحي ويفوضون الأمر في علمه. ومن يصفونه من الفلسفة فأنما يصفونه

بما هو متضمن وجوده كقولهم: واجب الوجود: بل جعلوا ذلك علماً عليه.

وانت خير أن هذا ليس وصفاً. واما الثالث فالجواب فيه ان فعله البدء

والتصوير. وهذا لا يخالف فيه أحد أيضاً اللهم الا الجاهلون جهلاً مركباً.

ولا يبد خلافهم خلافاً ولا يجدر بمعاقل أن يتصدى للزدة على من يقول

ووجدت الاشياء بنفسها. وقامت منتسقة لخالها.

جهلنا فلم نعلم حقيقة نفسنا وقلنا بأن الكون قام بنفسه!!!

واما الرابع فالجواب فيه بالاتفاق ان هذا يختلف باختلاف اللغات

ولا يعرض هذا الاختلاف للتصور تبعاً للاختلاف في اللفظ كما لا تختلف

النفوس في معرفة الأبيض لكون الدال عليه مختلفاً. ولا أرى العقلاء

الامتنين على ان اختلاف الاصطلاح كاختلاف اللغة فلا يجب تجافي
اللي عن اصطلاح الفيلسوف ولا تجافي هذا عن اصطلاح ذاك. هذه الكلمة
تفنيك عن اكثر مافي علم الكلام الذي ولع أهله بتشعب الاختلافات التي
منشأها اللفظ لا التصور كما ستري في الامثلة الآتية وانت قس عليها .

(٢) كيف بدأ ذلك الشيء غيره ؟ أي عاقل يتجاسر على ادعاء معرفة هذا من
طريق العقل على وجه اليقين . هل ثمة من يتجاسر على هذه الدعوى . وهل
من يتجاسر عليها عاقل ؟ مع صعوبة هذه المسألة لا تجد الناس سكتوا في
جوابها . أما المليون فقلها لهم الوحي فقالوا أراد ان يوجد فأوجد . وقال
ناس من الفلاسفة نشأ عنه غيره وجوباً (أو عبارة هذا مآلها) وللفريقين
كلام كثير . ولئن سألت اللي هل تعرف ارادته ؟ وهل يمكنك أن تشبها
بأرادتك التي تعرفها ؟ ليكون جوابه لا ، ولئن سألت الفيلسوف ما الذي
أوجب أن ينشأ عنه غيره وهل تعرفه ؟ ليقولن لا اعلم أو يحتج أن سأل يجوز
ان يكون بمعنى الإرادة التي يقول بها اللي ، فكلاهما بالمعز عن الإدراك
مشتركان ، وعلى وجود غيره بتأثيره (المجهول عندهما) متفقان ، على أن
للتكلمين صرحوا بان الإرادة القديمة (تلك التي لا يعرفونها) توجب المراد ،
(٣) بقي اوجد ذلك الشيء غيره ؟ لم يجب عن هذه المسألة المتفلسفون ولا

اللاهوتيون المحمديون . ولكن قال اللاهوتيون (التكلمون) ان ذلك
الموجد قديم وفسروه بأنه غير مسبوق بعدم وان الموجودات حادثة أي
مسبوقة بعدم ، وقال المتفلسفون هو قديم وهي قديمة ، وللفريقين كلام
كثير ، وهذه المسئلة لا خلاف فيها أيضاً ؛ لأنهم متفقون على أنه أوجدها
وعلى أنهم مجهلون متى أوجدها ، وما كان للي أن يفتي ما ليس له به علم

من العقل، ولم يسمع فيه كلاماً من الوحي، فليس في الدين ما يحمله على الخضوع في هذه المزال، وما كان للفيلسوف أن يجزم بشيء لم يتم عليه دليل يقيني، فهما متفقان على العجز هنا إن تقاربا للحق، كما اتفقا على العجز عن معرفة كيف أوجدها،

هذا والمليون (تقليوم وعقليوم) قد يسألون عن أشياء لا يسأل عنها الفيلسوف الذي لم يتبع ملة . يسأل هؤلاء عن نصوص لا يستطيعون إتقانها على ظاهرها كالنصوص القائلة أن السموات والأرض خلقت في ستة أيام . يقال لهم هل هي أيام مثل التي نعرفونها أم أيام أخرى لا نعرفونها؟ إن قلتم بالاول فالأيام هذه إنما عرفت بعد خلق السموات والأرض . وإذا كان المقصود مقدار مدتها دل ذلك على أن تلك مدة وزماناً . وإن قلتم الثاني (وهو الذي نقوله) فقولوا نعرف أنه خلقها، ولكن لا نعرف كيف خلقها . وحتى خلقها . وتم خلقها . ونحن يقول الله تعالى « ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين . »

(٤) لما أوجد ذلك الشيء غيره؟ وهذا محارة أيضاً للعقل ويقتضي أن يجتمعا هنا أيضاً على العجز عن المعرفة . على أن الشيء يقول الحكمة خفية فيصح أن يقول الفيلسوف مثلاً « وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً »

وما هي صفات ذلك الشيء؟ فلنأخذ الجواب مختصراً ولكن هذه المسألة جديرة بزيادة البيان لأن الخلاف العظيم فيها بين المليون أنفسهم . بين العقلين منهم والمعتلين أولاً . وبين المعتزلة من المعتلين والاشاعرة ثانياً . وأحب أن أذكر الخلاف الحقيقي هنا كما نقيته بينهم وبين الفلاسفة في الأربعة المارة .

قال النقليون ومتبعوهم من المتكلمين ان الله قديم وعلمه قديم وحياته قديمة وسمعه قديم وبصره قديم وكلامه قديم وارادته قديمة وقدرته قديمة وفعاله قديم . وقال المعتزلة هذا يوجب تعدد القدماء فالله ذات مستجمعة لصفات فهو عالم صريد قادر حي سميع بصير متكلم . وهو قديم . وصفاته غنية . وقال الأشاعرة هي امور زائدة على ذاته لا هي عينه ولا هي غيره . ولكل كلمات سموها ادلة مروفة في محلها . ونحن نقول اذا تروؤا فلا خلاف . وتوضيحه ان الكل قائلون هو حي عالم صريد قادر سميع بصير متكلم والكل قائلون ان معنى الحي ذو حياة والعالم ذو علم الى آخره . والكل قائلون هو واحد . فاذا لم يبق الا ان هذه الصفات زائدة او غير زائدة؟ بقي الخلاف لفظياً عند المدققين ولا يلزم من القول بها تعدد القدماء كما توهم البعض . ولا من عدم القول بها نفيها كما توهم البعض وليس للحس هنا مبالغ من العلم ، ولا للعقل سند في الحكم ، ولا في الدين قول يحمل على الجزم

اما الخلاف بين النقليين والعقليين فهو في فهم بعض الاشياء التي وصف بها البارئ وبعض الأعضاء التي نسبت اليه وهو في الظاهر خلاف مهم جداً . وقد ظهرت آثاره من القول الى الفعل وخلاصه ان كل طائفة من هذين الفريقين تنقسم طائفتين معتدلة وغالية فنحن لا ننكر وجود الخلاف حقيقة بين الغاليتين منهما ولكن الخلاف بين المتدلتين ترجحه لا الى شيء . توضيحه ان المتدلين من النقليين قالوا : ورد الوحي بصفات للبارئ فنحن نقف مع عبارة الوحي وقفة التأدب الحكيم ونصف بما ورد فيه لا نفي معانيها ولا نعتقد أنها كالمعاني الخصوصية بالمحدثات وهذا هي طريقة

الصحابة ومن تابعهم عليها (قلت وليس على هذه من غبار) ثم المعتقدون من العقليين قالوا: إننا قد علمنا أنه ليس كمثل شيء فعلنا من هذا العلم أن الكلمات الموهمة تشبيهاً لا يصح اعتقاد معانيها كما يعتقد في المعاني المخصوصة بالحدثات فاستفدنا لها معاني قريبة راعينا فيها قرائن اللغة وقرائن كلام الوحي (قلت وهذه أيضاً ليس عليها من غبار) ولقد لاح من هذا أن لا خلاف بين الفريقين . غاية الأمر أن أولئك اجتمعوا عن ادعاء التفسير وهو لاء اقدموا ولم يأتوا في تفسيرهم منكرًا من القول ولا تباعدوا عن القرائن ولا تعدوا حدود ما ورد من الكلمات . فهذا لا يعد خلافاً .

أما الغالية من العقليين فاعتقدت الكلمات على ظاهرها وربما تعبتها إلى غيرها . وأما الغالية من العقليين فلم تعتقد شيئاً على ظاهرها فلا هم منكرون للنصوص ولا هم واقفون بمعانيها . وهم مختلفون أيضاً . فالبون إنما هو بين هذين الفريقين . وقد اشتبه على الناس الذين لم يعرفوا هذا التفسير فاعتقدوا بالسلف ومعتدلي الخلف ما لا يبرر . هذا هو تحقيق الأمر في هذه المسألة ونحن من الغاليتين برآء . ومع المعتدلين سواء .

(٦) ما هي أفعال ذلك الشيء؟ من الجواب عن هذا آنفاً مختصراً والكلام هنالك مع الفلاسفة من غير المليون وأعدناه ههنا خلافاً في الظاهر بين المليون الفلاسفة ومناظريهم . قال النقليون ومتابعوهم من المتكلمين إن الله تعالى يفعل كل شيء يقع في هذه الدنيا . وقال العقليون إن الله تعالى خالق خواص وأسباباً وأسند إليها الفعل . قلت هذا أصل المسألة مهمة . وهي أن الإنسان من جملة الأشياء وفعله من جملة الأشياء فعله رأي الأولين أن الله يفعل الإنسان وفعله . وعلى رأي الآخرين أن الإنسان يفعله الخاصة التي

خلقها الله . وفعله يفعله هو بالخاصة التي آتاه الله اياها . واقول هل ثمة من لا يجب من عدم تروى الفريقين في هذه المسألة التي كل كلام فيها يرجع الى نقطة واحدة . ألم بأن الذين آمنوا ان يعلموا ان الله خلق الانسان عاقلاً متصرفاً في هذه الدار بنيره من جماد ونبات وحيوان . ومحاسباً على عقله وتصرفه . ومهاتماً او مكرماً بعلمه فيقولوا كيفما شاءوا ان يقولوا . افهام بمؤمنين بأن الانسان محاسب على عمله ومجزى عليه ؟ أراد الممتزلة ان ينفوا الشرور والقبائح عن الباري فقالوا الانسان هو يفعل فعله . واراد اهل السنة ان لا يثبتوا في الوجود معه فاعلا فقالوا الله هو الذي يفعل كل شيء . إبطو المراتب في أعين الاولين ، وابسطها في أعين الآخرين . تجدهم متفقين كاتفاهم على أن المرء مأخوذ بعلمه وهي المرتبة الاخيرة . وفي هذه المسئلة تولد من البحث غلاة من الفريقين غالية قالوا بالجبر المحض وأفرطوا في تقرير ابتداء الالهية رغبة قالوا بالاستقلال المحض وأفرطوا في تقريره ابتغاء التوصل لفصل الكون عن المكون في كل الشؤون . ويومئذ لا يتقى ولا يرجى ولا يدعى وفي هذا مصادمة لنصوص الدين واسراره . على ما فيه من الرجم بالغيب واتباع الظن المحض الذي لا يليق بالمعلاء لانه يضرهم ولا ينفعهم

في هذه الامثلة الستة قد اوضحنا تصديهم للمجادلة فيما لا خلاف فيه وفيما التبس عليهم من الامر ولا اريد أن اتكلم على اختلافهم في خلود اصحاب الكبار وعدم خلودهم . بل ولا في اختلافهم في خلود الكفار وعدم خلودهم . واكتفى في هذا المحل بكلمة خرجت من بيت النبوة قلما احدائمة اهل البيت وهي . ان الله اراد منا اموراً . واراد بنا اشياء .

حجب عنا ما اراده بنا . وبين لنا ما اراده منا . فلا جدربنا أن نُشتغل
 ونُعاون فيما اراده منا . ولا تجادل وتُخادِل فيما حجبه عنا مما اراده بنا .
 هذا والكلمة الثالثة من اللاتي أردنا أن نقولهن أوجهها لناس من أهل
 عصري لا يزالون يحرصون على دراسة الكتب المدونة في علم الكلام
 ويجهدون في حلها وتفسيرها . ولا يسمحون لأنفسهم أن ينظروا في
 غيرها من كتب الفلسفة المصرية . ولا أن يتمدوا حدود ما كتب لهم
 الاولون من اصطلاحات وتعريفات . وما قرروا لهم وكتبوا عليهم من
 مذهب واعتقاد . أقول لهؤلاء : ^(١) ان تلك الكتب كتبت على أسلوب
 الفلسفة القديمة . والآن قد تغيرت الرسوم ، ودرست الرقوم ، وحدثت
 بعد تلك العلوم علوم ، فاقروا ما ييسر فها وجدتموه موافقاً للدين وهو
 الاكثر فاحمدوا الله على هذا التوافق ، وما وجدتموه مبيناً فاسموا في معرفة
 أسباب التباين . ^(٢) علم الكلام فائدته على ما قالوا المتلقي من حضيض
 التقليد الى ذروة الايقان وأنتم في هذه الكتب تلتزمون مذهب رجل
 معين وتُحفظون حدوداً وتعريفات ما أنزل الله بهامس سلطان . ولا شهد لجلتها العقل
 ببيان . فالذي تزعمون الخلاص منه هو الذي أنتم فيه . ^(٣) ان الشبه التي
 تقرأونها في كتبكم هذه قد تسمعون خلافها فينبني ان تكونوا مستعدين
 للاحتجاج على كل شبهة كما هو مطلوبكم من هذه الكتب وهي لا تفي بمطلوبكم هذا
 والكلمة الرابعة أوجهها للناس . آخرون من أهل عصري دأبهم
 الاستهزاء بالذين ماتوا . أقول لهؤلاء ^(٤) ان الذين ماتوا لم يُختبروهم .
 ولم تعلموا السبب في كثير من مقالاتهم ^(٥) ان الناس قد يحدثون مقالات
 بحسب زمانهم ومكانهم وغرضهم . ان الحاكم ^(٦) ان الحية

محسوس ، وحاله محدود . يقتدر المرء ان يعرف الحكمة في مقالاته
والناس منهم مخلصون لاحكمة في مقالهم ولا سر ولا غرض الا قول
الحق وبذل النصيح ومنهم ضد ذلك ^(١) ان أخذ الادلة عن الاحياء
المخلصين والاستهداء بهم في دفع الشبه أولى من الاستهداء بالذين لانعلم
من أمرهم شيئاً . واعني بهذا ان يعالج المصريون أنفسهم من بعض الجمود
والكلمة الخامسة أوجهها للناس آخرين من أهل عصري قد قرأوا
شيئاً من الفلسفة وما قرأوا شيئاً من الدين فأياهم حيارى في الامر وإمام
مارقون من الملة . أقول لهؤلاء ان طريقة الدين حنيفة سمحة . أركان
اعتقاده معرفة ان لهذه الموجودات موجداً هو « الله » . وانه لا يشبهه
شيئاً من الموجودات . وانه متصرف فيها مدبر لها . وان الانسان الذي
ميزه في عوالم الارض بالمقل مسئول عنده عن عقله وعما عمل بعقله . وان
محمدًا (صلى الله عليه وسلم) النبي العربي أرسله ليتم مكارم الاخلاق .
ويرشد الناس على الاطلاق . وأركان عبادته ذكر الله تعالى بصلوات خمس
في اليوم لتخف الغفلة المهلكة . وصوم شهر في السنة لتغلب النعمة المتعبة ،
وحج في العمر الى حيث يتلاقى الاخوان في البيت الحرام والمشاعر
المعلومة لتؤكد الوحدة المالية وتزداد الالفة . وإتاء الزكاة في الحول
للفقراء والضعفاء لتجبر الحاجة المضطرة . وبناء أحكامه على العدل في
الحقوق ، وبناء آدابه على الاحسان للمخلوق ،

هذه جملة الدين ولا واد لا تند فرسه من قيود هذه الجملة فيجدر بكم
أيها الاذكياء ان تعرفوا بالدين وأسراره لتجتمعا بين فائدة الفلسفة التي
تنور عقولكم ، وبين فائدة الدين التي تزي نفوسكم . وان سألتكموني ما الدليل

على صحة الوحي الذي هو أساس الأديان . وما الدليل على صحة دعوى النبي العربي (صلى الله عليه وسلم) فأقول اني لست بأعلم منكم فتفكروا ايظهر لكم هذا الامر العظيم على اني لا أضن عليكم بمباني مما عرفت

طريقة في اثبات الوحي

اني تفكرت أولا (والانسان خالق متفكراً) في : ماهو العقل الانساني الذي ميزه على الحيوانات المدركة بحواسها فقط بل ماهو الادراك ؟ فلم أستطع علم هذا . سألت أعالم الناس الذين اجتمعت بهم من عرب وترك و فرس و هنود و افرنج فلم اجد لهم هذا

رجعت الى آثار الموتى قلبت في الكتب أوراقاً تعد بالآلاف فلم انب المطلوب . فسكنت اعياء عن طلبه سكوناً حالياً . واكتفيت بمعرفة انه قوة عظيمة قد رفعت الانسان الى طبقات الكواكب وهو لم يتحرك لجهتها فأرته بغير عينه بدائع صنعها ، واتقان نظامها ، وصورة دورانها ، وشكل تقابلها بمضها مع بعض . وهبطت به الى طبقات هذا الكوكب الذي هو فيه (الارض) فأرته بعينه وبغير عينه بدائع كونها ، وخزائنها ، أسرارها ، وانتظام سيرتها ، وبصرته انه (أي الانسان) هو سلطان عوالمها ، تنقاد كلها لتصرفه ، وتصبر تحت أمره ، فهو المنفرد في الارض بحياة جامعة للعلم (بالشاهد والغائب) والقدرة (على التصوير والتشكيل) والارادة (لما يلزم البدن وما يلزم المقار) . الكلام (الذي يبلغ به ارادته) الحاضر منه بواسطة الآلة البدنية الطبيعية ، وللغائب عنه بواسطة الآلات المادية الصناعية ، منها هذه الكتابة التي تبلغنا كلام من قبلنا من أهل الادوار ، وتبلغ كلامنا للآتي . والآتي بعدنا في الاجيال .

هذا التصرف الذي يسمع به المشرق ما يريد المغربي في لحظة من الزمان (والسمع الذي نفهم به إرادة غيرنا) (والبصر الذي يطبع في فكره صبور الأشياء) فمجموع مزايا هذه الحياة كان له السلطة والتصرف في عوالم هذه الأرض تصرفاً تابعاً لنواميس هي فوق إرادته . وفوق سمعه وبصره . وفوق علمه وقدرته . وفوق أمره ونهيه

هذا القدر عرفت بادئ بدء من آثار تلك القوة العظيمة التي هي العقل وبهذا القدر تم لي معرفة أن هذه القوة هي أكمل وأعظم قوة في العوالم الأرضية . وأن تلك النواميس التي هي فوقها وحاكمة عليها يجب أن تكون من عالم آخر

ما هو ذلك العالم ؟ هذه نقطة ثانية نرجح أنها فكري وفي هذه الدرجة وقف عقلي زماناً كثيراً يلتبس الدليل في مراجعته هذا ثم أتاه الدليل من نفسه . فقال أن ذلك العالم هو العالم المحجوب عن حسنا المعروف المألوف عند تصورنا . هو عالم الخفائق والتوى والطبائع التي نعرفها بآثارها ونجهل كنهها وذواتها . هو عالم العيب وهو بحر عظيم لا ساحل له والذي ظهر لنا منه نقط قليلة بعد ظهور أمثلتها في عالم الشهادة . قال بعض الأذكياء « كنا لا ندرك السر في قيام هذه الكرة في الفضاء ثم علمنا من أمثلة ظهرت للحس أن هنالك قوة مسكها ، لا نرى تلك القوة بأبصارنا ، ولا نسميها بآذاننا ، ولا نحسها بأيدينا ، ولا نشمها بأنوفنا ، ولا نذوقها بلساننا ، ولم يبلغها عقولنا كثير . . من أفندي بن والآخرين ، واليوم دركنا بعض اقصاب العلم الباحثين في سر الزمان ونرى أدراكها لعقولنا فصرنا نقول بها . ونلحق بالاسم الذي وضع لها (الجاذبية) وكذلك كنا لا

ندرك السرفى حركتها ثم ظهر . وكنا لانعلم كيف تكونت ومتى تحركت
ويدعى البعض اليوم انهم يعملون ذلك . وكذلك كنا لاندرك طبائع
الاجسام البسيطة والناس اليوم انما يعرفونها بآثارها وبخواصها في البساطة
وبعد انتركب - كل ذلك يرشدنا الى ان عالم الغيب (اي الاسرار التي حجبنا
عنا) واسع . وقلة ما انكشف لا ترشدنا الى انحصاره فيها واحاطتنا بمجموعها
بل ترشدنا الى ان ما جهلناه كثير بالنسبة الى ما عرفناه وتأمرونا ان نقف
عن تعيين طرف لهذا الميدان الذي خوات البصيرة ان تجول فيه وحرمان البصر
قلت في فكري ان الانسان محكوم في خلقه لنواميس تحدث
خواطره وخواطره متضادة متنازعة كمال التضاد والنزاع . فاما ان هنالك
قوانين متضادين (من جنس القوة التي هي العقل) . مسطتين عليه وتصرفه
تابع لتفوذها على النسبة . واما ان الأثرين المتضادين منفعلان عن المزاج
الإنساني المركب . من متضادات . وعلى الرأي الأول فالقوتان إلهما
وجود خارج الجسد . أو لا وجود لهما الا في الجسد . وان وجد خارج
الجسد فالمادة التي تقوم بها اما بسيطة واما مركبة . هذه أسئلة تخطر
في بال الذين يريدون ان يتوصلوا للحقائق من طريق كونيتها لا من طريق
اسميتها . والعقل السليم يعلم ان هذه الاحتمالات كلها جائزة . والقول
بكل واحد ينفع في الدلالة على ان النواميس التي لها تفوذ على الإنسان
هي أمور وجودية لها العلاقة العظمى في تفاوت أفراد النوع العاقل هذا
"نفوت العظيم الذي برزنا رجلا يعلم أفضل شرع وأكمل آداب . ورجلا
كذلك . الخ . والكهرباء وما يفعلان من سحر الالاب بروائع
آثارها وبدائهما . ورجلا يستحوذ على قلوب الألوف المؤلفة بيدان يديه

ويستنزل النفوس عن محبة الحياة فيقذفها بين القواصف والقواذف .
ورجالا كثيرين لا يعرفون من الامر الا حيوانية وموتانا .

ولنا ان نقول ان النسبة بين الانسان وبين من هو دونه مخدوطة
بواسطة قريبة منه ومن التي هي دونها (كالنبات مثلا هو قريب من
الحيوان لنموه مثله ومن الجماد لعدم تحركه بالارادة مثله) ونعلم قطعا ان
الانسان على عظمته في الارض غير كامل . اما من حيث الصورة فلفنائها
واما من حيث الخاصة فتردده في تحصيل ما يعتبره سعادة (ولذلك يعيش
الانسان في هذه الدار شقياً على كل حال اما بالآلام والآثاب الجدية
واما بالآلام والآثاب الفكرية واما بهما معا) فيجب ان نكون النسبة
المخدوطة بالسلسل مع من دونه مخدوطة أيضاً مع من فوقه . وليس في
عالم الحس فوقه شيء

ففي عالم الغيب خاتمان متضادان (تضاد المليح والقبيح) لهما علاقة
بالانسان كملاقة الانسان بمن دونه . وعلاقة الانساب بمن دونه هي
احتياجه اليها لتكميل خاصته واحتياجها اليه لظهور خواصها فملاقة هذين
هكذا : يحتاجان اليه (بسنة الله في الخلق) لتكميل خواصهما ويحتاج اليهما
لظهور خاصته . هذا القدر يكفيك ويكفيك ولا تسألني عن اسميهما
وكنهيهما فاني اكره جدا ان يختلف الملاء بسبب الأسماء وأحب يتقاربوا
من رب المعاني ويعتبروا الدلالات عرضاً تابعاً ويتساهلوا مع بعضهم
في الاصطلاحات كيلا يكون سبب اختلافهم

أما خاصة الانسان التي يطالب تكميلها مادام حيافهي التصرف بعوالم
هذه الارض . فأما الذين تغلب فيهم غيرة محبة الخير فيأبهون تصفية العقل

الفريزي (القابل للصفاء والكدورة) فتظهر في مرآتي أفكارهم صور
المعقولات . وتشرق عليهم من عالم الغيب أسرار ومعارف يحسن بها
تصرفهم ويحمد آثارهم ويسبق ذكرهم حيا اذا اضططت صورهم يوما من الايام
واما الذين تغلب فيهم القوة الاخرى المضادة فتكدر عقولهم وتتشوش
بكثرة الوسواس والتردد ويكثر شقاؤهم في طلب المشتريات المادية وان
تنتهي وحرمانها اكثر من حصولها والم التزاحم عليها والتذامح لا توازيه
ولا تسكنه لذتها . فبسوء تصرفهم تذم عقباهم ويموت ذكرهم كما يموت
ذكر الانعام التي تحيي زمانا ثم تهلك .

ولما كان الانسان على هذه الصورة من التضاد المحسوس الذي
يتبدى في النفس على وجه التردد ثم يفرج وتتأدى به الخطوط المتباينة
وكان يحكم هذا التضاد منقسما الى ابرارهم اقل وأشرارهم اكثر لم يستغن
عن قانون عام عادل وآداب جميلة مهيبة للنفوس ومعيمة للقانون وعند قراءتنا
في ماضي الانسان نجد ان الله جبر نقصه هذا فاصطفى من البشر ناسا
هداهم ، اوحى اليهم ، علمهم شرائع وآدابا كما اقتضته حاجة الناس . وما
وجدنا قط امة مرتقية ليست على اساس واحد من اسس الدين الذي
جاء به المصطفون .

وهذا التضاد كما هو دليل (اول) على ما ذكرناه هو دليل (ثان) على أن البارئ
تعالى هو المدير للوجودات . لان تصرف الانسان الذي نوهنا به تصرف
ناقص كما هو محسوس ، وتصرف احدى التوتيز ناقص ايضا كما هو
متناول ، ولا بد لنا من تصرف اهل لاله ظهر لنا شيء شاهد ان هنالك
فوقه ما هو اكمل نتصرف الاكمل هو لا كل شيء فيجب ان يكون

هو الباري تعالى وب العالمين . فكان الله تعالى خلق الانسان خلقاً خاصاً
مذكوراً ليعرفه بنفسه وخلق فيه امثلة من الكمال ليظهر كمال الله ويعرف ان
معبوده . وهو الغني - بعبارات يستعيرها . واصناف يستعين بها مما عرف
من الكمال المتجلي بنفسه المصنوعة على ابداع مثال في المحسوس ، وأقرب
مثال في المقول ، ثم ليدل بنفسه على كماله لم يجعله جازماً مستقلاً في ارادته
ولا دائماً مستمراً في حياته ، ولا متحداً منتظماً في كلامه ، ولا مجيداً في
كل تصرفه ، ولا كاشفاً لكل شيء في علمه ، بل لم يجعل افراده وهم واحد
في النوع على نسق واحد في الإرادة والحياة والكلام والقدرة والعلم .
فكانه اراد ان يبين بهذا التفاوت في الأحوال والدرجات ناقصاً منهم واثقراً
وكاملاً واكمل لتجلي برهانه ان له الساطان والملك وبيده الامر كله والحكم
وهو دليل (ثالث) على ان الشرائع والاداب التي جاء بها المصطفون انما
هي بوحى منه لانها معرفة به باديء بدء نصاً على وفق ما تعرف به
خلقة الانسان حالاً واشارة وهذا اكمل تعريف وهيئات ان يستقل به
عقل الانسان الناقص المنردد والتعريف الحق به هو اول ركن من اركان
الشرائع التي يراد بها زجر النفوس

و « محمد » ذلك الرسول العربي (عليه الصلاة والسلام) قد لبث
في الامميين زمناً طويلاً من عمره . ثم ظهر عليهم وهو الأُمِّي بعمارف من
عالم الغيب علماً شرحها على اسلوب الفلسفة دقار ، وأتى من القواعد العامة
التي تصاح شرعاً لكل زمان ومكان بما علماً التفريع عليه أسفاراً ، ومن
الآداب الجميلة بكلمات يسيرة ، بما يعجز أساطين علم الأخلاق عن
ترتيب مثلها بدواوين ، قام بالامر وحيداً . وصدع بالهدى على رؤوس

الملا فقول بل بالرد والدفع . فصبرت نفسه ولم تجزع ، وكبرت همته ولم
تصغر ، واشتد عزيمته ولم يضعف ، وما زال يخطب ويدعو ، ويؤنب
طوراً ويترفق مرة ، حتى انتصر وأمر أمره . وتهدب على يديه جماعة
منهم يقولون ان يتسلطوا بسلطاني العدل والاحسان على الأرواح والاشباح
وما زال اسمه ينمو ، ودينه ينمو ، حتى طاف المشارق والمغارب ، واستقر
في نفوس الاعاجم والأعارب ، فما في دينه من الأدب الرافع ، والنظام
النافع ، وما في قومه الذين رباهم وأرشدتهم من علو الهمة ، ومضاء العزيمة ،
وما في انتشار دعوته في حياته وبعد مماته هذا الانتشار العجيب ،
وما في سيرته الخصوصية من الكمال الانساني البديع ، وما في بقاء
قرآنه على الحفظ من التبديل ، وما في وعوده التي وعدها المؤمنين
(كتمكنهم في الارض وصيرورتهم خلفاء في الارض) من الصحة ، كل
هذه تكفي من سلمت فطارته ، وصحت فطنته ، ان يعلم صحة دعواه ،
وفضيلة هداه ، ولا ينكر هذا الا مقلداً أو معانداً . اللهم صلى وسلم عليه
ماشرك الشاكرون ، وذكروه الناكرون

—اليوم الآخر—

بين الفلاسفة والمتكلمين اختلافات كثيرة في امكان الحشر وعدمه
وفي دموعه وعدمه . وفي لزومه وعدمه . وفي كيفيته . ونحن نختم هذه
الرسالة بهذه الكلمة :

العقل حين يرى ان الانسان لم يبلغ في هذه الحياة غايته من سبيل
الارتقاء . لا من حيث الصورة لأنه يموت . ولا من حيث الحال لأنه
في شقاء الطلب . الهرب . وفي شقاء التردد بين الحصول والحصرمان

والتوفيق والخذلان ، ولا من حيث العقل لأنه محبوب عن عالم الغيب ،
 ينجح الى انه لا بد من يوم آخر ليبلغ فيه الانسان غايته من حيث عدم
 الفناء ، ومن حيث عدم الحجاب ، ومن حيث التخلص من الاضداد ، فينقسم
 فيه الناس الى صنفين متباينين قسم في جنة نعيم البال وسعادة الرضاء بما
 كسبوه في حسن تصرفهم ونعم المصير . وقسم في سعي شقاء الحال وشقاء
 الندم على ما اجتراحوه بسوء تصرفهم وبئس المصير .

لنتبي هذا أوجه حسك وعقلك الى انتهاء الاجسام المركبة الفانية الى
 اجسام بسطة باقية سواء رجعت بها الى المبدأ او ذهبت بها الى
 المصير بنصير ما . فهذا يرشدك الى امكان ان يرجع الشيء الباقي لاسمه
 مهما امتزج بغيره . والروحانيون من الفلاسفة لا يقولون بفناء الروح كما
 لا يقول الماديون منهم بفناء البسائط . فالروحي ان يلزمه ان لا يستبعد
 رجوع هذه الروح يوماً من الايام كما جات اولا للماهية التي عرفت بها لتبلغ
 تلك الماهية بهذه الروح في ذلك اليوم غايتها التي اعدت لها . وللمادي
 يلزمه ان لا يستبعد امتزاج تلك البسائط امتزاجاً تاماً في يوم آخر كالا امتزاج
 الاول الذي حصلت منه ماهية حي من الاحياء ليبلغ هذا الحي بهذا الامتزاج
 الثاني (الذي يحصل على كيفية ثانية) في هذا اليوم الاخر غايته التي اعدت
 له . وعارٌ على من يعلم ان الماس (هذا الجوهر الكريم عندنا) قد استخلص
 من جنسه الفحم حتى صار كما يرى ان يستبعد ان يستخلص الانسان
 (هذا المخلوق المدرك الكريم عندنا) من جنسه الحيوان .
 وفريق منه من نوعه الانسان بأعظم من هذا المثال . اما اذا لم نقل باليوم
 الآخر فأن تميز الانسان على الحيوان اذا ما قامينة واحدة واين تميز

الابرار على الاشرار اذا كان الامر مقصوراً على هذه الحياة .
 اقول قولي هذا واستغفر الله وانيب اليه واسأله لي ولكم الهداية
 والتوفيق الى سبيل السلام . اهـ في رمضان سنة ١٣٢٠ (ع . ز)

﴿ باب شبهات المسيحيين . ومبجج المسلمين ﴾

ه يُخْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ
 . سَمِعَ وَرَاعَيْنَا آيَا السُّنَنِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
 وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ

« علم قراء المنار أننا لم نفتح هذا الباب لاطعن في دين النصارى أو
 غيره ابتداءً وإنما فتحناه لرد شبهاتهم التي ربما تشكك بها الجاهل بالاسلام
 في الدين مطلقاً فتفسد أخلاقه ويكون مبيية على نفسه وعلى الناس . ولا
 غرض اطعن الطاعنين بالاسلام الا هذا التشكيك الذي يحلّ الرابطة
 الاسلامية ويضعف المسلمين لانه يخرجه عن كونهم أمة فيكونون أفراداً
 متطاعين ، لا جنسية لهم ولا دين ، ولو أنهم كانوا يطمعون في تنصيرهم
 لكان لهم عندنا بعض العذر . ولكن التجربة أثبتت التاريخ ان الملايين
 من النصارى صاروا مسلمين ولا يوجد بازاء كل مليون من هؤلاء واحد
 من المسلمين تنصر الا ما كان من أفراد ليس لهم من الاسلام الا وراثة
 لا من من آباءهم لا وادين .

قبل السبيل الى الدين الأفغاني الحكيم التبرير (رحمه الله تعالى) :
 « زهد الدعوة مذهب الدهريين في الهند وعدم الاقتصار على الدعوة

الى النصرانية ؟ فقال إن المسلم يستحيل أن يكون نصرانياً لأن الاسلام نصرانية وزيادة فهو يأمر بالاعتقاد بنبوة عيسى وحقية دعوته ويرفض الخرافات والبدع التي زادت بها الجماعات النصرانية في دينه . فلما جرب الدين يتفنون حل الرابطة الاسلامية الدعوة الى النصرانية فلم تجح عمدوا الى تشكيكهم في أصل الدين المطلق بالدعوة الى الدهرية ،

وكذلك لما رأي مثل صاحب الجاهلية أن تشكيك الماتريش النصرانية يجب في المسلمين من الطريق الذي انبرى لتشكيكهم من الطريق الذي وبذل جهده لإقناعهم ^(١) بأن دينهم كغيره يدور في العقل والسرور ^(٢) أن أئمتهم في العقائد (المتكلمين) ينكرون الاسباب ^(٣) أن جميع سلطات الديانة والسلطة السياسية المدنية في خليفة الاسلام ضاراً بالمسلمين وبتأخيرهم . ومن رأي صاحب الجامعة أن المسلمين إذا أرادوا الترقى والتأخر فلا بد لهم من سماع نصيحته وهي ^(٤) أن يضعوا دينهم في جانب من العقل والعلم لانهما قاضيان بهدمه كقضاءهما بهدم النصرانية فإذا حاول الجمع بين الدين والعلم كما ينصح لهم بعض أئمتهم بما ينشر في المنابر وغيره . فأنما يحاولون محالاً بل انما يهدمون دينهم فيخرجون بلا علم ولا دين . ^(٥) أن يعتقدوا أن سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات . ضرورة في الواقع خلافاً لما يحكم به الدين وعلماء الكلام فإذا صدقوا بالواقع فعندئذ لن يكذبوا أئمتهم والمكس بالمكس . ^(٦) أن يجعلوا خلفهم حاكماً مدنياً يحتج بالشرائع والأحكام ويتركوا ما شرعه الله لما شرعه الله من غير الدين خاصة بالعبادة لله تعالى . أي أنه يجب على المسلمين في رأي صاحب الجامعة أن يتركوا نصف دينهم وهو أحكام المعاملات المدنية ونحوها

النصف الثاني لمن يريد أن يتفكر العقل والعلم والأسباب لأجل العبادة .
هذا ملخص نصيح صاحب مجلة الجامعة للمسلمين ولأجل أن يجمعه
تقبولا وأورد لهم كلمات عن بعض أئمتهم حُرِفَها عن معناها ليخدع البسطاء
بها وإنا نشرح هذه المسائل ونبين الحق فيها ليكون حجة على هؤلاء المعتدين
الذين « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »

﴿ الأسباب أو سنن الله تعالى في الخلق ﴾

وإثبات الإمام الغزالي لها

ذكر صاحب الجامعة في كتاب لَفَقَهْنا أننا أوردنا قوله تعالى « ولن تجد
سنة الله تبديلاً » لإثبات أن النواميس الطبيعية لا تتغير ولا تتبدل ثم قال :
« مع أنه لو قام حجة الإسلام الإمام الغزالي من قبره وسمع هذا القول
لكسر قلم صاحب تلك المجلة وضحك من بساطته وعدم اطلاعه على
الشؤون التي يبحث فيها لأنه استشهد بتلك الآية للغرض الذي ذكره مع
أنها لم ترد في القرآن لهذا الأمر بوجه الإطلاق »

يقول هذا صاحب الجامعة تمهيداً لخلابة المسلمين بأن ما يتحكي هوفيه
من الحكم بتفسير كتاب الله برأية الأتفين مقتبس من الإمام الغزالي
الذي حرف قوله عن موضعه ولم يفهم مراده منه .

إذا كان الغزالي يضحك من (بساطة) من أخذ معظم علمه في الدين
من كتابه إحياء العلوم اعتقاداً وعملاً ودرسه من أول نشأته المرة بعد
المرة كما درس كل ما اطلع عليه من كسبه بأمان وإخلاص - فهل يضحك
أو يبكي من (تركيب) جاهد به ما يدليتمس من كلامه كلمة يحرفها عن موضعها

ليفسد المسلمين بشيء يخالف دينهم محجاً بكلام امام من اثبتهم ولا موضع للاحتجاج ؛ ترك مثل هذا ونسرد مذهب الغزالي في الاسباب وسنن الله تعالى ونين الحق في المسألة التي اشتبه فيهما على كثير من الناس حتى صار التشكيك فيها متيسراً مثل صاحب الجامعة مع عوام المسامين الذين لا يزال فيهم من يقرأ ما يكتبه ذهبا مع سماحة الاسلام

مذهب الغزالي : قال حجة الاسلام في الفصل الثالث من كتاب التوكل مانعه : « الاسباب التي يجاب بها النافع على ثلاث درجات . تطوع به ومظنون ظناً يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه . (الدرجة الاولى) المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت بالمسيبات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطاً مطرداً لا يختلف كما ان الطعام اذا كان مودعاً بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليه وتقول : انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وأبتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله : فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء . فانك اذا انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شئاً دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكاً ليمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى . وكذلك لو لم تزرع الارض وطعمت في ان يخلق الله نباتاً من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل هذا جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه » اهـ بحروفه

وبعد ان قرر ان هذه الدرجة لا يأتي فيها التوكل بترك العمل تكلم عن الدرجة الثانية وهي ما كان السبب فيها مظلونا وبين ان التوكل لا يأتي

فيها أيضاً قال ما نصه : « فإذا اتباعد عن الاسباب كلها سراغمة للحكمة وجاهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض التوكل »

هذا التفصيل في جلب المنافع وقد أورد مثله في منعه وفي دفع المضرات التي أسبابها قطعية أو ظنية وبين ان التوكل انما يكون في ترك الاشياء الوهمية كالرقية والطيرة والسكي التي ورد بها الحديث . ومما صرح فيه بذكر السنة الالهية هنا قوله : « وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقض التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً » ثم أورد الشواهد من الكتاب والسنة وهي مشهورة .

وقال في الكلام على التداوي وهو من منع المضار هذه الكلمة الجميلة « ليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلاً » . وقال أيضاً في تداوي النبي صلى الله عليه وسلم « وإنما لم يترك الدواء جرياً على سنة الله تعالى وترخيصاً لأئمة فيما تمس اليه حاجاتهم »

وأظهر من هذا قوله بعد شرح طويل للاسباب : « فهذه تين أن مسبب الاسباب أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب إظهاراً للحكمة والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجيين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يدارفه الا في أحد أمرين أحدهما انت معالجة الجوع والناش بالماء والآخر جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجيين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه

بالأول . والثاني ان الدواء يسهل والسكنجيين يسكن الصنراء بشروط
 آخر في الباطن وأسباب من المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها
 وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال . وأما زوال
 العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطاً كثيرة وقد يتفق في الموارد
 ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر . واختلال
 الأسباب أبداً ينحصر في هذين الشيئين والأفالسبب يتلو السبب لا محالة . ههنا
 تمت شروط السبب ، اهـ بحروفه

فأي نص في التلازم بين الأسباب والمسببات أقوى من هذه الجملة
 الأخيرة ؟ فهذا هو الامام الغزالي الذي يؤهم المسلمين صاحب الجامعة
 بأنه ينكر الأسباب وينكر ان معنى سنة الله التي لا تبدل ولا تحول
 الأسباب وارتباطها بالمسببات . فهل بعد هذا يوثق بقول صاحب الجامعة
 أو يحسن قصده ؟ وهل يجوز لغير العالم الراسخ ان ينظر في قول هذا
 المشكك الذي يريد ان يفسد على عوام المسلمين عقائدهم ؟

(التوفيق بين هذا وبين مقاله في تهافت الفلاسفة)

مسألة الأسباب التي شرحها الامام الغزالي في كتاب التوحيد
 والتوكل هي ما يمتقده المسلمون وانما كتبها للمسلمين لانه يبين في هذا
 الكتاب مقام التوكل الذي هو أعلى مقامات الايمان . وله كلام آخر
 في هذه مسألة مع الفلاسفة لا مع المساميين . وكلامه هناك يجب ان
 يكون بلسان يخالف هذا اللسان ولكن لا يناقضه ذلك انه هنا يشرح
 الواقع الذي يدل عليه الوجود وينطق بموافقة الشرع وهناك يتكلم
 على العلل والتأثيرات الحقيقية في الابداد والاعدام وما قاله في الموضمين

هو الحق الذي لا محيد عنه كما نبينه

ولا بد قبل الخوض في القسم الثاني من كلمة تمهيدية في الموضوع وهي ان الضرورين بالظواهر من الفلاسفة المتقدمين كانوا ينزلون الاسباب العادية الظاهرة منزلة العلل العقائية القاطمة وينسبون اليها التأثير ويزعمون أنها مطردة اطراداً ضرورياً يستحيل انفكاكه . ولو نهضت لهم الحجة البالغة على ذلك لما خالفهم المسلمون لان القاعدة المتفق عليها عند المتكلمين هي ان قدرة الله تعالى و ارادته لا تتعلقان بالمتسبب وإنما تتعلقان بالممكن فقط . ولكن لا حجة لهم على ذلك وإنما هو شبهات كشف الحجاب عنها الفزالي وغيره . وتلك الاسباب التي صر القول في اطرادها ممكنة فهي مطردة بفعل الله تعالى .

ولو سلم الناس بقول اولئك الفلاسفة 'وقفت حركة العلم عند تلك الظواهر التي كانوا يرون تغييرها محالاً عقلياً و عما المحال العقلي شيء واحد وهو اجتماع النقيضين او الضدين المساويين للنقيضين او ارتفاعهما . ولو ان هذه الغرائب التي كشفها العلم في عصرنا ذكرت لاولئك الفلاسفة القاصرين لجزموا باستحالتها ووردوا على ذلك من الشبهات النظرية مثلما وردوه على القول ببحث الاجساد . وأمثلة بحث الاجساد ظاهرة اليوم لعلماء الكيمياء ظهوراً تاماً قال الامام الفزالي في كتاب تهافت الفلاسفة ما نصه : « هذا .

اردنا ان نذكره في العلم الملقب عندهم بالآبي اما الملقب بالطبيعيات فهي علوم كثيرة نذكر أنواعها لتعرف ان الشرع ايس يقتضي المنازعة فيها ولا انكارها الا في مواضع » . وانه القاري الى عطفه الانكار على المنازعة لتغايرها فالانكار هو القول بطلان الشيء مرة واحدة والمنازعة هي

المباحثة في دلائله ليظهر الصواب مأخوذة من منازعة الثوب بين اثنين .
ثم قال الامام بمد سرد انواع العلوم الطبيعية المعروفة الى ذلك العهد « وانما
نخالصهم من جملة هذه العلوم في اربع مسائل (الاولى) حكمهم بان هذا
الاقتران المشاهد في الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة
فليس في المقدور ولا في الامكان إيجاد السبب دون المسبب ولا وجود
المسبب دون المسبب وأثر هذا الخلاف يظهر في جميع الطبيعيات »
ان قال ما نصه « وانما يلزم النزاع في الأولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات
المعجزات الخارقة للعادة من قلب العصا ثعباناً وإحياء الموتى وشق القمر .
ومن جعل مجاري العادات لازمة لزم ما ضرورياً أحال جميع ذلك . وأولوا
ما في القرآن من إحياء الموتى وقالوا اراد به إزالة موت الجهل بحياة العلم
وأولوا تلقف العصا لسحر السحرة بإبطال الحجة الإلهية الظاهرة على يد
موسى شبهات المنكرين . وأما شق القمر فربما أنكروا وجوده وزعموا
أنه لم يتواتر » اهـ بنصه

ولينظر طلاب الحقيقة الى تحريف صاحب الجامعة النصرانية قول
الامام كيف كان . الامام قال « وانما يلزم النزاع في الأولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات
المعجزات » ومعناه ان محل النزاع في المسئلة الأولى هو إنتفاء إثبات المعجزات
بجعلها من المحالات العقلية التي لا يمكن وجودها ولا تتعلق قدرة الله بها .
وصاحب الجامعة يقول عن لسان هذا الامام ما نصه : ثم قال وانما يجب علينا
إنكار هذا القول لانه ينتفي به اثبات المعجزات . فجعل (الانكار) محل (النزاع) وزاد عليه
جعله واجبا . وقد بينا الفرق بين للانكار والنزاع آنفا . فاذا كان نقل
صاحب الجامعة عن رنان وعن غيره على هذا النحو من التفهم والامانة

فإننا ننهي من يقرأ ما يكتبه بأن علمه عين الجهالة ، وهدايتة نفس الضلالة
ثم قال الامام الغزالي في بيان الحق في المسئلة من طريق العلم المؤيد
لما يعتقد المسلمون ما نصه : « الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما
يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا
ولا إثبات احدهما متضمن لإثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر
فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم
أحدهما عدم الآخر مثل الري والشرب . والشبع والاكل . والاحتراق
ولقاء النار . والنور وطلوع الشمس . والموت وجز الرقبة . والشفاء
وشرب الدواء . واسهال البطن واستعمال المسهل . وهلمجرا الى كل
المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف . وان
اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه خلقها على التساوق لا يكون ضرورياً
في نفسه غير قابل للفرق بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت
دون جز الرقبة وإدامة الحياة مع جز الرقبة وهلمجرا الى جميع المقترنات
وانكر الفلاسفة مكانه وأدعوا استحالة ثم ضرب لذلك مثالا واضحا لا حاجة لذكره
وما ذكره الامام الغزالي هنا هو ما عليه فلاسفة هذا العصر فانهم
لا يقولون بأن شيئا من هذه المقترنات في العادة المعروفة بالاسباب
والمسببات هو ضروري واجب عقلا وانفكا كما محال لا يتصوره العقل
بل كل هذه الاشياء عندهم ممكنة . وانفكاك التلازم وقع كثيرا ويسمون
مالا يعرفون له منه علة « فلتات الطبيعة » وبعض الانفكاك كان بما
اكتشفه العلم من اسرار الكون ويتوقعون بهذه الاكتشافات ما لم يقع
كأحياء الموتى ولو كان في نظرهم محالا لما توقعوه . ولكن صاحب الجاهلية

لا يميز بين الضروري والممكن فيخلط المسائل بعضها ببعض . وقد صرح
الغزالي فيما تقدم أننا بان المتلازمين في العقل تلازماً يثبت به أحدهما بثبوت
الأخر وينتفي بانتفائه هما اللذان يستحيل انفكاك تلازمهما لأن قدرة الله تعالى
لا تتعلق بالمستحيل

(الوفاق بين قولي الغزالي ومذهب باكون)

تقدم ان الغزالي قال في كتاب التوكل ان سنة الله في نظام الكون
هي ان الاسباب مرتبطة فيه بالمسيبات ارتباطاً كلياً لا يختل الا اذا لم تستوف
الشروط التي يتحقق بها السبب حتى قال ان السبب يتلو المسبب عند عدم
المانع ولا محالة ، وفسر مثل قوله تعالى « فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة
الله تحويلاً » بهذا النظام في الارتباط بين الاسباب والمسيبات وهو التفسير
المتعين . وقال في كتاب تهافت الفلاسفة ان هذا الارتباط بين الاسباب
والمسيبات المادية على اطرافه ليس بضروري في نظر العقل وعدمه ليس
محالاً وإنما هو ثابت في الواقع ونفس الامر بحكمة خالق الكون ومديره
واذا كان الله قد أحكم بحكمته الروابط بين حوادث الكون فيذبني للناس
أن يبحثوا عنها وينتدوا بها في مصالحهم ومنافعهم ولا يتوقف هذا الإعتداء
على كون كل ما يظهر في العادة سبباً لشيء ان يكون انفكاكه عنه محالاً عقلياً
ويعلم الناظر في فلسفة القدماء أنهم كانوا يعتمدون على الأدلة النظرية
في الحكم باستحالة الشيء أو إمكانه أو وجوبه عقلاً فالغزالي وغيره من
أئمة علم الكلام يبنوا ان المستحيل العقلي هو ما كان بمعنى اجتماع النقيضين
أو ارتقاءهما أو اجتماع الضدين بمعنى النقيضين . وقالوا ان المستحيل
والواجب الضروي في نظر العقل لا تتعلق بهما قدرة الله تعالى وإنما تتعلق

قدرة الله تعالى بالمكن فقط . فكانت فائبة قول المتكلمين في أمرين عظيمين هما أساس لترقي البشر (أحدهما) ان ما ثبت أنه ضروري (واجب) أو مستحيل لا يطعم فيه الطامع لامن جهة الكسب ولا من جهة الالتجاء الى الله تعالى لانه لا يتغير . (ثانيهما) ان للممكنات سندا منتظمة ينبغي للانسان ان يعرفها وينتفع بها ولكن لا ينبغي ان يوقف حركة استدلاله عند ما يظن له بادي الرأي أنه لا يتغير بل عليه ان يبحث لعله يقف على سنة إلهية أخرى تكون السنة التي ظهر له اطرادها مشروطة بها فيجمع بين الانتفاع بالسنتين معاً . مثال ذلك أن السنة الإلهية الظاهرة في النار أنها تحرق ما يقبل الاحتراق . فلا ينبغي للانسان ان يحزم بأنه لا يمكن ان ينفي هذا الاحتراق لأنه ضروري بل عليه ان يبحث لان الاحتراق ممكن وربما يكون حصوله مشروطاً بانتفاء وجود مادة من المواد لو عرفت بمنع الاحتراق بها . وقد اكتشف الآن ما يمنع الاحتراق في الجملة وانتفع به في وقاية المكاتب العمومية

فهذا التقرير أتى حجة الاسلام على تلك الفلاسفة النظرية من القواعد (وإن أساء ابن رشد في فهم بعض قوله وكأبره في بعضه) وأظهر حكم الدين الاسلامي في إطلاق العقل الانساني من تلك القيود النظرية ليسبح في ذلك الله مهتدياً بدين الله فيه . رت (يا كرن) على هذا الأثر فقرر ان الأدلة النظرية لا يعتمد عليها في إثبات المسائل العلمية مالم تؤيد بالتجربة والاختبار . قال باكون هذه الكلمة التي يعدونها أساس النهضة العلمية الجديدة في أوروبا كانت مبررة عند المسلمين من قبله (كما تقدم في مقالات الاسلام والنصرانية) وما كانت عنده أكثر جلاء

القسم العمومي

الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى

في مكة المكرمة . يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦
في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية وقرأ البليغ الاسكندري ضبط اليوم السابق
على العادة المألوفة وأذن الأستاذ الرئيس للسيد الفراتي بإتمام بحثه
فقال (السيد الفراتي) ان من أعظم أسباب الفتور في المسلمين غرارتهم أي
عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لانه ليس فهم من يرشدهم الى شيء من
ذلك بخلاف الأمم الأخرى فان من وظائف خدمة الأديان عندهم رفع الغرارة أي
الارشاد الى الحكمة في شؤون الحياة . وأما الأقوام الذين ليس عندهم خدمة دين أو
الشراذم الذين لا ينتمون لخدمة دينهم فستفنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو
التربية المدرسية والأخذ من كتب الأخلاق وكتب تدبير المنزل ومفصلات فن
الاقتصاد والتواريخ المتقنة والرومانات الاخلاقية والتمثيلية أي كتب الحكايات الوضعية
ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسلمين

على ان الخاصة السالمين من الغرارة علماً لا يقوون غالباً على العمل بما يعلمون
لأسباب شتى منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولية
والعبوة ومنها عدم التمرن والالفة (١) ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم الاستمرار
على نظام مخصوص في معيشتهم

ثم قال ولا أرى لزوماً للاستدلال على استيلاء الغرارة علينا لأنها مدركة مسالمة
عند الكافة وهي ما ينطوي تحت أجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا : ان
المسلم مصاب . وان الله اذا أحب عبداً ابتلاه . وان أكثر أهل الجنة البله . وجسب
ابن آدم لقيات يقمن صلبه . وان غيرنا مستدرجون . وانهم كلاب الدنيا . وانهم
يملكون ظاهراً من الحياة الدنيا . وانهم في غفلة عن الموت وغفلة عن ان الدنيا شاخنت .
ثم قال فن الغرارة في طبقاتنا كافة من الملوك الى الصعاليك اتنا لا نرى ضرورة
الاتقان في الأمور وقاعدتنا ان بعض الشيء يعني عن كله . والحق ان الاتقان ضروري

« ١ » كما يتربى أولاداً أكثر أمراءنا على أيدي اللالات أو الخادومات وما أدراك
ما تلك الحيوانات . اه من هامش الأصل

للسجاح في أي أمر كان بحيث إذا لم يكن مستطاعاً في أمر يلزم ويتحتم ترك ذلك الأمر كلياً والتحول عنه إلى غيره من المستطاع فيه إبقاء حق الإتيان .

(ومن الغرارة) توهنا ان شئون الحياة سهلة بسيطة فظن ان العلم بالشيء اجمالاً ونظرياً بدون تمرن عليه يكفي للعمل به فيقدم أحداً مثلاً على الإمارة بمجرد نظره في نفسه انه عاقل مدبر قبل ان يعرف ماهي الإدارة علماً ويمرن عليها عملاً ويكتسب فيها شهرة تعينه على القيام بها .

ويقدم الآخر منا على الاحتراف مثلاً ببيع الماء للشرب بمجرد ظنه ان هذه الحرفة عبارة عن حمله قرباً وقدحاً وتعرضه للناس في مجتمعاتهم ولا يرى لزوماً لتلقي وسائل إتقان ذلك فمن يرشده مثلاً الى ضرورة النظافة له في قربته وقدحه وظواهر هيئته ولباسه وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه (كذا) ويوهم بصفاته ليشهي به ومضى يغاب العطش ليقصد المجتمعات ويحرق منها الحياصة له عن المزاحمين وكيف يتزلف للناس ويوهم بلسان حاله انه محترف بالإسقاء كفاً لنفسه عن السؤال الى نحو هذا من دقائق إتقان الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها وان كانت صنعة بسيطة حقيرة .

ومن الغرارة ظننا ان الكياسة في: أذري وأقدر : جواباً للنفس في ما صدر كثيرة شتى والحقيقة ان الكياسة لا تحقق في الإنسان الا في فن واحد فقط يتوالت فيه فيتقنه حق الإتقان كما قال تعالى « ما جعل الله لرجل من قابضين في جوفه » فالعاقل من تخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره: لا أدري ولا أقدر: لأن الأول يتكلف اعمالاً لا يحسنها ففسد عليه كلها والثاني يحرق لكل عمل لازم له من يحسنه فتنتظم اموره ويهنا عيشه .

فالملك مثلاً وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير ينق بأخلاقه ويعتمد على خبرته في انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكليات فالملك مهما كان عاقلاً حكماً لا يقدر على إتقان أكثر من وظيفته المذكورة . فالملك اذا تفرغ وتنزل للتدخل في أمور السياسة أو الإدارة الملكية أو الأمور الحربية أو القضاء فلا شك انه يكون كرت بيت يداخل طبائحه في مهنته ويشارك بستانيه في صنعة فيفسد طعامه ويبور بستانه فيشتكي ولا يدري ان آفته من نفسه .

ومن « الغرارة » اللوث في الأمور أي تركها بلا ترتيب والحكمة قاضية على كل انسان ولو كان زاهداً منفرداً في كهف جبل فضلاً عن سائس رعية او صاحب عائلة

ان يتخذ له ترتيباً في شئونه وذلك بأن يرتب

(اولاً) أوقاته حسب أشغاله ويرتب أشغاله حسب أوقاته والشغل الذي لا يجد

له وقتاً كافياً يهمله بالكلية او يفوضه لمن يفي حق القيام به عنه .

(ثانياً) يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه فان ضاق دخله عن المبرم من

خرجه يغير طرز معيشته ولو بالتحول مثلاً من بلدة الغالية الأسعار او التي مظهره

فيها ينمعه من الاقتصاد الى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه .

[ثالثاً] يرتب تقليل غائلة عائلته عند أول فرصة ملاحظة اراحة نفسه من الكد في

دور العجز من حياته فيربي أولاده ذكوراً وإناثاً على صورة ان كلاً منهم متى بلغ

أشدّه يمكنه ان يستغني عنه بنفسه معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه .

(رابعاً) يرتب أموره الادبية على نسبة حالته المادية أعني يرتب أموره الدينية

ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً فلا يحمل نفسه منها ما لا تطيق الاستمرار عليه .

(خامساً) يرتب مياله الطبيعي للمجد والتعالي على حسب استعداده الحقيقي فسلا

يتترك نفسه يتناول الى مقامات ليس من شأن قوته المادية ان يبلغها الا بمحض الحظ

اي المصادفة . وخلاصة البحث ان الفرارة من أقوى اسباب الفتور وقداطات في

وصفها وإيضاحها ليتأكد عند السادة الاخوان ان ازالة اسباب الفتور الشخصي

ليس من عقبات الامور .

ثم قال ان لانهلال اخلاقنا سبباً مهماً آخر ايضا يتعلق بالنساء وهو تركهن

جاهلات على خلاف ما كان عليه اسلافنا حيث كان يوجد في نساكنهم المؤمنين عائشة

رضي الله عنها التي اخذنا عنها نصف علوم ديننا وكنات من الصحابييات والتابعيات

راويات الحديث والمتفهمات فضلا عن الوف من العالمات والشاعرات — اللاتي في

وجودهن في العهد الاول بدون انكار — حجة دامغة ترغم انفس غيرة الذين يزعمون

ان جهل النساء احفظ لعفتن فضلا عن انه لا يقوم لهم برهان على ما يتوهمون حتى .

يصح الحكم بان العلم يدعو للفجور وان الجهل يدعو للعفة . نعم ربما كانت العالمة اقدر

على الفجور من الجاهلة ولكن الجاهلة اجسر عليه من العالمة . ثم ان ضرر جهل النساء

وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات امر واضح غني عن البيان وانما سوء تأثيره في

اخلاق الأزواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث فأقول .

ان الرجال مبالون بالطبع الى زوجاتهم والمرأة اقدر مطلقاً من الرجل في ميدان

التجاذب الاخلاق ولا يتوهم عكس ذلك الأمن استحکم فيه تغرير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته حل كون حقيقة الأمر انها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت. وبتمبير آخر يغره انه أمامها وهي تبته فيظن انه قائد لها والحقيقة التي يرها كل الناس من حولهما دونه انها انما تمشي وراءه بصفة سائق لا تابع. وما قدر قدر دهاء النساء مثل الشريعة الإسلامية حيث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين. حصراً لمطاعتهن وتفرغهن لتدبير المنزل فأمرت باحتجابهن احتجاباً محدوداً بعدم ابداء الزينة للرجال الاجانب وعدم الاجتماع بهم في خلوة أو لغسیر لزوم. وأمرت باستقرارهن في البيوت الا الحاجة ولا شك انه ما وراء هذه الحدود الا فتح باب الفجور. وما هذا التحديد الا مرحلة بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة.

والصينيون وهم أقدم البشر مدنية التزموا تصغير أرجل البنات بالضغط عليها لاجل ان يمسر عليهن المشي والسعي في افساد الحياة الشريفة ذلك الشرف الذي هو من أهم مقاصد الشرقيين بخلاف الغربيين الذين لا يهمهم غير التوسع في الماديات والمذات وقد أمرت الشريعة برعاية الكفاءة في الزوج وذلك ايضاً مرحلة بالرجال و

لائمة المجتهدين أغفلوا لزوم تحري الكفاءة في جانب المرأة للرجل وأوجبوا ان يكون هو كفؤاً لها فقط لكيلا تهاكك بفخارها وتحكمها على ان لرعاية الكفاءة في المرأة بالنسبة الى الرجل ايضاً موجبات عائلية مهمة منها التخير للاستسلام والتخير لتربية النسل. وللتساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الاخلاق في المدن لان الزوج بمجهولات الاصول او الأخلاق او بسافلات الطباع والمعدات او بالغريبات جنساً او الرقيقات مفاسد شتى لأن الرجل ينجر طوعاً أو كرهاً لأخلاق زوجته فان كانت سافلة يتسفل للاحالة وان كانت غريبة بغضت اليه قومه وجبرته الى موالاتهم وقومها والتخلق بأخلاقهم ولا شك ان هذه المفسدة تستحكم في الاولاد اكثر من الأزواج

وربما كان أكبر مسبب لانحلال اخلاق الامراء من المسلمين أنهم من جهة الامهات والزوجات السافلات اذ كيف يرجي من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة (١) أن تترك بعلمها وهو في الغالب أطوع لها من خايلها أن يحجب داعي شهامة أو مروءة أو أن تفرز في رؤس صيتها مقاصد سامية أو تحمسهم على أعمال خطيرة كلاً لا تفعل ذلك أبداً انما تفعله الشريفات اللاتي يجدن في أنفسهن عزة وشهامة (٢) وهذا هو

(١) كالكرحيات الارمنيات والرققات الجركسيات امهات اكثر الامراء وزوجاتهم

(٢) كبنات بيوت المجيد الحريصات على الفخر وبنات أهل البادية والقرى الابيات النفوس

سرّ أن أعظم الرجال لا يوجدون غالباً إلا من أبناء وبعول نسوة شريفات أوبيوت قروية وهذا هو سبب خرص امراء العرب والافرنج على شرف الزوجات

(ثم قال السيد الفراتي) أيضاً: واني أرى أن هذا الفتور بالغ في غالب أهل الطبقة العليا من الأمة ولا سيما في الشيوخ مرتبة (الحور في الطبيعة) لاننا نجدهم يتقصون أنفسهم في كل شيء ويتقاصرون عن كل عمل ويحجمون عن كل إقدام ويتوقعون الحية في كل امل . ومن أقبح آثار هذا الحور نظرهم الكمال في الاجانب كما ينظر الصبيان الكمال في آبائهم ومعلمهم فيندفمون لتقليد الاجانب واتباعهم فيما يظنون رقة وظرافة وتمدناً وينخدعون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التعصب في الدين والاقتضار به فتم من يستحي من الصلاة في غير الخلوات . وكإهمال التمسك بالمعادات القومية فتم من يستحي من عمامته . وكإبعد عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قومهم من سقط البشر . وكإنبذ التحزب للرأي كأنهم خلقوا قاصرين . وكإغفلة عن إثارة الاقربين في المنافع . وكإلقم ودع التناصر والتراحم بينهم كي لا يشم من ذلك رائحة التعصب الديني وان كان على الحق — الى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الحور من المسلمين الحميدة في الاجانب لان الاجانب يموهون عليهم بأنهم يحسنون التحلي بها دونهم

وهؤلاء الواهنة يحق لهم أن تشق عايهم مفارقة حالات الفوها عمرهم كما قد يأنف الجسم السقم فلا تلذ له العافية فانهم منذ نعومة أظفارهم تعلموا الأدب مع الكبير يقبلون يده أو ذيله أو رجليه . وألفوا الاحترام فلا يدوسون الكبير ولو داس رقابهم . وألفوا الثبات ثبات الأوتاد تحت المطارق . وألفوا الانقياد ولو الى المهالك . وألفوا ان تكون وظيفتهم في الحياة دون الثبات ذاك يتناول وهم يتقاصرون ، ذاك يطلب السماء وهم يطلبون الارض كأنهم للموت مشتاقون ، وهكذا طول الألفة على هذه الخصال قلب في فكرهم الحقائق وجعل عندهم المخازي مفاخر فصاروا يسمون الصغار أدباً والتذلل لطفاً والتعلق فصاحة والاكثة رزاة وترك الحقوق سماحة وقبول الاهانة تواضعاً والرضاء بالظلم طاعة كما يسمون دعوى الاستحقاق غروراً والخروج عن الشأن الذاتي فضولاً ومد النظر الى الغد أملاً والاقدام تهوراً والحمية حماقة والشهامة شراسة وحرية القول وقاحة وحب الوطن جنونا

ثم قال وليعلم ان النشء الذين تعقد الأمة آمالها باحلامهم عسى يصدق منها شيء

وتتعلق الاوطان بحبال همهم عساهم يأتون فعلاً مذكوراً هم اولئك الشبان ومن في حكمهم المحمديون المهذبون الذين يقال فيهم ان شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون بدينهم فيحرصون على القيام بمبانيه الاساسية نحو الصلاة والصوم ويحجبون مناهيه الاصلية نحو الميسر والمسكرات الذين لا يقصرون بناء قصور الفخر على عظام نحرها الدهم ولا يرضون ان يكونوا حلقة ساقطة بين الاسلاف والاخلاف الذين يعلمون انهم خلقوا احراراً فيأتون الذل والاسارة • الذين يودّون ان يموتوا كراماً ولا يحبون لثاماً • الذين يجهدون ان يتلوا حياة راضية حياة قوم كل فرد منهم سلطان مستقر في شؤنه لا يحكمه غير الدين وشريك أمين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والهناء وولد بار بوطنه لا يخل عليه بجزء طفيف من فكره ووقته وماله • الذين يحبون وطنهم حب من يعلم انه خالق من تراه • الذين يعشقون الانسانية ويعلمون ان البشرية هي العلم والبهيمية هي الجهالة • الذين يعتبرون ان خير الناس انفسهم للناس الذين يعرفون ان القنوط وباء الآمال والتردد وباء الاعمال • الذين يفقهون ان القضاء والقدر هما السعي والعمل • الذين يوقنون ان كل ما على الارض من أمر هو من عمل أمثالهم البشر فلا يتحيلون الا المقدرة ولا يتوقعون من الأقدار الا خيراً • وأما النشء المتفرنج فلا خير فيهم لأنفسهم فضلاً عن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئاً وذلك لأنهم لا خلاق لهم تجاذبهم الاهواء كيف شاءت لا يتبعون مسلكاً ولا يسرون على ناس مطرد لانهم يحكمون بالحكمة فيفتخروا بدينهم ولكن لا يعملون به نهائياً وكسلاً (١) ويرون غيرهم من الاعم يتباهون بأقوامهم ويستحسنون عاداتهم ومميزاتهم فيميلون لناظرهم ولكن لا يقوون على ترك التفرنج كأنهم خلقوا أتباعاً (٢) ويجدون الناس يعشقون أوطانهم فيندغمون للتشبه بهم في التشيب والاحساس فقط

(١) اكبر ما يشق عليهم ويتكاسلون عنه الصلاة التي هي عماد الدين • ولتخاطبهم بلسانهم فنقول: ان الطهارة والوضوء هما عين (التوالت) أو بعضه وتمكن بدقيقتين أو ثلاث وأفعال الصلاة هي عين (الجنستيك) واكمل منه لانها موزعة ولا تستغرق الركعة منها اكثر من دقيقة فأطول صلاة تطول عشرة دقائق • بناء عليه فليكن على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم الذين لو لم يكن فيهما حكمة غير أنهما شعار يميز بهما المسلم • الكافي • (٢) هذه حكمة الشرع في حفظه ترك سنة الاسلاف ونقله الاغيار ولو في اللباس وهذه الاعم الافرنجية تنفر من التقليد حتى في القياسات والموازين

دون التشبث بالأعمال التي يستوجبها الحب الصادق . والحاصل ان شؤون النش المنفرج أيضاً لا تخرج عن تذبذب وتلون وتفاق يجمعها وصف « لاختلاق لهم » والواهة خير منهم لانهم متمسكون بالدين ولورياء وبالطاعة ولو عمية على انه يوجد في المنفرجة أفراد غيرون كالراسخين من أحرار الأتراك المتهين غيرة يقتضي احترام منيتهم .

ثم قال (السيد الفرائي) ان الحور المبحوث فيه علة معدية تسري من الشيوخ الى الشبان ومن الطبقة العليا الى العامة وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة والحوول وسقوط الهمة والدناءة والاستسلام فيتركوا أهل النشاة الجديدة وشأنهم لا يستهزؤن ولا يعطلون ولا يسفهون ولا يتبطون وما أظنهم بفاعلين ذلك أبداً الا أن تصدى لهم جرائد مخصوصة تقابلهم باللوم والتبكيك وتتساقط عليهم أقلام الأدباء والسنة الشمرء بوضع أهاجي وأناشيد بعبارة بسيطة محلاة بنكت مضحكة لكي تنتشر حتى على السنة العامة . وبمثل هذا التدبير تنور حرب أدبية بين النش والواهة لا تلبث أن تنتهي بانكسار الفئة الثانية أولئك البائسين المتفاسلين المتواكلين المتعاضين المتخاذلين المتشاكسين العاجزين عن كل شيء إلا التعطيل

ومن راجع تواريخ الامم التي استرجعت نشأتها والدول التي جددت عصيتها يجد من حكمائها ونجيبائها مثل حسان قريش وكميت العباسيين ولوتر الالمانيين وقولتر الفرنساويين قد تغلبوا على الفكر الواهن وأنصاره من الأشراف والشيوخ وأهل الغناد والفساد بحمل لواء النش . وأثارة حرب أدبية حماسية بين الفتيين على انفسان تكفيها الضوضى ولا نحتاج قط للفوضى لأن واهنتنا أضعف من أن نحوجنا أن نتنظر أم حسان تلد حسناً ورب حيلة أنفع من قبيلة (٢٤١١١٨٤٩٩٨٤٧٧١٢٤٠٤٣٣٣٢١) ٢٤١١١٨٤٩٩٨٤٧٧١٢٤٠٤٣٣٣٢١ ٣٥٤٢٩٣٤٨٤٧٢٢٦٤٢٥٥٤٢٤٢٤٨٢٢١٣٠٧١٩٢٣٤١٧٤٦١٦٨٢٤٢١٣١١ ١٩٠٥٠٥٣٣٤٧٨٦٦٢٤٥٥٢٤٤٣٨٩٢٤٢٤٤٢٣٩٤١٧٧٦٦٨٧٥٣٩٣٧٤٢٣٥ ١٩٠٥٠٥٣٣٤٧٨٦٦٢٤٥٥٢٤٤٣٨٩٢٤٢٤٤٢٣٩٤١٧٧٦٦٨٧٥٣٩٣٧٤٢٣٥ ١٩٠٥٠٥٣٣٤٧٨٦٦٢٤٥٥٢٤٤٣٨٩٢٤٢٤٤٢٣٩٤١٧٧٦٦٨٧٥٣٩٣٧٤٢٣٥ وهذا أنجع دواء والله ولي النيات

ثم ختم (السيد الفرائي) كلامه بقوله هذا ما ستح لي في هذا المرام وقام ، وتبادل مع مع الفاضل الشامي والبلغ الاسكندري المقام

قال (الأستاذ الرئيس) ان مباحث الجمعية قد استوفت حقها وكفاني السيد الفرائي تلمخيص أسباب الفتور منها ولا أرى لزوماً لتلخيص بقية المباحث الدينية

وقد أعطاني أخونا المدقق التركي رئيس لجنة القانون (السامحة) التي وضعها اللجنة مطبوعة في نسخ على عدد الاخوان لتوزع عليهم فيطالعها كل منهم ويدققها قبل وضعها في اجتماعنا غداً في موقع الذاكرة حيث يبحث فيها قضية فقضية بدون جزاف وأما اليوم فقد حل أوان الانصراف
بإدراك (السيد الفراتي) وفرق على كل واحد من أعضاء الجمعية نسخة من سائحة القانون فأخذوها وتفرقوا

باب التبرير والتعليل

الشذرة العاشرة منه ببريدة الدكتور راسم (*)

﴿ التقليد والذاكرة ﴾

مثل هاتين القوتين في فتنة العقل والتمرير به كمثل الفتانات الخرافية التي كانت تظهر في بحر صقلية وتسبب الملاحين بشجي صوتها فتوردتهم في شمابه مورد الهلكة فانهما بعلو مكانتهما وجلال خطرهما في دراسة اللغات وبجداعهما العقل أحياناً في آدابها بما يأخذانه عن الغير من محاسن القول وطرائقه يأكلان الاستعداد الحقيقي أكلاً وقد يكون الذنب في ذلك على المربين دونهما لما ينجونه من طريقة التربية فإن أحداً لا يرتاب في كون تينك القوتين من المواهب الخلقية الميمونة بيد أن هذا لا ينبغي أن يكون سبباً للافراط في تميمها. فانك ترى التلميذ الذي تربي على طريقتنا يصف لك بما قرأه في الكتب أشباه لم يرها في حياته ويفوه أمامك بمجمل من القول المنشور أو المنظوم تدل على ضروب من الوجدان هو لم يشمر بشيء منها قط ويبيدي من الهيج والانفعال في بعض أحوال لا علاقة له بها من حياة غيره ما لا أثر له في نفسه ولو أنك سألته أن يتفنى بذكر الاشجار وظلالها والانعام وروعها والربيع وأزهاره لوجد فيما يذكره من محفوظاته جميع ما قاله فيها فرجيل (١) وهوراس (٢) من النعوت والوصاف

(*) معرب من كتاب أبيل القرن التاسع عشر (١) راجع عدد (١) من تعليقات الشذرة

التاسعة (٢) هوراس شاعر لاتيني مشهور ولد في سنة ٦٧ ومات سنة ٨ قبل المسيح.

ومع انه قد يكون خيراً له أن يذهب الى المزارع ويرى بنفسه ما يحصل فيها وكيف يحصل تراه شديد الاحتراس من موافقتها خشية أن يخسر فيها اللاتينية وما تواضع عليه الاقدمون من الصور اللفظية لتأدية ما كان يعرض لذهانهم من المعاني والافكار واذا استوصفته قتالا انبرى يصف لك ما استعمل فيه من الآلات وكيف كان اصطدام الجيشين بالفاظ مطعنة وعبارات مججلة وهو لم يشهد شيئاً من ذلك أبداً فاذا كان مرادك اختباره في محاصرة العدو وجدته قد انتهى من حصاره كما انتهى فرتوت (١) واقدم صرفت فيما سبق تلميذاً كان يبدو عليه كثير من مخايل النجاة نال إكليلاً مكافأة له على قرصه شعراً وصف فيه زج سفينة في البحر وهو لم ير في عمره سفينة ولا بحراً.

نعم ان الشبان في هذه الايام لا يكادون ينفلتون من المدارس الا وهم رافضون لآثار السلف نابذون لها ظهرياً غير انه لا معنى لهذا الا انهم يعتاضون عن مثل الغابرين مثل الحاضرين لان محو طيات التقليد وغضونه من النفس وارجاعها الى صقاتها الفطرية ليس من السهولة بالمقدار المتوهم فاننا كل يوم نقرأ في وصف الكتاب والشعراء المتدينين قول واصفيهم في الواحد منهم انه نابغة يفتش على نفسه قليلاً الى بربه هذا الفتاش أين أضل نفسه حتى أصبح ينشدها

ان تربية تكون بدايتها إضلال وجدان الاستقلال الى حد انه ينبغي لأجل الاهتداء اليه تلمسه سنين طويلة لمن القراءة يمكن

أنا لا أشتري ولا أرجو أن يكون « أميل » مبالاً الى وقف نفسه على دراسة آداب اللغة ولو أنني وهيلانة دأبنا في تحبيبها اليه وأفانحنا في حجب حالة عقله بزخارف الذاكرة لاخفقتنا في مسعانا الى غايته المطلوبة. فإلقاء لهذا الخطر تراني مهيماً على ارجاء تعاليمه اللغات القديمة واقراءه كتب مؤلفها وقد جعلت له مشاهدة الاشياء مقدمة على علم الالفاظ فاصبحت علومه على ما فيها من النقص لها أصول في الخارج ترجع اليها ودعائم في الواقع تستقر عليها وسعت في ايتائه من آلات الضبط والدقة

(١) فرتوت هو اسقف مؤرخ من الفرنجة ولد سنة ١٦٥٥ ومات سنة ١٧٣٥

ق . م . وهو مؤلف كتاب الفتنة السويدية والفتنة الرومانية وتاريخ الاسراف الكرام والمؤرخ يلمح الى واقعة هذا المؤرخ وهي انه كان يكتب تاريخاً لحصار رودس وانتظر طويلاً ورود أنباء صحيحة له عنه فلم تحضر فاتهم تاريخه قبل ورودها ثم قال انني متأكد من ذلك ولكن قد انتهت من حصاري

العقلية ما هو لازم للانسان في بحثه عن الحسن والحق أكثر جداً من سمي في الانضاء اليه بما لي أو ما يغيري من المعاني

وقبل ان اجعل البحث في مثل الاقدمين في مكنته ساعني كل العناية بتبنيه الى ان هذه المثل لا تقلد فانه من السخف المحقق ان نباري الغابرين مباراة نحن على يقين من غلبنا فيها من قبل ان ندخلها وكيف لانكون مغلوبين لهم ونحن نرضى لانفسنا طريقتهم في الكلام والكتابة والذي لاغضاضة علينا في أخذه عن كتاب اليونان والرومان انما هو روح آداب لغتهم وما يناسب كل زمان وكل قوم من أساليب الانشاء وترتيب المعاني والدقة في التعبير عنها وانتقاد الالفاظ الالفة بها فكما ان من يماثر بعض خواص الاجانب يقتبس شيئاً من خصائصهم بغير ان يكون ذلك موجباً لمشايتهم لهم بحال من الاحوال كذلك معاشره الاقدمين بواسطة ما تركوه من آثارهم توحى اليها شيئاً من عوائد العقل واللسان المناسبة لكافة الاقوام المستضيئين ببعضاء العرفان .

التقليد الخسيس سواء قلد فيه الغابرون أو الحاضرون لا يقتصر سوء أثره على إضماغ الذوق والميل الى الفنون بل انه يسلب الناشئين شرف النفس وكرامتها فاشد ما يتخذون بما تؤديه لهم الالفاظ عند قبولهم ايها من المعاني صحيحة أو فاسدة لان أساليب الانشاء والالفاظ والجمال تفعل في نفوسهم ما يفعله السحر الحقيقي فتراهم يتوهمون انهم يتفكرون فيما يقولون ويكتبون والحق انهم يرددون ما فكر فيه المفكرون ولعمري ان هذا هو أصل بعض الاباطيل التي تحاول من قرون عديدة اطفاء نور العقل . ذلك ان ضروب الاستعباد متلازمة فن قبل واحدا منها فقد أخذ على نفسه الرضوخ الى جميعها الا ترى الشاب المتعلم الذي اعتاد تقليد ما يصفه المقلدون بالمثل الحسنة بصاحبه في سيرته وأطواره روح اللين والانقياد الذي ألفه من التقليد فتجده يحين ويفزع عند كل عنيزة ذاتية

نعم انه قد يحاطر بحياته في براز أو يعرضها للهلكة في ساحة قتال لانه يرى ذلك مستحسنًا في نظر الناس ولكنه اذا دعي الى مقاومة عادة بربرية او تأييد حق قل ناصروه ورأى أن من وراء ذلك الاستهداف للسخرية والزراية عليه نكص على عقبيه نكص الحيان وفر فرار الرعديد

مثل هؤلاء المخلوقين المجردين عن ذواتهم يجدون طريق عيشتهم ذلولاً ويأثمهم

رزقهم بلا نصب ولكن ما أكثر ما يسومون أنفسهم من الخسف وما احط ما يسهلون بها اليه من دركات الذل . عرفت امرأة برزّة (١) محبوبة حسنة المحاضرة وكانت ارملة ولها ولد كان قلة آمالها فبدلها يوما من الايام ان تنشئه على أحسن آداب المواضعة المعروفة فرأت ان الاستشهاد باقوال الكتّاب اللاتنيين في المقامات المناسبة من المحاضرة والمثل باشعارهم وايراد أمثالهم من الامور التي لا بأس بها بل انه يكسو المحاور اذا كان حسناً برزداً من الخطر ويبقي عليه مسحة من جلال القدر فارسلت ولدها الى المدرسة فغادرها كيوم كدخلها خفيف العقل لم يستفد من العلم الا فشورا محبوبة عند الناس ولكنه اذ كان في ذاكرة مباركة كان يتكلم في كل موضوع ويناقش في كل شيء ولا يبدي رأيا الا قبول بالاستحسان لانه يسهل على كل انسان ان يرضي الناس عنه اذا سلم لهم ما يقولون ولم يعارضهم في شيء من آرائهم فكان ثنائراً عديم الخلاق حسن الصورة عقيم الفكر أرادت والدته ان تصير رجلاً من الاكياس أو نائباً لأحد الحكام او معتمداً سياسياً لحكومته في بعض البلدان وان أحبت أن تعرف ماذا صيرته قلت انها صيرته طفيلياً .

ان طريقتنا في التربية تظهر بادي الرأي سخيفة مضحكة وان جاز أن تكون ممتدة يتعاضى على الافهام ادراكه وربما لا تطابق أي طريقة غيرها مطابقتها لمقاصد حكمائنا ونظامنا السياسي

التلامذة في مدارسنا مقترعون مدنيون تبكر الحكومة بتأهيلهم لوظائفهم على نظام معنوي يشف عن حذق واضعه فانت ترى القائمين على تربيتهم يوزعون عليهم متاعاً من الآراء والعلوم التي يجب عليهم تقليدها في مستقبلهم مراعين في ذلك الدقة العسكرية التي تراعى في توزيع متاع الجند وينادونهم : « الهوينا » أيها الاحداث واياكم ان تحيدوا عن الحطة المضروبة لكم . نعم ان منهم من يولونهم أديارهم ولا يصغون الى نداءهم وان كثيراً من هؤلاء ينجحون الى فئة الأخذين بحرية النظر ويتضاعف عددهم كل يوم واكن لشدة ما يلاقون على ذلك من العقاب محرمون من تقلد الوظائف العلمية في المدارس الجامعة ومن القيام بالوظائف الادارية في الحكومة فلا يولّى أحدهم شيئاً منها وفوق ذلك تراهم ان لم يسبروا سيرة مرضية وقد أخذت الحكومة على نفسها تعليمهم كيف يسبرون بما تتابعه لهم من ضروب الابداء وما تملوهم به من العقوبات والتكيات

(١) البرزة المرأة الجليلة التي تظهر للناس ويختلف اليها القوم

السياسة ولا جرم فانهم في قبضة حاكم ماهر والذنب عليهم في انهم لم يعرفوا من قبل ان لهم والياً يقوم عليهم واستاذاً يرشدهم
ولما لم يكن هذا هو الفلاح الذي أرجوه « لامل » وكان الذي يعني من أمره قبل كل شيء انما هو حفظ كرامته وشرفه من حيث هو انسان كان نصيب هذه الطريقة مني محض الاعجاب بها دون ان أرضاها لثريته

﴿ السُرة الحادية عشرة ﴾

في المؤلفات المفيدة للناشئين واختيارها

أجد في نفسي انبعثاً كثيراً الى اعتقاد انه لا شيء أضرّ على كتاب الاقدمين وأدعى الى هجر مؤلفاتهم من اطراء المعلمين اياهم واعتيادهم الاعجاب بما كتبوا ذلك ان هؤلاء بالزامهم الطفل حفظ ما يختارونه له من هذه المؤلفات وارشادهم اياه الى ما يجب عليه ان يراه فيها من ضروب المحاسن خشية ان يقصر في احترام آثار سلفه واكرامهم له على ملاحظة جميع ما فيها حتى علامات الفصل والوصل بذلك كله لا يفاجحون غالباً الا في ان يكرهوها اليه وهي أحسن أعمال عقل الانسان
فالا فراط في الوقاية من جانب المعلم يصير سبباً للضعف من جانب المتعلم وافراط ذلك في اعجابه بما يعلمه يذهب بالحلمية من نفس هذا فيما يتعلمه والمقصود من التعليم على أي حال انما هو انشاء القوة الحاكمة في نفس الطفل وأنا في شك من بلوغ هذه الغاية بالجري على تلك الطريقة فإنه على فرض وجود التلامذة الذين يكون فيهم من الامتثال ما يكفي لان يروا الحسن فيما يمدح لهم والقبح فيما يذم (وفي التلامذة من هم كذلك) لا تكون أذواقهم من أجل ذلك أسلم من أذواق غيرهم ولا اكثر منها دربة بل ان هذا مما يدعو الى سلبهم قوة تمييزهم الامور بأنفسهم فتكون همهم في مستقبلهم مصروفة الى تاتي آراء من تعتبر آراؤهم حجة من الناس لا الى النظر في الامور والحكم عليها حكماً مستقلاً

ساعد ابني وشأنه في انتقاء كتبه فلا اجتنب الا ما يكون منها ضاراً بالاخلاق لاني اود ان يكون هو صاحب الخيار فيما يفضل في نظره من كتب الآداب فاذا ضل ذوقه في الاختيار عولت في رده الى الصراط السوي على ضروب نمو عقله لاعلى ما يدعو اليه كدري من انواع التوبيخ والتأنيب ومع كوني لا اضمن عليه بالارشاد متى سألني اياه فجدني اقصد ان يلتبس في ما يطالعه تنمية افكاره وتربية ضروب وجدانه الذاتي

نعم اني قد اشتغيت ان اقدم له بعض كتب مخصوصة واعتبط لوانه اتفق معي في
التأثر بما فيها غير اني لا اجدني محققاً في اقتضاء ذلك منه لان الاعجاب بالشيء من اجل
ان يكون مفيداً لا بد ان يصدر عن نفس المعجب ولان الانسان في كل طور من اطوار
حياته منفرداً كان أو مجتمعاً يتصور للحسن كالا يطابق بالضرورة بعض أحوال تتماق
بنفسه أو بوظائف أعضائه • يدلك على ذلك اننا لانكاد نعرف الآن ما قرأناه في عهد
شبيبتنا من الكتب ولا مؤلفيها ولا نحس بشيء من الميل الى كتب الادب التي طالعتها
في ذلك الزمن • لم يبق من الشعراء والكتاب الذين كانوا أساتذتنا فيه بكتبهم من يصحبنا
في شيخوختنا الا التزير اليسير •

اثنا على المسيحية

(الاسلام والنصرانية • مع العلم والمدينة) لقد أقبل الناس على هذا الحساب
اقبالاً لم يعمد في هذه البلاد وأمثالها حتى إننا لتتوقع نفاد نسخة المطبوعة كلها في
زمن قريب جداً • وقد قدمنا نسخة منها الى رئيس علماء الدين في مصر الشيخ
سليم البشري شيخ الجامع الأزهر فتقبلها بأحسن قبول وأظهر لنا غاية الارتياح
إعطيه وأثنى بما هو أهله ثم انه لم يرض الا أن كافأنا بما هو أضعاف ثمن الكتاب
وألزمتنا بقبول المكافأة وحسبنا رضاه عن هذا الأثر أدامه الله نصيراً للإسلام
وقد نشرنا في آخر الكتاب أبياتاً من قصيدة في تقريره لأحمد أفندي الكاشف
وأنا نشرها أيضاً في المنار وهي

سلاماً حجة الإسلام فينا	ورضواناً رجاء المسلميننا
عنيت بما كتبت فكان وحيًا	يؤيد وحي ملامك المبينا
فلم تترك لمثهم مكانا	يرى فيه المزاعم والظنوننا
فما بطل يخوض الحرب فرداً	فما يدغو بأخر مستعينا
جهاداً في سبيل الله يفدي	بمهجته المواطن أن تهونا
بأبقى منك آثاراً وذكرًا	وقدراً في قلوب العالمينا
وكان راعك المنصور سيفاً	وكان كتابك الدرع الحصينا

ملكته به معاقل عاليات نبته عنها سيوف الفاتحين
وماضى الضلال الخلق حق نفستهم وأوفحت اليقين
فرقاً بالمكابر قد كفاه مجادلة وأوشك أن يدبنا
ودعه في تأمله عساه يحبك باعتراف المهتدين

باب التقرير

﴿ رحلة صادق باشا العظم الى صحراء افريقية الكبرى ﴾

الفريق صادق باشا المؤيد العظم أحد حجاب مولانا السلطان عبد الحميد خان كاتب أديب وقائد شجاع وأمين عنده ولاء يبعثه في المهمات السياسية والفنية العملية . فكما عهد اليه بأمر مد الاسلاك البرقية في الحجاز ثم بأمر النظر في سكة حديد الحجاز من الأمور الفنية عهد اليه من قبل بالرحلة الى صحراء افريقيا واكتناه شؤونها عامة وشؤون السنوسي وجماعته خاصة فقام بذلك وعهد اليه من بعد بالذهاب مع بضعة الى روسيا لمقابلة قيصرها في أمر سياسي . أما سفره الى الصحراء بأمر السلطان فقد كان مرتين وكتب فيما شاهد في المرة الثانية رحلة باللغة التركية أودعها وصف ما رآه واختبره من أحوال المكان والسكان . وقد عرب الرحلة جليل بك العظم وطبعت في كتاب مستقل بعد طبعها في جريدة « معلومات » ولا شك ان قراء العربية كلهم يحبون الاطلاع على مثل هذه الرحلة الا من لا يحب التاريخ ولا يحفل بما يبنى عليه من أحوال السياسة الحاضرة . والرحلة تطلب من ادارة مجلة المنار بمصر

(الإسلام في عصر العلم) كتاب جديد يشغل بتأليفه وطبعه محمد فريد افندي وجدي . وقد جعله ثلاثة أقسام أحدها في « الإنسان » وثانيها في « المدنية » وثالثها في « ما وراء المادة » ورابعها في « حياة النبي صلى الله عليه وسلم » والغرض من الكتاب تأييد الدين الاسلامي بمباحث العلوم على ما انتهت اليه في هذا العصر

الغرض شريف وحاجة المسلمين اليه شديدة فان المفتونين منهم بمدينة أوربا يخطف أبصارهم كل شيء يرونه من آثارها ويختلب أفئدتهم كل يسمونه من علومها وعقواهم تتبع أفئدتهم وأبصارهم . فترى الكثيرين منهم في شك من دينهم الذي اتموا اليه ولم يعرفوه حق المعرفة لاعتقادهم أن أولئك الذين تلك المدنية مدنياتهم وتلك العلوم علومهم لا يمتدبون بصحة الدين . ومنهم الضعيف الواهن الذي يكفي

لا يقاعه في الشك أن تخفى عليه حقيقة مسألة واحدة مما يعزى الى دينه أو يراها مخالفة لما يقول أو تلك الحافظون لبصره والخطابون لفؤاده وربما تكون تلك المسألة ليست من الدين بل من التقاليد اللاصقة بأهله أو تكون من الأمور الواردة فيه لا على سبيل القطع أو يكون لها معنى غير ما يفهم أو يكون المخالف للمسألة هو الخطئ ولكن من قتن باعتقاد عظمة إنسان لا يخطر له أنه يخطئ . ان تقليد يفتك بعقل المقلد حتى يجعله أسيراً لكل من يعتقد عظمته يسلم له بكل شيء تسليماً

أمثال هؤلاء يجب أن يعرفوا نسبة هذه العلوم وهذه المدنية الى الإسلام وما يؤيده منها ومن علومها . ولن يجدوا حاجتهم هذه على طرف الثمام الا اذا انصرفت همه الباحثين للتأليف فيها وهذا ما توخاه صديقنا محمد فريد وجدي في كتابه هذا فنسأل الله تعالى ان يوفقه لا كماله ويسهل له سبيل كماله ويوفق اخواننا المسلمين لمساعدته على عمله بالاقبال عليه . وقد اختار هو أن يصدر الكتاب لمن يشترك فيه منجماً نجماً في كل شهر ٦٤ صفحة من القطع الصغير اللطيف . وقيمة الاشتراك في السنة ٣٠ قرناً صحيحاً تدفع سلفاً أو على ثلاثة نجوم . وهو يطلب من مؤلفه بالسويس

﴿قاموس الماني عربي﴾

ان الحاجة التي تسوق الامم الى الاقتراب من الامة الالمانية ودراسة لغتها أصبحت متأكدة وتزداد من يوم الى آخر ذلك بانها من حرب السبعين الى اليوم وصلت في علومها وصنائعها وتجارتها وسائر ضروب المدنية الى درجة أبهرت العالم فأخذت الامم لها المحل الاول وصار الكثيرون من المتكلمين يدرسون لغتها ويرحلون اليها في طلب الكمال وقد أخذ عدد من الشرقيين ليس بالقليل في دراسة هذه اللغة يتقنون ان يصيبوا من هذا ما يصيبه غيرهم وسينمو هذا العدد من غير شك تبعاً لامتداد الملاقى بين البلاد الالمانية وبلادهم وازدياد المستكلمين وطلاب الحقائق في هذه البلاد . هذا قول حق نلفت به القراء منهم الى قاموس الماني عربي ظهر في هذا العهد . الف هذا الكتاب العالم الفاضل الانسوي المؤرخ الدكتور ارنت هردر المحرر باحدى الجريد الشهيرة التي تصدر ببرلين « بختش » رُنْدُ شَوْ » والقاموس المذكور مشتمل على ثلاث وثمانمائة صفحة جمعت نحو ثمانية عشر الف كلمة مراعى في جمعها حاجة المتكلم والفارسي في الكتب الادبية سواء كانت جرمانية الاصل أو دخيلة شائعة في اللغة . ان هذا الدكتور — وقد عاشته زمناً طويلاً — يعيد

ان يضع للكلمة الالمانية أخرى عربية بازائها اذا لم يكن المعنى واحداً بل يعتمد اذا لم يصيب الكلمة المطلوبة الى التعبير عن المعنى في جملة يصيب بها الغرض قدرها يمكن . ساعده على أداء هذه المهمة التي يعمل لها منذ عهد بعيد معرفته باللغة المصرية الدارجة والفصحى وقد وضع فيها أجرومية باللغة الالمانية طبعت سنة ١٨٩٨ بمطبعة «هيدلبرج» وصادفت اقبالا طيباً . قد يضع المؤلف لغرض ما إزاء الكلمة الالمانية أخرى من اللغة الدارجة مع التنيه على ذلك . لم يوجد من قبل قاموس الماني عربي الا واحد لحضرة البروفسور فارمولد النمساوي الا انه غير واف بالغرض ومن هذا ان كلماته لا تزيد على الثلث من الفاظ الكتاب الجديد . ان هذه الخدمة الجليلة التي قام بها هذا المؤلف هي في منفعة الناطقين باللغة العربية اكبر منها في صالح قومه ولهذا نشكر له هذا العمل ونسأل له دوام التوفيق للعمل على الصالح العام

ومن أراد ان يكتب حضرة المؤلف في أمر يخص كتابه أو نحو هذا فليتفضل بالاستفهام عن طريقة ذلك من حضرة السيد الفاضل صاحب هذه المجلة (أحد القراء) (مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) صدر الجزء الاول من هذا الكتاب لمؤلفه المؤرخ النصف جرجي أفندي زبدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص بتراجم الملوك والأمراء والقواد ورجال الإدارة والسياسة ولم يتمكن من مطالعة شيء منه ولكننا نعلم ان طريقته فيه هي طريقته في الهلال بل هو قبسة من نور الهلال . وصفحاته ٢٦٤ وفيه ٧٢ رسماً وثمنه ١٥ قرشاً صحيحاً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(الحال بين العامة) «رسالة دينية أدبية تهذيبية اجتماعية» ألفها عبد العزيز أفندي قنحي الجورجستاني وقال في مقدمتها ان أكبر داع دعاه الى تأليفها هو انه سمع من الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية كلمة قالها للناس بعد صلاة الجمعة في بلده (محلة نصر) وهي : يكاد قلبي يقطر دماً عند ما أرى بدعة أئندها مبتدعها الى الدين : وتلا الأستاذ قوله تعالى «ان الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً» الآية . أما فصول الرسالة فهي (١) الصدق والامانة وضدها . و (٢) الاقتصاد وبعض ماورد في مدحه و ذم ضده و (٣) الاصلاح والمعاونة . و (٤) حسن المعاملة وطاعة أولى الامر . و (٥) النجاسة والنجية والحد . و (٦) نشر المعارف وفضل العلم . و (٧) العمل وترك الكسل و (٨) المبتدعون في الدين . و (٩) المفاسد في الموالد و (١٠) الطريق . وختم الرسالة في انتقاد الوعظ . ولا شك ان مطالعة العامة لهذه الرسالة نافعة لأنها تنفض عن الذكر وتحث على المعروف والخير . ولكن اسمها لا يطابق مسماها الا في

كلمات من الفصول الأخيرة لأن سائر الأصول لا تشرح من أحوال العامة ما ينبغي شرحه فعسى أن يوفق المؤلف إلى كتابة ما يعرفه من المنكرات الفاشية بين العامة بالتفصيل . ولم يمتن بتصحيح الرسالة كما يجب وذلك لا يمنع من الاختفاع بها (النخبة) ديوان شعر جديد لناظمه رشيد أفندي بن حنا مصوبع البنافي وقد عرفنا الناظم شابا متوقدا الذكاء ومن أحسن شعره قصيدة يصف بها سوق احسان أقامها سرب من العذارى الاسرائيليات في فندق (كوتينتال) بمصر قال فيها

حيي في مصر أربع العادات	وهناهي الحسان والحسانات
أربع قد حوين كل صنيع	من جيل وأوجه سافرات
تجاري الفتيان فيه إلى البذ	ل باغراء أعين الفتيات
آسأت صيرن من كان في القو	م بخيلا بوجود بالمكرات
يستيه لحظ الحسان فلا يذ	بث ان يبذل اللهى والهبات
كل خود للسحر في مقاتها	عقد قد خلبن بالثفات
أخذت للفقر منازكة	قابلتها من حسننها بزكاة
وغدا الزهر غالي السمر اذ قد	كان يعطى من تلکم الراحات
ينثر الورد حولنا من يديها	فبخال الحدود منتثرات
وتعير النسيم من صدرها أن	فاس طيب ردتها زفرات

إلى أن قال

سوق حسن العاشقين وسوق	من جيل للبائسين العفاة
أنشأتها أيدي الكو عب منه	ن وياحسنن من منشآت
ما كفتنا محاسن العسين حتى	ما مكنتنا الحسان بالهيات
هكذا يجمّل الجمال أفعل أأ	خير لا للخلاب والمنكرات
هكذا تشفق الحسان وتغدو	للذي رام قربها قاسيات
هكذا يكرم المنسيم بالور	د ولكن يحمى عن الوجنات
هكذا يعرض الجمال محلى	بجميل الأفعال والفيايات

هذا ما أردنا نشره من هذه القصيدة الرشيقة لتكون أحسن مثال للديوان طبع الشاعر ديوانه هذا وأهداه إلى نقولا بك توما الحامي المشاهد من جيل الأدب وأهله (حديث ليلة) قصة فكاهية ترامية تأليف القمصاني الفرنسي الشهير اسكندر دياس الكبير . وقد عمرها الشيخ نجيب الحداد الذي كان أحسن كتاب هذا الوقت

تكريماً للقصاص وطبعت في مطبعة المعارف التي هي في مقدمة المطابع المصرية اتقاناً للطبع
فاجتمعت في هذه القصة محاسن التأليف والتعريب والطبع ولذلك يرجى لها الانتشار بالطبع
(المجلة المدرسية) مجلة علمية أدبية مصورة تصدر في كل شهر شمسي مرة مدبرها
ومحررها سيد أفندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية الأهلية وقد صدر الجزء الأول
منها في أول يناير سنة ١٩٠٣ في ١٦ صفحة وهو مصدر برسم سمو الخديو المعظم
وفيه نبذة من تاريخ سموه ونبذة بعدها في الكلام على الأسد كأن المراد بوضعه بعده
مراعاة النظير ، وتشبيه الأسد بالأمر ، في القسم الأدبي منه مقالة في (اللغة) وفي
ختامه خطاب وحيزة لتلامذة المدرسة التحضيرية

نحن نعرف من سيد أفندي محمد شاباً غيوراً على الأمة والملة مجتهداً في تهذيب
تلامذة مدرسته وقد أنشأ لهم جمعية في المدرسة يترنون فيها على الخطابة والبحث بالقول
ثم أنشأ لهم هذه المجلة ليتمرنوا بها على البحث بالكتابة والقراءة فخرجوا له النجاح
ونحث تلامذة سائر المدارس على قراءة مجلته ومساهمة أخواهم في مباحثها ولعله لا يعدم
من محبي العلم والأدب في غير المدارس تشيظاً واسماداً وقيمة الاشتراك في المجلة
المدرسية ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة

(المصنعي) مجلة عامية صناعية تاريخية تصدر في كل شهر مرة لمنشئها
عبد الرحيم أفندي فوزي وحسن فهي أفندي أحمد المتخرجين في مدرسة الفنون
والصنائع الخديوية ، صدر الجزء الأول منها في هذا الشهر في ١٦ صفحة مطبوعاً
طبعاً جيلاً بمطبعة الشعب على ورق جيد ، وهي منتجة بمقالة في تاريخ الصناعة
وتأثيرها (في العمران) وتتلوها مقالة في سيرة مخترع القلم الأمريكي ومصدر برسمه
وفيها نبذة أخرى في النائج الصناعية ، وقد كتب على غلاف المجلة أن مراسلاتها تكون
بمنوان (الشركة الصناعية بمصر والسودان بشارع محمد علي) فإذا كان هناك شركة
تصدر المجلة فإن النجاح يرجى لها بقدر رسوخ تلك الشركة وثباتها والأفلا بدمن
تنويع مباحثها ليقبل عليها صنوف القراء لأن البلاد لم ترتق إلى حيث يكون فيها لكل
نوع من أنواع الفنون والعلوم جريدة أو مجلة خاصة ، وقيمة الاشتراك في هذه المجلة
عشرون قرشاً فعسى أن تصادف إقبالا ورواحاً لتجيب الصناعة إلى أهل هذه البلاد
الذين هم في أشد الحاجة إليها .

(النبات) جريدة أسبوعية عامية أدبية تهذيبية بشكل الجريدة الرسمية تصدر
كل ١٥ يوماً الآن وقد صدر العدد الأول منها منذ أيام وفيه مقالات في (شبان الغرب

وشبان الشرق) ونبذة في محاسن الاخلاق وأخرى في أشهر ملوك العالم . أما صاحبها فقد كتب اسمه عليها هكذا (١٠٠٠ عبد الحميد) ولكنه أرسل اليها مع العدد الأول رقبها علما منه أن الالف إشارة الى (ابراهيم) فانتقدنا ذلك منه واعله يصرح باسمه في الأعداد الآتية . وأما قيمة الاشتراك فيها فهي ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة . فتسنى له التوفيق والجريته الانتشار

﴿ إعجاز أحمدى - أو سخافة جديدة لمسيح الهند ﴾

كل يوم تبدي صروف الياالي خلقاً من أبي سعيد غريباً
وأبو سعيد هذا الزمان هو غلام أحد القادياني المفتون بنفسه ، المغلوب على عقله وحسه ؛ فهو كل يوم يأتينا بخلق غريب ، وخلق من إفكه عجيب ، ففي الشهر الماضي أرسل لنا قصيدة من الخزيات ، ولكنه نظمها في سلك ما يدعيه من المعجزات ، وجمالها مقدمة هندية . ولكنها باللغة الاوردية ، وأرسل لنا معها منشوراً باللغة الانكليزية ، يقول فيه انه أوتي من البلاغة في العربية ما لم يؤته أحد من العالمين ؛ وانه يتحدى بقصيدته هذه جميع المطالعين ، ومن يعارضها في الهند من شعراء العربية ، يُعطى عشرة آلاف روبية ، ولم يذكر لنا الحاكم الناقد ، الذي تعرض عليه القصائد ، ليميز بين سحر البيان ، وبين اللغو والهلذان ، وقد أخرجنا الكتابة في هذه السخافة الجديدة لاننا كنا عازمين على قراءتها كلها وإظهار ما فيها من الأغلاط اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية والتنبيه على ما فيها من السرقات الشعرية ، التي ساءلها من كلام فحول الرجال ، ومسخرها ولا غرو أن يظهر المسخ على يد المسيح الدجال ، ثم بدا لنا ان هذه الانتقادات ليست بضرورية ، عند العارفين باللغة العربية ، فان عرض القصيدة عليهم يكفي لمعرفة دركها في السخافة . وأما المخدوعون به من الأعجمين في الهند فلا يفهمون انتقاداتنا اذا هو وصل اليهم لذلك نذكر هنا أبياتاً من القصيدة وترك للقراء الضحك منها ومن غرور المستدل بها على دعوى المسيحية قال

أيا أرض مدّ قد دفاك مدّير	وأرداك ضليل وأغراك موزر
دعوت كذوباً فسد أصيدى الذي	كحوت غدير أخذه لا يعزّر
وجاءك صبحي ناصحين كأخوة	يقولون لا تبغوا هوّى وتصبّروا
فظل أسارى كم أسارى تعصب	تريدون من يعوي كذّاب ويختّر
فجاؤا بذئب بعد جهد أذابهم	ونعني ثناء الله منه ونظهر

فلما أتاهم سرهم من تصاف وقال افرحوا اني كمي . مظفر
وقال استروا امري واني اُرودهم أخاف عليهم أن يفروا ويذهبوا
وارضى الثام اذا دنا من أرضهم على النار مشاهم وقد كان يبطر
ومنها في هجو منكر عليه

فلما اعتدى وأحس قومي أنه يصبر على تكذيبه لا يقهر
دعوه ايتهان لموت مزور مضل فلم يسكت ولم يخسر
وكذب إعجاز المسيح وآية وغاطه كذباً وكان يزور

ثم قال هذه الآيات التي كتب بإزائها في الهامش انها وحي من الله تعالى

فقد سرتني في هذه الصور صورة ليدفع ربي كلما كان يحشر
فألفت هذا العظم أعنى قصيدي ليخزي ربي كل من كان يبذر
وهذا على اصراره في سؤاله فكيف بهذا السئل أغضى وأنهر
وليس علينا في الجواب جريمة فتهدي له كالأكل ما كان يبذر
فان الك كذاباً فيأتي بمثلها وان الك من ربي فيغنى ويشير
وهذا قضاء الله بيني وبينهم ليظهر آيته وما كان يخبر
قطعنا بهذا دابر القوم كلهم وغادرهم ربي كغصن تحذر
ارى ارض مثقداً يريد تبارها وغادرهم ربي كغصن تحذر
أيا تحسن بالحق والجهل والرفثا رويدك لا تبطل صنيعك واحذر
اتشتم بعد العون والمن والندى اتسنى ندى مد وما كنت تنصر
ترى كيف أغبرت السماء بآيتها اذا القوم آذوني وعابوا وغدّروا
فلا تخبر سبيل عي وشهوة ولا تجاس بعد النوال وفكر

﴿ سخافة أخرى لمسيخ الهند الدجال ﴾

قلنا انه أرسل الينا في الشهر الماضي قصيدته الإعجازية ونقول أيضاً انه أرسل
الينا في هذا الشهر رسالة باللغة الانكليزية كتبها باسم ملك الانكليز لا باسم الله وجعلها
خدمة للدولة الانكليزية في زعمه ووجهه ولكن لم يكتب في الحقيقة ما هو أخسر منها
على السياسة الانكليزية . وهذا شأن الصديق الاحق بريمان يتفع فيضر
من سياسة هذا المسيخ الدجال انه نسخ حكم الجهاد في الاسلام لكيلا تعارضه
الدولة الانكليزية في دعوته ظناً منها انه يؤلف عممية دينية للخروج عليها في الهند كما

يفعل أمثاله الدجالون الذين يدعي كل خارج منهم أنه المهدي المنتظر . وقد كتب في هذا المعنى كثيراً . وإنما كانت كتابته في هذه الرسالة وأمثالها ضارة ومناقضة للسياسة الانكليزية لأنه يقول فيها ان جميع علماء المسلمين يقولون بوجوب الجهاد الديني وانهم جهلاء مخطئون في هذه الدعوى . فاذا انتشرت هذه الرسالة وقرأها الناس فربما تحرك نفوسهم الى الأمر الذي تصرح الرسالة بان العلماء مجمعون عليه ولا تلتفت الى نقطة خارجي مثل غلام أحد القادياني لهم .

وأما الرأي الآفين الذي أشار به على الحكومة الانكليزية وهو جميع مؤتمر من العلماء للنظر في مسألة الجهاد واستقراء أدلتها في الكتاب والسنة ليظهر لهم انه غير واجب فيقرروه — فهو رأي لا ترضى به سياسة حكيم كالسياسة الانكليزية ولا هي محتاجة اليه . أما عدم رضاها به فلأنه اذا قرر العلماء خلاف ما يقول غلام أحمد الدجال فيخشى من وقوع فتنة عظيمة . وأما عدم حاجتها اليه فلأن أهل الهند راضون من حكومتهم ولا يخطر في بالهم الخروج عايناً وحسبها هذا منهم . ولو كان هذا الدجال يجنب هذه الأحوال، لكان أسلم له على كل حال .

بَابُ الْحِجَةِ فِي هَذَا السَّنَةِ

﴿ الحج في هذا العام ﴾

أمرت حكومة تونس وحكومة الجزائر الفرنسية بمنع الحج في هذا العام لثلاث يحمل الحجاج من بلاد الحجاز جراثيم الوباء الموهوم الى بلادهم فينبأ بهم وأرادت حكومة مصر أن لا يحج في هذا العام الا الأغنياء القادرون على الاحتياطات الصحية اذا نزل البلاء ووقع الوباء واحتيج الى النفقة الواسعة فأمرت بالزام كل من يريد الحج بدفع خمسين أو سبعين جنياً للحكومة تكون أمانة عندها تنفق عليه منها ما تنفقه بقدر الحاجة وترد اليه ما يبقى بعد عودته اذا عاد وبقي من المال بقية

ضمنت الحكومة للحجاج بازاء ذلك القيام بجميع شؤونهم في السفر . وقد استكثر الناس هذا القدر من المال واعتقدوا أكثر ان الغرض منه التنفير عن الحج والتمهيد للمه . ولذلك طلب مجلس الشورى من الحكومة أن تنقص منه فلم تقبل

والناس في استياء عظيم من جراء ذلك وقد كتبوا من جهات متعددة يشكون للحكومة بل لمستشاريها ومديريها من الانكيز ثقل ذلك المال المفروض وأكثر الشكاوى كانت لمستشار نظارة الداخلية ولكنها لم تفن شيئاً . على أن الوقت لم يفت والأورد كرومر صاحب القرض والأبرام في السودان

وتقد كان في هذا العمل فرصة للانكيز يمكنون بها ميل المصريين عامة اليهم لو اغتموها وخففوا من المال المفروض شيئاً . وأمل الذي بمنعهم من تلبية الأهالي وسماح شكاوتهم هو لفظ أحداث السياسة بالمسألة ونشر تلك الشكاوى في بعض الجرائد المتعارفة على ما فيها من الطعن بالحكومة الإسلامية التي فرضت ذلك المال بالاتفاق . فكان مستشار الداخلية خجل من أن يطلب من هذه الحكومة الرجوع عن شيء قرره وكان هو راضياً به لأن الأمة التفتت اليه وحده دون الأمير ودون نظار حكومته بل مع التعريض بذمهم والطعن بدينهم .

ولو أراد المصلحة من أشرنا اليه من أحداث السياسة لما نشر في جريدته كلمة من شكاوي الأهالي الجارحة لثلاثة أمور (أحدها) أن نشرها يثبت أن قلوب الأهالي انحرفت عن الحكومة الخديوية الإسلامية ولم يبق لها رجاء تيممه في مصلحة من مصالح دينها وديارها المحتلون (ثانيها) أن نشرها يكون صاعداً للمحتلين عن إغاثة الناس لعلمهم بأن ذلك يتضمن إهانة الحكومة على أسان من يفتخر دائماً بالطعن في الحكومة وفي المحتلين بسبب وبدون سبب ويرمي الجميع بسوء القصد . فلا يرضى المحتلون أن يغيثوا الأهالي ليفتخر ذلك الحدث الصغير . بأنه كان الحامل لهم على ذلك بما لجريده من قوة التأثير . (ثالثها) أن نشرها في الجرائد ينتهي بإقرار من نشرها وتسجيله كون المحتلين هم القوئ الوحيد للمسلمين والقائمون بمصالحهم الدينية والدنيوية دون حكومة الأمير الإسلامية — هذا لو أشكوا الأهالي وأجابوا طلبهم وعند ذلك لا يبقى للأحداث سبيل إلى الطعن فهم وهو بضاعتهم التي يعيشون منها .

ولذلك تعجب الناس من نشر تلك الشكاوي المفصحة عن تعاقب قلوب مسلمي مصر بالانكيز من جريدة الأحداث التي تنجر بذمهم . قالوا : إذا كانت الجريدة لا ترجو نفع تلك الشكاوي فهي ساعية في هدم سياستها الأولى وهي لا يمكن أن تنجح بغيرها وإن كانت لا ترجو نفعها وإنما تنشر صور تلك الشكاوي امامها بأن نشرها يغيث المحتلين ويحملهم مع الحكومة على الإصرار فهي لا تقصد نفع المسلمين ولا سعي في تسهيل الحج عليهم . وأصحاب الرأي يعلمون أن تلك الجريدة لا يهمها أكثر التحجج

أو قاتلوا وإنما سبب الصياح والمويل شيء واحد وهو جذب قلوب الأهالي إلى الجريدة وإبراءهم أنها أشد غيرة عليهم وعلى دينهم من غيرها وهذا مقصد يتلشى أمامه الفكر في نتيجة النشر هل تكون تسجيل مدح الإنكياز والعاملين بحكومة الأمير أو تكون الإصرار على تنفيذ ما أمرت به الحكومة . والذي لا ريب فيه أن نشر تلك الشكاوي الجارحة كلها كان ضاراً وما كان يتصور له وجه منفعة قط .

أما نحن الذين لا بهمنا إلا تسهيل سبيل الحج لأنه عبادة لله تعالى — ونحن دعاة دين لا دعاة سياسة — فلم ينقطع أماننا من سمو الأمير ومن حكومته لأننا نعلم أنهم لم يأصروا بما أمروا به ليصدوا الناس عن سبيل الله . كيف وحكومة مصر لا تقاس بحكومة إسلامية أخرى كحكومة تونس مثلاً لأن أكبر شرف لها عند المسلمين أنها تسير ركبا مخصوصا للحج وتقدم كسوة الكعبة فهي مساهمة للدولة المالية في خدمة الحرمين الشريفين وهي جارة البلاد المقدسة . كحكومة عزيز مصر لا يسهل عليها أن يחדش هذا الشرف ولا أن ينتهس . ولكنها أمرت بما أمرت به لتمتع القسراء عن الحج خوفاً عليهم وعلى البلاد في هذا العام فإذا لاحظت الآن أن الأغنياء قلما يحججون لأنهم مشغولون بتمتعهم وهم أحرم من الناس على حياة وإن الخير في جميع الأثم إنما يكون غالباً في الطبقة المتوسطة وأن أهل هذه الطبقة هم أقرب إلى الصحة من الأغنياء لقلة الاسراف وقلة الوهم والوسواس ولكن يتقل على الأكثرين منهم أن يعطي أحدهم الحكومة خمسين جنياً أو سبعين غير ما يأخذ منه وما يتركه لاهله وعياله من الثففة — وإذا لاحظت مع هذا أيضاً أن الأمة كلها مستاءة من ثقل هذه الفريضة وتشكو منها وتطالب تخفيفها وكل الحكومات العادلة والدستورية تحتم الرأي العام — فلا غرو أن يأمر مولانا الأمير أعزه الله باحتماج مجلس النظار ثم يصدرون أمراً آخر تخفيف ما فرض أولاً إلى نصفه مثلاً . والنسخ معهود في الشرائع السماوية وفي القوانين الوضعية بالأولى . يجب أن يكون الأمير وحكومته محل الرجاء وبغاية ما نرجو من حرية المحتابين أن لا يعارضوا في مثل هذا الأمر الديني وما كانوا عارضين

إذا كان غرض الحكومة أن يكون ركب الحج في هذا العام مؤلفاً من أهل اليسار فما كان أجدر المومنين بالانتظام في هذا السلك الديني الذي لا خرز بين درره ولآله ونخص بالذكر المنزفين الذين يؤخرون الحج لما يكون فيه من الزحام وقلة المنابة بالنظر في اصغوبتها مع كثرة السواد من الفقراء . ولو هزمت الأريحية الإسلامية بعض الثقل إلى الحج لكان فيمن يجمع منهم هذا العام أسوة حسنة لكثير من الأغنياء



ولكان أجره بذلك عند الله مضاعفاً ومقامه في نفوس المصريين رفيعاً مشرفاً .
وإذا لم يبادر عدد كبير من الأغنياء الى الحج لإحياء شهادته وحفظ شرف مصر
الديني فلا سلام على الأغنياء . ولا زادهم الفنى الأناسة وشقاء .

﴿ الجامعة الدينية . والجامعة الوطنية ﴾

بيننا رأينا في الجامعات مرات كثيرة وأحسن ما كتبنا في ذلك وأوضحه مقالة
مسيبة في المجلد الثاني من المنار عنوانها « الجنسية والدين الاسلامي » أثبتنا فيها بالبرهان
المعقول ان تمسك المسلمين بدينهم واعتصامهم بعروة جامعته هو المؤلف الوحيد بين
مصالحهم ومصالح من يساكنهم في بلادهم والحامل لهم على « وادة » من ليس على دينهم
ففيه معنى الوطنية التي يطلبها بعض عقلاء المسيحيين في الشرق لملهم بأن سعادته في
ألف بين شعوبه المتفرقين في الدين تفرقاً كثيراً . ومن هؤلاء العقلاء بعض أصحاب
الجرائد السورية المسيحية في سوريا ومصر وأمريكا . وما نعتقد فيه الا خلاص من
هذه الجرائد (المناظر) ويعرف أسدقاؤنا في مصر اننا كثيراً ما فضلناها على غيرها
من الجرائد العربية ونؤهلنا بموضوعاتها النافعة

ومن الناس المشتغلين بالصحافة من يلفظ بالوطن والوطنية بغير علم ولا هدى
منهم الذي يلقب في المنار بعَدَت السياسة فإنه خالق وطنية لا يعرفها احد سماها
« الوطنية الحقة » ومما لها ان يفيض المصري المسلم كل من ليس مصرياً لانه ليس
وطنيا وان كان كالمصري في لغته ودينه وجنسيته السياسية وهي (الممناية) وأن لا يجب
القبول للمصري لانه ليس مسلماً . فهذه الوطنية الباطلة التي لا يتصور فيها العاقل الا
الفساد هي التي جعلت سبباً في الخلل في علاقات العرب في الشرق . واننا نرى جميع الكتاب من
المسلمين والمسيحيين يوافقوننا على محاربة هذا الهذيان الضار

وقد اتفق بعض الكتابين السوريين في البرازيل ان كتب في (المناظر) كتابة في
الدعوة الى الوطنية ونبت التعصبات الدينية ثم اتفق له ان رأى في المنار كلمة في « حدث
السياسة » ووطنيته فظن انه المعنى وطفق يرد علينا ملقبا ايانا بكهل السياسة وعساه
يتابع على هذا البذرة . ثم انه ليس المعنى بالحدث وانما السان السياسة في شيء واننا ان
كننا ندعو المسلمين الى الله من غير الاسلام فلاننا ندعوهم الى العلم والتعليم والتربية التي
تفني بها سائر التعصبات الى الله من غير الاسلام فلاننا ندعوهم الى العلم والتعليم والتربية التي
تفني بها سائر التعصبات الى الله من غير الاسلام فلاننا ندعوهم الى العلم والتعليم والتربية التي
تفني بها سائر التعصبات الى الله من غير الاسلام فلاننا ندعوهم الى العلم والتعليم والتربية التي
تفني بها سائر التعصبات الى الله من غير الاسلام فلاننا ندعوهم الى العلم والتعليم والتربية التي

في العلم والتأنيب والتمويل النافع وزعم ان انقلابه تأثير آفي هذا الأخير وهو يتوهم ان ذلك من الدين ونحن نعلم ان الدين ضده فنحن ندعوه باسم الاسلام الحقيقي الى ان الوحدانية ونسج على العلم التجاري تجاوريه في سبل الحياة . ولا يمكن ان ندعوه هذه الدعوة باسم « الوطنية » لأن مجلتنا ليست سياسية ولا تجارية ولا زراعية لتحت اهل الوطن الواحد على الاتفاق في ترقية هذه الامور باسم الوطن . على اننا لا نقصر في الدعوة الى التأنيف بل هو امر عرفنا به ولا نعرف كاتباً عربياً كتب فيه ما كتبنا .

﴿ التمسبب الديني والجرائد والمجلات ﴾

التمسبب الديني بمعنى الاعتساف به والاستمسالك بعروته فضيلة هي أم الفضائل والتمسبب بمعنى ابداء الدين لم يتألفه في دينه رغبة تنويعها . منها مسائب كثيرة لاسيما اذا أتت من هذا التمسبب جرائد ومجلات تدعو اليه وتحركه . والتمسبب بالمعنى الأولي قوي عند المسلمين لاسيما فيهم فيه أحد حتى في هذا الطور الذي هم فيه الآن طور التمسبب . والسبب الذي لا يعلم منه اهل مكة ولكنه عند المسلمين انهم من غيرهم لا يبالوا التمساري

أنظر تر المسلمين أكثر من تسعة أعشار أهل القطر المصري ولكنه ليس لهم جريدة دينية ولا مجلة مائة الا لثار وهو حديث العهد فهم . والتمساري لهم فيه عدة جرائد ومجلات دينية على قلة عددهم . واقراً هذه الجرائد والمجلات تجدونها تترى بدعوة المسلمين الى التصراعية والطمع بالاسلام ولا ترى في « لثار الاسلامي » دابة لثار لثار الى تركه . شبيب الدخول في الاسلام وقد مرت عليه ثلاث سنوات من اهل نشأته . هو معرض عن الرد على المعتزتين والقادحين في الاسلام على كونهم يرسلون اليه كتبهم وجرائدهم لأشغالهم فكأن ترى المسلمين مبالغين بها فأحياناً يقاء ذلك الكون بالكون عنهم . ولكتنا لما رأينا سوء تأثير بعض الكتب والمجلات فتجئنا في لثار بالرد شهاب المسيحيين . التزمنا فيه الأدب والحجة وما كنا معتدين .

أليس عجيباً ان تسعة ملايين من المسلمين في مصر ومئات من الملايين في غيرها لا تعرف لهم الا مجلة دينية واحدة ويوجد في كل قطر من أقطارهم جرائد ومجلات كثيرة لأولئك الشراذم الذين يساكنونهم وهم أقل منهم عدداً ومالا وتمسكا بالدين ؟ نعم ان هذا عجيب وأعجب منه ان جرائد الشراذم العديدة تمتدي على تلك الملايين الكثيرة وتطعن بدعوتهم وتدعوهم الى تركه واتباع دينها . وان تعجب فهناك ما هو

أنجب من الأمرين وهو أن المسلمين يشتركون بتلك الجرائد ويعضدونها بأقبالهم
عليها وهم يعلمون أن النصارى لا يكادون يشتركون بمجريدة صاحبها مسلم أن لم تكن
دينية إلا لغرض شخصي ونحوه وأما المجلة الدينية الإسلامية الوحيدة وهي (النار) فليس
لها من المشتركين المسيحيين إلا اثنان من القبط (وكان لهم ثالث انتزك ثلاث سنين ولم يدفع
شيئاً من قيمة الاشتراك فرمى اسمه) وخمسة من السوريين، وفي ذلك عبرة للمعتبرين،
ومن العبر التي هي إحدى الكبر، ما جاءت به «الجامعة» في الأيام الأخرى،
وهو أنها تصدت للظلم في الإسلام. وفي أئمة الأعلام، من طريقة خدمة العلم دون
الدين، ودعوى إرادة النصيحة للمسلمين، وهي تجد مع هذا من يشترك فيها منهم
بل يزعم صاحبها أنه كان بين أبواب الفقر، ومخالب الضحك والسر، إلى أن تحرش
بالمسائل الإسلامية، وناطح بقرنه أعلام الملة الخفيفة، فأقبل عليه المسلمون. وهم
من كل حذب ينسلون، وما زالت تتوالى عليه منهم «الاشتراكات»، حتى زال عنه
يتألمهم «الضحك والسر» والعبرة في هذا على تقدير صدقه ظاهرة. وأما العبرة على
تقدير تمويهه وتعتيمه لشأن نفسه وبراعته في الإعلان عن جامسته فهي أن المسلمين في
اعتقاد هذا الرجل قد بلغوا من الجهل والحماسة مبلغاً يستلزم فيه بمثل هذا الكلام
إلى مكافئته على الظلم بدين الإسلام،

وأكبر من هذا وأعجب مما سبقه كله أن من جرائد المسلمين في مصر وسوريا
من قرظ كتابه الذي ألفه في الظلم بالإسلام وأئمة ووجهه أنظار المسلمين إليه،
وحثهم عليه، أليس من الألفاظ والمعميات التي يصعب حلها على الأكثرين أن جريدة
يهودية إسلامية تقرظ كتاباً يظلم في الإسلام ويجرح كلام أئمة ليقنع المسلمين بما
يقول ويزعم أن الجمع بين الرياسة الدينية والمدنية في خليفة المسلمين يناقض مذهب الإسلام
وتأخر أهله عن جميع الأمم ويصرح بأنه يجب على المسلمين إزالة هذا المعنى في الخلافة
وجعل السلطان رئيساً مدنياً كملوك أوروبا — إلى آخر ما أشرنا إليه في باب الشبهات
سنوضحه بمقالة مخصوصة؟ بلى إن هذا من عجيب (غرارة) المسلمين المشروحة في
الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى المنشور في هذا الجزء أو من عجائب تساهلهم

مع هذا كله يقولون أننا متعصبون وأنهم متساهلون، كأنه يتعذر علينا أن نرضيهم
ونحن مسلمون. «ولن ترضى عنك...» ولا تشكر أن أصحاب الصحف المعتبرة كالهلال
والمقتطف والمفهم والأهرام غير راضين عن خذلان الجامعة وقدحها أبواب التعصب
على المسلمين وهم يعلمون عن جهل محضهم دينية

﴿ الفلاسفة القديمة وابن رشد ﴾

فلاسفة المتقدمين من اليونان والعرب الذين جروا على آثارهم قد نسخت بالعلماء الحديثة ولم يبق للبشر حاجة فيها إلا من الجهة التاريخية فلا ينبغي تضيق الوقت بالاستغفال بنظرياتهم العقيمة إلا لأفراد يتفرغون لحفظ تاريخ العلوم ليصرفوا نسبة إلى الحاضر وهوؤلاء الأثرياء لا يوجدون إلا في الأمم الراقية التي أحاطت بالعلوم والتفنون المعرفية التي عليها مدار العمران لأن حفظ سلسلة الفلسفة والعلم من الأمور التي يستلزمها كفاية وأمامها مشقة الأمور الضرورية والامور الحاخية

ولا ينبغي أن أهل هذه البلاد لا يزالون في المرتبة الأولى فلا يجوز أن تشغل أفكارهم بالمرتبعة الكالية لأن ذلك تضيق الوقت وفساد الفكر . فالاستغفال ينشر فلسفة ابن رشد وأمثاله بين القارئ وتزجهم فيها ضارٌّ لهم ولو كان ضرورياً أو حاجياً لطلبوه بسائق المنفعة وقرروا في مدارسهم

أهم أن ابن رشد عالم متكلم إسلامي كما هو فيلسوف فإكتبه في نسبة الفلسفة إلى الذين ينبغي أن يطالع عليه المشتغلون بعلم الكلام في الأزهر وغيره من المدارس الدينية وذلك هو كتابه (فصول المقال) المطبوع بمطبعة المؤيد . ولا بأس للمتوغل في علم الكلام من النظر في كتابه تهافت التهافت بعد النظر في كتاب تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي وكلاهما مطبوع بتصر في كتاب واحد ونمته بنحس

ولا ينبغي أن اعقل أن يعتمد في فلسفة ابن رشد -- إذا هو أرادها -- على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رنان أو من الكتب العربية فإن صاحب الجامعة شاب لم يمتد له في علوم الناس في مدرسة كاشف هو لا يعلم هذه الفلسفة ولا هو حسن الفهم في بيان ما يفهمه كما علم من مقالة (الأسباب والسين) المشورة في هذا المنار ويعلم مما سنشره في إثبات أن دين الإسلام مبني على العقل كما صرح القرآن الكريم وقد زعم صاحب الجامعة أن الإمام الغزالي وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أي بخلاف ما ينطق به كتاب الله تعالى (حاش لله)

﴿ القوى الأدبية في الشرق ﴾

يقول من يدعي القيام بأحياء الآداب في الشرق بلسان صديق له مجهول إن الشرق في حاجة إلى القوى الأدبية ولم يبين ما هي تلك القوى بالنص ولكنه بينها بالمحوى وهي الكذب وسوء الظن والخوض بالأعراض ومكافأة المحسن بالإساءة

والنخبة والبهتان لتفريق بين الصديق وصديقه والرفيف ورفيفه والأستاذ وتلميذه
أما الكذب فنه نسيته ما كتبه في هذا الموضوع اثيره مع ان العبارة والأسلوب
والفحوى تشهد كلها بأن ذلك له والا فمن هو ذلك الكاتب الذي يسمع عندنا القول
من فلان ويسمع نقبضه منه عند ذلك المدعي ؟ ومنه أنه حكى عنا من العطن في بعض
الأصحاب والرففاء ما لم نعلم أنه لم تقع ونقبس عليه ما حكاه عنهم فلم ان كل ما قاله كذب الخ
وأما سوء الظن فنه أنه جزم بأن الذي أفنى سره النبي بسوء قصده وبمزمه
على الاستمرار في عمله السيئ هو ذلك الأديب الذي ينوء به ويمدحه ويدافع عنه
والحقيقة ان السر انما ظهر من قطر غير القطر المصري فكان على محبي الآداب في
الشرق أن لا يجاري ظنه السيئ في صديق له ويحمل عليه تلك الحملة المنكرة

وأما الخوض في الاعراض فنه أنه أوهم ان صديقه الذي أساء الظن به كان
مستخدماً قلم ما هو فيه الآن من العمل التجاري في موضع لا ينبغي التصريح به وانما
يشار اليه بالنقط . . . مع ان الرجل لم يكن مستخدماً الا في شركة الاسواق .

وأما مكافأة المحسن بالالامة فنه وهو أظهرها معاملته المشار اليها آنفاً مع صديقه
الذي كان متفانياً في مساعدته . ومنها معاملته غيره من المحسنين بتلا حاجة الى التصريح به
ويعرفه من يعرف الرجل وسيرته

وأما النخبة والبهتان فنه زعمه ان فلانا كان يقول في فلان كذا ويذم عمله وكذلك
الآخر ولو كان كل ذلك صحيحاً لوجب كتمانهم فكيف يصرح به محبي آداب الشرق
وهو أفك صريح وبهتان عظيم وهذه النخبة والبهتان قد عزيت الى أسماء صريحة

أحوال العالم الاسلامي

الدولة العلية في اضطراب من زلازل الفتن في مكدونية والباح الدول عليها
بوجوب الإصلاح ومن مطالبة انكاثرا لها بالأذن اسفها الحربية أن عمر في الدردنيل
والبوسفور عند الحاجة كما أذنت لبعض السفن الروسية

والدولة المراكش في خطر عظيم من خارج يدعى (أبا حصار) خرج على
السلطان بمحاول نزع الملك منه . وقد كبرت فتنة هذا الخارج وقويت عصيته لأن
الاهل من السلطان عبد العزيز لما يرون من ميله الى الاجانب وتنافسهم في
زخرف مدنيهم . ولا شك ان السلطان عبد العزيز لم يسلك طريق الحكمة فيما وجه
اليه وجهه من تغيير حال بلاده أو اصلاحها كما يقولون . وقد كنا نصحنا له ولحكومته

هاتان الدولتان الإسلاميتان، مظهرتان لبقية البلاد الإسلامية وأدعة ساكنة ليس فيها شيء يؤثر، ولا حادث يذكر، اللهم إلا الهند ومصر. فأما الهند فقد احتفل فيها من عهد قريب بتتويج ملوك الانكليز ونسبته أميراطور الهند وهذا الاحتفال يسمى (الدربار) ويكون في مدينة (دهلي) عاصمة الهند الأولى. وتلا هذا الاحتفال احتفال آخر بمؤتمر التربية الإسلامية وهو خير ما يعمله المسلمون في هذا العصر لأنه انفع الأشياء لهم. وأما مصر فقد احتفل فيها ثلاثة احتفالات عظيمة في مدة قريبة أحدها الاحتفال بدار الآثار والمعاديات المصرية وثانيها الاحتفال بالجزان الذي نفي في أصوان وثالثها احتفال المؤتمر الطبي الدولي المصري وأتينا نسكلم عن الآخرين بموجز من القول

المرض من هذا المؤتمر دراسة أمراض البزراء الرئة ولا شك ان مصر جبر مكان
بصالح ان يؤمه أطباء أوروبا لهذا البحث وقد اشتركت فيه الدول المغلقة رسماً
وأرسلت مندوبين عنها بحضوره . وقد افتتح المؤتمر عزيز مصر العباس في المامى
الحديوي (الأور) في ١٩ رمضان (١٩ دسمبر) الماضي فخطب خطبة فرنسية
رحب فيها بأعضاء المؤتمر وشكر الحكومات والجامع العلمية التي لبّت دعوة حكومته
وأرسلت مندوبيها إلى المؤتمر ومما قاله « بحمد بي أن افتخراً بأن بلادى قد اهتمت
اهتماماً حقيقياً بالسير في سبيل التقدم وفيما هو صاخ وتائع نوع الإنسان ولذلك جعلت
مساعي موجهة دائماً إلى المحافظة على سيرها في هذا السيل » .

وقد تكلم الناس في أمرين أحدهما كون خطبة الأمير بالفرنسية دون لغة حكومته
الرسية (العربية) وجهل هؤلاء ان هذا الاحتفال لو كان في روسيا لما خطب القيسر
فيه الا بالفرنسية التي يفهمها كل الذين يخاطبهم . وثاني الأمرين ان مختار باشا الفارسي
لم يحضر المؤتمر ولم ترسل الدولة العلية مندوبا آخر من الأطباء . ويقول ان هذا
المؤتمر لا يرضي الدولة العلية لأن من شأنه ان يكون في البلاد المستقلة وكأنها ترى
ان الواجب ان يكون المؤتمر " راسيا " ليسوع " الحكومة المصرية بنفسها .

﴿ الحزان - أو - سد أسوان ﴾

اقامة السدود على الأنهار لحفظ الماء الذي يحتاج اليه في ري الأرض قديم في
البشر وكان العرب من السابقين اليه تصوراً وعملاً فسد مأرب في بلاد سبأ مشهور
أمره • وكان في دولة العبيديين في مصر من تصورات بناء سد للنيل ولم يبرز ذلك
للفعل • ثم أن نابليون الأول تصور هذا العمل وأراد به وتكلم فيه من بعده كثير
من المهندسين ولم يتم الا في زمن هذا الأمير (العباس) وبأيدي الموظفين في حكمته
والمقاولين في بنائه من الانكليز • وقد وضع الحجر الأول من سد أسوان في ١٢ فبراير
(شباط) سنة ١٨٩٩ وضعه دوق كنوت اخ ملك الانكليز ووضعت زوجته الحجر
الأخير منه في ١٠ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٠٢ وقد كتب على كل من الحجرين بالإنكليزية اسم
واضحه والتاريخ وكون السنة سنة كذا من حكم سمو (الحديو عباس حلمي)
طول السد من الشرق الى الغرب الفاتر وسمكه من أسفله نحو ثلاثين متراً ومن
أعلى ٧ أمتار ويزيد ارتفاعه عن سطح الماء عند انخفاضه على ٢٠ متراً وفيه ١٨٠
• حبلاً للماء سعة المصب نحو ٣ أمتار من الأمام و١٢ من الخلف في الغالب ولها أبواب
تفتح وتغلق بحسب الحاجة لحبس الماء وإطلاقه • ويبلغ ما يمسكه السد من الماء ملياراً و٦٥٠
مليون متر مكعب أو ملياراً و١٤٠ مليون طن • وهي تفتح وتغلق بالآلات الكهربائية • وأما
منافع السد المقدره فهي عظيمة جداً منها احياء أرض واسعة تقدر بمئات الألوف من الفدادين
ومنها التمكن من زرع نحو ١٠ آلاف فدان في مرتين في العام وذلك مما لا يزرع الآن
الامرة واحدة ومنها سد العجز الذي يكون من انخفاض النيل في بعض السنين •
ومن ثمة منفعة هذا السد انه يني في أسبوط قاطر كالقناطر الخيرية عددها ١١١
فقطرة عرض كل قطرة خمسة أمتار وارتفاعها من قاع انهر الى السطح ١٢ • ترا ونصف
وسمكها عند القاعدة ٢٦ متراً وفائدتها اصلاح الري فيما تحت أسبوط من الوجه القبلي
اما الاحتفال بفتح الحزان فقد كان في رمضان الماضي ودعت الحكومة اليه وكلاء
الدول وكبار الموظفين والوجهاء وكثيراً من الافرنج وكان الأمير دعا دوق كنوت
وزوجه • وابتدأ الاحتفال ناظر الاشغال العمومية حسين نخري باشا بخطبة فرنسية
ذكر فيها وجه الحاجة الى السد بالأجمال والعناية في بناة فأجابه الأمير بخطبة فرنسية
وحيزة اعترف فيها بمظمة العمل وأثنى على الناظر واعوانه الموظفين الذين شكر لهم
همهم في مساعدته وقال • وانه ليسرني كثيراً أن أرى حكومتى تتبع اعراض غائبى وأحرص
ملياً فبذل كل الجهد في جلب الخير والسعادة للبلاد •

يوتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

الملك

١٣١٥

فيشرح عبادى الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم الجمعة غرة ذي القعدة سنة ١٣٢٠ — ٣٠ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣)

باب العقابر ورد الشبهات

(الاسلام دين العقل)

كنا ولا نزال نصرح بأن دين الاسلام هو دين العقل وحيثنا الكتاب والسنة وكلام الائمة ولكننا ابتلينا بمن يشكك المسلمين في دينهم وفي الدعوة اليه بإيهاهم ان ما نقول ليس من الدين وأنه ضار به لان الاسلام يجب ان يكون كسائر الاديان التقليدية عدواً للعقل وان بناءه على العقل مؤذن بهدمه كغيره وأنه لو كان معقولاً لكان علماً ولم يكن ديناً الى غير ذلك من التشكيك وإنما نأخذ ديننا عن الادلة العقلية والنقلية من كتاب ربنا لا عن المخالفين المشككين

بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم .
 ن في السموات والارض لا آيات للؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . وأختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون .
 تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون .
 ويل لكل أفاك أثيم . بسم آيات الله تتلى عليه ثم يصير مستكبراً كان لم يسمها فبشره بعذاب أليم .

فهذا كتاب الله يقيم الأدلة والبراهين . طالباً بها أهل العقل باليقين في الإيمان ؛ واليقين لا يكون إلا بالبرهان ، ومعرفة الشيء برهانه هو أعلى العلم وأقواه . ولذلك قال تعالى بعد آيات ذكر فيها أهل الكتاب : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » . وقال بعد آية « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » والبصائر جميع بصيرة وهي الحجة توصل إلى اليقين . ثم قال في الجاحدين تقليداً « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » فنفى عنهم العلم وبين أن الظن لا ينفع في الدين ؛ لأن المطلوب فيه علم اليقين ، كما قال في سورة أخرى « وما لهم بذلك من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً »

الآيات من سورة قصيرة تدل على أن الإسلام دين العقل وأنه علم وأنه يطالب فيه اليقين ولا يكتفى بالظن في الإيمان بأصوله كوحدة الله تعالى وعلمه وقدرته وبعثة الأنبياء ورسالة خاتمهم عليه وعليهم السلام . وقد جاء في القرآن كلمة « يعلمون » بألفاء والياء نحو خمسين مرة وفيه ذكر العقل والعقلاء في الخطاب وإقامة الآيات على الإيمان بغير هذا الحرف كالنهي واللب فلفظ الألباب جاء في بضعة عشرة آية . لهذا كل من العلم بالكون طريق الإيمان والاسلام . قال عز وجل « ألم ير أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغمر غيب سود » ومن الناس ولدوا بياضاً والأفهام متماثلون كذالك إنما يحشى الله من عباده العلماء أن الله عز وجل غفور . فديننا لله الحمد لم يكن ديناً لأننا نريدنا إيماناً ومعرفة بالله سبحانه

وقد ورد في الحديث « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم »
وما قول المشككين ان العلم محصور في المحسوسات فكل مالا تحس به
فلا يقال في عرف الفلاسفة انك عالم به فهو من المغالطة أو الجهل فإنه لا علم
يعتصم باليتين كعلم الرياضيات وبراهينها معقولة غير محسوسة .

(تعرض الدليل العقلي مع الدليل السمعي)

ذكرنا في المنار غير مرة ان الذي عليه المسلمون من أهل السنة
وغيرهم من الفرق المعتدلة بسلامة الدليل العقلي القطعي اذا جاء في ظاهر
السرع والظاهر فالعمل بالدليل الذي متين ولما في النقل التأويل أو
التفويض وهذه المسألة مذكورة في كتب العقائد التي تدرس في الأزهر
وبغيره من المدارس الإسلامية في كل الاقطار كقول الجوهرة

وكل عين أو هم السيرة أو فؤاد أو فؤوس ورم تنزيها

قال الامام الرضي في شرحه قوله تعالى لا يكذب الله نقلاً الاوسعها
عند ذكر التأويل . ثم قد ثبت انه متى وقع التعارض بين القاطع العقلي والظاهر
السمعي فإما ان يثبت بطلان أو هو محال لأنه جمع بين النقيضين وإما أن يكذبهما
وهو محال لأنه ابطال للنقيضين وإما ان يكذب القاطع العقلي ويرجع الظاهر
السمعي وذلك يوجب نظرك الطعن في الدلائل العقلية ومتى كان كذلك
باطل التوحيد والنبوة والقرآن . وترجيح الدليل السمعي يوجب القدح في
الدليل العقلي والدليل السمعي معاً فلم يبق إلا أن يقطع بصحة الدلائل
العقلية ويحمل الظاهر السمعي على التأويل « اهـ ثم انه أقام الدليل بهذا
الوجه على المعتزلة في مسألة التكليف لانهم يتفقون مع أهل السنة فيه
هذه المسألة مشهورة عند علماء المسلمين لا تحتاج الى تأييدها بقول

ولكن فشت بينا في هذه العصر مطبوعات المشككين في الدين فاذا نقل المسلم عبارة من أصول دينه يقولون ان هذا من عنده ولا يبعد أن يوجد من الجاهلين من يغتر بأقوالهم . وقد تقدم في مقالات « الاسلام والنصرانية » أن الاصل الثاني للاسلام تقديم العقل على النقل عند المناقض وهذا دليله من القرآن ومن كلام بعض الأئمة ولو أردنا سرد النقول من المواقف والمقاصد وسائر كتب الكلام والتفسير ومن كتب المتأخرين كحواشي الباجوري والرسالة الحميدية لأطلنا الكلام في معنى واحد

الشكوك في المسألة

فان قيل ان الامام الغزالي بعد أن أظهر تهافت الفلاسفة في أدلتهم النظرية في علم الله تعالى قال: « فَإِذْ نَ لَيْسَ يَنْفَكُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ عَنْ خَزِي فِي مَذْهَبِهِ وَهَكَذَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ . وَظَنَّ أَنَّ الْأُمُورَ الْإِلَهِيَّةَ يَسْتَوِي عَلَى كَيْفِهَا بِنَظَرِهِ وَتَخِيلِهِ » فهل يدل هذا القول على ان الدين غير معقول أم لا فالجواب انه ليس من مقتضى الدين ولا من مقتضى الفلسفة الوقوف على كنهه الخالق وحقيقته وكنه صفات الباري وحقيقتها . واذا عجز الحكماء والعلماء عن معرفة كنه الاجسام المشاهدة فكيف يطمع الطامعون بمعرفة كنه خالق الاجسام بأدلة نظرية وتخيلات شعرية ؟ هذا شيء لم يكفنا به الدين فيكون قول الغزالي بانكاره على الفلاسفة دليلا على أن الاسلام يكلف الناس بغير المعقول كما يزعم المشكك

ومثل هذا قوله في هذا البحث (بحث العلم الإلهي) مخاطبا للفلاسفة بعد إظهار عجزهم وتهافتهم : « انفسود تعجزكم عن دعواكم معرفة حقائق الامور بالبراهين القطعية وتشكيكم في دعاويكم واذا ظهر عجزكم في

الناس من يذهب الى ان حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظر العقل بل
 ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله
 عليه « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » اه
 فهذه الجملة من الامام الغزالي كالجملة السابقة خاصة ببيان عجز البشر
 عن ادراك حقيقة الباري وحقائق صفاته وقد مرت القرون والاعمال
 واستمر قرون وأجيال أخرى الى ينقضي عمر البشر ولا يصلون الى معرفة
 حقيقة الله وحقيقة علمه وسائر صفاته . وهكذا قال صاحب مقالات
 (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة) قال (ص ٤٤٤ من المزار) : « لا بد
 ان ينتهي أمر العالم الى تأخي العلم والدين ، على سنة القرآن والذكر الحكيم ؛
 ويأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح معناه ، « تفكروا في خلق الله
 ولا تفكروا في ذات الله » . وعند ذلك يكون الله قد أتم دينه ولو كره
 الكافرون ، وتبهم الجاهلون القاطنون ، » فكلام الامام الغزالي وكلام
 هذا الامام واحد لا فرق بينهما . ولو كان الاسلام كافناً بأن نعرف كنه
 ذات الله تعالى وكنه صفاته لكان مكلفاً لنا بما لا يعقل ولا يستطاع ولكن
 الله يقول « لا يكلف الله نفساً الا وسعها »

هذا وان الامام الغزالي لم يقصد بكتاب تهافت الفلاسفة الذي نقلنا
 منه تينك الجملتين بيان القواعد الإسلامية وإنما قصد بيان فساد نظريات
 الفلاسفة في الأمور الإلهية وقد يدفع القاسد بالقاسد ولذلك قال قبل
 الجملة الثانية بأسطره (ص ٥٤) : « نحن لم نخض في هذا الكتاب خوض
 الممهلين ، بل خوض الهادمين المعترضين ، ولذلك سميناه الكتاب (تهافت
 الفلاسفة) لا (تمهيد الحق) » فلا يصح أن يؤخذ من هذا الكتاب

مذهبه في المتأندولا في غيرها كما بنا على ذلك في مقالنا لاسباب والمسببات في
الجزء التاسع عشر والعشرين . وإنما يؤخذ مذهب من كتبه في المتأندوالاصول
وهو فيها موافق لسائر أئمة السنة من أن العقل أصل الاسلام وان برأيه
القضائية لا ترد فان جاء في الشرع ما يخالفها في الظاهر فالحكم فيه ما تقدم
فان قيل : قد علمنا ان أئمة المسلمين في العقائد والاصول لم يختلفوا
في أن دين الاسلام هو دين العقل فهل تعلم أن الفلاسفة لاسلاميين خرجوا
عن هذا الأصل وفصلوا بين العقل والدين : فالجواب كلا ان الفلاسفة
أحرص على التوفيق بين العقل والشرع من غيرهم وقد ألف فيلسوف
الاسلام في الغرب أبو الوائيد بن رشد رحمه الله تعالى كتابا في هذه المسألة
أثبت فيها ما أثبتته أهل السنة من قبله . ذلك الكتاب هو (فصل المقال
فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) ففي هذا الكتاب أثبت ان الشريعة
الإسلامية أوجب النظر بالعقل وجمعها أساسا لعقائد ثم قال (في ص ٨) ما نصه :
« وإذا كانت هذا الشرائع حقا وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة
الحق فإننا معذور المسلمين نعم على انقطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما
ورد به الشرع فإن تحقق لا ينافي الحق بل وافقه ويتبين . وإذا كان هذا هكذا
فإن أدعى النظر البرهاني الى نحو ما من المعرفة بوجود ما فلا يخلو ذلك
الموجود أن يكون قد كثر عنه في الشرع . . . فان كان ممنا
سكت عنه فلا تمارس ذلك وهو غير له . . . سكت عنه من الأحكام فاستنبطها
الفتية بالقياس الشرعي . . . وان كانت الشريعة بطلت به فلا يخلو ظاهر
النطق ان يكون موافقا لما أدى اليه الله تعالى فيه أو مخالفا . فان كان موافقا
فلا قول هناك . وان كان مخالفا فالحل هناك تأويله . ومعنى التأويل هو



إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشيئه او سبيه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عهدت في تعريف اصناف الكلام المجازي . واذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الاحكام الشرعية فكيف بالحري ان يفعل ذلك . صاحب العلم بالبرهان فان الفقيه انما عنده قياس ظني والعارف عنده قياس يقيني

« ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي . وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن . وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بل نقول انه ما من منطوق به في الشرع يخالف بظاهره لما أدى اليه البرهان الا اذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر اجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل » اه المراد منه بحروفه

قول : الله اكبر ، لمع الحق وبهر ، وظهر ان علماء المسلمين متكلميهم وفلاسفتهم ومفسريهم وفقهائهم لم يختلفوا في ان الاسلام دين العقل على العقل بني شرعه والعقل هو المخاطب به (لا القلب وحده) وظهر ان ما قاله ذلك الامام في مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) في تعارض الادلة العقلية والنقلية ، هو المجمع عليه في الملة الحنيفية ، وهذا ما يدعو اليه المنار جهاراً ، وكبر على اعداء الاسلام فكروا مكرراً كباراً ، ولن

يجدوا لهم من دون الله أنصاراً،

فإن قيل : إن لأبن رشد كلاماً آخر في « تهافت التهافت » يشبه أن يكون مخالفاً لقوله هنا كقوله « الفلسفة تفحص عن كل ما جاء في الشرع فإن أدركته استوى الإدراك كان وكان ذلك أتم في المعرفة وإن لم تدركه أعلمت بقصور العقل الانساني وإن يدركه الشرع فقط » وكقوله : « أما الكلام في المعجزات فليس فيه للتقدماء من الفلاسفة قول لأن هذه كانت عندهم من الأشياء التي لا يجب أن يتعرض للفحص عنها وتجهل مسائل فانها مبادي الشرائع والفاحص عنها أو المشكك فيها يحتاج إلى عقوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادي الشرائع العامة مثل هل الله تعالى موجود وهل السعادة موجودة وهل الفضائل موجودة . وإنه لا يشك في وجودها وإن كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الانسانية » . والعملة في ذلك أن هذه هي مبادي الأعمال التي يكون بها الإنسان فاضلاً ولا سبيل إلى حصول العلم إلا بعد حصول التفضيلة . فوجب أن لا يتعرض للفحص عن المبادئ التي توجب التفضيلة قبل حصول التفضيلة . وإذا كانت الصنائع العملية لا تتم إلا بأوضاع ومصادرات يسلمها المتعلم أولاً فأحرى أن يكون ذلك في الأمور العلمية » اهـ بحروفه

فالجواب أن هذا الكلام لا ينافي ذلك ولا يخالفه بل هو مؤيد لقوله الأول ولقول جميع أئمة المسلمين من السابقين عنه واللاحقين به إلى صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية) ولو فرضنا أن بين القوانين مخالفة لكاتب الواجب اعتبار الأول لأنه مبين لمذهبه واعتقاده هو وسائر المسلمين على سبيل القطع . وأما قوله هنا فهو حكاية

عن الفلاسفة الاولين ولا يضرنا مخالفتهم لنا مادامنا واثقين بأننا على الحق المؤيد بالبرهان . على ان ابن رشد يقول هنا ان الفلاسفة الاولين لا يمارضوننا في هذه المسائل أي ان مقتضى مذهبهم ذلك والافقد صرح بأن ليس لهم كلام في هذه المسائل التي ذكرها فالخلاف بينه وبين الغزالي في هذا المقام محصور في نقل إنكار الفلاسفة على المليون مسألة المعجزات ومبادئ الفضائل فالغزالي يسندهم اليهم على الاطلاق وابن رشد يقول انه لم يبحث ذلك الا ابن سينا والخطاب سهل

أما الوفاق فإنك تراه بدأ يتكلم عن رأي الفلاسفة في الأديان ومبادئها لا في الاسلام الذي هو أرقها وهو مع ذلك يعترف بأمور لا تجفل الدين (المطلق) فوق العقل بمعنى أن فيه ما يحيله العقل ويقطع بعدم صحته (منها) أن ما لا تدركه الفلسفة بنظرياتها فهو دليل على ان العقل الانساني قاصر عن الوصول اليه بنفسه فهو محتاج فيه الى إرشاد الشرع . ولا شك ان العقل الانساني قاصر حتى اليوم عن إدراك كل ما بين يديه فهو يستخدم الكهروماء ويتمتع بها ولا يعرف حقيقتها فكيف يعرف أمور الآخرة والنشأة الثانية ؟ وليس معنى قولنا ان دين الاسلام معقول ان كل مسائله يمكن أن تعرف بالعقل استقلالاً بل معناه انه ليس فيه شيء يحكم العقل باستحالته ككون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً . وكون الإله يتحد بالبشر ولولا ان هذا هو المراد لكان العقل يستقل بوضع الدين ولا يحتاج فيه الى الوحي

(ومنها) قوله ان مبادئ الدين كالمعجزات أمور موجودة لا يشك في وجودها . والوجود لا يكون محالاً لأن المحال لا يقبل الوجود . وقوله

عنهم : ان كيفية وجودها أمر إلهي تعجز عن إدراكه العقول الإنسانية :
لا يستلزم أن الدين غير معقول أو ان فيه شيئاً محالاً في نظر العقل لأن
هذه الموجودات التي نحس بها ولا نشك فيها قد عجزت عقولنا عن معرفة
كيفية إيجادها فمجزها عن معرفة كيفية وجود المعجزات أولى . ويسهل
على كل عاقل أن يميز بين ماهو مستحيل لا يتصور العقل وجوده وبين
مالا يشك في وجوده لكنه لم يصل الى معرفة كيفية حدوث هذا الوجود
و (منها) ان هذه المبادئ الدينية الموجودة الثابتة يجب أن تؤخذ
بالتسليم والتقليد للشرع (لا لآراء الناس) من غير أن نسلط النظريات
الفلسفية على البحث في إمكانها وفي كيفية وجودها لأن هذا البحث سفه
بحر نار . وأي سفه وضرراً أكبر من التشكيك في شيء موجود نافع للناس
لصدتهم عن الانتفاع به بنظريات لا قيمة لها . اي سفه أكبر من سفه
من كان يماري بالموجود الثابت بالمشاهدة أو التواتر (كالمعجزات)
أو يازم الانسان بأن لا يسلك طريق الفضيلة حتى يبحث بالدلائل النظرية
الفكرية في إمكانها وفي كيفية حصولها وهو يرى ويشاهد أنها تحصل
بالفعل وأن طريق حصولها هو العمل لا النظريات الفكرية ؟؟

وما احسن ما اورده الفيلسوف في هذا المقام أيضاً وهو :

« واما ما نسبته (أي ما نسبته الغزالي الى الفلاسفة) من الاعتراض
على معجزة إبراهيم عليه السلام فشيء لم يقله الا الزنادقة من اهل الاسلام
فإن الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادئ
الشرائع وفاعل ذلك عندهم محتاج الى الأدب الشديد . وذلك أنه لما
كانت كل صناعة لها مبادئ وواجب على الناظر في تلك الصناعة ان يسلم

مبادئها ولا يتعرض لها بنقي ولا إبطال كانت الصناعة العملية الشرعية هي
أخرى بذلك لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضروري عندهم ليس
في وجود الانسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم. ولذلك يجب على
كل إنسان ان يسلم مبادي الشريعة وان يقام فيها ولا بد من هذا الوضع
لها فان جحدتها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الانسان ولذلك وجب قتل
الزنادقة . فالذي يجب ان يقال فيها ان مبادئها هي أمور الهية تفوق
العقول الانسانية فلا بد ان يعترف بهامع جهل اسبابها ولذلك لا تجد
احدا من القدماء تكلم من المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم
لانها مبادي تثبت الشرائع والشرائع مبادي الفضائل . ولا فيما يقال فيها
بعد الموت . فاذا نشأ الانسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا باطلاق
فان تمادى به الزمان والسعادة الى ان يكون من العلماء الراسخين في العلم
فعرض له تأويل في مبداء من المبادي فيجب عليه ان لا يصرح بذلك
التأويل وأن يقول فيه كما قال الله تعالى « والراسخون في العلم يقولون آمنا
به » هذه حدود الشرائع وحدود العلماء « اه بحروفه من (ص ١٢٩)
حقا أقول ان هذا ما يصح ان يسند الى الحكماء العقلاء واننا نوضحه
بمثال آخر طالما ذكرناه في مباحثنا مع الاخوان وهو ان الطب علم قد
ثبتت فائدته للناس بالتجربة والملاحظة فمن الجملة وسفه الرأي أن يقال
للمريض عليك ان لا تقبل من الطبيب علاجا حتى تبحث أولاً عن مبادي
الطب وتثبت بالادلة النظرية انه نافع ومفيد ثم تعرف الدواء الذي يصفه
لك الطبيب ما هو وما نسبة بعض أجزائه الى بعض وكيف يؤثر في مقاومة
المرض وما الدليل العقلي على تأثيره وما أشبه ذلك

كذلك يكون أفين الرئي من يقول للناس عليكم ان تبحثوا قبل
الايمان عن أسباب المعجزة الثابتة التي رأتموها أو نقلت اليكم بالتواتر حتى
كانكم كنتم حاضريها كيف أوجدها الله تعالى ثم تبحثوا أيضاً عن كل ما جاء
في التسرع لتعاموا بالدليل النظري لم كان كذلك وكيف كان وبعد ذلك
كله آمنوا اذا عرفتم كل المسائل بالدليل النظري ولا تؤمنوا اذا لم تعرفوها
يفتك المرض بمرض الجسد حتى يكون حراً أو يكون من الهالكين
ولا يقدر ان يقف على دقائق الطب بالنظر والاستدلال وهو كسبي كله وضعه
أمثاله من الناس بالنظر والتجربة . وكذلك تفتك الرذائل والعقائد الباطلة
بمرض النفس فتجعله مصيبة على نفسه وعلى الناس ولا يصل بالنظر الى هذه
الركينيات فبقى ان الصواب ما قرره الاسلام ومحو أن النظر واجب في الاصول
التي تثبت بها معرفة الله تعالى وصحة النبوة ومتى اعتمدنا بقدره الله وإرادته
وعليه وكونه أوحى الى بعض عبده وألهمهم إرادته للناس الى ما يسمونهم في
حياتهم الاخرى فانه يسهل علينا أن نسل بكل ما يقول الموحى اليهم (الانبياء
عليهم السلام) تسليماً . فان وجدنا فيه شيئاً يخالف ظاهره الدليل العقلي
الذي نردده اليه بالتأويل أو نفوض الامر فيه الى الله مع الاخذ بالدليل
العقلي . هذا ما أجمع عليه أئمة المسلمين كما تقدم وهو كاف في كون الاسلام
دين العقل لان المسلم لا يترك الدليل العقلي الماطع بحال من الاحوال .
وفد أحسن ابن رشد في رأيه أن لا تنشر التاويلات التي تظهر
للاستخين في العلم بل تبقى خاصة بأهلها فلا تكون . بينا تمنع باب الجدل
على العامة من الاتصال اليه أفهامهم من حقائق العلوم . والجدل مدعاة
الشكوك ولذلك يجب تأديب المشككين والاعراض عن المجادين

ارتقاء الأديان ، وختمها بالاسلام

(جاء في « رسالة التوحيد » للاستاذ الامام مانصه)

جاءت أديان والناس في فهم مصالحهم العامة بل والخاصة في طور أشبه بطور الطفولية للناسي الحديث العهد بالوجود لا يألف منه الا ما وقع تحت حسه ، ويصعب عليه ان يضع الميزان بين يومه وأمه ، وان يتناول من المعاني ما لا يقرب من لمسه ، ولم ينفث في روعه من الوجدان الباطن ما يعطفه على غيره من عشيره أو ابن جنسه ، فهو من الحرص على ما يقيم بناء شخصه في هم شاغل عما يلقي اليه فيما يصله بغيره اللهم الا يداً تصل الى فمه بطعام ، أو تسنده في قعود أو قيام ، فلم يكن من حكمة تلك الأديان ، ان تخاطب الناس بما يلطف في الوجدان ، أو يرقى اليه بسلام البرهان ، بل كان من عظيم الرحمة أن تدير بالاقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده في سذاجة السن لا يأتيه الا من قبل ما يحسه بسمعه أو ببصره . فأخذتهم بالاوامر الصادقة ، والزواجر الرادعة ، وطالبتهم بالطاعة ، وحاثتهم فيها على ما بلغ الاستطاعة ، كلفتهم بمقولات المعنى جلي الغاية وان لم يفهموا معناه ، ولم تصل . فادركهم الى صرماه ، وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم ، وتفعل به مشاعرهم ، وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه^(١)

(١) المعروف الى الآن من هذه الأديان دين اليهود ومن قرأ كتبه المقدسة التي يسمون مجموعها (التوراة) يجلي لها انطباق الوصف عليهم ففيها أن الرب كان ياقب شعب اميرائيل بالشعب الغايظ الرقيق ، أي المريض الفقرا والمراد البلد الجافي وكان يربه الآيات والخوف فيخضع ثم يعود الى تمرد . وكان يعلل له الاحكام بالوقائع الخاصة كالتجاة من المصريين . وكان يعاقبه على ترك أي حكم بشد العقوبة ومنها ان من يعمل يوم السبت عملاً يقتل قاتلاً

ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها الأقوام وسقطت ، وارتفعت ،
وجرت وكسبت ، وتخالفت واتفقت ، وذقت من الأيام آلاما ، وتقلب
في السعادة والشقاء أياما وأياما ؛ ووجدت النفس بنمات الحوادث ؛ ولقن
الكوارث ، شعورا أدق من الحس وأدخل من الوجدان ؛ لا يرتفع في
الجملة عما تشمر به قلوب النساء أو تذهب معه نزعات الغلمان ؛ فجاء دين
يخاطب المواطن ، ويناجي المراجع ؛ ويستعطف الأهواء ؛ ويحادث
خطرات القلوب ، فشرع للناس من شرائع الزهادة ما يصرفهم عن الدنيا
بجملة ما ويوجه وجوههم نحو الملكوت الأعلى ، ويقتضي من صاحب الحق
أن لا يطالب به ولو بحق ، ويفلق أبواب السماء في وجوه الأغنياء ؛ وما ينحو
نحو هذا مما هو معروف . وسن للناس سننا في عبادة الله تنفق مع ما كانوا
عليه ، وما دعاهم إليه ؛ فلاقى من تعلق الناس بدعوتهم ما أصبح من فاسدها ،
ثم لم يمس عليه بضعة أجيال حتى ضعفت المزايم البشرية عن احتمالها ،
وضاقت الذرائع عن الوقوف عند حدوده والأخذ بقواله ، ووقر في الظنون
أن تباع وصاياه ضرب من المحال ، فمب التماثون عليه أنفسهم لمنافسة الملوك
في السلطان ، ومزاحمة أهل الترف في جمع الأموال ، وانحرف الجمهور
الأعظم منهم عن جادته بالنأويل ، وأضاعوا إليه ما شاء الهوى من الأباطيل ،
هذا كان شأنهم في السجيا . نسوا طهارته ، وباعوا نزاهته ؛ أما في المقائد
فتفرقوا شيعة ، وأحدثوا بدعا ، ولم يستمسكوا من أصوله إلا بما ظنوه من
أشد أركانها ، وتوهموه من أقوى دعائها ؛ وهو حرمان العقول من النظر
فيه وفي غيره من دقائق الأكوان ، والحظر على الأفكار أن تنفذ إلى
شيء من سرائر الخلق ، فصار حوايان لا وفاق بين الدين والعقل ، وإن

الدين من أشد أعداء العلم ؛ ولم يكف الذهاب الى ذلك أن يأخذ به نفسه بل جدد في حمل الناس على مذهبه بكل ما يملك من حول وقوة . وأفضى الغلو في ذلك بالأنفس الى نزعة كانت أشأم النزعات على العالم الإنساني وهي نزعة الحرب بين أهل الدين للإلزام ببعض قضايا الدين . فتقوض الأصل ؛ وتخرمت العلائق بين الأهل ، وحلت القطيعة محل التراحم ، والتخاصم مكان التعاون ، والحرب محل السلام ؛ وكان الناس على ذلك الى أن جاء دين الاسلام ؛ (*)

كان سن الاجتماع البشري قد بلغ بالإنسان أشده ؛ وأعدته الحوادث الماضية الى رشده ، فجاء الاسلام مخاطب العقل ، ويستصرخ الفهم والتألب ، ويشركه مع المواطنين والاحساس ؛ في إرشاد الإنسان الى سعادته الدنيوية والاخرية . وبين الناس ما اختلفوا فيه ، وكشف لهم عن وجه الاختصاص والتألب . وبرهن على أن دين الله في جميع الأجيال واحد ، ومشيتته في اصلاح شؤونهم وتطهير قلوبهم واحدة ، وأن رسم العبادة على الأشباح ، إنما هو الجديد الذكري في الارواح ، وأن لا ينظر الى الصور ولكن ينظر الى القلوب ؛ وطالب المكلف برعاية جسده كما طالبه بإصلاح سره ، ففرض نظافة الظاهر كما أوجب طهارة الباطن ، وعد كلاً الأمرين طهرًا مطلوبًا ؛ وجعل روح العبادة الإخلاص ، وأن ما فرض من الأعمال إنما

(*) يرى الناظر ان الاستاذ الامام يامق جميع ما يتدع في النصرانية وكان شؤما على الإنسانية . بالرؤساء الذين خرجوا من زهادة المسيح ويدعون انهم نوابه الى مزاحمة الملوك والانتعلاء عليهم . فلا يتوهم أحد أن مسلما يعتقد أن في دين المسيح نفسه شيئا كان ضاراً بدنه فيمن خطبوا به

هو لما أوجب من التطيع بظاهر المسكات : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، « ان الإنسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً الا المصلين » ورفع الغني الشاكر الى مرتبة الفقير الصابر بل ربما فضله عليه ، وعامل الإنسان في مواعظه معاملة الناصح الهادي للربان الرشيد ، فدعاه الى استعمال جميع قواه الظاهرة والباطنة ، وصرح بما لا يقبل التأويل ان في ذلك رضا الله وشكر نعمته وان لذي الصلوة الآخرة ولا وصول الى خير المقبي ، الا بالسعي في اصلاح الدنيا ،

.....
(ثم قال) « كشف الاسلام عن العقل ثمة من الوهف فما يعرف من حوادث الكون الكبير « العالم » والكون الصغير « الإنسان » فقرر ان آيات الله الكبرى صنع العالم انما يجري أمرها على السنن الإلهية التي قدرها الله في عباده الأتلى لا يغيرها شيء من الطوارئ الجزئية ، غير أنه لا يجوز أن يُفعل شأن الله فيها ، بل ينبغي أن يحكي ذكره عند رؤيتها ، فتدجاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تشعان موتاً أحدا ولا حياة فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » ^(١) وفيه التصريح بان جميع آيات الكون تبرى على نظام واحد لا يقضي فيه الا العناية اللازمة على السنن التي اقامته عليها ، ثم أماط الاتهام عن حال الانسان في النعم التي يتمتع بها الاشخاص أو الأمم والمصائب التي يرزؤن بها افقصل بين الأمرين فصلا محكما ثم بعد ان ذكر حال الافراد وأن ما يعيهم قد يكون كما يشاءهم وقد يكون بغير ذلك قال :

(١) ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تشعان موتاً أحدا ولا حياة فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله

فانها كشفت ما كانت تخرى وبيحتارى وسيرى

«أما شأن الأمم فليس على ذلك فان الروح الذي أودعه الله جميع شرائعه الالهية من تصحيح الفكر وتسديد النظر ، وتأديب الالهواء ، وتحديد مطامح الشهوات ، والدخول الى كل أمر من بابيه ، وحطاب كل رغبة من أسبابها ، وحفظ الامانة ، واستشعار الاخوة ، والتملؤن على البر ، والتناصح في الخير والشر ، وغير ذلك من أصول الفضائل — ذلك الروح هو مصدر حياة الأمم ومشرق سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة » من يرد ثواب الدنيا نؤته منها « وإن يسلب الله نعمته مادام هذا الروح فيها . يزيد الله النعم بقوته وينقصها بضعفه ، حتى اذا فارقها ذهبت السعادة على أثره ، وتبعها الراحة الى متره ، واستبدل الله عزرة القوم بالنذل ، وكثرهم بالقل ، ونعيمهم بالشقاء ، وراحتهم بالعناء ، وسلط الله عليهم الظالمين أو المادنين فأخذهم بهم وهم في غفلة ساهون ، « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » أمرناهم بالحق ففسقوا عنه الى الباطل ، ثم لا ينفعهم الا انين ولا يجديهم البكاء ، ولا يفيدهم ما بقي من صور الاعمال ولا يستجاب منهم الدعاء ، ولا يكشف لما نزل بهم الا ان يلجؤا الى ذلك الروح الا كرم فيستنزله من سماء الرحمة يرسل الفكر والذكر والصبر والشكر « إن الله لا يفسر ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » — « سنة الله في الذين خلوا من قبل وإن نجد لسنة الله تبديلا » . وما أجل ما قاله العباس بن عبد المطلب في استسقاؤه « اللهم انه لم ينزل بلائ الا بذنب ، ولم يرفع الا بتوبة » على هذا السنن جرى سلف الأمة فينبينا كان المسلم يرفع روحه بهذه العقائد السامية ويأخذ نفسه بما يتبناها من الاعمال الجليلة ، كان غيره يظن انه يزول الارض

بدعائه ؛ ويشق الفكاك بكائه ، وهو وابع بأهوائه ، ماض في غلوائه ، وما
كان يعني عنه ضنه من الحق شيئاً « اه المراد هنا من رسالة التوحيد

تشبيه التعليم الديني بتعليم المدارس

هذا ما قاله الاستاذ الامام في رسالة التوحيد التي طبعت سنة ١٣١٥
وقرر مجلس ادارة الازهر تدريسها رسمياً في الجامع الازهر . ومما لوم
ان رئيس هذا المجلس هو شيخ الجامع فهو مع سائر العلماء أعضاء المجلس
بل وسائر علماء الازهر متفقون على ما في هذه الرسالة . ومما تقدم عنها
يعلم معنى كون دين الاسلام هو دين العقل والقرآن يشهد بهذا في
عشرات ومئات من الآيات . ويعلم أيضاً ان المسلمين يعتقدون بحقيقة
الديانة المسيحية وكونها جاءت اصلاحاً للناس ولكن الى أجل محدود قد
انتهى واستغنى عنه بالدين الأخير

تقدم ان دين الله واحد « لا تفرق بين أحد من رسله » وان خطاب
الوحي كان يختلف باختلاف استعداد الناس . فالشريعة الموسوية وما شا كلهما
كان قبلها ودرس كالمدرسة الابتدائية . والديانة المسيحية كالمدرسة التجهيزية .
والديانة الاسلامية كالمدرسة العالية التي هي التعليم الأخير . وهذا لا يتضمن
انتقاص اليهودية والمسيحية كما أن وجود المدارس العالية لا يقتضي انتقاص
المدرسة الأولى أو الثانية لأن كلا منهما لا بد منه والفرص من الجميع
واحد . ولا تنس ان التشبيه بالنسبة الى مجموع البشر في الجملة فلا يقل
ينبغي أن يكون كل فرد من الناس يهودياً ثم نصرانياً ثم مسلماً . وهذا
لذي قلناه مؤيد بما ارشد اليه العلم الصحيح من سنة الارتقاء البشري وقد
جرى الناس على ذلك بحكم تلك السنة فدخل الملايين من اليهود والنصارى

في الاسلام أفواجا وكانوا في ذلك كمن انتقل من مدرسة الى مدرسة
أعلى منها. ولولا الرؤساء الذين جعلوا الدين تقليديا وجعلوا عليه سياجا من
القوة الحسية والوهمية ولولا الطواري التي طرأت على سير الاسلام
بواسطة الرؤساء من الملوك والامراء، وفتنتهم للعلماء والفقهاء، لما بقي
للأديان الأولى من الاتباع ما يكونون به أمما كبيرة.

القسم العمومي

الاجتماع التاسع لجمعية أم القرى ويتبعه الاجتماع ١٠ و ١١

«في مكة المكرمة يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦»
في صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية وقرأ كاتبها السيد القراني ضبط مفاوضات
اليوم السابق حسب الاصول المرعية .
قال (الاستاذ الرئيس) اننا نقرأ اليوم قانون الجمعية وقد علم الاخوان من مطالعة
السانحة التي وضعها اللجنة ان هذا القانون هو الآن في حكم قانون . وقت الى أن
تشكل الجمعية الدائمة ان شاء الله وتزاول وظائفها فهي تعيد النظر فيه وتعني بتطبيقه
على الواجبات والتجربات ثم تعرضه على الجمعية العامة التي سيأتي ذكرها فيه فاذا
امضته صار حينئذ قانوناً راسخاً .

فلنقرأ الآن قضايا القانون فقرة فقرة حتى اذا كان لأحد الاخوان ملاحظة على
بعض الفقرات منه فليبددها عند قرائتها وبعد المناقشة اما أن تقبل أو ترد أو تعدل
بالأكثية . وعلى كل حال تضبط المناقشة في سجل مخصوص يكون كشرح للقضايا
يرجع اليه عند اللزوم

ثم أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة سانحة القانون فقرئت وجرت على بعض القضايا
وبعض الفقرات منها مناقشات وتولى المدقق التركي رئيس اللجنة إعطاء الإيضاحات
اللازمة عن المقاصد التي لاحظتها اللجنة فيه فقبل أكثر قضاياها وعدل بعضها وضبطت
المناقشات على حدة

وفد استقرت مباحث القانون جاسة ذلك اليوم وكذلك جاسة الاجتماع العاشر

المنعقد يوم الاحد الثامن والعشرين من الشهر وجلسة الاجتماع الحادي عشر
المنعقد مساء الأحد أي ليلة الاثنين

❦ الاجتماع الثاني عشر ❦

« في مكة المكرمة يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ هـ
في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية حسب معتادها
أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة القانون الذي تقرر في الاجتماعات الثلاث السابقة متناً
مجرداً فقرياً وهذه صورته »

❦ قانون جمعية تعليم الموحدين ❦

❦ المقدمة ❦

« قد تقرر في الجمعية المنعقدة في مكة المكرمة في ذي القعدة سنة ست عشرة وثلاثمائة
والف المسماة «جمعية أم القرى» النتائج الآتية
« ١ » المسلمون في حالة فتور مستحكم عام « ٢ » يجب تدارك هذا الفتور سريعاً
والافتحاح عصيتهم كلياً « ٣ » سبب الفتور نهساؤن الحكماء ثم العلماء ثم الأمراء
« ٤ » جرثومة الداء الجهل المطلق « ٥ » أضر فروع الجهل الجهل في الدين « ٦ » الدواء
هو إزارة الافكار بالتعليم أولا وإيجاد شوق للترقي في رؤس الناشئين ثانياً « ٧ » وسيلة
المدافاة عقد الجمعيات التعليمية القانونية « ٨ » المكلفون بالتدبير هم حكماء ونجباء الأمة
من السراة والعلماء « ٩ » الكفاءة لإزالة الفتور بالتدريج موجودة في العرب خاصة
« ١٠ » يلزم تشكيل جمعية ذات مكانة وفهوذ في دائرة القانون الآتي البيان باسم «جمعية
تعليم الموحدين »

❦ الفصل الاول ❦

[في تشكيل الجمعية]

« قضية ١ » تشكل الجمعية من مائة عضو منهم عشرة عاملون وعشرة مستشارون
وثمانون فحريون ويرتبط بالجمعية أعضاء محتسبون لا يتعين عددهم .
« قضية ٢ » يجب أن يكون الأعضاء كلهم متصفين بست صفات عامة وهي « ١ » سلامة
الحواس وكون السن بين الثلاثين والستين « ٢ » الاسلام من أي مذهب كان
من مذاهب أهل القبلة . « ٣ » المعدلة بحيث يكون غير متجاهر بمعية شرعية إجماعية

ولا متلبس أو معروف بخلة منافية للمرؤة . ٤٥ « المزية بعلم أو جاه أو ثروة (٥) « الكتابة باهتان في لغة ما ولو عامية ٦٥ « النشاط بأن يكون ذا أهمية ونجدة وحية .

(قضية ٣) يشترط في الاعضاء العاملين والمستشارين زيادة اربع صفات على ما سبق وهي (١) القدرة على التكلم والكتابة بالعربية . (٢) إمكان الإقامة ثمانية اشهر في مركز الجمعية وهي ما عدا ذا الحجة ومحرم وصفر وأو ربيعاً الاول . (٣) تفرغ العاملين للحضور في نادي الجمعية أربع ساعات في كل يوم ما عدا الجمعة وأيام الأعياد . (٤) تفرغ المستشارين لحضور جلسة يوم واحد في كل أسبوع .

(قضية ٤) يشترط في الاعضاء الفخريين زيادة ثلاث صفات وهي (١) القدرة على الكتابة في إحدى اللغات الأربع وهي العربية والتركية والفارسية والأوردية . (٢) الاستعداد لمراسلة الجمعية بأحدى هذه اللغات في كل شهر مرة بمقالة أو رسالة أو فصل من تأليف يقترح موضوعه من قبل الجمعية أو هو يختاره والجمعية تستصوبه وتصدره . (٣) الاذعان لانتقادات وتنقيحات الجمعية وتصحيحها (١)

[قضية ٥] تشكل جمعية عامة في كل سنة مرة في أوائل ذي القعدة يدعى إليها جميع الأعضاء حتى المحتسبون فيحضرها الأعضاء العاملون مطلقاً ومن شاء من الباقين . (قضية ٦) الجمعية العامة بالمذاكرة والانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة تميز المترشحين للهيئة العاملة ثم المترشحين للهيئة المستشارة .

(قضية ٧) الهيئتان العاملة والمستشارة تجتمعان وبالمذاكرة واكثرية الثلثين يميزان المترشحين منهم للرئاسة ولنيابة الرئاسة وللكتابة الاولى وللكتابة الثانية ولامانة المال ثم تنتخبان من المترشحين رئيساً لأجل سنة ونائب رئيس لأجل سنتين وكتائباً أول لأجل ثلاث سنين وكتائباً ثانياً وأمين مال لأجل أربع سنين

(قضية ٨) الهيئتان العاملة والمستشارة يدققون في صفات الذين يراد ان يكونوا من الاعضاء الفخريين أو المحتسبين ثم بالانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة يقبلون أو يردون (قضية ٩) للهيئتين العاملة والمستشارة أن يرفعوا صفة العضوية عن من يعلم وقوع

«*» ليس المقصود من الثروة ذاتها بل إعانتها صاحبها على بعض الاخلاق الشريفة «١» (قضية موقفة) يتدئ تشكيل الجمعية حسبما يتسهل للمؤسس وهو يرأسها مؤقتاً وله أن ينوب عنه من شاء وعند ما يبلغ عدد الاعضاء المكتبتين قدراً كافياً يجمعهم لينتخبوا الهيئة العاملة والهيئة المستشارة .

حالة منه تستوجب ذلك وتحقق خفياً وتصدق بأكثرية الثلثين .
 (قضية ١٠) الجمعية العامة تقوم بأربع وظائف وهي : (١) تدقيق اجمالي في جميع الاعمال التي أجرتها الجمعية في السنة الماضية . (٢) التدقيق في حساباتها الماضية . (٣) تقرير ما يلزم التثبيت به من الاعمال الكبيرة في السنة المستقبلية (٤) تقرير نفقات السنة القابلة .
 (قضية ١١) المركز الرسمي للجمعية : مكة المكرمة وله شعبات في القسطنطينية ومصر وعدن وحائل والشام وتفليس وطهران وخيوه وكابل وكلكتة ودهلي وسنغابور وتونس ومراكش وغيرها من المواقع المناسبة
 (قضية ١٢) يكون تشكيل الشعبات على نمط تشكيل الجمعية المركزية مصغراً وتكون مرتبطة تماماً بالجمعية فيما عدا مالياتها وجزئيات أمورها فان لها الخيار ان تكون مستقلة المالية والادارة

(قضية ١٣) تشكل الشعبات على التراخي ويعطى للبعض المناسب الموقع منها هيئة تصلح معها لان يتخذ عند ميسر الحاجة هي المركز الاصلي (١)

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في مباني الجمعية)

(قضية ١٤) الجمعية لا تدخل في الشؤون السياسية مطلقاً فيما عدا ارشادات وتبليغات بمسائل اصول التعاليم وتعميمه .
 (قضية ١٥) ليس من شأن الجمعية ان تكون تابعة أو مرتبطة بحكومة مخصوصة على انها تقبل المعاونة أو المعاودة من قبل السلاطين العظام والامراء العظام المستقلين والتابعين بعصمة حماة فخريين .
 (قضية ١٦) لا ينتسب الجمعية الى مذهب أو شيعة مخصوصة من مذاهب وشيع الاسلام مطلقاً .

(قضية ١٧) توفق الجمعية مسالكها الدينية على المذهب السلفي المعتدل . وعلى تذلل زيادة وبدعة في الدين . وعلى عدم الجدل فيه الا بالتي هي أحسن .

(١) قضية مؤقتة . مراكز الجمعية يكون في السنين الاولى في بور سعيد أو الكويت ثم ينتقل الى مكة بعد الرسوخ أو عند اقامة مراکش ، أفغان ، ... كالات سياسية لها في مكة وعلى كل حال يكون للجمعية يد في مكة وبنو مكة .

(قضية ١٨) يكون شعار الجمعية القولي [لانبذ الا الله] وشعارها الفعلي التزام (المصافحة) على وجه السنة ووجهها (الغيرة على الدين قبل الشفقة على المسلمين) وأهم أعمالها (تعليم الاحداث وتهذيبهم) « تراجع قضية ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ : »
 (قضية ١٩) أعضاء الجمعية لا يتكلفون التناصر والتماون فيما هو ليس من مقاصد الجمعية أي التماون بالمال أو الجاه فيما بينهم الا لمن يصاب ويتضرر بسبب الجمعية .
 (قضية ٢٠) تتكفل الجمعية بكفاية عدد مخصوص من أصحاب المزايا العامة الخاصة أو العزائم الخارقة العادة بشرط ان يكونوا مجردين لاعيال لهم أو شبين بالمجردين

﴿ الفصل الثالث ﴾

« في مال الجمعية »

(قضية ٢١) نفقات الجمعية تبنى على غاية البساطة والاقتصاد وهي تسعة أنواع
 « ١ » اكمال كفاية الهيئة العاملة بما لا يزيد على ستين ذهباً انكليزياً لكل واحد في السنة . « ٢ » رواتب الكتاب والمترجمين والخدم . « ٣ » أجرة محلات المركز والشعبات غير المستقلة مالية . « ٤ » نفقات البعثات المتجولة . « ٥ » نفقات المطبوعات . « ٦ » نفقات التحرير والتأليف . « ٧ » نفقات البريد والرسائل « ٨ » كفاية المذكورين في « القضية ٢٠ » . « ٩ » النفقات المتفرقة .

(قضية ٢٢) تعتمد الجمعية في الحصول على نفقاتها على جهتين فقط النصف من ربح مطبوعات الجمعية أي طبع المؤلفات الآتي ذكرها في الفصل التالي من نحو طبع المصحف الشريف بصورة متقنة للغاية تستوجب الاختصاص بطبعه والنصف الآخر من اعانات أصحاب الحمية والنجدة من أمراء وأغنياء الامة وبعض الأعضاء المحسنين .
 (قضية ٢٣) أمين المال يكون من أغنياء التجار المشهورين المقيمين في مركز الجمعية ويكون من جملة الاعضاء المستشارين ويقوم بهذه الخدمة حصة لربه ودينه ويكون المال في يده بوجه مضمون .

(قضية ٢٤) أمين المال يعطى وصولات بمقبوضاته تكون مطبوعة مرقوم عليها عدد متسلسل في جانب منها مجموع الوارد ومجموع المصروف في تلك السنة باعتبار غاية الشهر العربي المنصرم .

(ملاحظة موقته) يكفي للجمعية في السنين الاولى مقدار خمسة آلاف ذهب (جنيه) انكليزي فقط وحصول ذلك ليس بذي بال

(قضية ٢٥) أمين المال لا يصرف شيئاً الا بورقة صرف مطبوعة عليها عدد متسلسل وموقع عليها من القابض وكاتب الجمعية ورئيسها .

﴿ الفصل الرابع ﴾

« في وظائف الجمعية »

(قضية ٢٦) الهيئتان العامة والمستشارة بالاتفاق أو اكثرية الثلثين تعبدان النظر في قانون الجمعية مرة ابتداءً من كل ثلاث سنين مرة وتضمن القوانين التي تلزم ويجب مطابقاً ان يكون ترتيب القوانين تابعاً لقواعد التروى والتدقيق والتأمين وترتبط كل قضية بشرح مفصل مسجل يرجع اليه . ولا يصير القانون دستوراً للعمل الا بعد قرأته في الجمعية العامة السنوية وقبوله . ويجوز للهيأتين عند الضرورة تقرير العمل ببعض من أحكام تلك القوانين موقتاً ثم تعرض على الجمعية العامة الاسباب المجبرة على التسجيل .

(قضية ٢٧) ايقاظ فكر علماء الدين الى الامور الحمسة الآتية وتنشيطهم للسعي في حصولها ومساعدتهم براءة أسهل الوسائل وأقربها اليها وهي :

« ١ » تعميم القراءة والكتابة مع تسهيل تعليمهما . « ٢ » الترغيب في العلوم والفنون النافعة التي هي من قبيل الصنائع مع تسهيل تعليمهما وتلقيهما . « ٣ » تخصيص كل من المدارس والمدرسين لنوع واحد أو نوعين من العلوم والفنون ليوجد في الامة أفراد يابغون متخصصون . « ٤ » إصلاح أصول تعليم اللغة العربية والعلوم الدينية وتسهيل تحصيلها بحيث يبقى في عمر الطالب بقية يصرفها في تحصيل الفنون النافعة . « ٥ » الجدية وراء توحيد أصول التعليم وكتب التدريس

(قضية ٢٨) السعي في تأليف متون مختصرة بسيطة واضحة على ثلاث مراتب

« ١ » لتعليم المبتدئين أو المكتفين بالمبادئ . « ٢ » لتعليم المتبين البطالين الاتقان . « ٣ » لتعليم النابغين الراغبين في الاختصاص .

(قضية ٢٩) الاهتمام في جعل المتعلمين والمعلمين على أربع مراتب . « ١ » العامة ومعلموهم أئمة المساجد والجوامع الصغيرة . « ٢ » المهذبون ومعلموهم مدرسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة . « ٣ » العلماء ومعلموهم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية . « ٤ » النابغون ومعلموهم الافاضل المتخصصون .

(قضية ٣٠) السعي لدى أمراء الأمة بمعاملة كافة طبقات العلماء بمعاملة الأطباء أي بالحجر رسماً على من يتصدر للتدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد ما لم يكن مجازاً

من قبل هيئة امتحانية رسمية موثوق بها تقام في المواسم .

(قضية ٣١) التوسل لدى الأمراء أو عظماء لحد العلماء الغيورين في كل بلدة صفة محتسب ديني على جماعة المسلمين في تلك البلدة ويحصلوا له مستشارين مستخين من عقلاء الأهالي وتكليف هذه الجمعية الاحتسابية بأن تقوم بالنصيحة للمسلمين بدون عنف وبتسهيل تعميم المعارف والمحافظة على الاخلاق الدينية .

(قضية ٣٢) التوسل لئيل العلماء ما يستحقون من رزق وحرمة ومنعهم عن كل ما يخل بصفهم وشرفهم . (١)

(قضية ٣٣) التوسل لحل أهل الطرائق على الرجوع الى الأصول الملائمة للشرع والحكمة في الارشاد وتربية المريدين . وتكليف كل فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يتقدمون بها الامة الاسلامية من نحو اختصاص فرقة كالقادرية مثلاً بعول وتعليم الأيتام وأخرى بمواساة المساكين وأبناء السبيل وجماعة بتمريض الفقراء والبائسين وقفة بالتدقيق الى الصلاة وغيرها بالتفكير عن المسكرات ونحو ذلك من المقاصد الخيرية الشرعية فيكون عملهم هذا عوضاً عن العطل والتعطيل .

(قضية ٣٤) حمل العلماء والمرشدين وجميعيات الاحتساب على السعي لإرشاد أفراد الامة خصوصاً أحداثها الى قواعد معاشية وأخلاقية متحدة الاصول ثلاثم الاسلام والحرية الدينية وتفيد ترويض الاجسام وتقوية المدارك وتثمر النشاط للسعي والعمل وتولد الحمية والاخلاق الشريفة

(قضية ٣٥) تمتنى الجمعية بصورة مخصوصة بوضع مؤلفات أخلاقية . الائمة للدين وللزمان وتكون على مراتب من بسيطة ومتوسطة وعالية بحيث تقوم هذه المؤلفات مقام معطولات الصوفية . وتقوم بوضع مؤلفات للغة وسطى عربية لا مصرية ولا عامية وجعلها لغة لبعض الجرائد ومؤلفات الاخلاق ونحوها مما يهم نشره بين انعام فقط (١)

(قضية ٣٦) تمتنى الجمعية في حمل العلماء وجميعيات الاحتساب على تعليم الامة

(١) كالقعود في محلات القهوة والتجول في المجتمعات وركوب الخيل ونحو ذلك مما لا يقدم عليه أمثالهم في الملل الأخرى

٢ . كالاكتفاء بالسعين عن الثاء وبالزاي عن الفال والاقتصار على التثنية بالياء والجمع بالواو والنون والقصر بالالف وكتبول الوضع العامي المشهور . من هامش الأصل [المنار] : هذا خطأ لا حاجة اليه اذ يمكن الوصول الى المقصود باللغة الصحيحة السهلة

ما يجب عليها شرعاً من المجاملة في المعاملة مع غير المسلمين وما تقتضيه الانسانية والمزايا الاسلامية من حسن معاشرتهم ومقابلة معروفهم بخير منه ورعاية الذمة والتأمين والمساواة في الحقوق وتجنب التمييز الديني أو الجنسي بغير حق .

(قضية ٣٧) تنشر الجمعية رسالة دينية عربية في كل شهر يكون حجمها نحو مائة صفحة بحيث يتألف منها كتاب في كل عام وتكون مباحثها ثمانية أنواع يخصص لكل بحث قسم منها وهي .

(١) مقررات الجمعية وأعمالها وخلاصة المهم من مراسلاتها مع شعباتها . (٢) مباحث دينية في موضوع سباحة الدين ومزاياه السامية ودفع ما يرمى به من منافاته للحكمة والمدنية . (٣) قواعد أخلاقية ونصائح معاشية . (٤) فصول في العلوم والفنون الدافعة والترغيب فيها وارااة طرائق تلقينها وتلقيها . (٥) المقالات المفيدة التي يحررها الاعضاء الفخريون وغيرهم من فضلاء الامة . (٦) الاخبار والاعلانات الخاصة بالنهضة العلمية الاسلامية . (٧) الاسئلة والاجوبة المهمة . (٨) مباحث وقوانين شتى .

(قضية ٣٨) تكون الابحاث والمقالات الدينية في الرسالة الشهرية ملاحظة فيما إجماع السلف أو الموافقة لمذهبين فأكثر من انذاهب المدونة المتبعة . ويتعين في المسائل المهمة الخلافية بأن يقرها بعض المشهورين عن علماء الهداية من المذاهب المختلفة (قضية ٣٩) تكون قيمة الرسالة مقابلة قريبة من نفقات تحريرها وطبعها فقط وترسل الى المدارس والاملاء المشهورين بدون عوض على حساب الامراء والمحتسين .

(قضية ٤٠) تعني الجمعية غاية الاعتناء في إيصال الرسالة الى المرسلين اليهم بصورة منتظمة وفي اذخالها البلاد المأهولة بالمسلمين رغماً عن كل مانع فتُرسل ولو برأ مع رواد على نجائب تخترق آسيا وأفريقيا الى اقاصيها ولا تقدم الجمعية وسائل كثيرة للإيصال (قضية ٢١) تخصص الجمعية منشوراتها وإعلاناتها أربع جرائد من أشهر الجرائد

الاسلامية السياسية . ١ عربية في مصر ٢ تركية في القسطنطينية ٣ فارسية في طهران ٤ أوردية في كالكته

(قضية ٤٢) تسمى الجمعية في تأسيس مدرسة جغرافية تاريخية دينية في مركز الجمعية لاجل تنقيف تلامذتها وتأهيلهم لسياحة والبعوث

(قضية ٤٣) ترسل الجمعية بعوثاً جغرافية وعلمية تجول في البلاد الاسلامية الشرقية لتبني العلاقات على أسس النبل والادب وأهلها من حيث الدين والمعارف ولارشادهم

الى مايلزم إرشادهم اليه في ذلك حسبما تقتضيه الاخوة الدينية بدون تعرض للاحوال السياسية قطعياً

(قضية ٤٤) تسمى الجمعية بمد مضي ثلاث سنين من انعقادها في اقناع ملوك المسلمين وأمرائهم بمقده مؤتمر رسمي في مكة المكرمة يحضره وفود من قبلهم ويترأسه مندوب أصغر أولئك الأمراء ويكون موضوع المذاكرات في المؤتمر السياسية الدينية * (قضية ٤٥) اذا صادفت الجمعية معارضة في بعض أعمالها من حكومة بعض البلاد ولا سيما البلاد التي هي تحت استيلاء الاجانب فالجمعية تتذرع أولاً بالوسائل اللازمة لمراجعة تلك الحكومة وإقناعها بحسن نية الجمعية فاذا وفقت لرفع التعتق فيها وإلا فتلجأ الجمعية الى الله الفادر الذي لا يعجزه شيء .

﴿ خاتمة ﴾

(قضية ٤٦) « سياسة الجمعية » جاب قلوب من تخير جلبهم ببذل المعروف محابة فتجري مواساة الإنسان عند مصابه وتنقب عن أهم حاجاته أو غاياته فعيه عليها (قضية ٤٧) « مظهر الجمعية » العجز والمسكنة فلا تقاوم ولا تقابل إلا بأساليب النصيحة والموعظة الحسنة وتلاطف وتجاامل جهدها من يعادي مقاصدها ولا تاجأ الى الإلجاء الا في الضروريات .

(قضية ٤٨) « قوة الجمعية » الإخلاص في النية . وعمدتها الثبات على العمل . ومسلكها تذليل العقبات واحدة فواحدة وحصلها الدين الحنيف . وسلاحها العلم والتعليم . وجيشها الاحداث والضعفاء . وقوادها حكماء العلماء والأمراء . ورايتها القدوة الحسنة . وغنيمتها بث الحياة في الموحدين . وغايتها خدمة المدينة والانسانية . وثمره أعضائها والصارها لذة الفكر والفخر ونيل الاجر من الله . (تم القانون)

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

(المؤتمر الاسلامي في الهند)

أشرنا في الجزء الماضي الى انعقاد مؤتمر التربية الاسلامية في الهند وتذكر الآن مجلداً من خبره

انتخب المسلمون في هذه السنة رئيساً لمؤتمرهم (السير آغاخان) وهو شاب من (١٠٤ - المنار)

الكبراء الذين يقرن باسمهم لقب « السمو » وقد اشتهر بالذكاء والتبيل، والعلم والفضل،
ولهذه المزايا اختارته طائفة الاسماعيلية رئيساً لها وهي الطائفة الباطنية المعروفة بالتروى
في اختيار الرؤساء ولذلك كان أمرها منتظماً في كل البلاد الى اليوم ولا توجد طائفة
تنتمي الى الإسلام في هذا العصر أشد من هذه الطائفة تعاوناً وتحاملاً والتزاماً ونظاماً.
والفائدة الكبرى التي استفدتها من خبر مؤتمر هذه السنة هي انتخاب هذا الأمير
رئيساً للمؤتمر الذي معظم رجاله من أهل السنة بل هذا هو الدليل القاطع عندي على
ان إخواننا مسلمي الهند قد ارتقوا عنا وعن سائر المسلمين الذين نعرف أخبارهم .
ذلك ان أدواء أدواء المسلمين التفرق في الطوائف وعدم معرفة قيمة التابعين
لا سيما اذا خالفوا الجماهير في بعض تقاليدهم — وهذه الحلة لازمة للتابعين لا تفارقهم
— ذلك بأن مبدأ النهوض في كل أمة منحنطة هو ظهور افراد فيها كبار العقول
أقوياء القلوب بوجهون عنائهم الى الخدمة القومية . فاذا ظهوروا في أمة مستعدة
للهوض تشمر الأمة بفضلهم وتقدرهم حق قدرهم وتعطيهم مكانة الهامة من الجسد
فيدبرونها ويعرجون بها الى ما هي مستعدة له من الارتقاء . واذا ظهر وا قبل استعداد
الأمة للاستفادة من مواهبهم ترى الجماهير من خواص قومهم يمتقونهم وينفرون
العامة منهم ويتوكلون على ما لا يخلو نافع عنه من المخالفة للجماهير في تقاليدهم وعاداتهم.
وأعني بالخواص الرؤساء والأغنياء الذين يعبر عنهم القرآن بالترفين وهم الذين كانوا
أعداء الأنبياء والمرسلين . وكانوا ولا يزالون أعداء الإصلاح والمصلحين
أما قولنا ان التابعين الذين يتوجهون الى إصلاح الأمم لا بد ان يخالفوا قومهم
في بعض عاداتهم واعتقاداتهم فليس معناه انهم يحرون المخالفة طلباً للشهرة او الامتياز
وانما ذلك أمر طبيعي لازم . وبيانه ان الفساد انما يضرب بجمرانه في الأمة ويفتك بها
لفساد يطرأ على العقول فتأخذ بالاعتقادات الباطلة ، وفساد يلم بالنفوس فتستبدل
الأخلاق الذميمة بالأخلاق الفاضلة . وتولد من الفساد العادات الضارة ويفتك
كل ذلك بالأمة فساداً . فالتابع الذي يتعدى للإصلاح يعرف بما ميزه الله تعالى به
من نفوذ البصيرة منشأ الفساد في الأعمال . وينفر بما خصه به من كرامة النفس وزكائها
عن كل ما يتقدم فساداً ويرى اثره ضاراً . فهو بهذا وذاك يكون مخالفاً للأمة في بعض
اعتقاداتها وعاداتها حتماً بغير تكلف ولا تصنع بل بوجود من محبي الإصلاح من
يتكلف إخفاء المخالفة وإظهار الموافقة في بعض الأمور لأجل ان يقبل منه غيرها .

ليس هذا موضع الإطالة في أخلاق المصلحين مع أقوامهم ولكني أقول ان اكتشف الحبيب بين المصالح وبين قومه هو أن ينجز بأنه مخالف لهم في بعض الأمور الدينية أو مقتصراً فإذا وصلت الطبقة المتوسطة في قوم إلى أن يعرفوا درجة المستعد للإصلاح وان لا يصددهم عن الانتفاع به كونه مخالفاً لهم في بعض المسائل الدينية أو غيرها لأنهم يعرفون كيف يتفجعون وبم يتفجعون وهم واقفون بأنفسهم لا يخافون من شذوذ رئيسهم في بعض المسائل ان يتعدى إليهم ومنهم إلى الأمة بأسرها فلو أنك هم القوم الذين أذن الله بترقيتهم ونجاحهم

خطب رئيس المؤتمر وذكر أمراض المسلمين التي هبطت بهم إلى الدرك الذي هم فيه بين الأمم فذكر ان جرائم هذه الأمراض أربع «١» عقيدة الجبر التي حلت العزائم والحق تبعها بالامام أبي الحسن الأشعري [رحمه الله تعالى] و«٢» اعتقاد ان ترك الشؤون العامة والاشتغال عنها بالمزلة والعبادة من مهمات الدين وزعم ان منشأ ذلك اعتزال بعض الصحابة عليهم الرضوان «الحرب بين علي ومعاوية وقولهم ان هذا أسلم للدين» و«٣» اهمال تعليم النساء وتربيتهم لمساحل دون ذلك من التشدد في الحجاب والخروج به عما جاء به الشرع وأثبت ان هذه المعضلة الاجتماعية قد سببت عدواها من مترفي القرس إلى بني العباس وبسببهم رسخت في الأمة الإسلامية وكان من أثرها حبس نصف المسلمين في السجون الأبدية والقضاء عليه بالجهل والخيول ويرى القارئ في كل مسألة من هذه الثلاث نزعة يصح ان تكون تولدت في دماغه من الممكن في مذهبه الذي أصله الغلو في التشيع إلى ادعاء الحلول في بعض أئمة آل البيت ورعي عظماء المسلمين من الصحابة فمن بعدهم بالإضرار بالدين ولو عن غير عمد . لو قام مثل هذا الخطيب الذي يفخر به مسلمو الهند اليوم وخطب خطبته هذه في مصر لشموه أو في الشام لضربوه أو في تونس لنفوه وأبعدوه أو في الجزائر أوصرا كس لقتلوه فلنا ان نقول انه لم يرتق في البلاد الإسلامية الا مسلمو الهند الذين آمنوا على هذا الخطيب ووقروه ، لأن له مزايا يتفجع بها في العمل الملي الذي يجموه ، فإذا اعتقد أهل السنة منهم انه أخطأ في تمثيل جمل اعتزال الاعمال العامة من الدين بأنه الاقتداء بفضلاء الصحابة وأخطأ باستناد عقيدة الجبر إلى الامام الأشعري فهم يثرونه بأنه قال ما يعتقد بإخلاص ولا يمكن ان تظهر الحقائق في قوم لا حرية عندهم لعالم بأظهار اعتقاده . ومن الغريب ان ترى البلاد التي يدعي أهلها اتباع السنة فينبذ

اعتصم علماءها بحجة التقيّة التي يعيرون بها إخوانهم الشيعة ويحتجون عليهم بأن
من يقول بالتقيّة لا يوثق بعلمه ولا بدينه اذ يجوز ان يكون كل ما يظهره مخالفاً لما
يستقده عملاً بالتقيّة . ومن تراهم يتقون ؟ يتقون العوام الجاهلين المقلدين لهم . اليس
من أعجب المجائب ان العالم يتبع الجاهل فيقول له تعاليد وخرافاته ليكون راضياً عنه
ويبقى معظماً ومكرماً له ؟

قد علم ان المرض الاول من الامراض التي ذكرها رئيس المؤتمر يتعلق بالاعتقاد
والمرض الثاني يتعلق بالأخلاق والأعمال والمرض الثالث يتعلق بالمعادات والأعمال
[ولذلك رتبناها هذا الترتيب المخالف لترتيب الخطيب] أما المرض الرابع فهو خاص
بالسياسة وهو احتكار الخلافة والإمارة في بيت مخصوص بتوارثها أفراداً . وقد صوب إثم هذه
الجريمة على بني العباس الذين من قوا شمل الأمويين ثم العلويين ، وكادوا يفتنونهم جميعاً ،
والقاري يرى في هذا من الغفلة ما يرى فيها سبقه . ولكن مجموع الخطبة يرى الخطيب من
سوء القصد في كلامه كله فقد اتى على عمرو بن العاص الذي كان عضد معاوية وساعده ويده
التي تناول بها الخلافة وساد على العلويين من أول الأمر — نعم انه لم يثن عليه بهذا
العمل ولكنه اتى عليه بالسياسة الحكيمه التي لا يعمص حقه فيها بصير وان كان مثلي
من صميم العلويين . بله نناءه على الخليفة الثاني وعلى الصحابة كلهم في الجملة .
وحاصل القول ان الخطيب أحسن في كلامه وأبان به عن عقل وبصيرة واستعداد
لرياسة المؤتمر وان كان في بعض القول مجال ، لمن لاشغل لهم الا القيل والقال ، وهم
بمعزل عن الأعمال .

أما نتيجة المؤتمر التي وجه عنايته اليها فهي إنشاء مدرسة كلية في كانبور
التي تسمى الأمكنية أو جعل مدرسة عليكمه كذلك . وقد قدر الرئيس في خطبته
في اتحاد هذه المدرسة بمئتي ملايين روبية . لا بد ان هذه المئتي مليون روبية
وما أجل قول الخطيب : ألا تشترون بحمد الإسلام بمئتي ملايين روبية ؟ أهذا
الشيء كثير ؟ ومن بعد فكره وصائب رأيه أنه ذكر في هذا المقام صلة مسلمي الهند
بالعالمين والبرانيين والأفغانين ، وأشار بوجوب جعل المدرسة الكلية كعبة العالم لجميع
المسلمين ، كأنه لم يخطر في باله نزغات شيطان «الوطنية» الحقّة التي يدعو إليها بعض
الأحداث في مصر وهي قطع صلات الأمة الإسلامية ومجافاة بعض شعوبها لبعض حق
الدين .

هذا الرأي الحميد رأي توفيق نجاح الأمة على المدارس الكلية الجامعة قد نوهنا به من قبل وطالبنا به عقلاء المصريين وأصحاب التأثير فيهم قولاً وكتابةً. وإذا يسر الله تعالى ووفق المسلمين إلى إنشاء كليتين واحدة في الهند وأخرى في مصر فذلك منتهى السعي الحميد في إحياء المسلمين وإعادة مجدهم ولا توجد بلاد إسلامية غنية والتعليم الأهلي فيها حر إلا البلاد الهندية والبلاد المصرية. ولا يتم هذا العمل في مصر إلا بسعي مثل السعي الذي في الهند وهو أن يتألف مؤتمر ويكون جميع أفراد دعاة إلى هذا العمل وساعين في جميع المال له من كل مكان. نعم يظهر أن أهل مسلمي مصر أقل استعداداً من مسلمي الهند بالنسبة إلى المجموع ولكن في مصر رجالاً ربما لا يوجد خير منهم في بلاد إسلامية أخرى ولهم أن يجعلوا كليتهم في أول الأمر صغيرة ثم يوسعون دائرتها بالتدريج. وقد سمعت أكبر مرجو فيهم لمثل هذا السعي يقول أنه يمكن الإقدام على العمل إذا تيسر جمع مئة ألف جنيه فقط. ولو اعتبر أغنياء مصر بالسركاسل الإنكليزي الذي بذل من ماله أربعين ألف جنيه لأجل دراسة مرض الرمد في مصر ليتيسر لهم بذل ما ينشئ مدرسة كلية تكون حياة قومهم وأمهم، ومنشأ عزهم وسعادتهم.

﴿ تونس — أو حادثة صفاقس ﴾

بينما مسلمو الهند يصفقون لرئيس مجدهم وخطيب مؤتمرهم الإسماعيلي المذهب رجوعاً إلى تساهل الإسلام في الصدر الأول أيام كان الحافظ البخاري يتلقى الحديث عن عمران بن حطان الخارجي وإذا بمسلمي البلاد التونسية يهيجون ويحتمون على مدرّس من أهل مذهبهم في الأصول والفروع لأنه أنكر عليهم بعض البدع التي ألفوها وألصقوها بالدين وتكلفوا لهذا الإلصاق ضرباً من التأويل تصادمها معصوص الكتاب والسنة. تلك البدعة أو البدع هي التي أقام «المنار» بها القيامة على أهلها وكتب فيها أكثر من سبعين مرة وهي ما يفعله الجهلاء عند قبور الأولياء، من التضرع والدعاء، والاستغاثة والاستجداء، والطواف والاعتكاف، والتذلل والاستعطاف، والقيام والقعود، والركوع والسجود، وما رخص الدين في زيارة القبور بسد التهي عنها ليدعى أربابها من دون الله، ويقول المأول «هؤلاء شفعاؤنا عند الله» ولا لينسخ بهم قوله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» وقوله «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» الخ الخ الواقعة هي أن عالماً مدرّساً في مسجد صفاقس اسمه (الشيخ محمد شاكر) كان

يفراً عقيدة التوحيد فلما انتهى الى وحدانية الأفعال التي يكاد يكون الكلام عليها في بعض كتب العقائد جبراً محضاً نهى عن بدع القبور، والاستمانة بأهلها والتقرب اليهم بتقديم النذور، فكبر ذلك على الذين يأكلون تلك النذور فوشوا ومحلوا وحرفوا وتمحلوا، ورفع الأمر الى المحكمة الشرعية ثم الى العامل الذي في صفاقس ثم الى الوزارة في الحاضرة (تونس) فحكم بعزله من التدريس في جامع صفاقس وانتطبع في جامع الزيتونة وقد ذكرت الواقعة بعض الجرائد المصرية نقلاً عن جرائد فرنسية وذكرت ان قاضي تونس ومفتيها اللذان طلبا من الوزارة عزله وما ظن ذلك صحيحاً وإذا كان القاضي والمفتي وشيخ الجامع الأعظم لم يسموا بعزل هذا المدرس تاتي قرر التوحيد ونهى الناس ان يستعينوا بغير الله على أمور دنياهم أفما كان يجب عليهم ان ينصروه ويعزروه؟ بل ومن هنا نعرف الفرق بين تونس والهند بل بينهما وبين مصر فأننا قررنا هذه المسألة وشددنا فيها التأكيد في الدجيد الحسيني وكان يحضر درسا كثير من العلماء والفضلاء في التفسير أحد من حضر ممن لم يحضر لبعض الجهات الأموم الذين كبر عديهم ما قرروا ولا سمعنا كلمة تخففة من شيخ الأزهر ولا من مفتي الديار المصرية ولا من غيرها من كبار العلماء.

☞

ولا بد ان يكون تشديد التوجيه في ذلك مبنياً على ما مدي كُن يكون مدرس ذلك المدرس أحدث شغياً وهيجه في البعامة والرياسة مبنية على مراعاة أمر العامة بالحق وبالباطل وإنما كن الذي يجب منه هو رد الحكومة الحامية (الفرنسية) باضطهاد رجل يصلح كهذا المدرس يحاول هدم مناشي الخرافات التي نشأت منها تعصبات أهل الطريق الذين يهددون الحكومات في أفريقيا وهم خطر عليهم عليهم وعلى قومهم ولا علاج لهم الا بالهداية الى الصحيح الذي يهدم تلك الساحة أو يرشد أهلها الى الحق الذي يعرفون به أنفسهم فلا يكلفونهم العمل ما ليست أهل له وقد حاشنا جريدة فرنسية يومية شرح مسألة صفاقس من حيث الحكومة في اوجز تقرير

نورة من كس ونبأ عظيم

لأزال النورده منه قتي بلاد مراكن وقر نسا على الحدود جيش جزار وقدر ربات بعثة عسكرية الى سلطان مراكن فتوي هناك نفودها غنم على نفوذ انكثرا. أما النبأ العظيم الذي حدث أخيراً فهو أن البرقيات أفادت اليوم ان حكومة المغرب الاقصى

قد اقترضت من مصرف (بنك) فرنسا والبلاد الواطئة (هواندا) سبعة آلاف ألف وخمسة مائة فرنك (١٠٧٠٠٠) بفائدة ستة في المئة . قال (روتر) : ولما كان السلطان هو الكافل لهذا القرض فالتبادر أنه حيلة سياسية يقصد بها زيادة نفوذ فرنسا عنده : هذا وإن من عرف حال الأوروبيين في الاستعمار يعلم أن الاقتراض . مبدأ الاقتراض . أي أن الحكومة الشرقية التي تقترض من دولة أوروبية ينقرض حكمها باليد التي تسطيها المال . وكأن هذه الحكومات الجاهلة لا بد أن تهدم سلطاتها بأيديها . وكأن بلادها لا تحي إلا إذا ماتت موتتين . وكأن الله قضى أن لا تكون حياتها . إلا على أيدي من تسميم عداتها . لا على أيدي كبارها وساداتها ، ولا يشترط أن تكون أمانة الأجنبي لنا ، فتصودأ بها الإحباء ، فيقال لنا أحسننا الظن بالأعداء .

﴿ المنار في السودان ﴾

كان المنار يرسل الى بلاد السودان فلا يلقى معارضة ولا منعا وفي أثناء هذه السنة (الخامسة) صار يشكو إلينا بعض قرائه من احتجاب بعض أجزائه ووصول بعض . ثم كتب إلينا بعض من طلب الاشتراك وأرسل القيمة أنه لم يصل إليه شيء من الأجزاء . فقلنا لصاحب السعادة حاكم السودان العام السردار السرونجت باشا وشكونا إليه ذلك شفاهيا وقدمنا مع ذلك عريضة إلى وكيل حكومة السودان بالشكوى الرسمية فصدر الأمر في أول رجب من هذه السنة بالإذن للمنار في دخول السودان وعدم معارضته وكنا أمسكنا عن إرساله فعذنا إليه . وكنا نظن أنه يصل في أوقاته ولكن لم نلبث أن علمنا من بعض من طاب الاشتراك في تلك البلاد وأرسلنا إليه المنار أنه لم يصل إليه فكتبنا ثانية إلى وكيل حكومة السودان نعلمه بذلك لأنه ظهر لنا أن الحكومة السودانية لم تأمر مكاتب البريد بعدم المعارضة فورد إلينا الجواب الآتي بنصه :

نمرة ٢١٨٤ إدارة وكيل حكومة السودان

في ٢٦ - ١ - ١٩٠٣

٨

حاضرة العلامة الفاضل منشي جريدة المنار القراء

« علم ما أمضت به بجوابكم المؤرخ في ٢٢ يناير الجاري وتفيد حضرتكم بأنه »
« قد صدرت الإشعارات اللازمة لعموم الجهات بعدم منع جريدتكم (المنار القراء) »
« من الدخول إلى السودان فاقضى ترقيه الإحاطة » (الامضاء)

﴿ هبة الانكليزي الجواد ﴾

نوهنا في النبذة التي كتبناها عن مؤتمر التربية الاسلامي في الهند بان السيد **الانكليزي** تبرع بأربعين الف جنيه لتفق على دراسة مرض الرمد في مصر. ونقول الآن ان هذا السخي الجواد قد نحى بهته هذه أغنياء المصريين إذ قال انه تبرع بذلك ليفتح لهم باب البذل في هذا المشروع الذي يقيد هذه البلاد التي يكثر فيها المرض فيها. ولكن أغنياء المصريين مشغولون بالبذل في سبيل السرف والمخيلة، عن البذل في المشروعات النافعة الجليلة، فهم يقدون الاروبيين في شر مناعيه سفهاؤهم، ولا ينظرون الى ما يفعله كرماءهم. ويتوهمون أن مدينة القوم بالفجور، ومعاقرة الحور، وحب الذات ولو فيما يضر الجمهور. وأنى لهم أن يعقلوا ان الاروبيين ماسادوا على العالمين، الا بسخاء أولئك المتبرعين، الذين في أموالهم حقوق لتأييد العلم، ونشر ألوية السيادة والحكم، ولعل التقليد يفضي ببعض أغنيائنا الى فهم هذه القضية، والتأسي بهذه الاريجية، فتحسني من كأس التقليد رحيقاً ممزوجاً بتسنيم، بعد ما تجرعنا منه شراب الحميم.

﴿ المسلمون في سوريا ﴾

نوه بحال المسلمين في جميع أقطار الارض وقلمنا نذكر شيئاً عن مسلمي بلادنا السورية. وماذا عسانا نذكر عنهم غير البؤس والحرمان من الترقى في العلم والعمل. وقد كتب بعض كتابهم الفضلاء جملة في تقریط كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) بلغ بها شأواً بعيداً في فن الاحتراس عند ما أتى على الكتاب وكتبه ونشره وطابعه. قدلنا ذلك على الفرق البعيد بين مسلمي مصر ومسلمي سوريا

﴿ مآثر حميدية ﴾

أمرنا مولانا السلطان الأعظم (أيده الله تعالى) بمنع المسلمين من الجلوس في الحانات والمجاهرة بشرب الخمر وأوجب معاقبة المخالف. فعسى ان يعتني الحكام والشرطة بتنفيذ هذا الامر بالدقة والاحكام

﴿ حج سلطان زنجبار ﴾

توجه في هذه السنة سلطان زنجبار الجديد الى الحجاز لاداء فريضة الحج فدعوا الله تعالى بأن يوفق سائر السلاطين والامراء لمثل ما وفق اليه، وان يكتب له السلامة في هذا السفر الشريف الذي امتاز به على أقرانه

[illegible]

(100 - 100)

المقدسة فهو غير موجود قولاً ولا كتابة . وهذا هو المراد بقوله تعالى
 فيهم أوتوا نصيباً من الكتاب » وقوله عز وجل في كل منهما « فتنوا
 حظاً مما ذكروا به » والحظ بمعنى النصيب أي أنهم حفظوا بعض ما
 أوتوه ونسوا بعضه . ومتى ذهب بعض الدين صار الباقي غير موثوق به
 وإن سلم من التحريف فيه والإضافة اليه فكيف إذا لم يسلم . وقد أنزل
 الله تعالى القرآن « مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه » والمراد
 بالكتاب الجنس والميم المراقب الذي عنده نبأ ما يرتقبه ثما صدقه
 القرآن من تلك الكتب فهو من النصيب الذي أوتوه ، وما أخبر به وليس
 موجوداً فهو من الحظ الذي نسوه ، وما كذبه فهو مما زادوه وأضافوه
 فهو الحكم العدل ، وإنه لقول فصل وما هو بالهزل ،

وكان الواجب أن يحكموا فيما شجر ، وينتهوا عما نهى ويأتمروا بما
 أمر ، وكذلك فعل الموفقون ، وصد عنه الآخرون ، والسبب في الصدود
 هو السلطة الدينية التي جعل ذروها الدين لمصلحتهم تقايدياً محضاً عقود عقائده
 بأيدي الرؤساء ، مثل الأتباع والآفاقية يقادونها الناس ويحمونهم سواها
 وينشئون الأحداث ، من الذكران والإناث ، على اعتقاد وجوب التسليم
 لهم ، والرجوع في كل امر الدين اليهم ، ولا يزال أثر هذه التنشئة ظاهراً
 فيمن تربى في مدارس القسيسين فتراه يناظر في المسألة فإذا قامت عليه
 حجتك قال ان هذا الذي تقول ، ظاهر في نفسه ومعمول ، ولكنه من
 أمر الدين والقسيس يقول بخلافه ولا قول في الدين الا ما يقول القسيس ولا
 يشترط ان يكون قوله معقولاً ولا مفهوماً !!

فاذا قال النصراني ان السلطة الدينية مثار التمصب الدميم ، ومبم

العداوة والبغضاء بين الجيران والأقربين، والحجاب دون المساواة بين أهل الوطن الواحد في الحقوق، والعيد الذي يقيد به الإرادة والعزيمة، والنفل الذي يفأل به القتال والفكر، - فالمسلم يصدقه ولا ينازعه يصدقه حامداً لله تعالى أن ليس في دينه طائفة جعل لها الإسلام حق السيطرة على العقول والأرواح نودع فيها ما تشاء وتحرمها ما تشاء وتتصرف في المسلمين باسم الدين كما تشاء. ثم يلتفت فيرى أن المسلمين الذين قلّدوا الرؤساء الروحانيين عند النصارى لم يلبثوا أن صار لهم سلطة حقيقية منتظمة يحاسبون بها الأفكار على خواطرها والعقول على معارفها بل هؤلاء هم الذين كانوا يتسامحون مع الفكر والخيال مالا يتسامح غيرهم ويمدون كل معرفة تقرب من الله تعالى لأنهم يقولون : إن الله طرائق ، بعدد أنفاس الخلائق ، ثم يلتفت من جانب آخر فيرى أن هؤلاء المتألمين في السلطان الروحاني لا تعظم سلطتهم إلا حيث يصغر العلم بالدين ، ولا يقوى نفوذهم إلا حيث يضعف نفوذ الحكم الإسلامي ، وما عزّ لهم سلطان في مكان ، إلا وكان وبالاً على المسلمين والإسلام ، فإن كنت نسيت حوادث مهدي السودان ، فأمامك حادثة خارجي مراکش الآن ،

للعلماء والعقلاء ، والكتاب والخطباء أن يقولوا في السلطة الدينية النصرانية ما شاؤا ، ولهم أن يسموا في فصلها وإبادة ما عن السلطة المدنية ما استطاعوا ، فإنها سلطة كانت ولا تزال ضارة حيث وجدت وتوجد وكان معظم ضررها أيام كانت مقرونة بالسلطة المدنية . لهم أن يسموها سلطة فإن لها في كل مملكة رئيساً عاماً يولي سائر الرؤساء في المملكة وهؤلاء الرؤساء الذين هم أركان سلطته منبثون في كل مدينة وفي كل قرية

ولا يوجد حكام مديون في جميع القرى والمزارع كما يوجد هؤلاء الحكام
الروحانيون . ولهم أن يقاروا هذه الحكومة ويقاوموها ، ولهم أن يختدوا
من شوكتها ، وينضموا من صولاتها ، ولهم أن يقولوا الله لولا فساد
السلطة المدنية ، لاندستنا نسيم الحرية ؛ ولهم أن يعددوا الأمة الفرنسية ؛
إذا حاولت اصطلام هذه السلطة بالكلية ؛ المسلم يعدرهم في كل هذا ، لأنه
من الإصلاح الذي جاء به الاسلام كما المعنا في صدر هذا المقال فمن لم يأخذه
من الاسلام مباشرة فله أن يأخذه من نظام الفطرة إذا هداه العلم اليه وما
الاسلام الا دين الفطرة الهادي الى نظامها وستن الله فيها

ومن الظلم البين ان يرمى الاسلام نفسه بتقرير السلطة الدينية المعروفة
عند النصارى . والاسلام هو الذي أبطل كل سلطة يكون بها فريق مسيطر
على روح فريق وحاكما على حريته في غير ما يحرمه الشرع على كل رئيس
ومرؤس او مطالب به كل رئيس ومرؤس . ان الذين اتبعوا سنن من
قبلهم وقلدوهم في مثل هذا الامر لم يتقنوا التقليد وكان روح الاسلام مانعا
أن يلبفوا منه كل ما أرادوا . ولكن الاسلام لم يسلم من أعداء يلصقون
به كل عيوبهم ويقولون عليه الكذب وهم يعلمون ، نعم أنهم يعلمون أنهم
يخلقون عليه إفكا لانهم اظلموا على ما كتبنا وكتب بعض الاثمة في بيان
نفي هذه السلطة ثم يفتأون يسيون الاسلام بها ولهم غرض يرمون اليه
وراء تشكيك المسلمين في دينهم وتغييرهم منه وقد اشرنا اليه في مقال مضى
ووعدنا بيان الحق فيه كما يناء في غير ذلك من شكوكم وشبهاتهم

(شاهد في الموضوع من منار السنة الاولى)

صدرنا العدد ٢٢ من منار السنة الأولى بمقالة في (سلطة مشيخة

(طريق الروحانية) قلنا في أولها : « لقد أتى على الإنسان في طور جماعه أدوار ، ومرت عليه أجيال وأعصار ، وهو مغلول الإرادة ومقيد الجوارح بسلطتين عظيمتين قويتين لاقتنين عليهما النبوة التامة في أفراد ، والتصرف المطلق في آحاده ، وهما سلطة الدين وسلطة السياسة . او كما يقول أهل العصر — السلطة الروحية والسلطة الزمنية »

ثم قلنا بعد كلام في حال هاتين السلطتين وتأثيرهما وحال الأمة التي تحكم بهما ، انصه :

« وبالجمل ان أمة هذا شأنها تكون دائماً متقلقة كمدح الراكب لا تثبت على حال ولا تستقر على شأن . وجميع ما انتاب الأمم من رفعة منخفضة وعلم وجهل وسعادة وشقاء فقد كان مرجعه الى تصرف الأوصياء والحكامين ، والرؤساء الروحانيين ، واتد كان الشر أغلب على الإيمان من الخير والشقاء أشمل لها من السعادة لأن الرئيس الفاضل الحكيم لا يمان من الممار واذا عثر عثر منه الأمة وهوت وقد يهدم الرئيس الجاهل القوي في مدة قليلة ، ما ياتيه الحكماء في الأجيال الطويلة ،

ولهذا كانت سمادة البشر موقوفة في نيلها أو كمالها على تحديد القوانين والشرائع الروحية والزمنية (المدنية) وجعل الناس فيها شرعا (أي - واء) لاضرية لرئيس على مرؤس الان بما يمتاز به المرؤسون بمصهم على بعض وبما لا تقوم الرئاسة بدونه كوجوب الطاعة للسلطان ولا طاعة لأحد على أحد فيما وراء الشريعة والقانون . ولكن لم تأت شريعة سماوية ولم يوضع قانون بشري لهذا التحديد والمساواة حتى جاءت الآية الإسلامية فحدثت الشرعيتين (المدنية والروحية) مما وجعلت الناس فيهما - واء لا فضل لأحد

على أحد الأبا بالعلم والعمل ، واقتلعت جذور الطاعة الممياء وبينت ان الدعوة الى الحق لا تكون الا بالحجة والبرهان بمثل قوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) فسر العلماء البصيرة بالحجة الواضحة . وقوله تعالى « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

« وبناء على هذا كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم الرأي فأتين : هل هذا شيء قلته من عندك يا رسول الله أو نزل به وحي ؟ فان قال هو من عندي جاؤا بما عندهم من رأيي وربما رجع النبي الى رأيهم كما جرى في بعض النزوات (منها بدر وأحد) . وأوقف أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الامام علياً مع رجل من آحاديثه ود للمحاكمة وعابه عليٌ بعد المحاكمة بأنه لم يسار بينه وبين خصمه لأنه كناه وسعى خصمه وفي التكنية تمظيم وتمظيم أحد الحصين ولو بمثل هذا مناف للمدالة والمساواة . وراجعت امرأة عمر وهو على المنبر في مسألة تحديد المهر محتجة عليه بآية « وآتيتن إحداهن قطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » فقيل : أصابت امرأة وأخطأ عمر : « وأبلغ من هذا ان النبي عليه الصلاة والسلام ظمن سواد بن غزيرة

بقدرح (سهم لانصل له ولا ريش) في بطنه وهو مكشوف ليستوي في الصف يوم بدر فقال : قد أوجعتني فأقنتني : فكشف له عن بطنه ليقتص منه قطرة فيتمسح به وكان ذلك منه توسلاً للتوصل الى هذا الشرف العظيم . وآذن الناس قبل موته بأن من له حق عنده فليطلبه واذا كان نحو ضرب فليقتص منه وآذن لرجل أن يضرب به حين ادعى انه ضربه يوماً فقال الرجل : اتني كنت عاري الكنف أو الظاهر : (شك من الراوي) فألقى له الرداء عن عاتقه الشريف وكان شأنه في ذلك شأن سواد بن غزيرة .

« والنتيجة ان الاسلام قرر العبودية لله وحده والحرية في ضمن دائرة الشريعة والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات وإطلاق الارادة وأنه كرم من سلطة كل زعيم وسيطرة كل رئيس روحي ومقتضى ذلك أن يكون المسلم عبدا كاملا لله حراً كاملاً بالنسبة لمساواه »

هذا بعض ما قلناه في المسألة من نحو خمس سنين وبمده كلام في سلطة شيخنا الطريق كيف ظهرت وماذا أعقبت

(بحث الدلائل على نفي السلطة الدينية في الاسلام)

(١) أقوى الدلائل على أنه لا سلطة دينية في الاسلام كما في النصراية تحديد وظيفة الرسول في القرآن بأنه مبلغ لا مسيطر ولا وكيل ولا جبار على الناس قال تعالى « إن عليك إلا البلاغ » وقال عز وجل « ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء » قال تبارك شأنه « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وقال عز اسمه « وما أنت عليهم بجبار » وقال تعالى جده « قد ذكرنا أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال جل جلاله « وما أنت عليهم بوكيل » فأين هذا كله من ملة يدعي رباً أوها أنهم وكلاء الله في الارض . هل يقاس القبض على الزقيض ؟

(٢) سيرة النبي عليه السلام فقد سمعت أنفا أنه كان يقيد من نفسه ويرجع عن رأيه الى رأي أصحابه . وأعجب من هذا أنه رجح الرأي الموافق لرأيه في مسألة أمري بدر وكان الرأي الآخر هو الاصلح فتابه الله عتاباً شديداً حتى بكى عليه الصلاة والسلام

(٣) سيرة الخلفاء الراشدين كما سمعت أنفا عن عمر ويؤثر مثله عن سائرهم ولم تكن سيرتهم في المساواة وفي تحكيم الأمة بأنفسهم من مزاياهم

الشخصية وإنما هو شيء أخذوه من القرآن ومن السيرة النبوية كما علمت
وإنما زعمهم أنهم فهموا الإسلام كله وكانوا أشد من غيرهم غيرة عليه وعملابه .
(٤) لو كان الإسلام شرع هذه السلطة المروقة في الملل السابقة عليه من
البوذيين والبراهمة والاسرائيليين والنصارى أو أجازها لوجد لها في المسالك
نظام ورؤساء كما وجد عند غيرهم ولكن شيئاً من ذلك لم يوجد وإنما وجدت
طائفة تصدت للتربية والإرشاد ثم انقسمت إلى طوائف وجماعات ولم يكن لهم
سلطة على أحد وإنما يقبضهم من شاء باختياره ولم يسلبوا مع ذلك من ربي
الفتاء لهم بالانحراف عن الدين ومن تفريق الأحكام شملهم ولذلك لم يكن
لهم ظهور إلا حيث يضمف علم الدين وحكمه كما قلنا آنفاً . وأما لقب
« شيخ الإسلام » فهو من اختراع الملوك والأمراء الذين بعدوا عن المظهر
الديني فاستعانوا بمن له هذا المظهر لأجل التأثير في نفوس العامة المقلدين
ثم إن السلطة الدينية وجدت على حقيقتها في طائفة الباطنية ثم
وجدت لهذه الطائفة حكومة مدنية في البيديين (الفاطميين) ولكن
مذهب الباطنية ليس من الإسلام في شيء ولذلك لم يستطع البيديون أن
يؤيدوه بسلطتهم تأييداً ظاهراً فيقال إن السلطة الدينية قد اجتمعت مع
السلطة المدنية في طائفة تنتمي إلى الإسلام في الجملة . فلم مما تقدم أنه
ليس في الإسلام سلطة دينية فما هذا الذي يعيب الإسلام به بعض كتاب
النصارى وما هذه النصائح التي توجهها تلك الأقلام إلى الأمة الإسلامية
لتقنمها بوجوب الفصل بين السلطين الدينية والمدنية ؟ الجواب أن المراد
بذلك أن يترك المسلمون شريعتهم كما يعلم من الفصل الآتي

﴿ الشريعة والدين في الإسلام ﴾

جرى عرف الكتاب الأوربيين ومن تبهم من الشرقيين لاسيما كتاب النصراني بأن يظنوا اسم الدين على ما يتعلق بالاعتقاد بالله وبالوحي وما يمد به من أمور الغيب وما يفرضه من العبادة ويخصوا كلمة الشريعة بما يتعلق بالمعاملات والاحكام القضائية والمدنية والسياسية . وكل باحث في التاريخ من هؤلاء الكتاب يعلم ان الاسلام جاء بدين وشريعة ومن ذلك قول بعضهم : إن محمداً (عليه الصلاة والسلام) كَوْن في عشرين سنة أمة وجاءها بدين وشريعة ولم يتفق لغيره في العالم الجمع بين هذه الامور الثلاثة : فهوؤلاء يعلمون أن الشريعة قسيمة الدين في الإسلام وان ما يدين به المسلم ربه وما يعامل به الناس كله مقتبس من نور واحد وهو نور الوحي الذي أوحاه الله الى محمد عليه الصلاة والسلام

لا فرق في الاسلام بين القسم الديني البحت والقسم الشرعي الا في شيء واحد وهو ان الاعتقاد والعبادة لما كانا لا يختلفان باختلاف الزمان والمكان وأحوال الأمم وجب الاعتماد فيهما على الوحي في الجملة والتفصيل والكتليات والجزئيات . وأما المعاملات الدنيوية فلا تختلف باختلاف ما ذكر قد وضع الاسلام لها قواعد كلية وأصولاً عامة وفوض استنباط الجزئيات التي تحدث الى أولي الامر المارفين بمقاصد الاسلام وبأصوله العامة وقواعده الكلية فهم يبينون الاحكام بالشورى في كل ما يحدث للناس من المصالح استنباطاً من تلك الاصول والقواعد . قال تعالى يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » فذكر أولي الامر بصيغة الجمع . وقاله ولو ردّوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لجلبه

الذين يستنبطونه منهم ، ذكر أولي الأثر بصيغة الجمع أيضا وأناط بهم استنباط الحكم الذي يحتاج اليه اوية تازع فيه

ثم ان الاحكام الشرعية المنصوصة او المستنبطة تحتاج الى منفذين ولا بد ان يكون لهؤلاء رئيس ثلاث تكون الامور فوضى وقد سمي الرئيس الاول في الاسلام بعمد وفاة النبي صلى عليه وسلم خليفة له وسمي من بعده أمير المؤمنين واستمر هذا للقب . ووظيفة هذا الرئيس حماية الدين وأهله وتنفيذ احكام شريعته فليس هو مسيطر على الناس في دينهم ولا مستقلا بوضع الاحكام الشرعية لهم وإنما هو حافظ للنظام ؛ ومنفذ للأحكام ؛ وسلطنة هذه كما ترى مدنية شورية ، لا مطلقة ولا استبدادية ؛ ولكن الاسلام أوجب عليه أن يعمل بالشرع وحرّم عليه أن يكون شارعا بنفسه وأوجب طاعته بالمعروف ، كما أوجب على الأمة إزالة سطاته ان حملها على غير المشروع ؛ فصيح بهذا الاعتبار أن يقال ان السلطة المدنية في الاسلام مستندة الى الدين أو انها سلطة دينية . ولكن لا يصح أن تشبه بالسلطة الدينية عند غير المسلمين ولا أن يجعل صاحبها جامعا بين سلطتين إحداهما على الأرواح والمقوول والثانية على الأجسام والأعمال

هذا هو ديننا وهذه هي سلطته فبماذا يطالبنا ذلك الكاتب النصراني وبماذا ينصح لنا ؟ هو يطالبنا بأن نجعل رئيسنا المدني شارعا ومنفذا لما يشرعه لنا من الأحكام وينصح لنا بأن تترك شريعتنا القائمة على أصول ديننا ويزعم أن بناء الشريعة على قواعد الدين وجعل الحكم حماة للدين ومنفذين له هو الذي أزال الدولة العباسية ، وفرق شمل الأمة الإسلامية ، ومن رأيه ان المسلمين لا ينجحون ولا تقوم لهم قائمة مادام سطاتهم مكفنا

بالعمل بشريتهم الدينية وتقيدها!!!!

لوجمت كل ما ورد من الكلام في جميع اللغات ابدل على . منى التعجب
وأضفت اليه كل أمارات التعجب ودلائله في الحركات والاشارات المضوية
والقلبية وقدرت على تصوير جميع أفعالات التعجبين وتأثراتهم النفسية
وألصقت ذلك كله بهذه التصيحة النصراية للأمة الاسلامية لما وفيت حق
البيان في كونها عجيبة غريبة مذهشة للتعجبين !!

(شبهات المشكك)

(١) يقول هذا الناصح الأمين، أو المشكك في الدين: إن غرض الدين في
الأرض مناقض لغرض الحكومة في الأرض فكيف يجمع الإسلام بين
التقيضين؟ ونحن نقول له إن الإسلام جاء للإصلاح في الأرض وكل ما
يناقض الإصلاح فهو إفساد يجب إزالته فالواجب أن يكون غرض الحكومة
الاسلامية موافقا لغرض الدين الإسلامي . ونمأ لا خلاف فيه بين
فقهاء الإسلام أن أحكامه الشرعية كلها مبنية على قاعدة « درء المفسد
وجلب المصلح » فأي حاكم من - كما نيقدر ان يأتينا بشرع اصليح من هنا
الشرع اذا نحن تركناه عملا بنصيحتك وجعلنا الحاكم هو الشارع؟؟؟

(٢) يقول الناصح الامين؛ أو المشكك في الدين:، إن من التناقض بين
وظيفة الدين ووظيفة الحكومة أن الدين وضع قواعد وتقاليد للمقل وطرقا
لسير الفكر فقيده بذلك الحرية العلمية . والحكومة لا تكلف الانسان بأن
يسر في فكره على طريق مخصوص وإنما هي حامية لحرية النفس وما
يتبعها من المال والدم والشرف : ونحن نقول اذا كان دينك كذلك فدين
الاسلام مناقض له غير مناقض لوظيفة الحكومة التي ذكرتها . وذلك أنه

تقرر فيه حرية القتال فلا يخرج المسلم عن حكمه في قتاله (كما في ذات في الجزء الماضي) وتقرر أن أحكامه ترجع إلى خمس قواعد هي: الكليات الخمس وقد جمعها صاحب عقيدة الجوهرية بقوله:

وحفظ دين ثم نفس مال نسب ومثابا عقل وعرض قد وجب
(٣) يقول الناسح الأمين، أو المشكك في الدين، : يجب أن تكون الحكومة مساوية بين من تحكمهم وإن اختلفت أديانهم وأن تكون حامية لهم على السواء أيضاً والدين منافض لها في ذلك : ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فديننا منافض له لا لما يجب أن تكون عليه الحكومة . وذلك أن المساواة من أصوله وقد أشرنا في الفصل السابق من هذا المقال إلى مساواة عمر بين الإمام علي ورجل من آحاد اليهود ومطالبة علي له بالمساواة في القرب أيضاً وهذه مساواة لم تصل إليها حكومة وإن تصل إليها حكومة إلا أن تكون مقيمة للإسلام على حقه . وأما الحماية فمن الأصول الماثورة في ديننا هذه الكلمة الجليلة « وإن نحميهم مما نحمي منه أنفسنا » وهذه الكلمة الفضلى « لهم مالنا وعاهم ما علينا »

(٤) يقول الناسح الأمين، أو المشكك في الدين، : إنه ليس من شأن الساطة الدينية، الدخول في الأمور الدنيوية؛ لأن الأديان شريعت لتدبير الآخرة لا لتدبير الدنيا . ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فديننا ليس كذلك فإنه شرع ليلائم مصالح الدارين، والإرشاد إلى طرقت السعادتين، فكيف تحكم على الأديان كافة بما تعتقده في دينك وهل كنت أنت الواضع للأديان كما تقول إنني وضعت دين الإسلام هكذا أيضاً وأهله قد زادوا فيه فانا الآن أطالبهم بالرجوع إلى الأصل؛ إن المسلمين

لا يقبلون منك ذلك لان ثقتهم عرفوا الدين بأنه وضع الهي سائق لتدوي
 المقول السلية باختيارهم الى ما فيه صلاحهم في الحال ؛ وفلاحهم في المال ؛
 (هـ) يقول الناصح الامين ، او الشكك في الدين ، : ان الجميع بين السلطين
 يضمف الامة ضعفا مستمرا لانه يقتضي اضطهاد العقل والتدكا . ويعرض
 الحكومة لثورة الامة باغراء عدو يبرها عليها ويكون سبب الشقاق
 الديني بين الطوائف التي تتألف منها الشعوب ويعرض الدين لأكاذيب
 السياسة ومفاسدها . ونحن نقول ان كل هذا قد وقع في دينه فلا نكره
 وإنما نكر قياس دينا عليه وهو مبين له . وحسبنا ان الذي وقع عندنا
 هو نقيض ما وقع عندهم فان الحكومة الاسلامية التي يسميها جما بين
 السلطين (وقد فهمت . منهاها) قد أعطت الامة قوة لم يقاوها فيها أحد
 في زمنها وما ضعفت الامة الاسلامية الا بضعف الشرع وعدم إقامته
 وهذا أمر لا خلاف فيه . وكذلك لم يضطهد العقل والتدكا . في الاسلام
 في عصر اقامة شريعة الاسلام وإنما وقع شبه اضطهاد بعد ضعف الشرع
 والتهاون في تنفيذه . اما اثورات التي يخافها الناصح على الحكومات
 الاسلامية اذا بقيت على شريعتها فهي أجدر بالوقوع اذا خرجت الحكومات
 عن الشريعة لأن اخرج على السلطان لا يجوز في الاسلام الا اذا خرج
 السلطان من الاسلام بترك الشريعة واذا أخطأ قالوا يجب ان ترجعه الامة
 عن خطاه بالمعروف : قال صاحب عقيدة الجوهرة :

وواجب نصب إمام عدل	بالشرع قاعلم لا بنعيم العقل
فليس ركنا يعتقده في الدين	فلا تدعن حكمه للدين
الا بكفر قاتلن عهده	فانه يكنينا أذاه وحده

وأما الشقاق الديني بين الطوائف والملل فلم يمهّد في بلاد الإسلام أيام إقامة الشريعة والعمل بها بل كانت الطوائف في هدون وسلام لأن الدين يوجب ذلك وكان معمولاً به . والذي يوجب الشقاق هو جعل الدين مصلحة لرؤساء مخصوصين يناهض كل رئيس بطائفته سائر الطوائف فهو الصق بالفصل بين السلطين وجعل كل واحدة مستقلة لها رؤساء يدبرونها منه بالجمع بينهما خصوصاً جمع الإسلام بالمعنى المتقدم . وقد ذاقّت الأمة النصرانية بأس هذه الرياسة وكانت هي التي ابتدعت الحرب بين طائفتين من أهل دين واحد للخلاف في الدين . ولو لم يكن لكل طائفة رؤساء مخصوصون لما وقع شيء من ذلك . وقد سرت عدوى النصرانية إلى غيرها وأصاب المسلمين شرر تلك النيران فحدث بين أصحاب المذاهب شيء من الشقاق لتعصب كل طائفة لآمام مخصوص وعلماء مخصوصين . وقد علمت أن رجال الدين لم تتنظم لهم في المسلمين رياسة لأن طبيعة الإسلام تأتي ذلك ولهذا لم يعظم النفور والشقاق بين أصحاب المذاهب الإسلامية كما عظم بين أرباب المذاهب النصرانية . على أن المذاهب المتعددة في الدين هي مخالفة لوضع الدين لأنها تفرق فيه والله يقول « أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ويقول « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » ولكن جاءنا من كتاب النصارى في هذا العصر من يقول أن التفرق إلى شيع من طبيعة ديننا ولا علاج لهذا التفرق إلا ترك حكامنا شريعتنا !!!

وأما تعريض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها إذا كانت الشريعة مستمدة من الدين فهو تقيض الممتول وخلاف الواقع فإن السياسة كما قال الكاتب مبنية على الرياء والمخاتلة ولا علاج للرياء إلا الدين وقد شدّد فيه

الإسلام حتى سماه « الشرك الأصغر » فإذا بُنيت السياسة على قاعدة الدين سلمت وسلم معها الدين وإذا انفصلت من الدين فسدت وأفسدت الدين ولذلك استعاد منها الإمام كاتب مقالات (الإسلام والنصرانية) بما استعاد ووصفها بما وصف . وقد قلب الحقيقة الناصح أو المشكك فجعل انفصال الحكومة من الدين هو سبب السلامة !!!

الوحدة الدينية . والوطنية

يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين ، ان الوحدة الدينية التي يطلبها الاسلام مستحيلة الوقوع ومحاولتها كان اكبر اسباب الفتن التي حدثت في الاسلام والمسيحية . ويزعم ان البشر قد ارتقوا عن طلب الوحدة الدينية التي كانت عامة فيهم الى الوحدة الوطنية وتدرج في البيان الى ذكر فرنسا التي ارتقت فيها هذه الوحدة الجديدة التي حصر فيها سعادة البشر حتى حكمت بابطال مدارس الرهبنة وحتى حرمت على رئيسها ذكر اسم الله تعالى أو ذكر العناية الالهية في خطبه . وههنا شعر بأن هذا التدرج قد أنهى ربه في هوة الباطل فماد يعترض على هذه « الطريقة الجديدة » ويذكر من مفسدها . وهكذا شأن من يهرف بما لا يعرف . وقد استدلل على استحالة الوحدة الدينية بما كان في أوروبا من المفسد والفتن بسببها وبعدم نجاح البابا فيها وبسعادة أوروبا بعد إقامة السد بينه وبين الأحكام . ثم جرى على عادته في تشبيه الاسلام بالنصرانية فزعم ان الذي أسقط دولة بين العباس هو عجزهم عن حفظ الملكية بالوحدة الدينية وعدم اهتمامهم الى الوحدة الوطنية !!! سبحان الله ما أعلم هذا الكاتب بالتاريخ وما أقدره على استخراج طبائع الملل منه !!!

خبرونا أيها المؤرخون والمطلعون على كتب التاريخ أي مؤرخ قال
 أن سبب سقوط بني العباس هو حكمهم بالشريعة الإسلامية أو قال أن
 أصحاب الملل المختلفة في بلادهم كانوا ساخطين على الحكم بالشريعة
 وطالبن أن تستبدل بها قوانين غيرها يرضها الحكماء أو المحكومون وأنهم
 لذلك ثاروا على الدولة حتى أسقطوها بالحروب الأهلية التي مثارها التمصبات
 الدينية ؟ لم يقل بذلك عالم ولا باحث زاعم افتخروا فتجربوا اخترعه
 وابتدعه ناصح المسلمين الأمين أو مشككهم في الدين

لسقوط دولة العباسيين أسباب أهمها أمران ذكرهما مؤرخ الدولة
 العثمانية الأكبر جودت باشا ناظر العلية (رحمه الله تعالى) قال بعدما
 ذكر فضل المأمون في ترويح العلوم وتوسيع نطاق المدينة ما تقرر
 « إلا أنه أخطأ خطأً بيناً في أمر يتعلق بتدبير المملوك وهو أنه أعطى ولاية
 خراسان لرجل يسمى طاهراً مكافأة له على قتل أخيه الأمين فاتخذ نيسابور
 عاصمة لها وجعلها وروثة له ولا عفا به من بعده فكان ذلك باعثاً على إزالة
 رهبة الخلافة من صدور الممال ، وسبباً في الخروج عن الطاعة والتزوع
 إلى الاستقلال ، ثم جاء بعده الخليفة المعتصم فجمع بعض الأحداث من الترك
 وجعلهم عسكرياً خاصاً به ولما اشتد ساعدهم خرجوا عن طاعته وأحدثوا
 ثورات هائلة كما وقع قديماً في عسكر قياصرة رومية »

وظاهر أن ماعمله المأمون مخالف للشريعة الإسلامية ومناف للوحدة
 الدينية . وإن ماعمله المعتصم كان لا خلاصه بأصول الأحكام الإسلامية من
 الشورى وكفالة الأمة للإمام والتعري في اتخاذ البطانة فتدغال تعالى « يا أيها
 الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم »

الآية . وللمفسرين وجهان في قوله « من دونكم » قيل هم المناققون وقيل الكافرون . وكان أولئك الاحداث أحد الفريقين فإنهم اتخذوا بطلانة ولما يدخل الايمان في قلوبهم كما علم من مقالات (الاسلام والنصرانية) وقد تحقق فيهم قوله تعالى « لا يألونكم خبالا وذوا ما غتم » وليكن ناصحنا الامين حرف قول الامام في هذا المقام الى فتنة سياسية فزعم أن مراده الحكم بأن الترك والفرس لا يمتد باسلامهم وان الدين خاص بالمرب أي أنه لا يمتد باسلام مثل البخاري ومسلم وأبي حنيفة والنزالي الخ !!!
نمود بالله نود بالله

يا حصرة على أعداء الشريعة الاسلامية التمسوا لها عيافها فأعيام وأعوزهم، فالتمسوه في المقيمين لها (كابي بكر وعمر) فأعيام وأعجزهم؛ فنقبوا عنه فيمن انحر فوا عن سراطها فكبوا فأصابوه وأصقوه بها وقالوا إنها شريعة ضارة يجب تركها واختراع شريعة بدلها !!!

كانت رابطة الوحدة في الاجتماع البشري محصورة في البيوت (العائلات) ثم اتسعت فصارت في القبائل ثم اتسعت بناموس الترقى فكانت الشعوب والامم الكبيرة التي وحدتها الجنسية باللغة او الدين او البلاد (الوطن) وكان الدين خاصا لا يتعدى الشعب الذي وجد فيه الى أن ظهر الاسلام فان في الانجيل الممتدة عند النصارى الى اليوم ان المسيح عليه الصلاة والسلام قال : « لم أرسل الا الى خراف اسرائيل الضالة » وقال « ما جئت لأنقض الناموس وانما جئت لأتمم » والناموس هو شرع الاسرائيليين الخاص بهم وتتميمه بيان الحق فيما اختلفوا فيه منه وفي بيان اسراره والتوسع في التسم الروحاني منه . وأما ما ينقلونه عنه من انه قال « اكرزوا بالانجيل

في الخليفة كلها « فهو مختلف لما تقدم في الظاهر ويمكن أن يتفق معه بجمال
رئيس في الخليفة للعهد أي الخليفة الممبودة وهي الأمة الاسرائيلية حيث
كانت وأبن وجدت

بعد هذا استعد البشر بناموس الارتقاء الى وحدة أوسع من كل
ما تقدم - الى وحدة يمكن أن تدخل فيها جميع الشعوب والقبائل والأمم
والاجناس المختلفين في البلاد واللغات والاديان - الى وحدة لها رابطان
(إحداها) جثمانية اجتماعية عمرانية دنيوية وهي أن يحكموا بشريعة عادلة
تساوي بينهم في الحقوق لا يمتاز فيها كبير على صغير ولا غني على فقير ولا
عربي على عجمي ولا متدين بدين على متدين بغيره (وثانيتهما) روحانية أخوية
أخوية تختص بمن يحكمهم الاعتقاد الصحيح، المبني على البرهان العصري،
وهذه الوحدة هي الوحدة التي جاء بها الدين الاسلامي وعمل بها المسلمون في
المصدر الاول فكان المخالفون لهم في الدين يفاضلون حكمهم على حكم المسلمين
مهم في الدين واللغة والوطن - ولم توجد المساواة ولا العدالة العصرية الى
اليوم الا في الاسلام فهذه الدول الاوربية الراقية بالوطنية لا تساوي بين
ابنائها وأهل مستعمراتها في الاحكام بل ألزمت الحكومات الضعيفة في غير
بلادها بالخروج عن العدل والمساواة وتميز أجناسها على رعايا كل
حكومة من تلك الحكومات فالمصري يقتل في مصر اذا قتل أجنبيا ولكن
الاجني لا يقتل بالمصري - وقد كنا أوضحنا هذا المبحث في مقالة عنوانها
(الجنسية والدين الاسلامي) بتراجع في المجلد الثاني من المنار - وفي
أثر مجازات العربيات كثيرة تزيد هذه المسائل المتفرقة وتضد
القضايا المتعددة في هذا المال

فثنين بمجموع ما تقدم ان الوحدة التي جاء بها الاسلام هي أعلى ما
يرتقي به البشر وأفضل ما يتوجهون اليه ولكن الرياسة الروحية في الديانة
النصرانية التي جلت الدين مصلحة من المصالح فتتبع بها الرؤساء وخروج
الحكام المنتسبين للإسلام عن قواعدها هما السدن المائتان من انتفاع
البشر بها وستدك الحرية السدين، ويجمع البشر بالإسلام بين السعادتين،

القسم المصومي

تتمة الاجتماع الثاني عشر لجمعية أم القرى

قال (الاستاذ الرئيس) ما نحن أولاء قد استوفينا قراءة القانون للمرة الثانية أيضاً ولم
يستمرك عايداً أحد من الاخوان شيئاً فهل أسم مقروه . فاجاب جميع الاعضاء نعم قهره .
قال (الاستاذ الرئيس) اني بالديانة عن هيئة الجمعية أشكر الحضرة الاستاذ المسكي
الرئيس براعته في حسن ادارة الجمعية كما انني أقدر للدقق التركي ورفقائه واضعي
سائحهم انما نون قدر فضلهم وحسن انظمتهم .

واني فآري في هذا القانون أشبه نور بين القضاة والعلو نور يشرق على
الامارات فيدير الأهل ويهر النور نور معقود اللواء انشأة جديدة، وحياة جديدة،
وملافة جديدة، نور يشرق دجور النور ويحيي ميت الشمور، وما ذلك على الله بعزيز .
قال (المحقق المدني) بمناسبة اني جاز النبي صلى الله عليه وسلم أرى كأن رسول
الله . نور بكم أيها الاخوان الكرام يتضرع الى ربكم أن يوفقكم في مشروعاتكم
خدمة لدينه وأمة خدمة تحفكم بالمجاهدين الصديقين الأولين .

والاستاذ الرئيس . ذاته وأن يكون تاديس الجمعية الدائمة ابتداء في بور سعيد
أو الكبر . ودية نمر عايد في لأول فآري أن نقوض اتخاذ أسباب هذه المهمة
بالإسلام . والى
الأسباب
وجهة ذلك الى بقية أهل اللغات الاسلامة التركية والعارسية والاوردية فيعطهاها
ويشترائها ذكرى ويشري للمؤمنين .

ثم بعد استطلاعهما ما يلزم استطلاعهما من آراء وأفكار ذوي الهمم السامية ،
يبشران أسباب تشكيل الجمعية مع التروي والثاني اللازمين حكمة وبعالا يساعدهما
الزمان فيحتاجان لترقب الفرصة ولو تأخر الأمر الى اجتماعنا الثاني . وأخونا السيد
القرآني يمدنا بأنه لا يقطع عنا رسالته وإعلامنا بسير المسألة والأمل بعنايته تعالى أن
نجد في اجتماعنا الثاني بعد ثلاث سنين الجمعية الدائمة منتسكة على أحسن نظام .

ثم قال (الاستاذ الرئيس) واتي على أمل أن الجمعية الدائمة ستلحقنا بانضمامها
المخربين فتخدم مقاصدها الجارية المتعلقة بإعزاز ديننا وأخواننا وأنفسنا فتال بذلك
أجر المجاهدين وشرفاً عظيماً نفتخر به نحن وأحقابنا من يمدنا الى يوم الدين .

ثم قال وان جميعنا هذه قد اختارت أن تجعل مركزها الموقت في مصر ومصر دار العلم
والحرية وكانت أخذت في العمر ان يسرعة ولولاها ان سعيه وتطول الساعات وسقوط نفوذ
الفرنسيين محارب السبعين وانفراد الانكليز وبأسهم من قبول المرض التريض وتهاجر
قوات الدول بنوازيها بقيت تلك الحركة العمرانية مستمرة ولما رجع الشيخ الى دور الاختلال ،
لا يقي الاين في دور الاختلال ،

ثم خاطب (السيد القرآني) هيئة الجمعية فقال : أيها السادة لا غرو ان يكون
أثر الاخوان سروراً بانناج سعي وسياحي هذه الخطوة الكبيرة في هذا السيل
ويزيد من سهيل التولي ته الى البداية أن يسهل السير الى النهاية ولا يعز على الله
شيء والعراشم لاشك تذلل السلاطم .

وأيها السادة ما أراكم ان شاء الله بمهمات ما يحصل ويتم ولا استغني أن
تفقد في آرائكم ولو عن بعد وتسعفوني بأدعيتكم بالتوفيق . وليس هذا اليوم آخر
عهد جمعيتنا بل يلزم أن نجتمع أيضاً في هذا المحفل رابع أيام التشریق فتكون تلك
جمعية الوداع . وفيها يكاتفكم حضرة الاستاذ الرئيس ببعض تدابير وبشأن يجب
اسرارها فتوقروا في الصدور لا تسجل ولا تذاع وفي ذاك اليوم يتم بتسهيل الله طبع
سجل مذكرات جريدتنا الى هذه الساعة (بتلمحة الجلالتين) فيوزع عليكم نسخ منها
كل واحد منكم أربع من ضبط المناقشات على القانون ونسخ جديدة من مفاتيح الكتابة
المنوعة . ثم يفتح المحضر الاول مذيلاً بتراجم الاخوان بصورة أكثر تفصيلاً

ثم قال : ثم بعد ذلك سألهم عن ما أخذت بالأمس رسالته من أخينا
لدينا في يوم من الأيام من موافقة الجمعية كما بينت ذلك قبلاً فهو

بقرئتم السلام ويدعو للجمعية بالتوفيق ويطلب أن أتلو عليكم قصيدة له يخاطب بها المسلمين

فقال (الاستاذ الرئيس) وعاه السلام وأمر بقراءة القصيدة فقرئت وأبنت منها بإشارة الاستاذ الرئيس بعض أبيات وهي .

غيرتم يا حيارى ما بأنفسكم فقير الله عنكم سابع التهم
الله لا يهلك القرى اذا كفرت وأهلها مصلحون في شؤونهم
ترك التآمر بالمعروف وأورثكم ما حاق من نذر يازلة القدم



يا قومنا صححوا توحيد بارتكم بدون إشراك أحياء ولا رم
وتقحوا الشرع من حشو ومخترع رُجعي الى دين أسلاف ذوي ذم
خذوا بمحكم آيات منزلة وستة بينت في الفعل والكلم
دعوا البدائع في الدين وان حنت ولا يفرنكم تأويل محكم
ساحة الدين في فكر وفي عمل خير من الإصر والأغلال والسقم
ساحة الدين من الله خالفكم بها عايكم دعوا انكفرا ان بالهم
وحافظوا ملة بيضاء ساطعة وبسحة قد جنتكم كل مقتم
راقت فضائنها في كل فلسفة قوامها حكمة تقضي الى شمم



هذي وسيلكم لا غيرها أبدا فاسموا نهضتكم يا خيرة الأئم
في غير جامعة التوحيد ان تجددوا من جامع لكمو اسم ذوي رحم
سياسة الدين أولى ما قاس به شتى الخلائق من عجب ومن عجم
فيها الحياة وفيها حفظ رايتكم خفراء سوداء حول المكن والحرم

— ذيل —

قررت الجمعية في اجتماع الوداع التسعد في رابع أيام العيد بمض أمور مهمة ينبغي أن تسر ولا تذاع غير أنها رأيت أن يلحق منها بهذا السجل ما يأتي فقط .

﴿ قرار عدد ٦ ﴾

ان الجمعية بعد البحث الدقيق ، والنظر العميق ، في أحوال وخصال جميع الاقوام المسلمين الموجودين وخصائص مواقفهم والغثروف المحيطة بهم واستعدادهم وجدت

أن الجزيرة العرب والأهالي بالنظر الى السياسة الدينية مجموعة خصائص وخصال لم تتوفر في غيرهم . فرأت انجمية أن حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم لا يقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقاً وإن انتظار ذلك من غيرهم عبث محض . على أن لبقية الاقوام أيضاً خصائص ومزايا تجعل لكل منهم مقاماً مهماً في بعض وظائف الجماعة الاسلامية . مثل ان معاناة حفظ الحياة السياسية ولا سيما الخارجية متعينة على الترك المنانيين (١) ومراقبة حفظ الحياة الدينية التنظيمية يليق أن تناط بالمصريين والمقام بنوام الحياة الجندية يناسب أن يتكفل بها الأفغان وتركستان والحزر والقوقاس يميناً ومراكش وإمارات أفريقيا شمالاً . وتدير حفظ الحياة العلمية والاقتصادية خير من يتولاها أهل ايران وأواسط آسيا والهند وما يلبها .

ولما كانت الجمية لا يعنىها غير أمر النهضة الدينية رأت من الضروري أن تربط أمالها بالجزيرة وما يلبها وأهلها ومن يجارهم وأن تبسط لأنظار الأمة ما هي خصائص الجزيرة وأهلها والعرب عموماً وذلك لأجل رفع التعصب السياسي أو الجندى ولأجل إيضاح أسباب ميل الجمية للعرب فتقول

- ١ (الجزيرة) . هي مشرق النور الاسلامي
- ٢ « الجزيرة » . فيها الكعبة المعظمة
- ٣ « الجزيرة » . فيها المسجد النبوي وفيه الروضة المطهرة
- ٤ « الجزيرة » . أنسب المواقع لأن تكون مركزاً للسياسة الدينية توسطها بين اقصى آسيا شرقاً واقصى افريقيا غرباً
- ٥ « الجزيرة » . أصل الاقاليم من الأخطاط جنسية واديان ومذاهب .
- ٦ « الجزيرة » . أبعد الاقاليم عن مجاورة الاجانب .
- ٧ « الجزيرة » . افضل الأراضي لأن تكون دياراً أحراراً بعددتها عن الطامعين والمزاحمين نظراً لفقرها الطبيعي .
- ٨ (عرب الجزيرة) . هم مؤسسو الجماعة الاسلامية اظهروا الدين فيهم . (٢)
- ٩ « عرب الجزيرة » . مستحكم فيهم التحاق بالدين لانه مناسب لطبائعهم الاهلية اكثر من مناسبة لغيرهم .

(١) لا هم من العرب . في قوله « الترك المنانيين » أي المرأوة في المقال والثلون في الاحوال .
(٢) وكذلك من بينهم من انتسب لفاطمة بنت العزرات ودجلة والتاريخيين الى افريقيا

- ١٠ «عرب الجزيرة» . اعلم المسلمون بقواعد الدين لأنهم أعزهم فيه وشهد لهم في أحداث كثيرة بالثبات في الإيمان
- ١١ «عرب الجزيرة» . أكثر المسلمين حرصاً على حفظ الدين وتأييده والتمسك به والمهنية النبوية لم تزل قائمة بين أظهرهم في الحجاز واليمن وعمان وحضرموت والمراق وأفريقيا
- ١٢ «عرب الجزيرة» . لم يزل الدين عندهم حنيفاً لغيراً بعيداً عن التشديد والتشوين.
- ١٣ «عرب الجزيرة» . أقوى المسلمين عضوية وأشدهم ثقة لما فيهم من خصائص البدوية . (١)
- ١٤ «عرب الجزيرة» . أمراؤهم جامعون بين شرف الآباء والامهات والزوجات فلم تختل عندهم .
- ١٥ «عرب الجزيرة» . أقدم الأمم مدنية مهيبة بدليل سعة لغتهم وسمو حكمتهم وأديانهم
- ١٦ «عرب الجزيرة» . أقدر المسلمين على تحمل قسوة المعيشة في سبيل مقاصدهم وأنشطهم على التغرب والسيارات وذلك لبعدهم عن الترف المذلل لأهله .
- ١٧ «عرب الجزيرة» . أحفظ الأقوام لخصيبتهم وعاداتهم وهم بخالطون ولا يختلطون .
- ١٨ «عرب الجزيرة» . أحرم من الأمم الإسلامية على الحرية والاستقلال إلا ما الخيم . (٢)
- ١٩ «العرب على الإطلاق» . لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف ومعونة بالقرآن الكريم من أن تموت .
- ٢٠ «العرب» . لغتهم هي اللغة العمومية بين المسلمين الباق عددهم ٣٠٠ مليون .
- ٢١ «العرب» . لغتهم هي اللغة الخصوصية لمائة مليون من المسلمين وغير المسلمين .
- ٢٢ «العرب» . أقدم الأمم اتباعاً لأصول تساوى الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية .
- ٢٣ «العرب» . أعرق الأمم في أصول الشورى في الشؤون العمومية . (٣)

(١) وبقوه ذلك لا يزالون يأخذون خراجاً ممن يأخذون باسم هدية (٢) هذا هو سبب عدم انقياد أهل اليمن ومن يليهم للمسلمين (٣) يشهد لهم بذلك القرآن في قصة بلقيس . مع سليمان عليه السلام إذ قالت مخاطبة الملأ أي المستشارين الاشراف «يا أيها الملأ أفئوني في أمري ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون» قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين . قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أخذوها

- ٢٤ * العرب * أهدى الامم لاسون الميثة الانشائية .
- ٢٥ * العرب * من أحرص الامم على احترام العهد وعزة واسترام فداء فداية واحترام الجوار شهامة وبذل المعروف مروءة (١) .
- ٢٦ * العرب * أنسب الاقوام لان يكونوا مرجعاً في الدين وقوة للمسلمين فان بقية الاقوام قد اتبعوا هديهم ابتداء فلا يأنفون من اتباعهم أخيراً .
- فهذه هي الاسباب التي جمعت جميعاً أم القرى فتعبر العرب هم الرسلية الوحيدة لجمع الكلمة لدينية بل الكلمة الشرقية والجمعية فقال الله تعالى أن يوفى ملوك المسلمين وأمرأهم لا تطلب في الدين وللعزم والعزم عظامهم يحفظون عنهم ولا تعطاهم الى أن يرث الله الارض ومن عليها وأن يحميهم من التعصب السيئ بتبائعات والتبائعات ومن الكبر والافتة ومن اتخذ ذل والافتام ومن الانقياد الى وسوس الاجانب الاضداد ثلاثياتهم الخطر القريب المحقق بهم وتخالطهم النور الحادثة في ربابهم والله الموفق واليه ترجع الامور .
- وهكذا تمت الاجتهادات وختمت المذاكرات وأوفى الجمع على وعد الاقاي .

باب التبريد والتعليل

(١) لا يسلم وجه الشمس من كلف

- وهذا لا محس من سببها في لورد الاشارة الى لورد من سببها
- وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (١) يكفي برهاناً على ذلك بحجالة أهل الجزيرة لسباح الافرنج — ما عدا ذلك من الامم التي انفع اليها ايزمراج وقال عليها بعد عابدين رتبة باننا — وترجع اليهود المهجرة لبلاد العربية — وهم اشراك البلاد العربية الثمانية في سوادت النذر من الاسيرة كانوا مل وما ردين وسردون فبين والمدن العربية من ولاية باب وأما حاد اذلة ايزم والنام وحلب في القرن الرابع فما كانت متولدة من قسب ديني أو جنسي تنسب بل من غشور جماعة من الازد ولا زكركر وجماعة من المايه بن بناميون الايام .
- (*) من سبب من كتاب أمير القرن التاسع عشر في التربية

بأنهم لم يهتموا بتدوين آداب الإلهاء واستخرجوا من الأوساخ القومية فلا تجد
عبادة من العبادات إلا وقد وجه إليها العلم ضرره من البحث لا قبل لها بمقاومتها
وأصبح ما كان يحمله الناس من اللغات والنقوش البريائية والحروف مغميات لا سبيل
إلى الاهتداء إلى معانيها وقد نبذت مآلياتها وألقت بين يدي العلم مقاليد هاروا لمحت
إليه أسرارها ولم يفن عن الأغاليط التي شيها من الدهور أنها قيمت رؤسها في ظلماتها
وسنرت نواحيها في حنادسها فانه لم يبق في كتبها أن تفاج في التقرير بالعقل بما لها
من القدم فقد عرف سبب حدوثها وكشف الستار عما كانت ترتمله فرائص الاقدمين
من المجردين الخيلية فعرف الانسان نفسه وكله دهش واستغراب لحوفه وفرعه لانه
قد عرف اليوم كيف نشأت الآلهة (١) ورأى مذاهب كان لها مالبدييات من القوة
والرسوخ فصارت وتلاشت امام العلم بالدواميس الكونية التي كان يتوهم ان هذه
المذاهب فونما وأبصر أسراراً مستعلقة كانت تعاضت على العقل أذغنت إليه الآن
فرضي بحكم فيها بكشف أصلها وبيان منشأها

من الظالم والإجحاف عدم اعتبار هذه الحركة العلمية في تربية الناشئين فليخبرهم
ان لا يدخل المدارس ما وصل إليه العلم من نتائج بحثه الا بعد قرن من ظهوره لو دخلها
(انتقاد آداب اللاتين اليونانية واللاتينية)

أنا لأريد الآن ان اشتغل من وجوه الانتقاد الالما يتعلق بآداب اللاتين
اليونانية واللاتين وأقول قد اعتاد الملحدون ان يفردوا هذه الآداب بالدرس دون
بقية آثار الإقدمين كما لو كانت آداب كل لغة فرعا مستقلا عن تلك الآثار ولا أراهم
يستندون في ذلك الا إلى وهم عُيِنَتْ من قبل بدحضه ولهذا تراني ذكرت دلاميل
أسماء آلهة غير وما ورد من صفاتهم في أساطير الهنود وقصص عليه أنهم وقتاتهم
وسيركونون من معارفه القدماء ولم يبق عليه الا ان يعرف كيف أنهم كانوا يؤمنون

(١) يشبه كلام المؤلف ما هنا ان يكون تقرير المذهب الماديين ويدل بفحواه على
أنه لا يعتقد بالله ولا بآلائه ولا بصحة المذاهب الدينية في هذين المعنيين وينسب
إلى التواميس الكونية كل ما كان وما يكون ويزعم ان العلم قد هداه إلى أصل معنى
الالهية وهذا كله من غرور العقل نموذ بالله منه ومن القلو في النظر وما يؤدي إليه
من الاثر والبطر كيف يصل العقل إلى كنه الآله وهو لم يصل إلى كنه نفسه تعالى
الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والمنزله ولا مثاله أنهم نشأوا على دين مناقض للعقل

الاستفسار ويجوبون الاقطار وكيف ان انوارهم تضيء في كل انوارهم في كل وقت
حيات متباينة وهو أمر لما يحجب وقته .

ذكرت من شعراء الافاق من حمير والهند المتألمة أودوا أو أدري ما الذي سدد
على الالامدة من تفهم المعلمين ياهم ان ديوانيه الموسوم أحدها بالملباد (الاوليازم) والثاني
بالعديبي هما من ابتكار رجل من الفارين اذا كان جميع الناس اليوم يعلمون كيف
تولدت القصص الشمرية الخالية في الالام القديمة والحديثة

لاريب ان في هذه القصص سخا من كبرى وعبرنا جولة غير اني سأتحكم كل
الشيء ان أجهل سيرة أثيري (١) مثلا لنفوس باء الاميل في خديفة في سيرة فان
هذا المعلم الذي عرفنا من دونه قارب من منزلة أثيري في حرم كبرى
ان أبي عليه قومه حارية رقيقة كانت محلا لاطماعة وكان هذا في طبول حدة
وزايا الحرب وشداها لم يكن حقيقا سيرة الامثلة في دونهم ان تفهم في سيرة
واعانتهم اياه على خصمه لشجاعته غير مراعين إغفاله لواجبه قد جعلوا عاقبة الحرب
عبرة سيئة وهي ظفرو بهكتور (٢) أي ظفر المايض الحربي بالوطنية الصربية

لم يقتصر الاقدمون فيها جهلوا من الامور على انكرهم بعض الاستقوال التي هي
الآن أساس وجدان الانسان بل اهتم تركوا فاما ميراثا من الاياطال والمذاهب
التي تدعو دراسة كتبهم الي بقائها ان لم يقارنها الاخراس والمذوقان بحرامات الناس
من آثارهم قد حى كثيرا من المنظم المرمية قرونا عديدة من وراثتنا القتل والذلال
يتودها عنها وان المغمم منا بالمطالعة المفرط في الميمنة بين كتبه المفرط فيها بين ابناء
وقته نرى في أذنه أوقاته ملل التأثير حسا يمتدح في الناس من العلماء والسياسة
الكثرة التي يرجع أصلها الى أخلاق الافاق من وعواظهم

ان الحضارة اليونانية كان لها من وجوه الحسن ما يشير الإعجاب بها ولو ان
مأياها كانت بارأيتها بعدا مازالها كانت الا في غاية الرضى عن ذلك ولكن
لأنه ان يكون خدعة التشدد في ميله اليها لما فيها من وجوه القبح أيضا فاشد
ما احفر فيها الرقيق وبعثت قيمته ونسبت حقوق البؤساء والمظلومين فلم يحض عليها

(١) أنيل في أنيل التي هي اطلال يوناني أمام بيتين ولى قله ماريس في
حد اطر وادة (٢) وهو في هذا المظهر هو ان يرام وعقوبة وزمخ اسرووك ومال
استياكس وله أنيل اخذا بشارية وقل

أحد أهم الأسباب من أوزارنا أنتمت من أعماق وجدان الإنسان ومساكنها
بعد اختراق حجبها من الأثر، إن ولكم هلك في سبيل تلك الحضارة من أجيال
وباد من إنسان ولم يكن فيها أحد يعنى بتخفيف مفضل البؤس الذي كانت تقاسيه الدهاء
ولم يكن العمل يستوجب للمعامل أدنى حق من الحقوق لأنه لم يكن يصلح إلا لأيدي
الطعام نعم إن ظاهرها ومنظرها كان موقفاً من مازدانت به من الفنون والشعر والدين
السمح والآلهة الباسمين في وجوه الأبطال كان يكسو تلك الأمة المقبضة بروداً جمعت
كل ماله كمال المنشود من خروب المظم والبهاء ولكن العبرة بالخبر لا بالنظر
التاريخ الروماني هو دون التاريخ اليوناني بكثير لا لأن رومة لم تنتج رجالات
كباراً بل لأنها كانت تفرط في عبادة القوة وقد لاقت جزاء هذا الإفراط فلما بعد
أن استعبدت غيرها من الأمم آل أمرها إلى استعباد نفسها فلتقل لي هذه الأمة
الدائمة وقد أظهرت للعالم مالا تنتج من النتائج اللازمة لما هي الأمم التي علمتها والشعوب
التي أساحت شؤونها؟ أرى الناس تميلهم أخبار غزواتها ونهزمهم أحداث نصراتها ولا
أرى أحداً منهم يهتم بتصويب أساليب مصائبها ليشفي من جنون الحرب ويرأى من هوس القتل
إني إذا قرأت «أميل» اليونانية واللاتينية وفجرت له بذلك ينبوع الآداب
القديمة والتاريخ كان قد ربي منه ولا شك توسع عقله وتنمية إدراكه بيد إني أرمي
إلى غاية أخرى أمكن في نفسي من هذا وهي أن أنشئ في نفسه الاستعداد للسلوك
في هذا الكون ذلك لأن ما تضمنته تلك الآداب من أسس الإقدام النفسي والاخلاص
في العمل وحب الوطن أشد في قلب اليافع تأثيراً وأبلغ في نفسه موعظة من جميع
ما يقوله الخطباء ويوصي به الحكماء بل إن في نفس التحمس الذي يبدو منه في
استحسانها بذلاً لنفسه لأنه يخرجها من معقل امتناعها ويخلصها عن عرش صلفها
ليسويها بمن استحق الحياة استحقاقاً صحيحاً وأني لأقسط من فلاح الطفل الذي لا يروقه
شيء وأما من آتس من نفسه التأثير بما لم يره من بهاء المظلمة وروقتها فذلك الذي
أوتيت نفسه سرّاً من أسرار الله أن فضائل الفارين أبلغ من فضائل الحاضرين في
خلف الحيل بما عليها من مسحة القوة والبسالة وأعمال اليونان والرومان لبعدها عنا
بحسب ترتيب الأزمان محلها البعد والغربة ببعض السمات التي قد تغالي بها فتجعل
لها من القيمة فوق ما تستحقه ولكن ذلك لا يزيدنا إلا الحاجة في دعوة الناشئين إلى
أجلالها وأعظام قدرها وإذا علمت ذلك رأيوني غير مخطئ في التعميل على تأثير الأقدمين

في ترقية أفكار ولدي وتهذيب خلقه

على أنني أعلم حق العلم أن جميع ما خلفوه لنا لا يدعو الى الاعجاب على النواء
فما سيديون (١) الذي جندل آييال (٢) ودمر قرطاجة (٣) مثلاً بل بطل الذي سأسرع
الى سيرته ذهن « أميل » كلا بل اني سأوجه كل همي الى تفهيمه أن ما يلاقي من
الهمائم اجلالاً لوجدان الحق أعلى منزلة وأعظم خطراً من الانتصار ببيض الصفاح
وسمر الرياح وأن المجد الصحيح إنما هو في علو النفس وشرفها وسأقول له أرايت
اليوم الذي انتصرت فيه رومة على قرطاجة فذاك هو اليوم الذي وفي فيه ريجولوس (٤)
بهدء فانطلق الى أفريقيا وحده لا يتيه عنه لاجة زوجته وأولاده ولا دعا اخوانه
وأصدقائه مع علمه بأنه ملاق حتفه وساع الى هلاكه . في ذلك اليوم ظهر أن رومة
قد برزت على قرطاجة في صدقها ووقارها ولم يكن تبرزها عليها في غير هاتين الفضيلتين
الا أمراً مرتها بوقه اذ كان لا بد لقرطاجة من الغلب والفهر

لا سراة في ان الجمهورية الرومانية أيام مجدها وعلوها كانت تسفر عن أخلاق
شريفة وطباع كريمة وليس كذلك حالها في عصر تدهورها واضمحلالها ولو اني أردت
تفسير « أميل » علة هذا التبدل له لخصرتها في إعواز الفضائل الجمهورية إغوازا كان
سيداً لتجتاح الحكم المطلق في رومة وطول مدته قامت أفتى على الحرية ما قد
يتأبها من الاخطار المادية ولا أُرهب على رومة ان يقف بابواها التركيدون (٥) او
بورشينا (٦) يتهمون الاستيلاء عليها مادام فيها امثال موشوس سيفولا (٧) وإنما الذي

(١) سيديون واسمه ايميليان الملقب بالافريقي الثاني كان رابع أولاد بيلس أمبيل
ولد في سنة ١٨٥ ومات في سنة ١٢٩ ق م تبناه عمه الذي هو ابن الافريقي الاول
من أسرة سيديون وكان على يده انتهاء الحرب الثالثة بين رومة وقرطاجة فكانت هي
خاتمة هذه الحروب فانه أخذ قرطاجة في سنة ١٤٦ ق م « ٣٥ » ايال هو قائد
قرطاجة تولى قيادة الجيش في الحرب الثانية التي حصلت بين قرطاجة ورومة وامتد
انتصاره في مواقع كبيرة هزم سيديون فانهج باسم تخلصاً من انتقام الرومانيين
« ٣٥ » قرطاجة مدينة أفرقة قديمة « ٤٤ » ريجولوس قائد روماني قتله القرطاجيون
لانه أرسل من ق م الى رومة لمساوصة في المبادلة بالأسرى فكلم في مجلس الشيوخ
عليه اني هذا الطلب وعاد الى قرطاجة فمات صبراً (٥) التركيدون هم بعض ملوك رومة الاولين
(٦) بورشينا هو ملك أروريا حاول إعادة التركيديين الى ملك رومة فهدده موشوس



نفسنا هي موطن الظلم ومكان البني فأنادي علينا هو ان نحارب فيها ونجلب
 فيها ذل عدو الملك الظالمين واجلاء الجيابة الفاشمين ومن أجل هذا لم يك ينفع
 نفوسنا الا ان نقرأ بعين القيصري فان قلب رومة كان مقروحا بالداء القيصري
 كان اولي بذلك الرجل وقد أراد ان ينزع تاج الملك ممن كان مستعداً له ان
 يرجع اولاً الى قلبه فينزع منه كبر الاشراف وآفة السراة ثم ينزع ان استطاع من
 نفوس قرانه ما علق بها من الرذائل والفتايس التي تقتضي وازعاً يرد من جاحها
 ويكشف من رثائها ولولا تقصيره في ذلك لاستحق ما آتاه من الأعمال الدالة على
 الشهامة والبالغة ان تفيض به صحت التأثير بل ان هذه الاعمال كان من شأنها ان
 تؤخر استقرار حكم الاستبداد ولكنها لا تستطيع ان تقوم بالامة من وهدة انحطاطها
 أحدثت في أخريات أيام الجمهورية الرومانية أحداث كثيرة شوهت محاسنها كالنظام
 العسكري الوحشي وإعداد الدماء وضرب التعذيب والإطعام الحبيسة وبيع
 النخبة من أشراف الأمة والأوتاد والخلق بمجاعة الظفر على أنه كان لا يزال
 يظهر في جهات مختلفة من قرارة الدماء المتهوكن المنحطين بعض الاخلاق الفاضلة
 تلهوهم المسجون التي تشرف على احوالهم المياه المنخفضة، ولا تقوط من ارتفاع شأن
 الحرية ما بقي في الناس أباة للضم موقوفون يظفروهم في الذود عنها فان هؤلاء يشهدون
 الجهاد في سبيلها وقد يلاقون الهزيمة فيه ولكنهم لا يشهدون اندثارها اندثاراً لا قيام
 منه وانما ترهق روح الامل من حياتها متى انحازت العقول بعد كلالها وهي صامته
 الى سكونة مائة لكنها ساكنة مطمئنة تلين للمحكومين كلما شعرت بازدياد أمنها
 وزوال مخاوفها فأنسر نظام سياسي على أمة من الأمم انما هو الحكم الاستبدادي
 المجرد من الصرامة والقسوة وكذلك كان حكم أغسطس للرومان

كان عجب الأمة في ذلك الحكم لا يزال يتغذى ببعض ضروب من الفرور غريبة
 ككونها لا تزال خير أمة بل أميرة الأمم وكون أعلامها وألويتها لا تزال مبهجة في
 في الخارج وكونها تنصهر على التوحشين من حين الى حين وكونها صاحبة الآلهة

سيفولا فولي مذعوراً (١) موشوس سيفولا هو رجل روماني أراد ان يقتل بورشنا
 ملك الرومان فأخلاه وقتل كاتم أسرارهم وأراد يظهر لهذا الملك ثبات الرومانيين
 فوضع يده اليمنى في جذوة نار مستعرة

وحدث الكائنات من الجيلة والآثار الفعيلة التي تروق الأجانب وكونها
جددت بناء رومة وهي المدينة الأبدية من قواعدها إلى مقوقها - كل هذا صحيح
ولكن واحسرتا فليست تعبها الحيوان ولا إنشاء القلاع والحصون ولا بناء المعابد مما ينفي عن
الامة من مقروطها شيئا فقد بقي معبد المشتري المسمى بالتابلتول في رومة بعد فناء الرومان
ليس لي الا كلمة أقولها في شعراء عصر أغسطس وهي ان أحسن هؤلاء الشعراء
قطعا في نظر الملوك فرجيل وهوراس فهما اللذان أحب ان يحمل كتبهما في أيدي
الناسين أكثر من غيرها وان كان كلاهما قد تجرد في معظم ما كتب من شرف النفس
وكرامتها ألم يلاحظ من قرأ غيبية^(١) فرجيل ان نفس منزاها ملكي وهو مفزى
ما كان يرد - على ما أرى - في ذهن شاعر زاهر الخيال في أيام الجمهورية الجميلة فقد
وصف فرجيل بمدوحه المسمى عني بالإنسان الذي تجلت فيه العناية الإلهية وتوحدت
في شخصه الامة وبأنه المنجي لأمته المؤسس لحيله ومثل هذه المعاني يرى عليها أنها
موسومة بمسمى الملك الذي برزت في عهده ومطبوعة بطابع القرن الذي ظهرت فيه
وسواء كانت حسنة أو قبيحة من حيث النفس فهي تشف عن حالة العقول في ذلك العصر
وتسفر عن الخطبة التي رسمتها فيها الحكومة الداتية حتى في نفوس الخيام من الامة
ان أجود الأشعار وأحسنها ليس في استطاعته ان يخجب دناءة النفس ولا ان
يستتر خسة الطبع وان قد كان شعراء اللاتين قدوة سيئة لفهم بما كان يسود عنهم
من ضروب التعليل الخسيسة وأنواع المدايح التي كانوا يطرون بها أغسطس تحميفا
لاغراضهم وتبلا لامانيهم فأسسوا به في الدنيا من حيث لا يشعرون وظيفة الكتاب
والشعراء المترفين على أن فرجيل وهوراس كانا أميرى هذه الصناعة ولم يكن غيرها
فيها الا من أتباعهما

أخص لك ما تقدم فأقول : ان دراسة آثار الأقدمين تختلف ثمراتها باختلاف
الطريقة التي تبشر بها فاجلال هؤلاء بلا قيد ولا تميز ولا نقد يؤدي الى ما تؤدي اليه
جميع ضروب الوثنية وهو صغار النفس وضمها ذلك بان ما يؤثر عنهم من المحفوظات
والخرافات والكتب والأشعار الحسنة له من الظلم والتحكم في النفوس مالا يقل
الحشية منه على الناس عن خشية ظلم الحكام الفاسدين ومحكم الطغاة المستبدين

(١) غيبية فرجيل قصيدة قالها في مدح عي وهو أمير طروا دي ابن انشيز
الرماء وسفه فيها بأنه مؤسس النسل الروماني

وهو هذا يعجل الدجيب من أنه بعد اليوم من تلامذة اليونان والرومان من يلتصقون
في علوم تيران وسائل للذود عن مصالح العابرين ومرة الطائفة وهم من يرومون منها
دواء عابدين البحرية تكلف عنها عوادي البائسين

نحن على ما فينا من النقائص كلها احسن من الاقدمين حالا وأرفع شأنًا وان جاز
عالمنا إلى والأفهم لنا لاجاز عليهم ذلك لان فينا قوة البهوض والارتفاع الى ما اعطيتنا
من ان اعلم انهم انهم لا كبيراً يسود وجدنا فكلنا ابتأ خرفنا عنهم في الوجود قد
أخذنا على أنفسنا ان نكون خيراً منهم لان وجدنا الواجب كوجدان الحق نحو
ويرتقي بمرور الزمان وامبري انه لا ينكر ما لا تمدن العسري من ضروب التأثير في
النفس والمقول الا مكابر خبيث العلوية ولست أريد بما قلته اما أصبحنا بهذا
التمدن اكثر من الاقدمين أخلاقاً فاضلة وطباعاً يابسة ومعارف واسعة ومحمساً في
الميل الى الحسن كلاً ثم كلاً بل أريد ان معاني المدل واحترام حق الغير قد شاعت
فينا ودرست في نفوسنا فصرنا اكثر منهم اهتماماً بان يخالفونا في المناصر والاحوال
القومية والاقاليم والوان الجلود فتحن الآن من حيث كوننا من بني الانسان أقل
من اليونان والرومان بعداً عن كل ماله ماس بالانسانية . اهـ

﴿ مسألة الشيخ محمد شاكر ﴾

جاء في العدد ٥٥٤٥ من جريدة الديش تونيزيين تحت هذا العنوان مانسه
نشرت جريدة الديش تونيزيين الصادرة بتاريخ ٣٠ نوفمبر الأخير فصلاً اضافياً ببيان
لنشاطه الشيخ محمد شاكر أحد ائمة جامع سفاقس الذي استجذرت له الحكومة مقالته نسبة
الى الحاضرة بناء على شكوى قدمها اليها قاضي تلك المدينة ومفتيها وبمده بالمراد
من وظيفة التدريس

وقد أوردنا في ذلك الفصل موضوع هذه الشكوى إذ قلنا إن الشيخ كان في خلال
دروسه بالمسجد يعطى في التقاليد ويذكر المعتقدات الباطلة والفلواهم الخارجية المقتبسة
من خرافات العجائز وتخريصاتهن وأوردنا مثلاً عليها زيارة قبور الأولياء المصحوبة
بتقديم التدوير على اعتقاد الخطوة بواسطة هؤلاء الأولياء في تحصيل المانع ووقاية الذات
من طواريء الخلدان وقا إليه نسب هذه الأضاليل الى ما نزل في دين الاسلام العاصي
المهل من بقايا عتائد الوثنيين وقال إن كثيراً من التقاليد التي تسير عليها بعض الطرق
الاسلامية كالميسوية مثلاً مناقضة كل المناقضة لا تواعد التي بني عليها الدين الاسلامي

ولا يخفى ما يترتب عن تلك العادات والمعتقدات من إهانة الأمم عن التروض من
كبرية التأخر ومنعها عن بلوغ الشأو البعيد من التقدم والارتقاء واستبدالها ظلمات
الجهل الذي يزيد تلك الأمم وأمتالها مصابا على مصابها.

فمن الواجب والحالة هذه إنفاذ طبقات الناس من طامات التقاليد وليدع والمعتقدات
الفاسدة التي لا غرض لأصحابها غير ابتذالها بها لتبصير سعادة الدنيا بحمل البصائر
والسذج على الاعتقاد بأنهم من الدين وماهي من الدين في شيء بل الدين منها براء

وقد حتمنا ذلك الفصل يومئذ بقولنا «فإذا كان» ذكرناه قد وقع فعلا فانا الأمل
الوطيد في أن تقام الحكومة التونسية عن متابعة أهواء القاعين بأمر التسرع في
مناقض من قاص ومفت به أن تغلب منها بهرا في النظر وسمعة في الصدر»

وكنا نلن أنه يكفينا مجرد سرور دقات تلك الحدة كي تنكسر الوقاية من الاضطهاد
لرجل فاضل لا عيب له سوى أنه فاق بني أشباهه فبقوا عظيما بعد النظر وحرية اللسان
ومصدق القول وكان ينبغي أن يحزى عنى هذه الزاوية بالتشجيع والتعصيد

نأسف الأسف المر أن تكون الحكومة التونسية قد تعصبت مادموناها إلى حتى القضاة
في تصرفاتها إلى قرارات المفردين بما لا يرضى عنه مندوحة عن البحث في عواقبه ونتائجه

فما لم تكف بفضل الأستاذين ومدرستهم من برار من الوزير الأول بل سلبت منه
لقب «مؤرخ» الذي يفيد أنه حائز على إجازة في العلوم والفنون في الجامع الأعظم
ولذا رأينا أن لا نجري ذيل التغافل والسكوت عن هذا الحادث الذي يوجب الكدر والأسف

ليكن الشيخ محمد شاكر الذي فصل بين وطبقته من الطاعنين في العمر كما قدم خطأ
وأنه «مؤرخ» في بيان العمر ونسبه الشيخين الذين كانا من الطاعنين ومنع كونه

كعالم البصر كان في مقدمة طلبة الجامع الأعظم بابهود كما يدل إجازة المالية التي
استردت منه ظلما وعمداً وكان ذلك الشيخ الشاب يتأق غير الدرس المعتادة في
الجامع الأعظم علوم المدرسة الخلدونية (١) ونجأهم هنا بأعلى صوتنا بأن الفضل الأول
لهذه المدرسة إلى اقتباس منها تلك الأفكار العالية التي انقضت عليه بسببها صواعق

غضب الطبقة العميقة من المسلمين

ويضاف إلى ما تقدم أن ذلك انشأ من ثم ما يحدث الآن في الدرس المصري من

(١) المدرسة الخلدونية تأسست في تونس تشبه مدرسة دار العلوم في مصر يتعلم فيها بعض طلبة

الشيخ الداعي وهو في مقدمة المنعجين بالشيخ محمد عبده قاضي القضاة في مصر (٢)
الذي هو من كبار النشطاء في افكار البيرة التي توافق المدنية ومن تقامهم وله مؤلفات
ومسود في آخره تشهد بصدقه اطلعه بقصد إعادة الاسلام الى ما كان عليه من
الزوق والتألق من التقاليد والبدع التي من شأنها أن تفرس في القلوب التعصب الديني
وعدم الاحتمال والتسامح وتحمل بين العالم الاسلامي والمدنية سدا منيعا

هذه الحجة تسير عليها جريدة «مصرية» تدعى «النار» يكتب فيها الشيخ محمد عبده
بدون أن يذكر كتاباته ضافته وهي حريصة على ملازمة خطها هذه حرصاً يزداد كل يوم
إن النفس الاسلامي في هذا المهد — ومنه الناشئون في تونس — قد أيقنوا ان
لا تكون نهضة للملاحة العربية الا ببيت مثل تلك الافكار ولهذا تلقت كتابات الشيخ
محمد عبده ومقالاته بالصدر الرحيب ومن واجبات الحكومة التونسية في هذا الوقت
الذي تبه التعصب فيه من سبانه بالبلاد المراكشية وزعزع عرش سلطان منهم بشدة
البل الى الحديث أن تضاء بها في وسعها من الجهد الافكار التي من شأنها بت
تدري الاحتمال والتسامح بين طبقات العالم الاسلامي ولكنها بدلا عن ذلك عاملت
الرجل فتاتي لم تحسن بأساً بالحجامة بأفكاره «عاملة الساعي في غرس بذور الفتنة بل
«عاملة أحقر الناس وأدناهم اذ طردته طرد الاشقياء فأصبح على قارعة الطرقات لا
مال في يده ولا أمل في قلبه

ولو أن هذا الرجل حاول أن يقلب معالم الدين الاسلامي أو لو أنه أبدى من
الافكار والخواتم ما مختلف مبادئه قواعد هذا الدين اقلنا أن الحكومة التونسية
رأمت المحافظة على الامر العام والسلام بين الناس فالتحذت قبله وسيلة من وسائل
الشدّة والخير وتكون المعيرة الزاجرة ولكنها اضطهدته اضطهاداً ديني العصبية في
حين أن حاية فرنسا على تونس تفيد تصدي دولة متدنة لا فاضة أنوار العلوم على
جوع من الناس في حاجة الى العلم والترقي وأي جناح على رجل لجأ الى الاحاديث
النبوية الشريفة مستهداً بها على فساد ما تذهب اليه العامة من ضرورة ارسال
الهدايا الى أمير المؤمنين لكي تنال المنافع بحسن تأثيرهم في أحوال المعيشة اليومية
قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث له « لا تتخذوا قبري وثناً »

وحقيقة الأمر أن ذنب الشيخ محمد شاكر الذي لا يغفر ولا يفي عنه بسببه

(٢) المراد بقاضي القضاة المعنى الأكبر لانه يقضي للقضاة وقد وضع له هذا اللقب ابتداء

هو يترفع على الناس بعادات يتخذها مشايخ الزوايا والمستفيدين منها مصدر آمن مصادر الكسب ويرون ان سيؤل أمرها الى التصوب بالاسنادات اللازمة التي يريها الشيخ في بها بين طبقات العامة

فلما إن الشيخ محمد شاكر كان استاذاً في صفاقس وان الزاوية التي كان يقوم فيها بوظيفته تسمى بزاوية سيدي (كراي) التي يرى العامة في الولي المرفون بها انه الحامي لتلك البلدة وقد استفادت سلانته بشهرته فمكفوا الى الآن فيها يستأثرون بالندور التي تقدم اليه وهم يمشون بواطها في نعيم ورخاء فلما اطلعوا على ما كان يلقيه الشيخ محمد شاكر للطلبة من الافكار المغيرة لمصلحتهم نارت عليه نورتهم فبدأوا أولاً برفع الشكوى الى كل من القاضي والمفتي اللذين استدعيا اليهما الاستاذ وأنبوه على الخطة التي انتهجها في التدريس فاراد الشيخ أن يقيم لهم الدليل على انه لم يمس الدين بشيء مستهدفاً بالكتب مؤيداً حجته بأقوال السلف الصالح ولكنه عبثاً جاهد في هذا السبيل لان المناقشة بينه وبين القاضي انتهت بقول هذا الاخير له «إن الضوء لا يأتي من اعشى» فأجاب الشيخ محمد شاكر «وأنا ادعو ان يخاص الناس من عمايتهم» فاعتبر القاضي أن هذه الاجابة قاضحة له استلزمت استدعاءه الى الوزارة حيث حاول التبرؤ من الذنب الذي عزم اليه ولكنه لم يكن امامها اسعد حظاً منه امام القاضي ولكن من الاسف ان الحكم عليه كان صادراً من قبل لان للقاضي والمفتي الصفاقسين اركاناً في الحكومة يستندان اليهم فطلبوا الاقرار على العزل بالرغم عن المساعي العديدة التي بذلت لديهم في صالح الموزول وقد أمضى الوزير الاول هذا القرار بدون ان يكون مقتناً بمصلحة السيد الذي قضى له

هذا لتسبيل شرح حادثة الشيخ محمد شاكر استاذ مسجد سيدي كراي. قضى على هذا الرجل لانه يجاسر على القول بأن الاباطيل والبدع والتاليد سوا علق الامة وأن أرباب الطرائق الدينية يمشون من سذاجة الأفراد وسرعة اعتقادهم وهذه المثابة يتنون التمسب في تفويضهم

ولا يسي ان حوادث مرغريت ومشاكل مراكنس الحديثة ليست في الحقيقة سوى نتيجة من نتائج التمسب الذي مادام كامناً في أفئدة المسلمين فلا بد لنا أن نتوقع حدوث امثال تلك الحوادث. فلا فزاة اذا زاد عجبنا بعد ذلك من اضطراد رجل لا بد له الا لومته لانقاذ أبناء دينه من ربقة الجهل الذي قوس ظهورهم منذ أجيال ومنهم من المشاركة في التقدم الذي يدفع بالانسانية الى الامام اه

باب الحجة على الأعداء

﴿عربي كريم وولي حميم﴾

في أوائل هذا الشهر جاء نائياً برقي من بومبي (الهند) يقول فيه مرسله ان صديقتكم (محمد عبد الوهاب باشا شيخ دارين) قد سافر اليوم الى الحجاز في باخرة (الامبراطور) من مخرج على السويس. وقد علمت ان باخرة الامبراطور تصل الى (البحر) (في ١١ فبراير) فيحت ألسويس في ذلك اليوم لقاء صديق خاتون الحبي وأحبته على البعد. أحبني في الله بحبه للشار ورضاء عن خدمته بالخدمة. عمله بالبريد "ليه" بفتي به في أمر الدين. وأحبته في الله لما تمت في كرمه الي من أعبر الدنية والاخلاص في كل ما يقول

منه ففكرت منه الفضائل العربية، والاخلاق الاسلاميه، الأمانة والوقار والشهامة وكرم النفس واليد. ومن كرمه أنك ترى منه أبا القري يقصد ام القرى، فهو يسير إليها ركب يبلغ ثلاثين رجلاً أكثرهم من جماعته وحاشيته العرب الكرام وبعضهم من مسلمي الهند. ومن كرمه أنه يمد لكل غداء وعشاء الخوان، وينصب الجفان، وفيها ما شئت من الألوان، ومن كل فاكهة زوجان، ومن كرمه أنه رأي في السويس كثيراً من الفقراء الغرباء يبنون الحج ويتمسكون بالساعة عليه بأن يحملوا بغير أجره في سفينة الخاصة الحديدية قارناح الى حماهم على نفقته وأرسل يطلب من محافظ السويس بيان عددهم وأسماءهم وان كثروا. ومن كرمه أنه لم يرض عليه في السويس يوم أو يومان، حتى عرف منزله فقراء البلد فاتحوه من كل مكان، قالقوه لا يرد سائلاً ولا يجيب آملاً، حتى أننا عذابناه على بسط يده لهم، عند ما كاد يتعذر علينا أن نقف معه من بينهم، ولعمري ان هذا الجواد قد أرانا خير نموذج من كرم خائف العرب وأمرائهم الاولين الذين حفظ التاريخ مناقبهم وخلد آثارهم

وقد نذكر أن يسافر بجماعته في باخرة الخاصة الحديدية (البحيرة) اذ رأى معاً من القادة ويسير العبادة وأخبرناه ان سموه عزيز مصر قد انشأ هذه الباخرة لتسهيل سبل الحج على المسلمين وأنه يسره ان تكون العبادة متيسرة فيها

للمسافرين ولذلك جبال مستخدميه من المسلمين فسر صاحبنا بذلك ورفع الى سمو
العزيز رسالة برقية يشكر سموه عنايته بانشاء هذه الباخرة لتسهيل الحج بها على
النفراء ويشكر حفاوة حكومته به لاسيما محافظ السويس ووكيل المحافظة ويعتذر بضييق
الوقت عن عدم التشرف بزيارة سموه وتقديم الشكر الشفاهي فأجابه سموه بالبرق
جوابا لطيفا هذا نصه

سراي عابدين

حضرة الامير الجليل محمد بن عبد الوهاب امير دارين تحت لواء نجد بالسويس
نشكر حضرتكم خالص الشكر على التلغراف الذي ارسلتموه الينا وتمنى لكم حرجا
مبرورا وصحة وسلامة في السفر والاقامة
(عباس حلمي)

موكب الحج المصري وضعف الدين في مصر

احتمل في هذه السنة بموكب الحج المصري أو الحمل المصري كما كان يحتفل في غيرها
من السنين وما الحمل وهو كوكبه الا تمظيم وإشهار لركب الحج ومن العار السخام
والخزي القبيح على مصر وهي المملكة الاسلامية الثانية التي للحجاج فيها موكب رسمي
أن يكون الحجاج منها أقل من حجاج قرية من قرى نساير البلاد الاسلامية أو أقل من
الركب الذي جاء به صديقنا الفاضل الهمام محمد عبد الوهاب باشا من بلدة الصغيرة (دارين)
يتشدد الذين دين السنهم وأقلامهم قوي متين ، ودين عقولهم وقلوبهم ضعيف
مهين ، ويقولون لا لوم ولا عار على الأمة المصرية ان لم يخرج الى الحج منها في هذه
السنة الا ٢٧ رجلا فان الاغنياء الذين يستطيعون دفع مافرضته الحكومة والخروج
الى الحج إنما تاركوه ، احتجاجا على الحكومة ، قاله عار محصور في الحكومة !! وهذه
الحجة أضف من حجة من جاء المسجد فوجد الباب مغلقا فترك الصلاة متذرا بان
المسجد لم يقبله ! وإنما كان عذر القاعدين عن الحج من الاغنياء أضف لان باب
الحرم أو باب الطريق غير مغلق في وجوههم واذا فرضنا أن المتشدد بما ذكر
غيدار (القيدار هو الرجل يسيء الظن فيصيب) وكانت الحكومة تحب أن تصد
الناس عن الحج في باطنها أو بالجله المحتلين لها على ذلك فهل تقضي قوة الدين بان
تضعف الأمة مامها . ونحمل دينها هداها سهامها . أم الواجب عليها بذل النفس
والنفس في مقامتها وحفظ شعار الدين ، واقامة هذا الركن الركين : الامر ظاهر

والأمر من ضمن الحكومة من هو أشد الناس تسفيرا وتبليغا عن إقامة ركن
الإسلام الذي يدعي الدفاع عنه فحسبنا الله ونعم الوكيل

سكة حديد الحجاز - وضريبة لها جديدة

تلقت ارادة مولانا السلطان بأن يؤخذ قرش صحيح عن كل ورقة تقدم للحكومة في
المدنية وغيرها من الدوائر سواء كانت الورقة مستقلة أو تابعة لأوراق أخرى
كلاوراق التي يجمع بها الخصماء في الدعاوى (المستندات) والمسال الذي يجمع من
هذه الضريبة مخصوص بسكة حديد الحجاز لان نفقاتها تزيد كل يوم باتساع العمل
وفي هذا المقام نتمنى لغيره اخواننا مسلمي الهند واهتمامهم بهذا المشروع
الإسلامي الكبير ونخص بالذكر الاستاذ الهمام الملا عبد القيوم فان الجرائد الهندية
توافينا دائما بذكر تجواله في البلاد وخطبه المؤثرة في الحث على جمع مال الاعانة للسكة
ولم نسمع بأن علما مصريا أو تونسيا تبس بكلمة خير في هذا الموضوع ، نعم ان
الحرية المنوحة للمصريين لم تقدر ان تقذف قلوبهم من الاستياد للحكومة فلو أن
حكومتهم أرادت جمع اعانة لأرادوا او لو ظنوا انها تريد ذلك لبادروا اليها كما امتنعوا
عن الحج لانهم ظنوا ان حكومتهم لا تريد ان يحجوا في هذا العام وهذا ما فكيف لو

(اصلاح لبنان - لائحة للمتصرف الجديد)

أهدتنا جريدة المناظر الغراء التي تصدر في البرازيل رسالة مطبوعة أو « لائحة »
من جماعة اللبنانيين المهاجرين الى صاحب الدولة مظفر باشا متصرف لبنان وهي رسالة
جلية صادرة عن فكر حي تقطف منها ما يأتي

« مولاي : الأمة اللبنانية ، مستقلة في شؤونها الداخلية فهل استقلت على سبيل الاستعداد ؟
ينبئنا التاريخ وتدلنا الحالة الحاضرة على أن الأمة لا تحرك فيها عاطفة الاستقلال الا متى
أنفت من الرضوخ لسلطة الاجنبية وأنها لا تأنف من هذا الرضوخ الا متى شمرت
بطاقتها على ان تحكم نفسها . فالأمة اللبنانية لم تستقل على سبيل الاستعداد

« قد تقدم الاستقلال الداخلي اللبناني نتي مما يتقدم الاستقلال غالبا . تقدمته
دماء ولكن ليست كالدما التي جرت في أميركا سنة ١٧٧٥ وما يليها الى سنة ١٧٨٣ .
تقدمته معارك ولكنها ليست كالمعارك التي حدثت في بولونيا سنة ١٨٣٠ . تقدمته جهاد
ولكن ليس كالجهاد الذي حدث في جنوبي افريقية في السنوات الثلاث الاخيرة إنما الدماء

التي تقدمت استقلالها كاهية دماء الجارية لم تخرج بها نقطة من دماء جيوش الدولة المتسامية ولا دار في خلد اللبناني في السنوات التي تقدمت استقلاله أن يخرج على الدولة التي كان ولا يزال يرفع رايها والمعارك التي حدثت قبيل الاستقلال كاهية أهلية نازلة فيها اللبناني أخاه اللبناني . والجهد الذي حدث لم يخالفه من "روح الوطني ولا فسة دماء تمصب وممارك صليبية وجهاد طائفي . تلك مقدمة الاستقلال اللبناني أو مقدمة المؤتمر الدولي الذي التأم في بيروت في حزيران سنة ١٨٦١ وقرر للبنان حالة السياسة الحاضرة . فانظر يا مولاي ما هي مقدمات الاستقلال اللبناني الداخلي تعلم سر اختلال اللبناني في حكومة نفسه . سر اختلال اللبناني في حكومته لنفسه أو سر الاختلال السياسي في لبنان هو الفساد الاجتماعي الذي كان مصدر المقدمات الاستقلال . فالاصلاح في لبنان يجب ان يكون اثنين - اصلاحاً اجتماعياً ينتهي بالاصلاح السياسي الاختياري واصلاحاً سياسياً يستمر حتى تستقر نتيجة الإصلاح الاول . ما استقلت (يا مولاي) الامة اللبنانية وهي قادرة على سيادة نفسها ولكنها استقلت فيجب ان نجعلها اهلاً لهذه السيادة .

* * *

ثم قال الكاتب بعد ان ذكر ان المصلحة العامة لم تربط اللبنانيين ولم تربطهم وحدة اللغة بل قال انه ليس لهم حتى الآن مصلحة عمومية وانهم ما داموا كذلك فهم في حكم المدمم وبعد ان اوجب البحث في سبب ذلك وجزم بأنه أهم ما يقال في الفساد الاجتماعي قال: مولاي ؟ الارض التي يسكنها الدرزي اللبناني يسكنها المسيحي اللبناني . الهواه الذي ينشقه الواحد ينشقه الآخر . اللغة التي يتكلم بها هذا يتكلم بها ذاك . اذا راجت سوق الحاصلات اللبنانية في الخارج اعتماد كلاهما معاً واذا كسدت اقتصروا معاً فلماذا وعلام اقتتلا ؟

مولاي : ما هو الفرق بين الارثوذكسي والماروني وبين كل منهما والملكي وبين كل منهم والمسلم وبين كل من هؤلاء والشيبي في كل ما هو لبناني دنيوي على الاطلاق ؟ لا تستطيع يا صاحب الدولة ان تجد من فرق فما هو سبب استقلال كل واحدة من طوائف لبنان عن الأخريات فيما هو دنيوي

لا يوجد في لبنان الا أربع مدارس دينية . والمدارس الدينية مشروعة الاستقلال . فهل اقتصر الاستقلال عليها ؟ كلا يا صاحب الدولة ان الاستقلال الطائفي تناول كل مدارس الجيل الاستعدادية والعالية . فما هي مشروعية هذا الاستقلال الطائفي في

التي كانت لها اليد الطولى في

الأمور الدينية والسياسية، وما كان لها من أثر في النهضة العلمية في
الهند وبلاد المغرب والآداب والعلوم مشتركة ما معنى اصطلاح الجمعيات الأدبية
والعلمية بالولايات العثمانية

أما أمثلة من الحضرة العلية السلطانية على ابن هذه الطائفة يوسف أوربية عاليين
من أبناء الطائفة نفسها واستاء أبناء الطوائف الأخرى
لأنهم يشفع لهم في صدور كتابه بنسبته الطائفية ومؤلفه عندئذ مقيد عند طائفة غير
من أبناء الطوائف الأخرى

الطيب بن زكي طيب روزي والمجاهي الماروني محام المارونية. والسلم الأرثوذكسي
يوسف عرفة الأرثوذكس فقط والكاتب الملكي مبرر عند الملكين فقط

فإن هذا التناقض هذه الموازنة هذا التناقض هذا الاستقلال في قوم
مجموعهم المصلحة الطائفية والمصلحة هو المصعب الذي يملك الدولة - - - - -
التي يرى أن كل طائفة في لبنان لها مستقلة بمصالحها عن الطوائف الأخرى . ولا
مصلحة لها في الحقيقة يصح أن تسمى مصلحة طائفية عمومية . ولا فائدة من استقلالها
في مثل ما قدمنا من الأمثلة الأقدماء أنها ترميها - فائدة استخدام هذا الاستقلال
فيما يفيد الرئيس والسياسة واصدقاء باسم الطائفة - - فائدة استخدام الدين في المنافع
الدنية . التمسك الديني هو سبب الاستقلال الطائفي . وهذا الاستقلال هو سبب
انقضاء المصلحة العمومية . فكيف نلاشي هذا الاستقلال لتستتب لنا تلك المصلحة .
ثم إننا في ثلاثة كنهاتنا شاءت أن نذكر ههنا الجيرة الآتية لربنا الله تعالى

في المنار في البلاد الإسلامية

جاءنا من طهران كتاب يقول فيه مرسله ان المنار ذكرنا سائراً في مجالس
العلماء والمجاهدين والامام العلامة ملاذ الانام السيد محمد الطباطبائي المحقق
المشهور قد نال في مجلسه الناس بالعلماء في قريش محبتهم واتناء عليكم . وان
الواصل المصطفى . علامة علماء الاسلام الحاج الشيخ زين الدين . الملقب بملك
الواعظين ، به أول واعظ ومنكم على المنبر في هذه الاقطار كان يعظ في شهر
رمضان في ناسد . مع طهران النوسوم بالجامع المروزي وهو جامع كبير معروف
فيه مدرسة كبيرة لافقه وسائر العلوم وقد اتفق عليكم وقرض مجلة المنار علي

منبر الجامع أثناء الوعظ والمسجد مملوء بجماهير الناس من الخاص والعامة .
والمنار يفخر بصداقة هذين المعلمين في الأمة المحمدية ، ولا غرو فالبلاد الفارسية
جديرة بهذه الأريحية ، فاتها كانت ينبوع العلم والاجتهاد وستبقى كذلك الى يوم التناد ،
وجاءنا من تونس ان الجزء الواحد من المنار يدار على عشرات من الناس
وجاءنا من بلاد أخرى عربية ان أهائها لا يرجحون على فتوى المنار فتوى وان
بعض القضاة الشرعيين يعتمدون على المنار في حجب بعض الاحكام ويخرج به وهذا دليل على
حياة العلم هناك لاننا لا نقول في الدين شيئاً الا بالدليل فهم يأخذون به لا بقولنا
وجاءنا من بعض المدرسين في بلاد روسيا أنه سمع كثيراً صدى المنار وخدمته
للإسلام وأحب ان يطلع عليه ولكنه لم يعرف اسم صاحبه فاكتمى بأن يكتب اليها
باسم « المنار في مصر » طالباً ارسال المنار اليه . فنشكر لهؤلاء الفضلاء الاعلاء
تنشيطنا على هذه الخدمة المالية ومساعدتنا عليها بالذخيرة اليها والتبويه بها

﴿ انتقاد المقتطف الاغر ﴾

فرط المقتطف الاغر كتاب الاسلام والصرائية وانتقد علينا ما أوردهنا في
مقدمته من تمثيل الاسلام بنبوع تفجر في أرض ثم قاض في أرض أخرى فأنشأ به
أهلها حدائق ذات بهجة الخ وتلطف كاتب الانتقاد الفاضل فأورد النقد بصفة
سؤال سنجيب عنه في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه لقراء المنار ﴾

قد اصدرنا الجزء التاسع عشر الذي موعده غرة شوال مع الجزء العشرين في
نصف شوال . فتمتدحها ميزما واحداً مؤلفاً من عشر كراسات فلم ننقص المشر كبرية
من حهم شيئاً . وقد غفل عن كبر 'شيز' وعفا كتب عليه من العدد (١٩ و ٢٠)
بعضهم فكتبوا يطلبون منا الجزء التاسع عشر

﴿ إزالة وهم ﴾

يتوهم بعض الناس ان مما ينشر في المنار غير معزو الى أحد ما هو بقلم الاستاذ الامام
أوبابهازه وقد تذكرنا هذا عند نشر تمريب (مسألة الشيخ محمد شاكر) وبهذه المناجبة
نذكر ان كل ما ينشر في المنار غير معزو أصلاً فهو لصاحب المنار فكر او عبارة . وهذا لا ينافي اننا
اقبنا كثيراً من المسائل العلمية التي تنشرها من معارف الشيخ في الدروس والمذاكرات
ولكن الذي نو - بيانه أن منشئ المنار مستقل في عمله استقلالاً تاماً لا دخل لأحد فيه

المجلة

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتقون أحسن أو تلك الذين هدام
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم السبت غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٠ - ٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣)

مسألة النساء

(مضار تربية النساء الاستقلالية في الافرنج)

(تمهيد) للامم طريقان تسير عليهما في حياتهما الاجتماعية طريق الهداية الدينية مع النظر والتجربة وطريق النظر والتجربة بدون استعانة بهداية الدين . ولا يعرف التاريخ أمة من الامم أرتقت في الحياة الاجتماعية بدون دين ولكن كثيراً من قادة الافرنج في السياسة والعلم قد مرقوا من مبادئ النصرانية واستدبروا تعاليمها الاعتقادية والادبية والعملية في طريق مدنيتهم . هم مقررین أنه لا يعتمد في شؤون الحياة الاعلى النظر والتجربة مبادون ما عداها فاشتهروا في العالم أن الافرنج مرقوا من الدين في الواقع وإنما ينصرونه ويتعصبون له لأجل السياسة الخارجية وأنهم لم يرتقوا الى فئة حضارتهم هذه إلا بهذا المروق والاستدبار . وهذه شبهة أو حجة على بطلان النصرانية إذا كان الدين كما يقول المسلمون سائماً الى صلاح

الدارين، وسعادة الحياتين، ولكتنا رأينا من كتاب النصارى من يقول ان الدين خاص بطلب الدار الآخرة ومراعاة تعاليمه في أمور الدنيا مفسد لها. وقد خدع بمثل هذه الأقوال والأحوال بعض المساعين الجغرافيين الذين لا يعرفون من الاسلام الا بعض ما يرون ممن عاشوا معهم فحسبوا ان المسلمين لا يرتقون الا بمثل ما ارتقى به الافرنج من استدبار الدين والاعتماد على النظر والتجربة اللذين هما طريق تمحيص العلم . يقيسون ديناً على دين يخالفه في حقيقة معناه وفي تعاليمه الاعتقادية والأدبية والعملية وفي آثاره الاجتماعية والمدنية ولا حجة لهم الا أن الافرنج باستدبار الدين ناجحون، والمسلمين في الواقع ونفس الامر خاسرون، ولوا بصر والراوا ان هذا الخسار، فما تولد من المروق والاستدبار . وان قياسهم انما هو قياس الضد على الضد، والله الأمر من قبل ومن بعد،

لقد سبح القلم الى ما ليس من موضوعنا في هذا التمهيد والذي نريد ان نقوله هو أن الإنسان على كونه أرقى الأحياء في هذه الارض لم يستغن ولن يستغني بنظره وتجاربه عن هداية الدين وإرشاده ولدين وثني خير له من ترك التسدين بالمرّة . وأن كل أصول الارتقاء التي بني عليها عمل مستدبري النصرانية في أوروبا مستفادة من الدين إما من بقايا دينهم تقليداً وإماماً وصل اليهم من الاسلام اجتهاداً . وأنه يجب على المسلمين الذين وجهوا وجوههم للحضارة الافرنجية بالتربية والتعليم ان يتروّوا في نظام هذه التربية وقوانينها فلا يجمعوها تقليدية خالصة . وأنه يجب ان يكون أول هذا التروي تقوية الرابطة المالية التي كانوا بها أمة ثلاث تكون التربية مفرقة لاجتماعهم ممزقة لشملهم فيكونوا كالباحث عن حقه بظلمه . وأنه

يجب إقامة مآقره الدين على سبيل القطع والتروى والاجتهاد فيما وكله الى الناس والاعتماد فيه على النظر والتجربة والاعتبار بسير الامم ونتائجها . وان أكبر العبر ما وقع فيه الافرنج من الامراض الاجتماعية بشذوذهم عن هدية الدين في كثير من المسائل وان انتفعوا نفماً عظيماً في أمور أخرى اذا خالفت النصرانية فانها توافق الاسلام بل هي لا بد ترجع الى أصل من أصول هدايته كما تقدمت الاشارة اليه آنفاً

مسألة النساء : وبعد هذا التمهيد نقول ان لدينا الآن مسألة كبيرة وهي مسألة النساء كيف يُعلَّمْنَ وكيف يربَّين ليكن عوناً للرجال على الارتقاء ومجارات الامم الحية .

ان طلاب تغيير سير الامة بالتربية والتعليم قد وضعوا نصب أعينهم أوروبا وارتقاءها فمنهم من يطلب محاكاتها أو مجاراتها وهم الحكماء وبعض العقلاء ومنهم من يستحب تقليدها نظراً أو تزلفاً وهم الذين أخذوا قشوراً من العلوم العصرية في مدارس أوروبا أو مدارس بلادهم التي أنشئت لهذه العلوم وفتنوا بزخرف المدينة الأوربية وبهرجها . كانت فرنسا هي القبة الأولى للاستانة ومصر في طلب هذا التحول لأنها أم هذه المدينة الجديدة في الغرب والشرق . ثم إن مصر وجهت وجهها في هذه السنين الى انكسار بحكم طبيعة الاحتلال الانكليزي ومثلها الهند في هذا التوجه . ويرى هؤلاء ان الانكليز أقوم تربية من الفرنسيين ولذلك نورد لهم ما استفدناه بالمدارة والمناظرة مع بعض أهل العلم والخبرة التامة من الانكليز في مسألة النساء ليعلموا ان التروى الذي قلنا بوجوبه في التمهيد لا بد منه . ثم ننتقل الى الحكم بضرورة اتباع الهداية الاسلامية في مسألة النساء والتربية

القويمة التي تنطبق عليها ليتبين لهم أن طريقة النظر والتجربة في هذا القرن لم تكن عن الهداية التي جاءت على لسان نبي أمي منذ ثلاثة عشر قرناً ونيفاً الغرض من التربية والتعليم سعادة الأمة بهناء المعيشة وشرف المنزلة وإنما يطلب الهناء والشرف للحَيِّ النامي فإذا كانت طريقة التربية والتعليم تؤدي إلى قلة النسل وعدم نموه فتلك هي الطريقة السوءى وسلوكها هو الجناية الكبرى على البشر . وتربية الاناث تربية استقلالية كما يترتب الذكور سواء غفلت بوظيفة النساء الفطرية . ومؤد إلى تلك النتيجة المخيفة - قلة النسل المؤذنة بهلاك البشر

إنجبت هذه التربية في انكثار النتائج الاتية (١) اعتماد النساء على انفسهن في المعيشة والكسب (٢) توجيههن الى الاعمال الخارجية أي التي تكون خارج البيوت وتنافي تدير المنزل (٣) رغبة الكثير منهن عن الزواج بالمرّة وقال بعض أطباء الانكليز إنه عرف بالاختبار أن نحو اربعين في المئة من النساء كذلك . وقال بعض أطباء فرنسا إن اناث البشر كائنات سائر الحيوانات الاصل فيهن الرغبة عن مباشرة الرجال الا في وقت مخصوص وهو وقت الاستعداد لقبول التلقيح وان ما عدا هذا فهو عارض على البشر وبين أسبابه وذكر أن هذا العارض يكون في بعض الافراد مرضاً من نوع (المستيريا) وليس هذا محل شرح أقواله .

(٤) أن أكثر النساء المتعلقات بالمتربيات يكرهن الأمومة إما لما في الحبل والولادة من المشقة والتعب وإما لاضطرارهن الى ملازمة البيوت في معظم مدة الحبل والرضاعة اذا هن أرصعن أولادهن والبيوت صارت في نظرهن كالسجون لتعودهن على كثرة الخروج . وإما لاحتياجهن في ذلك الى

نفقات كثيرة تعوزهن أو يفضلن التوسع بها في الترف . ومنهن يذهب في ذم الأمومة مذهب الخيال الذي يلتبس عليهن بنظريات الفلسفة أو تقاليد الدين المسيحي في جعل الانسان ملكوتياً فيقلن ان الحمل والولادة من صفات الحيوانات فينبغي الترفع عنه . وهذه جهالة بمعنى الانسان وما هو الا حيوان أرقى من سائر الانواع في جنسه . وليس في استطاعة الخيال أن يخرج عن كونه حيواناً وان استند الى الفلسفة او الدين

(٥) انه قد فشا في النساء تناول الادوية لمنع العلوق وللإسقاط بعد تحققه
(٦) ان البنت قلما تزوج في أول طور الاستعداد للأمومة وهذا التأخير من اسباب عسر الولادة لأن الاعضاء في طور الخدانة تكون صرنة تتمدد بسهولة فدادت كبر السن قلت هذه المرونة المسهلة للولادة . ويريد المسرعون عسراً ضعف الاجسام بالإفراط في الترف والنعيم فصار من الضروري ان لا تلد المرأة الا وهي مخدرة بالكحول فورم وبمساعدة الاطباء

(٧) ان الولادة قلما تنتهي بسلامة من مرض خطر فلهذه سبع نتائج بعضها سبب لآخر واضيف اليها نتيجتين عامتين في النصراري وهما

(٨) ان المرأة ملزمة في عرف النصراري بان تدفع لمن ترغب في الزواج به مهراً وكثيراً ما يصير عليها ذلك فتضطر الى التبتل أو البغاء

(٩) ان الرهبانية مشروعة للنساء كالرجال ومعدودة في الفضائل الدينية عند اكثر النصراري . فهذه تسع أسباب من اسباب قلة النسل ومقدمات انقراض الامم . وما عدا الاخيرين منها فهو من آثار التربية الاوربية . وما كانت فرنسا هي السابقة في هذه التربية النسائية ظهر فيها قلة النسل واطباؤها وساستها في حيرة من أمره . وستنبهها انكثرت في ذلك

بعد سنين ، وإن خفي ذلك على المعجبين تربيتها من الشرقيين
 وإذا التفتنا الى جانب رجال نراهم في انكلترا يأخذون إخذ الذين
 سبقوهم بهذه المدنية الفاسقة في فرنسا فأكثر الشبان يرغبون عن الزواج
 بالمسافة والمخادنة ولا يكاد أحدهم يتزوج حتى يناهز الأربعين سنة أو
 يجاوزها ثم هو لا يود أن يكون له ولد كثير وإنما يتغني ولياً يرث ماله
 ويحفظ اسم بيته إن كان من اصحاب البيوتات ولا يكره ان يكون له ثان
 يخلف الاول اذا هو درج فإن عزر بثلاث احتمله وكره كرها شديداً ان
 يزيد ولده عن عدد « الاقاييم الثلاثة » ويتفق مع زوجه على الاجهاض اذا
 كانت ودوداً ولوداً

ولا تحسبن هذا الصياح والمويل من ساسة فرنسا وبعض كتابها في
 الشكوى من قلة النسل عامة في الامة بل الا كثرون يرون ذلك شرطاً في
 سعادة الامة كما يرونه شرطاً في سعادة البيوت فان الامة التي يتضاعف
 سكانها في مدة قريبة لا تلبث أن تضيق بها بلادها وتضطرب الى المهاجرة الى
 بلاد دونها لتعمرها وتغالب اهلها عليها وفي ذلك من الشقاء استبدال الدار
 الخربة بالدار العاصرة . ويقولون إن الدولة لا تشكو من قلة النسل حياً في
 الامة ولكن طمعا في مباراة الدول المستعمرة فالسبب في ذلك طمع الملك
 الذي لا يكتفون ببذل رفاهة الامة في سبيله وإنما يبذلون ايضاً أموالها
 ودماءها . لهذا يصر على مثل فرنسا ان تعالج هذا الداء الاجتماعي
 القاتل مادامت على هذه الطريقة في التربية والتعليم وفساد العقيدة
 وحرية الفسق والفجور

بقي علينا ان نلفت لفتة ناللة الى البيوت لننظر كيف يعيش الزوجان

الاذان نظارتهما منفردين او وصفنا من حالهما منفصلين . يتوهم المفتونون بمدينة أوروبا ان السعادة المتزاية ، ونعيم المعيشة الزوجية ، يوجدان في الغرب حيث توجد العلوم المالية والتربية المشتركة بين الصنفين . ويتوهم أكثر الذين قرأوا ذلك الوصف البليغ المؤثر للحياة الزوجية السعيدة في كتاب (تحرير المرأة) أنه ووصف منتزع من البيوت الاوربية فمنهم من يتنى مثله بتربية مثل تلك التربية وتعليم مثل ذلك التعليم ولا مانع لنا منه كما يقول الكتاب . ومنهم من يرى ان المسلمين محجوبون عن تلك السعادة بحجاب النساء وانه لا سبيل اليها فمالنا الا ان نسأل الله ان يعوضنا عنها في الآخرة ما هو خير منها

الحق الذي لا مصرية فيه ان هناء المعيشة الزوجية لا يتحقق الا بتحقيق أمور (أحدها) اذعان المرأة بأن الرجل هو سيد المنزل ورئيسه وانها هي تابعة ومرتبة له . ولا تدعن في نفسها هذا الإذعان الا اذا تربت عليه واعتقدته ديناً (ثانيها) ثقة الزوجين بالاختصاص بأن يعتقد الرجل انه لا يشاركه أحد في زوجه وتعتقد المرأة ان زوجها لا يختلف الى غيرها من خدن أو بنين . وهذان الامران متحققان في الشرق بالدين أكثر من تحققهما في الغرب . ولا استثنى من الشرق مصر التي هي أفسق بلاد الشرق وأكثرها فساداً في البيوت (العائلات) . (ثالثها) المشاكلة في الطباع والمقاربة في السجايا والافكار . وهذا الامر ظاهر في الغربيين وهو في الشرقيين كذلك في الغالب . ومن غير الغالب بعض المعلمين من المصريين فاتهم لا يجدون في النساء من يقاربهم في أفكارهم . وهم الذين يشكون من حال النساء ويطلبون تغييرها بتربية وتعليم جديدين وان لرغبتهم تأثيراً كبيراً في

الامة لانها موافقة لرغبة الحكومة وسميها . والعمل على هذا وان أنكره
بالقول الا كثرون

نعم يجب ان يكون النساء على مقربة من الرجال في الافكار والاخلاق
والمقاصد والرغبات فالبلاد التي انتشر فيها تعليم البنين ينبغي ان ينتشر فيها
تعليم البنات حتى لا تقع مسافة الخلف بين الصنفين ولما في التربية والتعليم
من القوائد الكثيرة والىكن يجب علينا ان لا نتبع خطوات الاروبيين
قدما بقدم وأن لا نحتذي شاكلهم حذو القذة للقذة بل علينا ان نتوقى من
أول السير كل ما رأيناه سيئ العاقبة فيهم وذلك يرجع الى أصول أهمها
تربية الاتى تربية استقلالية تامة وتعليمها كل ما يتعلمه الذكور فهذان
الامر ان يناهزان إذعائها لسيادة الرجل باطنا وظاهرا ويقتضيان اليها ملازمة
البيوت وهي وظيفتها الطبيعية الشرعية التي ليس لها تركها الا لسبب
مقتض كما أنهما يرضانها لتدنيس عرضها وإهانة شرفها الذي لا تسمو
عند الرجل ولا تملك قلبه الا به .

وحسبي ان أقول في التربية النافعة للنساء يجب ان تكون إسلامية وأن
أقول في تعليمهن الاول انه كتعليم الرجال أي ينبغي ان يعرفن مبادي
العلوم المدرسية كلها وأما ما رواء هذا فيجب ان لا يتوسعن الا فيما يلزم
للبيوت من تدبير ونظام وتربية أطفال . ومن ذلك صنائع اليد والحياطة
فعلم مما تقدم انه يجب علينا التروي في تربية البنات وتعليمهن وان لا تقلد
فيهما الغربيين تقليداً أعمى لاسيما فيما يحظره علينا ديننا فقد تبين بسير العلم
والتجربة في أوروبا عدة قرون ان كل ما خالفوا فيه الاسلام كان ضاراً فقد
رجعوا الى الطلاق الذي كانوا يمدونه من اضر الامور في الاجتماع البشري

فصاروا يعدونه مثلنا من ضروراته وتبدأوا يشعرون بأن تعدد الزوجات من ضرورات الاجتماع أيضا ووجد من نسائهم داعيات إليه لاسيما في بلاد الانكليز حيث يزيد عدد النساء على الرجال ضعفين فيكثر الزنا ويكثر عدد النساء اللواتي لا عائل لهن كما بيناه في مقالة مستقلة بالنقول والشواهد عن جرند انكلترا (راجع ٤٨١ م ٤) وأنا ان نعتبر أن تأييد سير العمران وحوادث الزمان لاحكام الاجتماع في الاسلام من جملة الأدلّة والبراهين على صحة أصله وكونه وحيا من الله تعالى لا وضعا من حكماء البشر كما يتوهم الملحدون. وقد طال بنا الكلام والمسألة تحتاج زيادة في البسط نرجئه الى فرصة أخرى

باب رد الشبهات عمدة الاسلام

(أحياء الإسلام لمدينة اليونان والرومان والمصريين)

ذكرنا في آخر الجزء الماضي ان المقنطف الاغر قرظ كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) وانتقد في تقرّظه التمثيل الذي أوردناه في مقدمة الكتاب مورداً انتقاده في صورة سؤال يستحب أن يسمع جوابه ان كان عندنا جواب، وها نحن أولاء نوافيه بما يجب بعد ايراد السؤال أو الانتقاد. قال الكاتب الفاضل بعد ذكر اسم الكتاب ونسبته الى من نسب اليه: «وهو مقالات نشرت في مجلة المنار الإسلامي ثم جمعت على حدة في كتاب. قال حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في تمهيد وضعه لها ما نصه:

«نبوع تفجر في أرض وقاض مأوه على غيرها فأحيا الأرض بعد»

موتها ولكن القائلين على حراسته وتماعده وضموافوقه ألقاها آمن خرباب
 حيرانهم ففيض الماء وما بقي منه سار من استعمات تحتوى . ولم يلبث بعد
 ما غاض أن قاض منه شيء في مواضع أخرى فاشبع أهلها به وحافظوا عليه
 ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما أن أكثر أهل ينبوع
 المنتسبين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر من تلك المواضع
 فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم وأنهم لو أزالوا عنه
 تلك الانقراض لقاض ورجع إليهم به خصهم ونعمتهم كأحسن ما كان لأنهم
 تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء الأحياء . ذلك مثل المسلمين اليوم مع
 الأمم الغربية الحية الراقية . أخذ الغربيون من الإسلام كل أصول
 الإصلاح الذي هم فيه .

(ثم قال الكاتب بعدما نقل هذه الجملة ما نصه :) « وبا حيداً لو بين
 لنا حضرة الأستاذ الفاضل من أين أتى الماء الذي أحيى مدينة اليونان والرومان
 فأنشأوا به الحدائق والجنات والماء الذي أحيى مدينة المصريين الأقدمين
 فبقيت آثارهم الصناعية إلى الآن لم يبق ملوك العرب على محوها مع ما بذلوه
 في ذلك من العناء وآثارهم الأدبية مرسومة في صنائع الصغور تعلم اسمي
 الفضائل وأفضل الآداب . »

﴿ جواب المنار ﴾

كنا بالأوس أو بالأوموس نرد شهابات بعض المتعلمين على موائد
 العلم ، والمترجمين على النظم في الاستعمالات فيهم ، ونحن اليوم إنما نذكر
 علما غريب المادّة واسع الاطلاع ونناظر أدبياً ذكي البؤاد ؛ دقيق الانتقاد ،
 إلا أن قلبه عثر في هذا الميدان وقد يكبو الجواد ؛

من حسنات المقتطف أنه ينتقد الكتب التي يقرؤها ولا يتبع سنن الجرائد في مدح كل ما يهدى إليه من كل وجه وإن كان مذموماً من وجوه كثيرة . وانتقاد الكتب التي تنشر بين الناس أمر نافع ولكنه وعسر المسلك لأن وقت كتاب المجلات والجرائد قصير يضيق عن قراءة كل ما يهدى إليهم من المطبوعات لانتقاده ولأن أصحاب تلك المطبوعات من المؤلفين أو الناشرين يألمون من الانتقاد وإن كان حقاً ومقنعاً . وبعض الانتقاد يؤلم الجماهير من الناس إذا كانوا على خلاف رأي المنتقد . فالنصدي للانتقاد مع هذه الوعورة في طريقة يمد فضيلة توجب الثناء والشكر على من يعرف فوائد الانتقاد في تبلي الحقائق وتحري الصواب وتنقيح العلوم والفنون . ولقد قلت من قبل قولاً في ذلك كشفت به عما في نفسي وهو : سواء غندي من مدح قولي ومن انتقده لأنني في حاجة إلى معرفة ما يستحسن منه وما يستقبح على سواء بل ربما كنت أخرج إلى معرفة موضع النقد ، مني إلى معرفة موضع الحمد ، لأن هذا أبعد على إصلاح العمل ، وأهدى إلى توقي الزلل ،

أما عشرة المقتطف فهي ظاهرة لأول وهلة في تحويل التمثيل عن موضعه فإنه صريح في كون الكلام في « المسامين » يؤم مع الأئم القرية الحية الراقية » لا مع المصريين الأولين ، ولا مع اليونانيين والرومانيين ، وصريح في كون الأئم الحية أخذت من ينبوع الإسلام كل أصول الإصلاح الذي هم فيه . وهذه المسألة المجهلة في مقدمة الكتاب مفصلة بعض التمهيل في الكتاب نفسه ولذلك لم يطلب المنتقد بيانها لأنه طلب تحصيل الحاصل أما مدينة المصريين واليونان والرومان فالناقد يعلم أنها قد ماتت قبل

ظهور الاسلام وإن بقي لها آثار تدل عليها ويعلم ان الاسلام أحياءها بعد موتها فأنشأ أهلها - لا أهلها - بها حدائق العلم والعمل في بغداد ودمشق وقرطبة أو في الشرق والغرب والوسط ومن هذه البلاد انتقل العلم والمدينة الى الامم الغربية الحية بلا نزاع

ولم يكن الكلام في ذلك التمثيل في المدينة الصناعية وإنما كانت في الإصلاح البشري أي الإصلاح الذي ارتقت به عقول البشر وتهذبت نفوسهم وتوثقت روابطهم الاجتماعية وعرف بعضهم لبعض حق الإنسانية فإذا كانت تلك الامم التي سبقت الاسلام بالمدينة الصناعية وبن أهلها أهرا ما لم يبين مثلها المسلمون فالاسلام قد أفاد البشر ما لم تفده تلك الصناعة أفادهم ارتقاء في العقول علمهم أن تلك الأهرام وما يشابهها قد بنيت باستعباد البشر وأسر أرواحهم واشباحهم وتسخير الملايين منهم لخدمة شهوة ملك من الملوك الظالمين أو لخدمة وساوسه الدينية

علمهم أن تلك المدينة كانت تسحر إمامها المحصور في طبقة مخصوصة أبصار الأمة وتخيل للناس ما ليس له حقيقة فتستبرههم وتحملهم على الخضوع الاعمي لأولئك الرؤساء الضالين المضالين ، الفارين المغرورين

علمهم كيف يحكمون على اليونانيين بفساد الفكر في الخضوع لآلهة لا وجود لها الا في الخيال وتحكم تلك الأوهام في مدينتهم وحربهم وصناعتهم فريكل جوبيتير الذي يدهش الناظرين بدع صناعته هو آية على ان تلك المدينة الصناعية كانت مقترنه بفساد العقل وفساد الفكر في المسائل التي يمتاز بها البشر على النحل والنمل الأبيض والعنكبوت وهي حاسرات أتقنت أعمالها من الصناعة كانت فيها من أشد ذلة الإنسان كما يقول بعض العلماء

علمهم كيف يحكمون على شرائع تلك الامم وقوانينها بالظلم وهضم
 حقوق الانسان بما يفضلون شعوبهم على سائر الشعوب في الحقوق فإنه
 لم توجد رعية وضعية ولا سماوية معروفة قبل الاسلام تساوي بين أهلها وبين
 جميع من يقبل حكمها من المخالفين وان كانوا قوما معادين «ولا يجزئ منكم
 شأن قوم على أن لا تمدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله
 خير بما تعملون» وهذه الآية من سورة المائدة التي هي آخر القرآن
 نزولا ومعناها لا تحملكم معاداة قوم على ترك معاملتهم بالعدل فان العدل
 واجب مع الولي والعدو لانه من تقوى الله اخير بالأعمال والمجازي عليها.
 والمصريون كانوا يستحلون ظلم غير المصري بل يعبدونه تعبيدا لملكهم كما فعلوا
 بالأسريثيليين . وكذلك اليونان والرومان وهذا تاريخ اليهود شاهد بأن
 الرومان قد ظلموا الأسريثيليين ظلما يضاهاى ظلم المصريين لهم . فأن
 هؤلاء وأولئك من معاملة الاسلام لليهود . تقدمت الذكرى في الجزء
 الماضي بمساواة عمر بين علي بن أبي طالب (وما أدراك من هو) ورجل
 آحاد اليهود . وعندنا ما هو أعظم من ذلك وأشرف

روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم عن زيد بن
 أسامة وكان من أحبار اليهود أنه ابتاع من النبي صلى الله عليه وسلم ثرا
 لى أجل وأعطاه الثمن فلما كان قبل الأجل يومين أو ثلاثة أتاه يطالب به الثمن
 (قال) . فأخذت بمجامع قبضه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم دلت
 الألفه سيني يا محمد حتى فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مظلون فقال عمر : أي
 عدو لله أنقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما أحاذر
 فوته لضربت بسيفي رأسك : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى

عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر -- أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعاً كان مارُعته « ففعل ثم أسلم هذا الخبر الجليل وقال بعد ذلك إنه فعل ما فعل ليختبر أخلاق النبوة وعلاماتها فلما رآها كملت فيه عليه السلام آمن به

وجملة القول إن الإسلام علم البشر أصول السعادة الحقيقية التي لم تكن معروفة عند المصريين ولا اليونان ولا الرومان وأهمها (١) صقل العقول بصقال التوحيد الخالص وتطهيرها من صدى الخرافات والأوهام ليكون الفكر مستقلاً فيما يعتد يرفض التقليد ويعتمد على البرهان . و(٢) بيان أن للكون سنناً ونواميس ثابتة ينبغي أن يهتدي بها الإنسان في سيره العلمي والعمل . و(٣) توسيع دائرة الجنسية بجعل شريعته تساوي بين جميع الأمم والملل إذا قبلوا حكمها وقد كانت جنسية المصريين مصر واليونانيين أثينا والرومانين رومية و(٤) القصد في المعيشة فقد اسرف القوم في الشهوات اسرافاً صاروا بها سراً من البهائم

ولو شئت أن اسرد محاسن الاسلام وأعدد مساوي تلك المدينيات القديمة خرجت من جواب سؤال الى تأليف اسفار كبيرة وقد نشرنا في الجزء الماضي نبذة معربة من كتاب أميل القرن التاسع عشر في انتقاد آداب اليونان والرومان وفيها عبرة لمن اعتبر

فإن قيل ان النصرانية قد سبقت الاسلام الى إخراج اليونان والرومان من ظلمة الوثنية أقول أولاً إن النصرانية لم تنتشر في تلك الامتين الا بعد ما دخلها هي الوثنية ولكنها اقربتهم من التوحيد لانها نقلتهم من عبادة مخلوقات

كثيرة الى عبادة مخلوق واحد على أن فيه معنى من الألوهية مركب من ثلاثة أقانيم . وثانياً ان النصرانية لم تجتمع مع مدنية الأمتين وانما أجهزت عليها حتي تحت تلك العلوم قبل أن تبلغ كمالها ، وطمست تلك الاعمال الصناعية وشوهت حاملها ، وما زالت في تدل وانحلال ، حتى جاء الاسلام فانتاشها من براثن الانحلال ، ذكر المؤرخون أن المسيحية تكنت في أئينا أثناء القرن الخامس وفي أول القرن السادس قطع يوستينانوس أجره المعلمين الهوميين في أئينا ومنع تعليم الفلسفة لأن المدارس كانت مفسدة بالنصرانية ومن ذلك الوقت أخذت أئينا بالانحطاط

ونختم القول بنصف من التاريخ في مساوي وخرافات اليونان والرومان الذين يباري المنطف بهم الاسلام . قال في برهان البيان : « بينما كان الرومانيون محتفلين بعمل موسم تشریف لروح قيصر إذ ظهرت نجمة ذات ذنب طويل ومكثت سبعة أيام فظنت الأمة الرومانية أن روح قيصر صعدت الى السماء وتصورت بهذه الصورة وانتظمت في سلك العالم العلوي !! » فلولا وجد من الروانيين من يقول كما قال النبي الامي (عليه الصلاة والسلام) لقومه عند ما كسفت الشمس يوم مات ولده ابراهيم وظنوا أنها كسفت لموته : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته »

وجاء في ذلك التاريخ أيضاً : كان من ثوابت عادات اليونان وأهل آسيا بناء هياكل للملوك بل ولكبار الحكام ليكون ذلك أقوى في الدلالة على الانقياد والعبودية . وأما الرومانيون فكانوا يعبدون اسلافهم في معابدهم الخاصة فقط : ثم ذكر انه من عهد رومولوس الى عهد قيصر لم ينتظم أحد

في سلك الآلهة الي لها هياكل ومعابد عامة

ومن ظلمهم ان طيباريوس اتخذ القانون الفاني بمقوبة كل من يدين
الى الامة الرومانية آله للانتقام كما يشتهي . وكانت الامة استمدت لذلك
من زمن اغسطوس الذي سلب الامة حق التشريع والحكم في احوالها
الشروا وتشري الساد في عهد طيباريوس الذي سلب الامة حق الاحتساب
ايضا لانه كان يعاقب كل من منهم يقول او يفتي . شاربه انما ادعى الامة
وكل الامة كانت عيونها ولا بد للناس من الله بغيره . فخرجوا من
الاشارة من ثوب . نحسبون الناس على غير امرهم وما يقبضهم ولم يكن
القضاة يسمعون في حكم على المتهم بأحد شبهه . وكانوا يعاقبون على أمور
لا تخدر في بال أحد من أهل الملك المستبدة التي فيها يشبه تلك المظالم
اليوم . من ذلك ان طيباريوس أخذ رجلا باع بيته وكان فيه صورة الاله برافور .
وان دو ميناوس حكم بالقتل على امرأة علم أنها رعت ثيابها امام صورته !!
فهل كانت تلك الجريمة محتسبة في مصالحها التي يشوع الدين في الدنيا .
يستوي فيها الخليفة مع أدنى السوقة من غير المسلمين في الخدوف . نعم إنها
كانت في أشد الحاجة اليه ولذلك انتشر نور الاسلام بسرعة البرق

وقال صاحب برهان البيان : ولما كان الرومانيون متعسدين على
الاعمال بالطبيعة البشرية في أولادهم وأرقائهم كما يعلم ذلك الوقوف على
قوانين الرومانيين المتعلقة بحكم الآباء والامهات على أولادهم كان لا يمكنهم
غالباً معرفة ما نسميه إنسانية وهي فضيلة الرفق وإذا كانت عادة الملة
الجبر والفسوة في الحالة الداخلية الملكية فكيف ينتظر منها الرفق والعدالة
الطبيعية . وكثيراً ما يطلع القارى في تاريخ القياصرة على قتل أناس كثيرين

لقصده مجرد ضبط أموالهم للدولة: — ثم قال — : ومن نظر في مرآة تاريخ الرومانيين رأى فيها صور الأشياء البشرية فيجد في هذا التاريخ كثيراً من الحروب الواقعة والدماء المسفوكة والابن المدمرة ولوقائع الجسيمة، والنصرات العظيمة، والتدابير الجمة، والحكمة البالغة، والاحتباس والثبات والشجاعة، ويجد فيه أيضاً تصميم النية على التغلب على كل شيء وأنه حصل كما ينبغي واستمر وانتهى كذلك وأنه لم يترتب عليه إلا إسماع خمسة رجال أوستة من الأشرار: نقول: فهل كانت مثل هذه المدينة محتاجة إلى ينبوع العدالة الإسلامية لإصلاحها وإحياء النفوس التي أمتها الظلم والجبروت؛ نعم كانت في أشد الحاجة إلى هذا الإصلاح ولذلك قبلت الإسلام بسهولة. ونسكت الآن عن الكلام في فساد أخلاق الرومانيين وتهتكهم في الخلاعة والفسق وانغماسهم في الترف والملاذوفساد أخلاقهم الشخصية فقد أوغلوا في ذلك إغلالاً مدهشاً يثبت أن أرواحهم ماتت وكانت محتاجة للإحياء. وهنا يخطر في بال القارئ أن النصرانية هي التي سبقت لإصلاح نفوسهم وإحياء مدنيتهم التي أمتها الظلم والفسق ونقول إن النصرانية مهدت بعض التمهد للإسلام ولكنها لم تكن محيية بل كانت مجرزة على تلك المدينة كما أشرنا إلى ذلك في مسألة مدينة اليونان

(تأثير النصرانية في المدينة الرومانية)

جاء في تاريخ القرون المتوسطة أن النصرانية لم تكد تنتشر وتقوى في بلاد اليونان والرومان ومنها بلاد مصر حتى رأى رؤساؤها وجوب هدم الهيكل وكسر التماثيل وحج الصور اليونانية والرومانية لأنها آثار الوثنية فقاموا بهذا الواجب حتى محوا آثار صناعة البناء والفنون الجميلة أو كادوا ولولا

أن بعضهم رأى تحويل بعض الهياكل الى كنائس لما بقي لتلك الامم أثر في الوجود . وقد أصدر تاوديسيوس أمراً رسمياً بهدم الهياكل وتكسير الصور سنة ٣٩٠ للميلاد . ثم رأوا أن في علوم تلك الامم خطراً على النصرانية فطفقوا يحرقونها في كل مكان فقد أحرقت مكتبة الاسكندرية بأمر تاوديسيوس سنة ٣٩٠ للميلاد وأحرقت مكتبة اوكتوغونه في القسطنطينية سنة ٤٧٦ للميلاد وحملت الحمية الدينية لاون اللوزرياني على تحريق ما بقي من الكتب سنة ٧٣٠ . وكان في هيكل ابولون بلاثين بمدينة روميه مكتبة فيها أنفس كتب الآداب من عهد غسطوس فكانت غيرة البابا اغرغوار وتقواه عاملتين على إحراقها وحرمان الناس من تلك الوديعة التي جعلها العالم وارون في حياة إله الشعر وكنفه . (على اعتقادهم)

والامر الذي لا خلاف فيه هو ان انحطاط الامة الرومانية كان مقارناً لانقشار النصرانية فيها . فالوثنيون الرومانيون كانوا يقولون إنها هي السبب في ذلك الانحطاط والنصارى يقولون ان ذلك كان لأسباب سابقة ولكن لماذا أجهزوا على تلك المدينة ولم يصلحوها ويتقوها من أضرارها بدلا من محوها وطمس معالمها؟ وماذا أبقى النصارى للعرب ؟ ما بقوا لهم إلا نزاراً من الكتب أحيوها به أما تمهيد النصرانية للإسلام الذي أشرنا اليه فهو إضعاف تلك الوثنية وإضعاف تلك الحمية الجاهلية وذلك السرف في الترف بالفلو في الزهادة والانتقطاع الى العبادة ثم إضعاف الامة بالخلاف في الدين والتنازع بين دولة القياصرة ودولة الرهبان والاساقفة وانتشار هؤلاء ومحكمهم بخرافاتهم في الامة . فالذي مكن المسلمين من الانتارة على قلبية والامم على سيرا قوسة هو إزرام القسيسين القيصر باسيلي الأول المندوني بأن يشغل الجيش ببناء كنيسة

القديس ميخائيل وكذلك الرمو خلفه القيصر ليون بأن يشغل عسكر
الاستطول بمثل ذلك فتيسر بذلك للمسلمين الاستيلاء على جزيرة مانوس
وأما خلافتهم في عبادة الصور وما نشأ عنه من التنازع والفشل فحدث عنه
ولا حرج. فثبت بذلك ان النصرانية قد زادت اليونان والرومان جهلا ووهنا
فكانه ابذل في أشد الحاجة الى ذلك ينبوع الذي فاض في أرض العرب
وتفجر ماؤه على غيرهما فأحيا البلاد والعباد كما هو شأن الأنهار والينابيع تفيض
من مكان وتحيي ما تسير اليه وصح تمثينا حتى على الوجه الذي صرفه
إليه. كتور الدانيل محرر المخطوط الاغري. وهذا جواب سؤاله بالاختصار

لاحقة سجل جمعية أم القرى

يقول (السيد المرآتي) انه بعد تفرق الجمعية بنحو شهرين ورد الي من صاحب
الذي كتب يذكر فيه انه بعد مفارقه مكة المكرمة اجتمع بأمر جليل فاضل من
أعظم تبلاء الأمة ورجال السياسة . فاستطلع رأي الأمير في شأن النهضة الاسلامية
وبعد ان دار بينهما حديث طويل تحقق من حاله سمو فكر الأمير والتهاب غيرته
ذكر له اطلال السجل . فاستطلع رأي الأمير في شأن النهضة الاسلامية
الأمر سروره من الخبر وشديد شوقه الاطلاع على السجل الذي ذكره له فمضت
وعده بإعارته نسخة من السجل ثم أرسلها اليه وبعد أيام تلافيا فدارت بينهما المحاوراة الآتية
قال الأمير: أشكر لك أيها صاحب هذه الهدية العزيزة وبالذلة لمة أحيتها في
مطامعك المذاكرات النفيسة التي لم أتمالك ان أتركها تلك الليلة حتى آتيت على
آخرها ثم في الايام التالية أعدت النظر فيها بالتدقيق .

قال صاحب: يظهر من عبارة مولاي الأمير استحضانه كيفية تشكل الجمعية
وامتثانه من مجرى مذاكراتها .

قال الأمير: كيف لا أعجب بذلك واعلم اني كنت اتنى انقاد جمعية يتضافر
أعضاؤها على مثل هذا المقصد وتكون فيهم المزية التي ظهرت على رجال هذه الجمعية

الذين حلوا المشكلة حلاً سياسياً ودينياً مما وكت استبعد وجود أكفاء كهؤلاء .
وأعظم إيماني هو في هذا الرجل الملقب بالسيد الفراتي كيف اهتدى في رحلة قصيرة
مع اقامته أياماً قلائل في مكة لانتخاب هؤلاء الاعضاء الاجلاء .

قال صاحب : لا بد ان يكون هذا الرجل مخلصاً في قصده فأعانه الله عليه كما
ورد في الخبر : اذا أراد الله أمراً هياً أسبابه : فاعل في الاقدار شيئاً أن أوامه

قال الأمير : نعم الاقدار دلائل وتعم انداز .

قال صاحب : اود ان استفيد من مولاي الأمير وجوه إعجابه بهذه الجمعية
ومذاكراتها لأصح رأي في بعض انتقادات تحتاج في فكري المناصرة أن أذنني
أعرضها عليه مسألة مسألة

قال الأمير : قل ولعلي أقف على ما لم اتبه اليه .

قال صاحب : يظهر أن أعضاء الجمعية ليس منهم بعض من السياسيين المحاكين
فلو وجد ربما كانت تأتي المقررات أئد احكاماً

قال الأمير : لا أشئ أن في الاسراء والوزراء المسلمين المعاصرين من هم أعلى
كعباً في السياسة من بعض هؤلاء الاعضاء الذين تمتف آراؤهم عن سياسة اطلاع
وسمؤفكر وبعد نظر مع ملاحظات السياسة الدينية والحالة العلمية والتدقيقات الاخلاقية
قال صاحب : أرى ان الجمعية اعطت لمباحث السياسة الدينية الموقع الاول وقد
أصابت على ان السياسة الادارية أيضاً جديرة بالاهتمام فتركت بدون تدبير كاف

قال الأمير : لاشك ان السيادة الادارية مهمة أيضاً وقد باتت الجرمية بها ولكن
رأت أفضل وسيلة لحصول المطلوب هي رفع علة الفتور إذ أنجبت مباحثاتها ان علة
الفتور هي الخلل الديني فحوات اهتمام الحجة العلة حتى اذا زالت العلة زال المعلوم
ومع ذلك لم يترك السيد الفراتي في فصل الأسباب الادارية شيئاً من أهيات أصول
الادارة الا وأشار اليه بما يعني عن تفصيله

قال صاحب : أرى بعض الأعضاء كالمال التجدي والمجاهد البريزي قد اسهب كثيراً
بما كان يراه يمكنه عن ما فيه

قال الأمير : انما الدو حيد والاستعداد وكنا في الدو وقد تظفرت
اليهما الخال منذ قرون كثيرة فصار إصلاحهما وردهما الى اناسهما من أفسد
الأمور وفي مثل ذلك لا بد من الاسهاب في البحث والتعميق فيه أولاً يرى والله المثل

الأعلى كيف جاء القرآن الكريم بألف أسلوب في تأييد التنزيه والتوحيد والحث على اتباع الكتاب والنبي دون التقليد .

قال صاحب: إني أرى أيضاً بعض مكررات في المذاكرات خلافاً لما قاله السيد الفراتي ولذلك أرى أنه لو اهتم ذوغيرة في اختصارها يكون حسناً

قال الأمير: اني لا أوافقك على هذا أيضاً لأنك إذا دقت النظر لأتجد مكررات وانما هي آراء فلا بد أن يعاد فيها بعض ما سبق وعلى كل حال هذا سجل قد ضبط فيه ما وقع فلا يجوز اختصاره والتصرف فيه واني أرى من أكبر محاسن هذه المذاكرات أن جاءت مباحثها متسلسلة مترقية فكل موضوع فيها يتلوه ماهو أهم منه فلا يمل منها سامع ولا مطالع .

قال صاحب: ماهو رأي مولانا الأمير في القانون الموضوع لأجل تشكيل جمعية تعليم الموحدين هل هو قانون محكم الترتيب وهل هو قابل الاجراء والتطبيق على الاحوال الحاضرة والمتغيرة

قال الأمير: القانون هو أهم ما اثرته الجمعية وقابل الاجراء مع الصعوبة قال صاحب: لا أدري هل أصابت الجمعية أم اخطأت في تعليق أكبر أملمها في اعزاز الدين بالعرب دون دولة آل عثمان وملوكها العظام

قال الأمير: لا يفوتك ان مطمح نظر الجمعية منحصر في النهضة الدينية فقط وتؤمل ان يأتي الانتظام السياسي تبعاً للدين ولاشك انه لا يقوم بالهدي الديني ويعتار على الدين أمة مثل العرب

قال صاحب: أليس دولة راسخة الملك وإدارة وعسكرية وسياسة وافرة القوى مالا وعدة ورجالاً تكون أقدر على تمحيص الدين وإعزازة من العرب الضعفاء من كل وجه . واذ قدألفت الامة سماع لقب خدمة الحرمين قديماً ولقب الخلافة أخيراً في حضرة السلطان العثماني فلا تستسكف عن الاذعان الديني له بسهولة .

قال الأمير: إن حضرة السلطان المعظم يصلح ان يكون عضداً عظيماً في الأمر أما اذا أراد ان يكون هو القائم به فسلام قطعاً لأن الدين شيء والملك شيء آخر والسلطان غير الدولة

قال صاحب: ما فهمت المراد من أن الدين غير الملك وان السلطان غير الدولة فهل يتفضل مولاي الأمير بإيضاح ذلك

اقتسام فارس كي لا يجاورهم ملك سني . وقد سموا في افراض خمس عشرة دولة
وحكومة إسلامية ومنها أهم أغربوا وأعانوا الروس على التآمر المسلمين وهو لانه
على الجاوة والهنديين . وتعاقبوا على تدويع الذين فاهلكوا الى الآن عشرات ملايين
من المسلمين يقتل بعضهم بعضاً ذبحون فيما بينهم ديناً ولا اخوة ولا مروءة ولا
انسانية حتى ان العسكر العثماني باغت المسلمين مرة في صنعاء وزيدوهم في صلاة العيد
وهذا السلطان محمود اقتبس عن الافرنج كسوتهم وألزم رجال دولته وحاشيته
بلبسها حتى عم أوكادت ولم يشأ الا ان يغيروا منها الاكمام رعاية للدين لانها
مانعة من الوضوء أو مسيرة له . وهذا السلطان عبد المجيد رأى من مؤيدات إدارة
ملكه اباحة الربا والخمر وابطال الحدود . ورأى مصلحة في قهر الاشراف وإذلال
السادات بالعلم نفوذ الثقات ففعل .

وفي هذا المقدار كفاية لإيضاح قاعدة ان مؤيدات الملك عند الاطمين مقدم
على المحافظة على الدين . أما صفة خدمة الحرمين وألفة مسامع العثمانيين للقب
الخلافة فهذا كذلك لا يفيد الدين وأهله شيئاً وليس له مايتوهم البعض من الاجلال
عند الأجانب (١)

ولو ان السلطان المظلم أخذ على نفسه تأييد الدين بما أمده الله به من القوة المادية بدون
استناد الى حجة معنوية لتمكن من ان يخدم دينه وملكه حقاً خدماً مقبولة عند الله
مشكورة عند المؤمنين كافة ولرفعت له راية الحمد في شرق الارض وغربها واحترمه
الايض والاحر وعظمه المسلم والكافر . وأظن أنه قد قرب اليوم الذي يتنبه فيه فيترقى
في الأمر فيعدل عن الاتهاد على غير الماديات ويضرب على فم الفاشين المتملقين
الحائنين الذين ينسبون حضرة الى عالم يتنسب هو اليه ويشيرون عنه دعوى مادعاها
قبل أحد من أجداد النظام بوجه رسمي

وهؤلاء الفاشيون يعرفون حضرة السلطان بهذه الدعوى بما يعرفون به عليه
وبما يؤثفونه هم وأعوانهم من الكتب والرسائل التي يعززون بعضها لأنفسهم وبعضها
لغيرهم من المنافقين أو لأسماء يسمونها أو كتب يختلقونها فيجعلون تارة آل عثمان
المظام يتصلون نسباً بعثان بن عثمان رضي الله عنه وأخرى يرفعون نسبهم الى أعالي

(١) الأجانب لا يتفقهون بأن المسلمين إنما يعتمدون إقامة الحجية على

المسلمين المحكومين لهم ببعض أعماله في ملكه

قريش ويمطونها حق الخلافة مرة بالتنازل والإدلاء من العباسيين وأخرى بالاستحقاق والوراثة وآونة بالمعهد وأخرى بالبيعة العامة وحيناً بخدمة الحرمين الشريفين ووقتاً بحفظ المخلقات النبوية . وكان هؤلاء الفعاشين يريدون بهذه الدسائس أن يجعلوا حضرة السلطان نظيرهم دعي نسب كاذب كدعواهم لأنفسهم السيادة ومتسمم مقام موهم كدعواهم الولاية والقطبانية في أنفسهم وآبائهم وأجدادهم فيحشون في تلك المثلقات أنساباً اتحلوها لأنفسهم مقرونة بنسب السلطان ويستطردون لحكايات كرامات لأجدادهم ملفقة مخترعة لا يعترف بها لهم أحد من المسلمين يدسونها بين حكايات وقائع الخلفاء والسلاطين

ومن المعلوم عند أهل الوقوف ان التلقب بالخلافة أو الامامة الكبرى أو إمارة المؤمنين في آل عثمان العظام حدث في عهد المرحوم السلطان محمود اذ صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك أحياناً تفتناً في الاجلال وغلوّاً في التعظيم . ثم توسع استعمال هذه الألقاب في عهد ابنه وحفيده الى ان بلغ ما بلغه اليوم بسمي أولئك الفعاشين الذين يدفعون ويقودون السلطان الخاسر لا تزال عن حقوق راسخة ساطانية لأجل عنوان خلافة وهمية مقيدة في وضعها بشرائط ثقيلة لا تلائم أحوال الملك ومعرضة بطبيعتها للقلقلة والانتزاع والخطر العظيم ولذلك لا يزال السلاطين أنفسهم الى الآن يأتون التلقب بالخلافة رسمياً في منشوراتهم ومسكوكاتهم وانما تمضغها أفواه البعض فيلوكلها التركي تعظيماً لقومه والعربي تفاقاً لسلطانه والمصري اتباعاً للمرائين والهندي اعتزازاً بالوهم والاخي هزواً ومكراً بخلاف سلطان مراکش وأمير عمان وإمام اليمن المتنازعين في هذا المقام رسماً المتقاطعين لأجنه على أنهم قد شعروا او كادوا يشعرون بضررهم السياسي في ذلك ولا نعلم متى يخاف الله من يسمى في إقناعهم حيماً بترك هذه الدعوى الداعية للانفراد والتخاذل ويرتب بينهم قواعد محافظة الاستقلال السياسي ومراسم التشریفات والمخاطبات وروابط التعاون والاتحاد بصفة سلاطين وأمراء كما آل اليه الأمر على عهد الخلفاء العباسيين مع السلاطين الخارزمية والديلم والايوبيين وغيرهم

ثم قال الأمير وقد حملني إشارات السيد الفراتي في كلامه على الجامعة الدينية تحت لوا الخلافة ان أفكر في القواعد الأساسية التي ينبغي ان يبنى عليها ذلك فلاح لي ما قيدته في هذه المفكرة وأخرج من جيبه ورقة قرأها وعند ختام مجلسنا استفسر عن شأنها وهذه صورتها .

- (١) إقامة خليفة عربي قرشي مستجمع للشرايط في مكة
- (٢) يكون حكم الخليفة سياسة مقصوداً على الخطة الحجازية ومربوطاً بشورى خاصة حجازية
- (٣) الخليفة ينب عنه من يرأس هيئة شورى عامة إسلامية
- (٤) تشكل هيئة الشورى العامة من نحو مائة عضو منتخبين مندوبين من قبل جميع السلطات والإمارات الإسلامية وتكون وظائفها منحصرة في شؤون السياسة العامة الدينية فقط
- (٥) تجتمع الشورى العامة مدة شهر في كل سنة قبل موسم الحج
- (٦) تتركز الشورى العامة يكون مكة عندما يصادف الحج موسم الشتاء والطائف في موسم الصيف
- (٧) تقترح الشورى يوم افتتاح كل اجتماع على انتخاب نائب الرئيس ويعينه الخليفة
- (٨) تعيين وفوضائب الشورى العامة بقانون خاص من مجلسه هي ويصدق عليه من قبل السلطات والإمارات
- (٩) ترتبط سياسة الخليفة بشرايط مخصوصة ملائمة لتسريع بناء على أنه إذا تعدى رتبة منها يرفع عنه وفي كل ثلاث سنين يعاد تجديد البيعة
- (١٠) انتخاب الخليفة يكون منوطاً بهيئة الشورى العامة
- (١١) الخليفة يبالغ في قراراته شورى ويراقب تنفيذها
- (١٢) الخليفة لا يتدخل في شيء من الشؤون السياسية والإدارية في السلطات والإمارات مطلقاً
- (١٣) الخليفة يصدق على تولية السلاطين والأمراء التي تجري احتراماً للشرع على حسب أصولهم القديمة في وراثتهم للولاية
- (١٤) الخليفة لا يكون تحت أمره قوة عسكرية مطلقاً ويذكر اسمه في الخطبة قبل أن يخطب الإمامين ولا يذكر في المسكوكات
- (١٥) يملك الخليفة الأمن في الخطة الحجازية بقوة عسكرية تتألف من ألفين إلى ثلاثة آلاف من جنود محتاطة ترسل من قبل جميع السلطات والإمارات
- (١٦) تكون الترتيبات العامة للجنود الحجازية منوطة بقائد من قبل أحد الإمارات الصغيرة
- (١٧) يكون القائد تحت أمر هيئة شورى مدة إقامتها
- (١٨) هيئة شورى تكون تحت حماية الجنود المختلطة

أما وظائف الشورى العامة فيقتضي أن لا يخرج عن تمحيص أمهات المسائل الدينية التي لها تعلق بهم في سياسة الأمة وتأثير قوي في أخلاقها ونشاطها . وذلك مثل فتح باب النظر والاجتهاد تمحيصاً للشريعة وتيسيراً للدين وسد أبواب الحروب والغارات والاسترقاق اتباعاً لمقتضيات الحكمة الزمانية . وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من إرشاداتها وإن كانت غير مسلمة وسد أبواب الاتقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . وكفتح باب أخذ العلوم والفنون النافعة ولو عن المجوس وسد باب إضاعة الاوقات بالعبث ونحو ذلك من أمهات المنجيات والمهلكات

ثم قال الأمير وبمثل هذا الترتيب تحل مشكلة الخلافة ويتسهل عقد اتحاد اسلامي تضامني تعاوني يقتبس ترتيب من قواعد اتحاد الألمانين والامريكانيين مع الملاحظات الخاصة . وبذلك تأمن الحكومات الاسلامية الموجودة على حياتها السياسية من الغوائل الداخلية والخارجية فتفرغ للترقى في المعارف والعمران والثروة والقوة بما لا بد منه لانجاة من الممات . وما أجدر امارات الجزيرة بالسبق الى مثل هذا الاتحاد

قال صاحب : يستشف من ظاهر فكر مولاي الأمير انه لا يجوز الاتكال على الملوكة العثمانيين العظام في أمر الخلافة علاوة على الساطنة

قال صاحب : سبب التشكيك للطبقات العثمانية وتغليبهم الشرائع الدينية ولكن التمسكة بالدين مستلزم قول الحق وعندي أن آية عثمان العظام أنفسهم اذا تدبروا لا يجدون وسيلة لتجديد حياتهم السياسية أفضل من اجتماعهم مع غيرهم على خليفة قرشي قال صاحب : أخبرتني أيها الأمير أحد أعداء الجمعية انه لما رأى السيد الفراني يميل للتنقيب عن سياسة العثمانيين واستمالة الجمعية عنهم لاهم ذكر له مرة ذلك متلوماً وقال له : ألا ينبغي ستر أحوالهم وانذاعة عنهم لانهم أعظم دولة اسلامية موجودة فأجابه بأن ذلك كذلك لولا أن فيه تغريب المسلمين وتركهم متكئين على دولة ما توقفت لنفع الإسلامية بسبب في عنفوان شبابها بل أضرتهم بسبب الخلافة العربية المجمع عليها وتخريب ما بناه العرب وإثناء الأمة به وحاشا شرفي أوروبا ومدافعاتها عنه والله لا تقصد بكشف الحجة وإنما لرد غير إرادة الضرر والافتقار المسئولين على إمامهم المسلمين بسبب عدم التأمل . ثم قال له :

من الزمان قد تركوا وفود المبعوثين يهودون نصارى ومجوساً والذين هم من

عمره ثمانين ، وتركوها تاتي ملكهم طاعة المتغلبين ؟ أفأنا لهم أن يستيقظوا
ويصحبوا من ثمانين على ما فرطوا في الثرون الحالية فيتركوا الخلافة لأهلها والدين
لجانه ويحتفظون هم على بقية سلاطنتهم ويكتفون بشرف خدمة نفس الحرمين وبذلك
يتقون الله في الاسلام والمسلمين ؟

وقال أيضاً انه غير متعصب للمرب وانما يرى ما لا بد أن يراه كل حر مدقق
يتفحص الأمر من أن الغيرة على الدين وأهله والاستعداد لتجديد عز الاسلام
بحصر ان في أهل الميمنة البدوية من الرب ان يرى أن الميمنة الالهية قد حفظتهم
من تلك الأمراض الأخلاقية التي لا دواء لها كمالج الحرية في الحواضر بآئام أهلها انهم
انما هم أمم الامراء وكجذام الزرية في المدن بوضعهم النساء في مقام ربانها الاستمتاع ،
وكطاعون الحياة في بعض الأقوام بأنفسهم الاواط المميت للأخلاق الشريفة دفعة الذي جزى
الله أهلها بخسف الأرض بهم بظهور آلهامهم . وكواها النشاط في أهل الاراضي
الجميلة حيث يسهل ان يغتوا في طرقاتهم فيفسد أخلاقهم فيفسدوا الدنيا والآخرة .

قال الامير : نعم الرأي ونعم التدقيق

من انما يجب : ان يضاف من حصر صفه الخلاف في خلية فرنسي في
مكة ترتبط به جميع السلاطات والامارات الاسلامية اربساطاً دينياً وما وصف من
تسليم الدول في القعدة الماضية لهذا الارتباط الديني لأمر عظيم جداً ، والنسب أن
الدول المسيحية التي لها رعايا من المسلمين أو المجاورة للمسلمين تحذر من أن يجر
جمع أو كامة الدينية الى رابطة سياسية تولد حروباً دينية فتعتمد هذه الدول الى عمل
الدسائس والوسائل لمنع حصول هذه الارتباط بثمره فما هو التدبير الذي يقتضي اتخاذه
أولم تحذر الدول من ذلك

قال الامير : لا يفكر هذا الفكر غير الفسكان وأحزابه الجزويت وأمثالهم أما
رأي السياسة في امكانات وبروسيا وفرنسا وهي الدول العظام التي يهملها التفكير في
هذا الى أن تقدم عليهم التجارب النتائج الآتية وهي :

(١) ان المسلمين لا يتصورون أبداً لاسياف زمان يعتمد فيه النصراني عن نصرانيهم

الذين لا يفترون غيرهم وجواً أبعد عن الفتن من الجاهلين

وأنهم لا يفترون غيرهم ولا لافهم وحسن المماثلة والنيات
على العهد . فإذا أرشد أولئك السياسيون لان يضموا الى معرفتهم هذه علمهم أيضاً

بالحكام الاسلامية في مسألة الجهاد التي يتهيئونها عاما يستخرجونه مما عندهم من تراجم القرآن الكريم لامن مؤلفات متعصي الفريقين حيث يجدون نحواً من خمسين آية بأساليب شتى كلها تنهى عن الإلحاح في الهداية الى الدين فضلاً عن التشديد والالزام بالقتال كقوله تعالى «إنيك لا تهدي من أحببت» «وجادلهم بالتي هي أحسن» «لست عليهم بمسيطر» ويجدون آيتين في التشديد أحدهما (فاصدع بما تؤمر) والآخرى (وجاهدوا في الله حق جهاده) وبمراجعة أسباب نزول هاتين الآيتين يعلمون انهما نزلتا في حق المشركين والكتائبين من العرب ولا يوجد في القرآن ملزم لا اعتبار عمومية حكمهما. واذا دققوا البحث يجدون أن ايس في علماء الاسلام مطلقاً من يحصر معنى الجهاد في سبيل الله في مجرد محاربة غير المسلمين بل كل عمل شاق نافع للدين والدنيا حتى الكسب لأجل العيال يسمى جهاداً. وبذلك يعلمون أن قصر معنى الجهاد على الحروب كان مبنياً على إرادة الفتوحات والتوسل للتشجيع حين كان مجال للفتوحات كما أعطي اسم الجهاد مقابلة لاسم الحروب الصليبية التي أشعل ناراها المسيحيون ثم بعطف نظرهم الى التاريخ يجدون أن العرب منذ سبعة قرون لم يأتوا حرباً باسم الجهاد وما كانت تهديدات اساطيل إمارات الغرب الا من قيل القرصان الذي كان مأثوفاً عند جميع امارات الارخبيلين الصقلي واليونان وكلهم نصارى. اما غارات التاتار على شمالي اوربا وغارات الترك على شرقها فكذلك ليست من نوع الجهاد ولا من الحروب الدينية وانما هي من مآخذ غارات البرابرة الشماليين على أوربا. ويجدون انهم كما أغاروا على أوربا أغاروا على البلاد الاسلامية ثم أسلم التاتار وحسنت اخلاقهم اما الترك فاذا دقق الاوروبيون في سياستهم يجدونهم لا يقصدون الا تناد للدين غير التلاعب السياسي وقيادة الناس الى سياستهم بسهولة وإرهاب أوربا باسم الخلافة واسم الرأي العام. وعدم اشتراك البلاد العربية في المذابح الارمنية الأخيرة برهان كاف على أن الاسلامية بمنزل عن المحافة لأن العرب يفهمون معنى القرآن فيدينون به. وقد يندهش الاوروبيون اذا علموا أن السياسة التركية لم يوافقها أن تترجم القرآن الى اللغة التركية الى الآن.

ولدى رجال السياسة دليل مهم آخر على ان اصل "الاسلامية" لا يستلزم الوحشة بين المسلمين وغيرهم بل يستلزم الانفة وذلك أن العرب انما حلوا من البلاد جذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم ولقنهم كما انهم لم ينفروا من الامم التي حلت بلادهم

وحكمتهم فلم يهاجروا منها كعدن وتونس ومصر بخلاف الأتراك بل يعتبرون دخولهم تحت سلطة غيرهم من حكم الله لأنهم يذعنون لكلمة ربهم تعالى شأنه « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (كذا) فإذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابعها لا يحذرون من الخلافة العربية بل يرون من صوالحهم الخصوصية وصوالح التصرائية وصوالح الانسانية أن يؤيدوا قيام الخلافة العربية بصورة محددة السطوة مربوطة بالشورى على النسق الذي قرأته عليك.

ثم على فرض أن الدول ولو المسلمة أرادت عرقلة هذا الأمر فهي لا تقوى عليه لأن أفكار الأمم لا تقاوم ولا تصادم على أي لاطن يمثل فرنسا أن تخضع لرأي أنصار الجزويت لاسيما بعد أن تعلمت من الانكليز كيف تسوس المسامين فأبقت لتونس أميرها فاستراحت مما عانته قبلا في الجزائر بسبب السياسة التعصبيه الحرقاء قال صاحب : أستشف من كلام مولاي الأمير أن أمه ضعيف في تشكيل جمعية تعليم الموحدين مع أنه معجب باتقان التدبير.

قال الأمير : ان دون تشكيل الجمعية عوائق مالية شتى وأرجو الله تعالى أن يزيلها. قال صاحب : اتني جاهد في الوقوف على خبر السيد الفراتي ولعلي أظفر بمعرفته فاجتمع به أو أكتبه فهل لمولاي الأمير رأي أو أمر أبلغه إياه إذا ظفرت به . قال الأمير : نعم إذا ظفرت بمعرفته فاقربه مني السلام وبلغه عني هذه الجمل وهي اني اتني على صدق عزيمته . وعلى حسن انتخابه ورفقائه وأوصيه بالثبات والإقدام ولو طال المطال . وأن يحرص على إبقاء علاقته مع أعضاء جمعية أم القرى باستمراره على مكاتبهم . وان لا يقط من مساعدة القسطنطينية أو مصر أو مراکش أو طهران أو كابل أو حائل أو عمان لاسيما بعد انعقاد جمعية تعليم الموحدين ورسوخها . قال صاحب : إذا ظفرت به ان شاء الله أبشره بنجاة مولاي الأمير وأبلغه كل ما أمر به .

﴿ انتهت المحاوره ﴾

يقول (السيد الفراتي) قد ألحقت هذه المحاوره بسجل المذاكرات وكتبت بها الى باقي الاخوان تسويهاً بشأن حضرة الأمير المشار اليه وشكراً على غيرته وتبصيراته وافتخاراً بحسن ظنه ونظره في هذا العاجز وتبشيراً لجناحه وللمسلمين بأن جمعية أم القرى قد أحكم تصورها وتأسيسها فهي بغاية الحي القيوم الابدية قائمة أبداً

﴿ تذكرة ﴾

ربما يتأخر تشكيل جمعية تعالج الموحدين مدة فالتأمول من الجمعيات الإسلامية الموجودة في الهند وقازان والشرم ومصر وغيرها أن لاتأفف من تنوير أفكارها بمباحث هذا السجل فنقتبس منه مايناسبها وتخذالتانون والوظائف مثالا وذكري

﴿ رجاء ﴾

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعنده شمة حية ومروءة فلا يجسس عن جمعية أم القرى وأعضائها بقصد إيصال سوءها اليها ، ليعلم أن يده وإن طاولت الافلاك أقصر عن الإضرار بها لأن الجمعية في أمان الاخلاص ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله

﴿ تهوين ﴾

ليعلم أسراء النفائذ وورثة الأوهام ومعظموا العظام ومؤهلوا الطغام ان تألمهم من سدة بعض هذه المباحث لما ألفوه عمرهم هو تألم مبالغت لا يلبث أن يزول متى خلووا بعتو لهم ويحكموا بالحكمة والإصاف وتأملوا سقى الايمان وناقض انقراذوحيا
يجلي لهم الحق ويندمون كما ندم قباهم الاولون فيتوبون ويتوب الله عليهم والله يهدي من يشاء
(اعلان)

من أحب أن يحدد مقاصد جمعية أم القرى برأيي فائق أو عمل مهم أو رغب في نهضتها بشيء أو مال أو أراد مساهمة الجمعية أمكنه أن يرسل وكالة الجمعية بدون اسم
بن بارسال كتاب مضمون الى دينه الى صندوق البوستة عدد
وأذا أراد التخفي يمكنه أن يكتبها أنه لا بأس به بخلاف ثم بعد أخذها الجواب الاول
يستعمل الكتابة الجفربة الموضحة في الجدول التالي به هذا السجل
والذين يرجى منهم نهضيد مهم ككثيرات الأمراء العظام والاعضاء الكرام فاهم
أن يطالبوا رسولا من قبل الجمعية ليوضح لهم ما يستحقون (انتهى)

(المنار) قد انتهى كتاب سجل جمعية أم القرى وما الحق به وقد كنا اتفقنا مع
جامعه السيد القرآني (رحمه الله برحمته) على نشره في المنار بتصرف يختص بتصحيح
عبارة وحذف مساوي الدولة الفعلية (ايدها الله تعالى) منه ثم استحسن فضلاء
الفراء عدم سداد من منه فاستبدل من منه بمرند من أول سنة ١٣١٠ الى الآن ان
يتقوا بأنهم اطاعوا على هذا السجل كله بعبارة أشع الاجلحة واحدة ذكر فيها خديو
مصر بأنه سوسو لمساعدة الجمعية ولا جدرار الخطابية الرضوية

باب الاسئلة والاجوبة

(س ١) أحوال الآخرة : على اقسدي مهيب بتفتيش التاخرافات بمصر : جاء في كتاب الاحياء للإمام الغزالي في باب العقائد من الجزء الاول أنه لا يقبل إيمان العبد حتى يؤمن بالأمور الآتية وهي (١) - سؤال منكر ونكير (٢) - عذاب القبر (٣) - وزن الاعمال يوم الحساب : يزان ذى كفتين وصنح (٤) - صراط ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف (٥) - حوض مورود لمحمد صلى الله عليه وسلم (٦) - شفاعة الانبياء والعلماء والشهداء (٧) - فضيلة النبي عليه الصلاة والسلام على جميع الناس ومن بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . فهل كل ذلك صحيح ثابت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم كما يقول صاحب الاحياء أفيدونا أيهاكم الله ونفعنا بعلمكم

(ج) إنما ذكر الغزالي ما ذكره في أصول الاعتقاد على الوجه الذي عليه الأشاعرة وأشار إلى الرد على مخالفهم من المعتزلة والشيعة وبعض أهل السنة الذين أولوا ما ورد في بعض ذلك . والغزالي لا يقول بكفر أولئك المخالفين للأشاعرة بل صرح في مواضع من كتبه (لا سيما كتاب إجماع العوام عن علم الكلام) بأن المؤمن إذا عاش ومات ولم يعلم بتلك المسائل التي اختلف فيها المتكلمون من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم لا يخل ذلك بإيمانه . ومن تلك المسائل الخلاف في صفات الله تعالى هل هي عين ذات أو غير الذات والخلاف المعروف في كلام الله تعالى الخ فكيف يكفر أهل القبلة بعدم الإيمان بالمسائل التي ليست من أصول الدين وعقائده كالفاضل بين الصحابة . فقلوه : أنه لا يتقبل إيمان أحد حتى يؤمن بما أخبر به (النبي) بعد الموت : صحيح فإن أركان الإيمان ثلاثة الإيمان بالله ورسوله والإيمان بالنبوة والإيمان بالآخرة وأحوال الآخرة تعرف بالسمع فكل ما صح باتواتر وجب الإيمان به قطعاً وكان إنكاره كفر بشرطه ويؤخذ على ظاهر المفهوم من أسلوب اللغة إذا لم يكن مراداً عقلياً فإن كان ظاهره محالاً فاعتقاد المحال غير مكلف به في الإسلام فذاك إن تأولت ذلك أن تفوض . وإن كان ما ورد غير متواتر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكفر منكره . ومن ثبت عند الحديث وجب عليه الإيمان بمضمونه وله أن يأوله إذا كان ظاهراً غير مقبول حتى ينطبق على وجه مقبول

وأما ما فصله الغزالي بعد تلك الكلمة الصحيحة في اجمالها فلا يريد به أن هذا التقدير شرط في قبول الإيمان وإسار إليه أن هذا هو الراجح عند أهل مذهبه

ولذلك أشار إلى توجيهه والرد على مخالفه في ركن السموات من الفصل الثالث في
لوامع الأدلة ولم يذكر هناك الخوض وفيه أحاديث صحيحة وأما وصف الصراط بما
ذكر فقد رواه مسلم عن أبي سعيد موقفا عليه فإنه قال يا غني ولم يرفعه إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ولكن رفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقي في الشعب والبعث
من حديث أنس وضعفه والمأولون يقولون ان الصراط هو صراط الدين أي طريقه
ورد عليهم بقوله تعالى « فاهدوهم إلى صراط الجحيم » ولكن الآية لا تدل على ان المراد
بالصراط ما كان بذلك الوصف.

وأما الميزان فلم يرد في وصفه بما وصفوه به من الكفتين واللسان والصنح أحاديث
صحيحة . وفي القرآن ذكر الوزن والموازين قال بعض المفسرين إنها جميع . وروى
والأكثر على أن هناك وزنا حقيقيا وذهب بعض إلى أنه تمثيل المراد به العدل
قال تعالى « ونضع الموازين القسط يوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا » روى
الطبري من طريق أبي نعيم عن مجاهد أنه قال : « إنما هو مثل كما يحرر الوزن
كذلك يحرر الحق » ومن طريق أبي ثبات بن أبي سليم عنه أنه قال « الموازين العدل »
وقد نقل هذا القول عن غيره من السلف كالضحاك والاعمش . ولما أخذ المعتزلة بهذا
القول عسف بهم وصار ينسب من يقول به إلى الاتزال حتى قال أبو دؤاد عن أبي سلمة
عثمان بن مقسم البري المحدث الثقة الصدوق : أنه قدري معتزلي : وما كان معتزليا إلا أنه
أنكر الميزان . والمقصود من هذه القول أنهم لا يقولون بكفر من خالف الجمهور في هذه
المسائل فحين بهذا أن ما ذكره الجمهور في وصف أحوال يوم القيامة بالتفاصيل المعروفة ليس
شرطا في صحة الإيمان بحيث يكفر من لا يعتقد وما ورد فيها ليس كله قطعي الثبوت والدلالة
والأسلم في الأمور الغيبية أن لا يبحث إلاسان في كيفية بل يستعمل بما ثبت في النصوص
القطعية ويفوض الأسر في الكيفيات إلى عالم الغيب والشهادة ولا يعتمد على عقليا

﴿ الجهر والأسرار بالصلاة وخطبة الجمعة والميدين ﴾

(س ٢) و. ز. في سوريا : لماذا شرع الجهر بالقراءة في الفجر والركعتين الأولىين
من المغرب والمشاء؟ ولما كانت خطبة الجمعة قبل مسلاتها وخطبة العيد بالعكس : أفيدونا
لأزمت ملجأ للإسلام

(ج) إنما الجهر في الصلاة تنبيه التي أصلى ووقت الظلام غالباً فقد جاءت السنة
الصحيحة بأنهم كانوا ينسرفون من صلاة الصبح ولا يكاد يرى بعضهم بعضاً . ومن

والبطش . وكلامه بعد من ذكر الله وعن الصلاة
 « ورأى آخرون من العلماء بمن آكلها كالبنج . وما بهوي القول بأنه يحسد
 أن آكلها يتشي ويشتهها كالخمر وأن أكثر حتى لا يصبر عنها وتفسده عن ذكر الله
 وعن الصلاة مع ما فيها من تلك التفتيح . وسبب اختلاف العلماء في الحد فيها وفي
 نجاستها كونها جامدة مطهورة ليست شراباً فقليل هي نجاسة كاشم وهو الصحيح عند
 الشافعية وقيل المائنة نجاسة والجامدة طاهرة (قال) وهي على كل حال داخلة فيما
 حرم الله ورسوله من الخمر المسكر انقضاء ومعنى
 « قال أبو موسى رضي الله عنه يا رسول الله أفننا في شرابين كنا نضعهما باليمن
 البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد
 قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطي جوامع الكلم بخواتمه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام » رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما أسكر
 كثيره فقله حرام » ولم يهرق سلى الله عليه وسلم بين نوع ونوع ككونه مأكولاً
 أو مشروباً . على أن الخمر قد ينأثم بها بالخمر والحشيش قد تذاب فكل منهما يؤكل
 وشرب . وإنما لم يذكرها المذمة لأنها لم تكن على عهد السلف الماضين وإنما حدثت
 في مجيئنا التار إلى بلاد الإسلام . وما أحسن ما قيل :

فأكلها وشرابها سلالاً فلك على الشقي مصيبان

فوالله ما فرح أبليس بمثل فرحه بالحشيشة . لأنه زينها للانفس الخسيسة » اهـ

﴿ باب التقريظ ﴾

(الجواهر الكلامية . في العقيدة الإسلامية)



تشبه نهار الجوز . هو أشهر العلماء في بلاد الشام وقد كان
 من علماء مصر في زمانه . له كتاب في بيان حقائق الأديان
 وهو من أهمها . يشتمل على بيان حقائق الأديان
 من حيث أصولها ومبادئها . وفيه من الفائدة ما لا يحصى . وهو
 موجود الآن وما هي من النادرة في القرائن . وفي المفيدة بعض المسائل الخلافية
 التي كانت أود لو لم يحد وهي قليلة وما ذكره فيها هو المشهور عن الجمهور

(الجوهرة الوسطى) ثم انه لما رأى في هذه السنة اقبال المدارس على عقيدته
تقديمها وألف رسالة أخرى سماها الجوهرة الوسطى ساك فيها مسلكاً لطيفاً في التبصرة
والاستئلال ينبغي أن يختص بتلامذة المدارس الثانية أو الثالثة وقد طبعت الرسالتان
معاً بحرف دقيق في شكل صغير فكانتا ١٢٠ صفحة فتصح لمدارس مصر الأهلية
بأن تقرأ هذه العقيدة في مدارسها ونمّا قرشان صحيحان

(كتاب لسان الصدق جواباً للكتاب المسمى ميزان الحق في الرد على انصارى)
تأليف الشيخ على البحراني أحد علماء الإمامية الأعلام في الهند وهو كتاب جليل
في بابه محكم الوضع قوي الحجج حسن الترتيب فيه مقدمة في اثبات الصانع وصفاته
واثبات الرسالة أشار فيها الى ضعف مذهب الاشعرية وغيرهم في بعض المسائل ويتلو
للمقدمة ثلاث مقالات في كل مقالة مقدمة وعدة مناطق يرد بها على القسيس مؤلف
كتاب (ميزان الحق) ومن مباحث المقالة الأولى اثبات النسخ في الشرائع والتحريف
في التوراة والانجيل وبيان كون القرآن يغني عنهما، ومن مباحث المقالة الثانية تنفيذ
دعواهم اتفاق اليهود والنصارى في ما عدا الاعتقاد بالمسيح وبيان تناقض الأنجيل
وابطال ألوهية المسيح. ومن مباحث الثالثة تنفيذ مطاعنهم في القرآن وفي الذي عليه
الدلالة والسلام. وبيان بشارات كتبهم به. والكلام في الأحاديث النبوية. وبالجملة انه لم
يترك مطاعناً من مطاعنهم الا وقده وأزال شبهتهم فيه. ثم ختم الكتاب بخاتمة في
اثبات مذهب الإمامية وجعل في آخرها قصيدة أشار فيها الى مطالب الكتاب ومباحثه.
وذلك ان فرقة الشيعة أشد عناية من سائر المسلمين بالدعوة الى مذهبهم

وقد كان الكتاب يباع في الهند طبعاً سقيماً كسائر المطبوعات الهندية. فانتدب
الكتبي الغيور الشيخ محمد المديجي وأعاد طبعه بمطبعة الموسوعات في مصر فكان طبعاً
متقناً نظيفاً وبلغت صفحاته ٤٧٥ من القطع المتوسط وهو يطلب من مكتبته بقرب
الازهر وغيره فاحت أهل العلم والفضل على مطالعته

(وقاية الشبان • من المرض الافرنجي والسيلان) كتاب جديد ألفه الدكتور
سميد ابو جرة مؤلف كتاب (حياتنا التناسلية) أما حاجة أهل هذه البلاد التي فشا
فيها الوباء الى معرفة ما كونا الكتاب وافيا بهذه الحاجة فلما أن حكم به ان تستأثر له
بتوجيه همه المؤلف وعنايته الى هذه المباحث حتى انه ألف فيها كتابين • وطبع
هذا الكتاب كإبائه في مطبعة هلال وصفحاته زهاء ميتين وثمته ١٢ قرشاً وأجرة

البريد قرشان وبطاب من مكتبة الهلال بمصر
(الراوي) جريدة يومية سياسية تجارية أنشأها في العاصمة يوسف بك طاعت
وأنشأ لها مطبعة خاصة واختار لها عدة محررين من كتاب السوادين المشهورين
بالاشتغال بالصحافة فنودوا تصادف رواجاً ونجاحاً ولكن رجاءنا في ذلك ضعيف إلا
أن تسلك الجريدة مسلكاً تمتاز به ولا يجده القراء في سائر الجرائد الأخبارية وما
ذاك الآن تبتأ من المبل إلى إحدى القوتين الموجودتين في البلاد ونسب زمنا طويلا
على قول الحق الخالص من غير نظر إلى مرضاة الناس وغضبهم وأعني بهذا أن
تكون تاريخية لا سياسية • وبعد ذلك تكون موضع ثقة جميع العقلاء والفضلاء

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِثْقَالِ

العربي الجواد • وهل سلم من سعاية وانتقاد

ذكرنا في الجزء الماضي خبراً تعرج صديقنا محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين
(والله أعلم بما في صدورهم) على السويس في طريقه إلى الحج وكذبوا
بديه بالنوال حتى صار كل من ألف خبره يذكر كرم أمراء العرب الأولين، وعطابا
الخلفاء والسلاطين وتقول الآن أنه بعد أن وضع العقد على القراء وأهدى
الهدايا الأغنياء، وبعد أن بذل المساعدة لدارس الإسلامية والتبليغ والأجنبية وبعد
أن أخذ على نفقته نحو مئة وعشرين حاجاً من الفقراء وبعد أن ظهر انتعاضه لأن
سائر قاصدي الحج جمعوا خائنين لأن سقينة (البحيرة) لم تسلمهم وأوصى من كان قائماً بشؤنه
(وهو السيد السيد مصطفى هاشم وكان ابناً في السويس بصفة سين ويزيل في هذا
البيت الكريم) بأن يجمع من بقي من الفقراء منهم بعدد من اثنين ويؤسهم على
نفقته في أول ما يور بحمل حاجاً من السويس ويسعدان حاجاً في بعض الجرائد
إن سيدنا كور وفي هذا عهد إلى أن نرى غيرة من يمشي في سائر مكة
(والآخر البوسنة الخيرية) في هذا الحاج الباقين بعد هذا بعضه أو كله كما
بعض الناس في هذا عهد الحسن الحاد، بالسعاية والانتقاد

يما كما نسمع بعض الوجهاء في السويس يقول أنه لم يبق بيت في هذه المدينة لم يصبه نوال هذا الأمير العربي إذا بعضهم يقول أن أكثر هذه المطايا في غيره وضمها ولو كان بقي هذه الأموال جامعا متلا لكان أفضل وأبقى لذكره !! فأجابه كاتب هذه السطور : أن الكرم عالي قسمين كرم العقل وكرم النفس فالأول يجري فيه الحساب والتقدير واختيار الطريق الذي يوصل إلى نباهة الذكر أو زيادة النفع وهذا الكرم يكون في الثياب مكتسباً بالتربية والتعالم • وأما الثاني فهو سجية في النفس يكون صاحبها أريحية وهمة تبعته على البذل متى وجد له طريقاً ما ولا يأتي فيها الحساب والتقدير ، ولا توخي نباهة الذكر ولا حسن المصير : وكرم صاحبنا من هذا النوع ومنه كرم سائر الأجواد المعروفين كخاتم الطائي وكعب بن مامة ومعن بن زائدة

ثم رأينا جريدة ، صباح الشرق تسأل سؤال قضاة التحقيق عن تاريخه ونسبه وحدود بلاده وعدد رعيته ومقادير المطايا التي جاد بها وعن الحاج الذين حملهم هل دفع عنهم التأمين الذي فرضته الحكومة على الحاج المحسين وعن منابع ثروته واستتجبت من ذلك ، توهمين خبر الجرائد : ونحن نحيب بأن رواة الجرائد كتبوا اليهاما رثوة بأعينهم وسمموه بأذانهم فلم يكن لهم حاجة في تصديق الخبر بامساك هذا الرجل عن عمل البر وإشغاله بأملاء تاريخه وتاريخ بلاده عليهم لأنه يوجد في مصر جريدة ساء ظنها بالناس حتى أنها تكتفي في مقام الذم بأضعف الشبهات ، ولا تكتفي في مقام المدح بأشاهدة حتى يؤيدها جميع ما يخطر بالبال من النظريات ،

قلنا إن الرجل أمير أي أنه أمير في نفسه وقومه لا أنه سلطان ذو مملكة ورعية وقلنا أنه شيخ دارين أي أنه رئيس تلك الجهة وإن شئت قلت أنه أميرها ولكن العرب هناك يفضلون كلمة (شيخ) على كلمة (أمير) فيقولون شيخ الكويت وشيخ البحرين • وأما دارين فهي ميناء نجد على خليج المعجم من زمن الجاهلية وفيها قال الشاعر العربي ما يعرف في شواهد كتب النجوى وهو :

يمرون بالهنا خفافاً عيابهم ويرجمن من (دارين) بجراً الخفاف
وقد كانت عفت فأحيا معاملها محمد عبد الوهاب هذا • وأما ينبوع ثروته التي
التي كان صاحب المصباح فهو تجارة اللؤلؤ على أنه كان غنياً قبلها • ومن لطائف
الاتفاق أن جريدة ثمرات التنون الغراء كانت في أثناء وجود هذا الرجل مبحراً من
السويس تمر بنبذة في صيد اللؤلؤ وقد جاء فيها ما نصه :

« واليك بيان كمية اللؤلؤ الذي صيد في هذا العام : جهزت سواحل الخليج ٤٢٠ سفينة فيها ٧٥٦٠ عائلاً فأصعدوا ما قيمته ٨٤٠٠ و ٠٠٠ روبية (الروبية فرنك واحد و ٦٨ ساتيا) فاشترى هذا الصيد كله تاجر واحد من جزيرة داربان (الصواب من دارين) وجهاز من البحرين سبعمائة سفينة فيها اثني عشر ألف رجل فعادوا بما قيمته ٢٠٠ و ٠٠٠ روبية • هذا ما كان من المفائض المشهورة وأما ما أخرج في غيرها من المفائض فلم نزل قيمته مجهولة • اهـ

ونحن قد علمنا من صاحبنا انه مجهز السفن وأنه يعطي الفواصين الدراهم في أثناء السنة ويحاسبهم عنها عند اخراج اللؤلؤ . فنزيد . مصباح الشرق قول بعض الجرائد انه جهز ثلاث مئة حاج بقوله ان ذلك يقتضي أن يكون قد دفع عنهم تأميناً للحكومة قدره خمسة عشر ألف جنيه على الأقل وقوله عنه اذا كان • قد بذل من خرائمه مثل هذا القدر العظيم من المال الذي يكاد يكون أبغى ثروة تدخر بين ساكني نجد وتهامة من أول الزمن الى هذا العهد فهو بلا شك حاتم هذا الزمان وقارون هذه الايام !! كلاهما غير سعيد وقد فعل صاحب التبليغ عند كتابة الكلمة الاولى عن كون التأمين الذي تطلبه الحكومة المصرية عن كل حاج في هذا العام هو خاص بالمصريين الذين لا يباح لهم السفر الى الخليج بعد سفر الحمل وقد سافر هذا الأمير بفقراء الحجاج بعد سفر الحمل بأيام • هذا وجه خطأ عبارته الاولى وأما استكبار ثروة الرجل وقوله فيها فقد علم أيضاً انه في غير محله . ونؤيد له القول بأن ثروته أكبر مما استكبره على أهل نجد وتهامة من أول الزمن الى هذا العهد .

وبقي أن نشير الى معنى كلمة « السعاية » التي أشرنا في العنوان الى أن هذا المحسن لم يسلم من إساءة أهلها . وذلك أننا علمنا أن عقارب بعض السعاة المخائين الذين يسمون هنا « جواسيس الاستتابة » قد دبت الى مرجمها ودبرت حيلة لإيذاء هذا الرجل المحسن في بيت الله وحريمه الآمن بواسطة من هم أهل لذلك في الاستتابة وكادوا له كيداً فقل الله أن يرد كيدهم في نحورهم • فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين •

﴿ اصلاح لبنان ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي نبذة من التالفة التي قدمت الى متصرف جبل لبنان على أنها من جماعة المهاجرين اللبنانيين وعلم من تلك النبذة أن الغرض منها إنبات أن سبب تأخر لبنان وأحطاطه هو التعصب الديني في طوائفه أو « الاستقلال الطائفي » الذي

ينافي الاستقلال الوطني الذي تعمربه البلاد وبقي علينا أن نشير الى رأي اللائحة في ملائحة الاستقلال العائلي الذي هو شرط الاستقلال الوطني المطلوب

بدأ كاتب اللائحة رأيه بخطته القانون اللبناني في جعل وظائف الحكومة مقسمة بحسب المذاهب الدينية وقال ان هذا يزيد التعصب ثم اتبعها بنبرة افترضها بكلمة واشنطون محرراً اميركا في أول خطاب أرسله الى الندوة بعد استقلال الولايات المتحدة وهي « يجب أن نوحّد مبدأ الشعب الأميركي المستقبل بالمدرسة » ثم قال بعد تمهيد: « يجب أن نجعل الشعب لبنانياً ولا سبيل لنا الى هذه الأمانة الا بإعداد رجال المستقبل فكيف نعدّهم ؟ بالمدرسة » جعل واشنطون العظيم الشعب الأميركي بمبدأ واحد . وبالمدرسة جملة هكذا عظيماً . وبالمدرسة الحرية جملة هكذا حراً . بالمدرسة يقول بسمرك انه استطاع أن يتغلب على فرنسا . بالمدرسة استطاعت اليابان أن تخرج من الظلمة الآسيوية الحالك المدهمة . ان الأفكار القديمة لا تجد لها ما تعادون عقول الصغار الا المدرسة . فبالمدرسة فقط يستطيع الشعب اللبناني أن يصير وطنياً وان يتحد على صاحبه الطبيعية .

« مولاي قد قال الشارع الفرنسي في نظام التعليم الإلزامي: من حق الحكومة خدمة المنافع العمومية أن تحتاط بكل وسيلة لئلا يكون في الشعب أفراد يجهلون حقوقهم وواجباتهم فاتكن المدرسة من حق الحكومة التي ترأسونها ومن واجباتها ايضاً » ان المدرسة التي نرجو ان تكون حائزاً بين صفارنا وافكارنا القديمة ليست المدرسة الفرنسية ولا الانكليزية ولا الأميركية ولا الألمانية ولا الإيطالية . لأننا لا نريد أن يكون صفارنا مثلنا اوروبيين واميركيين في لبنان وليست المدرسة الجزوبية لأننا لا نريد ان يكون صفارنا مثلنا متواكلين ضعفاء خباء . ولا المدرسة الطائفية لأننا لا نريد ان يكون صفارنا مثلنا موارنة ودروزا وارثوذكسا وملكيين ومتاوله واسلاماً . ولا المدرسة الدينية لأننا لا نريد ان يكون صفارنا مثلنا لاهوتيين ينجادلون على ما لا يعلمون . إن هذه المدارس موفورة لنا وحالتنا الاجتماعية لا تزداد الا فسادا وتقهقرا . فالمدرسة التي نرجو ان تكون لنا باباً الى الحياة الجديدة هي المدرسة الوطنية الحرة . هي المدرسة التي تتولاها حكومة منفصلة عن الكنيسة كالحكومة اللبنانية « باختصار قليل » ثم بين طريق ايجاد المدارس الحرة والتفقه عليها وبحث عن عيوب الحكومة وبين سبيل الاصلاح

ونحن نقول ان هذه هي « الوطنية الحقة » لا التي يلفظ بها بعض أحداث المصريين

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فقد سمعوا أحسنه وأحسنه الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

بشر الحكمة من يشاء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي خير أكبر وما
الكتاب إلا أوامر وإيات

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم الاحد ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ — ١٥ مارث (آذار) سنة ١٩٠٣)

« رأى في اصروح المسلمين او رأيه »

كتب الينا وكيل المنار في بعض الأقطار رأيه في طريقة إصلاح
المسلمين في خاتمة جواب يتعلو بأمر الاشتراك والمشاركة فأجبنا أن
يطلع عليه القراء لما فيه من دقة النظر وبعد الغور قال حياه الله :
« رأيك بالعناية في إصلاح النفوس والعقول والأفكار والأخلاق
لا أظن أنه يوجد من يخالفك فيه على شرط أن تجمع من أيدي الناس
كتب التصوف النظري وكتب المقائد التي ألفت على طريقة أرسطو
(لا كتب أرسطو نفسها) والتفاسير التي البسها أصحابها لباس الفلاسفة اليونانية
وكذا الكتب الفقهية التي كتبها الاعاجم ومن احتذى حذوهم لا الكتب
التي كتبت بطريق الرواية كالموطأ وغيره وطرح القواعد التي دونها
الأصوليون وجعلوها من أصول تعاليم الدين وتحويل تكايا الطرق الى مدارس
تعلّم فيها العلوم الكونية بأسرها على شرط أن تكون إدارتها بيد أناسي من

علماء أم أوربية صغيرة كسويسرة والبلجيكا ويعزل الثبيان المتعلمون عن الأمة حتى يتمتع سريان عدوي الأخلاق التي أرزأت أمم الاسلام من الاسلاف الى الأخلاف. وبعد أن تدرس هذه الرمم التي صارت مع طول الزمن دكام أقدار مفسد للتمدن يتسنى للمصلحين ان يشيدوا على انتاضها، اقل إصلاح « وهيئات هيئات ان يفوز المصلحون بتلك المطالب العسيرة التي أعيت همما، وبيضت لما، وأشفقت أمما، ظهر ككنفشيوس قبل عصرنا هذا بأحدى وعشرين قرنا لمعاناة إصلاح مذهب سكياموني وتجديد ما تدعى من بنيانه المتيق الذي كرت عليه الدهور الدهارير وبالرغم مساهمة الكبيرة وهمة القمصاء وعزمه الصارم بقيت آراء سكياموني كما هي محتكرة في اليبا كل لكمية الشعب ولم يزدها ذلك المصلح بقارعه المظنى الاثباتا وتمكيننا. وهذا المسيح قام ليعدل سلطة اكايروس اليهود وليجدها الخلق من مذهب التورا فلم يقبل له رأيا الامن خذله في اداء الشهادة وقت المحاكمة وما عسى ان اقول ونينا الكريم عليه السلام قد ارسله الله مهمنا على الكتب ومجدا لأشرايح الكون التي اقتضت سنة الأمر ان تجديدها بتجدد مقتضيات فلم يقبل دعواه من أرباب تلك الاديان الا من نكب عن فئه، وانحاز لغير بثة، وهكذا شأن كل مصلح يفلت من أسر العادة وينسلت من قيود المصطلحات وتؤثر في نفسه الحقائق وتشمل بصيرته المشاهدات الصحيحة يستكرما: تحسنه الناس ويستحسن ما لا تنكره فيدها أحلامهم، وبين أوهامهم، الى أن يشوبوا الى رجمة الهدى، او يكون نشأ جديدا، ودون ذلك خرج القصاد على غرض سبالة الظروف المحيطة على أن هناك مهيما آخر اقرب الى السلامة، وضمن النتيجة، وهو

سبيل رجال أوربا الكبار ، ودهاقها العظام ، وبيانه ان يشتغل المصلح بعد
ترقية نفسه ، وترتيب منزله ، وتنظيم معيشته ، وتدير ما كله ، بتسمية ثروته
بالطرق القانونية ويختار له منها الطريق الأضمن على شرط أن يحتذي
مذهب السدق ويتقبل نمط الامانة ولا يعتمد الا على نفسه فلا يمر عليه
غير زمن قليل حتى يكون من أكبر المثرين في العالم مثل مرجان وسيسل
رود وغيرهما فلا يصعب عليه بعد تكوين الثروة تأسيس المشروعات وعقد
الشركات وإنشاء المدارس وفتح المعامل وإرسال الفلك تمخر عباب اليم
لجميع له كنوز المخلوقات

« وأما طريقة إصلاح الأمم والنفس بإلقاء الخطب وكتابة المقالات
فلا نفيد المسلمين في شيء اللهم إلا من كان له هوس منهم فيهما لأن العالم
والصانع والزارع والصراف والتاجر في البلاد المربلة ^(١) لا يصيخون
الأسماع للخطب ولا يغيرون الأبصار للمقالات الا في أوقات الفراغ من
الاعمال فهي عندهم بمثابة المسليات والمنبهات . والذي يصيخ وينظر في بلادنا
الفاخنة هو المكسب المتقاعس عن حير نفسه ونفع جنسه واذا تنبه له
واستأثر بصبرته فلا يكون منه غير التأوه على الاسلام والبكاء على المسلمين
ولمذا تسمت كلمة المرابين على ان ترقى الأمم لا يفيد الا اذا كان مبادياً
بحتم مطايا على أنافي الصناعة والزراعة والتجارة وطياته الإقدام والحزم
والعزم والنشاط والثبات . وحققوا أنه لا يتوقف على دين ولا يحتاج الى
نعمة رسول وإنما تدعو اليه الحاجة ويثبت اليه اختلاط العناصر المختلفة بعضها

بعض . فليس من الحكمة ان يمشوا ولا أسرف له راحيا وزبلة الارض

التي تزل وهو شجير . ولا معنى لهذا هنا

«يذنب سكان الجابون بدين وثني أخذ نفوس اهل آلاف السنين وأبقاهم خاملين تحت سجن طقوسه الواهنة حتى ذاق أفراد منهم عسيلة الأثراء فأنبرت نفوسهم ساعة وراء التأسيسات النافعة وما فتؤا يفكرون حتى تنبه لهم الأقران فتلاحقوا بهم ثبي وما كادت تنبه لهم الحكومة حتى اضطرها تفاقم المساعي الى التنازل عن كثير من حقوقها المكالمة بطليسان الكهنوتية المقدس وأتاحت لهم بغير عناد حكومة مقيدة باحتساب الأمة عليها وقد صارت الآن تضارع أعظم الأمم شوكة واقتداراً وما دين المسيحية بأصفي منها من المنبع البوذي وهذا مبتدع وذاك مخترع والمنزع القديم في الغالب مقتبس ومتبع (كذا) ومع ما هو عليه من التشويش والتشويه والتلبس بتلك الحجب التي حاكها يد المجامع المقدسة لم يزل ديناً للأمة الراقية ذات الطول والحول والمنعة والعزة رغمًا عن النهضة العلمية والأخلاقية لاأحاول الجدال ولا أريد الحوار وإنما غايتي أن أطلعك على فكري الخاص في اصلاح الأمة الاسلامية بالوسائل الصحيحة التي لا تستلزم زمناً طويلاً ولا تكلف تعباً كبيراً وهي ان تترك القادري يعمه في قدرته والرفاعي يمشو في رفاعيته كما تركنا النصراني يتخبط في ظلام نصرانيته والوثني يهرق في وثنيته ونسعى مع الجميع متكاتفين لنحصل فرنكا واحداً عن كل شخص من المسلمين ذاك لروح شيخه وهذا باسم وليه وذا في سبيل النهضة وهذا باسم الوطنية الى ان تتمكن من جمع مال كثير فتؤسس به مشروعاً يكون جزيل الفائدة ، كبير المائدة ، وما علينا والصراخ في انواء ، والنداء في الأجواء والأذان من الشرق والغرب والرياسة ، فذاك في مذهبي شيء لا يجدي والسلام»

﴿ رأي المنابر في الموضوع ﴾

لقد أحسن الكاتب النبيل القصد في قوله ولكن فيه إجمالاً يحتاج إلى بيان ونظراً في بعض الجزئيات . وما كان الإجمال منه إلا لأنه كتبه لمن يغنيه الإجمال عن التفصيل وفرق بين ما كتب ليطوى وما كتب لينشر . ولقد سرنا توارداً لطواظر وتلاقى الأفكار بيننا وبين الكاتب النبيل ، والوكيل الأسيل ، في وجوب عزل المعلمين عن الأمة لأن قوام التربية بالقدوة والمحاكاة المتولدتين من المعاشرة والمخالطة وقد بدأ الله تعالى تربية نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعزله عن الناس فحبب إليه الوحدة ، وأطعمه الانزواء والعزلة ، ثم علمه بالوحي ما شاء أن يعلمه ، ولقد قال « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فعلمنا أن نستفيد من هذه الحكمة ، مع من منحه الله العصمة ، وموافقة أخرى في الرأي وهي الاستمانة على تعليم الفنون والعلوم الكونية ، بأساتذة من أصغر الشعوب الاوربية ، لأن هؤلاء أبعد عن السياسة التي تفسد كل صلاح ، وتحول دون كل نجاح ،

الذي لاح لي من كلام الكاتب في إخفاق رجال الإصلاح المعنوي هو أن غرضه منه تحويل وجوه المعلمين عنه ليتولوا شطر الإصلاح المادي الذي يراه والا فان كل واحد من المصلحين الذين ذكرهم قد كان له تأثير كبير في أنواع الانقلاب الذي حدث في العالم المرة بعد المرة وليس من شرط النجاح في المشروع ان يأخذ به كل أحد ولا ان يكمل فيه كل من أخذ به . فاذا كان الإصلاح المعنوي لم يعم أفراد الأمم التي ظهر فيها وكذلك الإصلاح المادي والسبب في هذا هو أنه الاستعداد في البشر متفاوت تنبأوا كباراً وكل يعمل بحسب استعداده ففي أوروبا من يملك ألوف

الآلاف وفيها من يموت جوعاً وكأين من عالم يطلب الثروة، وتوزع الكسرة والحسوة، وليس هذا مقام بيان تأثير أولئك المصلحين العظام في الأمم والكتاب يعرفه ولكن غرضه ما ذكرنا

والقول في تأثير الخطب والمقالات يتصل بالقول في تأثير رجال الإصلاح المعنوي لأن الخطباء والكتاب الداعين إلى الإصلاح هم ورثة الأنبياء والشارعين وهم أركان الإصلاح الاجتماعي والسياسي ومن ينكر أن للوثر وأشياعه وميرانو وأضرابه تأثيراً عظيماً في تحويل أوربا عما كانت عليه، ونقلها إلى ما انتهت إليه؛ ومن ينكر تأثير تلك المقالات والرسائل التي كانت تنشر في فرنسا قبل الثورة الكبرى وأن ذلك التأثير هو الذي ثلّ عرش الملك وسط الصعاليك على الأمراء والنبلاء؛ فالإصلاح في جميع الأمم إنما جرى على أيدي الفتراء والمتوسطين بباعث معنوي ولم يوجد إصلاح في الأرض بدأ به الأغنياء تأسيس المشروعات المادية النافعة وإن شئت فقل أنه لم يوجد إصلاح مادي بحث ولكن كل إصلاح يرقى البشر ينتج العمران والعمران المادي إنما يكون في النهاية لا في البداية

كل هذا يعرفه الكتاب القاضل ولكن الرأي الذي أبداه إنما هو في اختيار أقرب الطرق ولعمري إنه نظريون أنهم لا لأن فيه من العقبات الكؤود ما يتعذر معها سلوكه على الضعفاء المحتاجين إلى الإصلاح كالمسلمين فبادارها بالحنيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

يقول إن الواجب على صريدي إصلاح المسلمين أن يسلكوا سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إصلاح شؤون منازلهم وتنظيم طرقهم يستقيم من هم هؤلاء المريدون للإصلاح وما هي طبيعة بلادهم التي يعيشون فيها؟ هم نفر

من وسط الناس سامت فطرتهم، وصفت فكرتهم، وحسنت في الجملة وبالمصادفة تربيتهم، وامتازوا بالليل إلى البحث في الأمور العامة والاهتمام بأمر الأمة والملة . ولم يكن لهم شيء من هذه الخصائص بواسطة تعليم وتربية ودعا في نفوسهم إذ لا يوجد للمسلمين مدرسة في قطر من الاقطار تذكر فيها مصلحة الأمة أو توجه نفوس تلامذتها في تعليم كل علم وفن إلى أن المراد به الإصلاح وإنقاذ الأمة مما هي فيه . وإنما هو الاستعداد القطري مع مساعدة التوفيق الذي يعبرون عنه بالظروف والمصادفات . ولو أن هؤلاء اشتغلوا بغير البحث في الأمور العامة وطرق الإصلاح لضعف مدادهم فيه لأنهم لم يتربوا عليه ولم يتعلموا طريقه تعلمًا فيكون همهم

بعد المدرسة السعي في اتخاذ الوسائل لما وجههم إليه المربون والمعلمون . وأما طبيعة بلادهم فهي كما يعلم الكاتب ليس فيها موارد قريبة للثروة الواسعة من الطرق القانونية كالثروة التي جمعها سسلرود . والاعمال انكسيرة التي يتوقف عليها إيجاد الموارد لا تكون الا من قوم تعلموا طرقها وفنونها وتربوا تربية صاروا بها محلاً للثقة في إنفاذ الاعمال بهم وأثنى لبلاد المسلمين هؤلاء الماملين العالمين !! وجملة القول ان الذين يفكرون في الإصلاح من المسلمين ليس عندهم استعداد لجمع الثروة الكبيرة وان بلادهم ليس فيها الآن منابع لهذه الثروة مفجرة يسهل عليهم ورودها وان الأمة التي يعيشون فيها ليس لها استعداد انفجير ينابيع الثروة الطبيعية التي خص الله بلادهم بها لجهلهم وفساد تربيتهم . ونسكت عن حال حكوماتها وما ينتظ ان يلاقيه منهم مرید الإصلاح اذا حاول سلوك الطرق المشروعة الشريفة لجمع المال

إن العمران المادي كان نتيجة للإصلاح المعنوي وكذلك يكون .
 أما اليابون (اليابان) فلم يكن السائق لهم إلى الإصلاح طلب الثروة
 ولم يكن تقدمهم مادياً بحتاً لا شائبة فيه للدين بل كان السائق إليه هو صاحب
 السلطة الدينية المقدسة والسلطة المدنية القائمة على أساس الدين وهو عاهلهم
 ومليكهم (الميكادو) فهذا العاهل العظيم هو الذي قيد سلطة نفسه بعد أن كانت
 حكومته استبدادية مقدسة وهو الذي دعى أمته إلى العلوم والفنون دعا ولا
 نقول أنه دعاها دعاء . ولقد كانت التقاليد الدينية مساعدة للسلطة الدينية في
 عمران اليابان الحاضر كما يعلم من المقالات التي نشرت في المقتطف الأغر
 معربة عن أصل إنكليزي لبعض كبار الكتاب السياسيين . ويذكر
 المعارفون بالتاريخ أن أول عاهل (امبراطور) اشتغل بالإصلاح في أوربا
 وهو (شارلمان) كان مندفعاً بدافع معنوي مشوب بالاعتقاد الديني ولولا
 الإصلاح الديني الذي قام به زعماء البروسنت لحبط عمله وكان هباءً منثوراً
 والقول الفصل في الإصلاح الإسلامي هو أن الواجب على العقلاء
 الذين يتألمون من ضعف الأمة وهو أنها أن يسعوا في إصلاح العقول
 والنفوس بتعليم الصغار وتربيتهم بالمدرسة ووعظ الكبار وتبنيهم بالخطابة
 والكتابة ليكثر بذلك حزبهم ولا بد لهم في سلوك هذه السبيل من
 مسألة القوة سواء كانت أهلية أو أجنبية

فعلم من هذا أن أول واجب على من يشعر بالحاجة إلى الإصلاح في
 بلد من البلاد الإسلامية أن يشتغل بالدعوة إلى ما يعتقد في ذلك ليكون
 له حزب والدعوة خطابة وكتابة فإذا صار له حزب فالواجب عليه وعليهم السعي
 في التربية المالية والتعليم الذي يمد الناشئين لأعمال العمران والاستعمارة

على ذلك بالاساتذة المهرة الذين ليس بيننا وبينهم مطامع سياسية . وهذا يختلف باختلاف البلاد الإسلامية وأتمهما استعداداً الآن بلاد الهند وبلاد مصر وقد بدأ مسلمو الهند يسمعون في التعليم الأهلي وشعروا بأنه لا يكون تاماً نافعاً إلا بإنشاء المدارس الكلية فاقترح مؤتمر التربية الاسلامي في هذا العام جمع الف الف روية لإنشاء مدرسة كلية والمرجو ان يتم لهم ذلك في وقت قريب وأن تكون التربية في هذه المدرسة ملية اسلامية كما وافق على ذلك كبراء الانكليز هناك . ولا بد لمسلمي مصر ان يتلوا تلو مسلمي الهند في ذلك عن قريب ان شاء الله تعالى وسيكون للخطب والمقالات تأثير عظيم في جمع المال اللازم لذلك فان الجرائد كالحداة ولا حذاء الا ان يكون مسير كما قلنا في العدد الثاني من منار السنة الأولى ولا يرجي من الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، وربطوا قلوبهم بقبور الاموات وقيدوا عقولهم بخرافات الاحياء ، أن يساعدوا على انشاء مدارس للعلوم الكونية ، وهم يشعرون بأنها القاضية على تقاليدهم الوهمية

هذه هي الطريقة المثلى للإصلاح ولا يجد المصاحون من الأمة غيرها . أما الملوك والأمراء فان لهم اذا أرادوا الإصلاح عملاً آخر وهو أن يبدأوا بالقوة العسكرية فيعززوها ما استطاعوا لتكون الدولة آمنة من اعتداء الأعداء الذين يشغلونها عن الإصلاح الداخلي متى آتسوا منها الضعف ثم يوجهون الأمة الى تعميم التربية والتعليم وتنمية الثروة بالزراعة والتجارة والصناعة وقيمون حكومة الشورى ويجهدون في توثيق الصلات بينهم وبين أمثالهم من الأمراء والسلاطين . ولكل حكومة إسلامية ضرب من السير في الإصلاح يختص بها ولا تبلغ الغاية بدونها وقد أخطأ

سلطان مراکش ما يليق بحاله من السير في طريق الاصلاح فزلت قدمه
وكان الواجب عليه قبل كل شيء إصلاح الجندية كما سبق لنا القول في غير
هذه الجزء ليأمن المدون الداخلي والخارجي ثم يشرع في تعليم الأمة
وتربيتها مستعينا في أول الأمر بالمسلمين كالمصريين المواقين لأهل
بلادهم في اللغة ثم بالأجانب الذين لا طمع لهم في بلادهم عندما تستمد بلادهم
لذلك فلا تأنف منه .

على أن أملنا في جميع حكام المسلمين ضعيف بل نحن أقرب الى
اليأس منهم منا الى الرجاء فيهم . وهكذا شأن الملوك الذين القوا الاستبداد
وما كان عمل عاهل اليابان؛ الاقلية من فترات الزمان ، والظاهر لنا أن كل
ما هو مخبوء في الغيب من الخير لهذه الأمة فانما يكون بسعي بعض العقلاء
من أفراد هادون الملوك والأمراء والله في غيبه شؤون ، والله يعلم وأتم لا تعلمون
﴿ مدينة العرب ﴾

النبة السادسة تابعة لما نشر في الجزء ٢٣ من المجلد الثالث

ينبغي للإنسان ان يجتنب الوعد ما استطاع وأن يجتنب تحديد الوعد
بزمان أو مكان اذا هو وعد الا اذا اضطر الى ذلك اضطرارا وقلم يأتي
الاضطرار في الأمور العامة . ككنا شرعنا في السنة الثالثة للمنار بكتابة
مقالات في مدينة العرب أو مدينة الاسلام في عهد الدول العربية فكتبنا
خمس نبد في منشآت تلك المدينة وكونها قامت على أساس الدين وتولدت من
الدين ثم في اشتغال العرب بالعلوم الكونية وما اكتشفوه واخترعوه في
علم انماك وسائر العلوم الرياضية كالحساب والجبر والمهندسة ووعدنا بأن تم
هذا المبحث في السنة الرابعة فمرت السنة الرابعة ولم يتح لنا فيها الوفاء بالوعد

ولكننا استأنفنا وعداً آخر في آخرها بأننا تم ذلك في هذه السنة وقد
مرت السنة حتى لم يبق منها الا هذا الجزء ولم نتكمن من إنجاز الوعد لأن
المقالات المتصلة زادت في هذه السنة عما قبلها بنشر مقالات جمية أم
الهرى ومقالات « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » التي كان فيها
شيء إجمالي من موضوع مدنية العرب . وقد رأينا أن نختم هذا الجزء بنبذة
سادسة وفاء بالوعد بقدر الامكان فنقول :

(الجغرافيه الرياضيه وتقويم البلدان)

اشهر كتب الجغرافيه اليونانية كتاب بطليموس وأزياجه وقد كانت
آراءه بطليموس تؤخذ على علاقتها لان العلم صار تقليديا حتى تناوله اجتهاد
العرب فطبقوا من عهد المأمون يصححون أغلاط اليونان في الفلك وسائر
الرياضيات كما تقدم ومن ذلك انهم صححوا أرساد المجسطى بالزيج الجديد
وأما دراهم تحديد أطوال الارض فكان انهم تصحيطا تحديد بلاد العرب
والخليج الفارسي والجزيرة وبلاد فارس والبحر المتوسط . ولما اشتغل
الأوربيون بهذه العلم ظلوا زمنا طويلا مغرورين بكتاب بطليموس حتى
تفروا بكتب العرب وتصحيحهم لاغلاط بطليموس . بدأ العرب بتصحيح
أزياج بطليموس في أول القرن الثالث على عهد المأمون ولكن ذلك التصحيح
لم يكن تاما فان البيروني في أول القرن السابع هو الذي صحح الغلط في حساب
أطوال بلاد الروم وما وراء النهر والهند وألف قانونا جغرافيا كان قدوة
للمسلمين بالعسوسرافيه من بعده

• شرح عمر الخيام حساب جهادون التفرير النوية (الرومانية) في
سنة ٤٧٠ هـ . وحدد مدة السنة الملكية أربعين يوما وصنع الشريف

الاحمرى في أول القرن السادس خريطة جغرافية من الفضة لملك صقلية حفر فيها باللغة العربية صور جميع الممالك المعروفة في ذلك العهد وألف كتابا في الجغرافية بين فيه أول نقطة التماس بين جغرافية اللاتينيين وجغرافية المدارس الإسلامية وقد عكف رسامو الخرائط الجغرافية في أوروبا على مؤلفه ثلاثة قرون ونسف يتقلدونه كما هو لا يزيدون فيه ولا ينقصون منه . وكان من علماء هذا الفن في المغرب ابو الحسن علي المراكشي في أول المئة السابعة للهجرة الشريفة وقد قال سيديو ان كتابه كان أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافية . وكان لعلم الجغرافية خرائط بحرية أيضا عثر الاوربيون على بعضها في أول المئة التاسعة للهجرة . ووجدوا خريطة بحرية أخرى من رسم عمر العربي سنة ١٦٤٨م أي سنة ١٠٥٨ هـ

اما الجغرافية الوصفية أو التخطيطية فقد عرفها العرب قبل الجغرافية الرياضية واتسعت سرفهم بها باتساع فتوحاتهم وتجارتهم . قال سيديو: انهم حين امتدت مملكتهم من المحيط الاطلسي الى تخوم مملكة الصين انشاؤا بالدريج أربع طرق طرق عظيمة تجارية توصل بين مدينتي قانس وطنجة الى أقصى آسيا . (إحداها) تخترق أسبانيا وأوروبا وبلاد سلاوونة الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجرجز (والثانية) تخترق بلاد المغرب ووادي النيل ودمشق والكوفة وبغداد والبصرة والاهواز وكرمان والسند والهند (والثالثة والرابعة) تعبران البحر الابيض المتوسط وتجه إحداها من الشام والخليج الفارسي والاخرى من الاسكندرية والبحر الاحمر للتوصل الى بحر الهند . فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى اقصى البلاد ما عند العرب من الافكار والتمدن واستفاضت الأخبار الجلية الفوائد

فنورت أذهان الملاحين وعرفتهم الأخطار التي يخشى عليهم الوقوع فيها
 ذاسفروا في ولايات غير مكتشفة تمام الاكتشاف واشتملت الأزياج
 التي حررها البتاني بالرقعة سنة تسعمائة (٢٨٧هـ) وابن يونس في القاهرة سنة
 ألف (٣٩٠هـ) على كتاب رسم الارض بلا تغيير كبير . وأما ابن حوقل
 والاصطخري والمسمودي المشهورون في نصف القرن العاشر من الميلاد
 فوصفوا في كتبهم صورة الاكتشاف الجديد . وحسب العلامة السكومي
 سنة ١٠٦٧ الاطوال من ابتداء الطرف الشرقي من الارض القارة

وزعم بعض الفرنج ان العرب كانوا متبعين في أول عصر بني
 العباس الروايات الهندية مع أن كتاب مبادي الفلك المسمى بسند هند
 نسخ نقله في ذلك ورقة سنة ٧٧٥ (١٥٨) لم يكن له عظيم اعتبار عند
 العرب فانهم ظنوا عما قال برسلالات يونانية وتركوه لا يتفوهون
 باسمه لا ليدبوا ما فيه من الغلط . ولم يعولوا في شيء من الجغرافية على
 كتبهم فلو انهم اهدوا فيها أن شبه جزيرة هندستان في مركز العالم وان
 خط اصناف النهار الذي يبين نقطة وسطها يخرق مدينة اوچين وجزيرة
 سيلان . وبمبحث العرب في كتبهم عن خط نصف نهار القبة الأرضية
 وهي به عرب للتعريض على الاطوال فظن بعض الفرنج ان المراد من
 (عرين) مدة اوچين وهو خطأ فان القبة المسنوبة الى عرين هي نقطة
 تقاطع الدائرة التسمينية من حساب بطليموس مع خط الاعتدال على بعد
 متساو من الجهات الاربع الأصلية وليست هي قبة اوچين فان العرب كانوا
 يعرفون حتى المعرفة محل اوچين الجغرافي رأما « عرين » فكلية اصطلاحية
 ارادوا بها جزيرة موهوسة بين هندستان وبلاد الحبشة سماها المؤرخ

ديودور الصقلي جزيرة اورانوس . وبذل العرب خط نصف نهار عرين
 اوقبة الأرض بخط نصف النهار المار بالجزائر الخالدات فاتبع ذلك من
 ابتداء القرن الحادي عشر الى الثالث عشر « اه
 وقد ألف العرب كتباً مخصوصة في مسالك البلدان حتى صار علماً مستقلاً
 وفي اسماء البلاد والاماكن ككتاب مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة
 والبقاع ومعجم ياقوت والمشارك وتقويم البلدان للملك المؤيد صاحب حماء
 وتقويم البلدان للبلخي وكتاب اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك
 (وهذا ألف في عهد الدولة العثمانية واهداه مؤلفه محمد ابن علي الشهير
 بسباهي الى السلطان مراد الثالث ٩٨٠ ثم اختصره بالتركية)

﴿ العلوم الطبيعية ﴾

الكيمياء والصيدلة : قد ارتقت العلوم الطبيعية عند العرب واتسعت
 مذاهبها وكثر الاكتشاف والاختراع فيها على أن حظها كان دون حظ
 العلوم الرياضية لأن العمدة في العلم الرياضي العقل والعمل مؤيد له والعمدة
 في العلم الطبيعي العمل والعقل مساعده له وما يتوقف الارتقاء فيه على العمل
 لا يرتقي الا بالزمن الطويل . كانت العلوم الطبيعية من عهد استاذها الاول
 أرسطاطاليس ضئيلة ضاوية ثم ماتت بضعفها ولما أحيها العرب بأحياء الاسلام
 لهم تنكبوا طريق النظر المحض فيها واعتمدوا على التجربة فحولوا الكيمياء
 الوهمية الى كيمياء حقيقية واشتقوا منها فن الصيدلة (تركيب الادوية)
 وانتقلوا الى التاريخ الطبيعي فاكشفوا بذلك خواص نبات بلادهم ووصفوها
 بالسمية وأفادوا بها الطب والصناعة فوائدها جليلة . قال سيديو : إن البحث
 عن الجواهر الطيبة الذي مدحه ديوسقوريدس لاهل مدرسة الاسكندرية

كان من مخترعات العرب فاتهم هم المنشئون للصيدليات (الأجوانات) الكيماوية والموروث عنهم ما يسعى الآن بقواعد تحضير الأدوية الذي انتشر بعد من مدرسة سالرنه في الممالك التي في جنوب أوروبا :

ومن مخترعات العرب في الكيمياء الكحول أو الفول الذي صار قوام الأعمال الكيماوية والصيدلية وتركيب حمض الكبريت والماء الملكي والماء المعشر والجلاب وغير ذلك من الأدوية والمعاجين والمربيات والهلامات. قال في دائرة المعارف : « وهم أول من اخترع السواغات لإذابة الأصول الفعالة للأدوية سواء كانت معدنية أو نباتية أو حيوانية واخترعوا الأنيق والتقطير والتسامي ووضعوا في أيام الخلفاء قانونا اقربا ذنبا كانت جميع التراكيب الاقربا ذنبة المذكورة فيه مثبتة من طرف الحكومة لا يجوز خلافا : » أي أنهم هم الذين جعلوا عمل الصيدلة رسميا بمعرفة الحكومة

واشهر العلماء المخترعين في الكيمياء والاقربا ذن (الصيدلة) أبو بكر الرازي صاحب كتاب (الترتيب) فيها والكتب الكثيرة في الطب والفلسفة (توفي سنة ٣١١ هـ) وهو المخترع للمسجلات اللطيفة ولاستعمال كثير من النباتات في الطب والرئيس أبو علي بن سينا فيلسوف الشرق وأكبر أطباء وابن رشد فيلسوف الغرب وأكبر أطباءه وقد ترجم الاوربيون أكثر كتب هذين الفيلسوفين وانفعوا بها كما اتفموا بكتب الشيخ أبي بكر

الرازي ويشهدون للجميع التبريز في العلوم

الطب : لا يعرف التاريخ أمة أقدم عهدا في صناعة الطب من المصريين فهم أساتذة اليونانيين وأتمهم ولكن طبهم كان ممزوجا بالآوهام والتقاليد الخرافية كاعتقادهم أن الصرع يكون بدخول عفريت من الجن في جسم

الإنسان وكانوا يعالجونه بالرقى والعزائم وإنما برعوا في فرع واحد من فروع الطب وهو التحنيط وكانت التشريح مذموماً عندهم والأطباء من غير الكهنة محترقون يعاقبون إذا مات من يعالجون . ثم لما دالت دولة العلم إلى اليونان بعد انحلال المصريين عنوا بالطب فكان علماء محترماً ثم قضى الرومانيون على علم اليونان كما قضوا على دولتهم وكانت عنايتهم في المعالجة مقصورة على الرقى والطلاسم ومجربات العامة التي يتناقلونها . ثم أحوجتهم الحضارة إلى فأجلوا الأطباء بعد احتقارهم ولكن الرومان أنفسهم لم ينبغوا في الطب وفنونه بل احتفروه في أول دولتهم ، احتفروه في عنفوانها ثم عداواهم بانحلال دولتهم حتى إذا نهض الإسلام بالعرب لم تكن لهذه العلوم سوق نافذة في الأرض فاستبعدوا عنها .

دائرة المعارف : ولما كانت فتوحات العرب وضربوا في طول البلاد وعرضها كان الطب كسائر العلوم في أسفل درك الهوان والخنول فهضوا به نهضة جديدة والتفتوا إليه من كتيب اليونان وغيرهم وأودعوه كتبهم مع زيادة مما نوسعوا فيه بالبحث والتجري وأجادوا بتعريفه ووصفه وتقسيمه : (ثم قال) : ولم يكديفرغ الخلفاء ومن واهم من بنى أمية من بسط جناح الإسلام حتى أخذ الخلفاء يلجئون باب العلم كما وجؤوا باب الفتوحات فكان للطب بهم وافر واستماتوا بعلماء اليهود والنصارى عملاً « حديث القائل » استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها » فكانت للامويين من ذلك بعض الآثار ولكن الآثار المشيدة والمساكن الحميدة إنما كانت للمباسيين في بغداد ومن ثم للأندلسيين فاتخذ السفاح العباسي أطباء ماهرين أقام بنخيشوع النسطوري رئيساً عليهم وطبياً خاصاً له كما كان جويه اليهودي

عند عمر بن عبد العزيز الأموي :

— ثم ذكر بعض كبار أطباء العرب ووفاءاتهم واكتشافاتهم وقال — :
 « وعلى هذا كانت دولة العرب عروة الوصل بين طب المتقدمين وطب
 المتأخرين ولولاهم لانتثر ذلك العقد وعفا الكثير من معالم العلم والعرفان
 فانه معظم ما تناوله الافرنج من علم الاقدمين قبل فتح القسطنطينية إنما
 كان عن العرب وظل اشغال العرب مدة مديدة منحصرًا في النقل والتقليد
 لا يأخذون الا بما ينقلون ويذهبون مذهب الاقدمين فيينا تراهم عالمين
 بالأمزجة والأغذية وبأحسين في الداء والدواء واذا بهم يقولون بالتنجيم
 والمزائم والرقى والطلاسم؛ وكان هذا شأنهم الى أن نبغ منهم علماء حكماء
 فاستخرجوا كثيرًا من الحقائق العلمية وأبقوا الخلف من مبتكراتهم وتوسعاتهم
 بمباحث واكتشافات . فهم أول من دقق البحث في الحيات النفاطية
 كالجندري والخصبة والحمى الفرصية وحسبنا من ذلك رسالة الرازي . وهم
 الذين اعلموا المسهلات وأشاروا باستعمال المن والسنا والتمر هندي والراوند
 والكافور وغير ذلك . وان كانوا عرفوا منافع أكثر تلك المواد بما ترتب
 لهم من العلائق التجارية مع الصين والهند فليس في ذلك ما يخفض من
 قدرهم ويقال من فضلهم . وهم الذين حسنوا صناعة التقطير والتخمير
 وتشكيل الأواني الكيميائية بأشكال يسهل بها تناول واستخرجوا كثيرًا
 من الأملاح المعدنية وكانت لهم اليد الطولى في فن الصيدلة فوضعوا
 أسسه ووطدوا أركانه فأفادوا العالم فائدة خلدها لهم التاريخ :

ثم قال الكاتب : وفوق اشتغالهم بطلب البشرغوا بعض العناية (كذا)
 بالبيطرة وهي طب الخيل والزرذقة وهي طب الطيور وسائر المعلوم التي

لها علاقة صريحة أو غير صريحة بالطب كالبزدره وهي صناعة الفرس والطبيعات : (الى أن قال) ولهذا قبضوا على ناصية الطب كما استغلوا بأزمة العلم من فلك وهندسة ونبات وكيمياء ومنطق وطبيعيات وما وراء الطبيعيات . ولبنوا أربعة قرون متوالية مستودع المعرفة وملجأ الحكمة أي منذ تولى الرشيد في بغداد أو قبيل توليه الى موت ابن رشد . ولا عبرة بالفترة التي دامت بعد وفاة ابن سينا فان العلم لم يمت في خلالها . (قال) والعجب كل العجب أنه قامت بعد ذلك للمسلمين دول شتى ذات قوة وشأن عظيم فكان منها العرب والمعجم والترك والتتر ولم تفلح دولة منها هذا الذلاح وان لذلك بلا ريب أسبابا اضرب عنها صفحا لخروجها عن دائرة بحثنا : اهـ

نقول ان المدة التي ذكرها هي التي كان فيها العلم العربي في غفوان شبابه وقد ولد قبلها ومات بعدها بزمان . وابن رشد مات في ١١٩٥ هـ ولم يكن بعد ذلك للعرب دولة قوية بروح الدين وحياة الخلافة الإسلامية وان كان لدولة الترك من القوة الحربية ما لم تصل اليه دولة سواها ولم تكن حياة العلم في دول العرب بالقوة الحربية ونما كانت القوة الأدبية التي كانتهم من الاسلام، ولم يُقم الاسلام غيرهم كما يجب أن يقام . وقد ظهرت الدولة السليمانية بعد موت ابن رشد بنحو مئة سنة فان انقراض الدولة السلجوقية كان سنة ٦٩٩ هـ وعلى انقاضها بنى السلطان عثمان الأول بناء سلطنته خلدتها الله تعالى بتوفيق القائمين على سيرها للعدل والإصلاح آمين (للمقالات بقية)

﴿ الكرامات والحوارق ﴾

(المقالة السابعة تابعة كما في العدد ٤١ من المجلد الثاني)

نشرنا في منار السنة الثانية مقالات في كرامات الاولياء ذكرنا في

مقدمة المقالة الاولى منها (٢:٢٦) أن النظر في هذه المسألة من وجوه
حقيقتها والحكمة فيها . حجج القائلين بجوازها ووقوعها . حجج المنكرين
لها . ادعاء جميع الأمم لها . منفعة الاعتقاد بها ومضرته . تمحيص الحقيقة
فيما نقل من الكرامات . وقد بينا هذه الوجوه والمباحث الامبحث منفعة
الاعتقاد بالحوارق ومضرته فقد كنا عازمين على أن نرجئه الى أن نقل
طائفة من الحوارق التي تؤثر عن كهنة الوثنيين والكتابيين أيضا لما جاء
في عرض القول من ان جميع الأمم تدعي لرؤساء دينها الحوارق والكرامات .
ولما كان هذا يتوقف على مراجعة كتب الدين لتلك الملل وذلك لا يفسر
الا في وقت الفراغ ظللنا نتربص هذا الوقت فمرت السنة الثالثة ولم نصبه فيما
بعدها فوعدنا في آخرها بأن سنتم في الرابعة بمبحث الحوارق ومبحث
مدينة العرب ومرت الرابعة مختومة بوعد آخر لم نربدا من الوفاء به مع
الإيجاز كما بدأنا الوفاء بمبحث مدينة العرب ونسأل الله تعالى ان يتوب علينا
من الوعود المحدودة ؛ وان كانت آجالها ممدودة ،

اضطربنا الى الوفاء بهذا الوعد (إكمال مبحث الكرامات) الذي
ضاق منه حولان كاملان في أضيق الأوقات علينا وأكثرها شواغل —
في جزء آخر سنة تقدمه عيد لا عمل فيه وانحراف في المزاج من النزلة
الوافدة (الانفلونزا) وزاحمه مع الاعمال الإدارية والحسابية الاشتغال
بالاشتغال من المنزل الذي نحن فيه الى منزل آخر مجاور له والاشتغال بتأسيس
طامة النار . وهذه عاقبة من عواقب التسويف السيئة ذكرناها تأديبا
لنفسنا و ان نكون عذرا لنا في الاختصار والإيجاز في موضوع
كأنودنا طويل فيه لأن الاعتقاد بالحوارق تأثرا في الأخلاق والآداب

والعادات وشؤون الميثقة والكسبية وان شئت قتل ان لها التأثير العظيم في سير الأمم ففسوخ هذا الاعتقاد في قوم وزلا اله أو زواله من نفوس قوم هو من علل ما عليه الأقوام من التقدم والتأخر في السيادة والثروة وضدها

(الحوارق عند الوثنيين)

كانت الأديان الوثنية كلها قائمة ببحوارق العادات وكان لقدماء المصريين منها النصيب الأوفر ولا يزال وثنيو الهند الى اليوم يأتون ببحوارق مدهشة ومن أغرب بحوارق البراهمة الجلوس في لطواء ولكن الأوربيين تمكنوا بصناعتهم من محاكاة هذه الخارقة. ومن بحوارقهم أنهم يضعون النار في أفواههم فلا تضرهم على أنهم يلفظونها غير مطلقاً. ومنها أنهم يظهرون أشياء من الدم ومنها أنهم يستنبئون الشجرة من البزرة في مدة قليلة خارقة للعادة. ومنها أنهم يذبحون الانسان ثم يحيونه. ومنها أنهم يخبرون عن المغيبات فيصيرون. ومن أحقرها ملاعبة الأفاعي والثمايين والتعرض للسماء. وقد نشرت جريدة الاهرام من مده قرية بعض المعجائب والحوارق التي تظهر على أيدي هؤلاء الهنود، والهنود معروفون بهذه الحوارق من قديم الزمان وقد اعترف ليهم بعض المتصوفة بشئ مما وصل اليهم وعلموا ذلك بأنه أثر الرياضات الشديدة التي تكون منهم (راجع كتاب الجواهر والنور للشعراني وغيره) ومن هذا التعليل يعلم ان أصحاب تلك الحوارق لم يكونوا كلهم من الاشرار او الذين يتعرضون لايداء الناس فتأتي التفرقة التي يفرق بها بعض المتكلمين بين المعجزة والسحر بل الكثيرون منهم عباد زهاد نساك مستسكون بدينهم أتم الاستسكان، أما التفرقة الحقيقية بين السحر وآيات الانبياء فقد تقدمت في بحث الآيات من الإلهام الدينية

﴿ الخوارق عند النصارى ﴾

كل ما ذكره الذين ألفوا الكتب منا في مناقب الصالحين وكل ما يتناقله الناس فيما بينهم من آراء أولئك الصالحين أحياء وأمواتا فيوجد مثله في كتب النصارى وفي روايلهم المسماة التي يدعون أنها عن مشاهدة أو ترقى الى المشاهدة . ومن ذلك ظهور المسيح ووالدته عليهما السلام للعباد في اليقظة والنمام وظهور غيرها من القديسين . ومنه استجابة الدعاء والإخبار بالمفاتيح الذي يسميه المسلمون كشفاً ويسمونه نبوة . ومنه طي الأرض وتقريب المسافات البعيدة . ومنه إشراف الوجوه بالأنوار وقت العبادة . ومنه نزول المصابب والرزاقين يؤذي القديس . ومنه قضاء الحاجات . والفوز بالخيرات لمن يتوسل بأحد القديسين والرهبان المتوحدين ويتخذة شفيعاً عند الله . ومنه شفاء المرضى والمجانين ببركات القديس الحلي إذا لمس المريض أو صلى له (أي دعا) والقديس الميت إذا زار المصاب قبره . ومنه حبل النساء العواقر بالبركة والزيارة ومنه اخراج الشياطين من المصروعين . ومنه ظهور الملائكة للقديسين ومصاحبهم ومساعدتهم إياهم في بعض الشؤون . ومنه الصبر عن الأكل والشرب زمناً طويلاً ولكن الذي ينقل عن الهنود من هذه الخارقة لم ينقل مثله عن غيرهم فإن أحدهم يدفن في الأرض نحو شهر أو أكثر ثم يخرج منها حياً . وينقلون من كرامات القديسين ما هو أعظم مما ذكر ويدعون في بعضها التواتر فقد جاء في كتاب « العيشة الهنية » في الحياة النسيكية « أن من عجائب القديس اغناطيوس التي تزيد على مئة عجيبته ما هو ثابت بشهادة سبعة وسبعين رجلاً

هذا تواتر حقيقي والتواتر حجة عقلية باتفاق علماء المسلمين وغيرهم وللذين يدعون هذه الدعوى للقديس اغناطيوس يسهل عليهم أن يسردوا أسماء أولئك الشاهدين ومن نقل عنهم فلا يبقى للمسكر عليهم إلا أن يلجأ إلى تأويل تلك الخوارق وإثبات أنها خوارق وهمية لا حقيقية . وهنا يحكم العقل السليم من شوائب التحيز والتعصب الذي ينظر إلى الأمم نظراً واحداً لا يريد منه إلا استجلاء الحقائق بأنه التأويل إذا جاز فيما ينقل عن قديسي النصارى وكنهة البراهمة جاز فيما ينقل عن شيوخ المسلمين . فإذا كانت طرق النقل عند جميع الأمم واحدة فلماذا أن نصدق الجميع وأما أن نكذب الجميع وأما أن نأول الجميع ولا رابع لهذه الوجوه . ومن قال من هذه الفرق أنني أثق بنقل قومي عن غيرهم لأنني أعلم بحسن سيرتهم يقال له غيرك

كذلك فليس لك أن تحتج بأن ما يقال عن صالحى ملوك دأبل على صحتها لأن هذا الدليل هو الذي يسميه علماء النظر مشترك الإلزام

واذ ذكرنا القديس أغناطيوس — وهولوبولا مؤسس طغمة الجزويت التي يستقيث من طعمها سائر فرق النصرانية — قلنا نشير الى بعض عجائبه أو خوارقه على سبيل النموذج . قال القس أفرام في ترجمته عند ذكر رياضته الأولى بعد تركه الجندية ودخوله فى الاكركية : « وقد اتفق له مرة أنه نهض لممارسة رياضته هذه الاعتيادية فقدم الى أيقونة والدة الله « تعالى الله عن الوالدة والولد » وجنا أمامها بأقوى ما يكون من العبادة وقدم نفسه للسيد المسيح بواسطتها وخصص حياته لخدمة الابن ووالدته الجيدة وأعداً إياها بكل نشاط نفسه أنه يحضرهما خدمة دائمة . وفي انشاء صلاته هذه سمع صوتاً عظيماً وتزلزل المكان الذي كان فيه وانكسر كل زجاج التوافد حتى ان حائط المكان انشقق أيضاً وأظهر الله تعالى بذلك سروره بتقديمه عبده نفسه لخدمته عز وجل » له

وكأنى باخواني المسلمين وقد أنكروا من هذه العجوبة ونظموها في سخط الخوارق التي سماها المتكلمون - ثلاثاً تلو قولاه عز وجل « تكاد أن ياتى بشر من منته وتنفق الأرض ونخر الجبال هتافاً . أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً » ولكي أذكر لهم ، لا تمكر أن يعدوه خذلاناً . قال نفس الخادم : « وقد شاء ابن الرجل الذي كان أندلسيون معاً بمنزله أن يعرف كيف يتضي الليل فرآه مرة ساجداً متأملاً بوجه مائت مبتلئ بالدموع ومرة أخرى أبصره مرتفعاً من على وجه الأرض وذاً معاً بالتواضع والشمس متلألئة وقالت ربات كثيرة يا فلان يا حبيب قلبي وسروري نفسي ابت الجحيم بعد فمك حتى لا يحضر أحد منهم أن يعيظك . فيما أعظم جودك ورحمتك لأنك تحتل حائطاً مني » وكأنى بهم يقولون بأن هذه رواية آحاد أو ولدان لا يثبت بها في هذا القاموس ان حدثت : « أي أرضى هذا القوم بشرى أن لا يقبل قائله مثل هذه الروايات الاحادية عن صالحى فدمه لأن ما جاء على خلاف سنن الكون لا يقبل الا بالعدالى المقاطع الذي لا يقبل التقاطع لاسيما انهم يعلمون السلام ومن قيل هذه العجوبة في كل قلب المؤمن في كل زمان ومكان وما كان من سبلوات الكعبة لا كرامة من الله تعالى الا في رآى منة صار في قلبه الكبر والفتور والفساد ثم نرى ما تفرقه وعجزه جسد حتى انه لم يقدر في ذلك النهار كله ان يكف عن ذرف

الدعوى ولم يتكلم الا عن الثالوث الالافس بنوع جلي سام بحيث كان يذهل بخطابه عقول أجل علماء اللاهوت مع انه كان لا يعرف حيثذ الا القراءة والكتابة. ومرة أخرى رأى في القداس حقيقة وجود جسد المسيح ودمه في القربان للقدس اهـ: ولهم أن يقولوا في الكلام اللاهوتي الذي قاله من غير تعلم انه ليس من الخوارق لأن الاذكياء اذا توجهوا الى شيء واعتوا به فلا يبعد أن يقولوا فيه قولاً غير متظاهر بمن في درجتهم العلمية وليس في درجتهم العقلية. ثم اتنا لا نعرف ما هو ذلك القول لحكم أنه محل الاعجاب في الجملة فكيف نحكم بأنه علم لدني الهى جاء بغير تعلم وربما كان في الواقع خطأ. نعم أن أهل العلم والعقل من المسلمين يقولون هذا ولكن فينا كثيراً من المدعين للولاية ليس لهم كرامة الا الأقوال التي يسمونها علوماً لدنية وما هي الا من اللغو والجهالة ومنهم دجال الزقازيق الذي يدعي أنه يفسر القرآن بالإلهام ويعتقد صدقه الجمل التفسير فيصدونه من كل جانب بالهدايا والتذورات مثله كثير.

وأما رؤية جسد المسيح ودمه في القربان ، فهي دعوى بغير برهان ، ومثل ذلك دعوى ظهور الشيطان له بزي ملك النور وحته على الرياضات والعبادة ليصرفه عن العلم عند ما قلل العبادة واشتغل بالعلم (قالوا) ولكنه صرفه ولم يتجدع. ولكن عندنا مثل هذه أيضاً فقد ذكروا أن الشيطان ظهر للشيخ عبدالقادر الحلي بصورة نورانية وقال له انه رفع عنه التكليف فصرفه عبدالقادر وقال : اخساً ياملعون : فعند ذلك تحول الى ظلمة وقال له نجوت مني بملكك يا عبدالقادر واتي قد قنت بهذه الحيلة كفا من العبادة وذكر عدداً كثيراً

ومن عجائب اغناطيوس وخوارقه التي دونوها انه عند ما رجع من القدس الى أوروبا طلب من ربان سفينة « الربان رئيس الملاحين » أن يحمله الى ايطاليا حباً في الله فأبى وحمله ربان آخر فانكسرت سفينة الذي أبى ونجت سفينة الذي حمله. ومثل هذه أنه رأى مرة جماعة يلعبون « فطلب منهم الصدقة فنظر اليه واحد من الجمهور وهتف قائلاً نحو القديس : ليحرقني الله حياً ان كان هذا الرجل لا يستحق أن يحرق حياً : وفي ذلك النهار عينه حضر فرجة دينوية مبهجة وكان واقفاً على برميل منمل باروداً واذا بشرارة ملتهبة وقعت على ذلك البرميل فاشتعل البارود حالاً وأحرق الرجل حياً » وعجيبه أخرى من هذا القيل وهي انه لما جمع [ينسى] بأمره الرهبان في مكان ليقراً عليهم قوائمه التي وضعها لهم وذلك بعد الخروج من المائدة واجتمعوا انهم

الرواق الذي كانوا يتذاكرون فيه بعد الأكل ولولا هذا الاجتماع لانهدم عليهم الرواق . وههنا يقول القارئ ان هذه الوقائع هي التي نقاهم الكثيرون وغندوها بحجة متواترة وما هي بحجة وانما هي وقائع حدثت بأسبابها وكان حدوثها بعد ما ذكر من باب المصادقة والاتفاق لا أن سر القديس كان سبباً في حدوثها . ومثل ذلك يتفق لكل أحد ولكن الناس لا يلتفتون الى هذه المصادقات الا اذا كان هناك من يستقدون صلاحه . وهذا القول صحيح وهو يصدق فيها ينقله قومنا من مثل ذلك عن مقدماتهم من الأحياء والأموات .

ألم يقل كثير من الناس ان الشيخ محمداً عبده تهم في المسألة المرابية وحبس وهو بري، لأن الشيخ عليشاً كان نائباً عليه فكان ذلك كرامة لشرح عليش . ولم يلتفتوا الى أن الشيخ عليشاً قبض عليه وحبس أيضاً ولم يقولوا ان ذلك كرامة للشيخ محمد عبده لأن الشيخ عليشاً سمع فيه وشاية وحاول إيذائه . وذلك ان الشيخ محمداً عبده كان مبهماً بالعقل والحكمة لأنه أول من قرأ في الأزمهر كتاب العقائد النسفية وبعض كتب المنطق والحكمة التي لم تكن تقرأ لذلك العهد ثم صارت تقرأ بعد ذلك بلا نكير . ألم يقل بعض الناس ان ابن الشيخ الضواهري أخذ شهادة التدريس لأن والده يخدم ضريح السيد البدوي فلك كرامة للسيد ؟ وقد أخذ مثل هذه الشهادة كثيرون ولم يعد ذلك كرامة لأحد . بل قال بعض الخلق في هذه الايام ان الشيخ علياً البيلوي صار شيخاً للأزمهر بسر سيدنا الحسين (عليه ارضى والسلام) لأنه كان خادماً للمسجد الذي فيه الضريح المنسوب له ! وقد خدم هذا المسجد غيره ولم يكافئهم سيدنا الحسين بهذه المكافأة ونال مشيخة الأزمهر كثيرون لم يخدموا المسجد الحسيني فلم يعد ذلك من الكرامات وخوارق العادات !!!

ذكرنا هذه الشواهد المتعلقة برجال معروفين من أهل الطبقة العليا في المسلمين ويعرف كل واحد من الناس ، الا يخص من أمثال هذه الشواهد التي يالهج بها الناس في كل مكان . وهي عندهم أقوى من كل برهان ، بل أقوى من الحس والعيان والإحساس والوجدان . بل هي ركن الاسلام والإيمان ، ويحتج بعض الخواص من شككهم فيها ان يعرفوا من المدن ويتفقدوا من جماعة المسلمين . وقد نقاه هذا الرأي فيما سبق من بعض كبار الشيوخ وهو انه يجب التدلي في بيوت خلق في مسألة الاعتقاد بالأولياء والتمسك بالمنافع ودفع النعاز من أخطاب النور وجعل ذلك تدريجياً

تبع نفسه بعد انقضاء العامة فالتفتين لا يعرفون من دلائل الدين غير ذلك . وقد تقدم في
ملاحظات البحث في آيات الكرامة وتذكر في الجزء الآتي الحق الصريح الذي ينبغي
إثباته للناس في المسألة وبيان منافع هذا الاعتقاد ومضارّه ووجوه تأويل ما ينقل
عن جميع الأئمة من الخوارق فلا يجعلن القارىء المغرم بهذه المسائل بالحكم حتى
يقر المقالة الآتية مفصلة تفصيلا

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

اسكان ومساائل عبد الله بن سلام (س ١) ا. ز. ع بالسويس : سأل عبد
الله بن سلام النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه وكان اسمه أشياويل القأ
وأرسله مسألة وأربع مسائل من غوامض التوراة أذكر منها سؤالاً نصه : « أخبرني
أين مقعد المالكين من العبد وما قلمهما وما لوحهما وما مدادهما ؟ فقال صلى الله عليه
وسلم : مقعدهما بين كتفيه وقلمهما لسانه ودواهما ريشه ولوحهما فؤاده يكتبان
أعماله إلى عمامته : فقال صدقت يا محمد » الخ . وقرأت حديثاً في مجلة مكارم الأخلاق
اللامية أتى به أسؤال عنوانه [انقضاء والقدر] وهذا معناه : « كل يوم ينزل على العبد
كتابان مع كل منهما صحيفتان إحداهما بيضاء والأخرى مكتوب فيها أعمال العبد من
حسنات وسيئات فيكتبان في الصحفتين النضاون ماعمله طول يومه حتى إذا انتهى
« ار طالع الملائكة » الصحفتين يكتبان كتابهما على الآخرين فيجد أنهما مثل بعضهما
حرفاً بحرف » الخ فهذان الحديثان ينفي أحدهما الآخر ففي الأول إن لوحهما
فؤاده العبد وفي الثاني أنه صحيفتان ينزلان بهما فترجاء الافادة هديتم للهدى .

(س ٢) كل من الحديثين غير صحيح ولا يجوز لكم أن تأخذوا بحديث تروونه
في كتاب أو مجلة أو جريدة إلا إذا كان موصولاً بذكر من خرج من أئمة الحديث
نفي ذلك صراحة ومعرفة صحة من عدلهما أن لم يذكر مخرجه ذلك ولم يكن في
المدح حرجين . وهذا التمسك بالإمامة في مسائل عبد الله بن سلام المذكورة في خريدة
المعجانات — جبهة الكذب — قصة موضوعة والذي في صحيح البخاري أن عبد الله
ابن سلام سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثلاث عن أول الساعة وعن أول
الليلة وعن أول يوم . عن التواتر يترفع إلى أبيه وأمه . والرواية هكذا في غير البخاري
من كتب الحديث وفي كتب التفسير . قالوا : وكان اسم ابن سلام الحسين فلما أسلم سماه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الله

﴿ ماروي في الاسراء . . مستقر الارواح . عذاب القبر ﴾

(س ٢) منصور أفندي رفعت بمصر : ما ذارأي نينا محمد في ليلة الاراء ؟

(ج) « لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

(س ٣) ومته : أين تستقر ارواحنا بعد الممات ؟

(ج) لم يرد في هذا نص صريح قطعي والعلماء مختلفون فيه والراجح عندنا اتباع طريقة السلف في تفويض الأمر الى الله تعالى في الأمور الغيبية وعدم البحث فيها وحسبنا ان ما ورد جائز عقلا وقد أخبر به المعبود

(س ٤) ومته : ماهو عذاب القبر النصوص عليه وهل هو عذاب مستمر أو وقتي وهل يقع على الروح فقط أو الجسم فقط أو كليهما ؟

(ج) الإحساس بالألم أو اللذة من شأن الأحياء والجسد لأحيائه إلا بالروح فإذا كانت الروح في الجسد ووصل اليها الألم بواسطة يصبح أن ينال ان هذا الألم ألة بالروح والجسد وان كان الشعور للروح وحدها . وإذا كان الروح خلقاً مستقلاً مدركاً كما نعتقد فلا شك أنه يجوز أن يدركه الألم في حال تجرده كما كان يدركه في حال تقيده بالجسد فلم بهذا أن قول العلماء : إن عذاب القبر — أي الألم الذي ينزل بالإنسان بعد الموت وإن لم يقبر — يكون على الروح والجسد : يتضمن القول بأنه يبقى للروح بعد الموت علاقة واتصال بمادة الجسد الذي كانت فيه وان تفرقت هذه المادة والنحات الى أجسام كثيفة ونغازات دقيقة . وينتظم هذا القول أحد أمرين إما عدم فناء مادة الجسم وإما انقطاع العذاب بفنائها . والمشهور عن المتكلمين الأشاعرة ان الجسم ينعدم على الراجح كما قال اللقاني

وقل يُعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق

والقول بالتفريق أي بعدم تلاشي مادة الجسم هو الراجح عند متكلمي المعتزلة وبعض الأشاعرة وهو الموافق لرأي الفلاسفة القائلين باستحالة العدم . والراجح عندنا ما قلناه في جواب السؤال السابق من تفويض أمر عالم الغيب الى عالم الغيب سبحانه وتعالى

تأثير العين (س ٥) منصور أفندي : هناك الكتائب بمحكمة شيبين الكوم . ما في القرآن وغيره من كتب الشرائع والديانات وكذا الأمثال عديمة وعدسة ما أثبت وبرهن على وجود العين الحاسدة وتأثيرها في المحسود فارجو بيان حقيقة تلك المؤثرات التي تخرج

من العيين أو القلب وكيفية تأثيرها في المحسود من جماد ونبات وانسان بطريقة شرعية (ج) ليس في القرآن الكريم ما يثبت العيين ولكن ذكر المفسرون مسألة العيين وجهاً في تفسير قوله تعالى « وان يكاد الذين كفروا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ » والمعنى المتبادر أنهم كانوا ينظرون اليه بنظر الغيظ والحق وفي آية أخرى في المنافقين « ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت » نعم قد ورد في حديث الشيخين وغيرها « العيين حق » أي أمر ثابت عند الناس وواقع فيهم ولم يرد في بيان كيفية تأثير العيين شيء في الشرع وإنما ورد ما يدل على أنها تؤثر ولا حاجة في فهم هذا التأثير الى أكثر من المعروف المشهور فان لبعض الناس استمداداً نفسياً قوياً في التأثير وبعضهم مثله في التأثر ومن ذلك صناعة التوبم المغناطيسي المعروفة عند الغربيين . وانتقال مطلق التأثير من نفس الى نفس معهود في جميع الناس أو أكثرهم فقل من ينظر صاحب تأثير شديد بحزن أو خوف الا ويجد في نفسه أثراً من ذلك

المسألة المأمونية (س ٦) شيخ العرب ابراهيم جلابي بالسعدين : نرجو من سيادتكم أن تفيدونا عن المسألة المأمونية التي سأل الخليفة المأمون يحيى ابن أكرم عنها حين ولاه القضاء ما هي وما جوابها

(ج) المسألة المأمونية مسألة في الفرائض وهي أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت إحدى البنات وترك من في المسألة . وقد سأل المأمون عنها يحيى عند ما وُفد له وأراد توليته القضاء فقال : يا أمير المؤمنين الميت الأول رجل أم امرأة؟ فعلم المأمون من هذا السؤال أنه قد فهم المسألة لأن الاشكال فيها كان من ابهام الميت الأول الذي مات عن أبوين وبنتين . وبيان الجواب أن الميت الأول اذا كان رجلاً تصح المسألتان من أوبعة وخمين وان كانت امرأة لم يرث الجسد في الثانية فتصح المسألتان من ثمانية عشر

﴿ وصية بطرس الأكبر قيصر روسيا ﴾

(نشر هذا الوصية تمهيداً للمقال سنكتبه في فترة مكثوري وحال الدولة العلية وروسيا وأوروبا)

المادة الأولى -- من اللازم أن تقاد المساكر دائماً الى الحرب وينبغي للامة الروسية أن تكون مادية على حالة الكفاح لتكون اليقة الوعى . وترك وقت لراحة المساكر أو لأجل اسلاح المالية وتوفيرها وان كان ضروريا يلزم معه ان يكون تنظيم المسكرات

منافع اذ بهذه السورة يمكن اجراء نفوذهم في داخل المانيا ويربطون أيضاً الممالك المذكورة لجهة منافقنا ومصالحنا

المادة الرابعة — ان دولة انكلترة هي الدولة الأكثر احتياجاً اليها في امورها البحرية ولهذا الدولة فائدة عظيمة جداً أيضاً في أمر زيادة قوتنا البحرية فلذلك كان من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة على سائر الدول وبيع حاصلات ممالكنا كالأخشاب وسائر الأشياء الى انكلترة وجلب الذهب من عندهم الى ممالكنا واستكمال أسباب الروابط والصلات الدائمة بين تجار وملاحى الطرفين فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا

المادة الخامسة — على الروسين أن ينتسبوا يوماً فيوماً شيئاً في سواحل بحر البaltic وحواليها في سواحل البحر الأسود

المادة السادسة — ينبغي التقرب بقدر الامكان من إسبانيا وفرنسا وإن من القضايا المسامة أن من يحكم على استانبول بكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها أن من الازم احداث المحاربات المتتابعة تارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الروسية لئلا يترك البحر الأسود شيئاً فشيئاً ذلك لاجل انشاء دور صناعات بحرية فيسهل الاستيلاء على بحر البaltic أيضاً لانه خير موقع لحصول المفصود والتمجيد لمذاق بل نحو دولة ايران لتمكن من التوسل الى خارج البصرة وربما تتمكن من المادة التجارية الممالك الشرقية القريبة الى بلاد الشام والوصول منها الى بلاد الهند التي هي غنابة مخزن للدنيا وبهذه الوسيلة نستغني عن ذهب انكلترة

المادة السابعة — ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاق والاتحاد مع دولة اوستريا والمحافظة على ذلك ومن الازم التظاهر بترويج افكار الدولة المشار اليها من جهة ما ينبغي اجراءه من التموز في المستقبل في بلاد المانيا واما الباطن فينبغي لنا فيه أن نسمي في تحريك غرور حسد وعداوة سائر حكام المانيا لها وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاعانة راد من دولة روسيا ومن الازم اجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة

بأنها الحكم على تلك الدول في المستقبل

المادة الثامنة — ينبغي تحريض العائلة المالكة في اوستريا على طرد الأتراك وتحريرهم من قطعة الرومي وحينما نستولي على استانبول يجب علينا أن نسلط دول اوروبا القديمة على برية وستريليا نخذها حرباً أو نسكن حسدنا ومراقبتها لئلا تعطائها حصنة صغيرة من

الامكان التي تكون قد أخذناها من قبل وبمددك نسمى بزرع هذه الجمعية من هذا
المادة الثانية عشرة — ينبغي ان نستعمل أيضا جميع المسيحيين الذين هم من
مذهب الروم النكرين رئاسة البابا الروحية وكنا تشيرين في بلاد المجر والممالك العذبة
وفي جنوبى ممالك (له) والمجتمهم الى ان يتخذوا دولة روسيا من جملة وديارهم ومن
اللازم قبل كل شيء احداث رئاسة مذهبية حتى تتمكن من انجاد نوع من الحكومة
الرهانية عليهم فنسعى بهذه الوسيلة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوي نفوذ نستعين بهم
في كل ولاية من ولايات أعدائنا

المادة الثالثة عشرة — حينما يصبح الاسوحيون مشتتين والايرون مغلوبين
واللاهيون محكومين والممالك النمائية مصبوطة لنا أيضا نجتمع معسكرنا في محل
واحد مع المحافظة على البحر الاسود وبحر البقية بقوتنا البحرية وعند ذلك نظهر
أولا لدولة فرنسا كنية فاعلمة حكومات الدنيا بأمرها فيقتضون لدولة اوسترنا وبمراسل
ذلك على كل من الدولتين المشار اليهما كتابتهما على هيئة بصورة تخفي جدا لقبول
ذلك واذا كان لابد من ان احدهما تقبل هذه الصورة فعند ذلك ينبغي مداورة
واحترام كل منهما ونجعل من ثقتهم قايمة على عرضنا عليهم واسطة لتسكيل
الآخرى. واذا تكون دولة روسيا حينئذ قد استولت على جميع الممالك الشرقية ويكون
مثل ذلك أعظم قطع اوروبا حديق الدخول في يد تصرفنا فعنده يسهل علينا أن تقهر
وتشكل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين

المادة الرابعة عشرة — على فرض الحال ان كلا من الدولتين المشار اليهما لم تقبل
بما عرضته عليهما روسيا فينبغي حينئذ لروسيا ان تصرف الأفكار لمراقبة ما يحدث
من النزاع والخلاف بينهما فاذا وقع ذلك فلا بد أن أحد الفريقين يشترك مع الآخر
ويضمف كل منهما وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق
حالا معسكراتها المجتمة أولا بأول على ألمانيا فتهجم على تلك الجهات ثم تخرج قسمين
كبيرين من السفن أحدهما من بحر أزق المملوء بالسفن والوافرة المجتمة من أقوام
الاناضول المتنوعة والثاني من ليمان او خا كل في البحر المتجمد الشمالي فتسير
هذه السفن وتغر في البحر الابيض والبحر المحيط الشمالي مع الاسطول المقيم في
البحر الاسود وتمر بالاضيق وتهجم كالسيل على سواحل فرنسا وألمانيا فانه تكون
اذ ذلك مشغولة بحالها. وبما ذكرناه تصبح الممالك الثتان الواسعتان المذكورتان مغلوبتين

— 2 —

❦ باب التقريرا ❦



ثم استدل بمدرسة الاسئلة التي كتب رسالته جواباً عنها أن الأصل في الأحكام
الشرعية الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح وأن كل ما استند إلى أصل من
هذه الأسس فهو حكم الله ورسوله وأن كل ما لم يكن مأخوذاً من واحد منها فهو
بدعي وإن كان من غير ما ليس من الدين فيه. قلنا : وليس كل ما لم يفعل في عهد
رسول الله عليه السلام بدعي شرعية مدعومة بل إذا حدث فعله بعد زمنه عليه الصلاة

والسلام كان بدعة وحيثما أمر بها إلا حجة أحسنه .
 ونقول ان ما ذكره هو المروي عن العلماء وذاكره بن حجاج في فتاواه الحديثة
 وسبقه الحافظ في التلخيص وانه يحتاج الى بيان . هو ان ما حدثنا به مدرسوننا من
 ان كان دخلا فيها لا قياس ولا اجتهاد فيه كالأموال الاعتقادية والمعدنية فهو
 وضلالة قطعا لا سيما اذا اتخذ شعارا دينيا أو اخارا لنا ان نرى في الدين عبادات وادبار
 كثيرة يعرف بها النمامون وهي مما لم يعرف عن الله ورسوله . فالحال ان لا نقسم
 نسميها بدعا مستحسنة . فليحفظ القارى هذا

وكما انتقدنا الإجمال في هذا الموضع فنقد فيه التعليل فقد مثلوا بدعة
 المخالفة للأدلة القطعية بالقول بفرضية المسح على الرجلين دون غيرها . ومما
 قلنا في الكتاب . وما جاء في الكتاب ليس مما نحن فيه . وقد ذكرنا في كتابنا
 تعالى « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » على قراءة من قرأ في غير
 ابن كثير وحزمة وابن عمرو وعاصم أي أكثر السبعة . ظاهر في وجوب المسح
 وأنتك أوله العلماء اختلفوا بعد ذلك . فكتفوا . مسح على الرجلين في الرجلين . فمما
 وقد رده القائلون بالمسح بأنه قد عدلنا لأنه لم يرد إلا شاذ في الأصول الذي يقتضيه
 حالا يقتضي غير ذلك . وكانوا يقولون بأنه على ما روي أنه لم يرد بالمسح كفي في قوله
 يشترط فيه الأمن من الناس ولا أمن الله بكلام الله المعجز ببلاعه عن اليهود
 والانس . وثأول قراءة النص بالفتح على الرجلين أقرب من قوله الأول . فمما
 ان الفصل مسح وريته . وفيه ثبت في السنة الصحيحة . وعيا . الجاهل بالدين . وفيه
 أحوط ولكن هذا كله لا يصح . فليحفظ المؤلف . بأن الأول هو الذي عليه العامة
 لمخالفة نص الكتاب .

ثم ذكر البدعة الشكروية وعدها من مكارم المداير . فمما . وقال
 كما قال ابن حجر « ولا كانت من القسم الأول » أي المحرم . ثم ذكر البدعة الواجبة
 فقال « ونارة يكون بدعة واجبة . كتحب الأدلة للرد على أهل البدع والضلالة . تعميم
 العلوم التي يتوقف عليها فهم الكتاب والسنة » ولا أدري كيف ساء فهم عبد الله
 الأدلة للرد على الفرق النجسة من البدع . وانظر أن الكريم طافح . فمما الأدلة . ثم ان
 المتكلمين سلكوا فيها غير ذلك . انهم في الأدلة النظرية المحضة وأكثر
 أدلة القرآن مستندة الى المحسوسات . ولكن الايمان بأدلة جديدة لا يعني أن يكون

أصل نصب الأدلة بدعة فان البدع والبدعة في اللغة ما كان على غير مثال سبق
ثم طفق يستدل على أن البدعة تنقسم الى الاقسام المذكورة فذكر أموراً متقدمة
أولها إخراج الصحابة اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأنها قتالهم غير العرب من
الكفار . والثاني منصوص في الكتاب والأول جاءت به السنة . أخرج أحمد ومسلم
وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عمر « ان عشت
لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها الا مسلماً » وأخرج
الترمذي والحاكم من حديثه أيضاً « ان عشت ان شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى
من جزيرة العرب » وأخرج أحمد وأبو يعلى في مسنده والحاكم في الكنى وغيرهم
عن أبي عبيدة قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أخرجوا
يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب وأعاموا ان شر الناس الذين اتخذوا
قبور أنبيائهم مساجد » . وأخرج أحمد من حديث عائشة « لا يبقى في جزيرة العرب
دينان » وبقيت أحاديث بمعنى ما ذكر

وقد أحسن المؤلف في قوله : « نعم ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود
مقتضى لفعله كان تركه سنة وفعله بدعة مذمومة ولذلك كرم أصحابه عليه الصلاة والسلام
الاسلام بركنين الشاميين والصلاة عقب السجى بين الصفا والمروة وزد النبي صلى الله
عليه وسلم لذلك مع أنه كان يعلم الناسك للناس » تقول وكذلك يقال في جميع العبادات
والشعار الدينية لأنها مبنية على الاتباع المحض ولا مجال لاجتهاد الناس فيها .
بما يختلف باختلاف الزمان والمكان . تقدم ايضاً هذه المسألة في غير هذا الجزء من المنار
هذا ما نقوله في تمهيد هذه الرسالة ولما قول آخر في المسائل المقصودة منها بالذات
ترجئه للجزء الآتي

الاسلام في عصر العلم — صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو مؤلف من
أربع كراسات [كل كراسة ١٦ صفحة صغيرة] الأولى في الفصل الاول من الباب الأول
من مبحث الإنسان وهو في معرفة الانسان نفسه . والثانية في تمهيد للمبحث في حياة
النبي صلى الله عليه وسلم . والثالثة في البحث عما وراء المادة وعظيم شأنه عند علماء أوروبا
المشتغلين بمسألة استحضار الارواح . والرابعة في ملحق الكتاب الموشوع للمبحث في
دواء الأمة ودوائها . وقد اختار المؤلف ان يصدر في كل جزء كراسة من كل باب من
أبواب الكتاب لئلا يطول على القراء الكلام في المقدمات فيملوا

(تفسير العريب) ابن سبهان وابن جراد قائدان من قواد ابن رشيد والتقى واد
في أرض الفرس . والالاف الغلائق الذين يتقدمون الجيش وله أصل في الفصيح
ان في الأساس . وسام القوم تقدموا سلفاً وهم سلف ابن ورائهم وهم سلف
المسكرة وحروب يريد به طوائف من بني جرب وعلى هذا النحو جمع حيطان وصليحة .
والذخيرة مؤنة الذخير بمعنى الذخيرة . وقوله « زين بريدة » اي لجأ اليها وهي قرية
من قرى القسم الكبيرة . والزين في اللغة الدفع ومنه سمي الشرطة واعوان الناس
زبانية لأنهم يدفعون الناس ويدعونهم وجاء في كلامهم « تحت جمل زين المطي بمنكيه »
أي ببيتها . كأن البدوي هنا يريد أنهم لجأوا الى بريدة مدفوعين بقوة اعدائهم .
والخفر بين البصرة وبادية نجد يقولون . ونزل سار الى جهة الشمال . وفي الفصيح
نزل سار الى جهة الشمال . وقال لنا من ارسل اليه الكتاب : الصواب
البيضايات . سار سار الى علي في جهة الدمام والذلول الناقه المذلة عربية فصيحة .
« الساحة بالفتح من الكويت وهي مذوبة الى ابن صباح » وجار هذا هو ابن
مبارك صباح شيخ الكويت . « والكون » يريد به الغزو الذي ذكره

❦ مشيخة الجامع الأزهر ونقابة الاشراف ❦

قضت إرادة الأمير بعزل الشيخ سليم البشري من مشيخة الأزهر وقد استشار نظاره
في المرة فيمن يولي بدلا منه فكان لهم في كل واحد من كبار الشيوخ المرشحين من سموه لهذا
المنصب عليه تحول دون توليته إياه حتى إذا رشح السيد الشيخ علي البيلاوي نقيب الاشراف
تسببوا عليه فأصابه العزيز أمره بتوليته فنهته بهذه الثقة ونسأل الله تعالى أن يجعل
أيامه أيام اصلاح يتقدم فيها الأزهر تقدماً مديناً . وان لنا مع هذا الدعاء رجاء فاننا
نعمه بالسيد الرفق وهو عنوان الخير والله يحب الرفق في الأمر كله كما في حديث
عائشه عند أحمد والشيخين والنسائي « اس ما به » وقال صلى الله عليه وآله وسلم
« ما كان الرفق في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه » زواه عبيد بن حميد
والرياء عن أنس . وأما الحرق ضد الرفق « فان صاحبه يشغله الغرور عن الاحساس
بالحاجة الى اصلاح » وان لنا لعودة الى الكلام في الأزهر ان شاء الله تعالى
ثم قضت ارادة الأمير بأن يعيد منصب نقابة الاشراف الى نصابه الأول وهو
بكري الشهير فأمر باعادة النقابة الى صاحب الساحة السيد محمد توفيق أفندي
البكري شيخ مشايخ الطرق وكانت تحولت عنه من بضع سنين . وعهد الى ديوان الأوقاف

العمومية بالنظر في أوقاف الاشراف وإدارتها وكان النقيب هو الذي يديرها

﴿ مدرسة ماهر ﴾

كنّا استبشرنا عند ما علمنا بأن المرحوم عثمان باشا ماهر أوقف أرضاً واسعة على إنشاء مدرسة إسلامية وتوهدنا بذلك تنوهاً حسناً . ولكن قد خاب أملنا في هذه المدرسة منذ علمنا أنه عين في الوقفية لكل معلم يعلم فيها راتب لا يزيد على أربع مئة قرش في الشهر وما كان لأحد يحسن التعليم أن يرضى بهذا الراتب في مصر وإنما قائد المدرسة بالمعلمين . ولقد كان الذي أشار بهذا التعيين هو الذي أحبط عمل الواقف بما جملة صورة بغير معنى . وإن هذا لمن البراهين المثبتة لرأينا بأن نجاح الأمة لا يعوزه المال وإنما يعوزه الرجال فالرجال كثير والرجال قليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

﴿ إصلاح حروف المطابع العربية ﴾

للحروف العربية شكل في الافراد وشكل في تركيب الكلمات بل أشكالاً فائدتها الاختصار فان الكلام اذا كتب بالحروف المفردة يشغل من مساحة الورق أكثر مما يشغله اذا كتب بهذا التركيب المعروف وبهذا يفضل خطنا خطوط اللغات الأخرى . ولكن له سيئة في الطباعة وهي كثرة أشكال الحروف التي تتألف منها الكلم وقد زاد هذه السيئة سوءاً واضعوا أشكال حروف الطبع فانهم جعلوا أشكالها بضع مئين لأنهم جعلوا للحرف الواحد أشكالاً مفردة وأشكالاً مركبة مثنى وثلاث ورباع فبلغت أشكال الحروف في مطبعة بولاق الاميرية تسعمائة شكل وهي في غيرها من مطابع أوروبا والاستانة والشام أقل من ذلك ويزعمون أن كثرة الاشكال لحفظ جمال الخط العربي ولكننا نرى ان أكثر هذه المطابع أشكالاً أقلها جمالاً .

وقد ارتقت الطباعة العربية في الاستانة والشام وقات أشكال الحروف الاستانبولية ووجدت هذه الحروف في مصر فحسنت بها الطباعة وصار طبع المطبعة الاميرية — وهي أشهر المطابع العربية في الدنيا — أقيع الطبع وان كانت لا تزال ممتازة بالتصحيح لذلك توجهت عناية نظارة المالية الى اصلاح هذه المطبعة فألفت لجنة للبحث في طرق الاصلاح رئيسها ابراهيم باشا نقيب وكيل الداخلية وأعضاؤها الشيخ حمزة فتح الله مفتش المصروفات في نظارة العازف وشيخو بك مدير المطبعة الاهلية والجرائد الرسمية وأمين امي بك ناظر مدرسة الناصرية وأحمد ركي بك المكاتب الثاني لاسرار مجلس النظارة وكان عمل هذا النظر في اختصار صندوق الطباعة وتسهيل

جمع الحروف فاختبر حال المطابع العربية في الاستانة وأوروبا فوجد أن أقل المطابع حروف مطبوعه اكتسور في انكثرتا فأشكال حروفها ٢٨٢ شكلا وبعد البحث والتدقيق انتهى الى جعل هذه الحروف ١١٢ يضاف اليها بعض الحروف الاعجمية المستعملة في اللغات الشرقية التركية والفارسية والهندية والجاوية والماليزية وبعض المركبات والارقام والعلامات التي لا بد منها فتكون ١٧٨ وفاته أن يعييف علامات العلوم الرياضية أيضا وذكر أن فوته في تقسيم السطور . وقد كتب مذكرة في رأيه فقبلتها اللجنة والعمال والتسابق في السطور . وقد كتب مذكرة في رأيه فقبلتها اللجنة . ومنحت نقارة انبالية بثمانية آلاف جنيه ونيف لتنفيذ الاصلاح وأهل الصناعة يشارعون في بعض الفوائد ولكنهم لا ينكرونها من أصلها وقد ساروا الى زعمهم أن هذا الاحتصار يذهب ببعض جمال الخط الذي يحفظ الطبع صورته بسبب حذف بعض الاشكال واستبدال المفضول بالافضل ولو اتخذت المطبعة الأميرية صندوقا أو أكثر من الاشكال التي قضى بحذفها وخصصها بكتابة المناوين ورقاع الزيارة والدعوة ونحو ذلك لأحسنتم عملا . الاقتصاد في الوقت يظهر بادي الرأي ولعله لأتم تجربة لأن العمال يمد يد الى الصندوق الذي كل حروفه مفردة بعدد حروف الكلمة والى مافية حروف مركبة أقل من ذلك . ومن الجلي أنه لا اقتصاد في ثمن الحروف لان قلة الاشكال لا يقتضي قلة عدد الحروف . ولكن قلة الحروف مسهلة لتعليم الحروف وسرعة التمرن بل هي مسهلة لتعليم القراءة والكتابة أيضا

﴿ تبيين المشتركين ﴾

يذكر القراء من الخاتمة الآتية ان استريد المنار اثنا عشر ولكتنا لم نزد ثمنه الا قليلا بالنسبة الى خارج البلاد المصرية . فكل من قبل الممدد الأول من السنة السادسة في المنار المصري فهو يعد مشتركا الى نهاية السنة ويلزم بدفع خمسين قرشا صحيحا . وقيمة الاعتراف في خارج المنار ١٨ فرنكا وفي الهند ١٠ روبيات وفي روسيا ٧ ريالات (روبل)

﴿ خاتمة السنة الخامسة للمنار ﴾

قد تمت بهذا الجزء سنة المنار الخامسة وكان انتشاره فيما فوق ما كنا نرجو ونتوقع فقد زاد عدد المشتركين عما كنا نقدر بالقياس على السنين السابقة زيادة سالحة تجاوزت عدد جميع المشتركين في السنة الاولى والثانية . ثم ان نموّه المعنوي قد زاد ايضا واتضاع حزب الشيطان المعارض تضاؤلا او انحل انحلالا وتنبه المسلمون الى

إن لهم مجلة دينية تخدم ملتهم بحق كما أن لساثر الأمم مجلات وجرائد دينية تخدم ملتهم
ومجلتهم المتفرقة. نعم صار المنتار موضع ثقة العلماء والفضلاء والعامّة في بلاد العرب والمسلمين
وقد سبق القول بأنه صار يخطب به على المنابر. ويحتج به في المحاكم، ويعتمد عليه في
ردّ شبهات المعارضين على الدين، وإقامة حججه للمسترشدين.

أشرنا فيما سبق إلى شهادات بعض أعلام المسلمين العرب والمسلمين بالمصالح العامة كوزير
مصر الأ كبير رياض باشا ومحسن الملك بربر سيد من علماء مصر، ناظم مدرسة العلوم
في عليكده (الهند) وبعض المجتهدين والعلماء في إيران وغيرها. ونقول الآن إن
المنتار ظفر برضاء كبار شيوخ الطريقة أصحاب النفوذ الروحي. ونذكر كلمة لأشهرهم
في بلاد مصر والسودان وهو الشيخ علي الميرغني رئيس الطائفة المرغنية الكبيرة فقد
كتب إلينا في ٢٩ ذي الحجة الماضي كتاباً يقول فيه: «ويسرنا أن نبلاغكم مزيد
صورتنا وأرتياحنا لهذه المجلة القائمة بالخدمات الصادقة الجليلة للإسلام والمسلمين ونسأل
الباري أن يكلل عملكم المفيد بالخير والفلاح».

ولا شك عندنا في أن هذا أثر الإخلاص وحسن النية في العمل فهذه هي بضاعتنا
التي لا ربح لنا في سواها والتي نرجو أن تكون مكفرة لجميع سيئات ضعفنا في العلم
والتحريير، وما يلزم عنهما من الخطأ والزلل. فالتنا نسيراً من حولنا وقوتنا إلى
حول الله وقوته وهو نعم المولى ونعم النصير.

كان ذكر تقرير الفضلاء عملنا تحدياً بنعم الله وشكره له ولعباده الأخيار الذين ينوون
بالمنتار ويرغبون الأمانة فيه نذكر انتقاد أهل الفضل مع التناء والشكر أيضاً لأن حاجتنا
إلى الأمرين واحدة إذ الفائدة واحدة وهي زيادة البصيرة في العمل. فإذا كان
رياض باشا يثني على المنتار في غيتنا على مسمع الملأ ويقول في محفلة الخافل: ينبغي
لكل ذي احساس ديني أن يقرأ المنتار ويساعده: فهو يذكر لنا إذا خلونا به كل ما يراه
متقدماً وقد انتقد مما نشر في هذه السنة أمران أحدهما الكلام في محمد علي باشا
الكبير والثاني لاحقة سجل جمعية أم القرى التي فيها ما فيها من مساوي الدولة العلية
(أيدها الله) وقال إن ذلك ليس من موضوع المنتار ولا ينبغي له.

وإذا كان الشيخ محمد محمود الشنقيطي ينوّه بالمنتار كثيراً وسبق له تقريره بقصيدة
فهو يذكر لنا ما يراه أحياناً متقدماً وقد كنا نذكرنا انتقاده كلمة (الاستغاثات) وتمدية
التمزية بالباء داخلية على المعزى عنه. ونذكر الآن أنه انتقد ما ورد في تفسير قوله

تعالى «وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْمِلَّةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْإِنسَانِ» من حكاية قول العلماء في أن الملائكة للموكلين بالموالمة الحية هم من قبيل القوى أو أرواح يكون بها نظام حياة تلك الأحياء ومن ذلك خواطر الحيز في الإنسان كما أن خواطر الشر من أرواح خبيثة تسمى الشياطين . قلنا هذا القول من تفسير الاستاذ الامام . وذكرنا في الهامش كلمة في المسألة للامام الغزالي في كتاب شرح عجائب القادر وقد سمي الاستاذ الامام هذا الرأي في هذا النوع من الملائكة تأويلاً بل ذكرنا به في باب الإشارة إذ قال «فيه إيماء الى الخاصة» الخ ولم يجعله المدة في تفسير الملائكة . وقد اشتبه هذا القول على كثيرين وتعلقوا به ونقلوا عن تصرُّج الاستاذ الامام بأن الواجب اعتقاده أن الملائكة خلق غيبي مستقل وانهم فرق كذلك عليه قوله تعالى «وَلَا تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَعْدَ وُفُودِهَا» وأول دور الساعات والمرسلات واليازعات . ونرى أن سبب انتقاد الشنقيطي نقل تلك القول وإن كان من الإشارة الى الخواص وهو منهم هو أنه منار لأوهام العوام وهو مصيب في ذلك .

وانتقدنا نشر في هذه السنة أيضاً تشبيه النساء المهذبات بالملائكة الذي ورد في نصيحة لأمير (ج ١٥ - ٥) وقد سرى هذا التشبيه إلينا من كتاب العصر الذين يكثرون منه وهو تشبيه قديم كما يدل قوله تعالى «ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم» وإنما ينكره الاستاذ في الكوافر

وانتقد منه أيضاً افتتاح مقالة في الرد على كاتب نصراني بقوله تعالى «يحرِّفون الكلم عن مواضعه» الخ والآية نزلت في اليهود باتفاق وإنما قصدنا بها الاقتباس لا التفسير وقد قلنا أن نذكر من قبل انتقاده ما جاء في بعض مقالات المحاورة بين المصلح والمقلد التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع من ترجيح أحد المتناظرين حل المتعة وقد رغب إلينا الاستاذ بأن نشر احتجاج القاضي يحيى بن أكثم على المأمون عند ما أباحها ورجوع المأمون عن ذلك واستعمل أن شاء الله تعالى . وعسى أن نحقق الاستاذ دائماً بما يراه منتقداً في المنار ونعده بأننا نتقبل ذلك بقبول حسن ونشكره أفضل الشكر وههنا ننبه جميع العلماء الى القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي كاد يتفح الدين بها لها ولا ترجى حياته الا بالقيام بها وندعو من يطالع على المنار منهم الى تنبيهنا على برونه خطأ بالقول أو الكتابة ومن أحب منهم أن ينشر انتقاده معزواً إليه فإننا ننشره له مقروناً برأينا فيه مع الأدب والشكر وليس من شأن أهل

الدين أن ينكر الانسان عمل أخيه في غيته ويكتمه عنه. وانما نسمع عن بعض الذين يطرون النار أمامنا كلاماً لا يرضي. هذه شذوثة المنافقين وشر الناس يوم القيامة عند الله ذو اللسانين الذي يأتي هؤلاء بوجه هؤلاء بوجه كما في حديث أحمد والشيخين من الناس من يمتدح عن نفسه في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن الناس لا يقبلون أو بأنهم يؤذون من يأمرهم وينهاهم بالصالحات أو الفل. وهانحن أولاء نقول على رؤس الاشهاد إن أمن الناس علينا وأحقهم بالشكر منا من يدلنا على ما يراه خطأ في النار من يدعي أن في النار خطأ في المسائل الدينية أو غيرها ولم يذكره لنا قولاً أو كتابة فهو فاسق يشك في رضى الله عن المنكر من غير عذر وعلى الناس أن يستدلوا من قوله على أنه فاسق أو منافق ومن كان كذلك لا يقبل له قول في العلم والدين. روى ابن عدي والحاكم عن أنس وغيرهما عن غيرهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم». وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصيبوا على ما تعلم نادمين» لاننا هذا الاحاح في حق الناس على انتقاد النار انجائياً وتوها أنه يملو عن الانتقاد ولكن حرصاً على بيان الحق الذي نعاله واستعانة عليه بانصاره. والراغبين في اعلاء مناره ، ونقول هنا مقال الأستاذ الامام : انه مامن أحد بأمر من أن يعين ولا أكبر من أن يمان.

وانما القراء بان سرمد النار بقانا في السنة السادسة فجعل ورره أجيود من هذا الورق ونجوى المباحث التي تراعى أكبر فائدة وأكثر نفعاً. وفي التية المود الى التوسيع في باب العقائد وباب [آثار السلف عبادة الخائف] وفي مباحث آداب الالفسة مع الاستمرار على نشر التفسير المقتبس من مفتي مصر المصرية والمود الى باب [البدع والخرافات والتقاليد والمادات] وربما نجمل الجدل في شؤون النساء وما يتعلق بهن من أمر الزواج والبيوت ، باباً يترك في أكثر ا حزاء. وان أجل تحفة تحفهم بهافي السنة الجديدة تلك المقالة أو المقالات التي وعد بها ذلك الامام الحكيم صاحب مقالات (الاسلام والتصحيح مع العلم والمدنية) التي بين فيها كيف تكون البدع التي رجعت بالمسلمين الفهقرى هي السبب في حياتهم المالية المستقبلية. ونختتم المجلد الخامس بحمد الله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله ، وآله وصحبه ومن والاه ،